الجزء الثاني

من التفسير المنير لمعالم التنزيل المسفر عن وجوه محاسن التأويل

المسمى طبقا لمعناه مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد

لجامعه العالم النحرير وعلم الفضل الشهير المتحلي

بكريم الشيم ومهابة الاعزاز العلامة

الشيخ محمد نووي سيد علماء الحجاز

نفع الله تعالى به

وجعلنا وإياه من

أحبته المقبولين

آمين



وبهامشه كتاب الوجيز في تفسير القرآن العزيز للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي المتوفى سنة ٤٦٨ رحمه الله وجعل الجنة متقلبه ومثواه آمين

﴿ طبع بمطبعة ﴾

دار الكتب العربية الكبرى

﴿ على نفقة ﴾

﴿ الشيخ فدا محمد الكشميري الكتبي « بمكة المكرمة » وشركاه ﴾

سورة مريم مكية وهي ثمان وتسعون آية وكلماتها تسعمائة واثنان وستون وحروفها ثلاثة آلاف وثلاثمائة وحرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

(كهيعص) وهو من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه وقيل هو ثناء من الله على نفسه وهو وصفه تعالى بأنه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم بأمرهم صادق في وعده (ذكر رحمة ربك) فان جعلت كهيعص اسما للسورة على ما عليه اتفاق أكثر العلماء فهي مبتدأ وخبره ذكر أي المسمى بكهيعص ذكر رحمة ربك (عبده زكريا) أي اصابة الله رحمته عبده زكريا (اذ نادى ربه نداء خفيا) فانه أدخل في الاخلاص وأبعد من الرياء وأقرب الى الخلاص عن لوم الناس على طلب الولد في زمان الشيخوخة (قال رب اني وهن العظم مني) أي ضعف بدني وانما أسند الضعف الى العظم لانه دعام الجسد فاذا ضعف كان غيره أضعف (واشتعل الرأس شيبا) أي أخذ رأسي شمطا وقد صار مثل شواظ النار (ولم أكن بدعائك رب شقيا) أي ولم أكن بدعائي اياك يا رب خائبا في وقت من أوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لي وقد توسل سيدنا زكريا عليه السلام بما سلف منه من الاستجابة عند كل دعوة بعد ذكر ما يتسبب للرأفة من كبر السن وضعف الحال (واني خفت الموالي) أي الذين يخلفونني في السياسة وفي القيام بأمر الدين (من ورائي) أي بعد موتي وهم بنو عمه عليه السلام وكانوا أشرار بني اسرائيل فخاف عليه السلام أن لا يحسنوا الخلافة في أمته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله من ورائي متعلق بمحذوف أي فعل الموالي أو جور الموالي لا بخفت لفساد المعنى (وكانت امرأتي عاقرا) أي لا تلد من حين شبابها (فهب لي من لدنك) أي اعطني من محض فضلك الواسع وقدرتك الباهرة (وليا) أي ولدا من صلبي (يرثني) من حيث العلم والدين والنبوة (ويرث) الملك (من آل يعقوب) بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام لان زوجة زكريا هي أخت مريم وكانت من ولد سليمان بن داود من ولد يهوذا بن يعقوب أما زكريا فهو من ولد هرون أخي موسى وهما من ولد لاوي بن يعقوب بن اسحاق وقرأ أبو عمرو والكسائي يرث في الكلمتين بالجزم على جواب الامر والباقون بالرفع على انه صفة (واجعله رب رضيا) أي مرضيا عندك قولا وفعلا قال تعالى بواسطة الملك جبريل (يا زكريا انا نبشرك بغلام) أي ولد يرث العلم والنبوة في حياتك فانه قتل قبل موت أبيه (اسمه يحيى) لاحيائه رحم أمه بعد موته بالعقم (لم نجعل له من قبل سميا) أي شريكا له في الاسم حيث لم يكن قبل يحيى أحد يسمى بيحيى وقيل

...فوق أيديهم عالم بربيته صادق في وعده (ذكر) أي هذا الذي أنزلت عليك ذكر (رحمة ربك عبده زكريا) أي باجابة دعائه لما دعاه وهو قوله (اذ نادى) أي دعا (ربه نداء خفيا) أي سرا لم يطلع عليه غير الله (قال رب اني وهن العظم) أي ضعف العظم (مني) أي عظمي (واشتعل الرأس شيبا) أي وكثر شيب رأسي جدا (ولم أكن بدعائك) أي بدعائي اياك (رب شقيا) أي كنت مستجاب الدعوة قد عودتني الاجابة (واني خفت الموالي) أي الاقارب وبني العم والعصبة (من ورائي) أي من بعدي أن لا يحسنوا الخلافة لي في دينك (وكانت امرأتي) أي فيما مضى من الزمان (عاقرا) أي لم تلد لي (فهب لي من لدنك وليا) أي ابنا صالحا (يرثني ويرث من آل يعقوب) يعني العلم والنبوة (واجعله رب رضيا) أي مرضيا فاستجاب الله دعاءه وقال (يا زكريا انا نبشرك بغلام) أي ولد ذكر (اسمه يحيى) لانه يحيا بالعلم والطاعة (لم نجعل له من قبل سميا) أي لم نسم أحدا بهذا الاسم قبله فأحب زكريا أن يعلم من أي جهة يكون له الولد ومثل امرأته لا تلد ومثله لا يولد له

وقيل أى شبيها فى الفضل والكمال فانه لم يعص ولم يهم بمعصية من حال الصغر وانه صار سيد الشهداء على الاطلاق (قال) زكريا (رب أنى يكون لى غلام) أى من أين يكون لى ولد (وكانت امرأتى عاقرا) أى والحال أنه قد صارت امرأتى لم تلد قط (وقد بلغت من الكبر عتيا) أى يبوسا وقرأ أبى ابن كعب وابن عباس عسيا بالسين غير المعجمة (قال) أى الله تعالى (كذلك) أى الامر ذلك للوعد من خلق غلام منكما وأنتما على حالكما (قال ربك هو) أى خلق يحيى منكما على حالتكما (علىّ) خاصة (هين) وان كان فى العادة مستحيلا (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ) أى وقد أوجدتك يازكريا من قبل يحيى والحال أنك اذ ذاك عدم بحت وقرأ حمزة والكسائى خلقناك (قال رب اجعل لى آية) أى علامة تدلنى على حصول حبل امرأتى (قال) أى الله تع لى (آيتك) على تحقق المسؤل (أن لا تكلم الناس) أى أن لا تقدر على أن تكلم الناس (ثلاث ليال) مع أيامهن (سويا) أى حال كونك سليم الجوارح لم يحدث بك مرض ولا خرس (فخرج على قومه من المحراب) أى من المصلى وهم اجتمعوا ينتظرون فتح الباب ليصلوا فيه بإذنه على العادة فخرج اليهم للاذن وهو لا يتكلم متغيرا لونه فأنكروه فقالوا مالك يا بنى الله (فأوحى اليهم) أى أشار اليهم (أن سبحوا بكرة وعشيا) أى صلوا صلاة الفجر وصلاة العصر قال الله تعالى ليحيى بعدما بلغ (يايحيى خذ الكتاب بقوة) أى اعمل بما فى التوراة بجد (وآتيناه الحكم) أى الفهم فى التوراة والفقه فى الدين (صبيا) أى فى صغره وعن بعض السلف من قرأ القرآن قبل ان يبلغ فهو ممن أوتى الحكم صبيا روى انه عليه السلام دعاه الصبيان الى اللعب فقال ماللعب خلقنا (وحنانا من لدنا وزكاة) أى وأعطيناه تعطفا من عندنا على يحيى حيث جعلناه نبيا وهو صغير وتشريفا له ويقال وأعطينا يحيى رحمة من لدنا على زكريا وتزكية له عن أن يصير مردود الدعاء ويقال وأعطينا يحيى تعطفا منا على أمته لعظم انتفاعهم بارشاده وتوفيقا للتصدق عليهم وتطهيرا منا عن الالتفات لغيرنا (وكان تقيا) بطبعه ومن جملة تقواه انه كان يتقوت بالعشب وكان كثير البكاء فكان لدمعه مجار على خده (وبرا بوالديه) أى لطيفا بهما محسنا اليهما (ولم يكن جبارا) أى متكبرا فى دينه (عصيا) أى عاصيا لربه عاقا بوالديه (وسلام عليه) أى أمان من الله تعالى على يحيى (يوم ولد) من أن يناله الشيطان (ويوم يموت) من فتنة القبر (ويوم يبعث) من القبر (حيا) من هول القيامة وهذا تنبيه على كونه عليه السلام من الشهداء (واذكر) ياأكرم الرسل للناس (فى الكتاب) أى هذه السورة (مريم) أى قصتها (اذ انتبذت) أى اعتزلت (من أهلها مكانا شرقيا) أى شرقى بيت المقدس وشرقى دارها لتتخلى هناك للعبادة (فاتخذت من دونهم حجابا) أى فأرخت لاجل منع رؤية أهلها سترا لتغتسل من حيضها (فأرسلنا اليها روحنا) رسولنا جبريل (فتمثل لها) بعد فراغها من الاغتسال وبعد لبسها ثيابها (بشرا سويا) أى لم ينقص من الصورة البشرية شيأ وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها واذا طهرت عادت الى المسجد فلما طهرت وهى فى مغتسلها أتاها جبريل بعد لبسها ثيابها فى صورة آدمى شاب أمرد وضىء الوجه جعد الشعر كامل البدن لم ينقص من حسان نعوت الآدمية شيأ وقيل تمثل فى صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يلقى اليها من كلماته تعالى (قالت) أى مريم (انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) أى مطيعا لله يرجى منك أن تتقى الله ويحصل ذلك بالاستعاذة به فانى

(قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) أى يبوسا واتتهاء فى السن (قال) جبريل (كذلك) أى الأمر كما قيل لك (قال ربك هو على هين) أى أرد عليك قوتك حتى تقوى على الجماع وأفتق رحم امرأتك (٣) بالولد (وقد خلقتك من قبل) أى من قبل يحيى (ولم تك شيئا قال رب اجعل لى آية) أى على حبل امرأتى (قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) أى تمنع الكلام وأنت سوى صحيح فتعلم بذلك أن الله قد وهب لك الولد (فخرج على قومه) وذلك انهم كانوا ينتظرونه فخرج عليهم ولم يقدر أن يتكلم (فأوحى اليهم) أى أشار اليهم (أن سبحوا) أى صلوا لله (بكرة وعشيا) فوهبنا له وقلنا له (يايحيى خذ الكتاب) أى التوراة (بقوة) أى أعطيتكها وقويتك على حفظها والعمل بما فيها (وآتيناه الحكم صبيا) أى النبوة فى صباه (وحنانا) أى وآتيناه حنانا أى رحمة (من لدنا وزكاة) أى تطهيرا وقوله (جبارا) أى قتالا متكبرا (عصيا) أى عاصيا لربه (وسلام عليه) أى سلامة له منا فى الاحوال التى ذكرها يريد أن الله تعالى سلمه فى هذه الأحوال (واذكر) يا محمد (فى الكتاب مريم اذ انتبذت) أى تنحت (من أهلها مكانا شرقيا) أى من جانب الشرق وذلك أنها أرادت الغسل من الحيض فاعتزلت فى

نا ... من الدار (فاتخذت من دونهم حجابا) أى تسترت به عنهم (فأرسلنا اليها روحنا) يعنى جبريل (فتمثل) أى فتصور (لها بشرا)

عائذة به منك وقيل كان فى ذلك الزمان رجل فاجر اسمه تقى يتبع النساء فظنت مريم أن ذلك المشاهد هو ذلك التقى فمن ذلك تعوذت منه وخصت الرحمن بالذكر ليرحم ضعفها وعجزها عن دفعه (قال) لها جبريل (انما أنا رسول ربك) الذى استعذت به (لأهب لك غلاما زكيا) أى لأكون سببا فى هبة ولد طاهر من الذنوب بالنفخ فى الدرع قرأ نافع وأبو عمرو ليهب بياء مفتوحة بعد اللام أى ليهب الرب لك ولدا ذكرا مترقيا من سن الى سن على الخير (قالت) مريم لجبريل (أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر) أى من أين يكون لى ولد كما وصفت والحال أنه لم يباشرنى رجل بنكاح (ولم أك بغيا) أى فاجرة تبغى الرجال (قال) لها جبريل (كذلك) أى الامر كما قلت لك (قال ربك) الذى أرسلنى اليك (هو) أى هبة الولد من غير أن يمسك بشر أصلا (على) خاصة (هين) وان كان مستحيلا عادة لانى لا أحتاج الى الوسائط (ولنجعله) أى وهب الولد من غير أب (آية للناس) أى برهانا لهم يستدلون به على كمال قدرتنا نفعل ذلك وبهذا تمام الانواع الاربعة فى خلق البشر فانه تعالى خلق آدم من غير ذكر وأنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر وخلق بقية البشر من ذكر وأنثى معا (ورحمة) عظيمة كائنة (منا) عليهم يهتدون بهدايته (وكان) أى خلق الولد بلا أب (أمرا مقضيا) أى لا يتغير فلو لم يقع لانقلب علم الله جهلا وهو محال وجميع الممكنات منتهية فى سلسلة القضاء الى واجب الوجود واذا كان الامر كذلك فلا فائدة فى الحزن وهذا هو سر قوله صلى الله عليه وسلم من عرف سر الله فى القدر هانت عليه المصائب (فحملته) أى فنفخ جبريل فى طوق قميصها نفخة وصلت الى فرجها ودخلت منه جوفها فحملته فى الحال (فانتبذت به) أى فاعتزلت وهو فى بطنها (مكانا قصيا) أى بعيدا من الناس قال وهب ان مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذى عند جبل صهيون وكان يوسف ومريم يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم فى أهل زمانهما أحد أشد عبادة منهما وأول من علم حمل مريم هو يوسف فتحير فى أمرها فكلما أراد أن يتهمها ذكر عبادتها وانها لم تغب عنه ساعة قط واذا أراد أن يبرئها رأى الذى ظهر بها من الحمل فأول ما تكلم به أن قال قد وقع فى نفسى من أمرك شئ وقد حرصت على كتمانه فغلبنى ذلك فرأيت ان الكلام فيه أشفى لصدرى فقالت قل قولا جميلا قال اخبرينى يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر وهل تنبت شجرة من غير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر وهذا البذر انما حصل من الزرع الذى أنبته من غير بذر ألم تعلم أن الله تعالى أنبت الشجرة من غير غيث وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعدما خلق كل واحد منهما على حدة أو تقول ان الله تعالى لا يقدر على أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباتها فقال يوسف لا أقول هذا ولكنى أقول ان الله قادر على ما يشاء فيقول له كن فيكون فقالت له مريم ألم تعلم أن الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى فعند ذلك زالت التهمة عن قلبه وكان ينوب عنها فى خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل وضيق القلب فلما دنت ولادتها أوحى الله اليها أن اخرجى من أرض قومك فخرجت أقصى الدار (فأجاءها المخاض) أى فألجأها وجع الولادة (الى جذع النخلة) أى الى أصل نخلة يابسة لا رأس لها وكان الوقت شتاء شديد البرد فلما اعتمدت عليه بصدرها اخضر وأطلع الجريد والخوص والثمر رطبا فى وقت واحد كما أن حمل عيسى وتصويره وولادته فى وقت واحد وكأن الله أرشدها الى النخلة ليريها من آياته ما يسكن روعتها وليطعمها الرطب الذى هو أشد الاشياء موافقة للنفساء فهو خرسة لها ولان النخلة من أقل الاشجار صبرا على البرد ولانها لا تثمر الا عند اللقاح من ذكر النخل واذا قطعت رأسها ماتت فكأنه

(قال) جبريل (انما أنا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا) أى ولدا صالحا نبيا (قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر) أى ليس لى زوج (ولم أك بغيا) أى ولست بزانية (قال كذلك) أى الأمر كما وصفت لك (قال ربك هو على هين) أى أن أهب لك غلاما من غير أب (ولنجعله آية) أى علامة للناس على قدرة الله (ورحمة منا) أى لمن تبعه على دينه (وكان) ذلك (أمرا مقضيا) أى قضيت به فى سابق علمى فرفع جبريل درعها فنفخ فى جيبها فحملت بعيسى فذلك قوله (فحملته فانتبذت به) أى تباعدت بالحمل (مكانا قصيا) أى بعيدا من أهلها فى أقصى وادى بيت لحم وذلك أنها لما أحست بالحمل هربت من قومها مخافة اللائمة (فأجاءها) أى جاء بها (المخاض) وهو وجع الولادة (الى جذع النخلة) وذلك أنها حين أخذها الطلق صعدت أكمة واذا عليها جذع نخلة وهو ساقها ولم يكن لها سعف فسارت اليها

تعالى قال كما أن الانثى لا تلد الا مع الذكر فكذا النخلة لا تثمر الا عند اللقاح ثم انى أظهر الرطب من غير اللقاح ليدل ذلك على جواز ظهور الولد من غير ذكر فحملها بمجرد هزها أنسب شئ باتيانها بولد من غير والد (قالت) لما خافت أن يظن بها السوء فى دينها فيقع فى المعصية من يتكلم فيها وهى راضية بما بشرها به جبريل (يا) اى أنبهك يا مخاطب (ليتنى مت قبل هذا) الوقت الذى فيه الامر العظيم وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائى مت بكسر الميم والباقون بالضم (وكنت نسيا) أى شيأ تافها لا يعتد به أصلا كخرقة الطمث ونحوها وقرأ حفص وحمزة وابن وثاب والاعمش بفتح النون والباقون بالكسر وقرأ محمد بن كعب القرظى نسأ بالهمز وبهسا وهو الحليب المخلوط بالماء الكثير ينساه أهله لقلته واستهلاكه فى الماء (منسيا) اى متروكا لم يذكر بالبال وهو نعت للمبالغة وهذا اجرى على عادة الصالحين عند اشتداد الامر عليهم فانهم يقولون مثل ذلك كما روى عن أبى بكر انه نظر الى طائر على شجرة فقال طوبى لك يا طائر تقع على الشجرة وتأكل من الثمر وددت أنى ثمرة ينقرها الطائر وعن عمر انه أخذ تبنة من الارض فقال ياليتنى هذه التبنة ولم أك شيأ وعن على انه قال يوم الجمل ياليتنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وعن بلال انه قال ليت بلالا لم تلده أمه وقرأ الاعمش منسيا بكسر الميم اتباعا للسين (فناداها من تحتها أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا) وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائى بمن الجارة أى فناداها جبريل من مكان أسفل منها تحت الاكمة أى لا تحزنى يا مريم على ولادة عيسى قد جعل ربك بمكان أسفل منك أو قريب منك نهرا صغيرا أو انسانا شريفا جليلا و يدل على ذلك قراءة ابن عيسى فناداها ملك من تحتها و يقال فناداها المولود كائنا من تحت ذيلها أى لا تحزنى يا أمى قد جعل ربك تحتك جدولا يجرى و يمسك بأمرك أو نبيا مرتفع القدر وقرأ الباقون بمن الموصولة وقرأ زر وعلقمة فخاطبها من تحتها بفتح الميم أى فناداها عيسى الذى كان تحت ذيلها أى لا تحزنى قد جعل ربك تحتك رئيسا عزيزا لا يكاد يوجد له نظير أو جدولا بضرب جبريل الارض برجله و يقال فناداها جبريل من تحتها يقبل الولد كالقابلة أو من تحت النخلة بأن لا تحزنى قد جعل ربك قربك عين ماء عذب تعظيما لشأنك فان الله تعالى أرسل جبريل اليها ليناديها بهذه الكلمات كما أرسل اليها فى أول الامر ليكون ذلك تذكيرا لها ما تقدم من أصناف البشارات أو يقال ان الله تعالى أنطق عيسى لها حين وضعته تطييبا لقلبها وازالة للوحشة عنها حتى تشاهد فى أول الامر ما بشرها به جبريل من علو شأن ذلك الولد كما قال الحسن بن على رضى الله عنهما ان عيسى عليه السلام لو لم يكن كلمها لما علمت انه ينطق فما كانت تشير الى عيسى بالكلام وحمل فاعل نادى الى عيسى أقرب (وهزى اليك بجذع النخلة) أى حركى أصل النخلة تحريكا عنيفا الى جهتك (تساقط عليك) أى تسقط النخلة عليك اسقاطا متواترا بحسب تواتر الهز (رطبا جنيا) أى طريا استحق أن يجنى وقرأ حمزة بفتح التاء والسين مخففة وفتح القاف وقرأ حفص بضم التاء وكسر القاف والباقون بفتح التاء وتشديد السين وفتح القاف (فكلى واشربى) أى فكلى من الرطب واشربى من النهر أو كلى من الرطب واشربى من عصيره (وقرى عينا) أى طيبى نفسا بولدك عيسى فالعين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره وان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال للمحبوب قرة العين وللمكروه سخنة العين (فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا) أى فان ترى يا مريم أحدا من الآدميين فيسألك عن ولدك فقولى له ان استنطقك انى نذرت للرحمن صمتا فلن أكلم اليوم آدميا بعد أن أخبرتك بنذرى وانما أكلم الملائكة وأناجى ربى وانما منعت مريم من الكلام ليكون عيسى المتكلم عنها فيكون أقوى لحجتها فى ازالة التهمة عنها ولكراهة مجادلة السفهاء (فأتت به قومها تحمله) أى فجاءتهم مع ولدها

(قالت) جزعا مما أصابها (ياليتنى مت قبل هذا) اليوم وهذا الأمر (وكنت نسيا منسيا) أى شيأ متروكا لا يعرف ولا يذكر فلما رأى جبريل حالها وسمع جزعها ناداها من تحت الاكمة وهو قوله (فناداها من تحتها أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا) أى نهر ماء جار وكان تحت الأكمة نهر قد انقطع الماء منه فأرسل الله الماء فيه لمريم (وهزى) أى حركى (اليك) أى الى نفسك (بجذع النخلة تساقط) أى النخلة (عليك رطبا جنيا) أى غضا ساعة جنى وذلك أن الله تعالى أحياها تلك النخلة بعد يبسها فأورقت وأثمرت وأرطبت (فكلى) أى من الرطب (واشربى) أى من السرى (وقرى عينا) أى بولدك (فاما ترين من البشر أحدا) فسألك عن ولدك ولامك عليه (فقولى انى نذرت للرحمن صوما) أى صمتا عنى قولى له انى أوجبت على نفسى لله سبحانه أن لا أتكلم وذلك أن الله تعالى أراد أن يظهر براءتها من جهة عيسى فيتكلم ببراءة أمه وهو فى المهد وذلك قوله (فلن أكلم اليوم انسيا فأتت به) أى بعيسى بعد ما طهرت من نفاسها (قومها تحمله

عيسى حاملة له وهو ابن أربعين يوما روى عن ابن عباس أن يوسف انتهى بمريم الى غار فأدخلها فيه أربعين يوما حتى طهرت من النفاس ثم حملته الى قومها فكلمها عيسى فى الطريق فقال يا أماه أبشرى فانى عبدالله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبى بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين (قالوا) مؤنبين لها (يا مريم لقد جئت شيأ فريا) أى لقد فعلت شيأ منكرا عظيما (يا أخت هرون) أى يا شبيهة هرون فى العبادة وكان هرون هذا رجلا صالحا من أفضل الناس من بنى اسرائيل ينسب اليه كل من عرف بالصلاح وهذا لما مات تبع جنازته أربعون ألفا كلهم يسمون هرون تبركا به وباسمه والمراد انك يا مريم كنت فى الزهد كهرون فكيف صرت هكذا (ما كان أبوك امرأ سوء) أى ما كان أبوك عمران رجلا زانيا (وما كانت أمك بغيا) أى وما كانت أمك حنة امرأة فاجرة (فأشارت) مريم (اليه) أى الى عيسى أن كلموه (قالوا) منكرين لجوابها (كيف نكلم من كان فى المهد) أى فى الحجر أو فى السرير (صبيا) أى صغيرا ابن أربعين يوما * روى أن عيسى كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار بسبابة يمينه فتكلم عيسى (قال انى عبدالله) وانما نص عيسى على اثبات عبودية نفسه لان ازالة التهمة عن الله تعالى تفيد ازالة التهمة عن الام لان الله تعالى لا يخص الفاجرة بولد فى هذه الدرجة العالية أما التكلم بازالة التهمة عن الام لا يفيد ازالة التهمة عن الله تعالى فكان الاشتغال بذلك أولى وقد وصف عيسى عليه السلام نفسه بصفات ثمانية أولها العبودية فاعترف بها لئلا يتخذوه الها وآخرها أمنه من الله فى أخوف المقامات وكل هذه الصفات تقتضى تبرئة أمه (آتانى الكتاب) أى علمنى التوراة والانجيل فى بطن أمى (وجعلنى نبيا) بعد الخروج من بطن أمى (وجعلنى مباركا) أى نفاعا معلما للخير (أينما كنت) أى فى أى مكان كنت روى الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سلمت مريم عيسى الى الكتاب فقالت للمعلم أدفعه اليك على أن لا تضربه فقال له المعلم اكتب فقال أى شئ أكتب فقال اكتب أبجد فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال هل تدرى ما أبجد فعلاه بالدرة ليضربه فقال يا مؤدب لا تضربنى ان كنت لا تدرى فاسألنى فانى أعلمك الالف من آلاء الله والباء من بهاء الله والجيم من جمال الله والدال من أداء الحق الى الله (وأوصانى بالصلاة والزكاة) أى أمرنى باقامة العبودية وتطهير النفس عن الصفات الذميمة (مادمت حيا) فى الدنيا ليكون ذلك حجة على من ادعى أنه عليه السلام اله لانه لا شك فى أن من يعبد الها ليس باله والله تعالى صيره حين انفصل عن أمه عاقلا (وبرا بوالدتى) أى وكلفنى برا بأمى وهذا اشارة الى تنزيه أمه عن الزنا اذ لو كانت زانية لما كان الرسول المعصوم مأمورا بتعظيمها (ولم يجعلنى جبارا) أى متعاظما (شقيا) أى عاصيا لله عنيدا له لفرط التكبر بل جعلنى متواضعا وكان من تواضعه أنه كان يأكل ورق الشجر ويجلس على التراب ولم يتخذ له مسكنا وروى أن عيسى عليه السلام قال قلبى لين وأنا صغير فى نفسى (والسلام على) أى الامان من الله على (يوم ولدت) أى حين ولدت من لمزة الشيطان (ويوم أموت) أى حين أموت من ضغطة القبر (ويوم أبعث) من القبر (حيا) وانما خص هذه المواضع لكونها أخوف من غيرها (ذلك عيسى بن مريم قول الحق) أى عيسى بن مريم كلمة الله فالحق اسم الله أو المعنى خبر عيسى ابن مريم خبر الحق فعيسى عطف بيان وقرأ عاصم وابن عامر قول الحق بالنصب على المدح ان فسر بكلمة الله فحينئذ الوقف فى مريم وقف كاف وان فسر بالقول

الصدق

... ياشبيهة هرون وقيل هارون رجل صالح كان من أمثل بنى اسرائيل فقيل لمريم ياشبيهته فى العفاف (ما كان أبوك) عمران (امرأ سوء) أى زان (وما كانت أمك) حنة (بغيا) أى زانية فمن أين لك هذا الولد من غير زوج (فأشارت اليه) أى الى عيسى بأن يجعلوا الكلام معه فعجبوا من ذلك و (قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) يعنى رضيعا فى الحجر (قال) عيسى عند ذلك (انى عبد الله) أقر على نفسه بالعبودية لله (آتانى الكتاب) أى علمنى التوراة وقيل الخط وقيل الانجيل (وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا) أى معلما للخير ادعو الى الله (أينما كنت وأوصانى) أى أمرنى (بالصلاة والزكاة) أى الطهارة (مادمت حيا وبرا) أى لطيفا (بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) أى السلامة على من الله فى هذه الأحوال (ذلك عيسى ابن مريم) أى ذلك الذى قال انى عبد الله آتانى الكتاب الآية هو عيسى بن مريم لا كما يقول النصارى من أنه اله وأنه ابن الله (قول الحق) أى هذا الكلام قول الحق فالحق هو الله وقيل معنى قول الحق أنه كلمة الله

الصدق كان مصدرا مؤكدا كقال الى عبدالله فعيسى خبر المبتدا وعلى قراءة النصب كان اسم الاشارة راجعا لمن يثبت نعوته الجليلة (الذى فيه) أى فى عيسى (يمترون) أى يتنازعون فيقول اليهود هو ساحر ويقول بعض النصارى هو ابن الله ويقول بعضهم هو الله ويقول بعضهم هو شريكه (ما كان لله) أى ماصح له تعالى (أن يتخذ من ولد) لانه يلزم من اتخاذه ولدا الحاجة وهو نقص (سبحانه) أى تنزه الله عن ذلك (اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) أى اذا أراد الله أن يحدث أمرا من الامور فانما يريده ويعلق قدرته به فيكون حينئذ بلا تأخير وقرأ ابن عامر بنصب يكون على الجواب (وان الله ربى وربكم فاعبدوه) قرأ ابن عامر والكوفيون بكسر ان عطف على قوله انى عبدالله أو على الاستئناف ويؤيده ماقرأه أبى ان الله بالكسر بغير واو وقرأ أبو عمرو والمدنيون بالفتح على حذف حرف الجر متعلقا بما بعده أى ولان الله أو بسبب انه تعالى ربى وربكم فاعبدوه (هذا) التوحيد ونفى الولد والزوجة الذى أمرتكم به (صراط مستقيم) يوصل الى الجنة ورضا الله تعالى (فاختلف الاحزاب من بينهم) أى اختلف النصارى فى شأن عيسى عليه السلام بعد رفعه الى السماء فأخرج كل قوم عالمهم فاخرج منهم أربعة نفر فقال أحدهم هو الله تعالى هبط الى الارض فأحيا من أحيا وأمات من أمات ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية فقالت الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال أحد الاثنين للآخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله اله وهو اله وأمه اله وهم الاسرائيلية ملوك النصارى ولذلك سموا الملكانية فقال الرابع كذبت بل هو عبدالله وروحه ورسوله وكلمته فخصمهم وقال أما تعلمون أن عيسى كان يطعم وينام وأن الله تعالى لايجوز عليه ذلك وهم المسلمون وكان لكل رجل منهم اتباع على ماقال فاقتتلوا وغلبوا على المسلمين فذلك قول الله تعالى ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فصاروا أحزابا وذلك قوله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم فاختلفوا فيه وهذا معنى قوله تعالى الذى فيه يمترون (فويل) أى فشدة عذاب (للذين كفروا) أى اختلفوا فى شأن عيسى (من مشهد يوم عظيم) أى من حضور هول الحساب والجزاء يوم القيامة أو من مكان الحضور فى الحساب وهو الموقف أو من وقت حضوره أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو شهادة الملائكة والانبياء وشهادة ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر وسوء الاعمال أو من وقت شهادة يوم عظيم الهول أو من مكانها (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) أى أن أسماعهم وأبصارهم يوم يأتوننا للحساب والجزاء جدير بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا صما وعميانا فى الدنيا (لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) أى لكن الكافرون فى الدنيا فى ضلال مبين حيث تركوا النظر بالكلية وهم فى الآخرة يعرفون الحق (وأنذرهم) أى خوف يا أشرف الخلق كفار مكة (يوم الحسرة) أى يوم الندامة (اذ قضى الامر) أى فرغ من الحساب ببيان أمر الثواب والعقاب فيندم فى ذلك اليوم الناس المسىء على اساءته فى الدنيا والمحسن على قلة احسانه فيها روى أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى اذ قضى الامر فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش أملح فيذبح والفريقان ينظران فينادى المنادى يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرح وأهل النار غما الى غم واذ بدل من يوم الحسرة أو ظرف للحسرة ويوم الحسرة مفعول به أى خوفهم نفس ذلك اليوم (وهم فى غفلة وهم لايؤمنون) أى أنذرهم فى حال كونهم فى جهلة عن ذلك اليوم وفى حال كونهم لا يصدقون به (انا نحن نرث الارض ومن عليها) أى انا لاندع فى الارض شيأ من عاقل وغيره واسلب جميع مافى

النصارى انه ابن الله (ما كان لله) أى ماينبغى له (أن يتخذ من ولد) أى ولدا (سبحانه) تنزيها له عن ذلك (اذا قضى أمرا) أى أراد كونه (فانما يقول له كن فيكون) كما قال لعيسى وكان من غير أب (وأن الله ربى وربكم) هذا راجع الى قوله وأوصانى بالصلاة والزكاة وأوصانى بأن الله ربى وربكم (فاعبدوه هذا) الذى ذكرت (صراط مستقيم فاختلف الأحزاب) يعنى فرق النصارى (من بينهم) أى فيما بينهم وهم النسطورية واليعقوبية والملكانية (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) يريد مشهدهم يوم القيامة (أسمع بهم وأبصر) أى ماأسمعهم وماأبصرهم بالهدى يوم القيامة وأطوعهم ان عيسى ليس الله ولا ابن الله ولا ثالث ثلاثة ولكن لاينفعهم ذلك مع ضلالتهم فى الدنيا وهو قوله (لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) أى من أمر عيسى والقول فيه (وأنذرهم) أى خوفهم يا محمد (يوم الحسرة) أى يوم القيامة حين يذبح الموت بين الفريقين (اذ قضى الأمر) أى أحكم وفرغ منه (وهم فى غفلة) أى فى الدنيا من

ذلك اليوم (وهم لايؤمنون) أى لايصدقون به (انا نحن نرث الارض) أى لا [illegible]

واليناير جعون) أى للثواب والعقاب (واذكر) لقومك (فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا) أى مؤمنا موقنا (نبيا) أى رسولا
رفيعا (اذقال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع) الدعاء (ولا يبصر) العبادة (ولا يغنى) أى ولا يدفع (عنك) من عذاب الله شيأ (يا أبت
لاتعبد الشيطان) أى لاتطعه (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) اى عاصيا (يا أبت انى أخاف) ان مت على

ما أنت عليه (أن يمسك) أى يصيبك (عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا) أى قرينا فى النار (قال) أبوه مجيباله (أراغب أنت عن آلهتى) أى زاهد فيها وتارك عبادتها (لئن لم تنته) أى لئن لم ترجع عن مقالتك فى عيبها (لأرجنك) أى لأشتمنك (واهجرنى مليا) أى زمانا طويلا (قال) ابراهيم (سلام عليك) أى سلمت منى لأصيبك بمكروه وهذا جواب الجاهل كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (سأستغفر لك ربى) هذا كان قبل أن ينهى عن الاستغفار ووعده ذلك رجاء أن يجاب فيه (انه كان بى حفيا) أى بارا لطيفا (وأعتزلكم) أى أفارقكم (و) أفارق (ما تدعون) أى تعبدون من أصنامكم (وأدعو ربى) أعبده (عسى أن لا أكون بدعاء ربى) أى بعبادته (شقيا) كما شقيتم أنتم بعبادة الأصنام يريد أنه يتقبل عبادتى ويثيبنى عليها (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) ذهب مهاجرا
الى الشام (وهبناله) بعد الهجرة (اسحاق ويعقوب وكلا) منهما (جعلنا نبيا وهبنا لهم من رحمتنا) يعنى النبوة والكتاب (وجعلنا لهم
لسان صدق عليا) أى ثناء حسنا رفيعا فى كل أهل الأديان

أيديهم (والينا يرجعون) أى والى حكمنا يردون للجزاء وهذا تخويف عظيم للعصاة (واذكر فى الكتاب ابراهيم) أى واتل على كفار مكة قصة ابراهيم فى هذه السورة فانهم ينتسبون اليه عليه السلام فعساهم باستماع قصته يتركون ما هم فيه من القبائح (انه كان صديقا) أى بليغ الصدق فى أقواله وأفعاله وأحواله (نبيا) رفيع القدر عند الله وعند الناس فلا رفعة أعلى من رفعة من جعله الله واسطة بينه و بين عباده (اذقال لابيه) آزر متلطفا فى الدعوة (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع) ثناءك عليه (ولا يبصر) خشوعك بين يديه (ولا يغنى عنك شيأ) أى ولا يقدر على أن يكفيك شيأ من جلب نفع أو دفع ضر (يا أبت انى قد جاءنى) من الله (من العلم) أى علم الوحى (مالم يأتك) منه (فاتبعنى) بالتوجه الى الله . (أهدك صراطا سويا) أى طريقا موصلا الى أسنى المطالب منجيا عن المعاطب (يا أبت لاتعبد الشيطان) فان عبادتك للاصنام عبادة له اذ هو الذى يزينها لك بوسوسته (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) فطاعة العاصى عصيان والعصيان يوجب العذاب (يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن) ان لم تؤمن به (فتكون للشيطان وليا) أى قرينا فى العذاب روى عن أبى هريرة أنه قال قال صلى الله عليه وسلم أوحى الله الى ابراهيم عليه السلام انك خليلى فحسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتى سبقت لمن حسن خلقه أن أظله تحت عرشى وأن أسكنه حظيرة قدسى وأن أدنيه من جوارى (قال) آزر (أراغب أنت عن آلهتى) أى أمعرض أنت عن آلهتى (يا ابراهيم) انكر آزر نفس الانصراف عن الاصنام مع نوع من التعجب كأن الانصراف عنها مما لا يصدر من العاقل (لئن لم تنته) عن مقالتك هذه (لأرجمنك) أى لاقتلنك أى لاظهرن أمرك للناس ليقتلوك وهذا تهديد عما كان ابراهيم عليه من العظة (واهجرنى مليا) أى تباعد عنى لكيلا أراك زمانا طويلا (قال) ابراهيم (سلام عليك) وهذا توادع ومتاركة أى لا أشافهك بما يؤذيك بعد (سأستغفر لك ربى) أى أدعو لك ربى أن يهديك الى الايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر طلب التوفيق للايمان المؤدى للمغفرة (انه كان بى حفيا) أى بليغا فى البر والالطاف (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله) أى وأتركك وما تعبدون من الاصنام بالارتحال من بلادكم (وأدعو ربى) أى أعبده وحده (عسى أن لا أكون بدعاء ربى) أى بعبادته (شقيا) أى ضائع العمل كما ضاع عملكم بعبادة الاوثان فارتحل سيدنا ابراهيم من كوثى الى الارض المقدسة (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) أى فلما فارقهم ابراهيم فى المكان فى طريقتهم من عبادة الاوثان وأبعد عنهم الى الارض المقدسة والتشاغل بالعبادة (وهبناله اسحق ويعقوب) يأنس بهما لانه عاش حتى رأى يعقوب (وكلا) أى كل واحد منهم (جعلنا نبيا) ينبئهم الله تعالى بعلوم المعارف وهم ينبئون الخلق بالله وبالاسلام (ووهبنا لهم من رحمتنا) المال والجاه والاتباع والذرية الطيبة (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) أى جعلنا لهم ثناء صادقا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم ويذكرهم الامم كلها الى يوم القيامة بما لهم من الخصال المرضية وتقول

هذه

هذه الامة في الصلوات الخمس كما صليت وباركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم الى قيام الساعة (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا) قرأه عاصم وحمزة والكسائي بفتح اللام أي معصوما من الادناس اختاره الله تعالى والباقون بالكسر أي مخلصا لعبادته عن الرياء ولنفسه عما سوى الله (وكان رسولا) الى بني اسرائيل والقبط (نبيا) يخبرهم عن الله تعالى (وناديناه من جانب الطور الأيمن) أي الذي يلي يمين موسى والطور جبل بين مصر ومدين وذلك حين توجه من مدين الى مصر أي تمثل له الكلام من تلك الجهة يقول ياموسى اني أنا الله (وقربناه نجيا) أي مناجيا أي رفعنا قدره وشرفناه بالمناجاة بأن أسمعه الله تعالى كلامه بلا واسطة وقيل رفعناه مكانا عاليا فوق السموات حتى سمع صرير القلم حيث كتبت التوراة في الالواح (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا) أي وجعلنا أخاه هرون نبيا من أجل رأفتنا به ليكون وزيراله ومعيناله في تبليغ الرسالة وهذا اشارة الى أن النبوة ليست كسبية بل هي من مواهب الله تعالى يهب لمن يشاء النبوة والرسالة واشارة الى أن لموسى اختصاصا بالقربة والقبول عند الله تعالى حتى يهب أخاه هرون النبوة والرسالة بشفاعته كما يهب الانبياء والرسل بشفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم الناس يحتاجون الى شفاعتي حتى ابراهيم عليه السلام (واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد) فكان اذا وعد الناس بشيء أنجز وعده روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه السلام وعد صاحباله أن ينتظر في مكان فانتظره سنة وقد وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى به (وكان رسولا) الى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا في وادي مكة بشريعة أبيه فان أولاد ابراهيم كانوا على شريعته (نبيا) يخبر عن الله (وكان يأمر أهله) أي قومه (بالصلاة والزكاة) أي الصدقات الواجبة (وكان عند ربه مرضيا) أي فائزا في كل طاعاته بأعلى الدرجات (واذكر في الكتاب ادريس) وهو سبط شيث وجد أبي نوح (انه كان صديقا) أي ملازما للصدق في جميع أحواله (نبيا) وهذا مخصص للخبر الاول اذ ليس كل صديق نبيا (ورفعناه مكانا عليا) وهو السماء الرابعة وكان سبب رفعه اليها أنه سار ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس فقال يارب اني قد مشيت فيها يوما فأصابني منها ما أصابني فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها مالا يعرف فقال يارب خففت عني حر الشمس فما الذي قضيت فيه قال ان عبدي ادريس سألني أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبته قال يارب اجعل بيني وبينه خلة فأذن الله تعالى له حتى أتى ادريس ورفعه الى السماء (أولئك) العشرة المذكورون في هذه السورة (الذين أنعم الله عليهم) بفنون النعم الدينية والدنيوية (من النبيين من ذرية آدم) وهو ادريس (وممن حملنا مع نوح) أي ومن ذرية من مع نوح في السفينة وهو ابراهيم فانه من ذرية سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) وهم اسمعيل واسحق ويعقوب (واسرائيل) أي ومن ذرية يعقوب وهم يوسف واخوته وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى (وممن هدينا) أي ومن جملة من هديناهم الى الحق (واجتبينا) أي اصطفيناهم للاسلام كعبد الله بن سلام وأصحابه واسم الموصول خبر اسم الاشارة ومن النبيين بيان للموصول ومن ذرية بدل باعادة الجار ومن للتبعيض (اذا تتلى عليهم آيات

(واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا) أي [illegible] لله (وناديناه من جانب الطور الأيمن) أي حيث أقبل من مدين يريد مصر فنودي من الشجرة وكانت في جانب الجبل على يمين موسى (وقربناه نجيا) أي قربه الله من السموات للمناجاة حتى سمع صريف القلم يكتب له في الألواح (ووهبنا له من رحمتنا) أي من نعمتنا عليه (أخاه هرون نبيا) أي حين سأل ربه ذلك فقال واجعل لي وزيرا من أهلي الآية (واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد) أي اذا وعد وفى وانتظر انسانا في مكان وعده حتى حال عليه الحول (وكان رسولا نبيا) قد بعث الى جرهم (وكان يأمر أهله) أي قومه (بالصلاة والزكاة) المفروضة عليهم (وكان عند ربه مرضيا) لأنه قام بطاعته (واذكر في الكتاب) أي القرآن (ادريس) وقصته (انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا) أي رفع الى السماء الرابعة وقيل الى الجنة (أولئك) يعني الذين ذكرهم من الأنبياء كانوا (من ذرية آدم وممن حملنا) أي ومن ذرية من حملنا (مع نوح) في سفينته (ومن ذرية ابراهيم) يعني اسحق واسماعيل ويعقوب (واسرائيل) يعني موسى وهرون (وممن هدينا) أي أرشدنا (واجتبينا) أي اصطفينا [illegible]

الرحمن) وهى ماخصهم الله تعالى به من الكتب المنزلة عليهم (خروا سجدا وبكيا) من مخافة الله تعالى قال العلماء ينبغى أن يدعو الساجد للتلاوة فى سجدته بما يليق بآياتها فههنا يقول اللهم اجعلنى من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وفى آية الاسراء يقول اللهم اجعلنى من الباكين اليك الخاشعين لك وفى آية تنزيل السجدة يقول اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك من أن أكون من المستكبرين عن أمرك (فخلف من بعدهم خلف) أى حدث من بعد النبيين جماعة سوء ويقال لعقب الخير خلف بفتح اللام ولعقب الشر خلف بالسكون (أضاعوا الصلاة) أى تركوها (واتبعوا الشهوات) قال ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الأب وعن على رضى الله عنه هم من بنى المشيد وركب المنظور ولبس المشهور (فسوف يلقون غيا) أى واديا فى جهنم بعيد قعره تستعيذ منه أوديتها أعد للزناة وشربة الخمر وشهاد الزور وأكلة الربا والعاقين لوالديهم (الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك) أى من اتصف بهذه الامور الثلاثة (يدخلون الجنة ولا يظلمون) [illegible]

الاحكام الا بالاعم الاغلب ولا تناط بالنادر كمن تاب عن كفره ولم يدخل وقت الصلاة أو وجد الحيض فانه لا يجب عليه العمل قبل وجود سببه وشرطه فلو مات فى ذلك الوقت كان من أهل النجاة مع انه لم يصدر عنه عمل صالح من صلاة وزكاة وصوم وعلى هذا لا يتوقف الاجر على وجود العمل الصالح (جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب) حال من المفعول أى وهم غائبون عنها لا يرونها وانما آمنوا بها بمجرد الاخبار منه تعالى أى وعدهم بها وهم فى الدنيا ومن فى الدنيا لا نشاهدها (انه) تعالى أو ان الشأن (كان وعده) تعالى (مأتيا) أى مفعولا منجزا أى الوعد منه تعالى لابد من وقوعه فهو وان كان بأمر غائب فكأنه حاصل مشاهد (لا يسمعون فيها) أى الجنة (لغوا) أى فضول كلام لا فائدة فيه (الا سلاما) من بعضهم على بعض أو من الملائكة عليهم فان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة فأهل الجنة لا يحتاجون الى هذا الدعاء لانهم فى دار السلام فهذا من فضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام (ولهم رزقهم فيها) أى طعامهم فى الجنة (بكرة وعشيا) أى لهم رزق واسع ودائم فلهم ما يشتهون متى شاؤا اذ لا ليل فيها ولا بكرة ولا عشى وانما ذكرهما ليرغب كل قوم بما أحبوه لانه لا شئ أحب الى العرب من الغداء والعشاء فوعدهم بذلك ولذلك ذكر أساور الذهب والفضة ولباس الحرير التى كانت عادة العجم والارائك التى هى الحجال المضروبة على الاسرة وهى كانت من عادة أشراف العرب فى اليمن (تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا) من الكفر أى هذه الجنة التى عظم شأنها نعطيها من أطاعنا عطاء لا يرد كالميراث الذى يأخذه الوارث فلا يرجع فيه المورث (وما نتنزل الا بأمر ربك) قيل احتبس جبريل عن النبى صلى الله عليه وسلم حين سألوه فى أمر الروح وأصحاب الكهف وذى القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله حتى شق على النبى صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأت على حتى ساء ظنى واشتقت اليك فقال له جبريل انى كنت أشوق ولكنى عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فأنزل الله تعالى وما نتنزل الا بأمر ربك حكاية قول جبريل أمره الله تعالى أن يقوله لمحمد جوابا لسؤاله بقوله يا جبريل ما يمنعك

للفروضة (واتبعوا الشهوات) أى اللذات من شرب الخمر والزنا (فسوف يلقون غيا) وهو وادى جهنم (الا من تاب) أى من الشرك (وآمن) أى وصدق النبيين (وعمل صالحا) أى أدى الفرائض (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيأ) أى لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيأ (جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب) أى بالمغيب عنهم ولم يروها (انه كان وعده مأتيا) أى يأتى ما وعده لامحالة تأتيه أنت كما يأتيك هو (لا يسمعون فيها لغوا) أى قبيحا من الكلام (الا) لكن (سلاما) يعنى قولا حسنا يسلمون منه والسلام اسم جامع للخير (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) أى على قدر ما يعرفون فى الدنيا من الغداء والعشاء (تلك الجنة التى نورث) أى نعطى وننزل (من عبادنا من كان تقيا) أى يتقى الله بطاعته واجتناب معاصيه (وما نتنزل) كان جبريل قد احتبس عن النبى صلى الله عليه وسلم أياما فلما نزل قال له ألا ر زتنا فأنزل الله وما نتنزل (الا بأمر ربك

أن تزورنا أكثر مما تزورنا والمعنى وما نتنزل من السماء وقتا غب وقت الا بأمر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) أى لربك ما قدامنا وما خلفنا من الجهات وما نحن فيه فلا نتنقل من جهة الى جهة ومن مكان الى مكان الا بأمره ومشيئته فليس لنا أن نتقلب من السماء الى الارض الا بأمره (وما كان ربك نسيا) أى تاركا لك بتأخير الوحى عنك فعدم النزول لعدم الامر به لحكمة بالغة فيه وقال أبو مسلم ويجوز أن يكون قوله تعالى وما نتنزل الا بأمر ربك حكاية قول أهل الجنة حين يدخلونها والمعنى وما نتنزل الجنة الا بأمر الله تعالى ولطفه له ما بين أيدينا فى الجنة مما يكون مستقبلا وما خلفنا مما كان فى الدنيا وما بين ذلك فيما نحن فيه مما بين الوقتين وقوله تعالى وما كان ربك نسيا ابتداء كلام من الله تعالى تقرير لقولهم أى وما كان الله ناسيا لأعمال العاملين والثواب عليها بما وعدهم لانه عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة (رب السموات والارض وما بينهما) فلا يجوز عليه النسيان وهو بدل من ربك أو خبر مبتدا مضمر أى هو (فاعبده) يا أكرم الرسل (واصطبر لعبادته) وعدى الاصطبار باللام لان العبادة جعلت بمعنى القرب ففيه معنى الثبات لان العبادة ذات شدائد ومشاق فكأنه قيل أثبت لعبادة الرب ولا يضق صدرك من قول الكافر بن لك (هل تعلم له) أى للرب (سميا) أى نظيرا فيما يقتضى العبادة من كونه منعما باصول النعم وفروعها وشريكا فى الاسم الخاص كرب السموات والارض وما بينهما وكالله وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا يسمى بالرحمن غيره تعالى (ويقول الانسان) أبى بن خلف الجمحى بطريق الانكار والاستبعاد فانه أخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ونصير الى هذه الحال أو الوليد بن المغيرة أو أمية بن خلف (أئذا ما مت لسوف أخرج حيا) أى أبعث من الارض (أولا يذكر الانسان) وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب بسكون الذال وضم الكاف أى أيقول المجترئ بهذا الانكار على ربه ولا يتفكر (أنا خلقناه من قبل) أى من قبل الحالة التى هو فيها من نطفة منتنة (ولم يك شيأ) أى والحال انه لم يكن حينئذ شيأ أصلا أى أولا يعلم ذلك من حال نفسه لان كل أحد يعلم أنه لم يكن حيا فى الدنيا ثم صار حيا فيها (فوربك لنحشرنهم) أى لنجمعن القائلين بعدم البعث بالسوق الى المحشر بعد ما أخرجناهم من الارض أحياء (والشياطين) روى ان كل كافر يحشر مع شيطانه الذى يضله فى سلسلة (ثم لنحضرنهم) بعد طول الوقوف فى المحشر (حول جهنم جثيا) أى باركين على الركب لما يدهمهم من شدة الامر الذى لا يطيقون معه القيام على أرجلهم (ثم لننزعن من كل شيعة) أى من كل أمة تبعت دينا من الاديان (أيهم أشد على الرحمن عتيا) أى جراءة أى فمن كان أشدهم تمردا فى كفره خص بعذاب أعظم لان عذاب الضال المضل يجب أن يكون فوق من يضل لتبعه لغيره وليس عذاب من يتجبر كعذاب المقلد وليس عذاب من يورد الشبه فى الباطل كعذاب من يقتدى به مع الغفلة (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها) أى أحق بجهنم (صليا) أى دخولا فيبدأ بهم (وان منكم الا واردها) أى ما منكم أيها الانسان أحد الا حاضر قرب جهنم ويمر بها المؤمنون وهى خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهى خامدة وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية فقالت حفصة أليس الله يقول وان منكم الا واردها فقال صلى الله عليه وسلم فمه ثم ننجى الذين اتقوا أى نبعدهم عن عذاب

(له ما بين أيدينا) من أمر الآخرة (وما خلفنا) أى ما مضى من أمر الدنيا (وما بين ذلك) أى ما يكون من هذا الوقت الى قيام الساعة وقيل ما بين أيدينا الدنيا وما خلفنا يريد السموات وما بين ذلك الهواء (وما كان ربك نسيا) أى تاركا لك منذ أبطأ عنك الوحى وقوله (هل تعلم له سميا) أى هل تعلم أحدا يسمى الله غيره (ويقول الانسان) يعنى أبى بن خلف (أئذا ما مت لسوف أخرج حيا) يقول هذا استهزاء وتكذيبا بالبعث يقول لسوف أخرج من قبرى حيا بعد ما مت (أولا يذكر) أى يتذكر ويتفكر هذا (الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيأ) فيعلم ان من قدر على الابتداء قدر على الاعادة ثم أقسم على نفسه انه يبعثهم فقال (فوربك لنحشرنهم) يعنى منكرى البعث (والشياطين) قرناءهم الذين أضلوهم (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) أى جماعات جمع جثوة (ثم لننزعن) أى لنخرجن (من كل شيعة) أى أمة وفرقة (أيهم أشد على الرحمن عتيا) أى الأعتى فالأعتى منهم وذلك أنه يبدأ فى التعذيب بأشدهم عتيا ثم الذى يليه (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) أى أحق بدخول النار (وان منكم) يعنى وما منكم من أحد (الا واردها) أى الا وهو يرد النار

جهنم وقيل ورود جهنم هو الجواز على الصراط الممدود عليها وقيل الورود الدخول فالمؤمنون يدخلون النار من غير خوف وضرر البتة بل مع الغبطة والسرور (كان على ربك حتما مقضيا) أي كان ورودهم اياها أمرا محتوما أوجبه الله تعالى على ذاته (ثم ننجي الذين اتقوا) من الكفر والمعاصي أي نخرجهم منها فلا يخلدون بعد أن ادخلوا فيها وأما دخولهم فيها ليشاهدوا العذاب ليصير ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة (ونذر الظالمين) بالكفر والمعاصي (فيها) أي جهنم (جثيا) أي منهارا بهم (واذا تتلى عليهم) أي المشركين (آياتنا) الناطقة بحسن حال المؤمنين وسوء حال الكفرة (بينات) أي مرتلات الالفاظ مبينات المعاني (قال الذين كفروا) أي مردوا منهم على الكفر ومرنوا على العناد وهم النضر بن الحرث وأتباعه الفجرة (للذين آمنوا) أي لفقراء المؤمنين الذين هم في خشونة عيش ورثاثة ثياب وضيق منزل واللام للتبليغ لانهم شافهوا المؤمنين وخاطبوهم بقولهم (أي الفريقين) أي المؤمنين والكافرين (خير مقاما) أي منزلا وقرأ ابن كثير بضم الميم (وأحسن نديا) أي مجلسا أي أنحن أو أنتم روي انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزينة الفاخرة ثم يدعون فقراء المؤمنين ويقولون مفتخرين عليهم انظروا الى منازلنا فتروها أحسن من منازلكم وانظروا الى مجلسنا عند التحدث ومجلسكم فترونا نجلس في صدر المجلس وأنتم في طرفه الحقير فاذا كنا بهذه المثابة وأنتم بتلك فنحن عند الله خير منكم ولو كنتم على خير لاكرمكم بهذه الامور كما أكرمنا بها والمعنى انهم لما سمعوا الآيات بينات الاعجاز وعجزوا عن معارضتها شرعوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا فرد الله عليهم ذلك بقوله تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) أي كثيرا أهلكنا بفنون العذاب قبل هؤلاء القريش من امم عاتية كعاد وثمود وأمثالهم (هم أحسن) من هؤلاء (أثاثا) أي أمتعة (ورئيا) أي منظرا أي فهم أفضل من هؤلاء فيما يفتخرون به ولو كان ما آتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا أي فان ما أنتم أيها الكفار فيه من النعم محض استدراج لم ينفعكم الترفه شيأ عند نزول البلاء بكم كما وقع للامم الماضية حيث كانوا في رفاهية أكثر منكم ومع ذلك أهلكهم الله بكفرهم ولم ينفعهم الترفه شيأ (قل) يا أشرف الرسل لهؤلاء المفتخرين بما لهم من حظوظ (من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) وهذا الامر بمعنى الخبر أي من كان مستقرا في الضلالة مغمورا بالجهل والغفلة عن عواقب الامور فيمهله الله بطول العمر وبسط المال وانفاقه فيما يستلذ به من الاوزار ولا يزال يمد له استدراجا وقطعا للمعاذير يوم القيامة (حتى اذا رأوا ما يوعدون) من الله تعالى (اما العذاب) الدنيوي بغلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا وأسرا (واما الساعة) أي ما لهم يوم القيامة من الخزي والنكال (فسيعلمون) حينئذ (من هو شر مكانا) أي منزلا من الفريقين (وأضعف جندا) أي أقل ناصرا أهم أم المؤمنون وهذا رد لما كانوا يزعمون أن لهم أنصارا من الاخيار ويفتخرون بذلك في المحافل (ويزيد الله الذين اهتدوا) بالايمان (هدى) أي بالاخلاص وبالعبادات المتفرعة على الايمان وبالثواب على ذلك الايمان (والباقيات الصالحات) أي الطاعات التي تبقى فوائدها (خير عند ربك ثوابا) أي فائدة مما يتمتع به الكفرة من النعم الفانية التي يفتخرون بها (وخير مردا) أي عاقبة

وما بين الله فيه (قال الذين كفروا) يعني مشركي قريش (للذين آمنوا أي الفريقين) أي منا ومنكم (خير مقاما) أي منزلا ومسكنا (وأحسن نديا) أي مجلسا وذلك أنهم كانوا أصحاب مال وزينة من الدنيا وكان المؤمنون أصحاب فقر ورثاثة فقالوا لهم نحن أعظم شأنا وأعز مجلسا وأكرم منزلا أم أنتم فقال الله تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا) أي متاعا ومنظرا من هؤلاء الكفار فلم يغن عنهم شيأ (قل من كان في الضلالة) أي الشرك والجهالة (فليمدد له الرحمن مدا) فان الله يمد له فيها ويمهله في كفره وهذا أمر معناه الخبر (حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب) في الدنيا (واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا) أهم أم المؤمنون وذلك أنهم ان قتلوا ونصر المؤمنون عليهم علموا أنهم أضعف جندا وان ماتوا فدخلوا النار علموا انهم شر مكانا (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) أي يزيدهم في يقينهم ورشدهم (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا) أي مما يملك الكفار من المال (وخير مردا) أي في المرد وهو الآخرة

اورأيت

(أفرأيت الذي كفر بآياتنا) يعني العاص بن وائل (وقال لأوتين مالا وولدا) وذلك أن خبابا اقتضى دينا له عليه فقال ألستم تزعمون أن في الجنة ذهبا وفضة ولئن كان ما تقول حقا فإني لأفضل فيها نصيبا منك فأخرني حتى أقضيك في الجنة استهزاء فذلك قوله لأوتين أي لأعطين مالا وولدا يعني في الجنة فقال الله تعالى (أطلع الغيب) أي أعلم علم الغيب حتى عرف أنه في الجنة (أم اتخذ

(أفرأيت الذي كفر بآياتنا) الناطقة بالبعث وهو العاص بن وائل السهمي (وقال) لخباب بن الارت (لأوتين) في الآخرة (مالا وولدا) نزلت هذه الآية في شأن العاص بن وائل عن خباب قال كان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضيه فقال لي لن أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث قال واني لمبعوث من بعد الموت قلت نعم قال اني اذا بعثت وجئتني فسيكون لي ثم مال وولد فأعطيك وقرأ حمزة والكسائي وولدا بضم الواو وسكون اللام وقيل صاغ خباب للعاص حليا فطلب الاجرة فقال انكم تزعمون أنكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فأنا أقضيك ثم فاني أوتى مالا وولدا حينئذ فأجاب الله تعالى عن كلامه بقوله تعالى (أطلع الغيب) أي أعلم الغيب وأن يعطى ما قاله أو أقد بلغ من عظمة الشأن الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي انفرد الله به حتى ادعى أن يؤتى في الآخرة مالا وولدا وأقسم عليه (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) بأن يؤتى ما قاله وقيل المعنى أنظر في اللوح المحفوظ ان له ما يقول أم اعتقد وحدة الله بكلمة الشهادة فيكون له ما يقول وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول (كلا) ردع له عن التفوه بتلك الكلمة الشنيعة وتنبيه على خطئه أي لا يكون له ما يقول (سنكتب ما يقول) أي سنظهر له أنا كتبنا قوله ونؤاخذه به (ونمد له من العذاب مدا) أي نطول له من العذاب ما يستحقه ونضاعفه له لكفره وافترائه على الله تعالى واستهزائه بآياته (ونرثه ما يقول) أي ننزع ما آتيناه بموته ونحرمه ما تمناه في الآخرة من مال وولد ونجعله لغيره من المسلمين (ويأتينا) يوم القيامة (فردا) لا يصحبه مال ولا اولاد ولا عشيرة ولا خير (واتخذوا من دون الله آلهة) أي اتخذ كفار قريش الاصنام آلهة متجاوزين الله تعالى (ليكونوا لهم عزا) أي ليكون الاصنام مانعين لهم من عذاب الله (كلا) أي لا مانع من عذابهم فلا يعتقدوا أن الاصنام شفعاء لهم عنده تعالى (سيكفرون بعبادتهم) أي سيجحد الاصنام بعبادتهم لها بأن ينطقها الله تعالى وتقول ما عبدتمونا (ويكونون عليهم) أي تكون الاوثان التي كانوا يرجون أن تكون لهم منعة من العذاب (ضدا) أي أعداء وأعوانا بالعذاب فانهم وقود النار ولأنهم عذبوا بسبب عبادتها (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا) أي ألم تنظر يا أشرف الرسل أنا سلطنا الشياطين على الكافرين تهيجهم على المعاصي تهييجا شديدا بأنواع الوساوس (فلا تعجل عليهم) بطلب اهلاكهم حتى تستريح أنت والمؤمنون من شرورهم (انما نعد لهم عدا) فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا أيام محصورة وأنفاس معدودة فنضبط عليهم ما يقع منهم حتى نؤاخذهم به ولا نهمله (يوم نحشر المتقين) بايمانهم (الى الرحمن) أي الى محل كرامة ربهم الذي يغمرهم برحمته الواسعة (وفدا) أي وافدين على ربهم منتظرين لكرامتهم وانعامهم فبعضهم كانوا ركبانا على نجائب سروجها من ياقوت وعلى نوق رحالها من ذهب وأزمتها من زبرجد من أول خروجهم من القبور أو من منصرفهم من الموقف حتى يقرعون باب الجنة (ونسوق المجرمين) بكفرهم ومعاصيهم (الى جهنم وردا) أي عطاشا باهانة كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء (لا يملكون

عند الرحمن عهدا) يريد أم قال لا اله الا الله حتى يستحق دخول الجنة (كلا) أي ليس الأمر على ما يقول (سنكتب ما يقول) أي سنحفظ عليه ما يقوله من الكفر والاستهزاء لنجازيه (ونمد له من العذاب مدا) أي نزيده عذابا فوق العذاب (ونرثه ما يقول) أي من أن في الجنة ذهبا وفضة فنجعله لغيره من المسلمين (ويأتينا فردا) أي خاليا من ماله وولده ووالده وخدمه (واتخذوا من دون الله) يعني أهل مكة (آلهة) وهي الأصنام (ليكونوا لهم عزا) أعوانا ليمنعوهم مني (كلا) ليس الأمر على ما ظنوا (سيكفرون بعبادتهم) أي يجحدونها لانهم كانوا جمادا لم يعرفوا انهم يعبدون (ويكونون عليهم ضدا) أي أعوانا وذلك ان الله تعالى يحشر آلهتهم فينطقهم ويركب فيهم العقول فتقول يارب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك (ألم تر) يا محمد (أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أي سلطناهم عليهم بالاغراء (تؤزهم أزا) أي تزعجهم من الطاعة الى المعصية (فلا تعجل عليهم) أي بالعذاب (انما نعد لهم) أي الايام والليالي والانفاس (عدا) الى انتهاء أجل العذاب (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) أي ركبانا مكرمين (ونسوق المجرمين الى جهنم وردا) أي عطاشا (لا يملكون

الشفاعة الامن اتخذ عند الرحمن عهدا) أي لا يستحق هؤلاء المجرمون أن يشفع لهم غيرهم الامن اتخذ كلمة الشهادة بالتوحيد والنبوة ولو كانوا أهل الكبائر وروى ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى أعهد اليك بأنى أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك فانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتبعدنى من الخير وانى لا أثق الا برحمتك فاجعل لى عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع الله عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة (وقالوا) أى الكافرون (اتخذ الرحمن ولدا) عزيزا والمسيح والملائكة (لقد جئتم شيأ أدًّا) أى لقد قلتم قولا منكرا عظيما (تكاد السموات يتفطرن) اى يتشققن (منه) اى من قولهم (وتنشق الارض) اى تنخسف بهم (وتخر الجبال هدا) اى تسقط الجبال منطبقة عليهم (أن دعوا للرحمن ولدا) اى من نسبهم ولدا للرحمن وهذا بدل من الهاء فى منه قال ابن عباس فزعت السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وغضبت الملائكة حين قالوا لله ولد أى استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لأثرها فى الدين (وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا) لان الولد لابد وان يكون شبيها بالوالد ولا مشبه لله تعالى ولأن اتخاذ الولد انما يكون لاجل سرور الوالد به واستعانته به وذكر جيل به وكل ذلك لا يليق به تعالى محال عليه وهذه الجملة حال من فاعل قالوا أودعوا (ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا) أى مامن أحد فيهما الا مملوك له مقر له بالعبودية مطيع له غير الكافر (لقد أحصاهم) فلا يكاد يخرج منهم أحد من حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته (وعدهم عدا) أى عد أشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم وكل شئ عنده بمقدار (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) أى كل واحد منهم يجيء الى الله وحيدا بلا مال ولا اتباع (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أى سيحدث لهم فى القلوب محبة من غير تعرض للاسباب من قرابة أوصداقة أواصطناع معروف أوغير ذلك تخصيصا لاوليائه بهذه الكرامة كماقذف فى قلوب أعدائهم الرعب اعظاما لهم أى ان الله تعالى وعدهم أن يؤلف بين قلوبهم فى الدنيا اذا ظهر الاسلام وان يحببهم الى خلقه يوم القيامة بما يظهر من حسناتهم وينشر من ديوان أعمالهم على رؤس الاشهاد (فانما يسرناه) أى القرآن (بلسانك) أى أنزلناه ميسرا بلغتك (لتبشر به المتقين) بامتثال مافيه من الامر والنهى (وتنذر به قوما لدا) أى الذين يجادلون فيه بالباطل وهم كفار مكة (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) أى قرنا كثيرا أهلكنا قبل هؤلاء المعاندين (هل تحس منهم من أحد أوتسمع لهم ركزا) أى هلكوا جميعا فلم يبق منهم عين ولا أثر فلا يرى منهم أحد ولا يسمع منهم صوت خفى أى فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء وختم الله تعالى هذه السورة بموعظة بليغة لانهم اذا تأملوا وعلموا انه لابد من زوال الدنيا ومن الانتهاء الى الموت خافوا ذلك وخافوا سوء العاقبة فى الاخرة فكانوا أقرب الى الحذر من المعاصى

بنات الله (لقد جئتم شيأ ادا) أى عظيما فظيعا (تكاد السموات يتفطرن منه) أى تقرب من أن يتفطرن أى يتشققن منه من هذا (وتخر الجبال هدا) أى سقوطا (أن دعوا) لان دعوا (للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا) لانه لا يليق به الولد ولا مجانسة بينه وبين أحد (ان كل) أى ما كل (من فى السموات والارض الا) وهو يأتى الله يوم القيامة مقرا له بالعبودية (لقد أحصاهم وعدهم عدا) أى علمهم كلهم فلا يخفى عليه أحد ولا يفوت (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) أى من ماله وولده ليس معه أحد (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أى محبة فى قلوب المؤمنين قيل نزلت فى على بن أبى طالب وقيل نزلت فى عبد الرحمن ابن عوف (فانما يسرناه) أى سهلناه يعنى القرآن (بلسانك) أى بلغتك (لتبشر به المتقين) أى الذين صدقوك وتركوا الشرك (وتنذر به قوما لدا) أى شديدى الخصومة (وكم أهلكنا قبلهم) أى من قبل قومك (من قرن) أى جماعة (هل تحس) أى تجد (منهم من أحد أوتسمع لهم ركزا) أى صوتا

﴿سوره

﴿سورة طه مكية آياتها مائة وخمس وثلاثون وكلماتها ألف وثلاثمائة واحدى وأربعون وحروفها خمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) أي لتتعب بالمبالغة في محاورة الطغاة وفرط التأسف على كفرهم أو لتهلك نفسك بالعبادة وبكثرة الرياضة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة (الا تذكرة لمن يخشى) أي ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب في تبليغه ولكن تذكرة لمن يسلم (تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى) منصوب على المدح والاختصاص أو منصوب بيخشى مفعولا به أي أمدح تكليما من الله أو أنزل الله القرآن تذكرة لمن يخشى تكليم الله تعالى (الرحمن على العرش استوى) أي الرحمن أوجد الكائنات ودبر أمرها فالاستواء على العرش مجاز عن الملك والسلطان متفرع على الكناية فيمن يجوز عليه القعود على السرير يقال استوى فلان على سرير الملك ويراد بهذا القول صار فلان ملكا وان لم يقعد على السرير أصلا والمراد هنا بيان تعلق ارادته تعالى بايجاد الكائنات وتدبير أمرها (له ما في السموات وما في الارض) سواء كان ما فيهما جزأ منهما أو حالا فيهما (وما بينهما) من الموجودات الكائنة في الجو دائما كالهواء والسحاب أو أكثريا كالطير (وما تحت الثرى) أي والذي تحت الارض السابعة السفلى لان الارضين على ظهر الحوت والحوت على الماء والماء على صخرة خضراء فخضرة السماء منها والصخرة على قرني ثور والثور على الثرى وهو التراب الندى ولا يعلم ما تحته الا الله أي انه تعالى مالك لهذه الاقسام الاربعة تصرفا ايجادا واعداما واحياء وامانة (وان تجهر بالقول) أي وان تجهر بذكره تعالى ودعائه فاعلم انه تعالى غني عن جهرك (فانه يعلم السر وأخفى) أي لانه يعلم ما أسررته الى غيرك في خفاء وما أخطرته ببالك من غير ان تتفوه به أصلا وهذا اما نهي عن الجهر واما ارشاد للعباد الى ان الجهر ليس لاسماعه تعالى بل لغرض آخر لحضور القلب ودفع الشواغل والوسوسة (الله) أي ذلك الموصوف بصفات الكمال هو الله لا اله الا هو (لا اله الا هو) قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق ملكا من الملائكة قبل ان يخلق السموات والارض وهو يقول اشهد ان لا اله الا الله مادا بها صوته ولا يقطعها ولا يتنفس فيها ولا يتمها فاذا أتمها أمر اسرافيل بالنفخ في الصور وقامت القيامة تعظيما لله عز وجل اه وينبغي لاهل لا اله الا الله أن يحصلوا أربعة أشياء حتى يكونوا من أهل لا اله الا الله التصديق والتعظيم والحلاوة والحرية فمن ليس له التصديق فهو منافق ومن ليس له التعظيم فهو مبتدع ومن ليس له الحلاوة فهو مراء ومن ليس له الحرية فهو فاجر (له الاسماء الحسنى) لحسن الاسماء لحسن معانيها (وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا) أي أليس قد أتاك خبر موسى حين رأى نارا روى ان موسى عليه السلام استأذن شعيبا في الرجوع الى والدته فأذن له فخرج بأهله وأخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافى وادطوى وهو بالجانب الغربي من الطور ولد له ابن في الطريق في ليلة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد حاد عن الطريق فقدح عليه السلام النار فلم تنور المقدحة شيأ فبينما هو في مزاولة ذلك اذ رأى نارا من بعيد على يسار الطريق من جانب الطور (فقال لاهله امكثوا) في مكانكم أي لا تتبعوني في الذهاب الى النار (اني آنست نارا) أي أبصرتها ابصارا بينا (لعلي آتيكم منها بقبس) أي لعلي أجيئكم من النار بشعلة مقتبسة من معظم النار (أو أجد على النار هدى) أي عند النار من يدلني على الطريق (فلما أتاها نودي) أي فلما أتى النار رأى شجرة خضراء من أسفلها الى أعلاها كأنها نار بيضاء فوقف متعجبا من شدة ضوء تلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة فلا النار تغير خضرتها

(بسم الله الرحمن الرحيم) (طه) أي يارجل (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) أي لتتعب بكثرة الجهد وذلك أنه كان يصلي الليل كله بمكة حتى ورمت قدماه وقال له الكفار انك لتشقى بترك ديننا فأنزل الله هذه الآية (الا تذكرة) أي ما أنزلناه الا تذكرة أي موعظة (لمن يخشى) أي يخاف الله عز وجل (تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى) جمع العليا (الرحمن على العرش) مع أنه أعظم المخلوقات (استوى) أي استولى وقوله (وما تحت الثرى) يعني ما تحت الارض والثرى التراب الندى (وان تجهر بالقول فانه يعلم السر) وهو ما أسررت في نفسك (وأخفى) وهو ما ستحدث به نفسك مما لم يكن بعد والمعنى أنه يعلم هذا فكيف ما جهر به (وهل أتاك) يا محمد (حديث موسى) أي خبره وقصته (اذ رأى نارا) يعني في طريقه الى مصر ليلة أخذ امرأته الطلق (فقال لاهله) أي لامرأته (امكثوا) أي أقيموا مكانكم (اني آنست نارا) أي أبصرت نارا (لعلي آتيكم منها بقبس) أي بشعلة نار (أو أجد على النار هدى) أي من يهديني ويدلني على الطريق

ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوء النار فسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما ثم رمى موسى بنظره الى فرعها فاذا خضرته ساطعة فى السماء واذا نور بين السماء والارض له شعاع تكل عنه الابصار فلما رأى موسى ذلك وضع يده على عينيه فنودى (ياموسى انى أنا ربك) أى فلما نودى ياموسى أجاب سريعا فقال لبيك من المتكلم انى أسمع صوتك ولا أراك فأين أنت فقال تعالى أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب اليك منك فعلم أن ذلك لا ينبغى ولا يكون الا من الله فأيقن به وسمع الكلام بكل أجزائه حتى ان كل جارحة منه كانت أذنا وسمعه من جميع الجهات (فاخلع نعليك) أمر عليه الصلاة والسلام بالخلع لان الحفوة تواضع لله وحسن أدب معه تعالى (انك بالواد المقدس) أى المبارك (طوى) اسم الوادى أواسم بئر قد طويت بالحجر فى ذلك الوادى الذى كانت فيه الشجرة قال أهل الاشارة والمراد بخلع النعلين ترك الالتفات الى الدنيا والآخرة كأنه تعالى أمره عليه السلام بأن يصير مستغرق القلب بالكلية فى معرفة الله تعالى ولا يلتفت بخاطره الى ماسواه تعالى والمراد من الوادى المقدس طهارة عزة الله تعالى وجلاله والمعنى أنك لما وصلت الى بحر المعرفة فلا تلتفت الى المخلوقات اهـ ويقال معنى طوى قد طوته الانبياء قبلك قال ابن عباس انه عليه السلام مر بذلك الوادى ليلا فطواه فكان المعنى انك بالوادى المقدس الذى طويته طيا أى جاوزته حتى ارتفعت الى أعلاه وعلى هذا ان طوى مصدر خرج عن لفظه (وأنا اخترتك) للرسالة والكلام الذى خصصتك به وقرأ حمزة وانا اخترناك بنون العظمة وبتشديد النون من انا وبفتح الهمزة والكسر وقرأ أبى ابن كعب وانى اخترتك (فاستمع لما يوحى) أى فاستمع للذى يوحى اليك منى وقوله تعالى وأنا اخترتك يفيد نهاية اللطف والرحمة وقوله تعالى فاستمع يفيد نهاية الهيبة فكأنه تعالى قال لقد جاءك أمر عظيم هائل فتأهب له واجعل كل خاطرك مصروفا اليه فأرسله الله تعالى فى ذلك الوقت فى ذلك المكان وكان عمره حينئذ أربعين سنة (اننى أنا الله) بدل مما يوحى (لا اله الا أنا) وهذا اشارة للعقائد العقلية (فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى) أى لتذكرنى فى الصلاة لاشتمالها على كلامى أولذكرى اياك بالمدح والثناء أولاخلاص ذكرى لا تقصد بالصلاة غرضا آخر وهذا اشارة للاعمال الفرعية (ان الساعة آتية) أى كائنة لابد (أكاد أخفيها) أى أكاد أظهرها اى قرب اظهارها ويؤيده قراءة فتح الهمزة والمعنى أكاد أزيل عنها اخفاءها لان أفعل قد يأتى بمعنى السلب كقولك أشكلت الكتاب أى أزلت اشكاله وهذا اشارة الى العقائد السمعية وهذه الثلاثة جلة الدين فان أصول هذا الباب ترجع الى ثلاثة علم المبدأ وعلم الوسط وعلم المعاد فعلم المبدأ هو معرفة الله تعالى وهو المراد بقوله تعالى اننى أنا الله لا اله الا أنا وعلم الوسط هو علم العبودية فقوله تعالى فاعبدنى اشارة الى الاعمال الجسمانية وقوله لذكرى بمعنى لتكون ذاكرا لى غير ناس اشارة الى الاعمال الروحانية فالعبودية أولها الاعمال الجسمانية وآخرها الاعمال الروحانية وعلم المعاد هو قوله تعالى ان الساعة آتية أكاد أخفيها (لتجزى كل نفس) برة أوفاجرة (بما تسعى) أى بما تعمل من خير أوشر وقوله لتجزى متعلق بآتية أو بأخفيها (فلا يصدنك) أى فلا يصرفنك ياموسى (عنها) أى عن ذكر الساعة (من لا يؤمن بها واتبع هواه) أى ميل نفسه الى انكار الساعة فان منكر البعث انما أنكره اتباعا للهوى لا للدليل (فتردى) أى فتهلك بالنار فالله تعالى راعى هذا الترتيب الحسن فى هذا الباب لانه قال لموسى أولا فاخلع نعليك وهو اشارة الى الامر بتطهير السر عما سوى الله تعالى ثم أمره بتحصيل ما يجب تحصيله من التكاليف وافتتحها بمحض اللطف وهو قوله تعالى انى أنا الله واختتمها بمحض القهر وهو قوله تعالى فلا يصدنك عنها الآية تنبيها على أن رحمته سبقت غضبه واشارة الى أن

ياموسى انى أنا ربك فاخلع نعليك) وكانتا من جلد حمار ميت مدبوغ فلذلك أمره بخلعهما (انك بالواد المقدس) أى المطهر (طوى) اسم ذلك الوادى (وأنا اخترتك) أى اصطفيتك للنبوة (فاستمع لما يوحى) أى اليك منى (وأقم الصلاة لذكرى) أى لتذكرنى فيها (ان الساعة) أى القيامة (آتية أكاد أخفيها) أى أسترها للتهويل والتعظيم وأكاد صلة (لتجزى) أى فى ذلك اليوم (كل نفس بما تسعى) أى تعمل (فلا يصدنك) أى يمنعك (عنها) أى عن الايمان بالساعة (من لا يؤمن بها واتبع هواه) أى مراده (فتردى) أى فتهلك

العبد لابد له فى العبودية من الرغبة والرهبة والرجاء والخوف (وما تلك بيمينك) أى وما تلك مأخوذة بيمينك (ياموسى) فقوله وما تلك اشارة الى العصا وقوله بيمينك اشارة الى اليد أراد الله تعالى بالسؤال أن يثبت قلب موسى و يزداد علمه حتى اذا قلب الله تعالى العصا ثعبانا لايخافه ولايعتريه شك وكذا اذا أخرج الله من يد موسى شعاعا فيعرف أن ذلك بقدرة الله تعالى والنكتة فى ذلك السؤال أنه لما غلبت الدهشة على موسى فى الحضرة أراد رب العزة ازالتها فسأله عن أمر لايغلط فيه وهى العصا كذلك المؤمن اذا مات ووصل الى حضرة ذى الجلال فالدهشة تغلبه والحياء يمنعه عن الكلام فتسأله الملائكة عن الامر الذى لم يقع الغلط فيه فى الدنيا وهو التوحيد فاذا ذكره زالت الدهشة والوحشة عنه (قال هى) أى التى قارة بيمينى (عصاى أتوكأ عليها) أى أعتمد عليها عند النهوض الى القيام أو عند الاعياء أو عند المشى (وأهش بها على غنمى) أى أخبط بها ورق الشجر لغنمى وقرأ عكرمة واهس بالسين غير المنقوطة وهو زجر الغنم وتعديته بعلى لتضمن معنى الانحاء والاقبال أى أزجر الغنم بها منحيا ومقبلا عليها (ولى فيها) أى العصا (مآرب أخرى) أى حاجات شتى وأجمل موسى عليه السلام رجاء أن يسأله ربه عن تلك المآرب فيسمع كلام الله مرة أخرى و يطول أمر المكالمة بسبب ذلك ثم أراد الله أن يعرفه عليه السلام ان فيها أعظم من مآربه التى هى حمل الزاد والقوس وعرض الزند والقاء الكساء للاستظلال وطرد السباع وغير ذلك فأمر الله بالقائها (قال ألقها) من يدك (ياموسى فالقاها) من يده على الارض (فاذا هى حية تسعى) قيل كانت العصا أول انقلابها حية صفراء صغيرة فى غلظ العصا ثم انتفخت وتزايد جرمها حتى صارت ثعبانا فأول حالها جان وما آلها ثعبان وقيل انها كانت من أول الامر فى شخص الثعبان وسرعة حركة الجان وكان لها عرف كعرف الفرس وكان بين فكيها أربعون ذراعا وابتلعت كل ما مرت به من الصخور والاشجار حتى سمع موسى صرير الحجر فى فيها وجوفها وعيناها تتقدان كالنار وهى تشتد رافعة رأسها فلما عاين موسى ذلك ولى هاربا منها (قال) تعالى له (خذها) ياموسى بيمينك (ولاتخف) منها (سنعيدها سيرتها الاولى) أى سنعيدها بعد الاخذ الى حالتها الاولى التى هى الهيئة العصوية فلما قال له ربه لاتخف ذهب خوفه حتى أدخل يده فى فيها وأخذ بلحييها فعادت عصا كما كانت (واضمم يدك الى جناحك) أى ادخل كفك اليمنى فى ابطك الايسر وأخرجها (تخرج بيضاء) أى متبرقة مثل البرق أو مشرقة تضىء كشعاع الشمس تغطى البصر عن الادراك ثم اذا ردها الى كفه صارت الى لونها الاول بلا نور (من غير سوء) أى من غير برص (آية أخرى) أى معجزة أخرى غير العصا فقوله تعالى بيضاء حال من الضمير فى تخرج ومن غير سوء متعلق ببيضاء لما فيها من معنى الفعل وهو ابيضت وآية أخرى حال من ضمير تخرج (لنريك من آياتنا الكبرى) فى الاعجاز وهى اليد فانها أكبر آيات موسى لانها لم تعارض أصلا وأما العصا فقد عارضها السحرة فقوله لنريك متعلق بقوله تعالى واضمم أو بقوله تخرج وقوله من آياتنا حال من الكبرى فالكبرى مفعول ثان لنريك والتقدير لنريك الآية الكبرى حال كونها بعض آياتنا الدالة على قدرتنا (اذهب الى فرعون) بما رأيته من الآيتين العظيمتين وادعه الى عبادتى وحذره نقمتى (انه طغى) أى جاوز الحد فى الكبر حتى تجاسر على دعوى الربوبية (قال) مستعينا بالله تعالى (رب اشرح لى صدرى) أى لين لى قلبى لاجترىء على مخاطبة فرعون وكان موسى يخاف فرعون لشدة شوكته وكثرة جنوده فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه ليكون حمولا لما يستقبل من الشدائد والمكاره بجميل الصبر وحسن الثبات (ويسر لى أمرى) أى هون على تبليغ الرسالة الى

(وما تلك) أى وما التى (بيمينك) أى فى يدك اليمنى (قال هى عصاى أتوكأ) أى أتحامل عليها عند المشى والاعياء (وأهش) أى أخبط الورق على الشجر (بها على غنمى ولى فيها مآرب) حاجات (أخرى) أى سوى التوكؤ والهش وقوله (سنعيدها سيرتها الاولى) أى نردها عصا كما كانت (واضمم يدك الى جناحك) وجناح الانسان عضده الى أصل الابط يريد ادخلها تحت جناحك (تخرج بيضاء من غير سوء) برص أو داء (آية أخرى) لك سوى العصا (لنريك من آياتنا الكبرى) الآية وكانت هذه أكبر آياته (اذهب الى فرعون انه طغى) أى كفر بنعمى وتكبر عن عبادتى فعند ذلك (قال) موسى (رب اشرح) أى وسع ولين (لى صدرى) يعنى قلبى بالايمان والنبوة (ويسر لى أمرى) أى وسهل على ما أمرتنى به من تبليغ الرسالة

فرعون (واحلل عقدة من لساني) متعلق باحلل روى أنه عليه السلام كان في لسانه رتة لانه حال صباه أخذ لحية فرعون وتنفها لما كان فيهامن الجوهر فغضب فرعون وأمر بقتله وقال هذا هو الذي يزول ملكي على يده وقالت آسية انه صبي لا يعقل وعلامته أن تقرب منه التمرة والجمرة فقربا اليه فأخذ الجمرة فجعلها في فيه (يفقهوا) أي يفهموا (قولي) عند تبليغ الرسالة (واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي) فوزيرا مفعول ثان لانه نكرة وهرون مفعول أول لانه معرفة وقدم الثاني اعتناء بشأن الوزارة وأخي عطف بيان ولي متعلق بمحذوف على انه حال من وزيرا ومن أهلي متعلق باجعل والمعنى واجعل من أهلي هرون أخي متحملا على الاعباء لي ومعينا على أمري بحوى أمري وأثق برأيه (أشدد به أزري) أي قو به ظهري وأعني به (وأشركه في أمري) أي اجعله شريكي في أمر الرسالة حتى نتعاون على أدائها كما ينبغي وقرأ العامة على صيغة الطلب وهي ضم الهمزة من أشدد وهي همزة وصل وفتح الهمزة من أشركه وهي همزة قطع وقرأ ابن عامر وحده على صيغة الجواب وهو فتح همزة أشدد وضم همزة أشركه وكلاهما همزة قطع للتكلم فيهما ويجوز لمن قرأ على لفظ الامر أن يجعل أخي مرفوعا على الابتداء وأشدد به خبره ويوقف على هرون (كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا) أي كي ننزهك عما لا يليق بك من الصفات والافعال التي من جملتها ما يدعيه فرعون الطاغية ويقبله منه جماعته الباغية من ادعاء الشركة في الالوهية ونصفك بما يليق بك من صفات الكمال والجمال والجلال زمانا كثيرا من جملته زمان دعوة فرعون وأوان المحاجة معه وهذا اشارة الى ان للجليس الصالح والصديق الصديق أثرا عظيما في المعاونة على كثرة الطاعات والمرافقة في اقتحام عقبات السلوك وقطع مفاوزه (انك كنت بنا بصيرا) أي عالما بأن ما دعوتك به مما يفيدنا في تحقيق ما كلفته من اقامة مراسم الرسالة وبأن هرون نعم الردء في أداء ما أمرت به (قال) الله تعالى (قد أوتيت سؤلك ياموسى) أي قد أردت اعطاء مسؤلك البتة (ولقد مننا عليك مرة أخرى) أي في وقت غير هذا الوقت من غير سابقة دعاء منك وطلب فلأ ن أنعم عليك بمثل تلك النعم التامة وأنت طالب له أولى (اذ أوحينا الى أمك ما يوحى) أي ألهمنا أمك الذي يلهم أو أريناها في منامها الذي يرى لما ولدتك وخافت أن يقتلك فرعون (أن اقذفيه في التابوت) أي بأن تضعي الصبي في الصندوق (فاقذفيه) أي فألقي الصبي (في اليم) أي في بحر النيل (فليلقه اليم بالساحل) أي فيلقي بحر النيل هذا الصبي على الشط والامر بمعنى الخبر وحكمة صورة الامر لوجوب وقوع ذلك لتعلق الارادة الربانية به * روى أن أم موسى اتخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا محلوجا ووضعت فيه موسى عليه السلام وقيرت رأس التابوت وشقوقه بالقار ثم ألقته في نيل مصر وكان يشرع منه نهر كبير الى دار فرعون فرفعه الماء اليه فأتى به الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا على رأس البركة مع امرأته آسية بنت مزاحم اذ بتابوت يجيء به الماء فلما رآه فرعون أمر الغلمان والجواري باخراج ما فيه ففتحوا رأس التابوت فاذا صبي من أصبح الناس وجها فلما رآه فرعون أحبه حبا شديدا لا يتمالك أن يصبر عنه (يأخذه عدو لي وعدو له) وهو فرعون فالاول باعتبار الواقع لكفره وعتوه والثاني باعتبار ما يؤول اليه وما ظهر لفرعون حال موسى لقتله وفي هذا الامر بقذفه في البحر وفي وقوعه في يد العدو لطف خفي مندرج تحت قهر صوري (وألقيت عليك محبة مني) أي وألقيت عليك محبة عظيمة حاصلة مني واقعة بخلقي فلذلك أحبتك امرأة فرعون حتى قالت لفرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه ويروى أنه عليه

(قولي) أي كي يفهموا كلامي (واجعل لي وزيرا) أي معينا (من أهلي) وهو (هرون أخي اشدد به أزري) أي قو به ظهري (وأشركه في أمري) أي اجعل ما أمرتني به من النبوة بيني وبينه (كي نسبحك) أي نصلي لك (كثيرا ونذكرك كثيرا) أي باللسان على كل حال (انك كنت بنا بصيرا) أي عالما فاستجاب الله تعالى له و (قال قد أوتيت سؤلك ياموسى) أي أعطيت مرادك ثم ذكر منته السالفة بقوله (ولقد مننا عليك مرة أخرى) أي قبل هذه وهي (اذ أوحينا الى أمك ما يوحى) أي ألهمناها ما يلهم الانسان من الصواب وهو الهام الله اياها (ان اقذفيه) أي اجعليه (في التابوت فاقذفيه) أي فاطرحيه (في اليم) بمعنى نهر النيل (فليلقه اليم بالساحل) أي فيرده الماء الى الشط (يأخذه عدو لي وعدو له) وهو فرعون (وألقيت عليك محبة مني) حتى لم يقتلك عدوك الذي أخذك من الماء وهو انه حببه الى الخلق كلهم فلا يراه مؤمن ولا كافر الا أحبه

(ولتصنع) أى لتربى وتغذى (على عينى) أى على حفظى ومرادى يعنى اذ رده الى أمه حتى غذته وهو قوله (اذ تمشى أختك) أى متعرفة خبرك وما يكون من أمرك بعد الطرح فى الماء (فتقول هل أدلكم على من يكفله) أى يرضعه ويضمه اليه وذلك حين أبى موسى أن يقبل ثدى امرأة فلما قالت لهم ذلك قالوا نعم فجاءت بالام فدفع اليها فذلك قوله تعالى (فرجعناك) فرددناك (الى أمك كى تقر عينها) بلقائك وبقائك. (ولا تحزن) أى على فقدك (وقتلت نفسا) يعنى القبطى الذى قتله (فنجيناك من الغم) أى من غم ان تقتل به (وفتناك فتونا) أى اختبرناك اختبارا يعنى اختبره باشياء قبل النبوة (فلبثت) أى مكثت (سنين فى أهل مدين) أى عشر سنين فى منزل شعيب (ثم جئت على قدر) أى على رأس أربعين سنة وهو القدر الذى يوحى فيه الى الأنبياء (واصطنعتك لنفسى) أى اخترتك بالرسالة لكى تحبنى وتقوم بأمرى (اذهب أنت وأخوك بآياتى) يعنى ما أعطاهما من المعجزة (ولا تنيا) أى لا تفترا (اذهبا الى فرعون انه طغى) علا وتكبر (فقولا له قولا لينا) كنياه وعداه على الايمان نعيما وعمرا طويلا فى صحة ومصيرا الى الجنة (لعله يتذكر) يتعظ (أو يخشى) ومعنى لعل ههنا تعود الى حال موسى

السلام كانت على وجهه مسحة جمال وفى عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه (ولتصنع على عينى) معطوف على علة مقدرة متعلقة بألقيت والتقدير وألقيت عليك المحبة ليعطف عليك ولتربى بالشفقة بحفظى وقرأ العامة لتصنع بالبناء للمجهول باضمار ان بعد لام كى وقرئ بكسر اللام وسكونها وبالجزم بلام الامر وقرأ الحسن وأبو نهيك بفتح التاء بالبناء للفاعل أى ليكون تصرفك على رعاية منى (اذ تمشى أختك) مريم وكانت شقيقته وهى غير أم عيسى وهذا الظرف متعلق بألقيت أى ألقيت عليك محبة منى فى وقت مشى أختك أو بتصنع أى لتربى ويحسن اليك فى هذا الوقت (فتقول) لفرعون وآسية (هل أدلكم على من يكفله) أى يربيه ويرضعه ويروى انه لما فشا الخبر بمصر أن آل فرعون أخذوا غلاما فى النيل وكان لا يرتضع من ثدى كل امرأة يؤتى بها واضطروا الى تتبع النساء فخرجت أخته مريم لتعرف خبره فدخلت قصر فرعون فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم ثم جاءت بالام فقبل ثديها فرجع الى أمه بما لطف الله تعالى له من هذا التدبير فذلك قوله تعالى (فرجعناك الى أمك) معطوف على محذوف أى فقالوا دلينا على من تكفله فجاءت بأمك فرددناك الى أمك (كى تقر عينها) فتطيب نفسها بلقائك ورؤيتك (ولا تحزن) أى ليزول عنها الحزن بسبب عدم وصول لبن غيرها الى باطنك أو كى لا تحزن أنت بفراقها وكانت أمه قد أرضعته ثلاثة أشهر أو أربعة قبل القائه فى اليم (وقتلت نفسا) قبطيا طباخا لفرعون اسمه قاب قان وكان عمره اذ ذاك ثلاثين سنة (فنجيناك من الغم) أى من غم اقتصاص فرعون منه بالانجاء منه بالمهاجرة الى مدين ومن غم عقاب الله تعالى حيث قتله لا بأمر الله بالمغفرة وكان قتله للكافر خطأ (وفتناك فتونا) أى أوقعناك فى محنة بعد محنة وخلصناك منها فانه ولد فى عام يقتل فيه الولدان وألقته أمه فى البحر والتقطه آل فرعون وامتنع من ارتضاع الاجانب وهم فرعون بقتله ووضع الجمرة فى فيه وقتل قبطيا ثم هرب الى مدين (فلبثت سنين) أى مكثت عشر سنين (فى أهل مدين) وهى بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر (ثم جئت على قدر ياموسى) أى ثم جئت الى المكان الذى أوانس فيه النار ووقع فيه النداء كائنا على مقدار معين من الزمان وهو أربعون سنة فنبأتك وأرسلتك حينئذ (واصطنعتك) أى اصطفيتك (لنفسى) بالرسالة وبالكلام (اذهب أنت وأخوك) أى وليذهب أخوك الى فرعون وقومه وبنى اسرائيل (بآياتى) أى مع آياتى التى هى العصا واليد ففى كل منهما آيات شتى فانقلاب العصا حيوانا آية وكونها ثعبانا عظيما آية أخرى وسرعة حركته مع عظيم جرمه آية أخرى ثم انه عليه السلام يدخل يده فى فيه فلا يضره آية أخرى ثم انقلابه عصا آية أخرى وكذلك اليد فان بياضها آية وشعاعها آية أخرى ثم رجوعها الى حالتها الاولى آية أخرى (ولا تنيا فى ذكرى) أى لا تضعفا عن تبليغ رسالتى فان الذكر يطلق على كل عبادة والتبليغ من أعظم العبادات (اذهبا الى فرعون) روى أن الله تعالى أوحى الى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى عليه السلام (انه طغى) أى تكبر بادعائه الربوبية (فقولا له قولا لينا) فان تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة وان فرعون كان قد رباه عليه السلام فأمره أن يخاطبه بالرفق رعاية لتلك الحقوق (لعله يتذكر أو يخشى) أى قولا له قولا لينا على أن تكونا راجيين لان يقبل وعظكما أو يخشى الله فيرجع

(قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا) أى يعجل علينا بالقتل والعقوبة (أوان يطغى) أى يتكبر و يستعصى (قال لاتخافا انى معكما) أى بالعون والنصرة (أسمع) مايقول (وأرى) مايفعل وقوله تعالى (فارسل معنا بنى اسرائيل) أى خل عنهم ولا نستسخرهم (ولاتعذبهم) يعنى ولاتتعبهم فى العمل (قد جئناك بآية من ربك) يعنى اليد البيضا (والسلام على من اتبع الهدى) أى سلم من أسلم (انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب) أنبياء الله (وتولى) أى أعرض عن الايمان وقوله (ربنا الذى عطى كل شئ خلقه) أى اتقن كل ماخلق وخلقه على الهيئة التى بهاينتفع والتى هى أصلح لما يراد منه (ثم هدى) أى هداه لمعيشته ثم سأله فرعون عن أعمال الامم الماضية وهو قوله (فما بال القرون الاولى) فأجابه موسى ان أعمالهم محفوظة عندالله يجازون بها وهو قوله (قال علمها عند ربى فى كتاب) وهو اللوح المحفوظ

من الانكار الى الاقرار بالحق فان لم ينتقل من الانكار الى الاقرار لكنه اذا حصل فى قلبه الخوف ترك الانكار وان لم ينتقل الى الاقرار فان ترك الانكار خير من الاصرار على الانكار وفائدة ارسالهما مع علم الله بأن فرعون لايؤمن الزام الحجة من الله وقطع المعذرة عن فرعون واظهار الآيات ويروى عن كعب انه لمكتوب فى التوراة فقولا له قولا لينا وسأقسى قلبه فلا يؤمن (قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا) أى أن يعجل علينا بالعقوبة بأن لايصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة أى انا نخاف فوات القيام لتبليغ الرسالة كما أمرتنا اذا قتلنا وقرئ يفرط بضم الياء وكسر الراء أى نخاف ان يحمله حامل من ادعاء الربوبية أوحبه للرياسة والمملكة أو قومه المتمردين على المعاجلة بالعقاب (أوأن يطغى) أى يزداد تكبرا الى أن يقول فى شأنك مالا ينبغى لجراءته عليك وقساوة قلبه (قال) الله تعالى (لاتخافا) مما عرض فى قلبكما من أذية فرعون لكما ومن ازدياد كفره (اننى معكما أسمع وأرى) أى انى حافظكما سميعا وبصيرا قال القفال يحتمل ان يكون قوله تعالى أسمع وأرى مقابلا لقولهما ان يفرط علينا أى أن يعدو علينا بأن لايسمع منا أوأن يطغى أى يغلب علينا بأن يقتلنا فقال الله تعالى انى معكما أى معينكما وعالم بما يليق من حالكما معه أسمع كلامه معكما فأسخره للاستماع منكما وأرى أفعاله فلا أتركه يفعل بكما ماتكرهانه (فأتياه) أى فلتكونا واصلين الى فرعون (فقولا انا رسولا ربك) اليك (فأرسل معنا بنى اسرائيل) نذهب بهم الى أرضهم وفى ذلك ادخال النقص على ملكه لانه كان محتاجا اليهم فيما يريده من الاعمال من بناء أوغيره (ولاتعذبهم) بالامور الشاقة كالحفر ونقل الاحجار وقتل ذكور أولادهم عاما دون عام واستخدام نسائهم (قد جئناك بآية من ربك) أى باثبات الدعوى ببرهانها فهو بيان من عند الله (والسلام على من اتبع الهدى) أى السلامة فى الدارين من عذاب الله لمن صدق آيات الله الهادية الى الحق وهذا من جملة قول الله تعالى الذى أمرهما أن يقولاه لفرعون أى وقولا له والسلام الخ (انا قد أوحى الينا) من جهة ربنا (أن العذاب) الدنيوى والاخروى (على من كذب) بآياته تعالى (وتولى) أى أعرض عن قبولها (قال) أى فرعون بعد ما أتياه وبلغاه ما أمرا به (فمن ربكما ياموسى) لم يقل فمن ربى مع أن حق الجواب كذلك لغاية عتوه أى اذا كنتما رسولى ربكما فأخبرا من ربكما الذى أرسلكما وتخصيص النداء بموسى بعد مخاطبته لهما معا لانه الاصل فى الرسالة وهرون وزيره (قال) أى موسى مجيبا له (ربنا الذى أعطى كل شئ) من أنواع المخلوقات (خلقه) أى صورته اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع أوأعطى خلقه كل شئ يحتاجون اليه و ينتفعون به وتقديم المفعول الثانى للاعتناء به (ثم هدى) الى طريق الانتفاع من الاكل والشرب والجماع (قال) أى فرعون لموسى (فما بال القرون الأولى) أى ماحال الأمم الماضية وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة أى فلما ذكر موسى عليه السلام برهانا نيرا على هذا المطلوب خاف فرعون أن يزيد موسى فى تصوير تلك الحجة فيظهر للناس صدقه عليه السلام وحقيقة مقالاته ويتبين عندهم بطلان خرافات نفسه فأراد فرعون أن يصرف موسى عليه السلام عن ذلك الكلام الذى يتعلق بالرسالة الى الحكايات فعسى يظهر منه نوع غفلة فيرتقى فرعون الى أن يدعى قدام قومه نوع معرفة فقال ماحال القرون الخالية (قال) موسى (علمها) أى علم حالهم (عند ربى) فلا يعلمها الا الله وانما أنا عبد لاأعلم منها الاما علمنيه (فى كتاب) أى ذلك مكتوب فى اللوح المحفوظ يكون المكتوب فيه يظهر للملائكة فيكون ذلك زيادة لهم فى الاستدلال على انه تعالى عالم بكل المعلومات منزه عن السهو والغفلة أو المعنى ان بقاء المعلومات فى علمه تعالى كبقاء

المكتوب في الكتاب فلا يزول شئ منها عن علمه تعالى (لايضل ربي) أي لايخطئ عن معرفة الاشياء ولايخفى شئ عن علمه (ولاينسى) شيأ علمه (الذي جعل لكم الارض مهدا) أي فراشا وقرأ عاصم وحمزة بفتح الميم وسكون الهاء والباقون بكسر الميم وفتح الهاء مع الالف (وسلك لكم فيها سبلا) أي جعل لكم في الارض طرقا تذهبون وتجيئون فيها (وأنزل من السماء ماء) هذا تمام كلام موسى عليه السلام ثم بعد ذلك أخبر الله تعالى عن صفة نفسه تتميما لكلام موسى خطاب أهل مكة فقال (فأخرجنا به) أي بذلك الماء (أزواجا) أي أصنافا (من نبات شتى) أي مختلفة في الطعم والرائحة والشكل والنفع بعضها صالح للناس وبعضها للبهائم على اختلاف وجوه الصلاح وقيل هذا من تمام كلام موسى عليه السلام كأنه يقول ربي الذي جعل لكم كذا وكذا فأخرجنا نحن معشر عباده بذلك الماء بالحراثة أزواجا من نبات شتى وقال صاحب الكشاف ان كلام موسى عليه السلام تم عند قوله ولاينسى ثم ابتدأ كلام الله من قوله الذي جعل فهو خبر مبتدا محذوف والتقدير هو الذي جعل ويكون الانتقال من الغيبة الى التكلم التفاتا للدلالة على كمال القدرة والحكمة وللاعلام بأن ذلك لايتأتى الا من قادر مطاع عظيم الشأن (كلوا وارعوا أنعامكم) حال من ضمير أخرجنا على ارادة القول أي فأخرجنا أصناف النبات قائلين لكم كلوا وارعوا أنعامكم أي مبيحين لكم الاكل وعلف الانعام آذنين في الانتفاع بها (ان في ذلك) أي في اختلاف النبات في الشكل والطبع (لآيات) واضحة الدلالة على شؤن الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله (لأولي النهى) أي لذوي العقول الناهية عن الاباطيل (منها) أي الارض (خلقناكم) وذلك اذا وقعت النطفة في الرحم انطلق الملك الموكل بالرحم فأخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق الله الولد من النطفة ومن التراب وأيضا ان تولد الانسان انما هو من النطفة ودم الطمث وهما يتولدان من الاغذية وهي تنتهي الى النبات وهي انما تحدث من امتزاج الماء والتراب (وفيها نعيدكم) الى الموضع الذي أخذ ترابكم منه مدفونين فيه (ومنها نخرجكم تارة أخرى) يوم البعث على الهيئة السابقة (ولقد أريناه) أي والله لقد بصرنا فرعون (آياتنا كلها) روى أن موسى لما ألقى عصاه انقلبت ثعبانا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر وتوجه نحو فرعون فهرب وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا من قومه فصاح فرعون ياموسى أنشدك بالذي أرسلك الا أخذته فأخذه فعاد عصا وروى أنها انقلبت حية وارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول ياموسى مرني بما شئت ويقول فرعون ياموسى أنشدك الخ ونزع موسى يده من جيبه فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن حدود العادات قد غلب شعاعه شعاع الشمس ففي تضاعيف كل من الآيتين آيات جة ولذلك أكدت بكلها (فكذب) موسى عليه السلام (وأبى) أن يؤمن ويطيع لعتوه (قال) لموسى خوفا من أن يتبعه الناس (أجئتنا) من مكانك الذي كنت فيه بعد ماغبت عنا (لتخرجنا من أرضنا) مصر (بسحرك) أي الذي هو العصا واليد البيضاء (ياموسى) وليكون لك الملك فيها (فلنأتينك بسحر مثله) أي مثل سحرك في الغرابة (فاجعل بيننا وبينك موعدا) أي وعدا لاتياننا بالسحر (لانخلفه) أي ذلك الوعد (نحن ولا أنت) فوعدا مفعول أول والظرف مفعول ثان (مكانا) مفعول فيه منصوب باجعل (سوى) قرأ عاصم وحمزة وابن عامر بضم السين أي تستوي مسافة المكان على

(لايضل ربي) أي لايخطئ ومعناه لايترك من كفر به حتى ينتقم منه (ولاينسى) أي من وحده حتى يجازيه به (الذي جعل لكم الارض مهادا) أي فراشا (وسلك لكم فيها سبلا) أي وسهل لكم فيها طرقا (وأنزل من السماء ماء) يريد المطر وتم ههنا جواب موسى ثم تلون الخطاب فقال الله تعالى (فأخرجنا به أزواجا) أي أصنافا (من نبات شتى) أي مختلف الألوان والطعوم (كلوا وارعوا أنعامكم) فيها أي اسيموها وأسرحوها في نبات الارض (ان في ذلك) الذي ذكرت (لآيات لأولي النهى) أي لعبرة لذوي العقول (منها خلقناكم) يعني آدم (وفيها نعيدكم) أي عند الموت (ومنها نخرجكم) أي عند البعث (تارة) مرة (أخرى ولقد أريناه) يعني فرعون (آياتنا كلها) يعني التسع الآيات (فكذب) بها وزعم انها سحر (وأبى) أن يسلم (قال) فرعون (أجئتنا لتخرجنا من) أرض مصر (بسحرك ياموسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا) أي لمعارضتنا اياك (لانخلفه) يعني ذلك الموعد (نحن ولا أنت) وأراد بالموعد ههنا موضعا يتواعدون للاجتماع هناك وهو قوله (مكانا سوى) أي يكون النصفة فيما بيننا وبينك

الفريقين والباقون بكسرها أي غير هذا المكان الذي نحن فيه الآن (قال) موسى (موعدكم) أي أجلكم (يوم الزينة) وهو يوم النيروز أو يوم عيدهم وكان يوم عاشوراء واتفق أنه في هذه الواقعة يوم سبت وقرأ الحسن والاعمش وعيسى وعاصم وغيرهم يوم بالنصب أي موعدكم يقع يوم الزينة (وأن يحشر الناس ضحى) عطف على الزينة أو على يوم (فتولى فرعون) أي انصرف عن المجلس وفارق موسى (فجمع كيده) أي مايكاد به من السحرة وأدواتهم (ثم أتى) بهم الموعد وأتى موسى أيضا (قال لهم) أي لاهل الكيد (موسى) بطريق النصيحة (ويلكم) أي ألزمكم الله ضيقا في الدنيا (لاتفتروا على الله كذبا) باتيان السحر في معارضة آيات الله وبادعائكم ان الآيات التي ستظهر على يدي سحر (فيسحتكم) قرأ حفص وحمزة والكسائي بضم الياء وكسر الحاء والباقون بفتحهما أي فيهلككم (بعذاب) في الدنيا بالاستئصال أو في الآخرة بالنار (وقد خاب) أي حرم عن المقصود (من افترى) على الله (فتنازعوا) أي السحرة (أمرهم بينهم) أي تشاوروا ليستقروا على شئ واحد حين سمعوا كلام موسى عليه السلام (وأسروا النجوى) من فرعون وملائه فقالوا في نجواهم ان غلبنا موسى آمنا به ثم (قالوا) بطريق العلانية أي قال السحرة وقيل قال لهم فرعون ومن معه (ان هذان لساحران) قرأ ابن كثير وحفص بسكون النون من ان وشددها الباقون وشدد ابن كثير نون هذان وقرأ أبو عمرو وهذين بالياء (يريدان) أي موسى وهرون (أن يخرجاكم من أرضكم) أي أرض مصر (بسحرهما) الذي أظهراه لكم (ويذهبا بطريقتكم المثلى) أي يذهبا دينكم الذي هو أفضل الاديان باعلاء دينهما أو يقال ويذهبا بأشراف قومكم بميلهم اليهما لغلبتهما وهم بنو اسرائيل فانهم ذوو علم ومال (فأجمعوا كيدكم) وقرأ أبو عمرو بفتح الميم وبوصل الهمزة أي فاجمعوا أدوات سحركم فلاتتركوا شيأ منها وقرأ الباقون بكسر الميم وقطع الهمزة أي ليكن عزمكم مجمعا عليه لاتختلفوا (ثم ائتوا) للقاء موسى وهرون (صفا) أي مصطفين مجتمعين لكي يكون الصف أنظم لامركم وأشد لهيبتكم قال ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل واحد منهم حبل وعصا (وقد أفلح اليوم من استعلى) أي وقد فاز بالمطلوب من غلب ومرادهم بالمطلوب الاجر والتقريب من فرعون على ماوعدهم بذلك ومرادهم بمن غلب أنفسهم جميعا أو من غلب منهم حثالهم على بذل المجهود في المغالبة (قالوا) أي السحرة لموسى (ياموسى اما أن تلقي واما أن نكون أول من ألقى) أي اختر اما القاءك مامعك قبلنا واما القاء مامعنا قبلك وهذا التخيير حسن أدب منهم وتواضع لموسى عليه السلام لان لين القول مع الخصم ان لم ينفع لم يضر بل نفعهم ولذلك رزقهم الله تعالى الايمان ببركته ثم ان موسى عليه السلام قابل أدبهم بأدب أحسن من أدبهم حيث بت القول بالقائهم أولا لانه فهم أن مرادهم الابتداء (قال بل ألقوا) أي قال لهم موسى لا ألقي أنا أولا بل ألقوا أنتم أولا ان كنتم محقين فألقوا مامعهم من الحبال والعصي ميلا من هذا الجانب وميلا من هذا الجانب (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه) أي موسى (من سحرهم أنها) حيات (تسعى) فاذا ظرفية تطلب متعلقا ينصبها من فعل المفاجأة وجملة ابتدائية تضاف اليها أي ففاجأ موسى اذا حبالهم وعصيهم مخيلة الى موسى السعي كسعي مايكون حيا من الحيات من أجل سحرهم وذلك أنهم كانوا لطخوها بالزئبق

(قال لهم موعدكم يوم الزينة) أي وقت موعدكم يوم الزينة وهو يوم عيد كان لهم (وأن يحشر) أي يخرج (الناس ضحى) يريد أهل مصر في ذلك اليوم نهارا أراده موسى أن يكون أبلغ لحجته وأشهر ذكرا في الجمع (فتولى) أي فأدبر (فرعون فجمع كيده) أي حيله وسحرته (ثم أتى) الميعاد (قال لهم موسى) أي قال موسى للسحرة (ويلكم لاتفتروا على الله كذبا) أي لاتشركوا مع الله أحدا (فيسحتكم) أي فيستأصلكم (بعذاب وقد خاب من افترى) أي خسر من ادعى مع الله الها آخر (فتنازعوا أمرهم بينهم) أي فتشاوروا بينهم يعني السحرة (وأسروا النجوى) أي تكلموا فيما بينهم سرا من فرعون وقالوا ان غلبنا موسى اتبعناه (قالوا ان هذان لساحران) يعنون موسى وهرون (يريدان أن يخرجاكم من أرضكم) يعني أرض مصر ويغلبا عليها (بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) أي بجماعتكم الاشراف يريدان أن يصرفا وجوههم اليهما (فأجمعوا كيدكم) أي اعزموا على الكيد من غير اختلاف بينكم فيه (ثم ائتوا صفا) أي مجتمعين مصطفين ليكون أشد لهيبتكم (وقد أفلح اليوم من استعلى) أي قد سعد اليوم من غلب (قالوا ياموسى اما أن تلقي) عصاك من يدك الى الارض (واما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا) أنتم (فاذا حبالهم وعصيهم) جمع العصا (يخيل اليه من سحرهم) أي يشبه لموسى (أنها تسعى) وذلك أنها تحركت بنوع حيلة وتمويه فظن موسى أنها تسعى نحوه

بالزئبق فلما ضربت عليه الشمس اضطربت واهتزت فخيل اليه أنها تتحرك (فأوجس في نفسه خيفة موسى) أي أضمر موسى في قلبه بعض خوف من ان لا يظفر بهم فيقتتلون من آمن به عليه السلام (قلنا لا تخف انك أنت الاعلى) أي الغالب عليهم وقيل ان موسى خاف من مفاجأته بمقتضى طبع البشرية من النفرة من الحيات ومن الاحتراز من ضررها المعتاد من اللسع ونحوه فان خوف البشرية مركوز في جبلة الانسان وذلك مثل ما خاف من عصاه أول ما رآها ولذلك قال تعالى انك أنت الاعلى أي أعلى درجة من أن تخاف من المخلوقات دون الخالق (وألق) على الارض (ما في يمينك) يا موسى وانما لم يقل وألق عصاك تعظيما لشأنها أي لا تحتفل بهذه الاجرام فان في يمينك شيأ أعظم منها كلها وهذه على كثرتها أقل شئ عنده فألقه (تلقف ما صنعوا) أي تلقم ما طرحوا من الحبال والعصي الذي خيل اليك سعيها وخفتها وقرأ ابن عامر تلقف بتشديد القاف و بالرفع والعامة بالجزم وحفص بسكون اللام و بالجزم (انما صنعوا كيد ساحر) أي لان الذي صنعوه عمل ساحر وقرأ حمزة والكسائي كيد سحر بكسر فسكون على أن الاضافة للبيان وقرأ مجاهد وحميد وزيد بن علي بنصب كيد ساحر على أنه مفعول به وما كافة مزيدة (ولا يفلح الساحر) أي لا يحصل له مقصوده بالسحر خيرا كان أو شرا (حيث أتى) أي أينما كان وهذا من تمام التعليل (فألقي السحرة سجدا) أي فألقى موسى عصاه فتلقفت حبال السحرة وعصيهم فسجدوا فانهم من سرعة سجودهم كأنهم ألقوا فما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم للشكر والسجود روي أنهم في سجودهم رأوا الجنة ومنازلهم التي يصيرون اليها ثم رفعوا رؤسهم (قالوا آمنا برب هرون وموسى) قال رئيسهم كنا نغالب الناس بالسحر وكانت الآلات تبقى علينا لو غلبنا لو كان هذا سحرا فأين ما ألقيناه (قال) لهم فرعون (آمنتم له) أي لموسى (قبل أن آذن لكم) أي من غير أن آذن لكم في الايمان له (انه) أي موسى (لكبيركم) أي استاذكم (الذي علمكم السحر) وانكم تلامذته في السحر فتوافقتم على أن تظهروا العجز من أنفسكم ترويجا لشأنه وتفخيما لامره (فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أي في حال كونها مختلفات والقطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لا كل واحد من العضوين فان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال (ولأصلبنكم في جذوع النخل) أي عليها وأتى بكلمة في للدلالة على ابقائهم عليها زمانا مديدا تشبيها لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف في الظرف (ولتعلمن أينا) أي أنا أو موسى (أشد عذابا وأبقى) وهذا القصد توضيع موسى عليه السلام والهزء به لانه عليه السلام لم يكن من التعذيب في شئ أو لاراءة أن ايمانهم كان على خوف من موسى حيث رأوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيهم فخافوا على أنفسهم أيضا وفي ذلك تبجح فرعون بما ألفه من تعذيب الناس بأنواع العذاب (قالوا) أي السحرة لفرعون غير مكترثين بوعيده (لن نؤثرك) أي لن نختار اتباعك (على ما جاءنا) من الله تعالى على يد موسى عليه السلام (من البينات) أي المعجزات الظاهرة الدالة على صدق موسى (والذي فطرنا) أي ولا على عبادة الذي خلقنا (فاقض ما أنت قاض) أي فاصنع ما أنت صانعه (انما تقضي هذه الحياة الدنيا) أي لانك انما تحكم علينا في الدنيا فقط وليس لك علينا سلطان في الآخرة وأنت تجزى على حكمك في الآخرة وما لنا من رغبة في حلاوة الدنيا ولا رهبة من عذابها (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) أي شركنا ومعاصينا (وما أكرهتنا عليه من السحر) أي وليغفر لنا السحر الذي عملناه في معارضة موسى رغبة في خيرك ورهبة من

(لا تخف انك أنت الأعلى) أي الغالب (وألق ما في يمينك تلقف) أي تبتلع (ما صنعوا انما صنعوا) أي ان الذي صنعوه (كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) أي ولا يسعد الساحر حيثما كان فألقى موسى عصاه فتلقفت كل الذي صنعوه وعند ذلك (ألقي السحرة سجدا) أي خروا ساجدين لله تعالى (قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له) أي صدقتموه (قبل أن آذن لكم انه لكبيركم) أي معلمكم (الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أي اليد اليمنى والرجل اليسرى (ولأصلبنكم في جذوع النخل) أي على ساق النخل (ولتعلمن أينا أشد عذابا) انا أو رب موسى (وأبقى) أي وأدوم (قالوا لن نؤثرك) يعني لن نختار دينك (على ما جاءنا من البينات) يريد اليقين والعلم (والذي فطرنا) أي ولا نختارك على الذي خلقنا (فاقض ما أنت قاض) أي فاصنع ما أنت صانع من القتل والصلب

(انما تقضي هذه الحياة الدنيا) أي انما سلطانك وملكك في هذه الدنيا (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) أي الشرك الذي كنا فيه (وما أكرهتنا عليه من السحر) أي وأكرهك ايانا على تعلم السحر

شرك باكراهك علينا فى الحضور اليك من الدائن لقاصية (والله خير وأبقى) أى نخيره تعالى أبقى من خيرك لمن أطاعه وعذابه أبقى من عذابك لمن عصاه (انه) أى لانه الشأن (من يأت ربه) يوم القيامة (مجرما) بأن مات على الكفر (فان له جهنم لايموت فيها) فينتهى عذابه ويستريح (ولا يحيا) حياة ينتفع بها (ومن يأته) يوم القيامة (مؤمنا) بما وعد من الثواب وأوعد من العقاب على لسان أنبيائه (قد عمل الصالحات) التى جاؤا بها (فأولئك لهم الدرجات العلى) أى المنازل الرفيعة فى الجنان (جنات عدن) وهى فى وسط الجنان (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك) أى الدرجات العلى (جزاء من تزكى) أى تطهر من الذنوب (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) قرأ نافع وابن كثير بكسر النون وهمزة وصل أى سر ببنى اسرائيل أول الليل من أرض مصر الى البحر (فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا) أى اجعل لهم بالضرب بعصاك طريقا فى البحر يابسا ليس فيه وحل ولا نداوة (لاتخاف دركا) أى ادراك فرعون (ولا تخشى) من الغرق وقرأ حمزة لاتخف بالجزم جوابا للامر (فأتبعهم فرعون بجنوده) أى فلحقهم فرعون مع جوعه (فغشيهم من اليم ماغشيهم) أى فسترهم ماسترهم من البحر (وأضل فرعون قومه) أى سلك بهم مسلكا أداهم الى الهلاك فى الدين والدنيا معا حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الدنيوى المتصل بالعذاب الأخروى (وما هدى) أى ما أرشدهم الى طريق يوصل الى مطالب دنيوى وأخروى قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أمر الله تعالى موسى أن يقطع بقومه البحر وكان موسى وبنو اسرائيل استعاروا من قوم فرعون الحلى والدواب لعيد يخرجون اليه نخرج بهم ليلا وهم ستمائة ألف وثلاثة آلاف ونيف ليس فيهم ابن ستين ولا عشرين وخرج فرعون فى طلب موسى وعلى مقدمته ألف ألف وخمسمائة ألف سوى الجنبين والقلب فلما انتهى موسى الى البحر قال ههنا أمرت فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فضرب فانفلق فقال لهم موسى عليه السلام ادخلوا فيه فقالوا كيف وأرضه رطبة فدعا الله تعالى فهبت عليها الصبا فجفت فقالوا نخاف الغرق فى بعضنا فجعل بينهم كوى حتى يرى بعضهم بعضا ثم دخلوا حتى جاوزوا البحر فأقبل فرعون الى تلك الطرق فقال قومه له ان موسى قد سحر البحر فصار كما ترى وكان على فرس حصان فأقبل جبريل على فرس أنثى فى ثلاثة وثلاثين من الملائكة فسار جبريل بين يدى فرعون فأبصر الحصان الحجر فاقتحم بفرعون على أثرها فصاحت الملائكة فى الناس الحقوا الملك حتى اذا دخل آخرهم وكاد أولهم أن يخرج التقى البحر عليهم فغرقوا فسمع بنو اسرائيل خفقة البحر عليهم فقالوا ماهذا ياموسى قال قد أغرق الله فرعون وقومه فرجعوا حتى ينظروا اليهم وقالوا ياموسى ادع الله أن يخرجهم لنا حتى ننظر اليهم فدعا فلفظهم البحر الى الساحل وأصابوا من سلاحهم (يابنى اسرائيل) أى وقلنا يا أولاد يعقوب (قد أنجيناكم من عدوكم) فرعون وقومه باغراقهم (وواعدناكم جانب الطور الايمن) أى واعدناكم اتيان جانب الجبل الايمن لمن انطلق من مصر الى الشام فان الله أمر أن يأتى منهم سبعون مع موسى الى طور سيناء لأخذ التوراة ففيه صلاح دينهم ودنياهم وأخراهم (ونزلنا) فى التيه (عليكم المن والسلوى) فالمن هو شئ حلو أبيض مثل الثلج كان ينزل من الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع والسلوى هو السمانى يبعثه الجنوب عليهم فيذبح الرجل منهم ما يكفيه (كلوا من طيبات مارزقناكم) أى من لذائذه وقرأ حمزة والكسائى قد أنجيتكم وواعدتكم ورزقتكم بتاء المتكلم والباقون بنون العظمة واتفقوا على ونزلنا بالنون وأسقط أبو عمرو ألف واعدنا (ولا تطغوا

فيستريح بالموت (ولا يحيا) أى حياة تنفعه (ومن يأته مؤمنا) أى مات على الايمان (قد عمل الصالحات) أى قد أدى الفرائض (فأولئك لهم الدرجات العلى) أى فى الجنة وقوله (جزاء من تزكى) أى تطهر من الشرك بقول لا اله الا الله (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) أى سر بهم ليلا من أرض مصر (فاضرب لهم) أى بعصاك (طريقا فى البحر يبسا) أى يابسا (لاتخاف دركا) أى من فرعون خلفك (ولا تخشى) أى غرقا من البحر (فأتبعهم) أى فلحقهم (فرعون بجنوده فغشيهم من اليم) أى فعلاهم من البحر (ماغشيهم) أى ماغرقهم (وأضل فرعون قومه وماهدى) رد اعليه حيث قال وما أهديكم الا سبيل الرشاد ثم ذكر منته على بنى اسرائيل فقال (يابنى اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم) فرعون (وواعدناكم) أى لايتاء الكتاب (جانب الطور الأيمن) وذلك ان الله عز وجل وعد موسى أن يأتى هذا المكان فيؤتيه كتابا فيه الحلال والحرام والاحكام ووعدهم موسى أن يأتى هذا المكان عند ذهابه عنهم (ونزلنا عليكم

فيه

المن والسلوى) يعنى فى التيه (كلوا) أى وقلنا لهم كلوا (من طيبات) أى حلالات (ما رزقناكم ولا تطغوا) أى ولا تكفروا النعمة

[illegible] أي يجب عليكم [illegible] وقرأ [illegible] (ومن
يحلل عليه غضبي فقد هوى) أي هلك وقرأ الكسائي بضم اللام الاولى (واني لغفار لمن تاب) من الشرك والمعاصي (وآمن) بما يجب الايمان به (وعمل صالحا) أي مستقيما عند الشرع والعقل (ثم اهتدى) أي استمر على الهدى من غير تقصير ومات على ذلك فلما ذهب موسى عليه السلام مع السبعين الى الميقات تعجل الى الميعاد قبلهم قال الله له (وما أعجلك عن قومك ياموسى) أي وقلنا له أي شيء أعجلك منفردا عن النقباء (قال هم أولاء على أثري) أي هم معي وانما سبقتهم بخطا يسيرة ظننت انه لا تخل بالمعية ولا تقدح في الاستصحاب (وعجلت اليك رب لترضى) عني بمسارعتي الى الامتثال بأمرك واعتنائي بالوفاء بعهدك (قال) تعالى ياموسى (فانا قد فتنا قومك من بعدك) أي ابتليناهم بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين خلفهم موسى مع هرون وكانوا ستمائة ألف ما نجا منهم من عبادة العجل الا اثنا عشر ألفا (وأضلهم السامري) حيث كان هو المدبر في الفتنة واسمه موسى ابن ظفر وكان منافقا قد أظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر وكان قد رباه جبريل فكان يغذيه من أصابعه الثلاثة فيخرج له من أحدها لبن ومن الاخرى سمن ومن الاخرى عسل وذلك لان فرعون لما شرع في ذبح أولاد كانت المرأة من بني اسرائيل تأخذ ولدها وتلقيه في حفيرة أو كهف من جبل أو غير ذلك وكانت الملائكة تتعهد هذه الاطفال بالتربية حتى يكبروا فيدخلوا بين الناس وقرئ وأضلهم السامري على صيغة التفضيل أي أشدهم ضلالا السامري وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة (فرجع موسى الى قومه) بعد ما استوفى الاربعين ليلة وأخذ التوراة (غضبان أسفا) أي حزينا روي أنه لما رجع موسى سمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة (قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) بأن يعطيكم التوراة فيها ما فيها من الهدى (أفطال عليكم العهد) أي أوعدكم ذلك فطال عليكم مدة الانجاز ومدة نعم الله تعالى عليكم من انجائه اياكم من فرعون أفنسيتم ذلك العهد أو تعمدتم المعصية (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) بسبب عبادة العجل (فأخلفتم موعدي) بالاقامة على طاعة الله تعالى (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) قرأ حمزة والكسائي بضم الميم أي بسلطاننا وقوتنا ونافع وعاصم بفتح الميم وأبو عمرو وابن عامر وابن كثير بالكسر أي بأمر كنا نملكه ونريده (ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم) قرأ ابن كثير ونافع وحفص وابن عامر بضم الحاء وكسر الميم مشددة أي أمرنا أن نحمل أحمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وفي الواقع ليس للعرس أي فان موسى أمرهم باستعارة الحلي والخروج بها وقرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر بفتح الحاء والميم مخففة أي حملنا مع أنفسنا ما كنا استعرناه من حلي آل فرعون (فقذفناها) أي فطرحنا الحلي في النار بأمر السامري روي أنه قال لهم انما تأخر عنكم مجيء موسى عليه السلام لما معكم من الاوزار أي فهو محبوس عقوبة بالحلي فالرأي أن تحفروا لها حفيرة وتوقدوا فيها نارا وتقذفوها فيها لتتخلصوا من ذنبها (فكذلك) أي فمثل ذلك القذف (ألقى السامري) ما كان معه

[illegible] عليكم [illegible] اليك [illegible] (لترضى) أي لتزداد عني رضا (قال فانا قد فتنا قومك) أي ألقيناهم في فتنة واختبرناهم (من بعدك) أي من بعد خروجك من بينهم (وأضلهم السامري) أي بدعائهم الى عبادة العجل (فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا) أي شديد الحزن (قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) أي انه يعطيكم التوراة لذلك الوعد (أفطال عليكم العهد) أي مدة مفارقتي اياكم (أم أردتم أن يحل) يجب (عليكم غضب من ربكم وأخلفتم موعدي) أي باتخاذ العجل ولم تنتظروا رجوعي اليكم (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) أي ونحن نملك من أمرنا شيأ ولكن السامري استغوانا وهو معنى قوله (ولكنا حملنا أوزارا) أي أثقالا (من زينة القوم) أي من حلي آل فرعون (فقذفناها) أي ألقيناها في النار بأمر السامري وذلك انه قال اجمعوها وألقوها في النار ليرجع موسى فيرى فيها رأيه (فكذلك ألقى السامري) أي ما معه من الحلي في النار وهو قوله فكذلك ألقى السامري ثم صاغ لهم عجلا منه وهو قوله

[illegible] (لهم عجلا) أي صورة عجل من تلك الحلي المذابة أي فصاغ لهم [illegible]
من [illegible] في النار في ثلاثة أيام (جسدا) أي حال كون العجل جسدا صغيرا من ذهب
بلا روح (له خوار) أي صوت يسمع أي ان السامري صور صورة على شكل العجل وجعل فيها
منافذ ومخارق بحيث تدخل فيها الرياح فيخرج صوت يشبه صوت العجل قال ابن عباس لا والله
ما كان له صوت قط وانما كان الريح يدخل في دبره فيخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلك
(فقالوا) أي السامري ومن تبعه في بادئ الرأي لمن توقف من بني اسرائيل (هذا الهكم واله موسى
فنسي) أي موسى ان الهه هنا فيطلبه في الطور وفي موضع آخر أو فنسي السامري الاستدلال على
حدوث الأجسام وان الاله لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء (أفلا يرون أن لا يرجع) أي العجل (اليهم
قولا) أي ألا يتفكر السامري وأصحابه فلا يعلمون أنه لا يرجع اليهم كلاما وقرئ يرجع بالنصب أي
ألا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه اليهم قولا من الأقوال وأن الناصبة لا يقع بعدها أفعال اليقين
(ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) أي ولا يقدر العجل على أن يدفع عنهم ضرا ولا أن يجر لهم نفعا فيخافوا
كما يخافون فرعون و يرجوا منه كما يرجون من فرعون فكيف يقولون ذلك (ولقد قال لهم هرون
من قبل) أي من قبل مجيء موسى عليه السلام (ياقوم انما فتنتم به) أي أوقعتم في الفتنة بالعجل
(وان ربكم الرحمن) أي ان ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن لا غير (فاتبعوني) في الثبات على
الدين (وأطيعوا أمري) هذا واتركوا عبادة غير الرحمن وانما قال هرون ذلك شفقة منه على نفسه
وعلى الخلق كما قال صلى الله عليه وسلم من أصبح وهمه غير الله فليس من الله في شيء ومن أصبح لا يهتم
بالمسلمين فليس منهم ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه أصحابه اذ نظر الى شاب
على باب المسجد فقال من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى هذا فسمع الشاب ذلك
فولى فقال الهي وسيدي هذا رسولك يشهد علي بأني من أهل النار وأنا أعلم أنه صادق فاذا كان
الأمر كذلك فأسألك أن تجعلني فداء أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتشعل النار بي حتى تبر يمينه ولا
تشعل النار بأحد آخر فهبط جبريل عليه السلام وقال يا محمد بشر الشاب بأني قد أنقذته من النار
بتصديقه لك وفدائه أمتك بنفسه وشفقته على الخلق (قالوا) في جواب هرون عليه السلام (لن
نبرح عليه عاكفين) أي لن نزال مقيمين على عبادة العجل (حتى يرجع الينا موسى) جعلوا رجوع
موسى عليه السلام اليهم غاية لعكوفهم على عبادة العجل بطريق التعلل والتسويف وقد دسوا
تحت ذلك أن موسى لا يرجع بشيء مبين اعتمادا على مقالة السامري واعلم أن هرون عليه السلام سلك
في هذا الوعظ أحسن الطرق لانه زجرهم عن الباطل أولا بقوله انما فتنتم به وهو ازالة الشبهات لانه
لا بد قبل كل شيء من اماطة الأذى عن الطريق ثم دعاهم الى معرفة الله تعالى ثانيا بقوله وان ربكم
الرحمن لانها الأصل وانما خص هذا الموضع باسم الرحمن لانه عليه السلام كان ينبههم بأنهم متى تابوا
قبل الله توبتهم لانه هو الرحمن كما خلصهم من آفات فرعون برحمته ثم دعاهم ثالثا الى معرفة النبوة بقوله
فاتبعوني ثم دعاهم رابعا الى الشريعة بقوله وأطيعوا أمري ثم انهم لجهلهم وتقليدهم قابلوا هذا
الترتيب الحسن في الاستدلال بقولهم لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى فجحدوا قول
هرون كما هو عادة المقلد فكأنهم قالوا لا نقبل حجتك ولكن نقبل قول موسى روي أنهم لما قالوا ذلك
اعتزلهم هرون عليه السلام في اثني عشر ألفا وهم الذين لم يعبدوا العجل (قال) موسى لهرون حين
سمع جوابهم له وهو مغتاظ (ما منعك اذ رأيتهم ضلوا) بعبادة العجل (أن لا تتبعن) في حالي الغضب
لله تعالى والمقاتلة مع من كفر به أي أي شيء دعاك الى أن لا تتبعني في سيرتي من الأخذ على يد الظالم لم

(فأخرج لهم عجلا جسدا) أي لحما ودما (له خوار) أي صوت فسجدوا له وافتتنوا به (فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي) أي تركه ههنا وخرج يطلبه قال الله تعالى احتجاجا عليهم (أفلا يرون ألا يرجع) أي انه لا يرجع (اليهم قولا) أي لا يكلمهم العجل ولا يجيبهم (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هارون من قبل) أي من قبل رجوع موسى (ياقوم انما فتنتم به) أي ابتليتم بالعجل (وان ربكم الرحمن) لا العجل (فاتبعوني) أي على ديني (وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح) أي لن نزال (عليه عاكفين) أي على عبادته مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) فلما رجع موسى (قال ياهرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا) أي أخطؤا الطريق بعبادة العجل (ألا تتبعني) أي ان تتبعني وتلحق بي وتخبرني

[illegible] وخليفتى فى قومى وأثبت الياء بعد النون ابن كثير وقفا ووصلا وأثبتها نافع وأبو عمرو وصلا لا وقفا وحذفها الباقون وصلا ووقفا (أفعصيت أمرى) أى ألم تتبعنى وعصيت أمرى وأمره عليه السلام هو ما حكاه الله تعالى عنه فى قوله تعالى وقال موسى لأخيه هرون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلما أقام هرون معهم ولم يبالغ فى منعهم نسبه الى مخالفة أمره (قال) هرون لموسى (يا ابن أم) ذكر هرون أمه مع ان موسى أخوه الشقيق ترقيقا لقلبه قرأ حمزة والكسائى بكسر الميم (لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) أى ولا بشعر رأسى روى أن موسى عليه السلام أخذ شعر رأس هرون بيمينه ولحيته بشماله من فرط غضبه لله (انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل) برأيك بسبب القتال تفريقا لا يرجى بعده الاجتماع (ولم ترقب قولى) أى ولم تنتظر قدومى فمن ذلك تركت القتال معهم وانى رأيت ان الاصلاح فى المداراة معهم الى أن ترجع اليهم لتكون أنت المتدارك للأمر حسبما رأيت (قال) موسى عليه السلام للسامرى موبخا له بعد سماع الاعتذارين (فما خطبك ياسامرى) أى فما شأنك الداعى الى ماصنعت وما مطلوبك بما فعلت من عبادة العجل (قال) أى السامرى مجيبا له عليه السلام (بصرت بما لم يبصروا به) بضم الصاد فيهما وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على خطاب موسى وقومه أى رأيت مالم يره بنو اسرائيل قال له موسى ومارأيت دونهم قال رأيت جبريل لما نزل على دابة الحياة (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أى حفنة من تربة موطئ فرس الملك الذى أرسل اليك ليذهب بك الى الطور للمناجاة وأخذ التوراة وقرأ الحسن قبضة بضم القاف وقرئ فقبصت قبصة بالصاد المهملة فالضاد المعجمة للأخذ بجميع الكف والمهملة للأخذ بأطراف الأصابع (فنبذتها) أى فطرحت المأخوذ فى فم العجل المصوغ ودبره فخار أو فى الحلى المذابة قال أبو مسلم الأصفهانى ان موسى عليه السلام لما أقبل على السامرى باللوم على الامر الذى دعاه الى اضلال القوم فى باب العجل فقال بصرت بما لم يبصروا به الخ أى عرفت أن الذى أنتم عليه ليس بحق وقد كنت أخذت شيأ من سنتك أيها الرسول فطرحتها وعلى هذا فالمراد بالأثر الدين وبالرسول سيدنا موسى عليه السلام قال الرازى وهذا القول أقرب الى التحقيق لان جبريل لم يجر له فيما تقدم ذكر وليس بمشهور عندهم باسم الرسول ولان اضمار الكلام خلاف الأصل ولان جبريل ربى السامرى حال طفوليته فلا يعرفه ولو عرفه بعد البلوغ لعرف قطعا ان موسى عليه السلام نبى صادق ولانه لو جاز اطلاع بعض الكفرة أن تراب فرس جبريل له خاصية الاحياء لاطلع موسى عليه السلام على شئ آخر يشبه ذلك فلأجله أتى بالمعجزات (وكذلك سوّلت لى نفسى) أى وزينت لى نفسى تزيينا كائنا مثل ذلك التزيين الذى فعلته من القبض والنبذ فالمعنى لم يدعنى الى ما فعلته أحد غيرى بل اتبعت هواى فيه (قال) له موسى (فاذهب) ياسامرى من بين الناس (فان لك فى الحياة أن تقول لا مساس) أى فان قولك لا مساس ثابت لك فى مدة حياتك لا ينفك عنك فكان يصيح بأعلى صوته لا مساس أى انى لا أمس ولا أمس واذا مسه أحدهم أخذت الحمى الماس والممسوس فكان اذا أراد أحد أن يمسه صاح خوفا من الحمى وقال لا مساس وحرم موسى عليهم مكالمته ومبايعته وغيرها مما يعتاد جريانه فيما بين الناس فكان يهيم فى البرية مع السباع والوحوش ويقال ان موسى هم بقتل السامرى فقال الله تعالى لا تقتله فانه سخى (وان لك موعدا)

فى اسرائيل [illegible] ان فارقتهم واتبعتك أن يصيروا حزبين يقتل بعضهم بعضا فتقول أوقعت الفرقة فيما بينهم (ولم ترقب) أى ولم تحفظ (قولى) وصيتى فى حسن الخلافة عليهم ثم أقبل موسى على السامرى (قال فما خطبك) أى ما قصتك وما الذى تخاطب به فيما صنعت (قال بصرت بما لم يبصروا به) أى علمت مالم يعلمه بنو اسرائيل قال موسى وما ذلك قال رأيت جبريل على فرس الحياة فألقى فى نفسى أن أقبض من أثرها فما ألقيته على شئ الا صار له روح ولحم ودم فحين رأيت قومك سألوك أن تجعل لهم الها زينت لى نفسى ذلك فذلك قوله (فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها) أى فطرحتها فى العجل (وكذلك سوّلت لى نفسى) حدثتنى نفسى (قال) له موسى (فاذهب فان لك فى الحياة) يعنى ما دمت حيا (أن تقول لا مساس) أى لا تخالط أحدا ولا يخالطك أحد وأمر موسى بنى اسرائيل أن لا يخالطوه وصار السامرى بحيث اذا مسه أحد أو مس هو أحدا حما كلاهما (وان لك موعدا) أى لعذابك

لطالبيك فى الآخرة (لن تخلفه) قرأ أهل المدينة والكوفة بفتح اللام أى لن يخلفك الله ذلك الوعد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والحسن بكسر اللام أى لن تجد الوعد خلفا ولن يتأخر عنك (وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا) أى الذى أقمت عابدا على الهك ثم (لنحرقنه) بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه بضم النون وسكون الحاء أو لنبردنه بالبرد ويعضده قراءة أبى جعفر وابن محيصن لنحرقنه بفتح النون وضم الراء أى لنبردنه بعد أن أحيته بالنار حتى لان فهان على المبارد (ثم لننسفنه فى اليم نسفا) أى لنذرينه فى هواء البحر ذروا اذا صار رمادا أو مبرودا كأنه هباء ولقد فعل موسى عليه السلام ذلك كله حينئذ فلما فرغ موسى من ابطال ما ذهب اليه السامرى عاد الى بيان الدين الحق فقال (انما الهكم الله) أى انما معبودكم المستحق للعبادة الله (الذى لا اله) أى لا معبود لشئ من الاشياء موجود (الاهو) وحده من غير أن يشاركه شئ من الاشياء وقرئ الله لا اله الاهو الرحمن رب العرش (وسع كل شئ علما) أى وسع علمه كل شئ فيعلم من يعبده ومن لا يعبده (كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق) أى نقص عليك يا أشرف الخلق من الحوادث الماضية الجارية على الأمم الخالية قصا مثل ذلك القص المار زيادة فى معجزاتك وليكثر الاعتبار للمكلفين بها فى الدين (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) أى ولقد أعطيناك من عندنا قرآنا مشتملا على هذه الاخبار (من أعرض عنه) أى عن ذلك الذكر (فانه) أى المعرض عنه (يحمل يوم القيامة وزرا) أى عقوبة ثقيلة (خالدين فيه) أى فى حمل العقوبة (وساء لهم يوم القيامة حملا) أى بئس لهم حملا عقوبتهم أو بئس ما حملوا على أنفسهم من الاثم كفرا بالقرآن (يوم ينفخ فى الصور) النفخة الثانية قرأ الجمهور بالياء المضمومة وفتح الفاء وقرأ أبو عمرو بنون مفتوحة وضم الفاء على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له وقرئ بالياء المفتوحة والضمير لله تعالى أو لاسرافيل وان لم يجر ذكره لشهرته (ونحشر المجرمين) أى المشركين (يومئذ) أى يوم اذ ينفخ فى الصور (زرقا) أى زرق العيون سود الوجوه لان زرقة العيون أبغض ألوان العين الى العرب أو عميا لان حدقة الاعمى تزرق أو عطاشا لانهم من شدة العطش يتغير سواد عيونهم حتى تزرق أو طامعين فيما لا ينالونه (يتخافتون بينهم) أى يقول بعضهم لبعض بطريق المخافتة لما ملأ صدورهم من الرعب (ان لبثتم الا عشرا) أى ما مكثتم فى القبور الا عشرة أيام لانهم يرون من شدة أهوال ذلك اليوم ما يقلل ذلك فى أعينهم فهم يحسبون انهم ما لبثوا فى القبور الا عشرة أيام وهم حين يشاهدون البعث الذى كانوا ينكرونه فى الدنيا لا يتمالكون من أن يقولوا ذلك اعترافا به وتحقيقا لسرعة وقوعه كأنهم قالوا قد بعثتم وما لبثتم فى القبور الا مدة يسيرة (نحن أعلم بما يقولون) فى ذلك اليوم أى ليس كما قالوا (اذ يقول أمثلهم طريقة) أى أصوبهم رأيا (ان لبثتم) أى ما مكثتم فى القبور (الا يوما) ونسبة هذا القول الى أفضلهم عقلا لكونه أدل على شدة الهول (ويسألونك) أى يسألك يا أشرف الخلق مشركو مكة على سبيل الاستهزاء أو بنو ثقيف (عن الجبال) أى عن أمر الجبال كيف تكون يوم القيامة (فقل ينسفها ربى نسفا) أى يصير الجبال كالرمل ثم يرسل عليها الرياح (فيذرها) أى فيترك الارض بعد قلع الجبال (قاعا) أى مستويا (صفصفا) أى ملساء لا نبات فيها (لا ترى فيها) أى الارض (عوجا) أى لا تدرك فيها انخفاضا (ولا أمتا) أى

... (كذلك) أى كما قصصنا عليك هذه القصة (نقص عليك من أنباء ما قد سبق) أى من الامور (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) يعنى القرآن (من أعرض عنه) أى لم يؤمن به (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) أى حملا ثقيلا من الكفر (خالدين فيه) لا يغفر لهم ذلك ولا يكفر عنهم شئ (وساء لهم يوم القيامة حملا) أى بئس ما حملوا على أنفسهم من المآثم كفرا بالقرآن (يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين) أى الذين اتخذوا مع الله الها (يومئذ زرقا) أى زرق العيون سود الوجوه (يتخافتون) أى يتسارون (بينهم ان لبثتم) أى ما لبثتم فى قبوركم (الا عشرا) أى عشر ليال يريدون ما بين النفختين وهو أربعون سنة يرفع العذاب فى تلك المدة عن الكفار فيستقصرون تلك المدة اذا عاينوا أهوال القيامة قال الله (نحن أعلم بما يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة) أى أعدلهم قولا (ان لبثتم الا يوما ويسألونك عن الجبال) سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تكون الجبال يوم القيامة (فقل ينسفها ربى نسفا) أى يصيرها كالهباء المنثور حتى تستوى مع الارض وهو قوله (فيذرها قاعا صفصفا) مكانا مستويا (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) أى ارتفاعا وانخفاضا

[illegible] يقدرون أن لا يتبعوا (وخشعت)
أي سكنت (الأصوات [illegible]) [illegible] (يومئذ) أي يوم القيامة (لا تنفع الشفاعة)
أحدا (إلا من أذن له الرحمن) [illegible] الذين رضي الله قولهم لأنهم قالوا لا إله إلا الله وهذا معنى قوله
(ورضي له قولا يعلم ما بين أيديهم) من أمر الآخرة (وما خلفهم) أي من أمر الدنيا

نتوأ يسيرا (يومئذ يتبعون الداعي) أي يوم إذ نسفت الجبال يتبع الناس صوت الداعي إلى المحشر بعد القيام من القبور فيقبلون من كل أوب إلى جهته والراجح أن الداعي جبريل والنافخ اسرافيل (لا عوج له) أي لا يعدل الداعي عن أحد بدعائه بل يحشر الكل (وخشعت الأصوات) أي سكنت (للرحمن) أي لهيبة الرحمن (فلا تسمع) يا أشرف الخلق (إلا همسا) أي وطأ خفيا كوطء الإبل وهو خفق أقدامهم في مشيها إلى المحشر وهذا قول ابن عباس والحسن وعكرمة وابن زيد (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) أي يوم إذ يتبعون الداعي لا تنفع الشفاعة أحدا من الخلق إلا شخصا أذن لأجله الرحمن في أن يشفع له وقبل منه قولا واحدا من أقواله وهو شهادة أن لا إله إلا الله بأن مات على الإسلام وإن عمل السيئات وهذه الآية من أقوى الدلائل على ثبوت الشفاعة في حق الفساق وهي نافعة لهم (يعلم) أي الرحمن (ما بين أيديهم) أي المتبعين للداعي وهم الخلق جميعهم (وما خلفهم) أي يعلم ما مضى من أحوالهم وما بقي منها (ولا يحيطون به) أي بما بين أيديهم وما خلفهم (علما وعنت الوجوه للحي القيوم) أي ذلت المكلفون لله تعالى ذل الأسارى في يد الملك القهار (وقد خاب من حمل ظلما) أي خسر من أشرك بالله ولم يتب (ومن يعمل من الصالحات) أي بعضا من الصالحات وهو الفرائض (وهو مؤمن) فإن الإيمان شرط في الصحة والقبول (فلا يخاف ظلما) أي منعا من الثواب (ولا هضما) أي نقصا من ثوابه وقال أبو مسلم الظلم نقص من الثواب والهضم عدم تمام حقه من التعظيم لأن الثواب مع كونه من اللذات لا يكون ثوابا إلا إذا قارنه التعظيم فنفى الله تعالى عن المؤمنين كلا الأمرين وقرأ ابن كثير فلا يخف بالجزم على النهي أي فليأمن فالنهي عن الخوف والأمر بالأمن (وكذلك) ومثل انزال هذه الآيات (أنزلناه) أي القرآن كله (قرآنا عربيا) ليفهمه العرب (وصرفنا فيه من الوعيد) أي وكررنا في القرآن نوعا من الوعيد (لعلهم يتقون) أي لكي يتقوا الكفر والفواحش (أو يحدث) أي القرآن (لهم ذكرا) أي اتعاظا يدعوهم إلى الطاعات وفعل ما ينبغي فإن لم يحصل التقوى فأقل ما يحصل أن يحدث القرآن لهم شرفا وصيتا حسنا (فتعالى الله) أي تنزه عن مماثلة المخلوقات في ذاته وصفاته وأفعاله (الملك) النافذ أمره ونهيه (الحق) أي الثابت في ملكه (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه) أي ولا تستعجل يا أشرف الخلق بقراءة القرآن من قبل أن يفرغ جبريل من قراءة القرآن عليك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ألقى إليه جبريل الوحي يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة لكمال اعتنائه بالحفظ فنهي عن ذلك وأمر باستزادة العلم من الله تعالى فقيل (وقل رب زدني علما) أي فهما لإدراك حقائقه فإنها غير متناهية روى الترمذي عن أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما والحمد لله على كل حال وأعوذ بالله من حال أهل النار وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال اللهم زدني علما ويقينا (ولقد عهدنا إلى آدم) أي وصيناه أن لا يأكل من الشجرة (من قبل) أي من قبل أكله منها (فنسي) عهدنا وأكل منها وقرئ فنسي

وقيل ما قدموا وخلفوا من خير وشر (ولا يحيطون به علما) أي وهم لا يعلمون ذلك يعني الملائكة الذين عندهم من عبدهم (وعنت الوجوه) أي خضعت وذلت (للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما) أي خسر من أشرك بالله (ومن يعمل من الصالحات) أي الطاعات لله (وهو مؤمن) أي مصدق بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (فلا يخاف ظلما ولا هضما) أي لا يخاف أن يزاد في سيئاته ولا ينقص من حسناته (وكذلك) أي وهكذا (أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا) أي وبينا (فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم) أي القرآن (ذكرا) أي موعظة وقوله (ولا تعجل بالقرآن) كان إذا نزل جبريل بالوحي يقرؤه مع جبريل مخافة النسيان وأنزل الله تعالى

ولا تعجل بالقرآن أي بقراءته (من قبل أن يقضى إليك وحيه) أي من قبل أن يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة (وقل رب زدني علما) أي بالقرآن فكان كلما نزل عليه شيء من القرآن ازداد به علما (ولقد عهدنا إلى آدم) أي أمرناه وأوصينا إليه (من قبل) أي من قبل هؤلاء الذين تركوا أمري ونقضوا عهدي في تكذيبك (فنسي) أي فترك ما أمر به

[illegible] الشيطان (ولم نجد له عزما) أى تصميما على [illegible]
[illegible] الاجتهاد أو الجد لم يعزم على الذنب فانه أخطأ ولم يتعمد وهذا أقرب
[illegible] مفعول به وله حال [illegible] متعلق بنجد أو بعزما (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم)
أى واذكر ما وقع فى ذلك الوقت منه ومنهم حتى يتبين لك انه نسيان وفقدان صبره عما نهيناه عنه (فسجدوا
الا ابليس) رئيسهم (أبى) أى أظهر الاباء (فقلنا) عقب ذلك (يا آدم ان هذا) الذى تكبر عليك
(عدو لك ولزوجك) حواء لان ابليس رأى آثار نعم الله تعالى فى حق آدم عليه السلام فانه كان شابا
عالما وابليس كان شيخا جاهلا فأثبت فضله بفضيلة أصله وهو النار وبينها وبين أصل آدم وهو
الماء والتراب عداوة فثبتت تلك العداوة (فلا يخرجنكما) بوسوسته (من الجنة فتشقى) أى فتتعب
فى طلب القوت فذلك على الرجل دون المرأة روى أنه أهبط الى آدم ثورا أحمر وكان يحرث عليه
ويمسح العرق عن جبينه (ان لك أن لا تجوع فيها) أى الجنة (ولا تعرى وأنك لا تظمأ) أى لا تعطش
(فيها ولا تضحى) أى لا يصيبك حر الشمس أو تعرق فالجوع ذل الباطن والعرى ذل الظاهر
والظمأ حر الباطن والضحو حر الظاهر فنفى الله عن ساكن الجنة ذل الظاهر والباطن وحر الظاهر
والباطن وقرأ نافع وأبو بكر وانك بكسر الهمزة استئناف أو عطف على ان الاولى والباقون بفتحها
عطف على أن لا تجوع (فوسوس اليه الشيطان) أى انهى اليه وسوسته ثم بين الله صورة الوسوسة
بقوله تعالى (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) أى لا يزول ولا يختل أى هل
أدلك على الشجرة التى من أكل منها خلد ولا يموت أصلا ودام ملكه اما على حاله أو على أن يصير
ملكا (فأكلا منها) أى الشجرة (فبدت لهما سوآتهما) أى ظهرت فروجهما لكل منهما
بسبب تساقط حلل الجنة عنهما لما أكلا من الشجرة (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) أى
شرعا يلزقان ورق التين بعضه ببعض لاجل ستر عوراتهما كلما ألزقا بعضه ببعض تساقط (وعصى
آدم ربه) بأكله من الشجرة أى خالف آدم نهى ربه لانه اعتقد أن النهى عن شجرة معينة وان
غيرها ليس منهيا عنه (فغوى) أى خاب من نعيم الجنة فلم يصب بأكله من الشجرة ما أراده لانه
انما أكل منها ليصير ملكه دائما فلما أكل زال ملكه وخاب سعيه (ثم اجتباه ربه) أى قربه
بالتوفيق للتوبة (فتاب عليه) أى قبل توبته حين تاب هو وزوجته (وهدى) الى الثبات على
التوبة والتمسك بأسباب العصمة (قال اهبطا منها جميعا) أى انزلا يا آدم وحواء من الجنة الى الارض
(بعضكم لبعض عدو) فالخطاب لآدم وحواء ولابليس وقيل مع آدم وذريته قابيل واقليما (فاما
يأتينكم منى هدى) أى فان يأتكم يا ذرية آدم منى دلالة من كتاب ورسول (فمن اتبع هداى)
أى دلالتى (فلا يضل) فى الدين والدنيا (ولا يشقى) بسبب الدين فيها وفى الآخرة (ومن أعرض
عن ذكرى) أى عن الهدى الداعى الى (فان له) فى الدنيا (معيشة ضنكا) أى ضيقة وهى
معيشة الكافر فانه يكون حريصا على الدنيا طالبا للزيادة أبدا فحالته مظلمة لان مطامح نظره مقصورة
على أمتعة الدنيا وهو خائف من انتقاصها أما المسلم فهو يعيش فى الدنيا عيشا طيبا لتوكله على الله
تعالى فان المؤمن الطالب للآخرة يوسع ببركة الايمان (ونحشره) أى المعرض عن الادلة (يوم
القيامة أعمى) أى فاقد البصر أى فاذا خرج هو من القبر خرج بصيرا فاذا سيق الى المحشر عمى فاذا
دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله (قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا) فى الدنيا وعند
البعث (قال كذلك) أى مثل ذلك فعلت أنت ثم فسره بقوله تعالى (أتتك آياتنا) أى دلائلنا
فى الدنيا واضحة بحيث لا تخفى على أحد (فنسيتها) أى تركتها (وكذلك) أى مثل تركك آياتنا فى

(ولم نجد له عزما) أى حفظا لما أمر به وقوله (ولا تضحى) أى لا يؤذيك حر الشمس وقوله (شجرة الخلد) يعنى من أكل منها لم يمت وقوله (فغوى) أى أخطأ ولم ينل مراده مما أكل ويقال لم يرشد (ثم اجتباه) أى اختاره (ربه فتاب عليه) أى عاد عليه بالرحمة والمغفرة (وهدى) أى وهداه الى التوبة وقوله (ومن أعرض عن ذكرى) أى موعظتى وهى القرآن (فان له معيشة ضنكا) أى ضيقا يعنى فى جهنم وقيل يعنى عذاب القبر (ونحشره يوم القيامة أعمى) أى أعمى البصر (قال كذلك أتتك آياتنا) يقول كما أتتك آياتى (فنسيتها) أى فتركتها ولم تؤمن بها (وكذلك

الدنيا

[illegible] (أفلم يهد لهم) أى [illegible]

الدنيا (اليوم تنسى) أى تترك فى العذاب [illegible] (وكذلك) أى مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية (نجزى من أسرف) بالانهماك فى الشهوات (ولم يؤمن بآيات ربه) بل كذبها (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) من عذاب الدنيا وعذاب القبر (أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون) أى أغفلوا فلم يفعل الهداية لهم كثرة اهلا كنا القرون الاولى وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى أفلم نهد بالنون أى أفلم نبين لاهل مكة بيانا يهتدون به كثرة من أهلكنا من القرون الماضية من أصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط (يمشون فى مساكنهم) حال من ضمير لهم أى حال كون هؤلاء القريش ماشين فى منازل تلك القرون اذا سافروا الى الشام مشاهدين لآثار هلاكهم (ان فى ذلك) أى الاهلاك (لآيات) ظاهرة الدلالة على الحق (لأولى النهى) أى لأهل العقول الناهية عن القبائح (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهى عدة بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة لحكمة تقتضيه (لكان) أى الاهلاك بجناياتهم (لزاما) أى لازما لهم بحيث لا يتأخر عن جناياتهم ساعة (وأجل مسمى) عطف على كلمة أى ولولا أجل مسمى لعذابهم يوم القيامة لما تأخر عذابهم أصلا (فاصبر على ما يقولون) أى لا يضطرب قلبك يا أكرم الرسل لما صدر منهم من الاذية بالشتم والتكذيب فيما تدعيه من النبوة فقالوا ان محمدا ساحر أو مجنون أو شاعر أو غير ذلك فهذه الآية غير منسوخة (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل) أى ساعاته (فسبح وأطراف النهار) عطف على محل من آناء المنصوب بسبح المقرون بالفاء الزائدة أو عطف على قبل أى فى طرفى نصفيه أى فى الوقت الذى يجمع الطرفين وهو وقت الزوال فهو نهاية للنصف الاول وبداية للنصف الثانى أى اشتغل بتنزيه الله تعالى فى هذه الاوقات عما ينسبونه اليه تعالى مما لا يليق به حامدا له على ما ميزك بالهدى أو المعنى صل وأنت حامد لربك على كمال هدايته اياك صلاة الصبح وصلاة العصر وصلاة المغرب والعشاء وصلاة الظهر (لعلك ترضى) رجاء أن تنتفع بذلك وترضى به نفسك وقرأ الكسائى وأبو بكر عن عاصم بضم التاء أى لعلك تعطى ما يرضيك (ولا تمدن عينيك) أى لا تطل نظرهما (الى ما متعنا) أى ألذذنا (به أزواجا) أى أصنافا (منهم) أى الكفرة من بنى قريظة والنضير (زهرة الحياة الدنيا) أى زينتها بدل من أزواجا أو حال من ما الموصولة أو من الهاء فى به (لنفتنهم فيه) أى لنعذبهم فى الآخرة بسببه أو لنجعل ذلك فتنة لهم بأن يزيدوا بذلك طغيانا (ورزق ربك خير وأبقى) أى ما أوتيته من يسير الدنيا اذا قرنته بالطاعة خير لك من حيث العاقبة وأبقى لان أموالهم اغلب عليها الغصب والسرقة فالحلال خير وأبقى قال أبو رافع نزل ضيف بالنبى صلى الله عليه وسلم فبعثنى الى يهودى لبيع أو سلف فقال والله لا أفعل ذلك الا برهن فأخبرته صلى الله عليه وسلم بقوله فأمرنى أن أذهب بدرعه الحديد اليه فنزل قوله تعالى ولا تمدن عينيك وقال أبو مسلم أى لا تأسف على ما فاتك مما نال قوم من حظ الدنيا فالذى نهى عنه الاسف لا النظر (وأمر أهلك) أى أهل دينك (بالصلاة) لئلا يهتموا بأمر المعيشة ولا يلتفتوا لفت أرباب الثروة (واصطبر عليها) أى على مشاقها وثابر عليها غير مشتغل بأمر المعاش (لا نسألك رزقا) أى لا نكلفك أن ترزق نفسك ولا أهلك (نحن نرزقك) واياهم ففرغ بالك بأمر الآخرة (والعاقبة للتقوى) أى لعاقبة الجميلة

لهم بيانا يهتدون به (كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون) هؤلاء اذا سافروا (فى مساكنهم) أولئك الذين أهلكناهم بتكذيب الانبياء (ان فى ذلك لآيات) أى لعبرا (لأولى النهى) لذوى العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك) فى تأخير العذاب عنهم (وأجل مسمى) وهو القيامة (لكان لزاما) أى لكان العذاب لازما لهم فى الدنيا وقوله (وسبح بحمد ربك) أى صل لربك (قبل طلوع الشمس) أى صلاة الفجر (وقبل غروبها) أى صلاة العصر (ومن آناء الليل فسبح) أى فصل المغرب والعشاء (وأطراف النهار) أى صل صلاة الظهر فى طرف النصف الثانى وسمى الواحد باسم الجمع لتكرر الصلوات (لعلك ترضى) أى لكى ترضى من الثواب فى المعاد (ولا تمدن) مفسر فى سورة الحجر الى قوله (زهرة الحياة الدنيا) أى زينتها وبهجتها (لنفتنهم فيه) أى لنجعل ذلك فتنة لهم (ورزق ربك) أى لك فى المعاد (خير وأبقى) أى أكثر وأدوم (وأمر أهلك بالصلاة) يعنى قريشا وقيل أهل بيته (لا نسألك رزقا) لخلقنا ولا لنفسك (نحن نرزقك والعاقبة) أى الجنة (للتقوى) أى لأهل التقوى يعنى لك ولمن صدقك ونزلت هذه الآيات لما استسلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهودى وأبى أن يعطيه الا برهن وحزن لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا هل تقوى الله تعالى (وقالوا) أي مشركو مكة (لولا يأتينا بآية من ربه) أي هلا يأتينا محمد بآية تدل على صدقه في دعوى النبوة وبآية مما اقترحناها قال تعالى رداعليهم (أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى) أي ألم يكفهم اشتمال القرآن على بيان ما في التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية في كونه آية دالة على صدق محمد حتى طلبوا غيرها فإن في الصحف الاولى بشارة بصفة محمد ونبوته وبعثته وانباء الأمم الماضية واهلاكهم بتكذيب الرسل وجحود الآيات (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) أي ولو أنا أهلكنا أهل مكة في الدنيا بعذاب مستأصل من قبل مجيء محمد اليهم بالقرآن (لقالوا) يوم القيامة (ربنا لولا أرسلت الينا) أي ألم ترسل الينا في الدنيا (رسولا) مع كتاب (فنتبع آياتك) أي أي فنطيع رسولك ونؤمن بكتابك (من قبل أن نذل) أي أن يحصل لنا الذل بالعذاب في الدنيا (ونخزى) أي أن يحصل لنا الفضيحة بدخول النار اليوم ولكنا لم نهلكهم قبل اتيان البينات فانقطعت معذرتهم فعند ذلك قالوا بلى قد جاء نا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء روى أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتج على الله تعالى يوم القيامة ثلاثة الهالك في الفترة يقول لم يأتني رسول والا كنت أطوع خلقك لك والمغلوب على عقله يقول لم تجعل لي عقلا أنتفع به ويقول الصبي كنت صغيرا لا أعقل فترفع لهم نار ويقال لهم ادخلوها فيدخلها من كان في علم الله انه سعيد ويبقى من في علمه انه شقي فيقول الله تعالى لهم عصيتم اليوم فكيف برسلي لو أتوكم (قل) لأولئك الكفرة المتمردين (كل) أي كل واحد منا ومنكم (متربص) أي منتظر لما يؤول اليه أمرنا وأمركم اما قبل الموت بسبب الأمر بالجهاد أو بسبب ظهور القوة واما بالموت فان كل واحد من الخصمين ينتظر موت صاحبه واما بعد الموت بظهور أمر الثواب والعقاب فيظهر على المحق أنواع كرامة الله تعالى وعلى المبطل أنواع اهانته (فتربصوا) وقرئ فتمتعوا (فستعلمون) عن قريب بوعد من الله لا خلف فيه (من أصحاب الصراط السوي) أي العدل وقرئ السواء أي الوسط الجيد وقرئ السوء والسوأى والسوي تصغير السوء (ومن اهتدى) اليه أنحن أم أنتم وهذا تهديد للكفار

﴿سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية وألف ومائة وثمان وثلاثون كلمة وأربعة آلاف وثمان ومائة وستون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم) أي قرب من كفار قريش وقت حساب أعمالهم الموجبة للعقاب فان كل آت قريب وان طالت أوقات ترقبه (وهم في غفلة) أي والحال انهم منكرون للحساب لا يتفكرون في عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم انه لابد من جزاء المحسن والمسيء (معرضون) عن الآيات المنبهة لهم عن سنة الغفلة (ما يأتيهم من ذكر) أي من جزء نازل من القرآن ينبههم عن الغفلة اتم تنبيه (من ربهم) متعلق بيأتيهم (محدث) أي متجدد تنزله بآية بعد آية وسورة بعد سورة بحسب اقتضاء الحكمة قرأ ابن أبي عبلة محدث بالرفع صفة لمحل ذكر (الا استمعوه وهم يلعبون) أي والحال انهم يهزؤن (لاهية قلوبهم) حال من واو يلعبون والمعنى ما يأتيهم ذكر من ربهم محدث في حال من الاحوال الا حال استماعهم اياه مستهزئين به حال كون قلوبهم غافلة عن معناه لفرط اعراضهم عن النظر في الامور وعن التفكر في العواقب وقرأ ابن أبي عبلة لاهية بالرفع خبر ثان أو خبر مقدم (وأسروا النجوى) أي بالغوا في اخفاءها تناجي وجعلوه بحيث لا يفطن أحد لتناجيهم (الذين ظلموا) بدل من واو أسروا أو مبتدأ وخبره أسروا النجوى والمعنى وهم أسروا النجوى فوضع المظهر موضع

المضمر

(الصحف الاولى) يعني أن في القرآن بيان ما في التوراة والانجيل والزبور (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) اي من قبل نزول القرآن وقوله (من قبل أن نذل) أي بالعذاب (ونخزى) أي في جهنم (قل) يا محمد لهم (كل متربص) أي منتظر دوائر الزمان ولمن تكون النصرة (فتربصوا فستعلمون) في القيامة (من أصحاب الصراط السوي) أي المستقيم (ومن اهتدى) من الضلالة أنحن أم أنتم

﴿تفسير سورة الانبياء عليهم السلام﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (اقترب للناس) يعني أهل مكة (حسابهم) أي وقت محاسبة الله اياهم على أعمالهم يعني يوم القيامة (وهم في غفلة) أي عن التأهب لذلك (معرضون) يعني عن الايمان (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) يعني ما يحدث الله من تنزيل شيء من القرآن يذكرهم ويعظهم به (الا استمعوه وهم يلعبون) أي يستهزؤن به (لاهية) أي غافلة (قلوبهم وأسروا النجوى) أي قالوا سرا فيما بينهم (الذين ظلموا) أي أشركوا وهو أنهم قالوا

بالمنصر تسبيجيلا على فعلهم ايا ما قلتم (هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) فهل بمعنى النفي والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ثم سائلتمون فاعل تأتون مؤكدة للاستبعاد فالجملتان الاستفهاميتان فى محل نصب على انهما محكيتان للنجوى لانها فى معنى القول والمعنى مامحمد الا بشر من جنسكم فكيف يختص عنكم بالرسالة وما أتى به سحر أتعلمون ذلك فتحضرونه على وجه القبول والحال انكم تبصرون بأعينكم انه آدمى مثلكم وان ماظهر منه من نوع السحر (قال) أى محمد وهو حكاية من الله لقول رسوله وهذا قراءة حمزة والكسائى وحفص عن عاصم وقرأ الباقون قل على الأمر للرسول صلى الله عليه وسلم (ربى يعلم القول) الكائن (فى السماء والارض) سواء كان سرا أم جهرا (وهو السميع العليم) فيجازيهم بأقوالهم وأفعالهم (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية) وهذا متصل بقوله تعالى هل هذا الا بشر فان الظالمين لم يقتصروا على قولهم فى حقه صلى الله عليه وسلم هل هذا الا بشر وفى حق ماظهر على يده من القرآن انه سحر بل قالوا ما أتانا به محمد أباطيل أحلام كاذبة رآها فى النوم بل اختلق محمد ما أتانا به من تلقاء نفسه من غير ان يكون له أصل بل محمد هو شاعر فما أتى به كلام يخيل للسامع معانى لا حقيقة لها ويرغبه فيها فترتيب كلامهم كانهم قالوا ندعى أن كون محمد بشرا مانع من كونه رسولا لله فان سلمنا أنه غير مانع فلا نسلم ان هذا القرآن معجز فان ساعده على ان فصاحته خارجة عن مقدور البشر قلنا لا يجوز أن يكون ذلك سحرا وان لم تساعده فصاحته عليه فان ادعينا كونه فى غاية الركاكة قلنا انه أضغاث أحلام وان ادعينا انه متوسط بين الركاكة والفصاحة قلنا انه افتراء وان ادعينا انه كلام فصيح قلنا انه من جنس فصاحة سائر الشعراء وعلى جميع هذه التقديرات فانه لا يثبت كونه معجزا ولا يثبت كون محمد رسولا لله تعالى وان لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من الله تعالى فليأتنا بآية (كما أرسل الأولون) أى بآية كائنة مثل الآية التى أرسل بها الاولون كاليد والعصا والناقة ونظائرها حتى نؤمن به قال الله تعالى مجيبا لهم (ما آمنت قبلهم) أى قبل مشركى مكة (من قرية أهلكناها) باهلاك أهلها العدم ايمانهم بعد مجئ ما اقترحوه من الآيات (أفهم يؤمنون) أى ان الأمم المهلكة لم يؤمنوا عند اعطاء مااقترحوه من الآيات أهم لم يؤمنوا فهؤلاء يؤمنون لو أعطوا ما اقترحوا مع كونهم أشد عتوا من أولئك (وما أرسلنا قبلك الا رجالا) أى وما أرسلنا الى الأمم قبل ارسالك الى أمتك الا رجالا مخصوصين من أفراد جنسك متأهلين للارسال ولم يكونوا ملائكة (نوحى اليهم) بواسطة الملك كما نوحى اليك من غير فرق وقرئ يوحى اليهم بالياء على صيغة المبنى للمفعول (فاسألوا) أيها الجهلة (أهل الذكر) أى أهل الكتاب التوراة والانجيل فانهم يخبرونكم بحقيقة الحال ليزول شككم (ان كنتم لا تعلمون) أن الرسل بشر فأنتم الى تصديقهم أقرب من تصديقكم للذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (وما جعلناهم) أى الرسل (جسدا لا يأكلون الطعام) أى وما جعلناهم جسدا مستغنيا عن الاكل والشرب بل محتاجا الى ذلك لتحصيل بدل ما يخرج منه (وما كانوا) أى الرسل (خالدين) فى الدنيا بل يموتون كغيرهم لان عاقبة لتحلل هو الفناء (ثم صدقناهم الوعد) أى ثم صدقناهم فى الوعد الذى وعدناهم باهلاك من كذبهم (فأنجيناهم ومن نشاء) ممن

ما يقال (فى السماء والارض وهو السميع) للاقوال (العليم) بالافعال ثم أخبر أن المشركين اقتسموا القول فى القرآن وأخذوا ينقضون أقوالهم بعضها ببعض فيقولون مرة هو أضغاث أحلام أى أباطيلها يعنون أنه يرى ما أتى به فى النوم رؤيا باطلة ومرة هو مفترى ومرة هو شعر ومحمد شاعر (فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) بالآيات مثل الناقة والعصا واليد فاقترحوا الآيات التى لا يقع معها الامهال اذا كذب بها فقال الله (ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها) بالآيات التى اقترحوها (أفهم يؤمنون) يريد أن اقتراح الآيات كان سببا للعذاب والاستئصال للقرون الماضية وكذلك يكون لهؤلاء (وما أرسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم) رد القولهم هل هذا الا بشر مثلكم (فاسألوا) يا أهل مكة (أهل الذكر) أى من آمن من أهل الكتاب (ان كنتم لا تعلمون) أى أن الرسل بشر (وما جعلناهم) أى الرسل (جسدا) يريد أجسادا (لا يأكلون الطعام) وهذا رد لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام فاعلموا أن الرسل جميعا كانوا يأكلون الطعام وأنهم يموتون وهو قوله (وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد) أى ما وعدناهم من عذاب من كذبهم وانجائهم مع من تابعهم وهو قوله (فأنجيناهم ومن نشاء

يصدقونهم (وأهلكنا المسرفين) أى المجاوزين للحدود فى الكفر بعذاب الاستئصال فى الدنيا (لقد أنزلنا اليكم) يامعشر قريش (كتابا) أى قرآنا (فيه ذكركم) أى فيه مايوجب الثناء عليكم لكونه بلسانكم وفيه موعظتكم (أفلا تعقلون) أى ألا تتفكرون فلا تعقلون ان ذلك الكتاب شرفكم وسبب اشتهاركم لكونه نازلا بينكم على لسان رسول منكم (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمه) أى وكثيرا كسرنا من أهل قرية كانوا كافرين بآيات الله بأن قتلوا بالسيوف (وأنشأنا بعدها) أى بعد اهلاك أهلها (قوما آخرين) أى ليسوا منهم نسبا ولادينا فسكنوا ديارهم (فلما أحسوا بأسنا) أى أدركوا عذابنا الشديد (اذاهم منها) أى القرية (يركضون) أى يهربون مسرعين فقيل لهم بلسان الحال أو بلسان المقال (لاتركضوا) أى لاتهربوا (وارجعوا الى ماأترفتم) أى أنعمتم (فيه) من العيش والحال الناعمة (ومساكنكم) التى كنتم تفتخرون بها (لعلكم تسئلون) أى لكى يسألكم الوافدون عطايا كم امالانهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس أوكانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم (قالوا) لما أيقنوا بنزول العذاب (ياويلنا) أى هلا كنا (انا كنا ظالمين) أى بقتل نبينا (فمازالت تلك دعواهم) أى قولهم أى فلم يزالوا يكررون هذه الكلمة فلم ينفعهم ذلك (حتى جعلناهم حصيدا) أى مثل الزرع المحصود بالمناجل فى استئصالهم (خامدين) أى ميتين لايتحركون أى انهم أهلكوا بالعذاب حتى لم يبق لهم حس ولاحركة وجفوا كما يجف الحصيد وخمدوا كما تخمد النار وهذه قصة أهل قرية فى جهة اليمن يقال لها حضور بفتح الحاء وبالضاد المعجمة بعث الله لهم نبيا وهو موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب وكان قبل موسى بن عمران فقتلوا ذلك النبى عليه السلام فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه الله على أهل بيت المقدس فلما علموا انهم مدركون خرجوا هاربين فقالت لهم الملائكة استهزاء لاتركضوا الخ فرجعوا فقتلهم جميعا ولم يترك فيهم عينا تطرف فلما رأوا القتل فيهم أقروا بذنبهم وندموا وقالوا ياويلنا أى ياويل احضر فهذا وقتك ولم ينفعهم هذا الندم كقوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم (وماخلقنا السماء والارض ومابينهما لاعبين) أى وماسوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع ومابينهما من العجائب التى لا تحصر أنواعها خالية عن الحكم كما تسوى الجبابرة سقوفهم وفروشهم للعب وانما سويناها لفوائد دينية ودنيوية ليتفكر المتفكرون فيها ويستدلوا بها الى معرفتنا ولمنافع التى لاتحصى (لوأردنا أن نتخذ لهوا) أى مايلعب به (لاتخذناه من لدنا) أى من جهة قدرتنا مما يليق بشأننا من المجردات لامن الاجسام المرفوعة والاجرام الموضوعة لكن يستحيل ارادتناله لمنافاته الحكمة فيستحيل اتخاذناله قطعا (ان كنا فاعلين) اتخاذ اللهو وأردناه لكنا لم نرده فلم نتخذه ويجوز أن تكون ان نافية أى ما كنا فاعلين اتخاذ اللهو لعدم ارادتنا به (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه) أى يذهبه بالكلية كما فعلنا بأهل القرى المحكية (فاذاهو) أى الباطل (زاهق) أى ذاهب بالكلية وهذا انتقال من ارادة اتخاذ اللهو الى تنزيه ذاته تعالى كأنه تعالى قال سبحاننا ان نريد اتخاذ اللهو بل شأننا بمقتضى حكمتنا ان نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق والمقصود من هذه الآية تقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورد على منكريها لانه تعالى أظهر المعجزة عليه صلى الله عليه وسلم فان كان محمد

(...) قصمنا) أى أهلكنا (من قرية كانت ظالمة) يعنى أهلها (...) بعد اهلاكها (قوما آخرين) نزلت فى أهل قرى باليمن كذبوا نبيهم وقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر حتى أهلكهم بالسيف فذلك قوله (فلما أحسوا بأسنا) أى رأوا عذابنا (اذاهم منها) أى من قريتهم (يركضون) أى يسرعون هاربين وتقول لهم الملائكة (لاتركضوا وارجعوا الى ماأترفتم فيه) أى نعمتم فيه (لعلكم تسألون) من دنياكم شيأ قالت الملائكة لهم هذا على طريق الاستهزاء بهم كأنهم قيل لهم ارجعوا الى ما كنتم فيه من المال والنعمة لعلكم تسألون فانكم أغنياء تملكون المال فلما رأوا ذلك أقروا على أنفسهم حيث لم ينفعهم و (قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين) لانفسنا بتكذيب الرسل (فمازالت تلك) أى هذه المقالة (دعواهم) أى يدعون بها ويقولون ياويلنا (حتى جعلناهم حصيدا) بالسيوف كما يحصد الزرع (خامدين) أى ميتين (وما خلقنا السماء والارض ومابينهما لاعبين) أى عبثا وباطلا أى ماخلقناهما الا لأجازى أوليائى وأعذب أعدائى (لوأردنا أن نتخذ لهوا) أى امرأة وقيل ولدا (لاتخذناه من لدنا) أى بحيث لايظهر لكم ولا تطلعون عليه (ان كنا فاعلين) أى ما كنا فاعلين ولسنا ممن يفعله (بل نقذف بالحق على الباطل) أى نلقى القرآن على باطلهم (فيدمغه) أى يذهبه ويكسره (فاذا هو زاهق) أى ذاهب كاذا

[illegible] وأن كان صادقا فهو المطلوب [illegible] (ولكم الويل) أى ولكم يا كفار مكة شدة العذاب (مما تصفون) أى من أجل قولكم بتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ونسب القرآن الى انه سحر وأضغاث أحلام الى غير ذلك من الاباطيل وهذه الآية دالة على أن اهلاك الله أهل القرية لتكذيبهم الرسل عدل منه تعالى ومجازاة على مافعلوا (وله من فى السموات والارض) فهو تعالى منزه عن طاعتهم لانه تعالى هو المالك لجميع المحدثات (ومن عنده) أى والملائكة مع كمال شرفهم ونهاية جلالتهم (لا يستكبرون عن عبادته) أى لا يتعظمون عن طاعته تعالى ولا يعدون أنفسهم كبيرا فكيف يليق بالبشر مع نهاية الضعف التمرد عن طاعته (ولا يستحسرون) أى لا يسأمون ولا يتعبون (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) أى ينزهونه تعالى فى جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة بشغل آخر قال كعب الاحبار والتسبيح لهم كالنفس لنا فهو متصل دائم فى جميع الاوقات فكما ان اشتغالنا بالتنفس لا يمنعنا من الكلام فكذا اشتغالهم بالتسبيح لا يمنعهم من سائر الاعمال (أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون) فأم بمعنى بل والهمزة ومعناها انكار انشار الاصنام للموتى لا انكار نفس الاتخاذ فاقدامهم على عبادتها يوجب عليهم الاقرار بكون الآلهة قادرين على الحشر والنشر والثواب فاذا كانوا غير قادرين على أن يحيوا ويميتوا ويضروا وينفعوا فأى عقل يجوز اتخاذهم آلهة فقوله من الارض كقولك فلان من مكة أى فلان مكى فمعنى نسبة الاصنام الى الارض اعلام بأن الاصنام التى تعبد اما أن تكون منحوتة من بعض الحجارة أو معمولة من بعض جواهر الارض وفى قوله تعالى هم ينشرون معنى الخصوصية وحاصل المعنى بل أعبد أهل مكة آلهة أرضية لا يقدر على احياء الموتى من القبور الا هم وحدهم فذكر ذلك على سبيل التهكم بهم والتجهيل (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) أى لو تولى أمور السموات والارض الهة غير الواحد الذى هو فاطرهما لبطلتا بما فيهما جميعا وحيث انتفى فسادهما علم انتفاء تدبير الهين و يدل العقل على ذلك لانا لو قدرنا الهين لكان أحدهما اذا انفرد صح منه تحريك الجسم واذا انفرد الثانى صح منه تسكينه فاذا اجتمعا وجب أن يبقيا على ما كانا عليه وقت الانفراد فيصح أن يحاول أحدهما التحريك والآخر التسكين فاما أن يحصل المرادان وهو محال لاجتماع الضدين واما أن يمتنعا وهو محال أيضا لكون كل واحد منهما عاجزا فثبت فساد نظام العالم فكان القول بوجود الهين باطلا فثبت ان مدبر العالم اله واحد واذا عرفت حقيقة هذه الدلالة عرفت أن جميع ما فى العالم السفلى والعلوى دليل على وحدانية الله تعالى (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) أى نزهوا الله عما يقول الكفار بوجود آلهة غير الله لاجل هذه الادلة فالاشتغال بالتنزيه انما ينفع بعد اقامة الادلة على كون الله تعالى منزها نبه الله تعالى على نكتة خاصة بعبدة الاصنام وهى كيف يجوز للعاقل أن يجعل الجماد الذى لا يعقل شريكا فى الألوهية لخالق العرش العظيم وموجد السموات والارضين واللوح والقلم ومدبر الخلائق من النور والظلمة والنباتات وأنواع الحيوانات والذات والصفات (لا يسئل عما يفعل) أى عما يحكم فى عباده من اعزاز واذلال وهدى واضلال واسعاد واشقاء لانه المالك القاهر (وهم) أى العباد (يسئلون) سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيامة لم فعلتم كذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم والله تعالى ليس له شريك فى الالوهية يقول له لم فعلت كذا (أم اتخذوا من دونه آلهة) أى بل أوصفوا الله تعالى بأن له شريكا وهذا استقباح أمرهم واظهار جهلهم (قل) يا أكرم الرسل (هاتوا برهانكم) على اثبات الآلهة اما من جهة العقل أو من جهة النقل كما أتيت أنا ببرهان النقل المؤيد بالعقل (هذا ذكر من معى وذكر من قبلى) أى هذا

(ولكم الويل) يامعشر الكفار (مما تصفون) الله بما لا يليق به (وله من فى السموات والارض) عبيدا وملكا (ومن عنده) يعنى الملائكة (لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون) أى لا يملون ولا يعيون (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) أى لا يضعفون (أم اتخذوا آلهة من الارض) يعنى الأصنام (هم ينشرون) أى يحيون الأموات والمعنى أتنشر آلهتهم التى اتخذوها (لو كان فيهما) أى فى السماء والارض (آلهة الا الله) أى غير الله (لفسدتا) أى لخربتا وهلك من فيهما لوقوع التنازع بين الآلهة (لا يسأل عما يفعل) أى عن حكمه فى عباده (وهم يسألون) أى عما عملوا سؤال توبيخ (أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم) أى حجتكم على أن مع الله معبودا غيره (هذا ذكر من معى) يعنى القرآن (وذكر من قبلى) أى التوراة والانجيل فهل فى واحد من هذه الكتب الا توحيد الله

... التوحيد وهو قوله (فهم معرضون وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه) ...
... لم يبعث رسولا الا بتوحيد الله ولم يأت رسول أمته بأن لهم الها غير الله (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) ...
... قالوا الملائكة بنات الله والمعنى قالوا اتخذ الرحمن ولدا من الملائكة (سبحانه) نزه نفسه عما

اثبات وحدانية الله عظة أمتى وعظة الأمم الماضية فهم متمسكون على التوحيد فاقيموا أنتم برهانكم على تعدد الاله ولا يمكن اثبات التعدد بالبرهان (بل أكثرهم لا يعلمون الحق) ولا يميزون بين الحق والباطل (فهم معرضون) عن استماع الحق أى ان وقوعهم فى المذهب الباطل ليس لاجل دليل ساقهم اليه بل ذلك لان عندهم ما هو أصل الفساد وهو عدم العلم ثم تفرع منه الاعراض عن طلب الحق (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) أى فوحدونى فالحكمة فى بعث الرسل مقصورة على المصلحتين اثبات وحدانية الله تعالى وعبادته بالاخلاص وقرأ حفص وحمزة والكسائى بالنون والباقون على صيغة الغائب مبنيا للمفعول (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) أى وقال فرق من أجناس العرب وهم خزاعة وجهينة و بنو سلمة و بنو مليح الملائكة بنات الله (سبحانه) أى تنزه الله تعالى تنزيها لائقا بذاته تعالى (بل عباد) أى ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد الله تعالى فالعبودية تنافى الولدية كما ان الولد للانسان لا يكون عبده (مكرمون) أى مقربون عنده تعالى ومفضلون على سائر العباد بالعصمة (لا يسبقونه بالقول) فاتهم يتبعونه فى قوله تعالى ولا يقولون شيأ حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله (وهم بأمره يعملون) أى فلا يعملون عملا ما لم يؤمروا به (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى يعلم ما قدموا وما أخروا من أعمالهم أى لما علموا كونه تعالى عالما بكل شئ علموا كونه تعالى عالما بظواهرهم و بواطنهم فكان ذلك داعيا لهم الى نهاية الخضوع وكمال العبودية (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) أى لمن هو مرضى عند الله وهو من قال لا اله الا الله ولا يشفعون لمن لم يأذن الله شفاعته مهابة من الله تعالى (وهم من خشيته) تعالى (مشفقون) أى مرتعدون فلا يأمنون من مكره تعالى وهم خائفون أن يؤاخذهم الله بما قالوا أو بما عملوا وهذه المذكورات صفات للعبيد لا صفات للاولاد (ومن يقل منهم) أى الملائكة (انى اله من دونه) أى من غير الله (فذلك نجزيه جهنم) ولا ينفعهم ما ذكر من صفاتهم السنية وأفعالهم المرضية وهذا على سبيل التقدير اذ لم يقع من واحد من الملائكة انه قال ما ذكر وفى ذلك دلالة على قوة ملكوته تعالى وعزة جبروته (كذلك نجزى الظالمين) أى مثل ذلك الجزاء نجزى الذين يضعون الاشياء فى غير مواضعها (أولم ير الذين كفروا) أى ألم يتفكروا ولم يعلموا (أن السموات والارض كانتا رتقا) أى مستوية صلبة ملتزقا بعضها على بعض لم تنزل من السماء قطرة من مطر ولم ينبت على الارض شئ من النبات (ففتقناهما) أى شققنا السماء بنزول المطر منها وشققنا الارض بظهور النبات عليها وقرأ ابن كثير ألم ير بغير واو بين الهمزة ولم (وجعلنا من الماء كل شئ حى) أى خلقنا من ماء الذكر والأنثى كل حيوان أو صيرنا كل شئ حى بسبب من الماء لا بد له من ذلك وقرئ حيا بالنصب مفعولا ثانيا (أفلا يؤمنون) أى ألا يتدبرون هذه الأدلة فلا يؤمنون بتوحيدى (وجعلنا فى الارض رواسى) أى جبالا ثوابت أوتادا لها (أن تميد بهم) أى كراهة أن تتحرك بهم قال ابن عباس ان الارض بسطت على الماء فكانت تتكفأ بأهلها كما تتكفأ السفينة فأرساها الله تعالى بالجبال الثقال (وجعلنا فيها) أى فى الجبال (فجاجا) أى مسالك واسعة (سبلا لعلهم يهتدون)

يقولون (بل هم عباد مكرمون) أى باكرام الله اياهم (لا يسبقونه بالقول) أى لا يتكلمون الا بما يأمرهم به (وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى ما عملوا وما هم عاملون (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) أى لمن قال لا اله الا الله (وهم من خشيته مشفقون) أى خائفون لانهم لا يأمنون مكر الله تعالى (ومن يقل منهم) أى من الملائكة (انى اله من دونه) أى من دون الله (فذلك نجزيه جهنم) يعنى ابليس حيث ادعى الشركة فى العبادة ودعا الى عبادة نفسه (كذلك نجزى الظالمين) أى المشركين الذين يعبدون غير الله (أولم ير) أى أولم يعلم (الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا) أى مسدودة (ففتقناهما) يريد بالماء والنبات كانت السماء لا تمطر والارض لا تنبت ففتقهما الله بالمطر والنبات (وجعلنا) أى وخلقنا (من الماء كل شئ حى) يعنى أن جميع الحيوانات مخلوقة من الماء كقوله والله خلق كل دابة من ماء ثم بكتهم وعيرهم على ترك الايمان فقال (أفلا يؤمنون وجعلنا فى الارض رواسى) جبالا ثابتة (أن تميد بهم) أى لئلا تتحرك بهم وقوله (وجعلنا فيها) أى فى الرواسى (فجاجا سبلا) أى طرقا مسلوكة حتى يهتدوا

يهتدون) فيهم ليتمكن من مشاهدتها ولذلك يهتدون إلى مقاصدهم والى وحدانيته بالاستدلال (وجعلنا السماء سقفا) على الأرض (محفوظا) من السقوط ومن الشياطين بالشهب (وهم عن آياتها) أي عن الآيات الكائنة فيها الدالة على وحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته وارادته (معرضون) لا يتفكرون فيبقون على الكفر والضلال (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل) أي كل واحد منهما (في فلك) أي طاحونة مستديرة كهيئة فلك المغزل (يسبحون) أي يسيرون في سطح الفلك كالسبح في الماء والجملة حال من الشمس والقمر والجمع باعتبار المطالع (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) أي البقاء في الدنيا (أفان مت) يا أشرف الخلق (فهم الخالدون) في الدنيا أي ان مت أنت يا تم الرسل أيبقى هؤلاء حتى يشمتوا بموتك نزلت هذه الآية في قولهم ننتظر محمدا حتى يموت فنستريح ويحتمل انه لما ظهر انه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء جاز أن يقدر مقدر انه لا يموت اذ لو مات لتغير شرعه فنبه الله تعالى على ان حاله كحال غيره من الانبياء عليهم السلام في الموت (كل نفس ذائقة الموت) أي ذائقة مرارة مفارقتها جسدها في الدنيا (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) أي نعاملكم بالشر والخير معاملة المختبر اختبارا لننظر أتصبرون عند الشر وتشكرون عند الخير أم لا فالشر هو المضار الدنيوية من الفقر والآلام وسائر الشدائد النازلة على المكلفين والخير هو نعم الدنيا من الصحة واللذة والسرور والتمكين من المرادات (والينا ترجعون) أي الى حكمنا ترجعون بعد الموت فنجزيكم بأعمالكم (واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا) يقولون في حال الهزء (أهذا الذي يذكر آلهتكم) بعيب ونقصان فان نافية وهي وما في حيزها جواب اذا ولا يجب اتيان الفاء في جواب اذا منفيا بأن أو بما والمعنى واذا رآك الذين كفروا كأبي جهل وأبي سفيان ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا قائلين أهذا الذي الخ ويحتمل ان جواب اذا محذوف وهو القول وتكون الجملة المنفية معترضة بين الشرط وجوابه المقدر والتقدير يقول بعضهم لبعض في حال السخرية أهذا الذي الخ (وهم بذكر الرحمن هم كافرون) وهم الاول مبتدا وخبره كافرون وبذكر متعلق بالخبر وهم الثاني تأكيد لفظي للاول وهذه الجملة حال من فاعل القول المقدر والمعنى انهم يعيبون على النبي صلى الله عليه وسلم أن يذكر بالسوء آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع والحال انهم جاحدون بذكر الرحمن عما يليق به من التوحيد وهو المنعم عليهم الخالق المحيي المميت فانهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب (خلق الانسان من عجل) أي خلق الانسان عجولا روي ان هذه الآية نزلت في النضر بن الحرث حين استعجل العذاب بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر الآية (سأريكم آياتي) أي نقماتي في الآخرة كعذاب النار وغيره وفي الدنيا كوقعة بدر فانها ستأتي في وقتها (فلا تستعجلون) في طلب العذاب قبل الاجل (ويقولون) أي كفار مكة بطريق الاستهزاء والانكار لا بطريق الالزام في تعيين وقت العذاب (متى هذا الوعد) أي وعد اراءة الآيات التي تعدنا يا محمد (ان كنتم صادقين) في وعدكم بأن العذاب يأتينا (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون) أي لا يدفعون (عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) في دفع العذاب أي لو يعلمون الوقت الذي يسألون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط النار بهم فيه من كل جانب لا يقدرون على دفعها عن أنفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم في دفعها لما استعجلوا العذاب ولما قاموا على انكارهم

جعلنا لبشر من قبلك الخلد) أي دوام البقاء (أفان مت فهم الخالدون) نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وقوله (ونبلوكم) أي نختبركم (بالشر) يعني بالبلاء والفقر (والخير) يريد المال والصحة (فتنة) أي ابتلاء لننظر كيف شكركم وصبركم (واذا رآك الذين كفروا) يعني المستهزئين (ان يتخذونك) أي ما يتخذونك (الا هزوا) يعني مهزوا به قالوا (هذا الذي يذكر آلهتكم) أي يعيب أصنامكم (وهم بذكر الرحمن هم كافرون) أي جاحدون لالهيته يريد أنهم يعيبون من يجحد الهية أصنامهم وهم جاحدون الهية الرحمن وهذا غاية الجهل (خلق الانسان من عجل) يعني أن خلقه على العجلة وعليها طبع (سأريكم آياتي) يعني ما يوعدون به من العذاب (لا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد) أي وعد القيامة (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) وجواب لو محذوف على تقدير لآمنوا ولما أقاموا على الكفر

ورجعوا الى طلب الحق فقوله حين مفعول به ليعلم (بل تأتيهم) أي النار (بغتة فتبهتهم) أي فتحيرهم (فلا يستطيعون) بقوتهم (ردها) أي دفع النار عنهم بالكلية (ولاهم ينظرون) أي يمهلون ليستريحوا طرفة عين بشؤم الانكار والاستهزاء (ولقد استهزئ برسل من قبلك) أي وبالله لقد استهزئ برسل أولى شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين في زمان قبل زمانك (فحاق) أي أحاط عقب ذلك (بالذين سخروا منهم) أي من أولئك الرسل عليهم السلام وهو متعلق بحاق (ما كانوا به يستهزؤن) أي جزاء الذي كانوا به يستهزؤن فكذلك يحيق بمن استهزؤا بك وبال استهزائهم (قل) يا أشرف الخلق للمستهزئين بك بطريق التقريع (من يكلؤكم بالليل والنهار) أي من يحفظكم في الليل اذا نمتم وفي النهار اذا انصرفتم الى معايشكم (من الرحمن) أي من عذاب الرحمن الذي تستحقونه ان نزل بكم (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) أي بل هم لا يخطرون ببالهم ذكره تعالى مع انعامه عليهم ليلا ونهارا بالحراسة فضلا أن يخافوا عذابه تعالى فلو تأملوا في انه لا حافظ لهم سواه تعالى لتركوا عبادة الأصنام التي لا حظ لها في حفظهم ولا في الانعام عليهم (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) أي بل ألهم آلهة تمنعهم مما يحزنهم كائنة من غيرنا فنحن دوننا صفة لآلهة (لا يستطيعون) أي آلهتهم (نصر أنفسهم) أي حمايتها عن الآفات فكيف تقدر على حماية غيرها (ولاهم منا) أي من عذابنا (يصحبون) أي يمنعون فكيف يمنعون غيرهم من العذاب (بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر) فحسبوا أن لا يزالوا كذلك وان ذلك بسبب ماهم عليه أي دع مازعموا من كونهم محفوظين بكلاءة آلهتهم بل ماهم فيه من الحفظ انما هو منا حفظناهم من البأساء ومتعناهم بأنواع السراء لكونهم من أهل الاستدراج والاهماك فيما يؤديهم الى العذاب (أفلا يرون أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها) أي ألا ينظر هؤلاء المشركون بالله المستعجلون بالعذاب ولا يرون أنا نأخذ أرض الكفرة واحدا بعد واحد ونفتح البلاد والقرى مما حول مكة لمحمد ونميت رؤساء المشركين المتمتعين بالدنيا وننقص من الشرك باهلاك أهله (أفهم الغالبون) على محمد وأصحابه أما كان لهم عبرة في ذلك فكيف يتوهمون انهم ناجون من بأسنا (قل) لهم (انما أنذركم بالوحي) الذي هو كلام ربكم فلا تظنوا ان ذلك من قبلي بل الله أمرني بانذاركم (ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون) قرأ ابن عامر ولا تسمع بالتاء المضمومة وكسر الميم وبنصب الاسمين أي ولا تقدر يا أشرف الرسل أن تسمع الدعاء من يتصام (ولئن مستهم نفحة) أي وبالله لئن أصابهم شيء قليل (من عذاب ربك ليقولن ياويلنا) أي يا هلاكنا (انا كنا ظالمين) على أنفسنا (ونضع الموازين القسط) أي نقيم الموازين العادلة التي توزن بها صحائف الاعمال (ليوم القيامة) أي فيه أو لاجل أهله (فلا تظلم نفس شيأ) أي حقا من حقوقها بل يوفى كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر (وان كان) أي العمل (مثقال حبة) أي وزن حبة (من خردل أتينا بها) أي أحضرنا ذلك العمل للوزن وقرأ نافع برفع مثقال على ان كان تامة (وكفى بنا حاسبين) أي محصين في كل شيء (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين) أي وبالله لقد آتيناهما كتابا جامعا بين كونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الجهل لما فيه من الشرائع وذكرا يتعظ به الناس (الذين يخشون ربهم بالغيب) حال من الفاعل أي يخشون عذاب ربهم حال كونهم في

يقيهم منهم (ولاهم منا يصحبون) أي لا يجارون من عذابنا (بل متعنا هؤلاء) الكفار (وآباءهم حتى طال عليهم العمر) أي متعناهم بما أعطيناهم من الدنيا زمانا طويلا فقست قلوبهم (أفلا يرون أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها) بالفتح على محمد (أفهم الغالبون) أم النبي وأصحابه (قل انما أنذركم) أي أخوفكم (بالوحي) أي بالقرآن الذي أوحي الي وأمرت فيه بانذاركم (ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون) كذلك أنتم يامعشر المشركين (ولئن مستهم) أي أصابتهم (نفحة) قليل شيء وأدنى شيء (من عذاب ربك) لأقروا على أنفسهم بسوء صنعهم وهو قوله (ليقولون ياويلنا انا كنا ظالمين ونضع الموازين القسط) أي ذوات القسط أي العدل (فلا تظلم نفس شيأ) أي لا يزاد على سيئاته ولا ينقص من حسناته (وان كان) أي ذلك الشيء (مثقال حبة من خردل أتينا بها) أي جئنا بها (وكفى بنا حاسبين) أي مجازين وهذا تهديد (ولقد أتينا موسى وهارون الفرقان) أي البرهان الذي فرق به بين حقه وباطل فرعون (وضياء) يعني التوراة الذي كان ضياء يعني هدى ونورا (وذكرا) أي وعظة (للمتقين) أي من قومه الخلوات

[illegible] لأن ذلك مما يظهرونه فى الملأ أو
يخشون ربهم بالغيب أى يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم فيعملون له تعالى (وهم من
الساعة) أى مما يجرى فى يوم القيامة من الحساب والسؤال والميزان (مشفقون) أى خائفون
فيعدلون بسبب ذلك الخوف عن معصية الله تعالى (وهذا) أى القرآن (ذكر مبارك) أى كثير
النفع غزير العلم (أنزلناه) على أشرف الرسل محمد صلى الله عليه وسلم (أفأنتم له منكرون) أى
أبعد أن علمتم ان شأن القرآن كشأن التوراة فى كونه منزلا من عندنا فأنتم يا أهل مكة جاحدون
للقرآن خاصة دون كتاب اليهود فانهم كانوا يراجعون اليهود فيما عن لهم من المشكلات (ولقد آتينا
ابراهيم رشده) أى اهتداءه لوجوه الصلاح فى الدين والدنيا ونبوته (من قبل) أى من قبل ايتاء موسى
وهرون التوراة (وكنا به عالمين) أى بأنه لائق بما آتيناه يقوم بحقه ويجتنب ماينفر قومه من
القبول (اذقال) ابراهيم (لأبيه) آزر (وقومه) نمروذ بن كنعان وأصحابه (ماهذه التماثيل التى
أنتم لها عاكفون) أى ماهذه الصور التى أنتم عابدون لها وكانت تلك الاصنام اثنين وسبعين صنما
بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من رصاص وبعضها من نحاس وبعضها
من حجر وبعضها من خشب وكان كبيرها من ذهب مكللا من جواهر فى عينيه ياقوتتان متقدان
تضيئان فى الليل (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فنحن نعبدها اقتداء بهم فلم يجدوا فى جوابه الا طريقة
التقليد فأجابهم ابراهيم وأبطله على طريقة التوكيد القسمى بقوله (قال) لهم ابراهيم (لقد كنتم
أنتم وآباؤكم) الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة (فى ضلال مبين) أى فى خطأ بين بحيث لايخفى على أحد
من العقلاء ذلك والتقليد انما جاز لمن علم فى الجملة انه على الحق (قالوا أجئتنا) يا ابراهيم فى قولك
هذا (بالحق) أى بالجد (أم أنت من اللاعبين) أى من المازحين بنا فيه (قال) ابراهيم (بل ربكم
رب السموات والارض الذى فطرهن) أى خلقهن على غير مثال سبق وهو الذى خلقها لمنافع العباد
وهو الذى يستحق أن يعبد لان من يقدر على ذلك يقدر على أن يضر وينفع فى الدار الآخرة بالعقاب
والثواب (وأنا على ذلكم) أى كون ربكم رب السموات والارض فقط (من الشاهدين) بذلك
فأنا قادر على اثبات الحجة فى ذلك وانى لست مثلكم أقول بغير اثبات الحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج
لمذهبكم ولم تزيدوا على مجرد التقليد بآبائكم (وتالله لأكيدن) أى لأكسرن (أصنامكم بعد أن
تولوا مدبرين) أى بعد أن تنطلقوا ذاهبين الى العيد روى أن آزر خرج فى يوم عيد لهم فبدؤا
ببيت الاصنام فدخلوا فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وذهب معهم ابراهيم فلما
كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال انى سقيم أشتكى رجلى فتركوه ومضوا ثم نادى فى آخرهم وقد بقى
ضعفاء الناس حيث قال وتالله لأكيدن أصنامكم فسمع قوله الضعفاء فرجع ابراهيم الى بيت
الاصنام (فجعلهم) أى الاصنام (جذاذا) أى قطاعا (الا كبيرا لهم) لم يكسره (لعلهم اليه)
أى الى مقالة ابراهيم (يرجعون) فيبكتهم فيعدلون عن الباطل أى ان ابراهيم عليه
السلام لما دخل بيت الأصنام وجد فى قبالة الباب صنما عظيما والى جنبه أصغر منه وهكذا كل
صنم أصغر من الذى يليه وكانوا وضعوا عند الاصنام طعاما يأكلون منه اذا رجعوا من عيدهم
اليهم فقال لهم ابراهيم ألا تأكلون فكسرها كلها بفأس فى يده حتى لم يبق الا الكبير ثم علق
الفأس فى عنقه (قالوا) حين رجعوا من عيدهم ورأوا مارأوا (من فعل هذا) أى التكسير (بآلهتنا
انه) أى من فعل (لمن الظالمين) اما لجراءته على اهانة الآلهة أو لافراطه فى الكسر أو لتعريض نفسه
للهلكة فانهم كانوا يعتقدون فى الاصنام انها تماثيل الكواكب وانها طلسمات موضوعة بحيث ان

تبارك) يعنى القرآن (أفأنتم له
منكرون) أى جاحدون
(ولقد آتينا ابراهيم
رشده) أى هداه وتوفيقه
(من قبل) أى من قبل
موسى وهرون (وكنا به
عالمين) أى انه أهل لما
آتيناه (اذ قال لأبيه وقومه
ماهذه التماثيل) أى
الاصنام (التى أنتم لها
عاكفون) أى على
عبادتها مقيمون (قالوا
وجدنا آباءنا لها عابدين)
فاقتدينا بهم (قالوا أجئتنا
بالحق) يعنون أجاد أنت
فيما تقول (أم أنت من
اللاعبين) لاعب (قال بل
ربكم رب السموات
والارض الذى فطرهن
وأنا على ذلكم من
الشاهدين) أى أشهد على
أنه خلقها (وتالله لأكيدن
أصنامكم) أى لأمكرن بها
(بعد أن تولوا مدبرين)
قال ذلك فى يوم عيد لهم
وهم يذهبون الى الموضع
الذى يجتمعون فيه (فجعلهم
جذاذا) أى حطاما ورفاتا
(الا كبيرا لهم) أى عظيم
الآلهة فانه لم يكسره (لعلهم
اليه) أى الى ابراهيم ودينه
(يرجعون) اذا قامت
الحجة عليهم ولما انصرفوا
(قالوا من فعل هذا بآلهتنا
انه لمن الظالمين) قال الذى
سمع قوله لأكيدن أصنامكم

[illegible] استخف بها الله منها ضرب شديد (قالوا) أي الذين [illegible]
ابراهيم وأخبروا أن كابرهم (سمعنا فتى يذكرهم) أي يعيب الاصنام ويسبها فلعله هو الذي فعل
بها هذا الفعل (يقال له ابراهيم) أي يطلق عليه هذا الاسم وهذه صفة ثانية الفتى (قالوا) أي فيما
بينهم والقائل لذلك القول هو النمروذ (فأتوا به) أي بابراهيم (على أعين الناس) أي حال كونه
ظاهر الناس (لعلهم) أي بعض الناس (يشهدون) عليه بفعله فكل ما لم يحكم على جماعة بالجناية
من غير بينة أسوأ حالا فلا يحكم بعض الكفار على أهل الخيانة الا بحضور عدول (قالوا) أي قال له نمروذ
بعد اتيانه (أأنت فعلت هذا) أي الكسر (بآلهتنا يا ابراهيم) قال ابراهيم متهكما بهم وملزما بالحجة
(بل فعله كبيرهم هذا) أي الذي الفأس على عنقه وهو مشير الى الذي لم يكسره وسلك عليه السلام
مسلكا تعريضيا يؤديه الى مقصده الذي هو الزامهم الحجة على ألطف وجه يحملهم على التأمل في شأن
آلهتهم فهذا يستلزم نفي فعل الصنم الكبير للكسر واثباته لنفسه عليه السلام وهو اشارة لنفسه
على الوجه الابلغ مضمنا فيه الاستهزاء والتضليل اذ القاعدة انه اذا دار فعل بين قادر عليه وعاجز عنه
وأثبت للعاجز بطريق التهكم به لزم منه انحصاره في القادر فهذا نعت لكبيرهم أو بدل منه وقيل هو
خبر لكبيرهم وتم الكلام عند قوله بل فعله وفاعل الفعل محذوف أي فعله من فعله ويروى عن
الكسائي أنه كان يقف عند قوله بل فعله ثم يستبدئ كبيرهم هذا وقرأ محمد بن السميفع فعله كبيرهم
بتشديد اللام أي فلعل الفاعل كبيرهم هذا (فاسألوهم) أي الاصنام عن كاسرهم (ان كانوا
ينطقون) حتى يخبروكم من كسرهم وجواب الشرط هو ما قبله وهذا مرتبط بقوله بل فعله كبيرهم
فيكون اسناد الفعل الى كبيرهم مشروطا بكونهم ناطقين فلما لم يكونوا ناطقين امتنع أن يكون الكبير
فاعلا والمعنى بل فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فاسألوهم وهذه التأويلات لنفي كذب سيدنا ابراهيم
والاولى هو الاول فان التعريض لا يسمى كذبا وأيضا يجوز أن يكون الله تعالى قد أذن له في ذلك
الكلام لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما أذن ليوسف عليه السلام حين نادى مناديه
فقال أيتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا (فرجعوا الى أنفسهم) بالتفكر فلاموها (فقالوا) أي
قال بعضهم لبعض فيما بينهم أو قال لهم ملكهم نمروذ (انكم أنتم الظالمون) بعبادة الاصنام لا من كسرها
ومن قام في حقه انه لمن الظالمين فانهم علموا بعد التفكر ان عبادة الاصنام باطلة وانهم على غرور
في ذلك أو أنتم الظالمون لأنفسكم حيث سألتم من ابراهيم عن كاسر الاصنام حتى أخذ يستهزئ بكم
في الجواب (ثم نكسوا على رؤسهم) أي انقلبوا عن الفكرة الصالحة الى الحالة الاولى فأخذوا في المجادلة
بالباطل قائلين والله (لقد علمت) يا ابراهيم (ما هؤلاء) الاصنام (ينطقون) أي لقد علمت انه ليس
من شأنهم النطق فكيف تأمرنا بسؤالهم وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا بالبناء للفاعل اي
نكسوا أنفسهم على رؤسهم وهي قراءة رضوان بن عبد المعبود (قال) ابراهيم مبكتا لهم (أفتعبدون
من دون الله) أي أتعلمون ذلك فتعبدون متجاوزين عبادة الله تعالى (ما لا ينفعكم شيأ) أي نفعا
قليلا (ولا يضركم أف لكم) أي قذرا وقبحا لكم (ولما تعبدون من دون الله) أي غيره واللام لبيان
المتضجر لاجله وعائد الموصول محذوف وهذا تضجر من سيدنا ابراهيم من اصرارهم على الباطل
البين (أفلا تعقلون) أي ألا تتفكرون فلا تعقلون قبح صنيعكم من عبادة ما لا يضر في ترك عبادته
ولا ينفع في عبادته (قالوا) أي قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المجادلة وضاقت عليهم الحيل والقائل
لهم ملكهم نمروذ بن كنعان وقيل القائل رجل من اكراد فارس اسمه هينون خسف الله به الارض

[illegible] يذكرهم) أي [illegible] (يقال له ابراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس) أي على رؤس الناس يعني بمرأى منهم (لعلهم يشهدون) عليه انه الذي فعل ذلك وكرهوا أن يأخذوه بغير بينة فلما أتوا به (قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا) غضب أن تعبدوا معه الصغار وأراد اقامة الحجة عليهم فقال (فاسألوهم) من فعل بهم هذا (ان كانوا ينطقون) أي ان قدروا على النطق (فرجعوا الى أنفسهم) أي تفكروا ورجعوا الى عقولهم (فقالوا انكم أنتم الظالمون) هذا الرجل بسؤالكم اياه وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها (ثم نكسوا على رؤسهم) أي أطرقوا لما لحقهم من الخجل وأقروا بالحجة عليهم (فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) ولما اتجهت الحجة عليهم (قال) ابراهيم (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم) أي تبا لكم ولما عجزوا عن الجواب (قالوا

(حرقوه)

(قالوا حرقوه) [illegible] (وانصروا آلهتكم) أي انتقموا منه لآلهتكم (ان كنتم فاعلين)
[illegible] الاحراق روى أنهم لما اجتمعوا على احراقه عليه السلام
[illegible] في قرية كوثى فجمعوا له أصناف الحطب شهرا وأوقدوا نارا عظيمة أياما حتى لو مر الطير
في أقصى الهواء لاحترق ثم أخذوا ابراهيم فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه في المنجنيق
مقيدا مغلولا فرموه به في النار فجعل الله الحظيرة روضة وذلك قوله تعالى (قلنا يانار كوني بردا وسلاما
على ابراهيم) أي ابردي بردا غير ضار ومكث ابراهيم في النار سبعة أيام وكان عنده عين ماء عذب وورد
أحمر ونرجس وأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وقال ياابراهيم ان ربك يقول أما علمت أن النار
لا تضر أحبابي ولم تحرق النار منه الا وثاقه فان الله تعالى أزال عنها ما فيها من الحر والاحراق وأبقى ما فيها
من الاضاءة والاشراق وروى انهم أوقدوا عليه النار سبعة أيام بعد القائه في ذلك البنيان ثم أطبقوا
عليه ثم فتحوا عليه من الغد فاذا هو غير محترق ويعرق عرقا فقال لهم هاران أبو لوط عليه السلام ان
النار لا تحرقه لانه سحر النار ولكن اجعلوه على شئ وأوقدوا النار تحته فان الدخان يقتله فجعلوه
فوق بئر وأوقدوا النار تحته فطارت شرارة فوقعت في لحية أبي لوط فأحرقته (وأرادوا به) أي ابراهيم
(كيدا) أي مكرا عظيما في الاضرار به (فجعلناهم الاخسرين) فانهم خسروا السعي والنفقة فلم يحصل
لهم مرادهم وهلكوا بارسال الله عليهم البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت في
دماغ نمروذ بعوضة فأهلكته (ونجيناه) أي ابراهيم من النار (ولوطا) ابن أخيه هاران الاصغر من
الخسف وكان لهما أخ ثالث اسمه ناخور والثلاثة أولاد آزر وأما هاران الاكبر فكان عما لابراهيم
وكانت سارة بنت عم ابراهيم الذي هو هاران الاكبر (الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) في الدين
والدنيا أي بلغناهما من العراق الى الشام فنزل ابراهيم بفلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة
يوم وليلة وسبب بركة الشام في الدين لان أكثر الانبياء بعثوا منها فانتشرت شرائعهم فيها وفي الدنيا
لان الله تعالى بارك فيها بكثرة الماء والشجر والثمر (ووهبنا له) أي لابراهيم عليه السلام (اسحق
ويعقوب) أي وهبناهما لابراهيم (نافلة) أي عطية وفضلا من غير أن يكون جزاء مستحقا فنافلة
منصوب على المصدر (وكلا) أي كل واحد من هؤلاء الاربعة (جعلنا صالحين) في الدين والدنيا
فصاروا كاملين (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم في أمور الدين (يهدون) أي يدعون الناس الى الخيرات
(بأمرنا) واذننا (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) أي أن يعملوا الشرائع هم وأتباعهم (واقام الصلاة
وايتاء الزكاة) وهذا من عطف الخاص على العام دلالة على امتيازهما فان الصلاة أفضل العبادات
البدنية والزكاة أفضل العبادات المالية (وكانوا لنا عابدين) أي مخلصين في العبادة لا يخطر ببالهم
غير عبادتنا (ولوطا آتيناه حكما) أي فصلا بين الخصوم قال الزجاج أي هذه الجملة عطف على قوله
وأوحينا اليهم وقال أبو مسلم عطف على قوله آتينا ابراهيم رشده أي وآتينا لوطا (وعلما) لائقا به
(ونجيناه من القرية) أي من أهل قرية سذوم (التي كانت تعمل الخبائث) أي لتي كان أهلها قبل
انجائنا له منها يعمل الاعمال الخبائث من اللواط ورمي المارة بالبندق واللعب بالطيور والتضارط
في أنديتهم وغير ذلك (انهم كانوا قوم سوء) أي قوما يحزنون الناس بأفعالهم (فاسقين) أي خارجين
من كل خير (وأدخلناه) أي لوطا (في رحمتنا) بان فتحت عليه أبواب المكاشفات وتجلت له أنوار
الالهية (انه من الصالحين) أي من المستعدين لقبول ذلك وللدخول فيه (ونوحا) عطف على قوله
ولوطا أي ونوحا آتيناه حكما (اذ نادى) أي دعا على قومه بالعذاب بدل اشتمال من نوحا (من قبل)
أي من قبل هؤلاء المذكورين (فاستجبنا له) الدعاء (فنجيناه وأهله) أي أهل دينه (من

النار (قلنا يانار كوني بردا وسلاما) أي ذات برد وسلامة لا يكون فيها برد مضر ولا حر مؤذ (وأرادوا به) بابراهيم (كيدا) أي مكرا في اهلاكه (فجعلناهم الأخسرين) أي حيث لم يتم مرادهم ووقعوا في العذاب في الآخرة (ونجيناه) من نمروذ وقومه (ولوطا) ابن أخيه (الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) وهي الشام وذلك أنه خرج مهاجرا من أرض العراق الى الشام (ووهبنا له اسحق) ولدا لصلبه (ويعقوب نافلة) أي ولدا لولده (وكلا جعلنا صالحين) يعني هؤلاء الثلاثة (وجعلناهم أئمة) أي يقتدى بهم في الخير (يهدون) أي يدعون الناس الى ديننا (بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات) يعني أن يفعلوا الطاعات ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة (ولوطا آتيناه حكما) أي فصلا بين الخصوم بالحق (ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث) يعني أهلها كانوا يأتون الذكران في أدبارهم (ونوحا اذ نادى من قبل) أي من قبل ابراهيم (ونجيناه وأهله من

(الكرب العظيم) وهو الغرق وأذية قومه (ونصرناه من القوم) أى عصمناه من مكروه القوم كما قاله المبرد وقال أبو عبيدة من بمعنى على كقراءة أبى ابن كعب ونصرناه على القوم (الذين كذبوا بآياتنا) الدالة على رسالته عليه السلام (انهم كانوا قوم سوء) لاجل تكذيبهم له (فأغرقناهم أجمعين) بالطوفان لاصرارهم على تكذيب الحق ولانهماكهم فى الشر وهذا بيان للوجه الذى خلصه الله منهم به (وداود وسليمان) أى آتيناهما حكما (اذ يحكمان فى الحرث) أى فى حق الزرع (اذ نفشت فيه غنم القوم) أى انتشرت فى الزرع غنم القوم فى الليل ترعى بلا راع (وكنا لحكمهم) أى داود وسليمان (شاهدين) أى انما حكما بارشادنا لهما وأوقع الجمع موقع التثنية مجازا ويدل على ذلك قراءة ابن عباس لحكمهما بصيغة التثنية (ففهمناها) أى الفتيا (سليمان وكلا) أى كل واحد منهما (آتيناه حكما وعلما) كثيرا روى أنه دخل على داود عليه السلام رجلان فقال أحدهما ان غنم هذا دخلت فى حرثى ليلا فأفسدته وما أبقت منه شيأ فقال داود عليه السلام اذهب فان الغنم لك وقد روى أنه لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم تفاوت فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام وهو ابن احدى عشرة سنة فقال كيف قضى بينكما فأخبراه بذلك فقال لو كنت أنا القاضى لقضيت بغير هذا وهو أرفق بالفريقين فأخبر بذلك داود عليه السلام فدعاه وقال كيف تقضى بينهما فقال ادفع الغنم الى صاحب الحرث فيكون له منافعها من الدر والنسل والصوف وادفع الحرث الى أرباب الغنم ليقوموا عليه حتى يعود كهيئته يوم أكل ثم دفعت الغنم الى أهلها وقبض صاحب الحرث حرثه فقال داود القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك ورأى داود قياس كان العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى الى المجنى عليه أو يفديه عند أبى حنيفة بيعه فى ذلك أو يفديه عند الشافعى ورأى سليمان استحسان كما قال أصحاب الشافعى فيمن غصب عبدا فأبق منه انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا وحكم هذه المسألة فى مذهب الشافعى ان الغنم ان كانت وحدها ولو بصحراء فأتلفت شيأ كزرع ليلا أو نهارا ضمنه ذو يد ان فرط فى ربطها أو ارسالها كان ربطها بطريق ولو واسعا وكأن أرسلها ولو فى نهار لمرعى بوسط مزارع فأتلفتها فان لم يفرط كأن أرسلها لمرعى لم تتوسطها مزارع لم يضمن ومذهب أبى حنيفة وأصحابه عدم الضمان بالليل والنهار الا أن يكون معها سائق أو قائد (وسخرنا) أى ذللنا (مع داود الجبال يسبحن) أى ينطقن بالتسبيح وكان داود يسبح وحده فانه تعالى خلق فيها الكلام كما سبح الحصى فى كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع الناس ذلك (والطير) أى اذا ذكر داود عليه السلام ربه ذكرت الجبال والطير ربها معه (وكنا فاعلين) أى انا قادرون على أن نفعل هذا وان كان عجبا عندكم أى مستغربا فى اعتقادكم (وعلمناه صنعة لبوس) أى درع (لكم) أى لاجلكم يا أهل مكة فان الله تعالى ألان الحديد لداود فكان يعمل منه بغير نار كأنه طين (لتحصنكم من بأسكم) أى لتحرسكم من الجرح والسيف والسهم والرمح فقرأ شعبة بالنون وابن عامر وحفص بالتاء فالضمير للبوس والباقون بالياء التحتية فالضمير لداود أو للبوس وهذا بدل اشتمال من لكم مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة (فهل أنتم شاكرون) أى اشكروا الله يا أهل مكة على ما يسر عليكم من هذه الصنعة بتصديق الرسل (ولسليمان الريح عاصفة) أى شديدة الهبوب فاذا أمرت بكرسيه عليه السلام أبعدت به فى مدة يسيرة أى جعلنا الريح طائعة لسليمان فان أرادها عاصفة كانت عاصفة وان أرادها لينة كانت لينة (تجرى بأمره الى الارض التى باركنا فيها) قال الكلبى كان سليمان عليه السلام وقومه يركبون عليها من اصطخر الى الشام والى حيث شاء ثم تعود الى منزله قال وهب كان سليمان عليه الصلاة والسلام اذا خرج الى مجلسه

(الكرب العظيم) أى الغم الذى كان فيه من أذى قومه (ونصرناه) أى منعناه من أن يصلوا اليه بسوء وقوله (وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث) قيل كان زرعا وقيل كان كرما (اذ نفشت) أى رعت ليلا (فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين) أى لم يغب عن علمنا (ففهمناها) أى ففهمنا القصة (سليمان) دون داود وذلك أن داود حكم لأهل الحرث برقاب الغنم وحكم سليمان بمنافعها الى أن يعود الحرث كما كان (وسخرنا مع داود الجبال) يجاوبنه بالتسبيح (و) كذلك (الطير وكنا فاعلين) ذلك (وعلمناه صنعة لبوس لكم) أى عمل ما تلبسونه من الدروع (لتحصنكم) أى لتحرزكم (من بأسكم) أى من حربكم (فهل أنتم شاكرون) نعمتنا علیكم (ولسليمان الريح) أى وسخرنا له الريح (عاصفة) أى شديدة الهبوب (تجرى بأمره الى الارض التى باركنا فيها) يعنى الشام وكان منزل سليمان بها

عكفت

[illegible] وكان أمرا عاليا قلما كان يقعد
عن الغزو [illegible] تلك الآلة حتى يقتله ويروى أن سليمان سار من أرض
العراق فقال بمدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزهم الى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح
على مثل ذلك ثم عطف يمنة على مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض السند وجاوزها
وخرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى أتى أرض فارس فنزلها أياما وغدا منها فقال بكسكر
ثم راح الى الشام وكان مستقره بمدينة يومر (وكنا بكل شئ عالمين) فنجري ماسخرنا له بحسب
ماتقتضيه الحكمة (ومن الشياطين من يغوصون له) أى وسخرنا لسليمان من الشياطين الكافرين
من يدخلون فى البحار ويخرجون الجواهر منها له (ويعملون عملا دون ذلك) أى غير ذلك
من بناء المدن والقصور وصنع النورة والطواحين والقوارير والصابون والحمام لان ذلك من
استخراجاتهم (وكنا لهم حافظين) حتى لايخرجوا من أمره وحافظين من أن يفسدوا ماعملوا
فكان أبهم أنهم يعملون بالنهار ثم يفسدونه فى الليل ومن أن يهيجوا أحدا على أحد فى زمانه
عليه السلام (وأيوب) أى آتيناه حكما (إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين)
وكان أيوب عليه السلام روميا من ولد عيص بن اسحق وكانت أمه من ولد لوط وكان الله تعالى قد
جعله نبيا وقد أعطاه من الدنيا حظا وافرا من النعم والدواب والبساتين وأعطاه ولدا من رجال
ونساء وكان رحيما بالمساكين وكان يكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف فابتلاه الله تعالى بهلاك
أولاده بهدم بيت عليهم وذهاب أمواله والمرض فى بدنه ثمانى عشرة سنة فانه خرج من فرقه الى
قدمه ثآليل وقد وقعت فى جسده حكة لايملكها وكان يحك بأظفاره حتى سقطت أظفاره ثم حكها
بالمسوح الخشنة ثم حكها بالفخار والحجارة ولم يزل يحكها حتى تقطع لحمه وأنتن فأخرجه أهل القرية
وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا وروى ان امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف عليه السلام
أورحمة بنت افرايم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله تعالى فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت
ثمانين سنة فقال أستحيي من الله تعالى أن أدعوه وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى وروى ان ابليس
أتاها على هيئة عظيمة فقال أنا اله الارض فعلت بزوجك مافعلت لانه تركنى وعبد اله السماء لو
سجدت لى سجدة لرجعت المال والولد وعافيت زوجك فرجعت الى أيوب وكان ملقى فى الكناسة
لايقرب منه أحد فأخبرته بالقصة فقال عليه السلام كأنك افتتنت بقول اللعين لئن عافانى الله تعالى
لاضربنك مائة سوط وحرام على أن أذوق بعد هذا شيأ من طعامك وشرابك فطردها فذهبت
فبقى طريحا فى الكناسة لايحوم حوله أحد من الناس فلما نظر أيوب فى شأنه وليس عنده طعام
ولاشراب ولاصديق وقد ذهبت امرأته خر ساجدا فقال رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين
فقال تعالى ارفع رأسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت من تحته عين ماء
فاغتسل منها فلم يبق فى ظاهر بدنه دابة الاسقطت منه ولاجراحة الابرئت ثم ركض برجله مرة أخرى
بعد ان مشى أربعين خطوة فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق فى جوفه داء الاخرج وعاد صحيحا
ورجع اليه شبابه وجماله حتى صار أحسن ثم كسى حلة فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيأ مما كان له من
الاهل والولد والمال الا وقد ضاعفه الله تعالى حتى روى ان الماء الذى اغتسل منه تطاير على صدره
جرادا من ذهب فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت فى نفسها هب انه طردنى أفأتركه
حتى يموت جوعا ويأكله السباع لارجعن اليه فلما رجعت مارأت تلك الكناسة ولاتلك الحال وقد
تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكى وهابت صاحب الحلة أن تأتيه وتسأله عنه

(ومن الشياطين) أى
وسخرنا له من الشياطين
(من يغوصون له) أى
يدخلون تحت الماء
لاستخراج جواهر البحر
(ويعملون عملا دون
ذلك) أى سوى الغوص
(وكنا لهم حافظين) أى من
أن يفسدوا ما عملوا
وليصبروا تحت أمره
(وأيوب اذ نادى) أى دعا
(ربه أنى مسنى الضر)
أى أصابنى الجهد وقوله

[illegible] يا أمة الله فبكت وقالت أين ذلك المبتلى الذي [illegible]
إليكنا فقال لها أيوب عليه السلام ما كان منك فبكت وقالت بعلي فقال أتعرفينه اذا رأيتيه قالت
وهل يخفى علي فتبسم وقال أنا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته ثم قال انك أمرتني أن أذبح سخلة لابليس
واني أطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله تعالى فرد علي ما ترين وذلك قوله تعالى (فاستجبنا له)
الدعاء (فكشفنا ما به من ضر) أي مرض وهزال (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) روي أن امرأته
ولدت بعد ذلك ستة وعشرين ابنا قال ابن عباس أبدل بكل شيء ذهب منه ضعفاه وروي أن الله تعالى
بعث اليه ملكا فقال ان ربك يقرؤك السلام بصبرك فاخرج الى أندرك وهو الموضع الذي يداس فيه
الطعام فخرج اليه فأرسل عليه جرادا من ذهب (رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) أي آتيناه ماذكر
لرحمتنا أيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما أثيب (واسمعيل) ابن ابراهيم
(وادريس) بن شيث بن آدم (وذا الكفل) واسمه بشر أي أعطيناهم ثواب الصابرين (كل من
الصابرين) على أمر الله والمرازى (وأدخلناهم في رحمتنا) أي في النبوة (انهم من الصالحين) أي
الكاملين في الصلاح فصلاحهم معصوم من كدر الفساد فاسمعيل قد صبر عند ذبحه وعلى الاقامة في بلد
لازرع فيه ولا ضرع ولا بناء وصبر في بناء البيت فأخرج منه خاتم النبيين وادريس قد صبر على دراسة
الكتب وسمي ادريس لكثرة دراسته وبعث الى قومه داعيا لهم الى الله تعالى فأبوا فأهلكهم الله ورفع
الى السماء الرابعة وذو الكفل قد صبر على قيام الليل وصيام النهار وأذى الناس في الحكومة بينهم بأن
لا يغضب ومعنى الكفل هو النصيب وانما سمي ذا الكفل بذلك على سبيل التعظيم فيكون الكفل كفل
الثواب لانه كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقد كان في زمنه أنبياء عليهم السلام (وذا
النون) أي واذكر صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام (اذ ذهب مغاضبا) أي غضبان على
قومه لما برم من طول دعوته اياهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم قبل أن يؤمر لانهم
لما لم تؤمنوا وعدهم بالعذاب فلما كشف العذاب عنهم بتوبتهم وهو لم يعرف الحال خرج منهم
غضبان من ذلك (فظن أن لن نقدر عليه) أي ظن انه لن نضيق عليه أي فانه ظن أنه مخير ان شاء أقام
وان شاء خرج وانه تعالى لا يضيق عليه في اختياره فأتى بحر الروم فوجد قوما هيؤا سفينة فركب معهم
فلما تلججت السفينة تكفأت بهم وكادوا أن يغرقوا فقال الملاحون ههنا رجل عاص أو عبد آبق
لان السفينة لا تكون هكذا من غير ريح الا وفيها رجل عاص فلا بد من أن نقترع ليظهر فمن وقعت
عليه القرعة ألقيناه في البحر فان غرق واحد خير من أن تغرق السفينة فاقترعوا ثلاث مرات
فوقعت القرعة فيها على يونس عليه السلام فقال أنا الرجل العاصي والعبد الآبق وألقى نفسه في البحر
فجاء حوت فابتلعه فأوحى الله تعالى الى ذلك الحوت لا تأكل له لحما ولا تهشم له عظما فانه ليس رزقا لك
وانما جعلتك له سجنا (فنادى في الظلمات) أي في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع
حوته حوت آخر فحصل في ظلمتي بطن الحوتين وظلمة البحر والليل (ان لا اله الا أنت) أي بأنه فأن
مخففة من أن المشددة أو بمعنى أي (سبحانك) أي أنزهك تنزيها لائقا بك من أن يعجزك شيء (اني
كنت من الظالمين) بفراري من قومي بغير اذنك فكان ذلك ظلما فعوقب على ترك الافضل الذي
هو المكث فيهم صابرا على أذاهم فانه خرج لا على تعمد المعصية بل لظنه ان خروجه موسع يجوز أن
يقدم ويؤخر فقد وصف يونس عليه السلام ربه بكمال الربوبية ووصف نفسه بضعف البشرية
والنقص في أداء حق الربوبية وهذا القدر يكفي في السؤال ولذا قال تعالى (فاستجبنا له) دعاءه
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بدعوة ذي النون في بطن الحوت الا استجيب

(وآتيناه أهله ومثلهم معهم) هو ان الله تعالى أحيا من أمات من بنيه وبناته ورزقه مثلهم من الولد (رحمة) أي نعمة (من عندنا وذكرى للعابدين) أي عظة لهم ليعملوا بذلك كمال قدرتنا وقوله (وذا الكفل) هو رجل من بني اسرائيل تكفل بخلافة نبي في أمته فقام بذلك (وذا النون) واذكر صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام (اذ ذهب) من بين قومه (مغاضبا) لهم قبل أمرنا له بذلك (فظن ان لن نقدر عليه) أي لن نقضي عليه ما قضينا من حبسه في بطن الحوت (فنادى في الظلمات) يعني ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت (أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين) أي حين غاضبت قومي وخرجت من بينهم قبل الاذن

له

له (ونجيناه من الغم) بسبب كونه فى بطن الحوت وبسبب خطيئته فألقاه الحوت فى الساحل من يومه أو بعد ثلاثة أيام (وكذلك) أى كما أنجينا يونس من كرب الحبس اذ دعانا (ننجى المؤمنين) من كربهم اذا استغاثوا بنا داعين بهذا الدعاء (وزكريا) أى واذكر خبره (اذ نادى ربه) بقوله (رب لا تذرنى فردا) أى وحيدا بلا ولد يرثنى ارث نبوة وعلم وحكمة (وأنت خير الوارثين) أثنى عليه السلام على ربه لانه ينكشف عن علمه أن عاقبة الامور راجعة الى الله تعالى فانه تعالى الباقى بعد فناء الخلق (فاستجبنا له) دعاءه (ووهبنا له يحيى) نبيا حكيما عظيما (وأصلحنا له زوجه) للولادة بعد انتهائها الى اليأس منها بحكم العادة وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان سن زكريا مائة وسن زوجته تسعا وتسعين (انهم) أى زكريا وولده وأهله (كانوا يسارعون فى الخيرات) أى فى طاعة الله تعالى (ويدعوننا رغبا ورهبا) أى يفزعون الينا رغبة فى ثوابنا ورهبة من عقابنا (وكانوا لنا خاشعين) أى خائفين متواضعين فى عبادتهم حذرين عن الانبساط فى الامور (والتى أحصنت فرجها) أى واذكر خبر مريم التى أحصنت فرجها احصانا كليا من أن يصل اليه أحد بحلال وحرام جميعا (فنفخنا فيها من روحنا) أى فنفخنا الروح فى عيسى فيها أى أحييناه فى جوفها أى أجرينا فيه اجراء الهواء بالنفخ من جهة روحنا جبريل (وجعلناها وابنها آية للعالمين) أما آيات مريم فظهور الحبل فيها لا من ذكر ورزقها كان يأتيها به الملائكة من الجنة وانها لم تلقم ثديا يوما قط وتكلمت فى صباها كما تكلم عيسى فى صباه فجعلهما الله آية للناس فيستدلون بما خصا به من الآيات على قدرته تعالى وحكمته (ان هذه أمتكم أمة واحدة) أى ان ملة الاسلام وهى التوحيد هى ملتكم أيها الناس حال كونها غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم السلام أى يجب عليكم أن تكونوا عليها لا تنحرفوا عنها وقرأ الحسن أمتكم بالنصب على البدل من هذه أو عطف بيان وأمة بالرفع خبر ان و برفعهما معا خبرين (وأنا ربكم فاعبدون) أى وحدونى واعرفونى أيها الكفار أو دوموا على عبادتى أيها المؤمنون (وتقطعوا أمرهم بينهم) أى تفرقوا فى أمرهم بأن آمنوا بالبعض وكفروا بالبعض (كل) من الثابت على الدين الحق والزائغ عنه الى غيره (الينا راجعون) فنجازيهم حينئذ بحسب أعمالهم (فمن يعمل من الصالحات) أى الفرائض والنوافل (وهو مؤمن) بالله ورسله (فلا كفران لسعيه) أى لا حرمان لثواب عمله (وانا له) أى لسعيه (كاتبون) أى مثبتون فى صحائف أعمالهم (وحرام على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون) أى ممتنع على أهل قرية قدرنا هلاكهم بالموت عدم رجوعهم الينا للجزاء بأن يذهبوا تحت التراب باطلا من غير احياء بالنعمة أو بالعذاب أو المعنى واجب على أهل قرية أهلكناها بالموت عدم رجوعهم عن الشرك وعن الدنيا فان الحرام قد يجئ بمعنى الواجب كقوله تعالى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ وترك الشرك واجب وليس بمحرم (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) أى يستمرون على الهلاك حتى اذا قامت القيامة يرجعون الينا ويقولون ياويلنا الخ أو لا يرجعون عن الكفر حتى اذا قامت القيامة يرجعون عنه حين لا ينفعهم الرجوع ويأجوج ومأجوج قبيلتان من الانس والمراد حتى اذا فتحت سدهما وذلك بعد نزول عيسى الى الارض وبين موت عيسى والنفخة الاولى قدر ثنتى عشرة سنة من السنين

عقبها (انهم كانوا يسارعون فى الخيرات) أى يبادرون الى عمل الطاعات (ويدعوننا رغبا) أى فى رحمتنا (ورهبا) أى من عذابنا (وكانوا لنا خاشعين) أى عابدين فى تواضع (والتى) أى واذكر التى (أحصنت فرجها) أى منعت فرجها من الحرام (فنفخنا فيها من روحنا) أى أمرنا جبريل حتى نفخ فى جيب درعها والمعنى أجرينا فيها روح المسيح المخلوقة لنا (وجعلناها وابنها آية للعالمين) أى دلالة على تمام قدرتنا وكانت الآية فيهما جميعا واحدة لذلك وحدت (ان هذه أمتكم) أى دينكم وملتكم (أمة) أى ملة (واحدة) وهى الاسلام (وتقطعوا أمرهم بينهم) أى اختلفوا فى الدين فصاروا فرقا (كل الينا راجعون) فنجزيهم بأعمالهم (فمن يعمل من الصالحات) أى الطاعات وهو مؤمن أى مصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم (فلا كفران لسعيه) أى لا يبطل عمله بل نثيبه

(وانا له كاتبون) أى ما عمل حتى نجازيه (وحرام على قرية) يعنى قرية كافرة (أهلكناها) أى أهلها بعذاب الاستئصال ان يرجعوا الى الدنيا ولا زائدة فى الآية ومعنى حرام عليهم انهم ممنوعون من ذلك لان الله تعالى قضى على من أهلك أن يبقى فى البرزخ الى يوم القيامة (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) أى من سدها

الكتابة وقرأ ابن عامر بتشديد التاء (وهم من كل حدب ينسلون) أي يأجوج
ومأجوج من كل مكان مرتفع يخرجون وقرأ ابن عباس من كل جدث أي والناس يخرجون من
قبورهم فيحشرون الى موقف الحساب (واقترب الوعد الحق) أي وهو البعث والحساب والجزاء
(فاذا هي) فاذا للمفاجأة تسد مسد الفاء فاذا دخلتها الفاء تعاونت على وصل الجزاء بالشرط وتأكدت
والضمير للقصة وما بعده خبر مقدم أي فالقصة (شاخصة أبصار الذين كفروا) أي ان القيامة اذا
قامت ارتفعت أبصار هؤلاء من شدة الاهوال فلا تكاد تطرف من شدة ما يخافونه قائلين (ياويلنا)
أي ياهلاك كنا تعال فهذا أوان حضورك (قد كنا) في الدنيا (في غفلة) تامة (من هذا) أي الذي
أصابنا من البعث والجزاء ولم نعلم انه حق (بل كنا ظالمين) أي لم نكن غافلين عنه بل كنا ظالمين أنفسنا
بتعمد الكفر والاعراض عن الايمان حيث كذبنا الرسل وعبدنا الاوثان (انكم) ياأهل مكة
(وما تعبدون من دون الله) أي من غير الله من الاوثان وغيرها (حصب جهنم) أي حطب جهنم يرمون
فيها (أنتم لها واردون) أي داخلون فيها وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تلا هذه الآية وقال
له ابن الزبعرى والدعبد الله القرشي خصمتك ورب الكعبة أليست اليهود عبدوا عزيرا والنصارى
المسيح وبنو مليح الملائكة رد صلى الله عليه وسلم بقوله ما أجهلك بلغة قومك أما فهمت أن ما لما لا يعقل
وقد أسلم ابن الزبعرى بعد هذه القصة (لو كان هؤلاء) أي أصنامهم (آلهة) كما زعمون (ما وردوها)
أي ما دخلوا النار (وكل) من العبدة والمعبودين (فيها خالدون) أي لا خلاص لهم عنها (لهم) أي
للعبدة (فيها زفير) أي أنين وتنفس شديد (وهم فيها لا يسمعون) أصوات المعذبين لشدة الهول
وفظاعة العذاب وقد جرت عادة الله تعالى انه متى شرح عقاب الكفار أردفه بشرح ثواب الابرار
فقال (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) أي الذين سبقت لهم كلمتنا بالبشرى بالثواب على الطاعة
(أولئك عنها) أي جهنم (مبعدون) عن ألمها فاهم في الجنة وشتان بينها وبين النار (لا يسمعون
حسيسها) أي صوت جهنم وحركة تلهبها اذا نزلوا منازلهم في الجنة وهذه الجملة بدل من مبعدون أو حال
من ضميره أو خبر ثان وهي مذكورة للمبالغة في انقاذهم منها (وهم) أي من تقدم لهم الوعد بالثواب
(فيما اشتهت أنفسهم) أي تمنت نعيم الجنة (خالدون) أي دائمون في غاية النعم (لا يحزنهم الفزع
الاكبر) حين تغلق النار على أهلها وييأسون من الخروج منها وحين يذبح الموت في صورة كبش
أملح بين الجنة والنار وينادي ياأهل النار خلود بلا موت فييأس أهل النار من الخروج منها وحين
يؤمر بالكافر الى الذهاب الى النار (وتتلقاهم الملائكة) أي الحفظة الذين كتبوا أعمالهم وأقوالهم على
أبواب الجنة بالبشرى قائلين (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) أي هذا الوقت وقت ثوابكم الذي
وعدكم ربكم به في الدنيا فابشروا بفنون المثوبات وبجميع ما يسركم بايمانكم وطاعاتكم (يوم نطوي
السماء) بنون العظمة وقرئ يطوى بالياء والتاء على البناء للمفعول فالظرف منصوب باذكر أو بتتلقاهم
(كطي السجل للكتب) أي يوم نطوي السماء طيا كطي الطومار للمكتوبات وقرأ حفص وحمزة
والكسائي بصيغة الجمع والباقون بصيغة الافراد واللام متعلقة بمحذوف وهو حال من السجل ومعنى
طي الطومار للمكتوب كون الطومار ساترا لتلك الكتابة ومخفيا لها لان الطي ضد النشر الذي يكشف
(كما بدأنا أول خلق نعيده) أي نعيد ما خلقناه أولا اعادة مثل بدئنا اياه في كونها ايجادا بعد عدم
أو جمعا للاجزاء المتبددة فهو تشبيه للاعادة بالابتداء في تناول قدرة الله تعالى لهما على السواء

[illegible] أي لا تكاد تطرف من هول ذلك اليوم (يقولون ياويلنا قد كنا في غفلة) أي في الدنيا (من هذا) اليوم (بل كنا ظالمين) أي بالشرك وتكذيب الرسل (انكم) أيها المشركون (وما تعبدون من دون الله) يعني الاصنام (حصب جهنم) أي وقودها (أنتم لها واردون) أي فيها داخلون (لو كان هؤلاء) يعني الاصنام (آلهة) على الحقيقة ما دخلوا النار (وكل) من العابدين والمعبودين في النار (خالدون ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) أي السعادة والرحمة (أولئك عنها) أي عن النار (مبعدون لا يسمعون حسيسها) أي صوتها (لا يحزنهم الفزع الاكبر) يعني الاطباق على النار وقيل ذبح الموت بمرأى من الفريقين (وتتلقيهم الملائكة) أي تستقبلهم يقولون لهم (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) أي للثواب ودخول الجنة (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب) وهو ملك يطوي كتب بني آدم وقيل السجل الصحيفة والمعنى كطي السجل على ما فيه من المكتوب (كما بدأنا أول خلق نعيده) أي كما خلقناكم ابتداء حفاة عراة غرلا كذلك نعيدكم يوم القيامة (وعدا

(وعداعلينا) أي وعدنا بالاعادة وهذا أحققنا علينا المجازم بسبب الاخبار عن ذلك وتعلق العلم بوقوعه (انا كنا فاعلين) أي انا سنفعل ذلك لابد وقوع ماعلم الله وقوعه واجب (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر) أي و بالله لقد كتبنا فى كتاب داود بعدما كتبنا فى التوراة أولقد كتبنا فى جميع كتب الانبياء بعدما أثبتنا فى اللوح المحفوظ (أن الارض يرثها عبادى الصالحون) أى أن أرض الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله باظهار الدين واعزاز المسلمين (ان فى هذا) أى فى المذكور فى هذه السورة من البراهين الدالة على التوحيد وصحة النبوة (لبلاغا) أى لكفاية (لقوم عابدين) أى عاملين بعلومهم وهم أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) أى وما أرسلناك يا أشرف الخلق بالشرائع الا رحمة للعالمين أى الا لاجل رحمتنا للعالمين قاطبة فى الدين والدنيا فان الناس فى ضلالة وحيرة فبعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فبين صلى الله عليه وسلم سبيل الثواب وأظهر الاحكام وميز الحلال من الحرام وان كل نبى قبل نبينا اذا كذبه قومه أهلكهم الله بالخسف والمسخ والغرق فالله تعالى أخر عذاب من كذب نبينا الى الموت ورفع عذاب الاستئصال عنهم به صلى الله عليه وسلم (قل) يا أكرم الرسل (انما يوحى الى أنما الهكم اله واحد) أى انما يوحى الى توحدانية الهكم (فهل أنتم مسلمون) أى يا أهل مكة خصصوا العبادة بالهكم الواحد وهو الله تعالى فالاستفهام بمعنى الامر (فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون) أى فان أعرضوا عن توحيد المعبود فقل يا سيد الرسل انى أعلمتكم بأنى محارب لكم على اعلان ولكن لا أدرى متى يأذن الله لى فى محاربتكم فتبين بهذا ان السورة مكية فان الامر بالجهاد كان بعد الهجرة (انه) تعالى (يعلم الجهر من القول) أى ما تجاهرون به من الطعن فى الاسلام (ويعلم ما تكتمون) من الاحقاد للمسلمين ومن النفاق فيجازيكم عليه (وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين) أى ما أدرى لعل تأخير الجهاد استدراج وضرر لكم وتمتع لكم الى انقضاء آجالكم (قال) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ حفص بصيغة الماضى والباقون بصيغة الامر (رب احكم بالحق) أى احكم بيننا و بين أهل مكة بالعدل المستلزم لتعجيل العذاب وقد استجيب دعاؤه صلى الله عليه وسلم حيث عذبوا فى بدر وأحد والخندق وحنين (وربنا الرحمن) أى كثير الرحمة على عباده (المستعان) أى المطلوب منه المعونة (على ما تصفون) أى تقولون ان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق ثم تركد فكذب الله ظنونهم وخذلهم ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين

﴿ سورة الحج مختلطة بين مكى ومدنى وهى ست وسبعون آية وألف ومائتان واحدى وتسعون كلمة وخمسة آلاف ومائة وخمسة وثلاثون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يا أيها الناس اتقوا ربكم) بأن تطيعوه بفعل المأمورات واجتناب المنهيات (ان زلزلة الساعة شئ عظيم) أى ان شدة حركة الارض فى قرب الساعة فى نصف رمضان معها طلوع الشمس من مغربها أمر حادث جليل هائل لا تدرك العقول كنهه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث الصور أنه قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعقة ونفخة القيام لرب العالمين وان عند نفخة الفزع يسير الله الجبال وترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة

[illegible] (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر) قيل فى الكتب [illegible] بعد التوراة [illegible] (أن الارض) يعنى أرض الجنة (يرثها عبادى الصالحون) وقيل أرض الدنيا تصير للمؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ان فى هذا لبلاغا) يعنى القرآن لوصولا الى البغية (لقوم عابدين) أى مطيعين لله (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) أى للبر والفاجر فمن أطاعه عجلت له الرحمة ومن كذبه لم يلحقه فى الدنيا كما لحق الامم المكذبة (فان تولوا) أى عن الاسلام (فقل آذنتكم) أى أعلمتكم بما يوحى الى (على سواء) لتستووا فى ذلك يريد لم أظهر لبعضهم شيأ كتمته عن غيره (وان أدرى) أى ما أعلم (أقريب أم بعيد ما توعدون) يعنى القيامة (وان أدرى لعله) أى تأخير العذاب عنكم (فتنة) أى اختبار (لكم ومتاع الى حين) أى الى حين الموت (قل رب احكم بالحق) يريد اقض بينى و بين أهل مكة بالحق أمران يقول كما قالت الرسل قبله لقومهم ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق (وربنا) أى وقل ربنا (الرحمن المستعان على ما تصفون) أى من كذبكم و باطلكم ﴿تفسير سورة الحج﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (يا أيها الناس) يا أهل مكة (اتقوا ربكم) أطيعوه (ان زلزلة

وتكون الارض كالسفينة تضربها الامواج أو كالقنديل المعلق ترجرجه الرياح (يوم ترونها) منصوب بتذهل أو بدل اشتمال من زلزلة أي وقت رؤيتكم الزلزلة (تذهل كل مرضعة عما أرضعت) أي تغفل مع دهشة عن طفلها الذي ألقمته ثديها بحيث لا يخطر ببالها أنه ماذا (وتضع كل ذات حمل حملها) أي تلق الحوامل جنينها لغير تمام (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى) فالخطاب لكل أحد أي يراهم كل أحد برؤية الزلزلة كأنهم سكارى وما هم بسكارى حقيقة وقال ابن عباس والحسن أي وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب وقرأ حمزة والكسائي سكرى بفتح السين وسكون الكاف وقرئ ترى الناس بالبناء للمجهول والضمير للمخاطب والناس بالنصب أي تظنهم سكارى وبالرفع نائب الفاعل على تأويله بالجماعة وقرئ ترى بضم التاء وكسر الراء أي ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى (ولكن عذاب الله شديد) أي ولكن ما أزهقهم من هول عذاب الله تعالى هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم (ومن الناس) أي وبعض الناس كالنضر بن الحرث وأبي جهل وأبي بن خلف (من يجادل في الله) أي في دين الله وكتابه وقدرته (بغير علم) أي ملتبسا بغير علم فانهم ينكرون البعث وقالوا ان الله لا يقدر على احياء من صار ترابا ويكذبون القرآن ويقولون ما يأتيكم به محمد كما كنت أحدثكم به عن القرون الماضية فهو أساطير الاولين (ويتبع) في جداله (كل شيطان مريد) أي عات متجرد للفساد والمراد اما شياطين الانس وهم رؤساء الكفار الذين يدعون من دونهم الى الكفر واما ابليس وجنوده (كتب عليه) مبني للمفعول صفة ثانية أي قد كتب على الشيطان في أم الكتاب لظهور ذلك من حاله (أنه) أي الشأن (من تولاه) أي من اتخذه وليا وأطاعه (فأنه يضله) بفتح الهمزة على انه خبر مبتدا محذوف أي من يقبل الشيطان بقوله فشأنه ان الشيطان يضله عن طريق الجنة (ويهديه) أي يدعوه (الى عذاب السعير) أي الى ما يؤدي الى عذاب النار الوقود من السيئات (يا أيها الناس) أي يا أهل مكة (ان كنتم في ريب من البعث) فانظروا الى مبدا خلقكم ليزول ريبكم (فاما خلقناكم) أي خلقنا كل فرد منكم (من تراب) لان المني ودم الطمث يتولدان من الاغذية وهي من النبات وهو يتولد من الارض والماء (ثم) خلقناكم (من نطفة) أي مني (ثم من علقة) أي دم جامدة (ثم من مضغة) أي لحمة صغيرة قدر ما يمضغ (مخلقة) أي تامة الصور والحواس والتخاطيط (وغير مخلقة) أي وناقصة في هذه الامور (لنبين لكم) أي أخبرناكم في القرآن بدء خلقكم لنبين لكم ما يزيل عنكم ذلك الريب في أمر بعثكم فان القادر على هذه الاشياء كيف يكون عاجزا عن الاعادة (ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى) أي ونحن نقر بعد ذلك في الارحام ما نشاء أن نقره فيها من الولد الى وقت الوضع (ثم نخرجكم) من بطون أمهاتكم بعد اقراركم فيها عند تمام الوقت المقدر بالارادة القديمة والحكمة الازلية (طفلا) أي حال كونكم صغارا (ثم لتبلغوا أشدكم) أي ثم نسهل في تربيتكم أمورا لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل والتمييز (ومنكم من يتوفى) على كماله في ذلك (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أي الى أخسه وهو الهرم والخرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيأ) أي

من قريش كانوا ينكرون البعث ويقولون القرآن أساطير الاولين ويجادلون النبي صلى الله عليه وسلم (ويتبع) في جداله ذلك (كل شيطان مريد) أي متمردعات (كتب) قضي (عليه) أي على الشيطان (أنه من تولاه) أي اتبعه (فأنه يضله ويهديه الى عذاب السعير) أي يدعوه الى النار بما يزين له من الباطل (يا أيها الناس) يعني كفار مكة (ان كنتم في ريب من البعث) أي في شك من الاعادة (فانا خلقناكم) أي خلقنا أباكم الذي هو أصل البشر (من تراب ثم) خلقنا ذريته (من نطفة ثم من علقة) وهي الدم الجامد (ثم من مضغة) وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ (مخلقة) أي مصورة تامة الخلق (وغير مخلقة) وهي ما تمجه الارحام دما يعني السقط (لنبين لكم) كمال قدرتنا بتصريفنا أطوار خلقكم (ونقر في الأرحام ما نشاء) أي نترك فيها ما لا يكون سقطا (الى أجل مسمى) الى وقت خروجه (ثم نخرجكم) من بطون الأمهات (طفلا) صغيرا (ثم لتبلغوا أشدكم) أي عقولكم ونهاية قوتكم (ومنكم من يتوفى) قبل بلوغ الأشد (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) وهو الهرم والخرف حتى لا يعقل وهو قوله (لكي لا يعلم من بعد علم شيأ) ثم ذكر دلالة أخرى على البعث فقال تعالى ليعود

ليعود كهيئته الاولى في أوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ماعلمه وينكر ماعرفه ويعجز عما قدر عليه (وترى) أيها المجادل (الارض هامدة) أي يابسة خالية من النبات (فاذا أنزلنا عليها الماء) أي ماء المطر والعيون والانهار (اهتزت) أي تحركت في رأي العين بسبب حركة النبات (وربت) أي انتفخت للنبات (وأنبتت من كل زوج بهيج) أي وأخرجت بالماء كل نوع من أنواع النبات حسن يسر ناظره (ذلك) أي الصنع البديع في الانسان والارض حاصل (بأن الله هو الحق) أي الموجود الثابت المتحقق في الآلهية فهذه الموجودات دالة على وجود الصانع (وأنه يحيي الموتى) أي شأنه احياء الموتى كما أحيي الارض الميتة (وأنه على كل شئ قدير) فاذا دلت المشاهدة على قدرته تعالى على احياء بعض الاموات لزم اقتداره تعالى على احياء جميع الاموات فلابد وان يكون قادرا على اعادة الموتى الى الحياة (وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) وهذا كناية عن كونه تعالى حكيما لانه من روادف الحكمة فالمعنى ذلك أي خلق الانسان واحياء النبات حاصل بسبب أنه تعالى قادر على احياء الموتى وأنه تعالى حكيم لايخلف وعده وقد وعد باتيان الساعة والبعث فلابد أن يفي بما وعد (ومن الناس) وهو أبو جهل بن هشام (من يجادل في الله) أي في شأنه تعالى (بغير علم) أي كائنا بغير علم ضروري (ولاهدى) أي نظر صحيح هاد الى المعرفة (ولا كتاب منير) أي وحي مظهر للحق أي يجادل في شأنه تعالى من غير تمسك بقياس ضروري ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعي (ثاني عطفه) حال ثانية من فاعل يجادل أي معرضا بجانبه عن الحق متكبرا وقرأ الحسن بفتح العين أي مانعا لتعطفه قاسيا (ليضل عن سبيل الله) متعلق بيجادل أي فان المجادل أظهر التكبر لكي يتبعه غيره فيضله عن طريق الحق بالتمويهات فجمع بين الضلال والكفر واضلال الغير وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء فتكون اللام للعاقبة أي فان المجادل أظهر التكبر فيستمر ضلاله عن دين الله أو يزيد ضلاله عنه في عاقبة أمره فلاهداية له بعده (له في الدنيا خزي) وهو ما أصابه يوم بدر من القتل والاهانة (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) أي عذاب النار المحرقة (ذلك) أي العذاب الدنيوي والاخروي (بما قدمت يداك) أي بسبب ماعملته من الكفر والمعاصي (وأن الله ليس بظلام للعبيد) ومحل ان رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي والامر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من جهتهم (ومن الناس من يعبد الله على حرف) أي على طرف من الدين لافي وسطه وعلى ضعف يقين والجار والمجرور حال من فاعل يعبد أي متزلزلا (فان أصابه خير) دنيوي وهو مايوافق الطبع (اطمأن به) أي ثبت على ذلك الدين بسبب ذلك الخير الذي يوافق هواه (وان أصابته فتنة) وهو ما يثقل على طبعه (انقلب على وجهه) أي رجع الى دينه الاول وهو الشرك بالله ولما كانت الشدة ليست بقبيحة لم يقل تعالى وان أصابه شر لان ماينفر عنه الطبع ليس شرا في نفسه بل هو سبب القرب بشرط التسليم والرضا بالقضاء نزلت هذه الآية في أعراب كانوا يقدمون على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم اذا صح في المدينة جسمه ونتجت فرسه مهرا حسنا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن واطمأن اليه وان أصابه مرض وولدت امرأته جارية أو أجهضت رماكه ولم تلد فرسه وذهب ماله وتأخرت عنه الصدقة أتاه الشيطان وقال له ماجاءتك هذه الشرور الا بسبب هذا الدين فينقلب عن دينه وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وقتادة والكلبي رضي الله عنهم (خسر الدنيا والآخرة) قرأ العامة خسر فعلا ماضيا وهو استئناف أو حال من فاعل انقلب أو بدل من انقلب وقرأ مجاهد خاسر بصيغة اسم الفاعل منصوبا

(وترى الارض هامدة) أي جافة ذات تراب (فاذا أنزلنا عليها الماء) المطر (اهتزت) أي تحركت بالنبات (وربت) يعني وزادت (وأنبتت من كل زوج بهيج) أي من كل صنف حسن من النبات (ذلك) أي الذي تقدم ذكره من اختلاف أحوال خلق الانسان واحياء الارض (بأن الله هو الحق) الدائم الثابت الموجود (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) نزلت في أبي جهل (ولاهدى) أي ليس معه من ربه رشاد ولا بيان (ولا كتاب منير) له نور (ثاني عطفه) أي لاوي عنقه تكبرا (ليضل) الناس عن طاعة الله باتباع محمد صلى الله عليه وسلم (له في الدنيا خزي) يعني القتل ببدر (ذلك بما قدمت يداك) أي هذا العذاب بما كسبت (وأن الله ليس بظلام للعبيد) أي لايعاقب بغير جرم (ومن الناس من يعبد الله على حرف) أي على جانب لايدخل فيه دخول متمكن (فان أصابه خير) أي خصب وكثر ماله اطمأن به أي في الدين بذلك الخصب (وان أصابته فتنة) أي اختبار بجدب وقلة مال (انقلب على وجهه) أي رجع عن دينه الى الكفر

على الحال وقرئ بالرفع على الفاعلية أو على أنه خبر مبتدأ محذوف ...
الكرامة واصابة الغنيمة وأهلية الشهادة والامامة والقضاء وعصمة ماله ودمه أو بفوت ... 11
الثواب الدائم ويحصل له العقاب الدائم (ذلك هو الخسران المبين) أى الواضح اذ لا خسران أعظم
(يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه) استئناف مبين لعظم الخسران وهي واردة فى المشركين
الذين قدموا الى النبي صلى الله عليه وسلم على وجه النفاق وهو بنو الحلاف منافقو بنى أسد وغطفان
أى أيعبد من ذكورهم بنو الحلاف متجاوزا عبادة الله تعالى جمادا لا يضره اذا لم يعبده ولا ينفعه
ان عبده (ذلك) العبادة (هو الضلال البعيد) عن الصواب وهو الكفر العظيم (يدعوا)
بالقول (لمن ضره أقرب من نفعه) استئناف مذكور لبيان عاقبة عبادته المذكورة فالدعاء بمعنى
القول واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولا له ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان خبره أقرب والجملة صلة
للمبتدا الاول أى يقول ذلك الكافر يوم القيامة بصراخ حين يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار
بسببه لمن ضره أقرب من نفعه والله (لبئس المولى) أى الناصر هو (ولبئس العشير) أى الصاحب
هو (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار) لان عبادتهم
حقيقية ومعبودهم يعطيهم أعظم المنافع وهو الجنة (ان الله يفعل ما يريد) بهم من أنواع الفضل
والاحسان زيادة على أجورهم (من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى
السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) أى من ظن أن لن ينصر الله محمدا صلى الله عليه
وسلم فى الدنيا باعلاء كلمته واظهار دينه وفى الآخرة باعلاء درجته والانتقام ممن كذبه فليطلب
سببا يتصل به الى سماء الدنيا فليقطع نصر الله لنبيه ولينظر هل يتهيأ له الوصول الى السماء بحيلة وهل
يتهيأ له أن يقطع بذلك نصر الله عن رسوله فاذا كان ذلك ممتنعا كان غيظه عديم الفائدة وهذا زجر
للكفار عن الغيظ فيما لا فائدة فيه فان أعداءه صلى الله عليه وسلم كانوا يتمنون أن لا ينصره الله
وأن لا يعليه على أعدائه فمتى شاهدوا ان الله نصره غاظهم ذلك (وكذلك) أى مثل ذلك الانزال
(أنزلناه) أى القرآن (آيات بينات) أى واضحات الدلالة على معانيها الرائقة فآيات حال من الهاء
(وأن الله يهدى من يريد) هدايته بأن يخلق له المعرفة ومحل الجملة اما الجر على حذف الجار المتعلق
بمحذوف مؤخر أى ولان الله يهدى من يريد أنزله كذلك أو الرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف والامر
أن الله يهدى من يريد هدايته ثم بين من يهديه ومن لا يهديه فقال (ان الذين آمنوا) بكل ما يجب
أن يؤمن به (والذين هادوا) أى تدينوا بدين اليهودية (والصابئين) وهم شعبة من النصارى
قيل سميت بذلك لنسبتها الى صابئ عم نوح عليه السلام (والنصارى) وهم الذين انتحلوا
دين النصرانية (والمجوس) عبدة الشمس والنيران (والذين أشركوا) هم عبدة الاوثان (ان الله
يفصل بينهم يوم القيامة) فى الاحوال والاماكن فيظهر المحق من المبطل فلا يجازيهم جزاء واحدا
بغير تفاوت ولا يجمعهم فى موطن واحد (ان الله على كل شئ شهيد) أى فهو عالم بما يستحقه كل منهم
فلا يجرى فى ذلك الفصل حيف ولا يغيب عن علمه شئ والاديان الحاصلة بسبب الاختلافات فى
الانبياء ستة فمن الناس من يعترفون بوجود الانبياء ومن لا فالمعترفون بذلك فاما أن يكونوا أتباعا
لمن كان نبيا أو لمن كان متنبيا فاتباع الانبياء هم المسلمون واليهود والنصارى وفرقة أخرى بين اليهود
والنصارى وهم الصابئون فهم مختلفون فى نبوة محمد وموسى وعيسى فاليهود نفوا نبوة محمد وعيسى
والنصارى نفوا نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والصابئون تارة يوافقون النصارى فى أصول
دينهم فتحل لنا مناكحتهم وتارة يخالفونهم فلا تحل لنا مناكحتهم ويطلق الصابئون أيضا على قوم أقدم

(يدعوا من دون الله ما لا يضره) ان عصاه (وما لا ينفعه) ان أطاعه (ذلك هو الضلال البعيد) أى الذهاب عن الحق (يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه) أى ضره لعبادته أقرب من نفعه ولا نفع عنده والعرب تقول لما لا يكون هو بعيد والمعنى فى هذا انه يضر ولا ينفع (لبئس المولى) أى الناصر (ولبئس العشير) أى الصاحب والخليط (من كان يظن أن لن ينصره الله) أى محمدا حتى يظهره على الدين كله فليمت غيظا وهو تفسير قوله (فليمدد بسبب الى السماء) أى فليشدد حبلا فى سقفه (ثم ليقطع) أى ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقا (فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) أى غيظه وقوله (ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) أى يحكم ويقضى بينهم بأن يدخل المؤمنين الجنة وغيرهم من هؤلاء الفرق النار (ان الله على كل شئ شهيد) يريد ان الله عالم بما فى قلوبهم

من الصابئين ... يعتقدون ... الآثار اليها وينفون الصانع المختار فهؤلاء لا تحل مناكحتهم ولا ذبائحهم (والمجوس) هم قوم يستعملون النجاسات والمنكرون للانبياء على الاطلاق (والذين أشركوا) هم عبدة الاصنام وهم المسمون بالمشركين ويدخل فيهم البراهمة على اختلاف طبقاتهم وقال قتادة ومقاتل الاديان ستة واحد لله تعالى وهو الاسلام وخمسة للشيطان وهي ما عداه وقرأ نافع الصابين بالياء التحتية بعد الباء الموحدة وقال الزجاج قوله تعالى ان الله يفصل خبر لقوله تعالى ان الذين آمنوا كما تقول ان أخاك ان الدين عليه لكثير وأدخلت ان على واحد من جزأي الجملة لزيادة التأكيد (ألم تر) أي ألم تعلم يا أشرف الخلق بخبر الله تعالى لك (أن الله يسجد) أي ينقاد (له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) فهؤلاء ينقادون لتدبيره تعالى انقيادا تاما يقبلون لما أحدثه الله تعالى فيهم من غير امتناع (و) يسجد له تعالى (كثير من الناس) سجود طاعة وعبادة وهم المؤمنون (وكثير حق عليه العذاب) بامتناعه من السجود وهو من لا يوحد الله تعالى وقرئ حق بالرفع وحقا بالنصب أي حق عليه العذاب حقا (ومن يهن الله) بالشقاوة (فماله من مكرم) بالسعادة أي ان الذين وجب عليهم العذاب ليس لهم أحد يقدر على ازالة ذلك الهوان عنهم بطريق الشفاعة لهم وقرأ ابن أبي عبلة مكرم بفتح الراء على أنه مصدر ميمي أي فماله من اكرام (ان الله يفعل ما يشاء) من الاكرام بالثواب والاهانة بالعقاب (هذان خصمان) أي طائفة المؤمنين وطائفة الكفار المنقسمة الى الفرق الخمس فريقان مختصمان وقرأ ابن كثير هذان بتشديد النون وروي عن الكسائي خصمان بكسر الخاء (اختصموا في ربهم) أي في شأنه قال ابن عباس نزلت هذه الآية في المسلمين وأهل الكتاب حيث قال أهل الكتاب نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن أحق بالله منكم آمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم فحكم الله بينهم فقال (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) أي قدرت على مقادير جثثهم نيران تحيط بهم احاطة الثياب بلابسها فالمراد بالثياب احاطة النار بهم أي جعلت النار محيطة بهم كقوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش كما روي عن أنس وقال سعيد ابن جبير أي قطعت قمص وجباب من نحاس أذيب بالنار كقوله تعالى سرابيلهم من قطران فليس شئ حمي بالنار أشد حرارة منه (يصب من فوق رؤسهم الحميم) أي الماء الحار (يصهر به ما في بطونهم والجلود) أي يذاب بالماء الحار اذا يصب على رؤسهم ظاهرهم وباطنهم من الجلود والامعاء وفي الحديث الذي رواه الترمذي ان الحميم ليصب من فوق رؤسهم فينفذ من جمجمة أحدهم حتى يخلص الى جوفه فيسلب ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان (ولهم) أي للكفرة (مقامع من حديد) أي مطارق من حديد فاللام للاستحقاق (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) أي من النار (من غم) شديد (أعيدوا فيها) بالمقامع روي عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا (و) قيل لهم (ذوقوا عذاب الحريق) أي عذاب الغليظ من النار لعظيم الاهلاك (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها) بالبناء للمفعول وبتشديد اللام أي يزينون وقرئ بسكون الحاء أي يلبسون في الجنة أي تحليهم الملائكة بأمره تعالى وقرئ يحلون بفتح الياء وسكون الحاء أي يلبسون حليتهم (من أساور من ذهب ولؤلؤا) بالجر في قراءة الجمهور عطفا على ذهب بناء على أن الاساور مركبة منهما

والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب) وذلك أن كل شئ منقاد لله عز وجل على ما خلقه وعلى ما رزقه وعلى ما أصحه وعلى ما أسقمه فالبر والفاجر والمؤمن والكافر في هذا سواء (ومن يهن الله) أي يذله بالكفر (فماله من مكرم) أي أحد يكرمه (ان الله يفعل ما يشاء) أي يهين من يشاء بالكفر ويكرم من يشاء بالايمان (هذان خصمان) يعني المؤمنين والكافرين (اختصموا في ربهم) أي في دينه (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) أي يلبسون مقطعات النيران (يصب من فوق رؤسهم الحميم) أي ماء حار لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا أذابتها (يصهر) أي يذاب (به) يعني بذلك الماء (ما في بطونهم) من الامعاء (والجلود) وتشوى جلودهم فتساقط (ولهم مقامع) أي سياط (من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها) أي من جهنم (من غم) يصيبهم (أعيدوا فيها) أي ردوا اليها بالمقامع (و) تقول لهم الخزنة (ذوقوا عذاب الحريق) أي النار وقال في الخصم الذي هم المؤمنون (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا

... الذهب اللؤلؤ وفي سورة الكهف ليس فيها ذكر لؤلؤ وفي سورة هل أتى ...
اللؤلؤ ولا الذهب وهنا قد ذكرا فيجتمع لهم التزين بهذه الامور بالذهب وحده وبالفضة وحدها
وبالذهب واللؤلؤ بالنصب في قراءة نافع وعاصم عطفا على محل من أساور لانه بتقدير ويحلون حليا من
أساور ويحلون لؤلؤا فمن ذهب بيان للاساور (ولباسهم فيها) أي الجنة (حرير) أي ان الحرير
ثيابهم المعتادة في الجنة فلا يمكن عراؤهم منه (وهدوا الى الطيب من القول) وهو قولهم الحمد لله الذي
صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة الآية كما قاله ابن عباس في رواية عطاء (وهدوا الى
صراط الحميد) أي أرشدوا الى الطريق الى الله تعالى وهو دين الاسلام فالحميد هو الله فهو محمود في
أفعاله (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) أي يصرفون الناس عن دين الله (والمسجد
الحرام) أي وعن دخوله (الذي جعلناه للناس سواء العاكف) أي المقيم (فيه والباد) أي
الطارئ وقرأ حفص عن عاصم ويعقوب سواء بالنصب مفعول ثان لجعلناه والعاكف مرفوع به
على الفاعلية وللناس متعلق بسواء ظرف له والباقون سواء بالرفع على انه خبر مقدم والعاكف مبتدأ
والجملة مفعول ثان لجعلناه وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس (ومن يرد فيه بالحاد بظلم
نذقه من عذاب أليم) فبالحاد وبظلم حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول أي
ومن يرد في مكة مرادا ما مائلا عن الاعتدال ظالما أحدا نذقه من عذاب أليم فان الواجب على من كان
فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق العدل في جميع ما يقصده وقرئ يرد بفتح الياء أي من أتى فيه
بالحاد كاحتكار الطعام وكدخول مكة بغير احرام (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت) أي واذكر حين
جعلنا لابراهيم مكان البيت مرجعا له بأن يكون موحدا بقلبه لرب البيت عن الشريك ومشتغلا بجسده
بتنظيف البيت عن الاوثان (أن لا تشرك بي شيأ) فان مفسرة لبوأنا أي لا تشرك بي غرضا آخر
في بناء البيت ولا تجعل في العبادة لي شريكا وكان البيت قد رفع الى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة
حمراء فأعلم الله تعالى ابراهيم عليه السلام مكانه بريح أرسلها فكشفت ما حوله فبناه على أسه
الاول (وطهر بيتي) من الاوثان والاقذار (للطائفين) حوله (والقائمين والركع السجود)
أي المصلين الجامعين بين القيام والركوع والسجود (وأذن في الناس بالحج) أي ناد فيهم بالامر
بالحج روى أن سيدنا ابراهيم صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فأجابه يومئذ
بالتلبية من كان في أصلاب الرجال وأرحام النساء وأول من أجابه أهل اليمن فليس حاج يحج من
يومئذ الى يوم تقوم الساعة الا من كان أجاب ابراهيم يومئذ فمن لبى مرة حج مرة ومن لبى مرتين حج
مرتين ومن لبى أكثر حج بقدر تلبيته (يأتوك) أي يأتوا البيت الذي بنيته (رجالا) أي مشاة
على أرجلهم وقرئ بضم الراء وتخفيف الجيم وتشديده وقرئ رجالى كعجالى عن ابن عباس (وعلى
كل ضامر) أي وركبانا على كل ابل مهزول لطول سفره (يأتين من كل فج عميق) أي تأتي جماعة
الابل من كل طريق بعيد وقرئ يأتون أي الناس (ليشهدوا منافع لهم) أي ليحضروا منافع
مختصة بهذه العبادة كائنة لهم دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادة كحصول المغفرة والاموال
وقوله تعالى ليشهدوا متعلق بيأتوك (ويذكروا اسم الله في أيام معلومات) وهي أيام عاشر ذي
الحجة كما اختاره الشافعي وأبو حنيفة لانه معلوم عند الناس لحرصهم على علمه من أجل ان وقت
الحج في آخره وقال ابن عباس في رواية عطاء ان أياما معلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده كما اختاره

... (... الحميد) يعني الله المحمود في أفعاله (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) أي يمنعون عن طاعة الله (والمسجد الحرام) أي ويمنعون المؤمنين عنه (الذي جعلناه للناس) أي خلقناه وبيناه للناس كلهم لم يخص به بعض دون بعض (سواء العاكف فيه والباد) أي سواء في تعظيم حرمته وقضاء النسك به الحاضر والذي يأتيه من البلاد وليس أهل مكة أحق به من النازع اليه (ومن يرد فيه بالحاد بظلم) أي الحاد الظلم وهو أن يميل الى الظلم ومعناه صيد حمامه وقطع شجره ودخوله غير محرم وجميع المعاصي لان السيئات تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت) أي بيناله أين يبنيه (أن لا تشرك) يعني وأمرناه أن لا تشرك (بي شيأ وطهر بيتي) مفسرة في سورة البقرة (وأذن في الناس) أي نادفيهم (بالحج يأتوك رجالا) أي مشاة على أرجلهم وركبانا (وعلى كل ضامر) وهو البعير المهزول (يأتين من كل فج عميق) أي طريق بعيد (ليشهدوا) ليحضروا (منافع لهم) أي من أمر الدنيا والآخرة (ويذكروا اسم الله في أيام معلومات)

أبو مسلم وهو قول أبي يوسف ومحمد رحمهم الله تعالى والمراد بالذكر ما وقع عند النحر كان يقول الذابح بسم الله والله أكبر اللهم منك واليك ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) أي لاجل ما رزقهم من الابل والبقر والغنم قال القفال وكأن المتقرب بها وبإراقة دمائها متصور بصورة من يفدي نفسه بما يعادلها فكأنه يبذل تلك الشاة بدل مهجته طلبا لمرضاة الله تعالى واعترافا بأن تقصيره كاد يستحق مهجته (فكلوا منها) أي فاذكروا اسم الله على ضحاياكم فكلوا من لحومها (وأطعموا البائس الفقير) قال ابن عباس البائس الذي ظهر بؤسه في ثيابه وفي وجهه والفقير الذي تكون ثيابه نقية ووجهه وجه غناء قال الشافعي لا يأكل من الواجب شيأ وذلك مثل دم التمتع والقران وجزاء الصيد والنذر وغير ذلك وقال ابن عمر وأحمد واسحق لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما سوى ذلك وقال مالك يأكل من هدى التمتع ومن كل هدي وجب عليه الا من فدية الاذى وجزاء الصيد والنذر وعن أصحاب أبي حنيفة انه يأكل من دم التمتع ودم القران ولا يأكل من واجب سواهما (ثم ليقضوا تفثهم) أي ثم بعد خروجهم من الاحرام ليقطعوا أدرانهم كالشارب والاظفار والابط والعانة (وليوفوا نذورهم) أي ما أوجبوه على أنفسهم ما لم يكن الحج يقتضي وجوب ذلك من الضحايا وغيرها وقرأ أبو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء أي ليتمموا ذلك (وليطوفوا) الطواف الذي يتم به التحلل (بالبيت العتيق) أي القديم لانه أول بيت بني وقد أعتق من غرق الطوفان زمن نوح ومن تسلط كل جبار دخل فيه ليهدمه وهو بيت كريم لم يملك قط وفي قراءة أبي عمرو تحريك اللامات الثلاثة بالكسر وفي قراءة ابن ذكوان بكسر اللامين الاخيرين وفي قراءة الباقين باسكان الكل (ذلك) خبر مبتدا محذوف ويذكر للفصل بين كلامين أي الشأن ذلك المذكور من قوله تعالى واذ بوأنا الى هنا أو مبتدأ خبره محذوف أي ذلك الامر لازم لكم أو مفعول لمحذوف أي احفظوا ذلك (ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه) أي ومن يعظم جميع تكاليف الله تعالى من مناسك الحج وغيرها بالعمل بموجبه فتعظيمه قربة عند الله يثاب عليها في الآخرة (وأحلت لكم الانعام) أي رخصت لكم حال الاحرام ذبيحة الانعام وأكل لحومها (الا ما يتلى عليكم) أي الا ما يتلى عليكم آية تحريمه مما حرم منها لعارض كالميتة وما أهل به لغير الله تعالى (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) أي فاجتنبوا القذر الذي هو الاوثان فعبادة الاوثان قذر معنوي (واجتنبوا قول الزور) أي القول المنحرف عن الواقع كالافتراء على الله تعالى بأنه حكم بتحريم البحائر والسوائب ونحوهما (حنفاء لله) أي مائلين عن كل دين زائغ الى الدين الحق (غير مشركين به) شيأ من الاشياء وهذان حالان من واو فاجتنبوا فالاولى مؤسسة والثانية مؤكدة (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق) أي ان بعد من أشرك بالله عن الحق كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير حيث يشاء فان الاهواء المردية توزع أفكاره أو قذفت به الريح في مكان بعيد فان الشيطان قد طرحه في وادي الضلالة أو المعنى من أشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا شبيها باستلاب الطير لحمه وتفرق أجزائه في حواصلها أو بسقوطه في المكان البعيد بعصف الريح به (ذلك) أي الامر ذلك لتباعد لمن أشرك بالله أو امتثلوا ذلك أمر الله (ومن يعظم شعائر الله) أي معالم الحج وهي الهدايا (فانها من تقوى القلوب) أي فان تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب وتعظيمها

اباحة وكان أهل الجاهلية لا يأكلون من نسائكهم فأمر المسلمون أن يأكلوا (وأطعموا البائس الفقير) أي الشديد الفقر (ثم ليقضوا تفثهم) يعني ما يخرجون به من الاحرام وهو الاخذ من الشارب وتقليم الاظفار وحلق العانة ولبس الثوب (وليوفوا نذورهم) يعني ما نذروه من برّ وهدي في أيام الحج (وليطوفوا بالبيت العتيق) أي القديم وقيل المعتق من أن يتسلط عليه جبار يعني الكعبة (ذلك) أي الامر الذي ذكرت (ومن يعظم حرمات الله) أي فرائضه وسننه (وأحلت لكم الانعام) أن تأكلوها (الا ما يتلى عليكم) في قوله حرمت عليكم الميتة الآية ومعنى هذا النهي عن تحريم ما حرمه أهل الجاهلية من البحيرة والسائبة وغيرها (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) يعني عبادتها (واجتنبوا قول الزور) يعني الشرك بالله (حنفاء لله) أي مسلمين عادلين عن كل دين سواه (ومن يشرك بالله فكأنما خر) أي سقط (من السماء) فاختطفته الطير من الهواء وألقته الريح (في مكان سحيق) بعيد يعني أن من أشرك فقد هلك وبعد عن الحق (ذلك ومن يعظم شعائر الله) أي يستسمن البدن فانها من علامات التقوى

ان التعريض بها من أجل القربات وان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روى انه
صلى الله عليه وسلم أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبى جهل فى أنفه برة من ذهب وان عمر أهدى
نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار وسميت الهدايا شعائر لتعليمها بعلامة يعرف بها أنها هدايا كطعن
حديدة فى سنامها وتعليق النعال فى أعناقها وتعليق آذان القرب فى آذان الغنم (لكم فيها)
أى الشعائر واجبة أو مندوبة (منافع) مع تسمية الانعام هديا بأن تركبوها ان احتجتم اليها
وتركبوها لغيركم بلا أجرة فان كان اركابها بأجرة حرم وان تشربوا ألبانها الفاضلة عن ولدها اذا
اضطررتم اليها (الى أجل مسمى) أى الى أن تنحروها ولا تسمى الانعام شعائر اقبل أن تسمى
هديا كما اختاره الشافعى وروى أبو هريرة انه صلى الله عليه وسلم مر برجل يسوق بدنة وهو
فى جهد فقال صلى الله عليه وسلم اركبها ويلك (ثم محلها الى البيت العتيق) أى ثم أعظم هذه
المنافع وقت وجوب نحر الهدايا منتهية الى الحرم كله قال صلى الله عليه وسلم كل فجاج منى منحر
(ولكل أمة) من الامم السالفة من عهد ابراهيم عليه السلام الى من بعده (جعلنا منسكا) أى
قربانا يتقربون به الى الله تعالى وقرأ أهل الكوفة الا عاصما منسكا بكسر السين أى مذبحا وهو موضع
ذبح القربان وقرأ الباقون بالفتح وهو اراقة الدم لوجه الله تعالى وهو ذبح القرابين (ليذكروا
اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعام) أى عند ذبحها وفى هذا تنبيه على أن المقصود الاصلى من
طلب الذبائح تذكر المعبود وعلى أن القربان يجب أن يكون من الانعام (فالهكم اله واحد)
فلا تذكروا على ذبائحكم غير اسم الله وفى هذا بيان ان الله تعالى واحد فى ذاته كما انه واحد فى
الهيته لكل الخلق (فله أسلموا) أى فاذا كان الهكم الها واحدا فاخلصوا له الذكر بحيث
لايشوبه اشراك البتة وانقادوا له تعالى فى جميع تكاليفه (وبشر المخبتين) أى المتواضعين
فالحاج من صفات المتواضعين كالتجرد عن اللباس وكشف الرأس والغربة من الاوطان (الذين اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم) من مشاق التكليف والمصائب فأما مايصيبهم من
قبل الظلمة فالصبر عليه غير واجب بل ان أمكنه دفع ذلك لزمه الدفع ولو بالمقاتلة (والمقيمى الصلاة)
فى أوقاتها وقرأ الحسن والمقيمى الصلاة بنصب الصلاة على تقدير النون وقرأ ابن مسعود والمقيمين
الصلاة على الاصل (ومما رزقناهم ينفقون) فى وجوه الخيرات وأمر الله تعالى رسوله أن يبشر بالجنة
المتواضعين المتصفين بوجل القلوب اذا أمروا بأمر من الله تعالى وبالصبر اذا أصابهم البلاء من الله تعالى
وباقامة الصلاة فى وقت السفر للحج وبصدقة التطوع أى لذلك الوجل أثر ان الصبر على البلايا التى
من قبل الله تعالى والاشتغال بالخدمة بالنفس وبالمال وهما أعز الاشياء عند الانسان فالخدمة
بالنفس هى الصلاة والخدمة بالمال هى انفاقه فى وجوه الخيرات (والبدن جعلناها لكم من
شعائر الله) أى أعلام دينه وهو مفعول ثان ولكم متعلق به والبدن عند الشافعى خاصة بالابل
وعند أبى حنيفة الابل والبقر (لكم فيها) أى البدن (خير) أى منافع دينية ودنيوية هى درها
ونسلها وصوفها وظهرها (فاذكروا اسم الله عليها) أى على نحرها (صواف) أى قياما على
ثلاث قوائم قد صفت رجليها ويدها اليمنى ويد أخرى معقولة فينحرها كذلك بأن تقولوا عند
الذبح بسم الله والله أكبر اللهم منك واليك وقرئ صوافن بضم النون وقرئ صوافى أى خوالص
لوجه الله تعالى لاتشركوا بالله فى التسمية أحدا على نحرها وخوالص من العيوب وعن عمرو بن
عبيد صوافيا بالتنوين عوضا عن حرف الاطلاق عند الوقف (فاذا وجبت جنوبها) أى سقطت
على الارض وذلك عند خروج الروح منها (فكلوا منها) ان شئتم اذا كانت الاضاحى تطوعا

(لكم فيها منافع) أى
من الركوب والدر والنسل
(الى أجل مسمى) وهو أن
يسميها هديا (ثم محلها) أى
حيث يحل نحرها (عند
البيت العتيق) يعنى الحرم
كله (ولكل أمة) أى جماعة
سلفت قبلكم (جعلنا
منسكا) أى ذبحا للقرابين
(ليذكروا اسم الله) عند
الذبح (على مارزقهم من
بهيمة الانعام) يعنى الانعام
كلها (فالهكم اله واحد) أى
لاتذكروا على ذبائحكم الا
الله وحده (فله أسلموا) أى
أخلصوا العبادة (وبشر
المخبتين) أى المتواضعين
(والبدن) الابل والبقر
(جعلناها لكم من شعائر
الله) أى أعلام دينه (لكم
فيها خير) أى النفع فى
الدنيا والأجر فى العقبى
(فاذكروا اسم الله عليها)
وهو أن تقول عند نحرها
الله أكبر لا اله الا الله والله
أكبر (صواف) أى قائمة
معقولة اليد اليسرى (فاذا
وجبت جنوبها) أى
سقطت على الارض
فكلوا منها

واطعموا

(وأطعموا القانع) أى [illegible] اليه من غير سؤال (والمعتر) أى الذى يعتر بالسلام ولا يسأل بل يريه نفسه للناس كالمعتر (كذلك) أى مثل ذلك التسخير (سخرناها لكم) مع كمال عظمها ونهاية قوتها أى فالله تعالى جعل الابل والبقر بالصفة التى يمكننا تصريفها على ما نريد وذلك نعمة عظيمة من الله تعالى فى الدنيا والدين (لعلكم تشكرون) أى لتشكروا انعامنا عليكم بالاخلاص (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) أى لن يصل الى الله تعالى أى الى مرضاته لحوم القرابين ولا دماؤها ولكن يقبل الله الاعمال الطاهرة منكم فمنها التصدق باللحم وهو من عمل العبد فيرفع الى الله وأما نفس اللحم المتصدق به فلا يرفع الى الله والمعنى ان الله لا يثيبكم على لحمها الا اذا وقع موقعا من وجوه الخير وهو امتثال أمره تعالى وتعظيمه والاخلاص له تعالى وروى انهم كانوا فى الجاهلية يضربون لحم الاضاحى على حائط الكعبة ويلطخونها بدمها فأراد المسلمون أن يفعلوا فعل المشركين من الذبح وتشريح اللحم منصوبا حول الكعبة وتضميخ الكعبة بالدم تقربا الى الله تعالى فنزلت هذه الآية (كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم) أى انما سخر الله تعالى البدن لكم هكذا لتشكروا الله تعالى على ارشادكم الى اعلام دينكم والى كيفية التقرب بها والى طريق تذليلها ولتقولوا الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا (وبشر المحسنين) أى المخلصين فى كل ما يأتون وما يذرون فى أمور دينهم (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) قرأ ابن كثير وأبو عمرو يدفع بفتح الياء وسكون الدال وفتح الفاء والباقون بضم الياء وفتح الدال مع الالف وكسر الفاء أى يبالغ فى دفع ضرر المشركين عن الذين آمنوا (ان الله لا يحب كل خوان) فى أمانات الله تعالى وهى أوامره ونواهيه (كفور) لنعمته وهم المشركون فانهم أقروا بالصانع وعبدوا غيره فأى خيانة أعظم من هذا (أذن للذين يقاتلون) قرأ أهل المدينة والبصرة وعاصم فى رواية حفص اذن بالبناء للمجهول والباقون بالبناء للفاعل وقرأ أهل المدينة وعاصم يقاتلون بالبناء للمفعول وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى ببناء الفعلين للفاعل وأبو عمرو وأبو بكر ببناء الاول للمفعول والثانى للفاعل وابن عامر عكس هذا أى أذن الله بعد الهجرة للذين يريدون قتال المشركين فى أن يقاتلوا (بأنهم ظلموا) قيل نزلت هذه الآية فى قوم خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة فاعترضهم مشركوا مكة فأذن الله لهم فى قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة بسبب انهم مظلومون بالايذاء وقيل كان مشركو مكة يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أذى شديدا وكانوا يأتونه صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يشكون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزل الله تعالى هذه الآية وهى أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية (وان الله على نصرهم) أى نصر المؤمنين الذين يقاتلهم المشركون عليهم (لقدير) وعد الله للمؤمنين بالنصر على طريق الكناية كما وعد بدفع أذى الكفار عنهم (الذين أخرجوا من ديارهم) مكة المعظمة فالموصول اما نعت للموصول الاول أو الثانى أو بيان له أو بدل منه واما منصوب على المدح أو مرفوع باضمار مبتدا على المدح (بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله) وهذا بدل من حق أى انهم أخرجوا من مكة بغير سبب الا بقولهم ربنا الله وحده ومحمد رسوله الينا فالتوحيد هو الذى ينبغى ان يكون سبب التمكين فى مكة لا سبب الاخراج فالاخراج به اخراج بغير حق (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) بتسليط المؤمنين على الكافرين فى كل زمان (لهدمت صوامع) للرهبانية

(سخرناها لكم) يعنى البدن (لعلكم تشكرون) أى لكى تطيعونى (لن ينال الله) كان المشركون يلطخون جدار الكعبة بدماء القرابين فقال الله تعالى لن ينال الله أى لن يصل الى الله (لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) أى النية والاخلاص وما أريد به وجه الله (لتكبروا الله على ما هداكم) الى معالم دينه (وبشر المحسنين) أى الموحدين (ان الله يدافع) أى غائلة المشركين عن المؤمنين (ان الله لا يحب كل خوان) فى أمانته (كفور) لنعمته وهم الذين تقربوا الى الاصنام بذبائحهم (أذن للذين يقاتلون) يعنى المؤمنين وهذه أول آية نزلت فى الجهاد والمعنى أذن لهم بأن يقاتلوا (بأنهم ظلموا) يعنى بظلم الكافرين اياهم (وان الله على نصرهم لقدير) وعد من الله بالنصر (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق) يعنى المهاجرين (الا أن يقولوا ربنا الله) أى لم يخرجوا الا بأن وحدوا الله (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) أى لولا أن دفع الله بعض الناس ببعض (لهدمت صوامع

(وبيع) للنصارى (وصلوات) أى كنائس لليهود (ومساجد) للمسلمين (يذكر فيها) أى فى هذه المواضع الاربعة (اسم الله كثيرا) قال الزجاج أى ولولا دفاع الله أهل الشرك بالمؤمنين بالاذن لهم فى جهادهم لاستولى أهل الشرك على أهل الاديان وعطلوا مواضع عبادات المؤمنين منهم فهدم فى شرع كل نبى المكان الذى يصلى فيه فلولا ذلك الدفع لهدم فى زمن موسى الكنائس التى كانوا يصلون فيها فى شرعه وهى المسماة بالصلوات وهى كلمة معربة أصلها بالعبرانية صلوثا بفتح الصاد والثاء المثلثة والقصر وبه قرئ فى الشواذ ومعناه فى لغتهم مصلى وفى زمن عيسى الصوامع والبيع وهما للنصارى لكن الصوامع هى التى يبنونها فى الصحارى والبيع هى التى يبنونها فى البلدان وفى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم المساجد وقرأ نافع دفاع بكسر الدال وفتح الفاء مع الالف وقرأ نافع وابن كثير لهدمت بتخفيف الدال (ولينصرن الله من ينصره) أى من ينصر دينه وأولياءه بان يظفرهم باعدائهم بالتجلد فى القتال وبايضاح الادلة وبالاعانة على الطاعات (ان الله لقوى) على هذه النصرة التى وعدها للمؤمنين (عزيز) أى لا يمنعه شئ وقد أنجز الله وعده بأن سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرتهم وأورثهم أرضهم وديارهم (الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) أى المأذون لهم فى القتال المخرجون من ديارهم هم الذين ان أعطيناهم السلطنة ونفاذ القول على الخلق أتوا بالامور الاربعة وهى اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهذا دليل على صحة امامة الخلفاء الاربعة لان الله تعالى لم يعط نفاذ الامر غيرهم من المهاجرين أما الانصار فلم يخرجوا من ديارهم وفى هذه الآية اخبار من الله تعالى بالغيب عما تكون عليه سيرة المهاجرين ان أعطاهم السلطنة على الارض وثناء منه تعالى عليهم قبل احداثهم الخير (ولله عاقبة الامور) وفى هذا اشارة الى حضور سلطنة من أخرجهم كفار مكة ووقوع ملكه مع السيرة العادلة وهم الخلفاء الراشدون ثم ان الامور ترجع الى الله تعالى فى العاقبة فانه تعالى هو الذى لا يزول ملكه أبدا وفى هذا تأكيد للوعد باعلاء دينه تعالى واظهار أوليائه (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى) أى وان تحزن يا أشرف الخلق على تكذيب قومك اياك فانت يا أكرم الرسل لست بأوحدى فى التكذيب فتسل بهم فانه قد كذب سائر الامم أنبياءهم قبل تكذيب قومك اياك كذب قوم نوح الذين هم من أشد الناس نوحا عليه السلام وكذب قوم هود الذين هم ذوو الابدان الشداد هودا عليه السلام وكذب قوم صالح الذين هم أولو الابنية الطوال فى الجبال والسهول صالحا عليه السلام وكذب قوم ابراهيم المتكبرون ابراهيم عليه السلام وكذب قوم لوط الانجاس لوطا عليه السلام وكذب قوم شعيب أرباب الاموال المجموعة شعيبا عليه السلام وكذب أهل مصر وهم القبط موسى عليه السلام (فأمليت للكافرين) أى أمهلتهم حتى انصرمت حبال آجالهم (ثم أخذتهم) بعذاب الاستئصال (فكيف كان نكير) أى فانظر يا سيد الرسل كيف كان تغييرى عليهم فان الله غير حياتهم باهلاكهم بعذاب الاستئصال وعمارتهم بالخراب (فكأين من قرية أهلكناها) وقرأ أبو عمرو ويعقوب أهلكتها على وفق فأمليت ثم أخذتهم أى فأهلكنا كثيرا من القرى باهلاك أهلها (وهى ظالمة) أى كافرة أهلها وهذه جملة حالية من مفعول أهلكنا (فهى خاوية على عروشها) أى فهى ساقطة حيطانها على

(وصلوات) فى أيام شريعة موسى يعنى كنائسهم وهى بالعبرانية صلوثا (ومساجد) فى أيام شريعة محمد صلى الله عليه وسلم (ولينصرن الله من ينصره) يعنى من نصر دين الله نصره الله على ذلك (ان الله لقوى) على خلقه (عزيز) أى منيع فى سلطانه (الذين ان مكناهم فى الارض) أى هذه الامة اذا فتح الله عليهم الارض (أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور) أى آخر أمور الخلق ومصيرهم اليه ثم عزى نبيه فقال (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين) أى أمهلتهم (ثم أخذتهم) أى عاقبتهم (فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم بما فعلوا بالعذاب (وكأين) فكم (من قرية أهلكناها وهى ظالمة) يعنى بالكفر (فهى خاوية) أى ساقطة (على عروشها) أى على سقوفها

سقوفها

سقوفها أن خرت سقوفها على الأرض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو فهي خالية عن الناس مع بقاء عروشها وهذه معطوفة على أهلكناها ولا محل لها من الاعراب ان جعلت أهلكناها مفسرة لمضمر ناصب لكأين ومحلها رفع ان جعل خبرا لكأين (وبئر معطلة) أي وكم بئر عامرة كثيرة الماء متروكة لا يستقي منها لهلاك أهلها (وقصر مشيد) أي مرفوع البنيان أو مجصص أخليناه عن ساكنه روى أبو هريرة ان هذه البئر نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله تعالى من العذاب وهم بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات ثم وثم بلدة عند البئر اسمها حاضورا بناها قوم صالح وأمروا عليها جاسر بن جلاس وجعلوا وزيره سنجاريب وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وأرسل الله تعالى اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه في السوق فأهلكهم الله تعالى وعطل بئرهم وخرب قصورهم وعلى هذا المراد بالبئر بئر بسفح جبل بحضرموت وبالقصر قصر مشرف على قنته (أفلم يسيروا في الارض) أي أغفل أهل مكة ولم يسافروا في تجاراتهم (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) ما يجب أن يعقل من التوحيد بسبب ما شاهدوه من مواد الاعتبار (أو آذان يسمعون بها) ما يجب أن يسمع من أخبار الرسول (فانها) الضمير للقصة يفسره ما بعده (لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) أي ليس الخلل في مشاعرهم وانما هو في عقولهم باتباع الهوى والانهماك في الغفلة والاعتماد في التقليد (ويستعجلونك بالعذاب) أي تطلب قريش كالنضر بن الحرث أن تأتيهم بالعذاب عاجلا استهزاء بك وتعجيزا لك على زعمهم وكان رسول الله يهددهم بنقمات الله دنيا وأخرى وهم يقولون ان ما حذرتنا به لا يقع وانه لا بعث فذكر الله تعالى نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة بقوله تعالى (ولن يخلف الله وعده) في انزال العذاب بكم في الدنيا وقد أنجز الله وعده يوم بدر فقتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) أي وان يوما من أيام عذابكم في الآخرة كألف سنة من سني الدنيا في كثرة الآلام وشدتها فلو عرفوا حال عذاب الآخرة انه بهذا الوصف لما استعجلوه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء التحتية فيكون مناسبا لقوله ويستعجلونك وقرأ الباقون بالتاء فيكون التفاتا (وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة) أي وكم من أهل قرية أخرت اهلاكهم مع استمرارهم على ظلمهم فاغتروا بذلك التأخير (ثم أخذتها والى المصير) أي ثم عاقبت أهل تلك القرية في الدنيا بأن أنزلت العذاب بهم ومع ذلك فعذابهم مدخر في الآخرة فاذا رجعوا الي أفعل بهم ما يليق بأعمالهم (قل يا أيها الناس) أي يا أهل مكة (انما أنا لكم نذير مبين) أي انما أنذركم انذارا بينا بما أوحي الي من أنباء الامم المهلكة وليس بي تعجيل للعذاب ولا تأخيره وانما بعثت للانذار فاستهزاؤكم بذلك لا يمنعني منه (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) من الذنوب الصغائر والكبائر (ورزق كريم) أي ثواب حسن في الجنة (والذين سعوا في آياتنا) أي الذين اجتهدوا في ابطال آياتنا حيث قالوا القرآن شعر أو سحر أو أساطير الاولين (معاجزين) أي معارضين المؤمنين فكلما طلب المؤمنون اظهار الحق طلب هؤلاء ابطاله أو ظانين عجزا عنهم بأن لا يدركهم عذابا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين بتشديد الجيم بعد العين المفتوحة أي مثبطين الناس عن الايمان أو طامعين عجز الرسول بالمكايد ظانين ذلك (أولئك) الموصوف بالسعي في ابطال القرآن واعتقاد العجز لله أو للرسول أو للمؤمنين (أصحاب الجحيم) أي ملازموا النار الموقدة (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى) أي اذا قرأ النبي أو الرسول (ألقى الشيطان في أمنيته)

كفار مكة فينظروا الى مصارع الأمم المكذبة وهو قوله (فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) فيتفكروا ويعتبروا ثم ذكر أن الابصار لا تعمى عن رؤية الآيات ولكن القلوب تعمى فلا تتفكر ولا تعتبر (ويستعجلونك بالعذاب) كانوا يقولون له ائتنا بما وعدتنا ان كنت من الصادقين فقال الله تعالى (ولن يخلف الله وعده) الذي وعدك من نصرك واهلاكهم ثم ذكر ان لهم مع عذاب الدنيا في الآخرة عذابا طويلا وهو قوله (وان يوما عند ربك) أي من أيام عذابهم (كألف سنة مما تعدون) وذلك ان يوما من أيام الآخرة كألف سنة في الدنيا ثم ذكر انه قد أخذهم بعد الامهال فقال (وكأين من قرية أمليت لها) الآية (والذين سعوا في آياتنا) أي عملوا في ابطالها (معاجزين) أي مقدرين أنهم يعجزوننا ويفوتوننا (وما أرسلنا من قبلك من رسول) وهو الذي يأتيه جبريل بالوحي عيانا (ولا نبي) وهو الذي تكون نبوته الهاما أو مناما (الا اذا تمنى) أي قرأ (ألقى الشيطان في أمنيته) أي في قراءته ماليس مما يقرأ يعني ما جرى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم حين قرأ سورة والنجم في مجلس من قريش فلما بلغ قوله ومناة الثالثة

[illegible]

أى فى قراءة الله النبى أو الرسول وكان النبى صلى الله عليه وسلم يرتل قراءته للقرآن فارتصده الشيطان فى
سكتته ونطق بقوله تلك الغرانيق العلا * وان شفاعتهن لترتجى محاكيا نغمة النبى صلى الله عليه وسلم
بحيث يسمعه من دنا اليه فظنها من قول النبى وأشاعها وفى هذا اخبار من الله تعالى بأن رسله اذا قالوا
قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه محاكيا صوتهم فهذا نص فى ان الشيطان زاد فى قول نبينا صلى الله
عليه وسلم لا ان نبينا قاله لانه معصوم وفى هذه الآية تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم لانه قد حزن بذلك
وشبهت الاصنام بالغرانيق التى هى طيور الماء التى تعلوا فى السماء وترتفع لاعتقاد الكفار انها تقربهم
من الله تعالى وتشفع لهم وانما سميت القراءة أمنية لان القارئ اذا انتهى الى آية رحمة تمنى حصولها
واذا انتهى الى آية عذاب تمنى أن لا يبتلى به (فينسخ الله) أى يزيل (ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته)
أى يثبت الله القرآن لنبيه لكى يعمل بها (والله عليم) بمصالح عباده المخلصين (حكيم) فيما يجرى
عليهم من الاعمال والاحوال ومن حكمته تعالى فيما يلقى الشيطان (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة
للذين فى قلوبهم مرض) أى شك وهم المنافقون (والقاسية قلوبهم) وهم المشركون المصرون على
جهلهم ظاهرا او باطنا فيرون الباطل حقا فأثبتوه ونفوا الحق فأبعدهم الله بهذا الامتحان عن حضرته
(وان الظالمين) أى هؤلاء المنافقين والمشركين (لفى شقاق بعيد) أى عداوة شديدة قالت قريش
ندم محمد على ذكر منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك وكانت الكلمتان اللتان زادهما الشيطان فى قول
نبينا صلى الله عليه وسلم قد وقعتا فى فم كل مشرك فازدادوا شرا على ما كانوا عليه وشدة على من أسلم
(وليعلم الذين أوتوا العلم) أى الذين رزقوا احسن بصيرة الذين يميزون بها بين الحق والباطل (أنه الحق
من ربك) أى أن القرآن هو الحق النازل من عند ربك (فيؤمنوا به) أى فيثبتوا على الايمان
بالقرآن (فتخبت له قلوبهم) أى فتنقاد قلوبهم بالقبول لما فى القرآن من الاوامر والنواهى (وان
الله لهادى الذين آمنوا) فى الامور الدينية (الى صراط مستقيم) أى الى نظر صحيح موصل الى
الحق الصريح (ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه) أى فى شك من القرآن (حتى تأتيهم الساعة)
أى القيامة نفسها (بغتة) أى فجأة من دون أن يشعروا (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) أى عذاب يوم
لا يوم بعده فيستمر ذلك اليوم كاستمرار المرأة على تعطل الولادة (الملك يومئذ) أى فى يوم عقيم
(لله) وحده فلا يكون فيه لاحد تصرف من التصرفات فى أمر من الامور لا حقيقة ولا مجازا ولا صورة
ولا معنى كما فى الدنيا فانه تعالى ملك فيها الامور غيره صورة (يحكم بينهم) أى بين المؤمنين بالقرآن
والممارين فيه (فالذين آمنوا) بالقرآن ولم يماروا فيه (وعملوا الصالحات) امتثالا بما أمروا فيه (فى
جنات النعيم) يكرمون بالتحف فضلا من الله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) أى أصروا على ذلك
(فأولئك لهم عذاب مهين) أى شديد بسبب معاصيهم أما اعطاء الثواب فبفضل الله لا بأعمالهم كما هو
حكمة ذكر الفاء وتركه فى الجانبين (والذين هاجروا فى سبيل الله) أى هاجروا الى المدينة لنصرة الرسول
صلى الله عليه وسلم وللتقرب الى الله تعالى (ثم قتلوا) أى قتلهم العدو وقرأ ابن عامر بتشديد التاء
(أو ماتوا) فى سفر أو حضر من غير قتل (ليرزقنهم الله رزقا حسنا) لا ينقطع أبدا من نعيم الجنة لاستواء
النوعين فى القصد وأصل العمل وروى أن بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبى الله هؤلاء

[illegible] (حكيم) [illegible] ثم
[illegible] أن ذلك ليفتن به قوما
فقال (ليجعل ما يلقى
الشيطان فتنة) أى ضلالة
(للذين فى قلوبهم مرض)
وهم أهل النفاق (والقاسية
قلوبهم) أى المشركين
(وان الظالمين) أى
الكافرين (لفى شقاق
بعيد) أى خلاف طويل
مع النبى صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين (وليعلم الذين
أوتوا العلم) أى التوحيد
والقرآن (أنه الحق) أى
الذى أحكم الله من آيات
القرآن وقوله (فتخبت له
قلوبهم) أى فتخشع
وتطمئن له (ولا يزال الذين
كفروا فى مرية) أى شك
(منه) أى مما ألقى على
لسان الرسول (حتى تأتيهم
الساعة) يعنى القيامة
(بغتة) أى فجأة (أو
يأتيهم عذاب يوم عقيم)
يعنى يوم بدر وكان عقيما
عن أن يكون للكافرين فيه
فرح أو راحة والعقيم معناه
التى لا تلد (الملك يومئذ)
يعنى يوم القيامة (لله) وحده
من غير منازع ولا مدع
(يحكم بينهم) ثم بين حكمه فقال (فالذين آمنوا
وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين والذين هاجروا) أى فارقوا أوطانهم وعشائرهم
(فى سبيل الله) فى طاعة الله (ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا) يعنى فى الجنة

للذين قتلوا في سبيل [illegible] ما أعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فنزلت عليه الآية (وان الله لهو خير الرازقين) فان ما يرزقه لا يقدر عليه أحد غيره والرزق الصادر منه لمحض الاحسان وان غيره انما يدفع الرزق من يده ليد غيره ولا يفعل ذلك الرزق ويرزق لا لتفاعه اما لاجل خروجه عن الواجب أو لاجل أن يستحق بالاعطاء ثناء أو عوضا أو لاجل الرقة الجنسية وأما الله تعالى فان كماله صفة ذاتية له فلا يستفيد من أحد كمالا زائدا فهو يرزق بغير حساب (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) بأن يدخلهم الجنة من غير مكروه تقدم ادخالا فوق ما يتمنونه ومدخلا فوق الذي يهوونه وقيل هو خيمة من درة بيضاء لا فصم فيها ولا وصم لها سبعون ألف مصراع وقال ابن عباس انهم يرون في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه ولا يبغون عنها حولا وقرأ نافع مدخلا بفتح الميم أي مكانا (وان الله لعليم) بما يرضونه وبما يستحقونه فيعطيهم ذلك في الجنة ويزيدهم (حليم) فلا يعجل من عصاه بالعقوبة لتقع التوبة منه فيستحق الجنة (ذلك) أي الامر ذلك الذي قصصناه عليك من انجاز الوعد للمهاجرين الذين قتلوا أو ماتوا (ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله) أي والذي قاتل من كان يقاتله من الكفار ثم ان القاتل ظلم عليه بأن ألجئ الى مفارقة الوطن وابتدئ بالقتال لينصرن الله المظلوم على الظالم قوله بمثل ما عوقب به الباء الأولى للآلة والثانية للسببية والعقاب مأخوذ من التعاقب وهو مجيء الشيء بعد غيره قال مقاتل نزلت هذه الآية في قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقال بعضهم لبعض ان أصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون أن يكفوا عن قتالهم لحرمة الشهر فأبوا وقاتلوهم وثبت المسلمون لهم فنصروا عليهم فحصل في أنفس المسلمين من القتال في الشهر الحرام شيء فأنزل الله تعالى هذه الآية (ان الله لعفو) عن هذه الاساءة (غفور) لهم ما صدر عنهم من ترجيح الانتقام على العفو والصبر المطلوب اليهما وانما عفا عنهم ذلك مع كونه محرما اذ ذاك لانهم فعلوه دفعا للصائل فكان من نوع الواجب عليهم وهذا تنبيه على أنه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده (ذلك) أي النصر بسبب انه تعالى قادر ومن آيات قدرته كونه خالق الليل والنهار فذلك قوله تعالى (بأن الله) تعالى (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أي بسبب ان الله تعالى يزيد في أحد الملوين ما ينقص عن الآخر من الساعات أو يحصل ظلمة أحدهما في مكان ضياء الآخر وعكسه (وأن الله سميع) بكل المسموعات (بصير) بجميع المبصرات أي ان الله كما يقدر على ما لا يقدر عليه غيره فكذلك يدوم الاتصاف بالسمع والبصر فلا يحتاج لسمعه الى سكون الليل ولا لبصره الى ضياء النهار (ذلك) أي الاتصاف بكمال القدرة والعلم (بأن الله هو الحق) أي الثابت الذي يمتنع عليه التغير في ذاته وصفاته فعبادته هو الحق (وأن ما يدعون من دونه هو الباطل) أي وان ما يعبده المشركون من غير الله هو الباطل ألوهيته وانه معدوم في حد ذاته وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة بالتاء على خطاب المشركين وقرئ بالبناء للمفعول على أن الواو عائد لما فانه كناية عن الآلهة (وأن الله هو العلي الكبير) أي وان الله هو القاهر الذي لا يغلب القادر على الضر والنفع العظيم في سلطانه الذي لا تدرك حقيقته (ألم تر) أي ألم تعلم أيها المخاطب (ان الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة) أي فتصير الارض نامية بما فيه رزق العباد وعمارة البلاد (ان الله لطيف) أي رحيم بعباده في اخراج النبات (خبير) أي عالم بمقادير مصالحهم وبما في قلوبهم (له ما في السموات وما في الارض) فكل ذلك منقاد له وهو تعالى غير ممتنع من التصرف فيه (وان الله لهو الغني الحميد) أي الغني عن الاشياء كلها لانه كامل لذاته والكامل لذاته غني عن كل ما عداه في كل الامور ولكنه لما

(ليدخلنهم مدخلا) أي ادخالا أو يريد موضعا (يرضونه) وهو الجنة (ذلك) أي ذلك الأمر الذي قصصنا عليك (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) أي جازى العقوبة بمثلها (ثم بغى عليه) أي ظلم (لينصرنه الله) يعني المظلوم (ذلك) أي ذلك النصر للمظلوم بأنه القادر على ما يشاء فمن قدرته انه (يولج الليل في النهار) أي يزيد من هذا في هذا ومن ذلك في هذا

خلق الحيوان خالق الاشياء مسخرة للحيوانات لاحاجة الى ذلك وكان انعامه
اليه فكان مستحقا للحمد فوجب أن يكون حميدا (ألم تر) أيها المخاطب (أن الله) تعالى (سخر لكم
مافى الارض) أى جعل مافيها معدة لمنافعكم فلا أصلب من الحجر ولا أشد من الحديد ولا أهيب من
النار وهي مذللة لكم وذلل لكم الحيوانات حتى تنتفعوا بها من حيث الاكل والركوب والحمل عليها
والانتفاع بالنظر اليها فلولا تسخيره تعالى الابل والبقر والخيل لما انتفع بها أحد (والفلك) معطوف
على ما أو على اسم أن (تجرى فى البحر) حال من الفلك أو خبر (بأمره) أى باذنه فلولا أن الله سخر
السفن بالماء والرياح لجريها لكانت تغوص أو تقف (ويمسك السماء أن تقع على الارض) أى
ويمنع السماء من أن تقع على الارض (الا باذنه) أى الا بمشيئته وذلك يوم القيامة لان النعم المتقدمة
لاتكمل الا بامساك السماء من السقوط لانه جرم ثقيل مسكن الملائكة لابد له من السقوط لولا مانع
يمنع منه وهو القدرة فأمسكها الله بقدرته لئلا تقع (ان الله بالناس لرؤف رحيم) حيث هيأ لهم أسباب
معاشهم وفتح عليهم أبواب المنافع وأوضح لهم مناهج الاستدلال بالآيات التكوينية والتنزيلية
(وهو الذى أحياكم) بعد ان كنتم نطفا بعد ان كنتم معدومين (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم
(ثم يحييكم) يوم القيامة للثواب والعقاب (ان الانسان) أى المشرك كبديل بن ورقاء الخزاعى
والاسود بن عبد الاسد وأبى جهل والعاص بن وائل وأبى بن خلف (لكفور) أى جحود لنعم الله مع
ظهورها حيث ترك توحيده تعالى (لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه) أى لكل أمة معينة وضعنا
شريعة خاصة تلك الامة المعينة عاملون بها فالامة التى كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى منسكهم
التوراة هم عاملون بها لاغيرهم والتى كانت من مبعث عيسى الى مبعث نبينا منسكهم الانجيل هم
عاملون به لاغيرهم وأما الامة الموجودة عند مبعث النبي ومن بعدهم الى يوم القيامة فهم أمة واحدة
منسكهم الفرقان ليس الا (فلا ينازعنك فى الامر) أى يجب على أرباب الملل أن يتبعوك وأن يتركوا
مخالفتك فى أمر الدين وقد استقر الامر الآن على شرعك (وادع الى ربك) أى ادعهم الى شريعتك
ولا تخص بالدعاء الى توحيد ربك أمة دون أمة فكلهم أمتك (انك لعلى هدى مستقيم) أى على أدلة
دين واضحة موصلة الى الله تعالى (وان جادلوك) أى ان عدلوا عن النظر فى هذه الادلة الى طريق
المجادلة والتمسك بالعادة (فقل) لهم على سبيل التحذير من حكم يوم القيامة الذى يتردد بين جنة لمن قبل
ونار لمن أنكر (الله أعلم بما تعملون) من المجادلة الباطلة وغيرها (الله يحكم بينكم) أى يفصل بين
المؤمنين منكم والكافرين يوم القيامة) بالثواب والعقاب (فيما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين
فتعرفون حينئذ الحق من الباطل (ألم تعلم) أى قد علمت يا أشرف الخلق (أن الله يعلم مافى السماء
والارض) فلا يخفى عليه شئ مما يقوله الكفرة وما يعملونه (ان ذلك) أى مافى السماء والارض
(فى كتاب) أى لوح محفوظ (ان ذلك) أى ان علم مافى السماء والارض بغير الكتاب جملة وتفصيلا
(على الله يسير) أى هين وان تعذر على الخلق (ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وماليس
لهم به علم) أى ويعبد كفار مكة متجاوزين عبادة الله مالم ينزل الله بجواز عبادته حجة من جهة الوحى
ومالیس لهم بجواز عبادته علم من دليل عقلى أى ان عبادتهم لغير الله من الاصنام ليست مأخوذة من
دليل سمعى ولا من دليل عقلى بل هو من تقليد أو جهل أو شبهة فوجب أن يكون ذلك باطلا (وما
للظالمين) أى المشركين (من نصير) أى ليس لهم ناصر فى مذهبهم بالحجة ولا فى دفع عذاب الله عنهم
(واذا تتلى عليهم آياتنا) أى القرآن (بينات) أى واضحات فى الدلالة على العقائد الحقة والاحكام
الصادقة (تعرف) يا أشرف الخلق (فى وجوه الذين كفروا) بالقرآن (المنكر) أى الكراهة

الانسان لكفور) يعنى ان
الكافر لجاحد لآيات الله
الدالة على توحيده وقوله
(لكل أمة جعلنا
منسكا هم ناسكوه) أى
شريعة هم عاملون بها (فلا
ينازعنك) أى يجادلنك
(فى الأمر) نزلت فى الذين
جادلوا المؤمنين فقالوا ما
لكم تأكلون ماقتلتم ولا
تأكلون ماقتله الله (وان
جادلوك) أى بباطلهم
مراء وتعنتا فادفعهم
بقولك (الله أعلم بما
تعملون) يريد من
التكذيب والكفر (ألم
تعلم أن الله يعلم مافى السماء
والارض ان ذلك) أى كله
(فى كتاب) يعنى اللوح
المحفوظ (ان ذلك) يعنى
علمه بجميع ذلك (على الله
يسير ويعبدون من دون
الله مالم ينزل به) بعبادته
(سلطانا) أى حجة وبرهانا
(ومالیس لهم به علم) يعنى
لم يأتهم به كتاب ولا نبى
(وما للظالمين) أى المشركين
(من نصير) أى مانع من
عذاب الله (واذا تتلى
عليهم آياتنا بينات) يعنى
القرآن (تعرف فى وجوه
الذين كفروا المنكر)
أى الانكار بالعبوس
والكراهة

القرآن وأثر الغضب ﴿ يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) أى يكادون يثبون على من يقرؤن القرآن عليهم بالبطش من فرط الغضب (قل) رداعليهم (أفأنبئكم بشر من ذلكم) أى أخاطبكم فأخبركم بأشر من غيظكم على التالين وقهركم عليهم ومن الضجر بسبب ماتلى عليكم (النار وعدها الله الذين كفروا) اذا ماتوا على الكفر فالنار امامبتدأ أوخبره مابعده أوخبر مبتدا مقدر وقرأه زيد بن على وابن أبى عبلة بالنصب على الاختصاص أوعلى انه منصوب بفعل مقدر يفسره مابعده وقرأه ابن أبى اسحق وابراهيم بن نوح بالجر بدلا من شر (وبئس المصير) النار (يا أيها الناس) أى يا أهل مكة (ضرب مثل) أى بين لكم حال عجيبة غريبة (فاستمعوا له) أى تدبروا المثل حق تدبره (ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا) أى ان الاصنام الذين تعبدونهم لن يقدروا على خلق الذباب مع صغره (ولو اجتمعوا له) أى لخلقه أى تعاونوا على خلقه فكيف يليق بالعاقل جعل الاصنام معبودا (وان يسلبهم الذباب شيألا يستنقذوه منه) أى وان يأخذ الذباب من الاصنام شيأ من الطيب والعسل الذى لطخوا عليها لاتسترده من الذباب قال ابن عباس انهم كانوا يطلون الاصنام بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله (ضعف الطالب والمطلوب) قال ابن عباس أى ضعف الذباب والصنم فالذباب طالب ما يأخذه من الذى على الصنم وقال الضحاك أى ضعف العابد والمعبود ولو حققت وجدت الصنم أضعف من الذباب وعابده أجهل من كل جاهل وأضل من كل ضال (ماقدروا الله حق قدره) أى ماعرفوا الله حق معرفته حيث أشركوا به وسموا باسمه ماهو أبعد الاشياء عنه مناسبة (ان الله لقوى) على خلق الممكنات بأسرها وافناء الموجودات عن آخرها (عزيز) أى غالب على جميع الاشياء (الله يصطفى من الملائكة رسلا) الى بنى آدم كجبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل والحفظة (ومن الناس) أى ويختار من الناس رسلا مختصين بالنفوس الزكية كابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم نزلت هذه الآية لما قال الوليد بن المغيرة مع موافقة الباقى لم ينزل على محمد القرآن لانه ليس بأكبرنا ولا بأشرفنا (ان الله سميع) لمقالتهم (بصير) بأفعالهم وبمن يستحق الرسالة (يعلم مابين أيديهم وماخلفهم) أى يعلم الله ماعملوه وماسيعملونه من أمور الدنيا (والى الله ترجع الامور) وهذا اشارة الى التفرد بالالهية والحكم والى الزجر عن مباشرة المعصية (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) أى ارجعوا من تكبر قيام الانسانية الى تواضع الحيوانية وذلة النباتية قال ابن عباس ان الناس كانوا فى أول الاسلام يركعون ولا يسجدون حتى نزلت هذه الآية (واعبدوا ربكم) سائر ما كلفكم به خالصا لوجهه (وافعلوا الخير) واجبا ومندوبا وتوجهوا الى الله تعالى فى جميع أحوالكم (لعلكم تفلحون) أى لتظفروا بنعيم الجنة أى افعلوا هذه كلها وأنتم راجون بها الفلاح غير متيقنين اياها مقبولة عند الله تعالى والعواقب مستورة وكل ميسر لما خلق له (وجاهدوا فى الله) أى لله أعداء دينه الظاهرة والباطنة من أهل الضلال والهوى والنفس (حق جهاده) أى جهادا من أجل الله حقا لارغبة فى الدنيا من حيث الاسم أو الغنيمة (هو اجتباكم) أى اختاركم للاشتغال بطاعته من بين سائر البريات (وماجعل عليكم فى الدين) أى فى أمر الدين (من حرج) أى ضيق بتكليف مايشق عليكم اقامته (ملة أبيكم ابراهيم) أى سهل الله عليكم الدين مثل ملة أبيكم ابراهيم فانه أبو رسول الله وهو

...يسطون) أى يثبون ... (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم) بشر لكم وأكره اليكم من هذا القرآن الذى تسمعون (النار) أى هى النار (يا أيها الناس) يعنى أهل مكة (ضرب مثل) يعنى بين لكم ولمعبوديكم شبه (فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله) أى من الاصنام (لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا) كلهم لخلقه (وان يسلبهم الذباب شيئا) أى مما عليهم من الطيب (لا يستنقذوه) أى يستردوه (منه) لعجزهم (ضعف الطالب والمطلوب) يعنى العابد والمعبود فالطالب الذباب يطلب من الصنم مالطخ به من الزعفران والطيب وهو مثل لعابده يطلب منه الشفاعة والنصرة والمطلوب الصنم (ماقدروا الله حق قدره) أى ماعظموا الله حق تعظيمه اذ أشركوا به مالا يمتنع من الذباب ولا ينتصر منه (الله يصطفى من الملائكة رسلا) جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام (ومن الناس) النبيين (ان الله سميع) لقول عباده (بصير) بمن يختاره (يعلم مابين أيديهم) أى ماعملوه (وماخلفهم) أى وماهم عاملون مما لم يعملوه (وجاهدوا فى الله) أى فى سبيل الله (حق جهاده) أى بنية صادقة (هو اجتباكم) أى اختاركم لدينه (وماجعل عليكم فى الدين من حرج) أى ضيق لانه سهل الشريعة بالترخيص (ملة أبيكم) أى اتبعوا ملة أبيكم (ابراهيم) وكان هو فى الحرمة كالأب ولذلك جعل أب المؤمنين

كالاب لامتعولان أ كثر العرب كانوا من ذرية ابراهيم فغلبوا على غيرهم (هو) أى الله كما قرأ أبى ابن كعب (سماكم المسلمين من قبل) أى قبل هذا القرآن فى كتب الانبياء (وفى هذا) أى القرآن بقوله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وقيل الله سماكم المسلمين فى الأزل من قبل أن خلقكم وبعد أن خلقكم (ليكون الرسول شهيدا عليكم) يوم القيامة بأنه بلغكم (وتكونوا شهداء على الناس) أى الأمم الماضية بتبليغ الرسل اليهم (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى فلما خصكم الله بهذه الكرامة فاعبدوه وتقربوا الى الله بأنواع الطاعات وتخصيصهما بالذكر لفضلهما (واعتصموا بالله) قال القفال أى اجعلوا الله عصمة لكم مما تحذرون وقال ابن عباس أى سلوا الله العصمة عن كل المحرمات أى ولا تطلبوا الاعانة فى كل الامور الا منه تعالى (هو مولاكم) أى حافظكم (فنعم المولى) أى الحافظ (ونعم النصير) بل فلا حافظ ولا ناصر فى الحقيقة سواه تعالى

﴿سورة المؤمنون مكية مائة وثمان عشرة آية عند الكوفيين وتسع عشرة عند البصريين وألف وثمانمائة وأربعون كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة حرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قد أفلح المؤمنون) أى فازوا بالمراد وقرأ طلحة بن مصرف أفلح على البناء للمفعول أى قد أدخلوا فى الفلاح الذى هو الوصول الى الله تعالى (الذين هم فى صلاتهم خاشعون) أى خاضعون للمعبود بالقلب غير ملتفتين بالخواطر الى شئ سوى التعظيم ساكنون بالجوارح مطرقون ناظرون الى مواضع سجودهم لا يلتفتون يمينا ولا شمالا ولا يرفعون أيديهم والخشوع من فروض الصلاة عند الغزالى والحضور عند ما ليس شرطا للاجزاء بل شرط للقبول كما قاله الرازى (والذين هم عن اللغو معرضون) أى الذين هم تاركون لما لا حاجة اليه فى أمور الدين والدنيا من الاقوال والافعال فى عامة أوقاتهم (والذين هم للزكاة فاعلون) أى مؤدون (والذين هم لفروجهم حافظون) أى ممسكون فلا يرسلونها على أحد (الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) أى سراريهم (فانهم غير ملومين) على عدم حفظها منهن اذا كان اتيانهن على وجه الحلال (فمن ابتغى وراء ذلك) أى فمن طلب غير ذلك المستثنى كاتيان بهيمة أو زنا أو لواط أو استمناء بيد (فأولئك هم العادون) أى الكاملون فى مجاوزة الحدود (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) أى قائمون بحفظ واصلاح فكل ما يكون تركه داخلا فى الخيانة فهو أمانة والعهد هو ما عقده العبد على نفسه فيما يقربه الى الله تعالى وما أمر الله تعالى به وذلك كالوضوء والاغتسال من الجنابة والصلاة والصوم والودائع والاسرار وغير ذلك وقرأ نافع وابن كثير لأمانتهم بالافراد (والذين هم على صلواتهم يحافظون) لشروطها من وقت وطهارة وغيرهما ولاركانها وقرأ حمزة والكسائى صلاتهم بالافراد (أولئك) أى المؤمنون المتصفون بتلك الصفات (هم الوارثون الذين يرثون الفردوس) روى أن الله تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان وروى أبو أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال سلوا الله الفردوس فانها أعلى الجنان وان أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش وسمى استحقاقهم الفردوس بأعمالهم بحسب وعده تعالى ميراثا لان انتقال الجنة اليهم بدون محاسبة ومعرفة بمقاديرها (هم فيها) أى الفردوس (خالدون) لا يموتون ولا يخرجون منها أبدا (ولقد

خلقنا

(هو سماكم) أى الله تعالى سماكم [illegible] (من قبل) أى من قبل القرآن فى سائر الكتب (وفى هذا) يعنى القرآن (ليكون الرسول شهيدا عليكم) وذلك أنه يشهد [illegible] لمن صدقه وعلى من كذبه (وتكونوا شهداء على الناس) أى يشهدون عليهم أن رسلهم قد بلغتهم وقوله (واعتصموا بالله) أى تمسكوا بدينه (هو مولاكم) أى ناصركم ومتولى أموركم (فنعم المولى ونعم النصير)

﴿تفسير سورة المؤمنين﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (قد أفلح المؤمنون) أى سعد المصدقون ونالوا البقاء فى الجنة (الذين هم فى صلاتهم خاشعون) أى ساكنون لا يرفعون أبصارهم عن مواضع سجودهم (والذين هم عن اللغو) أى عن كل ما لا يحل فى الشرع من قول وفعل (معرضون والذين هم للزكاة فاعلون) أى للصدقة الواجبة مؤدون (والذين هم لفروجهم حافظون) أى يحفظونها عن المعاصى (الا على أزواجهم) من زوجاتهم (أو ما ملكت أيمانهم) من الاماء (فانهم غير ملومين) أى لا يلامون فى وطئهن (فمن ابتغى وراء ذلك) أى ما بعد الزوجة والأمة (فأولئك هم العادون) أى المتعدون من الحلال الى الحرام (والذين هم لأماناتهم) ما ائتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا (وعهدهم) أى حلفهم الذى يؤخذ عليهم (راعون) أى يرعون ذلك ويقومون باتمامها (والذين هم على صلاتهم يحافظون) أى يداومون عليها فى مواقيتها (أولئك هم الوارثون) ثم ذكر ما يرثون فقال (الذين يرثون الفردوس) وذلك أن الله تعالى جعل لكل امرئ بيتا فى الجنة فمن عمل عمل أهل الجنة ورث بيته والفردوس خير الجنان (وله

(ولقد خلقنا الانسان) أى جنس الانسان (من سلالة من طين) أى من خلاصة كائنة من طين (ثم جعلناه) أى السلالة (نطفة) أى منيا أربعين يوما (فى قرار مكين) أى مكان حريز فان الله تعالى خلق جوهر الانسان أولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة فى صلب الأب فقذفه الصلب بالجماع الى رحم الأم فصار الرحم مستقرا حصينا لهذه النطفة (ثم خلقنا النطفة علقة) أى ثم صيرنا المنى الابيض دما جامدا أربعين يوما (ثم خلقنا العلقة مضغة) أى ثم صيرنا الدم الجامد الاحمر لحما صغيرا مقدر ما يمضغ أربعين يوما (فخلقنا المضغة عظاما) أى فصيرنا اللحم الصغير عظاما بلا لحم بأن صلبناها وجعلناها عمودا للبدن على هيئات مخصوصة من رأس ورجلين وما بينهما (فكسونا العظام لحما) وشددناها بالاعصاب والعروق فاللحم يستر العظام كالكسوة وقرأ ابن عامر وأبو بكر عظما والعظم بالافراد فى الموضعين (ثم أنشأناه خلقا آخر) أى حولنا العظام المستورة باللحم عن صفاتها الى صفة لا يحيط بها شرح الشارحين فان الله جعلها حيوانا ناطقا سميعا بصيرا عاقلا وأودع كل جزء من أجزائه عجائب وغرائب لا يحيط بها وصف الواصفين (فتبارك الله أحسن الخالقين) أى فتعالى شأن الله تعالى أتقن المحولين (ثم انكم بعد ذلك) أى التركيب بالامور العجيبة (لميتون) أى لصائرون الى الموت وقرأ ابن أبى عبلة وابن محيصن لمائتون (ثم انكم يوم القيامة) أى عند النفخة الثانية (تبعثون) من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) أى سبع سموات طوارق بعضها فوق بعض وانما قيل للسموات طرائق لتطارقها أى لكون بعضها موضوعا فوق بعض طاقا فوق طاق كمطارقة النعل فجعل الله فى السموات موضعا لأرزاقنا بانزال الماء منها وكان نزول الوحى ومقر الملائكة (وما كنا عن الخلق غافلين) بل كنا حافظين لهم عن أن تسقط عليهم الطباق السبع فتهلكهم ولسنا تاركين لهم بلا أمر ولا نهى ولا غافلين عن أعمالهم ومصالحهم (وأنزلنا من السماء ماء بقدر) أى بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم قال الرازى ان الله تعالى أصعد الاجزاء المائية من قعر الارض الى البحار ومن البحار الى السماء حتى صارت عذبة صافية بسبب ذلك التصعيد ثم ينزلها الله على قدر الحاجة اليها اه وفى الاحاديث ان الماء كان موجودا قبل خلق السموات والارض ثم جعل الله منه فى السماء ماء وفى الارض ماء (فأسكناه فى الارض) أى جعلناه قارا فيها بعضه فى بطنها وبعضه على ظهرها كالانهار والغدران والعيون (وانا على ذهاب به) أى على ازالته بالافساد أو بالتصعيد أو بالتغوير فى الارض (لقادرون) كما كنا قادرين على انزاله (فأنشأنا لكم به) أى بذلك الماء (جنات من نخيل وأعناب) وانما ذكرهما الله تعالى لكثرة منافعهما فانهما يقومان مقام الطعام ومقام الادام ومقام الفواكه رطبا ويابسا (لكم فيها) أى البساتين (فواكه كثيرة) من ألوان شتى (ومنها تأكلون) أى ترزقون وتحصلون معايشكم أى تعمرون بفوائد البساتين وتتعيشون بها (وشجرة) أى وأنشأنا لكم زيتونة (تخرج من طور سيناء) وهو جبل نودى منه موسى عليه السلام بين مصر وايلة وقيل فى فلسطين ومن قرأ بفتح السين منع الصرف لألف التأنيث الممدودة ومن قرأ بكسرها وهو نافع وابن كثير وأبو عمرو فقد منع الصرف للعلمية والعجمة فان الهمزة ليست للتأنيث بل للالحاق بقرطاس قيل ان الزيتونة أول شجرة نبتت بعد الطوفان (تنبت بالدهن) أى تخرج الدهن وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم التاء وكسر الباء أى تنبت الشجرة زيتونها وفيه الزيت (وصبغ للآكلين) معطوف على الدهن أى تنبت الشجرة بالشئ الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يغمس الخبز فيه للائتدام (وان لكم فى الانعام) أى الابل (لعبرة) تستدلون بأحوالها على عظم قدرة الله تعالى وسابغ رحمته وتشكرونه (نسقيكم مما

خلقنا الانسان) أى ابن آدم (من سلالة) أى من ماء سل سلا واستخرج من ظهر آدم وكان آدم خلق (من طين ثم جعلناه نطفة) أى الانسان فى أول بدء خلقه (فى قرار مكين) يعنى الرحم وقوله (ثم أنشأناه خلقا آخر) قيل يريد الذكورية والأنوثية وقيل يعنى نفخ الروح وقيل نبات الشعر والاسنان (فتبارك الله) استحق التعظيم والثناء بدوام بقائه (أحسن الخالقين) أى المصورين والمقدرين (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) أى سبع سموات كل سماء طريقة (وما كنا عن الخلق) أى عمن خلقنا من الخلق كلهم (غافلين وأنزلنا من السماء ماء بقدر) أى بمقدار معلوم عند الله (فأسكناه) أى ثبتناه (فى الارض) قيل هو النيل ودجلة والفرات وسيحان وجيحان وقيل هو جميع المياه فى الارض (وانا على ذهاب به لقادرون) أى حتى تهلكوا أنتم ومواشيكم عطشا وقوله (وشجرة تخرج) يعنى الزيتون (من طور سيناء) يعنى جبلا معروفا أول ما أنبت شجر الزيتون نبت هناك (تنبت بالدهن) لانه يتخذ الدهن من الزيتون (وصبغ) أى ادام (للآكلين) وقوله

في بطونها) فتتمتعون بلبنها في الشرب وغيره ووجه الاعتبار في اللبن أنه يجتمع في الضرع ويتخلص
من بين الفرث والدم باذن الله تعالى فيستحيل الى طهارة ولون وطعم موافق للشهوة ويصير غذاء فهذا
اللبن الذي يخرج من بطونها الى ضرعها تجده شرابا طيبا نافعا للبدن واذا ذبحتها لم تجد له أثرا فمن استدل
بذلك على قدرة الله تعالى وحكمته كان ذلك معدودا من النعم الدينية ومن انتفع به كان معدودا من
النعم الدنيوية (ولكم فيها) أى الانعام (منافع كثيرة) كالانتفاع بثمنها وأجرتها (ومنها) أى الانعام
بعد ذبحها (تأكلون) فتنتفعون بأعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها (وعليها) أى الانعام (وعلى
الفلك تحملون) فان الانتفاع بالابل في المحمولات على البر بمنزلة الانتفاع بالسفن في البحر ولذلك
جمع الله بينهما في انعامه لكي يشكر على ذلك ويستدل به (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه) وهم جميع
أهل الارض (فقال) متعطفا عليهم (ياقوم اعبدوا الله) وحده فلا تعبدوا سواه (مالكم من اله
غيره) بالرفع صفة لاله باعتبار محله على أنه فاعل أو مبتدأ مؤخرا أو محذوف الخبر ولكم للتبيين أى
مالكم في العالم اله غيره تعالى وقرأ الكسائي بجر غيره صفة لاله على الاحتمالين الأولين باعتبار لفظه
(أفلا تتقون) أى أتعرفون انتفاء الاله غيره تعالى فلا تتقون أنفسكم عذابه تعالى بسبب اشراككم به
في العبادة مالا يستحق الوجود لولا ايجاد الله تعالى اياه (فقال الملأ) أى الرؤساء (الذين كفروا من
قومه) لعوامهم (ماهذا) أى نوح (الا بشر مثلكم) في الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه
(يريد أن يتفضل عليكم) أى يريد أن يطلب الفضل عليكم بادعاء لرسالة لتكونوا أتباعا له (ولو شاء
الله لأنزل ملائكة) أى لو شاء الله ارسال الرسول الينا لأنزل ملكا من الملائكة (ماسمعنا بهذا) أى بالأمر
بعبادة الله خاصة وترك عبادة ماسواه (في آبائنا الأولين) أى الماضين قبل بعثة نوح عليه السلام
وذلك لكون آبائهم في زمان فترة متطاولة واما لغلوهم في التكذيب وانهماكهم في الضلال ويقال ما
سمعنا بنوح أنه نبي في الذين مضوا قبلنا في زمنه عليه السلام (ان هو الا رجل به جنة) أى ما نوح الا
رجل فيه جنون ومن كان مجنونا فكيف يجوز أن يكون رسولا (فتربصوا به حتى حين) أى انتظروه
الى زمن موته أو المراد أنه مجنون فاصبروا الى زمان تظهر عاقبة أمره فيه فان أفاق فذاك واضح والا
فاقتلوه (قال) نوح لما رآهم قد أصروا على التكذيب حتى يئس من ايمانهم بالكلية (رب انصرني
بما كذبون) بالرسالة أى أبدلني من غيظ تكذيبهم سلوة النصر عليهم أو أهلكهم بسبب تكذيبهم اياي
(فأوحينا اليه) عند ذلك (أن اصنع الفلك) فأن مفسرة لوقوعها بعد فعل فيه معنى القول (بأعيننا) أى
بحفظنا لك عن أن تخطئ في صنعها أو يفسدها عليك غيرك فان جبريل علمه عمل السفينة ووصف له كيفية
اتخاذها (ووحينا) أى وتعليمنا فأوحى الله اليه جبريل فعلمه صنعة السفينة وصنعها في عامين وجعل
طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين وارتفاعها ثلاثين وجعلها ثلاث طبقات السفلى للسباع والهوام
والوسطى للدواب والانعام والعليا للناس (فاذا جاء أمرنا) أى وقت عذابنا عقب تمام الفلك (وفار
التنور) لآدم عليه السلام عند طلوع الفجر وكان في موضع مسجد الكوفة عن يمين الداخل من
باب كندة اليوم وقيل كان في عين وردة من الشام (فاسلك فيها من كل زوجين اثنين) أى فأدخل
في الفلك من كل حيوان حضر في هذا الوقت فردين مزدوجين ذكرا وأنثى لكي لا ينقطع نسل
ذلك الحيوان وقرأ حفص بتنوين كل فزوجين مفعول به واثنين تأكيد أى من كل نوع وقرأ
الباقون بغير تنوين فاثنين مفعول به (وأهلك) أى وأدخل في الفلك أهل بيتك من زوجك وأولادك
(الا من سبق عليه القول منهم) أى الوعد الأزلي من الله تعالى بالاهلاك وهو ولده كنعان وأم كنعان
فهي كافرة (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) بالدعاء لانجائهم (انهم مغرقون) أى انهم محكوم عليهم

(يريد أن يتفضل عليكم) أى يتشرف عليكم فيكون أفضل منكم بأن يكون متبوعا وتكونوا له تبعا (ولو شاء الله لأنزل ملائكة) تبلغنا عنه (ما سمعنا بهذا) الذي يدعونا اليه نوح (في آبائنا الاولين ان هو) أى ماهو (الا رجل به جنة) أى جنون (فتربصوا به حتى حين) أى انتظروا موته حتى يموت (قال رب انصرني) باهلاكهم (بما كذبون) أى بتكذيبهم اياي (فأوحينا اليه) الآية مفسرة في سورة هود وقوله (فاسلك فيها) أى أدخل في السفينة والباقي مفسر في سورة هود

بالغرق بالطوفان (فاذا استويت أنت) أى ركبت (ومن معك) من المؤمنين والدواب وغيرها (على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) ومن الغرق بالالتجاء الى السفينة (وقل رب أنزلنى منزلا مباركا) أى مكان نزول فيه خير كثير وهو نفس السفينة لان من ركبها خلصته من الغرق وقرأ أبو بكر منزلا بفتح الميم وكسر الزاى والباقون بضم الميم وفتح الزاى (وأنت خير المنزلين) فى السفينة والآخرة (ان فى ذلك) أى فى قصة نوح وقومه (لآيات) جليلة فان اظهار تلك المياه العظيمة ثم الاذهاب بها لا يقدر عليه الا القادر على كل المقدورات وظهور تلك الواقعة على وفق قول نوح عليه السلام يدل على المعجز العظيم وافناء الكفار وبقاء الارض لاهل الدين من أعظم أنواع العبر فى الدعاء الى الايمان والزجر عن الكفر (وان كنا لمبتلين) أى وان الشأن كنا مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم مختبرين به عبادنا فيما بعد لننظر من يتذكر (ثم أنشأنا من بعدهم) أى من بعد اهلاكهم (قرنا آخرين) هم عاد (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) هو هود عليه السلام (أن اعبدوا الله) أى وقلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله وحده (مالكم من اله غيره أفلا تتقون) عذابه (وقال الملأ) أى الرؤساء (من قومه) أى الرسول (الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة) أى بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب (وأترفناهم) أى نعمناهم بالاموال والاولاد (فى الحياة الدنيا) يخاطبون أتباعهم مضلين لهم (ماهذا) أى الرسول (الا بشر مثلكم) فى الصفات والاحوال (يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) فكيف يكون رسولا (ولئن أطعتم بشرا مثلكم) أى ان امتثلتم آدميا مثلكم فى الخلق والحال بأوامره (انكم اذا) أى ان أطعتموه (لخاسرون) أى مغلوبون فى عقولكم جاهلون (أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا) أى وصارت أجسامكم ترابا (وعظاما) نخرة مجردة عن اللحوم والاعصاب (أنكم مخرجون) من القبور أحياء كما كنتم (هيهات هيهات لما توعدون) أى بعد حصول ما توعدون من خروجكم من القبور فلا يقع هذا (ان هى الا حياتنا الدنيا) أى ما الحياة الا حياتنا فى الدنيا (نموت ونحيا) أى يموت بعضنا ويحيى بعضنا (وما نحن بمبعوثين) بعد الموت (ان هو الا رجل افترى على الله كذبا) أى ما مدعى الرسالة الا رجل تعمد على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله وفيما يعدنا من أن الله يبعثنا (وما نحن له بمؤمنين) أى بمصدقين فيما يقوله من البعث بعد الموت ومن دعوى الرسالة (قال) أى هود بعد يأسه من ايمانهم (رب انصرنى بما كذبون) أى انتقم لى منهم بسبب تكذيبهم اياى (قال) تعالى عدة بالقبول (عما قليل ليصبحن نادمين) أى بعد زمان قليل ليصيرن نادمين على التكذيب وذلك عند معاينتهم للعذاب (فأخذتهم الصيحة بالحق) أى دمرهم الله تعالى بالصيحة العظيمة وبالريح العقيم بالعدل من الله تعالى وقد روى أن شداد بن عاد حين أتم بناء ارم سار بأهله اليها فلما دنا منها بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا (فجعلناهم غثاء) أى فجعلناهم بعد موتهم مثل ورق يابس يحمله السيل فى عدم المبالاة بهم (فبعدا للقوم الظالمين) فبعدا مصدر منصوب بفعل لا يستعمل اظهاره لانه بمعنى الدعاء عليهم وللقوم متعلق بمحذوف واللام للبيان فالله تعالى ذكر ذلك على وجه الاهانة لهم وهو التبعيد من الخير وقد نزل بهم العذاب الاعلى ذلك مع ان الذى ينزل بهم فى الآخرة من العذاب أعظم مما نزل بهم ليكون ذلك عبرة لمن يجىء بعدهم والمعنى أهلكوا وخابوا من رحمة الله تعالى دنيا وأخرى (ثم أنشأنا من بعدهم) أى بعد هلاكهم (قرونا آخرين) هم قوم صالح ولوط وشعيب ويونس وأيوب فالله تعالى ما أخلى الارض من مكلفين بل أوجدهم

مباركا) أى انزالا مباركا فاستجاب الله دعاءه حيث قال اهبط بسلام منا وبركات عليك فبارك فيهم بعد انزالهم فى السفينة حتى كان جميع الخلق من نسل نوح ومن كان معه فى السفينة (ان فى ذلك) الذى ذكرت (لآيات) لدلالات على قدرتنا (وان كنا لمبتلين) أى مختبرين طاعتهم بارسال نوح اليهم (ثم انشأنا من بعدهم) أحدثنا (قرنا آخرين) يعنى عادا (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) وهو هود وقوله (وأترفناهم) أى نعمناهم ووسعنا عليهم وقوله (أنكم مخرجون) أى من قبوركم أحياء وقوله (هيهات هيهات) أى بعدا بعدا (لما توعدون) يعنى من البعث (ان هى) أى ماهى (الا حياتنا الدنيا) يعنى الحياة الفانية فى هذه الدار (نموت ونحيا) أى تموت الآباء وتحيا الاولاد (قال رب انصرنى) عليهم (بما كذبون) أى بتكذيبهم اياى (قال عما قليل) أى عن قريب (ليصبحن نادمين) يعنى يندمون اذا نزل بهم العذاب على التكذيب (فأخذتهم الصيحة) أى صيحة العذاب (بالحق) أى بالامر من الله (فجعلناهم غثاء) أى هلكى هامدين كغثاء السيل وهو ما يحمله من بالى الشجر (فبعدا) أى فهلاكا (للقوم الظالمين) أى المشركين

[illegible] فانتقام من كان قبلهم في عمارة الدنيا (ما تسبق من أمة أجلها وما
يستأخرون) فلا تهلك أمة قبل مجيء أجلها ولا يستأخرون عنه بساعة فالله تعالى عالم بالأشياء قبل
كونها فلا توجد إلا على وفق العلم والمقتول ميت بأجله اذ لو قتل قبل أجله لكان قد تقدم الاجل أو تأخر
وذلك ينافيه هذا النص (ثم أرسلنا رسلنا) أي أرسلنا الى كل قرن من القرون رسولا خاصا به
(تترى) أي واحدا بعد واحد بينهما زمان طويل وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهي قراءة الشافعي
تترى بالتنوين فألفه للالحاق بجعفر فاسا نون ذهبت ألفه لالتقاء الساكنين وباقي السبعة تترى بالألف
صريحة دون تنوين والالف للتأنيث باعتبار أن الرسل جماعة والتاء بدل من الواو فانه مأخوذ من الوتر
وهو الفرد وهو مصدر بمعنى اسم الفاعل وقع حالا أي متواترة أي متتابعة فرادى (كلما جاء أمة رسولها
كذبوه) وسلكوا في تكذيب أنبيائهم مسلك من أهلكوا (فأتبعنا بعضهم بعضا) أي بالهلاك
(وجعلناهم أحاديث) أي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا فيعتبر منهم أهل السعادة ويتغافل منهم أهل
الشقاوة (فبعدا لقوم لا يؤمنون) أي بعدوا من رحمة الله تعالى بعدا اذ لم يؤمنوا ولم يعتبروا ومنهم (ثم
أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) أي حجة واضحة ملزمة للخصم في
الاستدلال على وجود الصانع واثبات النبوة (الى فرعون وملئه) أي أشراف قومه (فاستكبروا)
عن الانقياد لهما (وكانوا قوما عالين) في أمور الدنيا قاهرين بني اسرائيل بالظلم (فقالوا) فيما بينهم
بطريق المناصحة (أنؤمن) أي أننقاد (لبشرين) موسى وهرون (مثلنا) في البشرية (وقومهما
لنا عابدون) أي والحال أن قومهما بني اسرائيل خاضعون لنا خادمون كالعبيد لنا (فكذبوهما)
بالرسالة (فكانوا من المهلكين) أي فصاروا من المغرقين في بحر قلزم (ولقد آتينا) بعد اهلاكهم
وانجاء بني اسرائيل (موسى الكتاب) أي التوراة (لعلهم يهتدون) أي لكي يهتدوا الى طريق
الحق بالعمل بما فيها من الاحكام (وجعلنا ابن مريم) عيسى (وأمه آية) دالة على عظيم قدرتنا
بولادته منها من غير مسيس بشر ونطقه في الصغر (وآويناهما الى ربوة) أي أسكناهما في أرض
مرتفعة فقال عطاء عن ابن عباس هي بيت المقدس فهو أقرب بقاع الارض الى السماء ويزيد على
غيره في الارتفاع ثمانية عشر ميلا وقال عبد الله بن سلام هي دمشق وعليه الاكثرون وقرأ ابن عامر
وعاصم بفتح الراء والباقون بالضم (ذات قرار) أي مستوية مبسوطة ذات نعيم (ومعين) أي ماء
ظاهر جار على وجه الارض (يا أيها الرسل) نودي بهذا المعنى كل رسول في زمانه ليعتقد السامع ان
أمرا نودي له جميع الرسل وأمروا به حقيق أن يعمل به والمعنى نخبرك يا محمد انا أمرنا لرسل المتقدمين
وقلنا لهم الخ دالا على بطلان ما عليه الرهبان من رفض الطيبات أي وقلنا لكل رسول (كلوا من
الطيبات) أي الحلالات سواء كانت مستلذة أولا (واعملوا صالحا) أي عملا صالحا من فرض ونفل
والا كل اذا كان بأمر الشرع لا بأمر الطبع يكون من نتائجه الاعمال الصالحة (اني بما تعملون)
من الاعمال الظاهرة والباطنة (عليم) مجازيكم عليه وهذا تحذير لهم من الله تعالى من مخالفة ما أمرهم
به واذا كان هذا تحذيرا للرسل مع علو شأنهم فبأن يكون تحذيرا لغيرهم أولى (وان هذه) أي العقائد
(أمتكم) أي دينكم أيها المخاطبون (أمة واحدة) أي دينا واحدا والاختلاف في الشرائع لا يسمى
اختلافا في الدين وقرأ الكوفيون بكسر همزة ان على الاستئناف الداخل فيما خوطب به الرسل
والباقون بفتح الهمزة على حذف اللام أي ولان وقيل على العطف على ما أي اني عليم بأن هذه أمتكم
وقرأ ابن عامر وان باسكان النون فاسمها ضمير الشأن وهذه مبتدأ وأمتكم خبر وأمة حال لازمة (وأنا
ربكم) من غير أن يكون لي شريك في الربوبية (فاتقون) أي فأطيعوني (فتقطعوا أمرهم بينهم

[illegible]) أي
[illegible] يتحدثون بهم
وقوله (وكانوا قوما عالين)
أي مستكبرين قاهرين
غيرهم بالظلم (وقومهما
لنا عابدون) أي مطيعون
متذللون (ولقد آتينا
موسى الكتاب لعلهم
يهتدون) أي لكي يهتدي
به قومه (وجعلنا ابن مريم
وأمه آية) أي دلالة على
قدرتنا (وآويناهما الى
ربوة) يعني بيت المقدس
وهو أقرب الارض الى
السماء (ذات قرار) أي
أرض مستوية وساحة
واسعة (ومعين) يعني ماء
ظاهرا وقيل هي دمشق
(يا أيها الرسل كلوا من
الطيبات) هذا خطاب
لمحمد صلى الله عليه وسلم
والمراد به ان الله تعالى
كأنه أخبر أنه قد قال
لجميع الرسل قبله هذا
القول وأمرهم بهذا
والمعنى كلوا من الحلال
(وأن هذه أمتكم أمة
واحدة) يعني ان ملتكم
أيها الرسل ملة واحدة
وهي الاسلام (وأنا
ربكم) شرعتها لكم
وبينتها لكم وسننتها لكم
(فاتقون) أي خافوني
(فتقطعوا أمرهم بينهم)
يعني المشركين واليهود والنصارى

ز برا) أى جعل أتباع الانبياء أمر دينهم مع اتحاده قطعا متفرقة وأديانا مختلفة بينهم فز براجمع ز برة بمعنى قطعة كغرفة وغرف فهو حال من أمرهم أومن واو تقطعوا (كل حزب بما لديهم فرحون) أى كل فريق منهم معجبون بما اتخذوه دينا فيرى كل منهم انه المحق الرابح وان غيره المبطل الخاسر (فذرهم فى غمرتهم حتى حين) أى اترك يا أشرف الخلق كفار مكة فى جهلهم الى موتهم على الكفر أوالى مجىء عذابهم بالقتل وغيره (أيحسبون أنما نمدهم به من مال و بنين نسارع لهم فى الخيرات) أى أيظنون ان الذى نعطيهم اياه من المال والبنين نسارع به لهم فى اكرامهم ليكونوا فارغى البال من غير اشتغال بالتكاليف (بل لايشعرون) حتى يتفكروا فى ذلك الامداد أهو استدراج أم مسارعة فى الخير أى فهم أشباه البهائم لافطنة لهم (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أى ان الذين هم من خوف عذاب ربهم حذرون من أسباب العذاب دائمون فى طاعته جادون فى طلب مرضاته (والذين هم بآيات ربهم) المنصوبة والمنزلة (يؤمنون) أى يصدقون بأن يستدلوا بهذه المخلوقات على وجود الصانع ويصدقوا بأن ما فى القرآن حق من ربهم (والذين هم بربهم لايشركون) بأن يكون العبد مخلصا فى العبادة لايقدم عليها الاطلب رضوان الله تعالى ومن الشرك ملاحظة الخلق فى الرد والقبول والفرح بمدحهم والانكسار بذمهم وقصور النظر فى المسار والمضار على الاسباب عند انقطاع النظر عن المسبب الذى هو الله تعالى كنظر حصول الشفاء من الدواء والشبع من الطعام وليس المراد من عدم الاشراك هنا نفى الشريك لله تعالى لان ذلك داخل فى ما تقدم (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة) أى والذين يعطون ما أعطوه من الصدقات والحال أن قلوبهم خائفة أشد الخوف (أنهم الى ربهم راجعون) وقرأت عائشة وابن عباس والحسن والاعمش يأتون ما أتوا من الاتيان أى و يفعلون ما فعلوه من الطاعات والحال أن قلوبهم خائفة من رجوعهم الى ربهم فلا يقبل منهم ذلك ولا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ وهذا مناط الوجل وقرأ الاعمش انهم بكسر الهمزة على الاستئناف (أولئك) أى أهل هذه الصفات الاربعة (يسارعون فى الخيرات) أى يناولون فى الدنيا أنواع النفع ووجوه الاكرام (وهم لها سابقون) أى هم فاعلون السبق لاجل الخيرات أى ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا وهذه الجملة مؤكدة لما قبلها وتفيد معنى الثبوت بعد ما تفيد معنى التجدد وقوله أولئك خبر عن ان الذين الخ وقرئ يسرعون فى الخيرات (ولا نكلف نفسا الا وسعها) أى عادتنا جارية على أن لا نكلف نفسا من النفوس الا ما فى طاقتها أى فان الله تعالى لا يكلف عباده الا ما فى وسعهم فان لم يبلغوا فى فعل الطاعات مراتب السابقين فلا عليهم بعد أن يبذلوا طاقتهم (ولدينا كتاب) أى صحائف الاعمال التى يقرؤنها عند الحساب (ينطق بالحق) أى يظهر المطابق للواقع فأعمال العباد كلها مثبتة فى صحائفهم فلا يضيع لعامل جزاء عمله ان خيرا فخير وان شرا فشر (وهم لايظلمون) فى الجزاء بنقص ثواب أو بزيادة عقاب (بل قلوبهم) أى الكفرة (فى غمرة) أى غفلة (من هذا) الذى بيناه فى القرآن من أن لدينا ديوان الحفظة الذى يظهر لهم أعمالهم السيئة على رؤس الاشهاد فيجزون بها (ولهم) أى الكفار (أعمال من دون ذلك) أى أعمال سيئة غير كون قلوبهم فى غفلة عظيمة مما ذكر وهى فنون معاصيهم كطعنهم فى القرآن واقامة امائهم فى الزنا (هم لها عاملون) هم مستمرون على أعمال سيئة (حتى اذا أخذنا مترفيهم) أى أكابرهم الذين أمدهم الله

[illegible] (فرحون) أى معجبون مسرورون (فذرهم فى غمرتهم)
أى جهلهم وضلالتهم (حتى حين) [illegible] بالسيف أو الموت (أيحسبون انما نمدهم به من مال و بنين) أى ما نبسط عليهم من الرزق والاولاد فى هذه الدنيا (نسارع لهم فى الخيرات) أى نعطيهم ذلك ثوابا لهم (بل لايشعرون) أى أن ذلك استدراج ثم رجع الى ذكر أوليائه فقال (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أى خائفون عذابه ومكره (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين يؤتون ما أتوا) أى يعطون ما أعطوا (وقلوبهم وجلة) أى خائفة أن ذلك لايقبل منهم وقد أيقنوا (انهم الى ربهم راجعون) أى صائرون بالموت وقوله (وهم لها سابقون) أى اليها ثم ذكر انه لم يكلف العبد الا ما يسعه فقال (ولا نكلف نفسا الا وسعها) فمن لم يستطع أن يصلى قائما فليصل جالسا (ولدينا كتاب) يعنى اللوح المحفوظ (ينطق بالحق) أى يبين بالصدق (وهم لايظلمون) يعنى لاينقصون من ثواب أعمالهم ثم عاد الى ذكر المشركين فقال (بل قلوبهم فى غمرة) جهالة وغفلة (من هذا) الكتاب الذى ينطق بالحق (ولهم أعمال من دون ذلك) أى للمشركين أعمال خبيثة دون أعمال المؤمنين الذين ذكرهم (هم لها عاملون حتى اذا أخذنا مترفيهم) أى رؤساءهم وأغنياءهم

[illegible]

تنتصرون) أى لا تمنعون ولا ينفعكم (٦٨) جزعكم (قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون) [illegible]

تعالى بالمال والبنين (بالعذاب) أى الاخروى (اذا هم يجأرون) أى يرتفع صوتهم بالاستغاثة فى كشف العذاب عنهم لشدة ماهم عليه ويقال لهم على وجه التبكيت (لا تجأروا اليوم) أى لا تلتجئوا اليوم الينا (انكم منا لا تنصرون) أى لانه لا يلحقكم من جهتنا نصرة تنجيكم مما نزل بكم (قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون) أى فكنتم تعرضون عن تلك الآيات وتنفرون عمن يتلوها وهذا مثل يضرب فيمن تباعد عن الحق كل التباعد وقرأ على ابن أبي طالب رضى الله عنه على أدباركم بدل على أعقابكم (مستكبرين به سامرا) فالجار والمجرور متعلق بقوله مستكبرين والباء سببية والضمير يعود الى الحرم أى متعظمين بالحرم أو متعلق بسامرا والباء بمعنى فى والضمير يعود الى البيت الحرام أى ساهرين فى الليل المظلم يتحدثون حول لبيت العتيق والذى سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت ويجوز ان يكون متعلقا بتهجرون والضمير يعود الى القرآن (تهجرون) قرأه نافع وابن محيصن بضم التاء وكسر الجيم أى تسبون القرآن وتسمونه سحرا وشعرا والباقون بفتح التاء وضم الجيم أى تتركون القرآن وتعرضون عنه وكانوا يجتمعون حول الكعبة فى الليل يتحدثون وكان أكثر حديثهم ذكر القرآن والطعن فيه وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا يقولون لا يعلو علينا أحد لانا أهل الحرم وقوله مستكبرين وقوله سامرا وقوله تهجرون أحوال من الواو فى تنكصون أو كل واحدة حال من ضمير ماقبلها وسامر اسم جمع كحاج وراكب وحاضر وغائب فالكل يطلق على الجمع (أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم) أى أفعلوا مافعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يتدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من أعجاز النظم والاخبار بالغيب انه الحق من ربهم بل أجاءهم من الكتاب وبعثة الرسل مالم يأت آباءهم الاولين كاسماعيل عليه السلام وأعقابه من عدنان وقحطان ومضر وربيعة وقس والحرث بن كعب وأسد بن خزيمة وتميم بن مرة وتبع وضبة بن اد فكلهم آمنوا بالله تعالى وكتبه ورسله فان مجئ الكتب من الله تعالى الى الرسل عادة قديمة له تعالى وان مجئ القرآن على طريقته فمن أين ينكرونه بل ألم يعرفوا رسولهم محمدا صلى الله عليه وسلم بالامانة والصدق وحسن الاخلاق وكمال العلم مع عدم التعلم من أحد وغير ذلك مما حازه من الكمالات اللائقة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام (فهم له منكرون) أى فهم جاحدون برسالة رسولهم أى أنهم عرفوا منه صلى الله عليه وسلم قبل ادعاء الرسالة كونه فى غاية لفرار من الكذب فكيف كذبوه بعد اتفاق كلهم على تسميته صلى الله عليه وسلم بالامين (أم يقولون به جنة) أى بل أيقولون فى رسولهم جنون ويقولون انما حمله على ادعائه الرسالة جنونه مع انه أرجح الناس عقلا وأوفرهم رزانة (بل جاءهم بالحق) أى جاءهم رسولهم عليه الصلاة والسلام بالصدق الثابت الذى لا محيد عنه أصلا (وأكثرهم للحق) أى أى حق كان (كارهون) من حيث تمسكوا بالتقليد ومن حيث علموا انهم لو أقروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لزالت مناصبهم واختلت رياساتهم فلذلك كرهوه وكان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه أو لعدم فكرته لا لكراهة الحق (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن) أى لو كان الحق الذى كرهوه موافقا لاهوائهم الباطلة لخرجت السموات والارض ومن فيهن عن الصلاح والانتظام بالكلية (بل أتيناهم بذكرهم) أى بل جئناهم بالقرآن الذى فيه شرفهم وقرأ

ترجعون القهقرى مكذبين (مستكبرين به) أى بالحرم يقولون لا يظهر علينا أحد لانا أهل الحرم (سامرا) أى سمارا بالليل (تهجرون) يعنى يهذون ويقولون الهجر من سب النبي صلى الله عليه وسلم (أفلم يدبروا القول) أى يتدبروا القرآن فيقفوا على صدقك (أم جاءهم) أى بل جاءهم (مالم يأت أباءهم الاولين) يريد أن انزال الكتاب قد كان قبل هذا فليس انزال الكتاب عليك ببديع ينكرونه (أم لم يعرفوا رسولهم) يريد الذى نشأ بينهم وعرفوه بالصدق (أم يقولون) بل يقولون (به جنة) أى جنون (بل جاءهم) أى ليس الامر كما يقولون جاءهم الرسول (بالحق) أى بالقرآن من عند الله (ولو اتبع الحق) أى القرآن الذى يدعو الى المحاسن (أهواءهم) التى تدعو الى القبائح أى لو كان التنزيل بما يحبون (لفسدت السموات والارض) وذلك انها خلقت دلالة على توحيد الله ولو كان القرآن على مرادهم لكان يدعو الى الشرك

ابو

وذلك يؤدى الى فساد أدلة التوحيد وقوله (ومن فيهن) لانهم حينئذ يشركون بالله (بل أتيناهم بذكرهم) أى بشرفهم فى الدنيا والآخرة

أبو عمرو وفى رواية آتيناهم بمد الهمزة أى أعطيناهم ذكرهم فالباء مزيدة فى بذكرهم وقرأ ابن أبى اسحق وعيسى بن عمرو وأبو عمرو أيضا أتيتهم بتاء المتكلم وحده وقرأ الجحدرى وأبو رجاء آتيتهم بالتاء على خطاب الرسول عليه الصلاة والسلام وقرأ عيسى بذكراهم بألف التأنيث أى بوعظهم وقرأ أبو قتادة نذكرهم بنون المتكلم مضارع ذكر مشدد الكاف وهى جملة حالية (فهم عن ذكرهم) أى فخرهم وشرفهم (معرضون) وكان يجب عليهم أن يقبلوا عليه أكمل اقبال (أم تسألهم خرجا) وقرأ حمزة والكسائى بفتح الراء وبالالف والباقون بسكونها (فخراج ربك خير) وقرأ ابن عامر بسكون الراء والباقون بفتحها وبالألف أى أم تسألهم على هدايتهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء ربك خير فلا يجوز أن ينفروا عن قبول قوله صلى الله عليه وسلم لاجل هذه التهمة البعيدة وهم غير معذورين البتة بل هم محجوجون من جميع الوجوه فهذا توبيخ بوجه آخر كأنه قيل أم يزعمون انك تسألهم على اداء الرسالة جعلا فلاجل ذلك لا يؤمنون بك ولا تسألهم ذلك فان ما رزقك الله تعالى فى الدنيا والآخرة خير لك من ذلك (وهو خير الرازقين) أى أفضل المعطين فى الدنيا والآخرة خير لك من ذلك (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) تشهد العقول السليمة باستقامته (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى بالبعث والثواب والعقاب (عن الصراط) أى عن جنس الصراط (لناكبون) أى منحرفون فلا يطلق على ما ذهبوا اليه اسم الصراط لغاية ضلالهم (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون) أى ولو كشفنا عنهم ما أصابهم من جوع وسائر مضار الدنيا لتمادوا فى ضلالهم وهم متحيرون عن الهدى لا يبصرون الحق وقد كان الامر كذلك روى انه لما أسلم ثمامة ابن اثال الحنفى ولحق باليمامة منع الميرة عن أهل مكة فأخذهم الله تعالى بالسنين سبع سنين حتى أكلوا الجلود والجيف والعلهز فجاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين ثم قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فادع الله يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فأنزل الله هذه الآية وذلك بسبب دعوة النبى صلى الله عليه وسلم عليهم بقوله اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنى يوسف (ولقد أخذناهم بالعذاب) وهو ما نالهم يوم بدر من القتل والاسر (فما استكانوا لربهم) أى فما خضعوا لربهم بالتوحيد (وما يتضرعون) أى فما يؤمنون أى محناهم بكل محنة من القتل والاسر والجوع الذى هو أشد منهما فما رؤى منهم لين مقادة وتوجه الى الاسلام قط واما ما أظهره أبو سفيان فليس من الاستكانة له تعالى والتضرع اليه تعالى فى شئ وانما هو نوع خشوع الى أن يتم غرضه فجاء كما قيل اذا جاع ضغا واذا شبع طغا وأكثرهم مستمرون على ذلك (حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) هو عذاب الآخرة (اذا هم فيه) أى فى ذلك العذاب (مبلسون) أى آيسون من كل خير (وهو الذى أنشأ لكم السمع والابصار والأفئدة) وخص الله هذه الثلاثة بالذكر لأن الاستدلال موقوف عليها (قليلا ما تشكرون) أى شكرا قليلا غير معتد به تشكرون تلك النعم الجليلة يا أهل مكة (وهو الذى ذرأكم فى الارض) أى هو الذى جعلكم فى الارض متناسلين (واليه تحشرون) أى تجمعون يوم القيامة الى موضع لا حاكم فيها سواه وجعل حشرهم الى ذلك الموضع حشرا اليه (وهو الذى يحيى ويميت) وينقل من نعمة الحياة الى دار الثواب والعقاب (وله اختلاف الليل والنهار) أى هو المؤثر فى تعاقبهما واختلافهما ازديادا وانتقاصا (أفلا تعقلون) أى أتتفكرون ولا تعقلون بالنظر ان الكل منا فان قدرتنا تعم الممكنات التى من جملتها البعث بعد الموت (بل قالوا) أى فلم تعقل كفار مكة بل قالوا (مثل ما قال الأولون) من قوم نوح وهود وصالح وغيرهم فى انكار البعث مع وضوح الدلائل (قالوا) مقلدين للاولين (أئذا متنا وكنا

(أم تسألهم) أنت يا محمد على ما جئتهم به (خرجا) أى جعلا وأجرا (فخراج ربك) يعنى فعطاء ربك أى ثوابه (خير) وقوله (لناكبون) أى عادلون مائلون (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر) أى جدب وقحط (للجوا) أى لتمادوا (فى طغيانهم يعمهون) نزلت هذه الآية حين شكوا الى النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع (ولقد أخذناهم بالعذاب) أى بالجوع (فما استكانوا لربهم) أى ما تواضعوا (حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) يعنى يوم بدر وقيل عذاب الآخرة (اذا هم فيه مبلسون) يريد آيسون من كل خير وقوله (وله اختلاف الليل والنهار) أى هو الذى جعلهما مختلفين وقوله

(أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) بعد ذلك (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) أي البعث (من قبل) من قبل مجيء محمد أي لقد وعدنا وآباؤنا بالبعث فلم نر هذا الوعد صدقا أي فلما لم يوجد البعث مع طول الزمان ظنوا أنه يكون في دار الدنيا ثم قالوا (ان هذا) أي ما هذا الذي تقول يا محمد (الا أساطير الأولين) أي الأكاذيب التي كتبوها (قل) يا أشرف الرسل لكفار مكة (لمن الارض ومن فيها) من المخلوقات (ان كنتم تعلمون) فاخبروني بخالقهما (سيقولون لله قل) لهم بعد أن يجيبوا بما ذكرنا مبكتا لهم (أفلا تذكرون) أي أتعلمون ذلك فلا تتذكرون أن من قدر على خلق الارض وما فيها ابتداء قادر على اعادته ثانيا (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل) الزاما لهم (أفلا تتقون) أي أتعلمون ذلك ولا تقون أنفسكم عقابه حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتثبتون له شريكا في الربوبية (قل من بيده ملكوت كل شيء) أي من تحت قدرته ملك كل شيء من انس وجن وغيرهما (وهو يجير) أي يغيث غيره اذا شاء (ولا يجار عليه) أي لا يمانع أحد منه اذا أراد هلاكه (ان كنتم تعلمون) ذلك فأجيبوني (سيقولون لله) وقرأ أبو عمرو سيقولون الله في الأخيرين من غير لام جر مع رفع الجلالة جوابا على اللفظ لقوله من لان المسؤل به مرفوع المحل وهو من فجاء جوابه مرفوعا والباقون لله باللام في الاخيرين وهو جواب على المعنى لأن التقدير في الموضع الأول منهما قل من له السموات السبع والعرش وفي الثاني قل من له ملكوت كل شيء فلام الجر مقدرة في السؤال فظهرت في الجواب نظرا للمعنى وأما جواب السؤال الأول فهو لله باللام اتفاق السبعة لأنها قد صرح بها في السؤال (قل) لهم يا أشرف الخلق (فأنى تسحرون) أي فمن أين تصرفون عن الرشد الى الغي (بل أتيناهم بالحق) الذي هو التوحيد والوعد بالبعث (وانهم لكاذبون) في ادعاء الشرك وانكار البعث (ما اتخذ الله من ولد) لا من الملائكة ولا من غيرهم كما قال الكفار (وما كان معه من اله) يشاركه في الالوهية كما يقوله الثنوية (اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) فاذا بمعنى لو الامتناعية أي لو كان معه آلهة كما يقولون لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ولغلب بعضهم على بعض كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده تعالى حينئذ ملكوت كل شيء وهو باطل لا يقول به عاقل قط (سبحان الله عما يصفون) من اثبات الولد والشريك (عالم الغيب والشهادة) وقرأ نافع وشعبة وحمزة والكسائي بالرفع خبر مبتدأ محذوف والباقون بالجر بدل من الجلالة وهذا دليل آخر على انتفاء الشريك بناء على توافقهم في تفرده تعالى بذلك كأنه قيل الله عالم الغيب والشهادة وغيره لا يعلمهما فغيره ليس باله (فتعالى عما يشركون) فان تفرده تعالى بذلك موجب لتنزهه عن أن يكون له شريك وشبيه (قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) أي ان كان لابد من أن تريني ما تعدهم من العذاب الدنيوي المستأصل فلا تجعلني قرينا لهم فيما هم فيه من العذاب وأعيد لفظ الرب مبالغة في التضرع وفي بمعنى مع (وانا على أن نريك ما نعدهم) من العذاب المستأصل (لقادرون) ولكنا نؤخره للحكمة الداعية الى التأخير وهذا يدل على صحة قدرته تعالى لا على خلاف علمه فانه تعالى أخبر أنه قادر على تعجيل عقوبتهم ثم لم يفعل ذلك لحكمة فصحة لقدرة غير المعلوم والكافرون ينكرون التهديد بالعذاب ويضحكون به (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) أي قابل اساءتهم بما أمكن من الاحسان وتكذيبهم بالكلام الجميل ونحو ذلك من الأدلة على أحسن الوجوه وقيل هذه الآية محكمة لأن المداراة محبوب عليها ما لم تؤد الى وهن في الدين أو نقصان في المروءة (نحن أعلم بما يصفون) أي بما يصفونك به على خلاف ما أنت عليه (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) أي وساوسهم المغرية على خلاف ما أمرت به

ملكه يعني من يملك كل شيء (وهو يجير) أي يؤمن من يشاء (ولا يجار عليه) أي لا يؤمن من أخافه وقوله (فأنى تسحرون) يعني تخدعون وتصرفون عن توحيده وطاعته (بل أتيناهم بالحق) يعني القرآن (وانهم لكاذبون) أن الملائكة بنات الله (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق) أي ينفرد بمخلوقاته فيمنع الآلهة الأخر من الاستيلاء عليها (ولعلا بعضهم على بعض) يعني بالقهر والمزاحمة كالعادة بين الملوك (سبحان الله) تنزيها له (عما يصفون) أي من الكذب (قل رب اما تريني ما يوعدون) يعني المشركين من العذاب فلا تجعلني معهم أي ان أنزلت بهم النقمة فاجعلني خارجا منهم (ادفع بالتي هي أحسن) من الحلم والصفح (السيئة) التي تأتيك منهم من الأذى والمكروه (نحن أعلم بما يصفون) فنجازيهم به وكان هذا قبل الأمر بالقتال (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) أي نزغاتها ووساوسها

(وأعوذ بك رب أن يحضرون) [illegible] في حال من الأحوال لأنهم انما يحضرون بقصد سوء (حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت) وحتى متعلقة بيصفون أي هي معمولة لمحذوف يدل عليه ذلك أي يستمر كفار مكة على الوصف المذكور حتى اذا جاء أحدهم الموت وظهرت له أحوال الآخرة قال رب ردني الى الدنيا لكي أعمل صالحا فيما قصرت في الايمان وفي العبادات البدنية والمالية والحقوق وقوله ارجعون خطاب لله وجمع الضمير تعظيما لله أو لتكرير قوله ارجعني كأنه قال ارجعني ارجعني ارجعني ثلاث مرات كما قالوا في قوله ألقيا في جهنم أنه بمعنى ألق ألق فثنى الفعل للدلالة على ذلك وقوله رب منادى وقيل الخطاب للملائكة الذين يقبضون الارواح وهم جماعة ورب للقسم فكأنه عند معاينة مقعده من النار وملك الموت وأعوانه قال بحق الرب ارجعون الى الدنيا لكي أصلح ما أفسدت وأطيع في كل ما عصيت ومكنوني من التدارك لعلى أتدارك فيما خلفت من المال كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حضر الانسان الموت جمع كل شيء كان يمنعه من حقه بين يديه فعند ذلك يقول رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت أي لكي أصير عند الرجعة مؤديا لحق الله تعالى فيما تركت لتركة (كلا) أي لا يرد الى الدنيا وهذا كالجواب لهم في المنع مما طلبوا روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى دار الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان لا بل قدوما على الله تعالى وأما الكافر فيقال له نرجعك فيقول ارجعون فيقال له الى أي شيء ترغب الى جمع المال أو غرس الغراس أو بناء البنيان أو شق الانهار فيقول لعلى أعمل صالحا فيما تركت فيقول الجبار كلا (انها) أي قوله رب ارجعون الى آخره (كلمة هو قائلها) لا محالة لتسلط الحسرة عليه ولكنها لا تفيده (ومن ورائهم) أي أمامهم (برزخ) أي حائل مانع لهم عن الرجوع الى الدنيا وهو مدة بين الموت والبعث وذلك قوله تعالى (الى يوم يبعثون) من قبورهم (فاذا نفخ في الصور) لقيام الساعة وهي النفخة الثانية التي يقع عندها البعث (فلا أنساب بينهم يومئذ) أي فلا يتفاخرون بأنسابهم ولا يتراحمون بها في ذلك اليوم (ولا يتساءلون) عنها لاشتغال كل منهم بنفسه قال ابن مسعود رضي الله عنه يؤخذ العبد والأمة يوم القيامة على رؤس الاشهاد وينادي مناد ألا ان هذا فلان فمن له عليه حق فليأت الى حقه فتفرح المرأة حينئذ أن يثبت لها حق على أمها أو أختها أو أبيها أو أخيها أو ابنها أو زوجها فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وعن قتادة لا شيء أبغض الى الانسان يوم القيامة من أن يراه من يعرفه مخافة أن يثبت له عليه شيء والصور آلة ينفخ فيه وقال الحسن الصور مجموع الصورة وكان يقرأ بفتح الواو وقرأ أبو رزين بفتح الواو وكسر الصاد والمعنى فاذا نفخ في الاجساد أرواحها فلا قرابة تنفعهم لزوال التعاطف من فرط الحيرة وأما قوله تعالى فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فبعد ذلك (فمن ثقلت موازينه) أي فمن كانت له عقائد صحيحة وأعمال صالحة يكون لها قدر عند الله تعالى (فأولئك هم المفلحون) أي الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مرهوب (ومن خفت موازينه) أي ومن لم يكن له قدر عنده تعالى من العقائد والاعمال وهم الكفار (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) بأن صارت منازلهم من الجنان للمؤمنين (في جهنم خالدون) بدل من الصلة (تلفح وجوههم النار) أي تضربها وتأكل لحومها وتحرق جلودها (وهم فيها كالحون) أي متقلصوا الشفتين عن الاسنان من شدة الاحتراق ويقال لهم (ألم تكن آياتي تتلى عليكم) في الدنيا تبين لكم بالدلائل الواضحة كيفية سلوك الطريق الحق (فكنتم بها) أي بآياتي (تكذبون) فصرتم مستحقين للعذاب الاليم (قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) بسوء اختيارنا وفي قراءة سبعية شقاوتنا

(وأعوذ بك رب أن يحضرون) في شيء من أموري وقوله (رب ارجعون) أي ردوني الى الدنيا (لعلى أعمل صالحا) أي أشهد بالتوحيد (فيما تركت) أي حين كنت في الدنيا (كلا) أي لا يرجع الى الدنيا (انها كلمة هو قائلها) أي عند الموت ولا يجاب الى ذلك (ومن ورائهم) أمامهم (برزخ) أي حاجز بينهم وبين الرجوع الى الدنيا (فاذا نفخ في الصور) يعني النفخة الأخيرة (فلا أنساب بينهم يومئذ) أي لا يفتخرون بالأنساب (ولا يتسألون) كما يتسألون في الدنيا من أي قبيلة ونسب أنت (تلفح) أي تحرق (وجوههم النار وهم فيها كالحون) أي عابسون لتقلص شفاههم بالاشواء فيقال لهم (ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) أي قضيت علينا

[illegible] (الخلق) أى [illegible]

بفتح الشين وقرأ قتادة بالكسر (وكنا) بسبب ذلك (قوما ضالين) عن الحق (ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) أى يا ربنا أخرجنا من النار ومن هذه الدار الى دار الدنيا فان عدنا الى الاعمال السيئة فانا ظالمون على أنفسنا (قال) الله لهم بلسان مالك (اخسؤا فيها) أى ذلوا فى النار (ولا تكلمون) بطلب الاخراج من النار وهذا آخر كلامهم فى النار فلا يسمع لهم بعد ذلك الا الزفير والشهيق والنباح كنباح الكلاب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا فيجابون حق القول منى فينادون ألف سنة ثانية ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فيجابون ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم فينادون ألفا ثالثة يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون ألفا رابعة ربنا أخرجنا منها فيجابون أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال فينادون ألفا خامسة أخرجنا نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فينادون ألفا سادسة رب ارجعون فيجابون اخسؤا فيها (انه) أى الشأن وقرأ أبى بفتح الهمزة أى لانه (كان فريق من عبادى يقولون) فى الدنيا (ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين) أى أنت أرحم علينا من الوالدين (فاتخذتموهم سخريا) وقرأ نافع وأهل المدينة وأهل الكوفة عن عاصم بضم السين فى جميع القرآن وقرأ الباقون بالكسر ههنا وفى ص وقال الخليل وسيبويه هما لغتان وقال الكسائى والفراء الكسر بمعنى الاستهزاء بالقول والضم بمعنى السخرية والعبودية (حتى أنسوكم ذكرى) أى طاعتى (وكنتم منهم تضحكون) وذلك غاية الاستهزاء والمعنى اسكتوا عن الدعاء بقولكم ربنا أخرجنا الى آخره لانكم كنتم تستهزؤن بالداعين قولهم ربنا آمنا الى آخره وتتشاغلون باستهزائهم حتى أنساكم الاستهزاء بهم عن توحيدى وطاعتى قال مقاتل ان رؤساء قريش مثل أبى جهل وعتبة وأبى بن خلف كانوا يستهزؤن بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضحكون بالفقراء منهم مثل بلال وخباب وعمار وصهيب (انى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون) وقرأ حمزة والكسائى انهم بكسر الهمزة تعليل للجزاء والباقون بالفتح ثانى مفعولى جزيت فمعنى الاول فانهم قد فازوا بسبب صبرهم على أذيتكم اياهم فجوزوا أحسن الجزاء ومعنى الثانى انهم انتفعوا بأذيتكم اياهم بسبب صبرهم على أذيتكم فانى جزيتهم اليوم بفوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به (قال) أى الله لهم بلسان مالك توبيخا (كم لبثتم فى الارض) أى فى الدنيا التى تطلبون أن ترجعوا اليها (عدد سنين) تمييز لكم والغرض من هذا السؤال التبكيت لانهم كانوا لا يعدون اللبث الا فى دار الدنيا ويظنون ان الفناء يدوم بعد الموت ولا اعادة فلما حصلوا فى النار وأيقنوا انهم مخلدون فيها سألهم الله كم لبثتم فى الارض فانهم فيها تمكنوا من العلم والعمل تذكيرا لهم بأن الذى ظنوه طويلا فهو قليل بالنسبة الى ما أنكروه فحينئذ تحصل لهم الحسرة على ما كانوا يعتقدونه فى الدنيا من حيث أيقنوا خلافه (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) يشكون فى ذلك لكثرة ما هم فيه من الاهوال وقد اعترفوا بالنسيان حيث قالوا (فاسأل العادين) أى الذين يحصون الاعمال وأوقات الحياة والممات أو الذين يعدون أيام الدنيا وساعاتها فانا قد نسيناه وقرئ العادين بتخفيف الدال أى الظلمة رؤساؤنا الذين أضلونا وقرئ العاديين أى القدماء المعمرين (قال) الله لهم بلسان مالك (ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون) أى ما لبثتم فى الدنيا الا زمانا قليلا لو علمتم البعث فان الدنيا قليل أيامها فى مقابلة أيام الآخرة ولكنكم لما أنكرتم ذلك كنتم تعدون الدنيا طويلا ولو علمتم أن لبثكم فى الآخرة لا نهاية له لاصلحتم أعمالكم فى الدنيا ولتفرغتم بها الى الله تعالى وقرأ الاخوان قل كم لبثتم قل ان لبثتم بالامر فى الموضعين خطاب للملك وابن كثير كالاخوين فى الموضع الاول فقط والباقون قال بالماضى فى الموضعين (أفحسبتم أنما خلقناكم

(فاتخذتموهم سخريا) أى سخرتم منهم واستهزأتم (حتى أنسوكم ذكرى) لاشتغالكم بالاستهزاء بهم (انى جزيتهم اليوم) أى قابلت عملهم بما يستحقون من الثواب (بما صبروا) أى على أذاكم (أنهم هم الفائزون) أى الناجون من النار (قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين) قال الله تعالى لمنكرى البعث اذا بعثهم كم لبثتم أى فى قبوركم وهذا سؤال توبيخ لهم لانهم كانوا ينكرون أن يبعثوا من قبورهم (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) وذلك ان العذاب رفع عنهم بين النفختين فنسوا ما كانوا فيه من العذاب فاستقصروا مدة لبثهم فلذلك قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم (فاسئل العادين) أى فاسئل الملائكة الذين يحفظون عدد ما لبثنا (قال ان لبثتم الا قليلا) أى ما لبثتم الا قليلا وان طال لبثكم فى النار (لو انكم كنتم تعلمون) أى مقدار لبثكم فى القبر وذلك انهم لم يعلموا ذلك حيث قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فقيل لهم لو كنتم تعلمون ذلك كان قليلا عند طول لبثكم فى النار (أفحسبتم انما خلقناكم

عبثا) أي ألم تعلموا يا أهل مكة شيئا فحسبتم انما خلقناكم لا لحكمة بل العبث بل لحكمة بالغة خلقناكم بلا معنى يضركم أو ينفعكم حتى تعيشوا كالبهائم فلا تقربوا إلينا بالاعمال الصالحة حتى أنكرتم البعث (وأنكم الينا لا ترجعون) فلولا القيامة لما تميز المطيع من العاصي والصديق من الزنديق فخلقكم بغير بعث من نوع العبث وانما خلقناكم لنعيدكم ونجازيكم على أعمالكم وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء وكسر الجيم (فتعالى الله) أي تبرأ الله عن العبث وعن خلو أفعاله عن المصالح والغايات الجيدة (الملك) أي المتصرف في كل شئ (الحق) أي الثابت الذي لا يزول ملكه (لا اله الا هو) فان كل ما عداه عبيده (رب العرش الكريم) أي مالك لسرير الحسن وقرئ الكريم بالرفع صفة لرب أي الجامع لصفات الكمال (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه) وقوله لا برهان فة لازمة لالها وقوله فانما جواب الشرط أي ومن يعبد الها آخر لا حجة له بعبادته فهو تعالى مجازيه في الآخرة بقدر ما يستحقه ويبالغ عقابه لى حيث لا يقدر أحد على حسابه الا الله تعالى (انه لا يفلح الكافرون) والجمهور على كسر همزة نه على الاستئناف المفيد للعلة وقرأ الحسن وقتادة بفتح الهمزة فيكون خبر حسابه المعنى حسابه في الآخرة عدم الفلاح (وقل) يا أكرم الرسل (رب اغفر) أي تجاوز عني وعن أمتي (وارحم) أمتي فلا تعذبهم (وأنت خير الراحمين) أي ارحم الراحمين وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر وروى ان أول سورة قد أفلح وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع من آخرها فقد نجا وأفلح

﴿سورة النور مدنية وهي أربع وستون آية وألف وثلاثمائة وستة عشر كلمة وخمسة آلاف وتسعمائة وثمانون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم سورة) قرأ العامة بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أي هذه الآيات الآتي ذكرها سورة وقرأ الحسن بن عبد العزيز وعيسى الثقفي وعيسى الكوفي ومجاهد وأبو حيوة بالنصب بفعل يفسره ما بعده أو بفعل آخر نحو اقرأ واتبعوا (أنزلناها) أي أعطيناها الرسول (وفرضناها) أي أوجبنا ما فيها من الاحكام ايجابا قطعيا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتشديد الراء لكثرة المفروض عليهم (وأنزلنا فيها) أي في أثناء السورة (آيات) نيطت بها الاحكام المفروضة (بينات) أي واضحة دلالتها على أحكامها كبراءة الصديقة ابنة الصديق (لعلكم تذكرون) أي تتذكرونها فتعلمونها وقرأ حفص وحمزة والكسائي بتخفيف الذال وحذف احدى التاءين والباقون بالتشديد (الزانية) أي المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه (والزاني) وهما بكران (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) أي ضربة وجلدة فاجلدوا خبر المبتدأ والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التي زنت والذي زنى وقرأ عيسى الثقفي ويحيى بن يعمر وعمرو بن فائد وأبو جعفر وأبو شيبة بنصب الاسمين على اضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ والزان بلا ياء (ولا تأخذكم بهما رأفة) أي رحمة (في دين الله) أي في طاعة الله واقامة حده فتعطلوه أو تسامحوه وقرأ العامة رأفة هنا وفي الحديد بسكون الهمزة وابن كثير بفتحها وقرأ ابن جريج كما روى عن ابن كثير وعاصم بمد الهمزة على وزن سحابة (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحدود سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له أنت أرحم مني فيؤمر به الى النار ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به الى النار وعن أبي هريرة اقامة حد بأرض خير من مطر أربعين ليلة

عبثا) أي بالعبث والباطل لا للحكمة من ثواب الله للمطيع وعقابه للعاصي وقيل عبثا أي للعبث حتى تعبثوا وتغفلوا وتلهوا وقوله (رب العرش الكريم) أي السرير الحسن (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به) أي لا حجة له بما يفعل من عبادته غير الله (فانما حسابه عند ربه) أي جزاؤه عند الله فهو يجازيه بما يستحقه (انه لا يفلح الكافرون) أي لا يسعد المكذبون ثم أمر رسوله أن يستغفر للمؤمنين ويسأل لهم الرحمة فقال (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين

﴿تفسير سورة النور﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سورة) أي هذه سورة (أنزلناها وفرضناها) أي ألزمنا العمل بما فرض فيها (الزانية والزاني) اذا كانا حرين بالغين غير محصنين (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة) أي رقة ورحمة فتعطلوا الحدود وتخففوا الضرب حتى لا يؤلم وقوله (في دين الله) أي في حكم الله

(وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) أى ليحضر حد واحد منهما جمع يحصل به التشهير والزجر وعن ابن عباس هم أربعة الى أربعين رجلا من المصدقين بالله تعالى (الزانى لاينكح الا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها الا زان أو مشرك) وهذا كما قال القفال المراد منه الاعم الاغلب وذلك لان الفاسق الخبيث الذى من عادته الزنا والفسق لايرغب فى نكاح الصوالح من النساء وانما يرغب فى فاسقة أو فى مشركة والفاسقة الخبيثة لايرغب فى نكاحها الصلحاء من الرجال وانما يرغب فيها الفسقة والمشركون فهذا على الاعم الاغلب كما يقال لايفعل الخير الا الرجل التقى وقد يفعل بعض الخير من ليس بتقى فكذا ههنا (وحرم ذلك على المؤمنين) أى ان صرف الرغبة بالكلية الى الزوانى وترك الرغبة فى الصالحات محرم على المؤمنين أى الحصر المذكور وهو ان الزانى لايرغب الا فى الزانية محرم عليهم ولا يلزم من حرمة هذا الحصر حرمة التزوج بالزانية وهذا هو المعتمد فى تفسير هذه الآية قال مجاهد وعطاء بن أبى رباح وقتادة قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء ليس لهم أموال ولا عشائر وبالمدينة نساء بغايا يكرين أنفسهن وهن يومئذ أخصب أهل المدينة ولكل واحدة منهن علامة على بابها كعلامة البيطار ليعرف أنها زانية وكان لايدخل عليها الا زان أو مشرك فرغب فى كسبهن ناس من فقراء المشركين وقالوا نتزوج بهن الى أن يغنينا الله عنهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فتقدير الآية أولئك الزناة لاينكحون الا تلك الزوانى وتلك الزوانى لاينكحهن الا أولئك الزناة وحرم نكاحهن بأعيانهن على المؤمنين فالالف واللام فى قوله الزانى وفى قوله المؤمنين وان كانت للعموم ظاهر الكنه ههنا مخصوص بالاقوام الذين نزلت فى حقهم هذه الآية ودليل جواز نكاح الزانية ما روى عن جابر ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان امرأتى لاتمنع يد لامس قال طلقها قال فانى أحبها وهى جميلة قال استمتع بها (والذين يرمون المحصنات) أى يقذفون الحرائر المسلمات المكلفات العفائف بالزنا (ثم لم يأتوا) الى الحكام (بأربعة شهداء) ذكور يشهدون على صحة مارموهن به (فاجلدوهم) أيها الحكام (ثمانين جلدة) لظهور كذبهم بعجزهم عن الاتيان بالشهداء (ولاتقبلوا لهم شهادة) أى لاتقبلوا منهم شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند الرمى (أبدا) أى مدة حياتهم وان تابوا وأصلحوا لان رد الشهادة منهم تتمة للحد لمافيه من معنى الزجر لانه مؤلم للقلب كما ان الجلد مؤلم للبدن فان القاذف قد آذى المقذوف بلسانه فعوقب باهدار منافعه وفائدة قوله تعالى لهم تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة عن أهليتهم الثابتة لهم عند الرمى وهو السر فى قبول شهادة الكافر المحدود فى القذف بعد التوبة والاسلام لانها ليست ناشئة عن أهليته السابقة بل عن أهلية حدثت له بعد اسلامه فلايتناولها الرد (وأولئك هم الفاسقون) أى المحكوم عليهم بالفسق (الا الذين تابوا من بعد ذلك) أى من بعد اقترافهم ذلك الذنب العظيم (وأصلحوا) أعمالهم بعد التوبة (فان الله غفور رحيم) فحينئذ لاينظمهم فى سلك الفاسقين ومحل المستثنى نصب لانه عن مثبت وهو راجع الى الفسق فقط كما قال أبو حنيفة ان الفاسق لاتقبل شهادته وان تاب أو هذا الاستثناء راجع الى رد الشهادة والى الفسق كما هو مذهب مالك والشافعى وكما يروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وجمع من الصحابة فمحل المستثنى حينئذ جر على البدلية من الضمير فى لهم وعند الشافعى ان التائب تقبل شهادته ويزول فسقه ومعنى الابد عنده مدة كونه قاذفا فتنتهى بالتوبة قال الشافعى التوبة من القذف اكذابه نفسه كما روى عن عمر بن الخطاب انه ضرب الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة وهم أبو بكرة ونافع ونفيع ثم قال لهم من أكذب نفسه قبلت شهادته

(وليشهد عذابهما) أى وليحضر عذابهما أى جلدهما (طائفة) أى نفر (من المؤمنين الزانى لا ينكح) الآية نزلت فى فقراء من المهاجرين هموا أن يتزوجوا بغايا كن بالمدينة لعيالهم فأنزل الله تحريم ذلك لأنهن كن زانيات ومشركات وبين انه لايتزوج بهن الا زان (أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) أى فان ذلك حرام على المؤمنين (والذين يرمون) بالزنا (المحصنات) أى الحرائر العفائف (ثم لم يأتوا) على ما رموهن به (بأربعة شهداء) يشهدون عليهن بذلك (فاجلدوهم) أى الرامين (ثمانين جلدة) يعنى كل واحد منهم (ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا) أى لا تقبل شهادتهم اذا شهدوا لانهم فسقوا برمى المحصنة الا أن يرجعوا أو يكذبوا أنفسهم ويتركوا القذف حينئذ تقبل شهادتهم لقوله تعالى (الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم

ومن لا يفعل لم تجز شهادته فقال كل للت نافع وظليع أقبلهما وتابا وكان عمر يقبل شهادتهما وأما أبو بكرة فكان لا يقبل شهادته وما أنكر على عمر أحد من الصحابة واتفق الائمة الاربعة على عدم رجوع الاستثناء الى قوله تعالى فاجلدوهم فالقاذف يجلد عند الجميع . وان تاب أو لم يتب (والذين يرمون أزواجهم) بالزنا (ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم) بدل من شهداء أو صفة لها على ان الا بمعنى غير أو وجدت البينة ولكن لم يريدوا اظهارها (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين) وقرأ حفص وحمزة والكسائي برفع أربع خبر لشهادة و بالله متعلق بشهادات والباقون بنصب أربع على انه مفعول مطلق و العامل فيه شهادة وهو خبر لمبتدا محذوف أي فالواجب شهادة أو مبتدأ محذوف الخبر أي فشهادة كل واحد منهم واجبة (والخامسة أن لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين) فيما رماها به من الزنا وقرأ نافع بسكون نون ان ورفع لعنة والباقون بتشديد النون ونصب لعنة وهو خبر والخامسة أو بدل منها أو على تقدير حرف الجر أي بأن لعنة الله و يجوز أن تكون الخامسة معطوفا على المبتدا فالخبر المحذوف خبر عن المعطوف والمعطوف عليه وجملة والخامسة ان لعنة الله الخ معترضة بين المبتدا وخبره المحذوف وقرئ والخامسة بالنصب على معنى و يشهد الخامسة كما قاله الرازي (و يدرأ عنها العذاب) أي يدفع عن المقذوفة حد الزنا الذي ثبت بيمين القاذف (أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين) فيما رماها به من الزنا (والخامسة أن غضب الله عليها ان كان) أي زوجها (من الصادقين) فيما قال عليها وقرأ حفص والخامسة بالنصب أي وتشهد الشهادة الخامسة وما بعدها بدل منها أو على تقدير حرف الجر والباقون بالرفع وما بعدها خبرها قرأ نافع ان بالسكون وغضب الله بكسر الضاد وضم الجلالة على انه فعل وفاعل والباقون بتشديدان وقرئ غضب بالرفع مع تخفيف ان روي ان هلال بن أمية قذف امرأته بالزنا عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سمحاء فقال صلى الله عليه وسلم اما البينة واما اقامة الحد عليك فقال هلال والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل وأنزل عليه والذين يرمون أزواجهم حتى بلغ ان كان من الصادقين فلما سري عنه قال صلى الله عليه وسلم أبشر يا هلال فقد جعل الله لك فرجا قال قد كنت أرجو ذلك من الله تعالى فقرأ عليهم هذه الآيات فقال صلى الله عليه وسلم ادعوها فدعيت فكذبت هلالا فقال صلى الله عليه وسلم الله يعلم ان أحدكما كاذب فهل منكما تائب وأمر بالملاعنة فشهد هلال أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقال صلى الله عليه وسلم عند الخامسة اتق الله يا هلال فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد الخامسة ثم قال رسول الله أتشهدين فشهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فلما أخذت في الخامسة قال لها اتقي الله فان الخامسة هي الموجبة فتفكرت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا أفضح قومي وشهدت الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما ثم قال انظروها فان جاءت به أثيبج أصهب أحمش الساقين فهو لهلال وان جاءت به أكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سمحاء فجاءت به كذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم) لكان ما كان أي لو لم يشرع الله لهم اللعان لوجب على الزوج حد القذف مع ان الظاهر انه لا يفتري عليها لاشتراكهما في الفضاحة ولانه أعرف بحال زوجته وانما أوجب الله لهم أربعة شهداء للستر على من اقترف الكبائر و بعدما شرع لهم ذلك لو جعل أيمانه موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولو جعل أيمانها موجبة لحد القذف عليه لفات النظر له فجعل أيمان كل منهما دارئة للغائلة الدنيوية مع كذب أحدهما حتما وفي ذلك آثار التفضل والرحمة أما على الصادق

والذين يرمون أزواجهم) أي يقذفونهن بالزنا (ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم) أي يشهدون على صحة ما قالوا الا هم (فشهادة أحدهم أربع شهادات) أي مرات انه صادق فيما قذفها به يسقط عنه الحد ثم يقول في الخامسة (أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) فاذا فعل الزوج هذا وجب الحد على المرأة و يسقط عنها ذلك أن تشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما قذفني به أربع مرات وذلك قوله (ويدرأ عنها العذاب) أي يدفع عنها عقوبة الحد والخامسة أن تقول وعلي غضب الله ان كان من الصادقين (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) وجواب لولا محذوف على تقدير لفضحكم بارتكاب الفاحشة ولعاجلكم بالعقوبة ولكنه (تواب) يقبل التوبة و يرحم من يرجع عن السيئة (حكيم) فيما فرض من الحدود

فظاهر وأما على الكاذب فهو امهاله فى الدنيا بدرء الحد عنه لعله يتوب فى الدنيا فغفر له وكما ستر الله عليهم فى الدنيا ولم يفضحهم باظهار صدقهم وكذبهم وأجلهم لعقوبة الى الآخرة لترك التوبة فى الدنيا كذلك جعل سنة اللعان باقية بين المسلمين لتكون الحكمة باقية بينهم سبحانه ما أعظم شأنه وأوسع رحمته وأدق حكمته (ان الذين جاؤا بالافك) أى بأبلغ الكذب (عصبة منكم) أى جماعة من المؤمنين وهم زيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وعباد بن المطلب وحمنة بنت جحش وهى زوجة طلحة بن عبيد الله والعصبة ما بين العشرة الى الاربعين (لا تحسبوه) الافك (شرا لكم) والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعائشة وصفوان (بل هو خير لكم) لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله تعالى بانزال ثمانى عشرة آية فى براءتكم وتعظيم شأنكم فان قصة الافك كانت فى حق النبى صلى الله وفى حق عائشة وأبويها وفى حق جميع الصحابة امتحانا لهم وتهذيبا فان البلاء للاولياء كاللهب للذهب كما قال صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل وقال صلى الله عليه وسلم يبتلى الرجل على قدر دينه أى وذلك لان الله غيور على قلوب خواص عباده المحبوبين فاذا حصلت مساكنة بعضهم الى بعض أجرى الله تعالى ما يرد كل واحد منهم عن صاحبه ويرده الى حضرته وان النبى صلى الله عليه وسلم لما قيل له أى الناس أحب اليك قال عائشة فساكنها وقال يا عائشة حبك فى قلبى كالعقدة وفى بعض الاخبار ان عائشة رضى الله عنها قالت يا رسول الله انى أحبك وأحب قربك اهـ فأجرى الله تعالى حديث أهل الافك حتى رد الله رسوله عن عائشة الى الله تعالى بانحلال عقدة حبها عن قلبه ورد عائشة عنه صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى حتى قالت لما ظهرت براءة ساحتها بحمد الله لا بحمدك * وقصة الافك ان عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج اسمها خرج بها معه فأقرع بيننا فى غزوة قبل غزوة بنى المصطلق فخرج فيها اسمى فخرجت معه صلى الله عليه وسلم وذلك بعد نزول آية الحجاب فحملت فى هودج فسرنا حتى اذا رجعنا وقربنا من المدينة نزلنا منزلا ثم نودى بالرحيل فقمت ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت الى رحلى فلمست صدرى فاذا عقدى من جزع ظفار قد انقطع فرجعت والتمسته وحبسنى طلبه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بى فحملوا هودجى فظنوا انى فى الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدى فلما رجعت لم أجد فى المكان أحدا فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمى من وراء الجيش فلما رآنى عرفنى فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهى بجلبابى ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ونزل حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقمت اليها فركبتها ثم قاد البعير حتى أتينا الجيش فتفقدنى الناس حين نزلوا وماجوا فى ذكرى فبينا الناس كذلك اذ هجمت عليهم فخاض الناس فى حديثى والذى بدأ بالافك وأذاعه بين الناس عبد الله بن أبى فقدمنا المدينة فلحقنى وجع ولم أر من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أعرفه منه حين أشتكى انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فلا أشعر بما جرى من الافك حتى نقهت فخرجت فى بعض الليالى مع أم مسطح جهة المناصع وكان متبرزنا ثم أقبلت أنا وهى قبل بيتى فعثرت أم مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت أوما بلغك الخبر فقلت وما هو فقالت أشهد أنك من المؤمنات الغافلات ثم أخبرتنى بقول أهل الافك فازددت مرضا على مرضى ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كيف تيكم فقلت له ائذن لى أن آتى أبوى فأذن لى فأتيت أبوى فقلت لأمى يا أماه ماذا يتحدث الناس فقالت يا بنية هونى عليك فوالله ما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا أكثرن عليها ثم قالت

(ان الذين جاؤا بالافك) بالكذب على عائشة رضى الله عنها وصفوان (عصبة) أى جماعة (منكم) يعنى حسان بن ثابت ومسطحا وعبد الله بن أبى المنافق وحمنة بنت جحش (لا تحسبوه) أى لا تحسبوا ذلك الافك (شرا لكم بل هو خير لكم) لان الله يؤجركم على ذلك ويظهر براءتكم

ألم تكوني علمت ماقيل فيك حتى الآن فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت فدخل علي أبي وأنا أبكي فقال لأمي ما يبكيها قالت لم تكن علمت ماقيل فيها حتى الآن فأقبل يبكي ثم قال اسكتي يابنية فسكتت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع وأبواي يظنان ان البكاء فالق كبدي فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي اذ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يجلس عندي منذ قيل في ماقيل ثم قال أما بعد ياعائشة بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته فاض دمعي ثم قلت لأبي أجب عني رسول الله فقال والله ما أدري ما أقول فقلت لأمي أجيبي عني رسول الله فقالت والله ما أدري ما أقول فقلت والله لقد علمت أنكم قد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به فان قلت لكم اني بريئة لا تصدقوني وان اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني بريئة منه لا تصدقوني والله لا أجد لي ولكم مثلا الا ما قال العبد الصالح أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت واضطجعت على فراشي والله أنا أعلم ان الله يبرئني وكنت أرجو أن يرى رسول الله في النوم رؤيا يبرئني الله بها قالت فوالله ما قام رسول الله من مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله الوحي على نبيه فوالله ما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت ان نفس أبوي ستخرجان فرقا من أن يأتي الله بتحقيق ما قال الناس فلما سري عنه وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها ان قال ابشري ياعائشة قد برأك الله فقلت بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد أصحابك فقالت أمي قومي اليه فقلت والله لا أقوم اليه ولا أحمد أحدا الا الله الذي أنزل براءتي قالت ولما نزل عذري قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل ضرب الحد على عبد الله بن أبي ومسطح وحمنة وحسان (لكل امرئ منهم) أي على كل امرئ من أولئك العصبة (ما اكتسب من الاثم) أي جزاؤه فقدر العقاب يكون مثل قدر الخوض في الاثم وصار حسان أعمى أشل اليدين في آخر عمره ومسطح بن أثاثة وابن خالة أبي بكر الصديق مكفوف البصر وجلدت معهما امرأة من قريش (والذي تولى كبره منهم) أي الذي تحمل أكثر الافك من أولئك العصبة فابتدأ به ورغب في اشاعته وهو عبد الله بن أبي (له عذاب عظيم) في الآخرة بالنار وفي الدنيا بالحد وبالطرد وبأنه مشهود عليه النفاق (لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين) أي هلا ظننتم بأمثالكم من المؤمنين الذين هم كأنفسكم خيرا حين سمعتم الافك ولم تقولوا حينئذ هذا افك ظاهر فكيف بالصديقة ابنة الصديق أم المؤمنين حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روي ان أبا أيوب الانصاري قال لأم أيوب ألا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوأ قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير مني وصفوان خير منك (لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء) أي هلا أتوا على ما قالوا بأربعة شهداء عاينوا الزنا (فاذلم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون) أي فحين لم يقيموا بينة على ما قالوا فأولئك الخائضون في حكمه تعالى هم الكاملون في الكذب (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) أي ولولا فضل الله عليكم أيها السامعون والمستمعون ورحمته في الدنيا بالامهال للتوبة وفي الآخرة بالمغفرة بعد التوبة لأصابكم عاجلا بسبب حديث الافك الذي خضتم فيه عذاب عظيم (اذ تلقونه بألسنتكم) أي وقت أخذكم حديث الافك من المخبرين حتى اشتهر بسبب اضاعتكم (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) أي تقولون بأفواهكم كلاما ليس تفسيرا عن علم في قلوبكم (وتحسبونه) أي حديث الافك (هينا) أي ذنبا صغيرا أو لا اثم فيه حيث سكتم عن انكاره (وهو

(لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) أي جزاء ما اجترح من الذنب (والذي تولى كبره) أي تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه وهو عبد الله بن أبي (لولا) أي هلا (اذ سمعتموه) يعني الافك (ظن المؤمنون والمؤمنات) رجع من الخطاب الى الخبر والمعنى ظننتم أيها المؤمنون بالذين هم كأنفسكم خيرا والمؤمنون كلهم كالنفس الواحدة وقلتم (هذا افك مبين) أي كذب ظاهر (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم) أي لأصابكم (فيما أفضتم) أي خضتم فيه من الافك (عذاب عظيم اذ تلقونه بألسنتكم) أي تأخذونه ويرويه بعضكم عن بعض (وتحسبونه هينا) أي وتظنونه سهلا وهو كبير عند الله تعالى (ولولا) أي هلا (اذ سمعتموه) أي سمعتم هذا الكذب (قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا

عند الله) أى والحال ان حديث الافك عنده تعالى (عظيم) فى لوزر واستجرار العذاب (ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) أى وهلا قلتم تكذيبا للمخترعين والمشيعين حين سمعتم حديث الافك ما يليق لنا أن نتكلم بهذا القول وان يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه (سبحانك) أى أتعجب ممن تفوه بهذا الكلام فانه أمر عظيم وأنزه الله تعالى عن أن تكون زوجة نبيه فاجرة (هذا بهتان عظيم) أى كذب عظيم عند الله تعالى لعظمة المتقول عليه ولاستحالة صدق هذا القول (يعظكم الله) بهذه المواعظ التى تعرفون بها عظم هذا الذنب كراهة (أن تعودوا لمثله أبدا) أى مدة حياتكم (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان وازع عنه (ويبين الله لكم الآيات) أى لاجلكم الآيات الدالة على محاسن الآداب دلالة واضحة لتتأدبوا بها (والله عليم) بجميع أحوال عباده (حكيم) فى جميع تدابيره وأفعاله (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا) أى ان الذين يريدون انتشار الخصلة المفرطة فى القبح فيما بين الناس فالجار متعلق بتشيع أو متعلق بمضمر هو حال من الفاحشة أى ان العصبة الذين يقصدون شيوع الفاحشة كائنة فى حق المؤمنين عائشة وصفوان (لهم عذاب أليم فى الدنيا) من الحد واللعن والعداوة من الله والمؤمنين ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن أبى فظهر كفره بعد ان كتمه وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حسانا ومسطحا حد القذف وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف فكف بصره (والآخرة) من عذاب القبر وعذاب النار ومما يعلمه الله تعالى فالحدود جوابر للذنب المحدود به كالقذف وأما ذنب الاقدام فلا يكفره الا التوبة وعذاب الآخرة لعبد الله بن أبى خاصة (والله يعلم) جميع الامور ومن جملتها محبة ظهور الفاحشة (وأنتم لا تعلمون) ما يعلمه الله تعالى لان محبة القلب كامنة فالله تعالى لا يخفى عليه شئ وان بالغ العبد فى اخفاء تلك المحبة فهو يعلم ذلك منه ويعلم قدر الجزاء منه أما نحن فلا نعلم محبة القلب الا بالامارات (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بكم (وأن الله رؤف رحيم) لهلكتم (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) أى لا تتبعوا آثار الشيطان ولا تسلكوا مسالكه فى الاصغاء الى الافك واشاعة الفاحشة فى المؤمنين (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) أى ومن يتبع طرق تزيين الشيطان فقد فعل القبيح وما لا يعرف فى شريعة ولا فى سنة لان عادته يأمر بهما (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بالتوفيق للتوبة الماحصة للذنوب وبشرع الحدود المكفرة لها (ما زكى منكم من أحد أبدا) أى ما طهر أحد منكم من دنس الذنوب الى آخر الدهر فان العصبة قد تابوا وطهروا غير عبد الله بن أبى فانه استمر على الشقاوة حتى مات وقرأ يعقوب وابن محيصن ما زكى بتشديد الكاف أى ما طهر الله تعالى أحدا من أولئك العصبة من تلك الذنوب أبدا (ولكن الله يزكى من يشاء) اى يطهره من الذنوب بحمله على التوبة وبقبولها (والله سميع) لما أظهروه من التوبة ولاقوالكم فى القذف وفى اثبات البراءة لعائشة (عليم) باخلاصكم فى التوبة وبمحبة اشاعة الفاحشة وكراهيتها (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله) أى ولا يقصر أولوا الفضل فى الدين والسعة فى المال فى أن يحسنوا اليهم كذا قاله أبو مسلم كما روى عن أبى عبيدة والمعنى عند أكثر المفسرين ولا يحلف أولوا الفضل منكم فى الدين وبالبذل والغنى بالمال على أن لا ينفقوا عليهم وعلى أن لا يعطوهم وقرأ الحسن ولا يتأل (وليعفوا) أى وليتجاوزوا عن الخائضين فى الافك بالطاهر (وليصفحوا) أى ليعرضوا عن لومهم بالسلب أى يتناسوا جرمهم وقرئ الافعال الثلاثة بتاء الخطاب (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) بمقابلة عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من أساء اليكم (والله غفور رحيم) قال المفسرون نزلت هذه الآية فى أبى بكر حيث حلف أن لا ينفق على مسطح وهو ابن خالته وكان

الخوض فيه (يعظكم الله أن تعودوا) كراهة أن تعودوا (لمثله) أى لمثل هذا الافك (أبدا ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة) أى يفشوا الزنا (فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم) وهم المنافقون كانوا يشيعون هذا الكذب ويطلبون العنت للمؤمنين وأن يكثر فيهم الزنا (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) لعجل لكم الذى تستحقونه من العقوبة (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى) أى ما صلح وطهر من هذا الذنب أحد منكم يعنى من الذين خاضوا فيه (ولكن الله يزكى) أى يطهر (من يشاء) من الاثم والذنب بالرحمة والمغفرة (ولا يأتل) أى ولا يحلف (أولوا الفضل منكم والسعة) يعنى أبا بكر الصديق رضى الله عنه (أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله) يعنى مسطحا وكان مسكينا مهاجرا ابن خالة أبى بكر وكان قد حلف لا ينفق عليه ولا يؤتيه شيأ (وليعفوا وليصفحوا) عنهم أى عن خوضهم فى حديث عائشة (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) فلما نزلت هذه الآية قال أبو بكر بلى أنا أحب أن يغفر الله لى ورجع الى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه

من فقراء المهاجرين [illegible] وأن لا ينفق على ذوي قرابته لما خاضوا في أمر عائشة فلما نزلت الآيات التي أبرأت عائشة من الافك قال لهم أبو بكر قوموا فلستم مني ولست منكم ولا يدخلن أحد منكم علي فقال مسطح ننشدك الله والاسلام والقرابة أن لا تحوجنا الى أحد فما كان لنا في أول الامر من ذنب وانما كنت أغشى مجلس حسان وأسمع ولا أقول فقال لمسطح إن لم تتكلم فقد ضحكت وشاركت فيما قيل فقال قد كان ذلك تعجبا من قول حسان فلم يقبل عذره وقال انطلقوا أيها القوم فان الله لم يجعل لكم عذرا ولا فرجا فخرجوا لا يدرون أين يذهبون وأين يتوجهون من الارض وبعض الصحابة أقسموا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشئ من الافك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر وقرأ عليه الآية فلما وصل الى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم قال بلى يا رب اني أحب أن تغفر لي فذهب أبو بكر الى بيته وأرسل الى مسطح وأصحابه وقال قبلت ما أنزل الله تعالى على الرأس والعين وانما فعلت بكم ما فعلت اذ سخط الله عليكم اما اذ عفا عنكم فمرحبا بكم فرجع الى مسطح نفقته وحلف أن لا ينزعها منه أبدا وألطف بقرابته وأحسن اليهم وهذا من أعظم أنواع المجاهدات فان مجاهدة النفس أشد من مجاهدة الكفار (ان الذين يرمون المحصنات) أي العفائف من الفاحشة (الغافلات) أي النقيات القلوب (المؤمنات) أي المتصفات بالايمان بكل ما يجب أن يؤمن به من الواجبات والمحظورات وغيرها ايمانا حقيقيا تفصيليا وهن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم (لعنوا في الدنيا والآخرة) أي عذبوا في الدنيا بالحد وفي الآخرة بالنار (ولهم عذاب عظيم) وهو عذاب الكفر فان كان القذفة مؤمنين فذلك الابعاد عن الثناء الحسن على ألسنة المؤمنين وهجرهم لهم وزوالهم عن رتبة العدالة وضرب الحد (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) فان الله تعالى ينطقها بقدرته فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من أفاعيل صاحبها (يومئذ) أي يوم اذ تشهد جوارحهم بأعمالهم القبيحة (يوفيهم الله دينهم الحق) أي يعطيهم الله جزاء عملهم المقطوع بحصوله لهم (ويعلمون) عند معاينتهم الاهوال (أن الله هو الحق المبين) أي الثابت في ذاته وصفاته وكلماته المنزهة عن الشؤن التي يشاهدونها المظهر للاشياء كما هي في أنفسها (الخبيثات للخبيثين) أي النساء الخبيثات مختصات بالرجال الخبيثين (والخبيثون للخبيثات) أي والخبيثون لائقة بالنساء الخبيثات ويقال المقالات الخبيثة من القذف مختصة بالخبيثين من أهل الافك من الرجال والنساء ويقال المقالات الخبيثة من اللعن والذم ونحو ذلك مختصة بهم (والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) أي والنساء الطيبات للرجال الطيبين وبالعكس أو المعنى والكلمات الطيبات من قول منكري الافك للطيبين من الرجال والنساء ويقال والطيبون من الفريقين لائقة بالكلمات الحسنة وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب الطيبين وأفضل الاولين والآخرين تبين كون زوجاته أطيب الطيبات بالضرورة (وأولئك) أي أهل البيت (مبرؤن مما يقولون) أي مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلمات فالله تعالى برأ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من الاكاذيب الباطلة لكيلا يقدح فيهن أحد كما أقدموا على عائشة ونزه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمثال هذا الامر ولا أحد أطهر منه فأزواجه اذا لا يجوز أن يكن الا طيبات (لهم مغفرة) أي براءة من الله (ورزق كريم) في الآخرة وهذه الجملة خبر ثان لأولئك ويجوز أن يكون لهم خبر أولئك ومغفرة فاعله (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) أي التي تسكنونها (حتى تستأنسوا) أي تستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا وحتى يؤذن لكم (وتسلموا على أهلها) عند الاستئذان روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان التسليم ان يقول السلام عليكم أأدخل

(ان الذين يرمون المحصنات الغافلات) عن الفواحش أي كغفلة عائشة عما قذفت به (لعنوا) أي عذبوا (في الدنيا) بالجلد (و) في (الآخرة) بالنار (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) أي جزاءهم الواجب (ويعلمون أن الله هو الحق المبين) لانه بين لهم حقيقة ما كان يعدهم به في الدنيا (الخبيثات) من القول وقيل من النساء (للخبيثين) من الرجال (والخبيثون) من الناس (للخبيثات) من القول وقيل من النساء (والطيبات) من القول وقيل من النساء (للطيبين) من الناس (والطيبون) من الناس (للطيبات) من القول وقيل من النساء (أولئك) يعني عائشة وصفوان (مبرؤن مما يقولون) أي مما يقوله أهل الخبث والقاذفون (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا) أي تستأذنوا (وتسلموا على أهلها) وهو أن يقول السلام عليكم ادخل

[illegible]

ثلاث مرات فان أذن له دخل والا رجع (ذلك خير لكم) أى التسليم مع الاستئناس خير لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن وفى الحديث من سبقت عينه استئذانه فقد دمر (لعلكم تذكرون) أى أمرتم بهذا التأديب لكى تتذكروا وتعملوا به وقرأ حمزة والكسائى وحفص بتخفيف الذال والباقون بالتشديد وسبب نزول هذه الآية أن امرأة من الانصار قالت يا رسول الله انى أكون فى بيتى على حال لا أحب ان يرانى عليها أحد لا والد ولا ولد فيأتى الاب فيدخل على وانه لا يزال يدخل على رجل من أهلى وأنا على تلك الحال فنزلت هذه الآية فقال أبو بكر يا رسول الله أفرأيت الخانات والمساكن فى طرق الشام ليس فيها ساكن أفلا ندخلها الا باذن فأنزل الله ليس عليكم جناح الآية (فان لم تجدوا فيها) أى البيوت (أحدا) ممن يملك الاذن (فلا تدخلوها) واصبروا (حتى يؤذن لكم) من جهة من يملك الاذن عند اتيانه واستثنى ما اذا عرض فيه حرق أو غرق أو كان فيه منكر ونحوه (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) أى ان أمرتم من جهة أهل البيت بالرجوع فارجعوا سواء كان الامر ممن يملك الاذن أو لا ولا تلحوا بتكرير الاستئذان ولا تلجوا بالاصرار على الانتظار الى ان يأتى الاذن (ذلكم) أى الرجوع (أزكى لكم) أى أصلح لكم من الوقوف على أبواب الناس لانه قد يكرهه صاحب الدار (والله بما تعملون) من الدخول باذن و بغيره (عليم) فيجازيكم عليه (ليس عليكم جناح) أى اثم (أن تدخلوا) بغير استئذان (بيوتا غير مسكونة) كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فانها معدة لمصالح الناس (فيها متاع لكم) أى حق انتفاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد او نواء الامتعة والشراء والبيع والاغتسال وغير ذلك (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) من قصد صلاح أو فساد أو اطلاع على عورات فى دخول هذه المواضع (قل للمؤمنين) ومقول القول أمر فحذف لدلالة جوابه عليه أى قل لهم غضوا (يغضوا من أبصارهم) أى يكفوا أبصارهم عن الحرام ومن زائدة أو للتبعيض لان الغالب ان الاحتراز عن النظرة الاولى لا يمكن فوقع عفو قصدا أو لم يقصد ولا يجوز ان يكرر النظر الى الاجنبية لقوله صلى الله عليه وسلم يا على لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الآخرة (ويحفظوا فروجهم) عن الحرام (ذلك) أى غض البصر عن محله وحفظ الفرج (أزكى لهم) أى أبعد لهم عن دنس الريبة وأصلح من كل شئ نافع (ان الله خبير بما يصنعون) من احالة النظر وتحريك الجوارح للحظوظ وللحقوق وقدم الامر بمنع البصر على الامر بحفظ الفرج لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أكثر (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) ولا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه (ويحفظن فروجهن) بالتصون عن الزنا (ولا يبدين زينتهن) وهى ثلاثة أمور أحدها الثياب وثانيها الحلى كالخاتم والسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط وثالثها الاصباغ كالكحل والخضاب بالوسمة فى حاجبيها والغمزة فى خديها والحناء فى كفيها وقدميها (الا ما ظهر منها) عند مزاولة الامور التى لا بد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب فى اليدين والغمزة والثياب والسبب فى تجويز النظر اليها ان فى سترها حرجا بينا لان المرأة لا بد لها من مناولة الاشياء بيديها والحاجة الى كشف وجهها فى الشهادة والمحاكمة والنكاح وفى ذلك مبالغة فى النهى عن ابداء مواضعها كما لا يخفى (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) أى وليرخين قماعهن على صدورهن وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتظهر نحورهن وقلائدهن من جيوبهن وأمرن بارسال مقانعهن على الجيوب ليتغطى بذلك أعناقهن ونحورهن (ولا يبدين زينتهن) الخفية المنهية عن ابدائها للاجانب (الا لبعولتهن) فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا

(فارجعوا) ولا تقفوا على أبوابهم (هو) أى الرجوع (أزكى) أطهر وأصلح (لكم) فلما نزلت هذه الآية قيل يا رسول الله أفرأيت الخانات والمساكن فى الطرق ليس فيها ساكن فأنزل الله تعالى (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) بغير استئذان (فيها متاع لكم) أى منفعة لكم من قضاء حاجة أو نزول وغيره (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) أى يكفوها عن النظر الى ما لا يحل (ويحفظوا فروجهم) عما لا يحل وقيل يستروها حتى لا تظهر وقوله (ولا يبدين زينتهن) يعنى الخلخالين والقرطين والقلائد والدمالج ونحوها مما يخفى (الا ما ظهر منها) وهو الثياب والكحل والخاتم والخضاب والسوار فلا يجوز للمرأة أن تظهر الا وجهها ويديها الى نصف الذراع (وليضربن بخمرهن) أى وليلقين مقانعهن على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وقرطهن وأعناقهن (ولا يبدين زينتهن) يعنى الزينة الخفية لا الظاهرة (الا لبعولتهن) يريد أزواجهن وقوله (أو نسائهن) يعنى النساء المؤمنات ولا يحل لامرأة مسلمة أن تتجرد بين يدى امرأة مشركة

الى

الى جيع بدنهن حتى الموضع المعهود ولكنه يكره نظره (أو آبائهن) وان علون من جهة الذكران والاناث (أو آباء بعولتهن أو أبنائهن) فى النسب أو اللبن (أو أبناء بعولتهن) من غيرهن وان سفلوا (أو اخوانهن) فى النسب أو اللبن (أو بنى اخوانهن) (أو بنى أخواتهن) كذلك لكثرة المخالطة الضرورية بينهم و بينهن فلهم أن ينظروا منهن مايبدو عند الخدمة وعدم ذكر الاعمام والاخوال لما ان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا من ان يصفوهن لابنائهن (أو نسائهن) المختصة بهن من جهة الاشتراك فى الدين وهى حرائر المؤمنات (أو ماملكت أيمانهن) من الاماء دون العبيد فانهم بمنزلة الاجانب من ساداتهم وقيل من الاماء والعبيد فيجوز لهن أن يكشفن لهم ماعدا مابين السرة والركبة و ينظروا اليه وكذا العكس وذلك بشرط العفة وعدم الشهوة من الجانبين (أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال) أى الذين يتبعون الناس لينالوا من فضل طعامهم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لايعرفون شيأ من أمورهن أوشيوخ صلحاء لهم قد ذهبت شهوتهم اذا كانوا معهن غضوا أبصارهم أو الممسوحون وهم ذاهبو الذكر والانثيين وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر غير بالنصب على الاستثناء والحال (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) أى الطفل الذين لم يتصوروا عورات النساء ولم يدروا ماهى لعدم تمييزهم كما قاله ابن قتيبة أو الذين لم يبلغوا ان يطيقوا اتيان النساء كما قاله الفراء والزجاج فيجوز ان يبدين للتابعين والاطفال ماعدا مابين السرة والركبة (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن) أى لايضربن الارض بأرجلهن ليتقعقع خلخالهن فيعلم انهن ذوات خلخال ومن فعل ذلك منهن فرحا بحليهن فهو مكروه ومن فعل ذلك منهن تبرجا للرجال فهو حرام مذموم وكذلك من ضرب بنعله الارض من الرجال ان فعل ذلك عجبا حرم فان العجب كبيرة وان فعل ذلك تبرجا لم يحرم (وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) أى توبوا من نوع تفريط فى اقامة مواجب التكاليف كما ينبغى وقال ابن عباس رضى الله عنهما توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية لعلكم تسعدون فى الدنيا والآخرة أى فانه وان جب بالاسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على تركه كلما خطر بباله كما قال بعض العلماء من أذنب ذنبا ثم تاب عنه لزمه كلما ذكره ان يجدد التوبة لانه يلزمه أن يستمر على ندمه الى ان يلقى ربه وقرأ ابن عامر أيه وفى الزخرف هنا وفى الرحمن بضم الهاء وصلا ووجهه ان الهاء كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين استثقلت الفتحة على حرف خفى فضمت الهاء اتباعا للرسم وتباعا لحركة ماقبلها وقد رسمت هذه الثلاثة دون ألف فوقف أبو عمرو والكسائى بألف والباقون بدونها اتباعا للرسم فالرسم سنة متبعة (وأنكحوا الايامى منكم) أى زوجوا أيها الاولياء والسادات من لازوج له من الاحرار والحرائر (والصالحين) لامر النكاح (من عبادكم وامائكم) ليحصن دينهم وهم الذين تنزلونهم منزلة الاولاد فى المودة وفى بذل المال والمنافع وعدم اعتبار الصلاح فى الاحرار والحرائر لان الغالب فيهم الصلاح لمساعدة الاولياء لهم ولانهم مستقلون فى التصرفات المتعلقة بأنفسهم وأموالهم (ان يكونوا) أى الاحرار (فقراء يغنهم الله من فضله) أى لاتنظروا الى فقر أحد الجانبين الخاطب والمخطوبة ففى فضل الله مايغنى عن المال فانه غاد ورائح يرزق من شاء من حيث لايحتسب (والله واسع) أى ذو سعة لخلقه (عليم) بمقادير مايصلحهم من الرزق يبسطه لمن يشاء ويضيق (وليستعفف الذين لايجدون نكاحا) أى وليجتهد فى قمع الشهوة من لايتمكنون من الوصول الى النكاح (حتى يغنيهم الله من فضله) أى فمن لايتمكن من المال فليطلب لعفته عن الحرام ولينتظران يوصله الله الى بغيته

الا اذا كانت المشركة مملوكة لها وهو قوله (أو ماملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال) يعنى الذين يتبعون النساء يخدمونهن ليصيبوا شيأ لاحاجة لهم فيهن كالخصى والخنثى والشيخ الهرم والأحمق العنين (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) لم يقووا عليها (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن) أى لا يضربن باحدى الرجلين الاخرى ليصيب الخلخال الخلخال فيعلم أن عليها الخلخالين لان ذلك يحرك من الشهوة (وتوبوا الى الله جميعا) أى ارجعوا الى طاعة الله فيما أمركم ونهاكم من الآداب المذكورة فى هذه السورة (وأنكحوا الأيامى منكم) أى الذين لاأزواج لهم من الرجال والنساء (والصالحين من عبادكم) أى من عبيدكم (وامائكم) أى جواريكم (ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) هذا وعد من الله بالغنى على النكاح واعلام انه سبب لنفى الفقر (وليستعفف) أى وليعف عن الحرام من لايقدر على تزويج امرأة بأن لايملك المهر والنفقة (حتى يغنيهم الله من فضله

الظاهر (ويذكر فيها اسمه) بجميع اذكاره تعالى وقال ابن عباس يتلى فى المساجد كتابه تعالى (يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال) وقرأ ابن عامر وشعبة عن عاصم بالبناء للفعول ونائب الفاعل لفظ له ورجال فاعل لفعل مقدر أو خبر مبتدأ محذوف أى يسبح له رجال أو المسبح رجال والوقف على الآصال حسن والباقون بالبناء للفاعل ورجال فاعل ولا يوقف على الآصال لعدم تمام الكلام والصلاة التى تؤدى فى الغداة صلاة الصبح وفى العشى صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقرئ والايصال أى الدخول فى الاصيل (لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة) أى لايشغلهم نوع من أنواع التجارة ولا فرد من أفراد البياعات عن حضور المساجد لطاعة الله وعن أداء الصلاة فى وقتها جماعة روى سالم عن ابن عمر رضى الله عنهم انه كان فى السوق فاقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر نزلت هذه الآية فى شأنهم وروى عن أبى أمامة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته متطهرا الى صلاة مكتوبة كان أجره كأجر الحاج المحرم ومن خرج الى المسجد الى تسبيح الضحى لا يقصد الا ذلك كان أجره كأجر المعتمر وروى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال مامن أحد يغدو ويروح الى المسجد يؤثره على ماسواه الا وله عند الله نزل يعد له فى الجنة وفى رواية سهل بن سعد مرفوعا من غدا الى المسجد وراح ليعلم خيرا وليتعلمه كان كمثل المجاهد فى سبيل الله يرجع غانما (وايتاء الزكاة) أى وعن اعطاء المال الذى فرض اخراجه للمستحقين قال ابن عباس اذا حضر وقت أداء الزكاة لم يحبسوها (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار) أى يخافون يوما تتقلب فى ذلك اليوم القلوب بين طمع فى النجاة وخوف من الهلاك وتتقلب الابصار من أى ناحية يؤمر بهم أمن ناحية اليمين أم من ناحية الشمال ومن أى ناحية يعطون كتابهم أمن قبل اليمين أم من قبل الشمال أى فانهم وان بلغوا فى ذكر الله تعالى والطاعات خائفون لعلمهم بأنهم ماعبدوا الله حق عبادته فيخافون صفة ثانية لرجال أو حال من مفعول لاتلهيهم ويوما مفعول به وتتقلب صفة له (ليجزيهم الله أحسن ماعملوا) أى أحسن جزاء أعمالهم بحسب وعده لهم من أن حسنة واحدة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وقوله ليجزيهم الله متعلق بمحذوف أى أيفعلون هذه القربات ليجزيهم الله فاللام لام العاقبة والصيرورة (ويزيدهم من فضله) مالم يستحقوه بأعمالهم ومالم يخطر ببالهم (والله يرزق من يشاء بغير حساب) أى فالله يعطيهم غير جزاء أعمالهم مما لايفى به الحساب ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على ان مناط الرزق محض مشيئته تعالى وللاعلام بأنهم ممن شاء الله تعالى أن يرزقهم كما انهم ممن شاء الله تعالى ان يهديهم لنوره فان جميع ماذكر من أعمالهم الحسنة مقتبس من القرآن الذى هو المراد بالنور وبذلك يتم بيان أحوال من اهتدى بهداه على أوضح وجه (والذين كفروا أعمالهم) أى من أنواع البر كصدقة وعتق ووقف ونحو ذلك من كل مالا يتوقف على نية (كسراب بقيعة) أى فى أرض منبسطة والسراب مايتراءى فى الفلوات شبيها بالماء الجارى وليس بماء ولكن الذى ينظر اليه من بعيد يظنه ماء جاريا وقيل هو لمعان الشمس على الفلوات يظن انه ماء يجرى (يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه) أى ويقصد الظمآن ماظنه ماء ولا يزال جائيا اليه حتى اذا جاءه (لم يجده شيأ) أصلا كما يراه من قبل فالكافر الذى يأتى بأعمال البر كصلة الرحم وسقاية الحاج وعمارة لكعبة وقرى الاضياف واغاثة الملهوفين يعتمد ان له ثوابا عند الله فاذا مات ووافى عرصات القيامة لم يجد الثواب الذى كان يظنه بل وجد العقاب العظيم فعظمت حسرته وتناهى غمه فيشبه حاله حال العطشان الذى اشتدت حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب تعلق قلبه به ويقوى طمعه فاذا جاءه أيس مما كان يرجوه فيعظم ذلك عليه (ووجد الله عنده) أى وجد واحكم لله عند المجىء

(تتقلب فيه القلوب) أى بين الطمع فى النجاة والحذر من الهلاك (والابصار) تتقلب فى أى ناحية يؤخذ بهم اذات اليمين أم ذات الشمال ومن أى جهة يؤتون كتبهم أمن جهة اليمين أم من جهة الشمال (ليجزيهم الله أحسن) أى بأحسن (ما عملوا ويزيدهم من فضله) أى مالم يستحقوه بأعمالهم ثم ضرب مثلا لاعمال الكافرين فقال (والذين كفروا أعمالهم كسراب) وهو مايرى فى الفلوات عند شدة الحر (بقيعة) جمع قاع وهو المنبسط من الارض (يحسبه الظمآن) أى يظنه العطشان (ماء حتى اذا جاءه) أى جاء موضعه (لم يجده شيأ) كذلك الكافر يحسب أن عمله مغن عنه أو نافعه شيأ فاذا أتاه الموت واحتاج الى عمله لم يجد عمله أغنى عنه شيأ (ووجد الله عنده) أى ووجد الله بالمرصاد عند ذلك

يوم

(فوفاه حسابه) أى جزاء عمله (أو كظلمات) وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكافر (فى بحر لجى) وهو البعيد

يوم القيامة أو وجد الله بالمرصاد عليه (فوفاه حسابه) أى أعطاه جزاء عمله كاملا بالعقاب فتغير ظن النفع العظيم الى تيقن الضرر العظيم وافراد الضمير الراجع الى الذين كفروا والارادة الجنس أو لارادة كل واحد منهم وقد قيل نزلت هذه الآية فى شأن عتبة بن ربيعة بن أمية كان قد تعبد فى الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر (والله سريع الحساب) لانه عالم بجميع المعلومات فلا يشق عليه الحساب (أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض) وروى عن ابن كثير أنه قرأ سحاب وظلمات بالجر على البدل من ظلمات كقراءة قنبل بتنوين سحابٌ وبجر ظلمات بجعلها بدلا من ظلمات الاولى وروى عن ابن كثير أيضا على اضافة سحاب كقراءة البزى بجعل الموج المتراكم بمنزلة السحاب وقرأ الباقون سحاب وظلمات كلاهما بالرفع والتنوين ويغشاه صفة ثانية لبحر وجملة من فوقه موج من مبتدأ وخبر صفة لموج وجملة من فوقه سحاب صفة لموج الثانى وظلمات خبر مبتدأ محذوف وقوله أو كظلمات عطف على كسراب وأو للتقسيم أى ان عمل الكافر قسمان قسم كالسراب وهو العمل الحسن وقسم كالظلمات وهو العمل القبيح والمعنى أو الذين كفروا أعمالهم القبيحة كظلمات كائنة فى بحر عميق يعلوه موج كائن من فوقه موج كائن من فوق ذلك الموج سحاب ستر ضوء النجوم وما تقدم ذكره ظلمات متراكمة وهى ظلمة البحر وظلمة الموج الاول وظلمة الموج الثانى وظلمة السحاب وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما ان قوله تعالى نور على نور بيان لغاية قوة النور الا ان ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به (اذا أخرج) أى من فى هذه الظلمات (يده) لينظر اليها (لم يكد يراها) أى لم يقارب ان يراها ولم يحصل له رؤيتها مع انها قريبة من عينه (ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور) أى ومن لم يشأ الله ان يهديه لنوره الذى هو القرآن ولم يوفقه للايمان به فماله هداية أصلا من أحد (ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات) أى قد علمت يا أشرف الخلق بالوحى الصريح والاستدلال الصحيح ان الله ينزهه فى ذاته وصفاته وأفعاله عن كل مالا يليق بشأنه ما فى السموات والارض وينزهه الطير تنزيها خاصا بها حال كونها باسطات أجنحتها فى جو السماء فان كل موجود يدل على وجوب صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل مالا يليق بشأن من شؤنه الجليلة (كل قد علم صلاته وتسبيحه) أى كل واحد من المخلوقات قد علم هو دعاءه وتسبيحه اللذين ألهمهما الله تعالى اياه فالضمائر كلها عائدة على كل وروى عن ابن ثابت قال كنت جالسا عند محمد ابن جعفر الباقر فقال لى أتدرى ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها قلت لا قال فانهن يقدسن ربهن ويسألنه قوت يومهن وقال بعض العلماء انا نشاهد ان الله تعالى ألهم الطيور وسائر الحشرات أعمالا لطيفة يعجز عنها أكثر العقلاء وهذا دليل على ان الله يلهمها معرفته ودعاءه وتسبيحه (والله عليم بما يفعلون) أى بحقيقة ما يفعلونه بالكمال (ولله ملك السموات والارض) أى ان جميع الموجودات فى تصرفه تعالى ايجادا واعداما لانه خالق لها (والى الله المصير) أى رجوع الكل بالفناء والبعث (ألم تر أن الله يزجى) أى يسوق (سحابا) متفرقا (ثم يؤلف بينه) أى يجمع بين قطع السحاب فيجعلها سحابا واحدا (ثم يجعله ركاما) أى مجتمعا بعضه فوق بعض (فترى الودق) أى المطر (يخرج من خلاله) أى من فتوق السحاب (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) فمن الاولى ابتدائية وكذا الثانية بدل اشتمال من من الاولى ومن الثالثة تبعيضية أى وينزل مبتدئا من السماء من جبال

القعر الكثير الماء (يغشاه) أى يعلوه (موج) وهو ما ارتفع من الماء فوقه (من فوقه موج) أى متراكم بعضه على بعض (من فوقه) أى من فوق الموج (سحاب) وهذه كلها (ظلمات بعضها فوق بعض) ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر (اذا أخرج) الناظر (يده) أى فيما بين هذه الظلمات (لم يكد يراها) أى لم يرها لشدة الظلمة وأراد بالظلمات أعمال الكافر وبالبحر اللجى قلبه وبالموج من فوق الموج ما يغشى قلبه من الشك والجهل والحيرة وبالسحاب الرين والختم على قلبه ثم قال (ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور) أى من لم يهده الله للاسلام لم يهتد (ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والارض) المطيع يسبح له والعاصى يدل أيضا خلق الله اياه على ما يشاء على أنه تعالى برئ من السوء (والطير صافات) باسطات أجنحتهن فى الهواء تسبح لله (كل قد علم) الله (صلاته) وهذا لبنى آدم خاص (وتسبيحه) وهو عام لغيرهم من الخلق (ألم تر أن الله يزجى) أى يسوق (سحابا) الى حيث يريد (ثم يؤلف) أى يجمع (بينه) أى بين قطع ذلك السحاب (ثم يجعله ركاما) أى بعضه على بعض (فترى الودق) أى المطر (يخرج من خلاله) أى فرجه (وينزل من السماء من جبال) فى السماء (فيها من برد

كائن فى السماء بعض برد فى السماء جبال من برد كائن فى الارض جبالا من حجارة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون والباقون بفتحها وتشديد الزاى (فيصيب به) أى بالبرد (من يشاء) ان يصيبه فيضر مايقع عليه من حيوان ونبات (ويصرفه عمن يشاء) صرفه عنه فلا يسقط عليه (يكاد سنا برقه) أى يقرب ضوء برق السحاب (يذهب بالابصار) أى يسلب الابصار الناظرة له لشدة الاضاءة وسرعة ورودها (يقلب الله الليل والنهار) بالمعاقبة بينهما و تغيير أحوالهما بالحر والبرد وغيرهما (ان فى ذلك) أى فيما تقدم ذكره (لعبرة) أى لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته وعلمه (لاولى الابصار) أى لكل من له بصر يرجع الى بصيرة وهذا يدل ان الواجب على المرء ان يتفكر فى هذه الامور ويدل على فساد التقليد (والله خلق كل دابة من ماء) أى كل حيوان يدب على الارض من ماء فمن صلة كل دابة لاصلة خلق فكل دابة متولدة من الماء فهى مخلوقة لله تعالى وقيل أصل جميع المخلوقات من الماء على ماروى ان أول ماخلق الله تعالى جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة فصارت ماء ثم خلق منه النار والهواء والتراب والنور والمقصود من هذه الآية بيان أصل الخلقة فكان أصل الخلقة الماء وقرأ حمزة والكسائى خالق بصيغة اسم الفاعل وبالاضافة (فمنهم) أى الدواب (من يمشى على بطنه) كالحية والحيتان والديدان (ومنهم من يمشى على رجلين) كالانس والطير (ومنهم من يمشى على أربع) كالنعم والوحش (يخلق الله مايشاء) كمايشاء (ان الله على كل شئ قدير) فلا يمنعه مانع (لقد أنزلنا آيات مبينات) لكل مايليق بيانه من الاحكام الدينية والاسرار التكوينية (والله يهدى من يشاء) هدايته بتوفيقه للنظر الصحيح فيها (الى صراط مستقيم) موصل الى الفوز بالجنة (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) هما فى الامر والنهى (ثم يتولى) أى يعرض عن طاعتهما (فريق منهم من بعد ذلك) أى من بعد ماقالوا هذه الكلمة (وما أولئك) أى الذين يدعون الايمان والطاعة (بالمؤمنين) حقيقة وقال الحسن نزلت هذه الآية فى المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر (واذا دعوا) أى الذين ادعوا الايمان والطاعة (الى الله) أى الى كتاب الله (ورسوله ليحكم) الرسول (بينهم) بكتاب الله (اذا فريق منهم معرضون) عن كتاب الله وحكم الرسول ان كان الحكم عليهم (وان يكن لهم الحق يأتوا اليه) أى الى الرسول (مذعنين) أى طائعين لجزمهم بأنه صلى الله عليه وسلم يحكم لهم فقوله اليه متعلق بيأتوا لانه متعد بالى أو بمذعنين لانه بمعنى مسرعين فى الطاعة (أفى قلوبهم مرض) أى أعراضهم لانهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم (أم ارتابوا) أى أم لانهم شكوا فى أمر نبوته صلى الله عليه وسلم بعد تقرير الاسلام فى القلب (أم) لانهم (يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) أى يجور عليهم فى الحكم فانهم بالغوا فى حب الدنيا الى حيث يتركون الدين بسببه كما قال تعالى (بل أولئك) أى المعرضون عن حكم الله (هم الظالمون) أى ليس اعراضهم عن الحكم لواحد من هذه الثلاثة بل لانهم هم الظالمون أى يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة اليه صلى الله عليه وسلم لعلمهم بأنه عليه الصلاة والسلام يقضى عليهم بالحق قال الضحاك نزلت هذه الاية فى المغيرة بن وائل كان بينه وبين على بن أبى طالب أرض فتقاسماها فوقع الى على منها مالا يصيبه الماء الا بمشقة فقال المغيرة بعنى أرضك فباعها اياه وتقابضا فقيل للمغيرة أخذت سبخة لاينالها الماء فقال لعلى اقبض أرضك فانما اشتريتها ان رضيتها ولم أرضها لانه لاينالها الماء فقال على بل اشتريتها ورضيتها وقبضتها وعرفت حالها لا أقبلها منك ودعاه الى ان يخاصمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة أما محمد فلا آتيه ولا أحاكم اليه فانه يبغضنى وأنا أخاف أن يحيف على فنزلت تلك الآيات (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله) أى الى كتابه (ورسوله) أى والى

فيصيب به) أى بذلك البرد
(من يشاء ويصرفه عمن
يشاء يكاد سنا برقه) أى
ضوء برق السحاب
يذهب بالابصار) أى من
شدة توقده (يقلب الله
الليل والنهار) أى يصرفهما
اختلافهما وتعاقبهما
ان فى ذلك) الذى ذكرت
ن هذه الاشياء (لعبرة
ولى الابصار) أى لذوى
عقول (والله خلق كل دابة
ن ماء) أى من نطفة (فمنهم
ن يمشى على بطنه)
حيات والحيتان (ومنهم
ن يمشى على رجلين)
لجن والانس والطير
منهم من يمشى على أربع)
لأفراس والحمير وغيرها
يقولون آمنا بالله) يعنى
فقين (ثم يتولى) أى
رض عن قبول حكم
سول (فريق منهم من
د ذلك) الاقرار (وما
لئك بالمؤمنين واذا دعوا
الله) الى كتابه (ورسوله

سنه

سنة رسوله (ليحكم) أي الرسول صلى الله عليه وسلم (بينهم) بحكم الله (أن يقولوا سمعنا) أي أجبنا
الدعاء (وأطعنا) لاحكامهما وقرأ الجمهور قول المؤمنين بالنصب على انه خبر كان وان يقولوا اسمها
وهذا أقوى صناعة لان الاولى جعل الاعرف الاسم وان يقولوا أوغل في التعريف لان الفعل المبتدا
بأن لا سبيل اليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين فانه يجوز تنكيره بعزل الاضافة عنه والمعنى انما كان
قول المؤمنين المخلصين عند الدعوة خصوصية قولهم المحكي عنهم وقرأ الحسن قول المؤمنين بالرفع
على العكس وهذا أفيد بحسب المعنى لان مصب الفائدة هو الخبر فالاحق بالخبرية ماهو أكثر فائدة
وأظهر دلالة على الحدث والمعنى انما كان مطلق القول الصادر عن المؤمنين خصوصية هذا القول
المحكي عنهم لا قولا آخر أصلا وهذا تعليم أدب الشرع بمعنى ان ما يجب ان يسلك المؤمنون هكذا
(وأولئك) المؤمنون القائلون بذلك (هم المفلحون) أي الفائزون بكل مطلب والناجون من كل
غضب (ومن يطع الله ورسوله) فيما أمروا به من الاحكام الشرعية فيما سرهم وساءهم (ويخشى الله)
على مامضى من ذنوبه (ويتقه) فيما بقي من عمره (فأولئك) الموصوفون بما ذكر (هم الفائزون)
بالنعيم الدائم في الجنة وهذه الآية على ايجازها حاوية لكل ما ينبغي للمؤمنين ان يفعلوه وقرأ أبو عمرو
وشعبة وخلاد ويتقه بسكون الهاء وقالون باختلاس كسرة الهاء وحفص بسكون القاف وقصر
كسرة الهاء والباقون وخلاد في أحد وجهيه باشباع كسرة الهاء (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أي
أقسم المنافقون به تعالى أقصى مراتب اليمين في الوكادة (لئن أمرتهم) بالخروج الى الغزو
(ليخرجن) نزلت هذه الآية لما قال المنافقون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك
لئن خرجت خرجنا ولئن أقمت أقمنا وان أمرتنا بالجهاد جاهدنا (قل) لهم اظهار العدم القبول لكونهم
كاذبين في تلك اليمين (لاتقسموا طاعة معروفة) وهذا خبر مبتدا محذوف والجملة تعليل للنهي أي
لاتقسموا على ماتدعون من الطاعة لان طاعتكم طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط من غير موافقة
للقلب وهي معروفة لكل أحد وقرأ اليزيدي بالنصب على معنى تطيعون طاعة معروفة لكل أحد
مشهورة في ذلك والمعنى ان الطاعة وان اجتهد العبد في اخفائها الابدان تظهر مخايلها على شمائله وكذا
المعصية لانه ما أسر عبد سريرة الا ألبسه الله رداءها كما رواه الطبراني عن عثمان وعن سعيد لوان
أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائنا من كان وعن عثمان بن عفان
قال لوأن رجلا دخل بيتا في جوف بيت فأدى هناك عملا أوشك الناس أن يتحدثوا به ومامن عامل
عمل عملا الا كساه الله رداء عمله ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر (ان الله خبير بما تعملون)
مما تظهرونه من الاكاذيب المؤكدة بالايمان الفاجرة وماتضمرونه في قلوبكم من الكفر والنفاق
والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها وهو مجازيكم على ذلك (قل أطيعوا الله) فيما يدعوكم اليه
(وأطيعوا الرسول) في مسلكه الى الله تعالى (فان تولوا فانما عليه ماحمل) أي فان تعرضوا عن طاعة
الله وطاعة رسوله فاعلموا أن ماعلى الرسول ما أمر به من تبليغ الرسالة وقد شاهدتموه عند قوله أطيعوا
الله وأطيعوا الرسول (وعليكم ماحملتم) أي ما أمرتم به من الطاعة وعن نافع انه قرأ ماحمل بفتح الحاء
والميم مع التخفيف أي عليه ماحمل من أعباء الرسالة (وان تطيعوه) فيما أمركم به من الطاعة (تهتدوا)
أي تصيبوا الحق (وماعلى الرسول الا البلاغ المبين) أي ماعلى الرسول الا التبليغ عن الله الموضح
لكل مايحتاج الى الايضاح (وعد الله الذين آمنوا منكم) ياأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم في الارض) أي أقسم الله على من جمعوا بين الايمان والعمل الصالح من
أصحاب محمد ليجعلنهم بدلا عن الكفار متصرفين في الارض العرب والعجم تصرف الملوك في

ليحكم بينهم) نزلت في بشر
المنافق وخصمه اليهودي
كان اليهودي يجره الى
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليحكم بينهما وجعل
المنافق يجره الى كعب بن
الأشرف هذا اذا كان
الحق على المنافقين أعرضوا
عن حكم رسول الله صلى
الله عليه وسلم لانه كان لا
يقبل الرشا وان كان الحق
لهم على غيرهم أسرعوا الى
حكمه وهو قوله (وان يكن
لهم الحق يأتوا اليه مذعنين)
أي مطيعين منقادين قال
الله تعالى (أفي قلوبهم
مرض) لجاء بلفظ التوبيخ
ليكون أبلغ في ذمهم
(أم ارتابوا) أي شكوا (أم
يخافون أن يحيف الله
عليهم ورسوله) أي يظلم
(بل أولئك هم الظالمون)
لانفسهم بكفرهم ونفاقهم
(وأقسموا بالله جهد
أيمانهم لئن أمرتهم
ليخرجن) وذلك ان
المنافقين حلفوا أنهم
يخرجون الى حيث يأمرهم
الرسول صلى الله عليه وسلم
للغزو والجهاد فقال الله
تعالى (قل لاتقسموا طاعة
معروفة) خير وأمثل من
يمين تحنثون فيها (قل
أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول فان تولوا فانما
عليه ماحمل) من تبليغ الرسالة
(وعليكم ماحملتم) من طاعته لآية (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض)

ممالكهم (كما استخلف الذين من قبلهم) أي كما استخلف الله تعالى بني اسرائيل في مصر والشام بعد اهلاك فرعون والجبابرة وكما استخلف هرون و يوشع وداود وسليمان وقرأ أبو بكر والمفضل عن عاصم بضم التاء وكسر اللام فالموصول مرفوع بخلاف قراءة الجمهور ومن فتح التاء واللام فان الموصول منصوب (وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم) أي وليثبتن الله لهم دينهم الذى اختار لهم وهو الاسلام (وليبدلنهم من بعد خوفهم) من الاعداء (أمنا) لانه كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في مكة قبل الهجرة خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا فيها يصبحون في السلاح و يمسون فيه حتى قال رجل منهم ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله عليه وسلم لا تعبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة فأنزل الله تعالى هذه الآية وأنجز وعده وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وقرأ ابن كثير وعاصم و يعقوب بسكون الباء الموحدة (يعبدونني) حال من الموصول الاول الذى هو مفعول وعد أو استئناف بيان لجواب سؤال مقدر كأنه قيل ما بالهم يستخلفون و يثبتون في دين الاسلام و يأمنون فقيل يعبدونني (لا يشركون بي شيأ) حال من الفاعل أي يعبدونني غير مشركين بي في العبادة شيأ من الاوثان (ومن كفر) أي جحد حق هذه النعم بأن لا يقيموا حقها (بعد ذلك) أي بعد الاستخلاف والتمكين والتبديل (فأولئك هم الفاسقون) أي العاصون الخارجون عن حريم الامن وأول من كفر بتلك النعم قتلة عثمان رضي الله عنه (وأقيموا الصلاة) عطف على مقدر يطلبه نظام الكلام تقديره فلا تكفروا وأقيموا الصلاة فانها مواصلة بينكم و بين ربكم (وآتوا الزكاة) فانها مواصلة بينكم و بين اخوانكم (وأطيعوا الرسول) في كل ما يأمركم به وينهاكم عنه (لعلكم ترحمون) أي راجين ان ترحموا (لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض) والخطاب لكل أحد ممن يصلح له والموصول مفعول أول ومعجزين مفعول ثان وفي الارض ظرف له لافادة شمول عدم الاعجاز لجميع أجزاء الارض أي لا تحسبنهم معجزين الله تعالى عن أدراكهم بالاهلاك في قطر من أقطار الارض وان هربوا كل مهرب وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء على الغيبة والفاعل ضمير يعود على ما دل عليه شأن الكلام اى لا يحسبن حاسب الخ فانهم مدركون (ومأواهم النار) في الآخرة (ولبئس المصير) أي والله لبئس المرجع هي (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) أي العبيد الصغار في الدخول وعن ابن عباس ليس للكبير من المماليك ان ينظر الا الى ما يجوز للحر ان ينظر اليه وقال ابن المسيب لا ينبغي للمرأة أن ينظر عبدها الى قرطها وشعرها وشئ من محاسنها وقال الآخرون بل للبالغ من المماليك أن ينظر الى شعر مالكته وما شابهه (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) أي من الاحرار وهم الصبيان الذين حكوا عورات النساء وميزوا بين الجبلة وغيرها وظاهر الآية أمر المماليك والاطفال الاحرار بالاستئذان وفي الحقيقة أمر الاولياء بتأديبهم فان المقصود أمر المؤمنين أن يمنعوا هؤلاء من الدخول عليهم في هذه الاوقات الثلاث من غير اذن اذ لو كان المقصود أمرهم للزم تكليفهم ولما كان لتخصيص النداء والخطاب بالمؤمنين وجه (ثلاث مرات) أي ثلاثة أوقات في اليوم والليلة فيكفيهم أن يتأدبوا في كل واحد من هذه الاوقات مرة واحدة فثلاث مرات منصوب على الظرف الزماني أو على المصدرية أي ثلاثة استئذانات ثم بين الاوقات فقال (من قبل صلاة الفجر) لانه وقت للقيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة وهذا في محل نصب على انه بدل من ثلاث مرات أو في محل رفع على انه خبر مبتدا محذوف أي أحدها من قبل الخ (وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) أي وحين تخلعون ثيابكم التي تلبسونها بين الناس لاجل القيلولة وهي شدة الحر عند انتصاف النهار

أي ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم (كما استخلف الذين من قبلهم) يعني بني اسرائيل (وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم) حتى يتمكنوا فيه من غير خوف (وليبدلنهم من بعد خوفهم) من العدو (أمنا) لا يخافون معه العدو (ومن كفر) أي بهذه النعمة بعد وعصى الله وسفك الدماء (فأولئك هم الفاسقون) فكان أول من كفر بهذه النعمة بعد ما أنجز الله وعده الذين قتلوا عثمان ابن عفان رضي الله عنه فعادوا في الخوف وظهر الشر والخلاف (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) من العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) من الاحرار (ثلاث مرات) ثم بينهن فقال (من قبل صلاة الفجر) وهو حين يخرج الانسان من ثياب النوم (وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) أي للقائلة

فى بيان الحين أو تعليل لتضعون أى من أجل حر وقت الاستواء (ومن بعد صلاة العشاء) لانه وقت التجرد عن ثياب اليقظة والالتحاف باللحاف (ثلاث عورات لكم) بالرفع خبر مبتدا مقدر ولكم صفة أى هى ثلاثة انكشافات كائنة لكم أومبتدأ وخبر أى ثلاث عورات مخصوصة لكم بالاستئذان وعلى هذا فالوقف على العشاء هو وقف كاف وقرأ أهل الكوفة بالنصب على البدل من ثلاث مرات وكأنه قيل فى أوقات ثلاث عورات لكم وعلى هذا فالوقف على لكم وهو وقف تام (ليس عليكم) فى تمكينهم من الدخول عليكم (ولا عليهم) فى ترك الاستئذان فى الدخول (جناح) أى اثم (بعدهن) أى بعد كل واحدة من تلك العورات الثلاث وانما أباح الله تعالى ذلك فى الاوقات المتخللة بين كل اثنين منهن لما فى العادة أنه لا تكشف العورة فيها (طوّافون عليكم) أى لانهم يكثرون التردد عليكم بالدخول والخروج للخدمة فلو كلفتم الاستئذان فى كل طوفة لضاق الامر عليكم (بعضكم على بعض) أى كان بعضكم طائف على بعض طوافا كثير الحاجة. روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فوجده نائما وقد أغلق عليه الباب فدق الغلام عليه الباب وحركه ورده ودفعه فناداه ودخل فاستيقظ عمر فانكشف منه شئ فقال عمر وددت ان الله تعالى ينهى آباءنا وأبناءنا ونساءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا فى هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية فحمد الله تعالى وخر ساجدا اشكر الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم وماذاك يا عمر فأخبره بما فعل الغلام فتعجب رسول الله من صنعه وقال ان الله يحب الحليم الحيي العفيف المتعفف و يبغض البذى الجرىء السائل الملحف (كذلك) أى مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم الآيات) الدالة على الاحكام (والله عليم) بأحوالكم (حكيم) فيشرع لكم ما فيه صلاح أمركم معاشا ومعادا (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم) أى اذا بلغ الاطفال الاحرار الاجانب سن نزول المنى سواء رأى منيا ام لا (فليستأذنوا) اذا أرادوا الدخول عليكم فى جميع الاوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) أى استئذانا كاستئذان الذين ذكروا من قبلهم فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية (كذلك يبين الله لكم آياته) أى هكذا ينزل الله لكم آياته واضحة الدلالة على الاحكام (والله عليم) بأمور خلقه (حكيم) فيما دبره لهم (والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا) أى والعجائز الكائنة من النساء اللاتى لا يحتجن الى الزوج لكبرهن بحيث اذ رآهن الرجل استقذرهن (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أى أن ينزعن بحضرة الرجال عنهن ثيابهن الظاهرة فوق الثياب الساترة كالملحفة وعن ابن عباس أنه قرأ أن يضعن جلابيبهن وعن السدى عن شيوخه أنه قرأ أن يضعن خمرهن عن رؤسهن وعن بعضهم أنه قرأ أن يضعن من ثيابهن (غير متبرجات بزينة) أى غير مظهرات لمحاسنها ولزينتها الخفية (وأن يستعففن خير لهن) أى استعفافهن بعدم القاء الجلباب خير لهن من الالقاء لبعده من المظنة فعند المظنة يلزمهن أن لا يلقين ذلك كما يلزم مثله فى الشابة (والله سميع) لما يجرى بينهن و بين الرجال من المقاولة (عليم) بمقاصدهن (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) أى ليس على هؤلاء الطوائف مأثم فى أكلهم مع السالمين من هذه النقائص الثلاثة فانهم تركوا مؤاكلة الاصحاء فقال الاعمى انى لا أرى شيأ فربما آخذ الاجود وأترك الارد أو خاف الاعرج والمريض أن يفسد الطعام على الاصحاء وقال سعيد بن جبير والضحاك وغيرهما كان العرجان والعميان والمرضى يتبعدون عن مؤاكلة الاصحاء

(ليس عليكم ولا عليهم جناح) أن لا يستأذنوا بعد هذه الأوقات (طوافون) أي هم طوافون (عليكم) يريد انهم خدمكم فلا بأس عليكم ان يدخلوا فى غير هذه الأوقات الثلاثة بغير اذن وهذه الآية منسوخة عند قوم وعند قوم لم تنسخ و يجب العمل بها (واذا بلغ الأطفال منكم) أى من أحراركم (الحلم فليستأذنوا) فى كل وقت (كما استأذن الذين من قبلهم) يعنى الكبار من الأحرار (والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا) يعنى العجائز اللاتى أيسن من البعولة (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أى جلابيبهن (غير متبرجات بزينة) أى مظهرات زينتهن وهوان لا تريد بوضع الجلباب ان ترى زينتها (وأن يستعففن) فلا يضعن الجلباب (خير لهن والله سميع عليم ليس على الأعمى حرج) الآية كان المسلمون يخرجون الى الغزو و يدفعون مفاتيح بيوتهم الى المؤمنين الزمنى الذين لا يخرجون و يقولون لهم قد أحللنا لكم ان تأكلوا مما فيها وكانوا يتوقون ذلك حتى نزلت هذه الآية وقوله

[illegible] (... تأكلوا من بيوتكم) أراد بيوت أولادكم فجعل بيوت أولادهم بيوتهم [illegible]

لان الناس يستقذرونهم ويكرهون مؤاكلتهم (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) أى ليس عليكم مأثم فى أن تأكلوا من بيوت أولادكم بغير اذن بالعدل لقوله صلى الله عليه وسلم أنت ومالك لأبيك وقوله صلى الله عليه وسلم ان أطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم) من الاب والأم أو منهما بالنسب أو الرضاع (أو بيوت أخواتكم) قال السدى كان الرجل يدخل بيت أبيه أو بيت أخيه أو أخته فتتحفه المرأة بشئ من الطعام فيتحرج لانه ليس ثم رب البيت فأنزل الله تعالى هذه الرخصة (أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه) روى الزهرى عن سعيد بن المسيب وعبيد الله بن عبد الله فى هذه الآية ان المسلمين كانوا اذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يسلمون اليهم مفاتيح أبوابهم ويقولون لهم قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما فى بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك وقالوا لا ندخلها وهم غائبون فنزلت هذه الآية رخصة لهم وهذا قول عائشة رضى الله عنها (أو صديقكم) أى بيت صديقكم وان لم يكن بينكم وبينهم قرابة نسبية ونزل هذا فى حق مالك بن زيد والحرث بن عمرو وكانا صديقين ونقل عن ابن عباس ومقاتل بن حبان نزلت هذه الآية فى الحرث بن عمرو وذلك أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على أهله فلما رجع وجده مجهودا فسأله عن حاله فقال تحرجت أن آكل من طعامك بغير اذنك فأنزل الله هذه الآية والمعنى يجوز الاكل من بيوت من ذكر اذا علم رضاه بصريح الاذن أو بقرينة دالة عليه وان كانت ضعيفة كما علم بالعادة فى طيب أنفسهم فان العادة كالاذن فى ذلك والمقصود من هذه الآية اثبات الاباحة فى الجملة لا اثبات الاباحة فى جميع الاوقات (ليس عليكم جناح) أى مأثم فى (أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) قيل نزلت هذه الآية فى قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الآكلين فى كثرة الاكل وقلته وقال أكثر المفسرين نزلت فى بنى ليث بن عمرو وهم حى من كنانة حيث كانوا يتحرجون أن يأكلوا طعامهم منفردين وكان الرجل منهم لا يأكل وحده يمكث يومه حتى يجد ضيفا يأكل معه فان لم يجد من يواكله لم يأكل شيأ وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحافلات فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فاذا أمسى ولم يجد أحدا أكل فأعلم الله تعالى ان الرجل اذا أكل وحده لا حرج عليه هذا قول ابن عباس رضى الله عنهما (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) أى اذا دخلتم بيوتا من البيوت المذكورة فسلموا على أهلها الذين بمنزلة أنفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية فالله تعالى جعل أنفس المسلمين كالنفس الواحدة على مثال قوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم وقال ابن عباس ان لم يكن فى البيت أحد فليقل السلام علينا من قبل ربنا واذا دخل المسجد فليقل السلام على رسول الله وعلينا من ربنا وقال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق بالسلام ممن سلمت عليهم واذا دخلت بيتا لا أحد فيه فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وحدثنا ان الملائكة ترد عليه وقال القفال وان كان فى البيت أهل الذمة فليقل السلام على من اتبع الهدى (تحية من عند الله) منصوب على المصدر من معنى فسلموا أى فحيوا تحية ثابتة بأمره مطلوبة من عنده (مباركة) أى مضاعفة فى الثواب كما قاله الضحاك (طيبة) أى تطيب بالتحية نفس المستمع وعن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال متى لقيت أحدا من أمتى فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين (كذلك يبين الله لكم الآيات) أى يفصل شرائعه لكم (لعلكم تعقلون) أى لتفهموا عن الله

وأولاد الرجل من كسبه وماله كله وقوله (أو ما ملكتم مفاتحه) يريد الزمنى الذين كانوا يخزنون للغزاة (ليس عليكم جناح ان تأكلوا) من منازل هؤلاء اذا دخلتموها وان لم يحضروا ولم يعلموا من غير ان تحملوا وهذه رخصة من الله تعالى لعباده لطفا بهم ورغبة بهم عن دناءة الاخلاق وضيق النظر وقوله (أو صديقكم) يجوز للرجل أن يدخل بيت صديقه فيتحرم بطعامه من غير استئذان بهذه الآية وقوله (ان تأكلوا جميعا أو اشتاتا) يقول لا جناح عليكم اجتمعتم ان فى الأكل أو أكلتم فرادى وان اختلفتم فكان فيكم الزهيد والرغيب والصحيح والعليل وذلك ان المسلمين تركوا مواكلة الزمنى والمرضى بعد نزول قوله لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فقالوا انهم لا يستوفون من الأكل فلا تحل لنا مواكلتهم فنزلت الرخصة فى هذه الآية (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) أى فليسلم بعضكم على بعض وقيل اذا دخلتم بيوتا خالية فليقل الداخل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقوله

أمره ونهيه (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه) أي الرسول (على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه) أي انما الكاملون في الايمان الذين آمنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم وأطاعوهما في جميع الاحكام كما اذا كانوا معه صلى الله عليه وسلم على أمر موجب للاجتماع في شأنه لم يتفرقوا عنه حتى يطلبوا منه الاذن فيأذن لهم قال الكلبي كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة يعرض في خطبته بالمنافقين و يعيبهم فينظرون يمينا وشمالا فاذا لم يرهم أحد خرجوا ولم يصلوا وان أبصرهم أحد لبثوا وصلوا خوفا فكان المؤمن اذا أراد ان يخرج من المسجد لحاجة أو عذر قام بحيال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف أنه انما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم (ان الذين يستأذنوك) رعاية للادب معك وتعظيما لهذا الامر (أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) أي يعملون بمقتضى الايمان قال الضحاك ومقاتل المراد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك أنه خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فاستأذنه في الرجوع الى أهله لعلة كانت به فأذن له وقال ارجع الى المدينة فلست بمنافق (فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) أي أمرهم المهم (فأذن لمن شئت منهم) لما علمت في ذلك من مصلحة قال ابن عباس ان عمر استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فأذن له ثم قال يا أبا حفص لا تنسنا من صالح دعائك وهذه الآية تدل على أنه تعالى فوض الى رسوله بعض أمر الدين ليجتهد فيه برأيه (واستغفر لهم الله) فان الاستئذان وان كان لعذر قوي لا يخلو عن شائبة تقديم أمر الدنيا على أمر الآخرة وان الاستغفار في مقابلة تمسكهم بآداب الله تعالى في الاستئذان (ان الله غفور) لفرطات العباد (رحيم) بالتسهيل عليهم (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أي لا تجعلوا دعاءه لكم في الاعتقاد وغيره وأمره اياكم في أمر من الامور كدعوة بعضكم لبعض فتستبطؤن عنه بل أجيبوه فورا وان كنتم في الصلاة اذ كان أمره فرضا لازما وهذا قول المبرد والقفال ومختار أبي العباس وأقرب الى نظم الآية كما قاله ابن عادل والرازي وغيره وقيل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم فانه قد يجاب وقد يرد فان دعوات الرسول مستجابة فاحذروا سخطه فان دعاءه مجاب ليس كدعاء غيره وهذا كما قاله ابن عباس وروى عنه أيضا لا تجعلوا نداءه صلى الله عليه وسلم كنداء بعضكم لبعض باسمه ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات بل نادوه بغاية التوقير و بلقبه المعظم وذلك بمثل قولك يا رسول الله يا نبي الله مع التواضع وخفض الصوت فلا تنادوا باسمه ولا بكنيته بأن تقولوا يا محمد يا أبا القاسم (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا) أي قد علم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلا قليلا على خفية مستترين ببعض فلواذا حال أو مصدر لفعل مضمر هو الحال في الحقيقة أي يلوذون لواذا أي يستتر بعضهم بمن يخرج بالاذن اراءة أنه من اتباعه (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي يعرضون عن أمره (أن تصيبهم فتنة) أي محنة في الدنيا من تسليط جائر عليهم واسباغ نعمه استدراجا بهم (أو يصيبهم عذاب أليم) في الآخرة والكناية ترجع الى الله لانه الآمر حقيقة أو للرسول صلى الله عليه وسلم لانه المقصود بالذكر (ألا ان لله ما في السموات والارض) من الموجودات بأسرها خلقا وملكا وتصرفا وهذا دليل على قدرته تعالى على المجازاة بثواب وعقاب وعلى علمه تعالى بما يخفيه المكلف و يعلنه (قد يعلم ما أنتم) أيها المكلفون (عليه) من المخالفة في الدين والنفاق (و يوم يرجعون اليه) أي و يعلم يوم يرجع المنافقون اليه تعالى للجزاء (فينبئهم بما عملوا) في الدنيا من الاعمال كمخالفة الامر فلا يعاقبهم الا بعد اخبارهم بما عملوا (والله بكل شئ عليم) لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء

(واذا كانوا معه على أمر جامع) أي يجمعهم من حرب حضرت أو صلاة في جمعة أو تشاور في أمر (لم يذهبوا) أي لم يتفرقوا عن النبي صلى الله عليه وسلم (حتى يستأذنوه) نزلت في حفر الخندق وكان المنافقون ينصرفون بغير اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أي لا تقولوا اذا دعوتموه يا محمد كما يقول احدكم لصاحبه ولكن قولوا يا رسول الله يا نبي الله (قد يعلم الله الذين يتسللون) أي يخرجون في خفية من بين الناس (لواذا) أي يستتر بغيره فيخرج مختفيا (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي يخالفون أمر الرسول و ينصرفون بغير أذنه (أن تصيبهم فتنة) أي بلية تظهر نفاقهم (أو يصيبهم عذاب أليم) أي عاجل في الدنيا (ألا ان لله ما في السموات والارض) عبيدا وملكا وخلقا

﴿سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية وثمانمائة واثنان وسبعون كلمة وثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاث وستون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده) أي تعالى الله الذي نزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في ذاته وصفاته وأفعاله فتعالى ذاته عن جواز التغير والفناء وعن مشابهة شيء من الممكنات وتعالى صفاته عن حدوث وتعالى أفعاله عن عبث ومن جملة أفعاله تنزيل القرآن المنطوي على جميع الخيرات الدينية والدنيوية والاتيان بعنوان العبد اعلام بكون سيدنا محمد في أقصى مراتب العبودية (ليكون) أي ذلك العبد أو الذي نزل الفرقان (للعالمين) أي المكلفين من الثقلين (نذيرا) أي مخوفا من عذاب الله بالقرآن (الذي له ملك السموات والارض) بدل من الموصول الاول أو خبر مبتدأ محذوف (ولم يتخذ ولدا) عطف على الصلة وهذا رد على النصارى واليهود وبعض مشركي العرب (ولم يكن له شريك في الملك) أي في ملك السموات والارض فهو المنفرد بالالهية وهذا معطوف على الصلة أيضا وهو رد على الثنوية وعباد الاصنام والنجوم (وخلق كل شيء فقدره تقديرا) أي أحدث كل موجود احداثا جاريا على طريق التقدير بحسب ما اقتضته ارادته وهيأ لما أراد به مما يصلح له مثاله أنه تعالى خلق الانسان على هذا الشكل المقدر المستوي الذي تراه فيقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في باب الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بأمثلة الحكمة فقدره لامر ما ومصلحة ما موافقا لما قدر غير متأخر عنه (واتخذوا) أي المنذرون من كفار مكة كأبي جهل وأصحابه (من دونه آلهة لا يخلقون شيأ) أي جعلوا لانفسهم متجاوزين الله غيره آلهة لا يقدرون على خلق شيء أصلا (وهم يخلقون) كسائر المخلوقات (ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا) أي لا يقدرون لانفسهم على دفع ضر ما وعلى جلب نفع ما فمن لا ينفع نفسه لا ينفع غيره (ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) أي ولا يقدرون على اماتة الاحياء واحياء الموتى وبعثهم فالاله يجب أن يكون قادرا على جميع ذلك (وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون) أي قال النضر بن الحرث ما القرآن الا كذب مصروف عن وجهه اختلقه محمد من تلقاء نفسه وأعانه على اختلاقه غير قومه وهم اليهود جبر ويسار وأبو فكيهة الرومي قال الكلبي ومقاتل نزلت هذه الآية في النضر بن الحرث فهو الذي قال هذا القول وأعانه عليه عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء عامر بن الحضرمي وجبر مولى عامر وهؤلاء كانوا من أهل الكتاب وكانوا يقرؤن التوراة ويحدثون أحاديث منها في مكة فلما أسلموا كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعهدهم فزعم النضر انهم يأتون اليه صلى الله عليه وسلم أخبار الأمم الماضية وهو صلى الله عليه وسلم يعبر عنها بعبارات من عنده فهذا معنى اعانتهم له فمن أجل ذلك قال النضر ما قال فرد الله تعالى ذلك بقوله تعالى (فقد جاؤا) أي قائلو هذه المقالة (ظلما) عظيما حيث جعلوا الحق البحت افكا مفترى من قبل البشر (وزورا) أي كذبا كبيرا حيث نسبوا اليه صلى الله عليه وسلم ما هو بريء منه (وقالوا) أي النضر وأصحابه (أساطير الاولين اكتتبها) أي هذا القرآن ما سطره المتقدمون من الخرافات انتسخها محمد من عداس ويسار وجبر أي أمرهم بكتابتها له وقراءتها عليه لانه أمي (فهي تملى عليه بكرة وأصيلا) أي فتلك الاساطير تقرأ على محمد بعد طلبه منهم كتابتها غدوة وعشيا ليحفظها من أفواههم من ذلك المكتتب لكونه أميا لا يقدر على أن يتلقاها منه بالقراءة وهذا على قول جمهور المفسرين فان قوله تملى الى آخره من كلام القوم الكافرين وقال الضحاك معنى قولهم ذلك وما يملى على محمد بكرة يقرؤه

﴿تفسير سورة الفرقان﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تبارك) أي ثبت ودام (الذي نزل الفرقان) يعني القرآن الذي فرق بين الحق والباطل (على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (ليكون للعالمين) الجن والانس (نذيرا) أي مخوفا من العذاب (وخلق كل شيء) مما يطاق في صفته المخلوق (فقدره تقديرا) أي جعله على مقداره وقوله (نشورا) أي حياة بعد الموت (وقال الذين كفروا ان هذا) أي ما هذا القرآن (الا افك) كذب (افتراه) أي اختلقه (وأعانه عليه قوم آخرون) يعنون اليهود (فقد جاؤا) أي بهذا القول (ظلما وزورا) أي كذبا (وقالوا أساطير الأولين) أي هو ما سطر الأولون (اكتتبها) أي كتبها (فهي تملى عليه بكرة وأصيلا) يعنون انه يختلف الى من يعلمه بالغدوة والعشي

عليكم عشية وما يملى عليه عشية يقرؤه عليكم بكرة خلافا للحسن حيث قال ان ذلك من محض كلام الله تعالى ذكره جوابا عن قولهم كأنه تعالى قال ان هذه الآيات تلقى عليه صلى الله عليه وسلم بالوحى منى حالا بعد حال فكيف ينسب الى أنه أساطير الاولين (قل) لهم ردا عليهم (أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض) أى ليس ذلك القرآن مما يفتعل باعانة قوم وكتابتهم من الاحاديث الملفقة بل هو أمر سماوى أنزله الله الذى لا يعزب عن علمه شئ من الاشياء فيعلم ما تسرونه من كيدكم لرسوله مع علمكم بأن ما يقوله حق وما تقولونه زور و يعلم براءة رسوله مما تتهمونه به وهو مجازيكم على ما علم منكم وما علم منه (انه كان غفورا رحيما) أى انما أنزل القرآن لاجل الانذار فوجب أن يكون غير مستعجل فى العقوبة وهذا تنبيه على انهم استحقوا بمكايدتهم هذه أن يصب الله عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم كونه غفورا رحيما فيمهلهم ولا يعجل عليهم العذاب (وقالوا) أى أبو جهل وأصحابه والنضر وأصحابه وأمية ابن خلف وأصحابه (مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق) أى سبب حصل لهذا الذى يدعى الرسالة حال كونه يأكل الطعام كما نأكل ويمشى فى الاسواق لابتغاء الارزاق كما نفعله فمن أين له الفضل علينا وهو مثلنا فى هذه الامور (لولا أنزل اليه) أى هلا ينزل على صورته (ملك) لا يأكل ولا يشرب (فيكون معه نذيرا) أى فيكون معينا له فى الانذار يشهد له و يرد من خالفه (أو يلقى اليه كنز) من السماء فينفقه فلا يحتاج الى التردد لطلب المعاش (أو تكون له جنة يأكل منها) وقرأ الاعمش وقتادة يكون بالياء التحتية وقرأ حمزة والكسائى نأكل بالنون (وقال الظالمون) أى المشركون أبو جهل والنضر وأمية وأصحابهم للمؤمنين (ان تتبعون) أى ما تتبعون أيها المؤمنون (الا رجلا مسحورا) أى مختل النظر والعقل (انظر كيف ضربوا لك الامثال) أى انظر يا أفضل الخلق كيف اشتغل القوم بضرب هذه التى لا فائدة فيها من الاقوال العجيبة الخارجة عن العقول (فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) أى فأرادوا القدح فى نبوتك فضلوا عن طريق المحاجة فلم يجدوا سبيلا الى القدح فى نبوتك وفى معجزاتك وضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا موصلا اليه (تبارك الذى ان شاء) أى تكاثر خير من الذى ان شاء (جعل لك) فى الدنيا شيأ (خيرا) لك (من ذلك) الذى قالوه (جنات) أى بساتين كثيرة (تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا) أى بيوتا مشيدة رفيعة فى الدنيا فقوله تعالى جنات بدل من خيرا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر برفع يجعل على انه معطوف على جواب الشرط لان الشرط اذا كان ماضيا جاز فى جوابه الجزم والرفع أو مستأنف بوعد ما يكون له صلى الله عليه وسلم فى الآخرة وقرأ الباقون بادغام لام يجعل فى لام لك اما بتقدير الجزم على انه معطوف على محل جواب الشرط وهو جزم أو بتقدير الرفع وانما سكن اللام لاجل الادغام فعلى الرفع حسن الوقف على الانهار فان المعنى وسيجعل لك قصورا فى الآخرة وعلى الجزم لا يحسن الوقف على الانهار فان المعنى ان شاء يجعل لك قصورا فى الدنيا روى عن طاوس عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وجبريل عليه السلام عنده قال جبريل عليه السلام هذا ملك قد نزل من السماء استأذن ربه فى زيارتك فلم يلبث الا قليلا حتى جاء الملك وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله يخيرك بين أن يعطيك مفاتيح كل شئ لم يعطها أحدا قبلك ولا يعطيها أحدا بعدك من غير أن ينقصك مما ادخر لك شيأ و بين أن يجمعها لك فى الآخرة فقال صلى الله عليه وسلم بل يجمعها جميعا لى فى الآخرة فنزل قوله تعالى تبارك الذى ان شاء الآية (بل كذبوا بالساعة) وهذا جواب ثالث كأنه تعالى قال ليس ما تعلقوا به شبهة علمية فى نفس المسئلة لانهم لا يعتقدون فيك كذبا بل الذى حملهم على تكذيبك تكذيبهم بوجود وقت الجزاء استثقالا للاستعداد له فانهم لا يتحملون مشقة النظر فلهذا لا ينتفعون

على ما يقتضيه علمه (وقالوا مال هذا الرسول) يعنون محمدا (يأكل الطعام) أنكروا ان يكون الرسول بصفة البشر (و يمشى فى الاسواق) طلبا للمعاش يعنون انه ليس بملك ولا بملك (لولا) أى هلا (أنزل اليه ملك) يصدقه (فيكون معه نذيرا) أى داعيا الى الله يشاركه فى النبوة (أو يلقى اليه كنز) يستغنى به عن طلب المعاش (وقال الظالمون) أى المشركون (ان تتبعون) ما تتبعون (الا رجلا مسحورا) أى مخدوعا (انظر) يا محمد (كيف ضربوا لك الامثال) أى اذ مثلوك بالمسحور والفقير الذى لا يصلح أن يكون رسولا والناقص عن القيام بالامور اذ طلبوا أن يكون معك ملك (فضلوا) أى بهذا القول عن الدين والايمان (فلا يستطيعون سبيلا) أى الى الهدى ومخرجا عن ضلالهم (تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك) الذى قالوا من القاء الكنز أو جعل الجنة ثم بين ذلك فقال (جنات تجرى من تحتها الانهار) الآية يعنى فى الدنيا لانه قد شاء ان يعطيه ذلك فى الآخرة وقوله

بما يورد عليهم من الدلائل (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) أى جعلنا نارا عظيمة شديدة الاشتعال معدة لمن كذب بوجود القيامة (اذا رأتهم من مكان بعيد) أى من مسيرة عام كما قاله الكلبى والسدى (سمعوا لها) أى النار (تغيظا) أى صوت غليانها (وزفيرا) أى صرتا شديدا كصوت الحمار (واذا ألقوا منها) أى النار (مكانا ضيقا) وقرأه ابن كثير بسكون الياء (مقرنين) فى السلاسل قرنت أيديهم الى أعناقهم (دعوا هنالك) أى فى ذلك المكان (ثبورا) بأن يقولوا يا ثبور هذا زمانك ويتمنوا موتا وقال الكلبى الاسفلون يرفعهم اللهيب والاعلون يخفضهم الداخلون فيزدحمون فى تلك الابواب الضيقة وقال ابن عمر ان جهنم لتضيق على الكافر كضيق الزج على الرمح وتقول لهم خزنة جهنم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا) أى لا تقتصروا على دعاء ثبور واحد (وادعوا ثبورا كثيرا) فان ما أنتم فيه من العذاب مستوجب لتكرير الدعاء فى كل آن لغاية شدته وطول مدته (قل) لهم تحسيرا على مافاتهم (أذلك) السعير التى هيئت لمن كذب بوجود القيامة (خير أم جنة الخلد) التى لا ينقطع نعيمها (التى وعد المتقون) أى التى وعدها من يجتنبون الكفر وهذا يحسن فى مقام التقريع كما اذا أعطى السيد عبده مالا فأبى واستكبر فضربه ضربا وجيعا وقال له على سبيل التوبيخ هذا أحب اليك أم ذاك (كانت) أى تلك الجنة (لهم جزاء ومصيرا) أى مسكنا فما وعد الله به فهو كائن لابد من وقوعه فكأنه قد كان ولانه كان مكتوبا فى اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم الله بأزمان متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومستقرهم (لهم فيها ما يشاؤن) فكل فريق منهم مشتغل بما فيه من اللذات فلا يلتفتون الى مافوق ذلك من المراتب العالية وفى هذا تنبيه على ان حصول المرادات بأسرها لا يكون الا فى الجنة (خالدين) حال من الهاء فى لهم فان من شرط نعيم الجنة أن يكون دائما اذ لو انقطع لكان مخلوطا بنوع من الغم كنعيم الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من طلب ما لم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق فقيل وما هو يارسول الله فقال سرور يوم (كان) أى ما يشاؤنه (على ربك) يا أفضل الخلق (وعدا مسؤلا) أى موعودا مطلوبا لكونه مما يتنافس فيه المتنافسون فان المكلفين سألوه بلسان الحال لانهم لما تحملوا المشقة الشديدة فى طاعته تعالى كان ذلك قائما مقام السؤال وما فى على من معنى الوجوب لاستحالة الخلف فى وعده تعالى فان تعلق ارادته تعالى بالموعود متقدم على الوعد الموجب للانجاز (ويوم نحشرهم) وقرأ ابن كثير وحفص بالياء والباقون بالنون (وما يعبدون من دون الله) أى من غيره أى ويوم القيامة يحشر الله العابدين لغير الله ومعبوديهم (فيقول) قرأ ابن عامر بالنون والباقون بالياء كأن يخلق فى الاصنام الحياة فينطقها أو كأن جوابها بلسان الحال كما ذكره بعضهم فى تسبيح الموات وفى شهادة الايدى والارجل أى يقول الله للمعبودين تقريعا للعابدين (أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء) بأن دعوتموهم لعبادتكم (أم هم ضلوا السبيل) أى أم هم ضلوا عن السبيل بأنفسهم بتركهم النظر الصحيح واعراضهم عن المرشد وعبدوكم بهوى أنفسهم (قالوا) أى المعبودون متبرئين عن العابدين (سبحانك) أى قالوه تعجبا مما قيل لهم أو اشعارا بأنهم منزهون الله تعالى عما لا يليق به فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده أو قصد التنزيه تعالى عن الانداد (ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) فنتخذ متعد لواحد ومن أولياء مفعول ومن زائدة ومن دونك حال لان نعت النكرة اذا تقدم عليها صار حالا وعن أبى جعفر وابن عامر انهما قرآ نتخذ بالبناء للمفعول فهو متعد لمفعولين والمفعول الاول نائب الفاعل ومن أولياء مفعول ثان ومن للتبعيض وتنكير أولياء من حيث انهم أولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام ومعنى الآية لا يستحق لنا أن نتخذ بعضنا أولياء والحاصل ان كان معبودهم ملائكة قالت نحن عبيدك فلا يستقيم لعبيدك أن يتخذوا من غيرك أحباء يعبدونهم فاذا كنا نعتقد أن غيرك لا يجوز أن يكون معبودا فكيف

(سمعوا لها تغيظا) اى صوتا يغيظ وهو الغضب (وزفيرا) أى صوتا شديدا (واذا ألقوا منها مكانا ضيقا) وذلك انهم يدفعون فى النار كما يدفع الوتد فى الحائط (مقرنين) أى مقرونين مع الشياطين (دعوا هنالك ثبورا) أى ويلا وهلاكا فيقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل أذلك) الذى ذكرت من موضع أهل النار ومصيرهم (خير أم جنة الخلد) الآية وقوله (وعدا مسؤلا) لان الملائكة سألت لهم ذلك فى قوله ربنا وادخلهم جنات عدن الآية (ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله) أى الاصنام والملائكة والمسيح وعزيرا (فيقول) لهم (أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء) وهذا توبيخ للكفار كقوله لعيسى أأنت قلت للناس اتخذونى الآية (قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا) ان نوالى أعداءك وفى هذا بيان برأة معبوديهم عنهم

تدعوا غيرنا الى عبادتنا وان كان أصناما قالت لا يصح منا ان نكون من العابدين فكيف يمكننا ان ندعي أننا من المعبودين فما أضلناهم (ولكن متعتهم وآباءهم) أي ولكن يا الهنا أكثرت عليهم وعلى آبائهم من النعم فجعلوا ذلك ذريعة الى ضلالهم (حتى نسوا الذكر) أي تركوا الايمان بالقرآن (وكانوا قوما بورا) أي وصاروا قوما هالكين فاسدة القلوب (فقد كذبوكم بما تقولون) أي فقال الله تعالى عند ذلك فقد كذبكم أيها الكفرة معبودكم في قولكم انهم آلهة فالباء بمعنى في أو هي صلة للتكذيب على ان الجار والمجرور بدل اشتمال من الضمير المنصوب أي فقد كذبوا قولكم انهم آلهة وانظر كيف أظهر الله صدق الاصنام وكذب الكفار وتقولون بالتاء الفوقانية باتفاق العشرة وقرئ شاذة بالياء أي كذبوكم بقولهم سبحانك الآية (فلا يستطيعون صرفا ولا نصرا) وقرأ حفص بالتاء على الخطاب أي فما تستطيعون أيها الكفار صرف الاصنام والملائكة عن شهادتهم عليكم ولا نصرا أنفسكم في اضافة الصدق الى أنفسكم ولا تستطيعون دفع العذاب عنكم ولا منعه عنكم بأنفسكم ولا بغيركم وقرأ الباقون بالياء على الغيبة أي فما تستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب و يحتالوا لكم ولا ان ينصروكم بوجه من الوجوه (ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا) أي ومن يكفر منكم يا معشر المؤمنين أو ومن يستمر منكم يا معشر الكفار على ما أنتم عليه من الكفر والعناد نذقه عذابا كبيرا في الدنيا والآخرة والعامة قرؤا نذقه بنون العظمة وقرئ بالياء والضمير عائد لله تعالى أو للظلم المفهوم من الفعل على سبيل المجاز باسناد اذاقة العذاب الى السبب (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق) وان مكسورة باتفاق العشرة واللام لام الابتداء زيدت في الخبر والجملة الواقعة بعد الا حالية أي وما أرسلنا قبلك يا أشرف الخلق أحدا من المرسلين الا وحالهم آكلون وماشون فأنت مثلهم في ذلك وقرئ يمشون على البناء للمفعول أي يمشيهم حوائجهم (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أي وجعلنا كل أمة كافرة فتنة لرسولها المبعوث اليها كان يقول بعض الكفار لبعض الانبياء آتنا معجزة كمعجزة بني فلان (أتصبرون) يا معشر الانبياء على ما تسمعون من أقاويلهم الخارجة من حدود الانصاف فالمعنى جرت سنتنا على ابتلاء المرسلين بأممهم بايذائهم لهم لنعلم صبرهم (وكان ربك بصيرا) بأعمال كلهم وجزائها وهذا وعد كريم للرسول صلى الله عليه وسلم بالاجر الجزيل لصبره الجميل (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يؤملون وعدنا على الطاعة من الثواب فلا يخافون العقاب لكفرهم بالبعث وهذه الجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا مال هذا الرسول الى آخره (لولا أنزل علينا الملائكة) أي هلا أنزلوا علينا بطريق الرسالة (أو نرى ربنا) فيخبرنا بصدق محمد في رسالته (لقد استكبروا في أنفسهم) أي انهم أضمروا الاستكبار في قلوبهم واعتقدوه (وعتوا عتوا كبيرا) أي تجاوزوا الحد في الظلم حتى اجترؤا على هذا القول العظيم الشنيع (يوم يرون الملائكة) منصوب بعامل دل عليه لا بشرى أي يمنعون البشرى يوم يرون ملائكة العذاب قائلين (لا بشرى يومئذ للمجرمين) أي الكافرين في كل الاوقات فانهم يشافهون في أول الامر بما يدل على نهاية اليأس والخيبة وذلك هو النهاية في الايلام (ويقولون حجرا محجورا) أي يقول الكافرون الذين طلبوا نزول الملائكة اذا رأوا الملائكة وفزعوا منهم عند الموت ويوم القيامة حجرا محجورا وهي كلمة كانوا يقولونها عند لقاء العدو ونزول شدة وبضعونها موضع الاستعاذة والمعنى نسأل الله تعالى ان

(ولكن متعتهم وآباءهم) في الدنيا بالصحة والنعمة (حتى نسوا الذكر) أي تركوا ما وعظوا به (وكانوا قوما بورا) أي هلكى بكفرهم (فقد كذبوكم بما تقولون) أي بقولكم انهم كانوا آلهة (فما يستطيعون) يعني الآلهة (صرفا) للعذاب عنكم (ولا نصرا) لكم (ومن يظلم) أي يشرك (منكم نذقه عذابا كبيرا وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) الآية هذا جواب لقولهم مال هذا الرسول الآية أخبر تعالى ان كل من خلا من الرسل كان بهذه الصفة (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) الصحيح للمريض والغني للفقير فيقول الفقير لو شاء الله لاغناني كما أغنى فلانا ويقول المريض لو شاء الله لعافاني كما عافى فلانا وكذلك كل الناس مبتلى بعضهم ببعض فقال الله (أتصبرون) أي على البلاء فقد عرفتم ما وعد الصابرون (وكان ربك بصيرا) أي بمن يصبر وبمن يجزع (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يخافون البعث (لولا) أي هلا (أنزل علينا الملائكة) فتخبرنا أن محمدا صادق (أو نرى ربنا) فيخبرنا بذلك (لقد استكبروا في أنفسهم) حيث طلبوا من الآيات ما لم تطلبه أمة (وعتوا عتوا كبيرا) أي غلوا في كفرهم أشد الغلو (يوم يرون الملائكة) يعني أن ذلك اليوم الذي يرون فيه الملائكة هو يوم القيامة وان الله حرمهم البشرى في ذلك اليوم وتقول الملائكة لهم (حجرا محجورا) أي حراما محرما عليهم البشرى

يمنع ذلك منعا وقيل يقول الحفظة للكفار اذا خرجوا من قبورهم حجرا محجورا ومعناه جعل الله الغفران والجنة والبشرى حراما محرما عليكم وقال الكلبي ان الملائكة على باب الجنة يبشرون المؤمنين بالجنة ويقولون للمشركين حجرا محجورا وقرأ الضحاك والحسن وأبو رجاء على ضمها وقرئ بفتحها (وقدمنا الى ما عملوا من عمل) أي وقصدنا الى أعمالهم التي ظنوا انها تقربهم الى الله تعالى (فجعلناه هباء منثورا) أي أبطلناه وجعلناه مثل الهباء المنثور الذي لا يمكن القبض عليه في عدم امكان الانتفاع به بالكلية والهباء شبه غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة (أصحاب الجنة) هم المؤمنون (يومئذ) أي يوم القيامة (خير مستقرا وأحسن مقيلا) أي موضع استراحة نصف النهار في الحر وقد أشارت الآية الى ان كلا من أهل الجنة وأهل النار قد استقروا في وقت القيلولة وان كان استقرار المؤمنين في راحة واستقرار الكافرين في عذاب فيكون الحساب لجميع الخلائق قد انقضى في هذا الوقت لان القائلة تكون في نصف النهار والحساب يكون من أوله والمراد من ذلك بيان ان ذلك الموضع أطيب المواضع كما ان موضع القيلولة يكون كذلك واشارة الى انه مزين بفنون الزخارف (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا) أي يوم القيامة تتفتح كل سماء بسبب طلوع الغمام منها وهو سحاب أبيض فوق السموات السبع ثخنه كثخن السموات السبع وثخنه كذلك فينزل على السماء السابعة فيخرقها بثقله وهكذا حتى ينزل الى الارض وفيه ملائكة كل سماء فينزل أولا ملائكة السماء الدنيا وهم أكثر من أهل الارض من انس وجن ثم ينزل ملائكة السماء الثانية وهم أزيد من ملائكة سماء الدنيا وهكذا ثم ينزل الكروبيون وحملة العرش فاذا نزل ملائكة سماء الدنيا اصطفوا حول العالم المجموع في المحشر صفا واذا نزل ملائكة السماء الثانية اصطفوا خلف هذا الصف صفا آخر وهكذا أي يحيطون بمن بعدهم حتى يصيروا سبع صفوف حول العالم (الملك يومئذ الحق للرحمن) أي السلطنة القاهرة الثابتة ثباتا لا يمكن زواله صورة ومعنى ثابتة للرحمن يوم اذ تشق الغمام لا يشركه فيها أحد (وكان يوما) أي ذلك اليوم (على الكافرين عسيرا) أي شديدا بخلاف المؤمنين فقد جاء في الحديث انه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى تكون عليه أخف من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا (ويوم يعض الظالم على يديه) أي يوم القيامة يأكل الكافر يديه الى المرفق ثم ينبتان ثم يأكلهما وهكذا فلا يزال كذلك كما قاله الضحاك وعطاء وقال أهل التحقيق هذه اللفظة كناية عن الندامة والغم (يقول) حال من فاعل يعض (يا) لمجرد التنبيه من غير قصد الى تعيين المنبه (ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) أي ليتني صاحبت رسول الله في اتخاذ سبيل الهدى واستقمت على دين الرسول (يا ويلتي) أي يا هلاكي تعالى فهذا أوانك (ليتني لم أتخذ فلانا خليلا) أي صديقا وافقته في أعماله (لقد أضلني عن الذكر) أي والله لقد صرفني عن القرآن وموعظة الرسول (بعد اذ جاءني) قال ابن عباس والمراد بالظالم عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما يدعو اليه جيرانه من أهل مكة ويكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم ويعجبه حديثه فصنع طعاما ودعا الرسول فلما قرب اليه الطعام قال صلى الله عليه وسلم ما آكل من طعامك حتى تأتي بالشهادتين فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فأكل صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان أبي بن خلف الجمحي صديقه فعاتبه فقال له يا عقبة قد ملت الى دين محمد فقال عقبة والله ما ملت ولكن دخل علي رجل فأبى ان يأكل طعامي الا أن شهدت له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال أبي لا أرضى عنك أبدا حتى تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فأتاه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل عقبة ذلك فعاد بزاقه على وجهه فخرقه فقال صلى الله عليه وسلم له لا ألقاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فنزل

قوله

(وقدمنا) أي وقصدنا (الى ما عملوا من عمل) أي مما كانوا يقصدون به التقرب الى الله (فجعلناه هباء منثورا) أي باطلا لا ثواب له لانهم عملوه للشياطين والهباء دقاق التراب والمنثور المفرق (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) أي موضع قرار (وأحسن مقيلا) أي موضع قيلولة (ويوم تشقق السماء بالغمام) أي عن الغمام وهو السحاب الأبيض الرقيق (ونزل الملائكة تنزيلا) أي لاكرام المؤمنين (الملك يومئذ الحق) أي الملك الذي هو الملك حقا ملك الرحمن يومئذ (ويوم يعض الظالم) أي الكافر يعني عقبة بن أبي معيط وكان قد أمن ثم ارتد لرضى أبي بن خلف (على يديه) ندما وتحسرا يقول (يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) أي طريقا الى الجنة بالاسلام (يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانا) يعني أبيا (خليلا لقد أضلني عن الذكر) القرآن (بعد اذ جاءني

قوله تعالى ويوم يعض الظالم الى آخره فأسر عقبة يوم بدر فقتل صبرا ولم يقتل يومئذ من الاسارى غيره وغير النضر بن الحرث وأما أبي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده طعنه في أحد فرجع الى مكة فمات وقال الشعبي كان عقبة خليل أمية فأسلم عقبة وقال أمية وجهي من وجهك حرام ان بايعت محمدا فارتد فأنزل الله تعالى ويوم يعض الظالم وعلم من ذلك ان المراد بفلان أبي أو أمية (وكان الشيطان) أي ابليس (للانسان) أي الكافر (خذولا) أي مبالغا في ترك النصرة بعد المعاونة وكان يعد الانسان في الدنيا بانه ينفعه في الآخرة وهذا من كلام الله تعالى فان آخر كلام الظالم بعد اذ جاءني فالوقف عليه تام (وقال الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم شكاية لله مما صنع قومه وفي هذا تخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل الله لهم العذاب وهذا عطف على قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا (يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) أي متروكا بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يتأثروا بتخويفه وفي هذا تلويح بان من حق المؤمن أن يكون كثير التعاهد للقرآن كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم فانه روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من تعلم القرآن وعلم مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني و بينه (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) أي كما جعلنا لك أعداء من المشركين يقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون جعلنا لكل نبي من الانبياء الذين هم أصحاب الشريعة والدعوة اليها عدوا من مجرمي قومهم فاصبر كما صبروا (وكفى بربك هاديا ونصيرا) أي كفاك مبلغك الى الكمال ومالك أمرك هاديا لك الى مصالح الدين والدنيا وناصرا لك على جميع من يعاديك (وقال الذين كفروا) من أهل مكة كأبي جهل وأصحابه (لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) أي هلا أنزل القرآن كله جملة واحدة كالكتب الثلاثة التوراة والانجيل والزبور (كذلك لنثبت به فؤادك) أي مثل ذلك التنزيل المفرق نزلناه لنقوي بذلك فؤادك فان فيه تيسير الحفظ وفهم المعاني وهذا كلام الله ذكره جوابا لهم ورد الهذه الشبهة (ورتلناه ترتيلا) معطوف على الفعل المقدر الذي تعلق به كذلك أي كذلك أنزلناه وآتيناه بعضه بعد بعض على تؤدة وتمهل في ثلاث وعشرين سنة (ولا يأتونك بمثل الاجئناك بالحق) أي ولا يأتي المشركون اياك يا أشرف الخلق بسؤال عجيب يريدون به القدح في نبوتك الا جئناك بالجواب الحق الذي يدفع قولهم (وأحسن تفسيرا) بيانا وأقوى حجة (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم) أي يحشرون يوم القيامة كائنين على وجوههم يسحبون عليها ويجرون الى جهنم وهذا الموصول صفة للموصول الاول أو بدل منه (أولئك) أي الذين أوردوا هذه الاسئلة على سبيل التعنت (شر مكانا) أي منزلا في الآخرة وعملا في الدنيا (وأضل سبيلا) عن الحق (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي أنزلنا التوراة على موسى بعد غرق فرعون وقومه (وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا) يعينه في الدعوة واعلاء الكلمة (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) أي آيات الالهية وهي مصنوعات الله تعالى الدالة على انفراده بالملك والعبادة أي فذهبا اليهم فأرياهم الآيات التسع كلها وهي آيات النبوة فكذبوها كما كذبوا لآيات الالهية (فدمرناهم تدميرا) أي أهلكناهم عقب ذلك التكذيب اهلاكا عجيبا (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) أي نوحا ومن قبله فانهم اشتركوا في

[illegible] وكان الشيطان للانسان خذولا [illegible] قول أبي بن خلف في الكفر كان من عمل الشيطان (وقال الرسول) أي في ذلك اليوم (يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) أي متروكا يعني أعرضوا عنه (وكذلك) أي وكما جعلنا لك أعداء من المشركين (جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك) أي وكفى ربك (هاديا ونصيرا) يعني يهديك و ينصرك فلا تبال بمن يعاديك (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) أي لماذا نزل عليه متفرقا وهلا كان دفعة واحدة كالتوراة قال الله تعالى (كذلك) فرقنا تنزيله (لنثبت به فؤادك) أي لنقوي به قلبك وذلك انه كلما نزل وحي جديد ازداد به قوة قلب (ورتلناه ترتيلا) أي بيناه بيانا فيه تثبت ومهلة (ولا يأتونك) يعني المشركين (بمثل) يضربونه في ابطال أمرك (الاجئناك بالحق) أي بما تردبه ما جاؤا من المثل (وأحسن تفسيرا) أي بيانا وتفصيلا مما ذكروا (الذين) أي هم الذين (يحشرون على وجوههم) أي يمشيهم الله عليها فهم يساقون على وجوههم (الى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا) من كل أحد (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا) أي معينا وملجأ (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) وهم القبط فكذبوهما (فدمرناهم تدميرا) أي أهلكناهم اهلاكا (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) من كذب نبيا فقد كذب الرسل كلهم لانهم لا يفرقون بينهم في الايمان بهم

الحجج بالتوحيد (أغرقناهم) فقال الكلبي أمطر الله عليهم السماء أربعين يوما وأخرج ماء الارض أيضا في تلك الاربعين فصارت الارض بحرا واحدا (وجعلناهم) أي وجعلنا اغراقهم (للناس آية) أي عبرة لمن سمع قصتهم لكيلا يقتدوا بهم (وأعتدنا للظالمين) أي قوم نوح ومن سلك سبيلهم في تكذيب الرسل (عذابا أليما) هو عذاب الآخرة (وعادا) عطف على المفعول الاول لجعلنا (وثمود وأصحاب الرس) وهي بئر غير مطوية ولهم وجوه أحدها هم قوم يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينما هم حول البئر خسف الله بهم وبديارهم وثانيها ان الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وثالثها هم أصحاب النبي حنظلة بن صفوان ابتلاهم بطير عظيم فيها من كل لون سمي بالعنقاء فتخطف صبيانهم وعروسا فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة عليه السلام فأهلكوا ورابعها ان الرس بئر في انطاكية كذبوا حبيبا النجار وقتلوه فدسوه في البئر وخامسها عن علي رضي الله عنه انهم كانوا قوما يعبدون شجر الصنوبر وانما سموا أصحاب الرس لانهم رسوها في الارض بينهم وسادسها هم قوم كانت لهم قرى على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق فبعث الله اليهم نبيا من ولد يهوذا بن يعقوب فكذبوه فلبث فيهم زمنا فشكى الى الله تعالى منهم فحفروا بئرا ورسوه فيها فأرسل الله تعالى ريحا عاصفة شديدة الحمرة فصارت الارض من تحتهم حجر كبريت متوقد وأظلتهم سحابة سوداء فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص (وقرونا بين ذلك كثيرا) أي أقواما كثيرا بين الطوائف المذكورة (وكلا ضربنا له الامثال) أي كل قرن بينا له القصص العجيبة الزاجرة عن الكفر والمعاصي بواسطة الرسل (وكلا تبرنا تتبيرا) أي كل واحد منهم فتتنا تفتيتا لما كذبوا الرسل فانا لم نهلكهم الا بعد الانذار وجواب ما أوردوه من الشبه حتى وضح له السبيل (ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء) أي والله لقد مر قريش على قرية سدوم من قرى قوم لوط التي أهلكت بالحجارة من السماء في أسفارهم الى الشام للتجارة (أفلم يكونوا يرونها) أي أفلم يكونوا في مرورهم ينظرون الى آثار عذاب الله تعالى (بل كانوا لا يرجون نشورا) أي بل كانوا قوما ينكرون البعث ولا يؤمنون بالجزاء الاخروي فلا يرجون ثواب الآخرة حينئذ لا يتحملون متاعب التكاليف ومشاق الاستدلال (واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا) أي اذا رآك يا أشرف الخلق كفار مكة قصروا معاملتهم معك على اتخاذهم اياك هزوا فقوله ان يتخذونك جواب اذا واختصت اذا بكون جوابها لا يحتاج الى الفاء اذا كان منفيا بما أوان أولا بخلاف غيرها من أدوات الشرط (أهذا الذي بعث الله رسولا) وهذا محكي لقول مضمر هو حال من فاعل يتخذونك أي اذا رأوك يستهزؤن بك قائلين أبعث الله هذا رسولا الينا وهذا على سبيل الاستهزاء والمعنى أهذا الذي يزعم انه بعثه الله رسولا (ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) ويروى ان هذا من قول أبي جهل وان مخففة من الثقيلة وضميرا شأن محذوف أي ان الشأن كاد هذا الرجل ليصرفنا عن عبادة آلهتنا صرفا كليا لولا أن ثبتنا عليها وهذا اعتراف منهم بانه صلى الله عليه وسلم قد بلغ من الاجتهاد في الدعوة الى التوحيد واقامة الحجج واظهار المعجزات الى حيث قاربوا أن يتركوا دينهم لولا فرط لجاجهم وغاية عنادهم (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) الذي يستحقه كفرهم وعنادهم عيانا في الآخرة (من أضل سبيلا) أي من أخطأ حجة فهذا وعيد شديد يدل على الاعراض عن الاستدلال والنظر (أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا) وهذا أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالتعجب من شناعة حالهم أي أرأيت يا أشرف الخلق الذي جعل معبوده ما يهواه وهو النضر وأصحابه أفأنت تكون عليه حفيظا تحفظه من اتباع هواه أي لست كذلك وقال سعيد بن جبير كان الرجل من المشركين يعبد الصنم فاذا

بتفصيل التبليغ وقوله (وأصحاب الرس) كانوا أهل بئر قعودا عليها وأصحاب مواش يعبدون الاصنام فأهلكوا بتكذيب نبيهم (وقرونا) أي جماعات (بين ذلك) أي بين الذين ذكرناهم (كثيرا وكلا ضربنا له الامثال) أي بينا لهم الاشباه في اقامة الحجة عليهم (وكلا تبرنا تتبيرا) أي أهلكنا اهلاكا (ولقد أتوا) يعني مشركي مكة (على القرية التي أمطرت مطر السوء) يعني الحجارة وهي قرية قوم لوط (أفلم يكونوا يرونها) اذا مروا بها مسافرين فيعتبروا (بل كانوا لا يرجون نشورا) لا يخافون بعثا (واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا) أي ما يتخذونك الا مهزوا به يقولون (أهذا الذي بعث الله رسولا) الينا (ان كاد) أي انه كاد (ليضلنا عن آلهتنا) فيصدنا عن عبادتها (لولا أن صبرنا عليها) أي لصرفنا عنها (أرأيت من اتخذ الهه هواه) وهو أنهم كانوا يعبدون شيأ حجرا أو ما كان فاذا رأوا حجرا آخر أحسن طرحوا الاول وعبدوا الأحسن منه فهم يعبدون ما تهواه نفوسهم (أفأنت تكون عليه كيلا) أي حفيظا حتى ترده الى الايمان أي ليس عليك الا التبليغ

رأى أحسن منه رماه واتخذ الآخر وعبده (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون) أى بل أتحسب ان أكثرهم يسمعون ما تتلوا عليهم من الآيات سماع تفكر أو يفهمون ما فيها من المواعظ الزاجرة عن القبائح الداعية الى المحاسن وهذا انتقال عن الانكار المذكور الى انكار حسبانه صلى الله عليه وسلم لهم ممن يسمع أو يعقل فأم بمعنى بل والهمزة التى للاستفهام الانكارى وانما ذكر الا أكثر لانه كان فيهم من يعرف الله تعالى و يعقل الحق الا أنه ترك الاسلام لمجرد حب الرياسة لا للجهل (ان هم الا كالانعام) فى عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات واقبالهم على اللذات الحاضرة (بل هم أضل سبيلا) من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسىء اليها وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه تعالى من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب ولا يتقون العقاب ولانها جارية الى ما خلقت هى له فلا تقصير منها فى طلب الكمال لانه غير ممكن منها وهؤلاء معطلون لعقولهم مستحقون بتقصيرهم أعظم العقاب (ألم تر الى ربك) أى ألم تعلم يا أشرف الخلق الى حسن صنع ربك (كيف مد الظل) أى كيف بسطه فالظل هو الامر المتوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة وهو فيما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وكذا الكيفيات الحاصلة داخل السقف وأفنية الجدران وهو أطيب الاحوال لان الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وتسد النظر والضوء الخالص من شعاع الشمس يبهر البصر ويسخن الجو وهى مؤذية (ولو شاء لجعله ساكنا) أى دائما غير زائل بأن لا تذهبه الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه) أى الظل (دليلا) فالناظر الى الجسم الملون وقت الظل لا يشاهد شيأ سوى الجسم واللون ولا يعرف شيأ ثالثا فاذا طلعت الشمس ووقع ضوءها على الجسم زال ذلك الظل فعرف أن للظل وجودا لان الاشياء انما تعرف باضدادها فلولا الشمس لما عرف الظل ولولا الظلمة لما عرف النور فالله تعالى لما أطلع الشمس على الارض وأزال الظل ظهر للعقول أن الظل كيفية زائدة على الجسم واللون فلهذا قال تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا أى خلقنا الظل أولا بالمنافع واللذات ثم اهدينا العقول الى معرفة وجوده باطلاع الشمس فكانت الشمس دليلا على وجود هذه النعمة والخطاب فى ألم تر عام وان كان ظاهره للرسول لان المقصود بيان انعام الله تعالى بالظل وجميع المكلفين مشتركون فى تنبيههم على هذه النعمة وتوجيه الرؤية الى الله تعالى اشارة الى أن الذى ينبغى للعاقل أن يكون مطمح نظره معرفة شؤن الصانع الحكيم وأن يكون نظره غير مقصور على الآثار والصنائع (ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا) أى ثم أزلنا الظل يسيرا يسيرا فكلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الظل وقبض الظل لو حصل دفعة لاختلت المصالح فاذا غربت الشمس فليس هناك ظل انما ذلك بقية نور النهار وقوله تعالى الينا للتصريح على كون مرجع الظل اليه تعالى كما ان حدوثه منه تعالى (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) أى مثل اللباس يستركم بظلامه كما يستركم اللباس (والنوم سباتا) أى جعل النوم الواقع فى الليل قطعا عن الافعال المختصة بحال اليقظة (وجعل النهار نشورا) أى زمان بعث من ذلك النوم وفى هذا اشارة الى أن النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان يا بنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت وتنشر (وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) أى قدام المطر وقرأ ابن كثير الريح بالافراد وقرأ نشرا نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم النون والشين أى ناشرات للسحاب وقرأه ابن عامر بضم النون وسكون الشين وقرأه حمزة والكسائى بفتح النون وسكون الشين على أنه مصدر بمعنى اسم الفاعل أى متفرقة وقرأه عاصم بالباء الموحدة المضمومة وسكون الشين أى مبشرات فالرياح المبشرات هى الصبا والجنوب والشمال أما الدبور فهى ريح العذاب التى أهلكت بها عاد (وأنزلنا

وقيل ان هذا انما نسخته آية السيف (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون) أى سماع تفهم (أو يعقلون) بقلوبهم ما تقول لهم (ان هم) أى ما هم (الا كالانعام) أى فى جهل الآيات وما جعل لهم من الدليل (بل هم أضل سبيلا) لان النعم تنقاد لمن يتعهدها وهم لا يطيعون مولاهم الذى أنعم عليهم (ألم تر الى ربك) أى ألم تعلم (كيف مد الظل) من وقت الاسفار الى طلوع الشمس (ولو شاء لجعله) أى لجعل الظل (ساكنا) يعنى ثابتا دائما (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) لان بالشمس يعرف الظل (ثم قبضناه) أى الظل (الينا) بارتفاع الشمس (قبضا يسيرا) قيل خفيا وقيل سهلا (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) أى يستركم (والنوم سباتا) أى راحة لابدانكم (وجعل النهار نشورا) أى حياة تنتشرون فيه من النوم وقوله

[illegible] (لنحيي به) أي بالماء الذي أنزلناه من السماء (بلدة ميتا) أي [illegible]

من السماء ماء طهورا) أي بليغا في الطهارة (لنحيي به بلدة ميتا) أي مكانا لا نبات فيه أي ليصير ذا نبات (ونسقيه) أي ذلك الماء (مما خلقنا أنعاما) أي بهائم (وأناسي) جمع انسان أصله أناسين (كثيرا) وهذا اما راجع للاناسي وذلك لان أكثر الناس يجتمعون في البلاد القريبة من الانهار ومنابع المياه فهم غنية في شرب الماء عن المطر وكثير منهم نازلون في البوادي فلا يجدون المياه للشرب الا عند نزول المطر واما راجع الى ونسقيه وذلك لان الحيوان يحتاج الى الماء حالا بعد حال مادام حيا وهو يخالف النبات الذي يكفيه من الماء قدر معين حتى لو زيد عليه بعد ذلك لكان أقرب الى الضرر (ولقد صرفناه بينهم) أي وبالله لقد أجرينا المطر في البلاد المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة حتى انتفعوا بالزراعات وأنواع المعاش به كما روي مرفوعا عن ابن مسعود قال ليس من سنة بأمطر من أخرى ولكن الله تعالى قسم هذه الارزاق فجعلها في السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ورزق معلوم واذا عمل قوم بالمعاصي حول الله تعالى ذلك الى غيرهم فاذا يد لبعض نقص من غيرهم واذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر الى الفيافي والبحار (ليذكروا) وقرأ حمزة والكسائي بسكون الذال وضم الكاف أي ليذكروا نعمة الله به ويقوموا بشكره والباقون بفتح الذال والكاف مشددتين أي ليعتبروا بالصرف اليهم وعنهم (فأبى أكثر الناس الا كفورا) أي جحود النعمة من حيث لا يتفكرون فيها ولا يستدلون بها على وجود الصانع وقدرته واحسانه وقيل المعنى وبالله لقد كررنا هذا القول الذي هو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر بين الناس المتقدمين والمتأخرين في القرآن وسائر الكتب المنزلة على الرسل ليستدلوا به على الصانع فأبى أكثر الناس الا كفور النعمة القرآن والكتب ولنعمة المطر حيث أسندوها لغير خالقها (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) أي نبيا ينذر أهلها فيخف عليك اعباء الرسالة ولكنا قصرنا الامر عليك وفضلناك على سائر الرسل (فلا تطع الكافرين) أي فلا توافقهم فيما يأمرونك (وجاهدهم به جهادا كبيرا) أي جاهدهم بسبب كونك نذيرا كافة القرى جهادا جامعا لكل مجاهدة أو وجاهدهم ملابسا بترك طاعتهم بل بالشدة لا بالمداراة جهادا كبيرا وذلك بتلاوة ما في القرآن من الزواجر والنواذر وتذكير أحوال الأمم المكذبة فان مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف (وهو الذي مرج البحرين) أي أرسلهما في مجاريهما متلاصقين (هذا عذب) أي سائغ (فرات) أي بالغ في العذوبة حتى يصير الى الحلاوة (وهذا ملح) أي مر (أجاج) أي زعاق (وجعل بينهما) أي الطيب والمالح (برزخا) أي حائلا غير مرئي بقدرة الله تعالى (وحجرا محجورا) أي سترا ممنوعا به تغيير أحدهما طعم الآخر فالعذوبة أو الملوحة ان كانت بسبب طبيعة الارض أو الماء فلابد من الاستواء وان لم يكن كذلك فلابد من قادر حكيم يخص كل واحد من الاجسام بصفة خاصة (وهو الذي خلق من الماء) أي من ماء الذكور والاناث (بشرا) أي خلقا كثيرا (فجعله نسبا وصهرا) أي فقسم البشر قسمين ذكورا ينسب اليهم واناثا يصاهر بهن أي يقارب ويخالط بهن وقيل النسب ما لا يحل تزويجه من القرابة والصهر ما يحل التزويج من القرابة وغيرها (وكان ربك قديرا) حيث خلق من مادة واحدة بشرا مختلفا ألوانه وأعضاؤه وطباعه وربما خلق من نطفة واحدة توأمين فأكثر (ويعبدون) أي كفار مكة (من دون الله ما لا ينفعهم) بعبادته في الدنيا والآخرة (ولا يضرهم) بترك عبادته فيهما وهو الاوثان (وكان الكافر على ربه ظهيرا) أي وكان الكافر جماعة بعضهم معاون لبعض على اطفاء نور دين الله أو وكان الكافر معاونا للشيطان على عصيان ربه بالعداوة والشرك (وما أرسلناك الا مبشرا) للمؤمنين على الطاعة (ونذيرا) للكافرين على المعصية (قل) يا أكرم الرسل لأهل مكة

ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا) جمع انسي وهم الذين سقيناهم المطر (ولقد صرفناه) أي المطر (بينهم) بأنواعه وابلا وطشا ورذاذا (ليذكروا) أي ليتذكروا به نعمة الله (فأبى أكثر الناس الا كفورا) أي جحودا حيث قالوا سقينا بنوء كذا (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) ليخف عليك أعباء النبوة ولكن لم يفعل ذلك لتعظيم أجرك (فلا تطع الكافرين) في هواهم ولا تداهمهم (وجاهدهم به) أي بالقرآن (جهادا كبيرا) لا يخالطه فتور (وهو الذي مرج البحرين) أي خلطهما (هذا عذب فرات) شديد العذوبة (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة (وجعل بينهما) أي بين العذب والملح (برزخا) أي حاجزا من قدرته حتى لا يختلط أحدهما بالآخر (وحجرا محجورا) أي حراما محرما أن يغلب أحدهما صاحبه (وهو الذي خلق من الماء) يعني النطفة (بشرا) أي آدميا (فجعله نسبا) لا يحل تزوجه (وصهرا) كابنة العم والخال وابنهما (وكان ربك قديرا) أي قادرا على ما يشاء

وقوله (وكان الكافر على ربه ظهيرا) أي معينا للشيطان على معصية الله (قل (ما

(ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا) أى لا أطلب على تبليغ الرسالة من أموالكم أجرا الا فعل من أراد أن يطلب المنزلة عند الله تعالى بالايمان والطاعة كما أدعوكم اليهما وقيل لا أطلب من أموالكم جعلا لنفسى عن التبليغ لكن من شاء أن ينفق أمواله لاتخاذ السبيل الى ربه بالصدقة وغيرها فليفعل فالاستثناء على الاول متصل وعلى الثانى منقطع (وتوكل على الحى الذى لا يموت) أى اعتمد بقلبك فى كل الامور على الله تعالى والاسباب وسائط أمر بها من غير اعتماد عليها (وسبح بحمده) أى نزهه تعالى عن صفات النقصان مثنيا عليه بنعوت الكمال طالبا للمزيد بالانعام بالشكر على كثير نعمه (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) أى كفى الله مطلعا على ذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن (الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام) أى فى مقدار ستة أيام من أيام الدنيا لخلق الارض فى يومين الاحد والاثنين وما بينهما فى يومين الثلاثاء والاربعاء والسموات فى يومين الخميس والجمعة وفرغ من آخر ساعة من يوم الجمعة ومحل الموصول جر على انه صفة ثانية للحى (ثم استوى على العرش الرحمن) فالوقف على العرش تام ان أعرب الرحمن على المدح خبر مبتدا محذوف أى هو الرحمن الذى لا ينبغى السجود الا له وهو فى الحقيقة صفة ثالثة للحى كما قرأ زيد بن على بالجر لان المنصوب والمرفوع على سبيل المدح وان خرجا عن التبعية لما قبلها صورة تابعان له حقيقة ولا يوقف على العرش ان أعرب الرحمن بدلا من الضمير المستكن فى استوى فحينئذ فالوقف على الرحمن وهو وقف كاف ومعنى استوى على العرش أى ارتفع خالق السموات والارض ارتفاعا يليق بجلاله وتصرف فى ملكه تصرفا تاما (فاسأل به خبيرا) أى فاسأل أيها الانسان عنه تعالى عالما بصفاته من الراسخين فى العلم (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن) أى واذا قيل لكفار مكة اخضعوا للرحمن بالتوحيد والصلاة وغير ذلك (قالوا وما الرحمن) وما نعرف الرحمن الا مسيلمة الكذاب أى فانهم اعترفوا بالله لكنهم جهلوا أن هذا الاسم من أسماء الله تعالى (أنسجد لما تأمرنا) أى للذى تأمرنا بسجوده من غير أن نعرف المسجود له ماذا وقرأ حمزة والكسائى بالياء أى أنسجد لما يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو هل هو مسيلمة الكذاب أو غيره أو كان الضمير راجعا لسيدنا محمد على ان بعضهم قال لبعض أنسجد لامر محمد ايانا بالسجود من غير معرفتنا المسجود له (وزادهم) أى الامر بسجود الرحمن (نفورا) أى تباعدا عن الايمان (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا) أى منازل الكواكب السبعة السيارة المنظومة فى قول بعضهم

زحل شرى مريخه من شمسه * فتزاهرت لعطارد الاقمار

وأسماء البروج منظومة فى قول بعضهم

حمل الثور جوزة السرطان * ورعى الليث سنبل الميزان
ورمى عقرب بقوس لجدى * نزح الدلو بركة الحيتان

وهذه البروج الاثنا عشر مقسومة على الطبائع الاربع فيكون نصيب كل واحد منها ثلاثة بروج تسمى المثلثات فالحمل والاسد والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدى مثلثة أرضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية (وجعل فيها) أى البروج (سراجا) وهو الشمس وقرأ حمزة والكسائى سرجا بضم السين والراء وهى الشمس والكواكب الكبار (وقمرا منيرا) أى مضيئا بالليل وقرأ الحسن والاعمش وقمرا وهى جمع قمراء لان الليالى تكون قمراء بالقمر (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة) أى يعتقبان يأتى أحدهما بعد الآخر (لمن أراد أن يذكر) قرأ حمزة بسكون الذال وضم الكاف والباقون بفتح الذال والكاف مشددتين وعن أبى بن كعب ليتذكر

ما أسألكم عليه) أى على تبليغ الوحى (من أجر) فتقولوا انه يطلب أموالنا (الا من شاء) لكن من شاء (أن يتخذ الى ربه سبيلا) يعنى بانفاق ماله وقوله (فاسأل به خبيرا) أى فاسأل أيها الانسان الذى لا تعلم صفته خبيرا يخبرك بصفاته (واذا قيل لهم) أى هؤلاء المشركين (اسجدوا للرحمن) وهو اسم لله كانوا لا يعرفونه لذلك (قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا) أنت يا محمد (وزادهم) قول القائل لهم اسجدوا للرحمن (نفورا) عن الايمان (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا) يعنى منازل الكواكب السبعة (وجعل فيها سراجا) وهو الشمس (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة) اذا ذهب هذا أتى هذا فأحدهما يخلف الآخر فمن فاته عمل بالليل فله مستدرك بالنهار وهو قوله (لمن أراد أن يذكر) أى أن يذكر الله بصلاة وتسبيح وقراءة

أي لينظر الناظر في اختلافهما فيعلم انه لا بد في انتقالهما من حال الى حال من صانع رحيم للعباد (أو أراد شكورا) أي ليشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف في النهار وقال عمر بن الخطاب وابن عباس والحسن معنى الآية من فاته شيء من الخير بالليل أدركه بالنهار ومن فاته بالنهار أدركه بالليل (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) أي هينين أي ان مشي عباد الله المقبولين في لين وسكينة وتواضع لا يضربون بأقدامهم ولا يتبخترون لاجل الخيلاء وعن زيد بن أسلم قال التمست تفسير هونا فلم أجد فرأيت في النوم فقيل لي هم الذين لا يريدون الفساد في الارض وعباد مبتدأ خبره الموصول وما عطف عليه (واذا خاطبهم الجاهلون) بالسوء (قالوا سلاما) أي ردوا معروفا كأن يقولوا لا خير بيننا وبينكم ولا شر فهو سلام توديع لا تحية كقول سيدنا ابراهيم عليه السلام لابيه سلام عليك (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) أي يحيون الليل بالصلاة وسجدا خبر يبيتون (والذين يقولون) في دعائهم (ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) أي هلاكا لازما أي فانهم مع اجتهادهم في العبادة خائفون من عذاب الله (انها ساءت مستقرا ومقاما) وهذا يمكن أن يكون من كلام الله تعالى فهو مستأنف وان يكون حكاية لقولهم تعليل بسوء حالها في نفسها عقب تعليل بسوء حال عذابها والمعنى ان جهنم بئست جهنم هي حال كونها مستقرا لعصاة من أهل الايمان فانهم غير مقيمين فيها وحال كونها مقاما للكافرين فانهم يخلدون ويقال ان جهنم أحزنت داخليها من جهة موضع استقرار ومن جهة موضع اقامة (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا) أي لم يجاوزوا حد الكرم (ولم يقتروا) أي ولم يضيقوا تضييق الشحيح (وكان بين ذلك قواما) أي وكان انفاقهم بين الاسراف والاقتار وسطا وقرأ نافع وابن عامر يقتروا بضم التحتية وكسر الفوقية وابن كثير وأبو عمرو بفتح التحتية وكسر الفوقية والكوفيون بفتح التحتية وضم الفوقية فالقراءة السبعة ثلاثة والقاف على كل ساكنة وقرئ قواما بكسر القاف أي ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا يأكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويصونهم من الحر والبرد وروي ان رجلا صنع طعاما في أملاك فأرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حق فأجيبوا ثم صنع الثانية فأرسل اليه فقال خلق فمن شاء فليجب والا فليقعد ثم صنع الثالثة فأرسل اليه فقال رياء ولا خير فيه (والذين لا يدعون) أي لا يعبدون (مع الله الها آخر) والمقصود من هذا تنبيه على الفرق بين سيرة المسلمين وسيرة الكفار (ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق) أي بالردة وبالقتل قودا وبالزنا بعد الاحصان فالمقتضي لحرمة القتل قائم أبدا وجواز القتل انما ثبت بالمعارض فقوله تعالى حرم الله اشارة الى المقتضي وقوله الا بالحق اشارة الى المعارض (ولا يزنون) وعن ابن مسعود قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك خشية ان يأكل معك قلت ثم أي قال أن تزني بحليلة جارك فأنزل الله تعالى هذه الآية تصديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن يفعل ذلك) أي ما ذكر من الثلاثة كما هو دأب الكفرة المذكورين (يلق أثاما) أي جزاء اثمه وقال الحسن الأثام اسم من أسماء جهنم وقال مجاهد الأثام واد في جهنم وقرأ ابن مسعود أياما أي شدائد لانه يقال لليوم الصعب يوم ذو أيام (يضاعف له العذاب يوم القيامة) وقرأ ابن كثير وابن عامر يضعف بتشديد العين واسقاط الالف (ويخلد فيه) أي في ذلك العذاب (مهانا) أي مقرونا بالاذلال كما ان الثواب مقرون بالتعظيم وقرأ ابن عامر وشعبة يضاعف ويخلد كلاهما بالرفع على الاستئناف أو على الحال وقرأ حفص مع ابن كثير فيه بصلة الهاء بالياء

(أو أراد شكورا) أي شكر النعمة بطاعته (وعباد الرحمن) أي خواص عباده (الذين يمشون على الارض هونا) أي بالسكينة والوقار (واذا خاطبهم الجاهلون) بما يكرهونه (قالوا سلاما) أي سدادا من القول يسلمون فيه من الاسم وقوله (غراما) أي شرا لازما (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا) أي لم يكن انفاقهم في معصية الله (ولم يقتروا) أي لم يمنعوا حق الله (وكان) أي انفاقهم (بين ذلك) أي بين الاسراف والاقتار (قواما) أي قائما وقوله (يلق أثاما) أي عقوبة وقيل جزاء الأثام وقوله

(الا

(الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) أي يغفر الله لهم تلك السيآت ويكتب موضع كافر مؤمن وموضع عاص مطيع ولا يبعد في كرم الله تعالى اذا صحت توبة العبد ان يضع مكان كل سيئة حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن (وكان الله غفورا رحيما) روى البخاري عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت في أهل الشرك فلما نزل صدرها قال أهل مكة قد عدلنا بالله وقتلنا النفس التي حرم الله وآتينا الفواحش فأنزل الله الامن تاب الى رحيما (ومن تاب) عن المعاصي بتركها والندم عليها (وعمل صالحا) يتدارك به ما فرط ولو كان نيته وعمله كلاهما ضعيفا (فانه يتوب) أي يرجع (الى الله متابا) أي رجوعا مرضيا عند الله أي ومن تاب عن المعاصي الى الطاعة فان التوبة منه في الحقيقة توبة الى الله أي فانه قد أتى بتوبة مرضية لله مكفرة للذنوب محصلة للثواب وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليتمنين أقوام انهم أكثروا من السيآت قيل من هم يارسول الله قال الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات (والذين لايشهدون الزور) أي لايحضرون مواضع الكذب فان حضور مجامع الفساق مشارك لهم في تلك المعصية ولان النظر دليل الرضا بها أو لا يشهدون بالكذب وقال محمد بن الحنفية الزور الغناء (واذا مروا باللغو) أي بأهل اللغو على سبيل الاتفاق من غير قصد (مروا كراما) أي مكرمين أنفسهم عن مثل حال اللغو وهو كل ما يجب أن يترك واكرامهم لأنفسهم لا يكون الا بالاعراض وبالانكار وبترك المعاونة (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) أي والذين اذا وعظوا بالآيات المشتملة على الاحكام والمواعظ أكبوا على تلك الآيات حرصا على استماعها وأقبلوا على المذكر بها وهم في اكبابهم عليها سامعون بآذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يظهرون الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم والعميان كالمنافقين والكفرة كأبي جهل والاخنس ابن شريق فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل وهو الخرور كقولك لايلقاني زيد مسلما فهو نفي للاسلام لا للقاء وذلك تعريض بما يفعله الكفرة والمنافقون (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) أي اجعل لنا ما يحصل به سرور أعين من أزواجنا وذرياتنا أن نراهم صالحين مطيعين لك وعن محمد بن كعب ليس شئ أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده يطيعون الله وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم ذرياتنا بألف على الجمع والباقون بغير ألف على الافراد (واجعلنا للمتقين اماما) أي يقتدون بنا في أمر الدين بافاضة العلم وبالتوفيق للعمل (أولئك) أي المتصفون بتلك الصفات الثمانية (يجزون الغرفة) أي يثابون أعلى منازل الجنة (بما صبروا) أي بسبب صبرهم على طاعة الله والفقر والمرازي (ويلقون فيها تحية وسلاما) قرأ حمزة والكسائي وشعبة يلقون بفتح الياء وسكون اللام أي يجدون في الغرفة اكرام الله تعالى لهم بالهدايا وسلامه عليهم بالقول والباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف أي يجعلهم الله تعالى في الغرفة لاقين ذلك (خالدين فيها) أي في الغرفة لايموتون ولا يخرجون (حسنت مستقرا ومقاما) أي حسنت الغرفة من حيث موضع الاستقرار وموضع الاقامة هي (قل) يا أشرف الخلق لاهل مكة (ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم) أي أي اعتداد يعتد بكم ربكم لولا عبادتكم له تعالى فانكم وسائر البهائم سواء أولا يبالي بكم ربكم لولا دعاؤه اياكم الى طاعته فان مبالات الله بشأن عباده حيث خلق السموات والارض وما بينهما انما هو ليعرفوا حق المنعم ويطيعوه فيما كلفهم به (فقد كذبتم) بما أخبرتكم به

اسماعا وبالزناعفة واصلانا واحصانا وبقتل المؤمنين قتل المشركين (ومن تاب) أي عزم على التوبة (فانه يتوب الى الله متابا) وينبغي أن يبادر الليل والنهار ويتوجه الى الله تعالى (والذين لا يشهدون الزور) أي لا يشهدون بالكذب (واذا مروا باللغو مروا كراما) أي اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى صفحوا وأعرضوا وهو منسوخ بالقتال على هذا التفسير (والذين اذا ذكروا) أي وعظوا (بآيات ربهم) أي بالقرآن (لم يخروا عليها صما وعميانا) أي لم يتغافلوا عنها كأنهم صم لم يسمعوها أو عمي لم يروها (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) بأن تراهم مطيعين لك صالحين (واجعلنا للمتقين اماما) أي اجعلنا ممن يهتدي به المتقون ويهتدي بالمتقين (أولئك يجزون) أي يثابون (الغرفة) أي الدرجة في الجنة (بما صبروا) على طاعة الله (ويلقون فيها) ويستقبلون فيها أي في الغرفة (تحية وسلاما) أي بالتحية والسلام (قل ما يعبؤ بكم ربي) أي ما يفعل بكم وما يصنع وأي وزن لكم يكون عنده (لولا دعاؤكم) أي توحيدكم وعبادتكم اياه (فقد كذبتم) يا أهل مكة فخرجتم عن أن يدون لكم عنده مقدار

(فسوف يكون) أي جزاء التكذيب (لزاما) أي ملازما لكم وهو عقاب الآخرة

﴿سورة الشعراء مكية الا أربع آيات من قوله والشعراء الى آخر السورة فمدنية﴾

﴿وهي مائتان وسبع وعشرون آية وألف ومائتان وسبع وستون كلمة﴾

﴿وخمسة آلاف وخمسمائة واثنان وأربعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طسم) ومحله رفع على انه خبر مبتدا محذوف ان كان اسما للسورة وأما ان كان مسرودا على نمط التعديد بطريق التحدي فلا محل له من الاعراب وقيل قسم أقسم الله تعالى به وقال أهل الاشارة هو اشارة الى طاء طوله تعالى في كمال عظمته والى سين سلامته عن كل عيب ونقص وهو منفرد في تنزهه عنه والى ميم مجده في عزة كرم لا نهاية لها واشارة أيضا الى طاء طهارة قلب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن الكونين والى سين سيادته على الأنبياء والمرسلين والى ميم مشاهدته لجمال رب العالمين واشارة أيضا الى طاء طيران الطائرين بالله والى سين سير السائرين الى الله والى ميم مشي الماشين لله مشي العبودية لا مشي التفخر والتكبر قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنون هينون لينون كالجمل الانف ان قيد انقاد وان أنيخ على صخرة استناخ وعن البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المص مكان الانجيل وأعطاني الطواسين مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي (تلك) أي هذه السورة (آيات الكتاب المبين) أي آيات القرآن الظاهر اعجازه والمبين للاحكام فألفاظ القرآن من حيث تعذر عليهم أن يأتوا بمثله يمكن أن يستدل به على فاعل مخالف لهم كما يستدل بسائر ما لا يقدر العباد على مثله فهو دليل التوحيد من هذا الوجه ودليل النبوة من حيث الاعجاز ويعلم به بعد ذلك انه اذا كان من عند الله تعالى فهو دلالة الاحكام أجمع واذا ثبت هذا صارت آيات القرآن كافية في كل الاصول والفروع أجمع (لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين) فلعل للاشفاق وهو بمعنى الامر أي اشفق على نفسك ان تقتلها لعدم ايمان قريش بذلك الكتاب الفاصل بين الحق والباطل أولا تبالغ في الحزن على ما فاتك من اسلام قومك لانك يا أكرم الرسل ان بالغت فيه كنت بمنزلة من يقتل نفسه ثم لا ينتفع بذلك أصلا والله تعالى نبه رسوله أن غمه على ذلك لا نفع فيه كما ان وجود الكتاب على وضوحه لا نفع لهم في الايمان لما أنه سبق حكم الله بخلافه (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) أي ان نشأ ننزل عليهم من السماء علامة مخوفة لهم قاصرة على الايمان كرفع الجبل فوق رؤسهم كما وقع لبني اسرائيل فيصيروا لتلك العلامة منقادين في قبول الايمان وذكر الاعناق لبيان موضع الخضوع واكتسبت اضافتها الى العقلاء حكمهم كما اكتسبت الاضافة الى المؤنث التأنيث كعكسه ولذلك كان الخبر مجموعا جمع سلامة لمذكر عاقل (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين) أي ما يأتي أهل مكة من موعظة من المواعظ القرآنية تنبههم عن الغفلة من جهة الله تعالى مجدد تنزيله بحسب المصلحة الاوجددوا اعراضا عنه على وجه التكذيب (فقد كذبوا) أي بلغوا النهاية في رد الذكر الذي يأتيهم دامقارنا للاستهزاء به حيث جعلوه تارة سحرا وأخرى أساطير وأخرى شعرا (فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن) أي سيأتيهم مصداق استهزائهم من العقوبات العاجلة والآجلة (أولم يروا الى الارض) أي أفعل كفار مكة الاعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها ولم ينظروا الى عجائب الارض الزاجرة عما فعلوا الداعية الى الايمان بالآيات (كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم) أي كثيرا من كل صنف مرضي في جماله وفي فوائده أنبتنا في الارض (ان في ذلك)

(فسوف يكون لزاما) أي يكون العذاب لازما لكم

﴿تفسير سورة الشعراء﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طسم) أقسم الله بطوله وسنائه وملكه (تلك) أي هذه (آيات الكتاب المبين) يعني القرآن (لعلك باخع نفسك) قاتلها (ألا يكونوا مؤمنين) أي لتركهم الايمان وذلك أنه لما كذبه أهل مكة شق عليه ذلك فاعلم الله انه لو شاء لاضطرهم الى الايمان فقال تعالى (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) أي يذلون لها فلا يلوي أحد منهم عنقه الى معصية الله عز وجل (وما يأتيهم من ذكر) أي وعظ (من الرحمن محدث) أي في الوحي والتنزيل (فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن) أي فسيعلمون نبأ ذلك وهو وعيد لهم (كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم) أي من كل نوع محمود مما يحتاج اليه الناس (ان في ذلك

الانبات

الانبات (لآية) عظيمة دالة على كمال قدرة المنبت وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته (وما كان أكثرهم مؤمنين) أي وما أكثر قومه صلى الله عليه وسلم مؤمنين أي مع ذلك يستمر أكثرهم على كفرهم وكان صلة عند سيبويه (وان ربك لهو العزيز الرحيم) أي ان ربك غالب على الامور ومع ذلك رحيم بعباده ولذلك يمهلهم ولا يؤاخذهم بغتة بما اجترؤا عليه من العظائم الموجبة لفنون العقوبات (واذ نادى ربك موسى) أي واذكر يا أكرم الرسل لأولئك المعرضين المكذبين وقت ندائه تعالى موسى عليه السلام وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم اياه زجرا لهم عن التكذيب قال أبو الحسن الاشعري المسموع هو الكلام القديم فكما أن ذاته تعالى لا تشبه الذوات مع أنها مرئية في الآخرة من غير كيف ولا جهة فكذا كلامه منزه عن مشابهة الحروف والاصوات مع انه مسموع وقال أبو منصور الماتريدي الذي سمعه موسى عليه السلام كان نداء من جنس الحروف والاصوات لانا حكمنا بأن كل موجود يصح أن يرى ولم يثبت انا نسمع الاجسام فلم يلزم صحة كون كل موجود مسموعا (أن ائت القوم الظالمين) أي بالكفر والمعاصي واستعباد بني اسرائيل وذبح أبنائهم وكان بنو اسرائيل في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفا (قوم فرعون) عطف بيان (ألا يتقون) وهذا كلام مستأنف جيء به لموسى على التعجب من حالهم في الظلم والعسف ومن عدم خوفهم أي تعجب يا موسى من عدم تقواهم وقرئ بكسر النون والاصل ألا يتقونني فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة وقرئ بتاء الخطاب على طريقة الالتفات الدال على زيادة الغضب عليهم أي قل لهم ألا تخافون عقاب الله فألا للتنبيه وللعرض (قال) أي موسى اظهارا للعجز وطلبا للمعونة (رب اني أخاف أن يكذبون) من أول الامر (ويضيق صدري) بتكذيبهم اياي (ولا ينطلق لساني) بسبب ضيق القلب وهذان الفعلان مرفوعان معطوفان على أخاف وقرأ زيد بن علي وطلحة وعيسى والاعمش بالنصب فيهما معطوفان على صلة ان والاعرج بنصب الاول ورفع الثاني (فأرسل الى هرون) أي فأرسل جبريل الى أخي هرون ليكون رسولا مصاحبا لي في دعوة فرعون وقومه وكان هرون اذ ذاك بمصر وموسى في المناجاة في الطور (ولهم علي ذنب) أي تبعة قتل القبطي (فأخاف أن يقتلون) به قبل أداء الرسالة كما ينبغي ان أتيتهم وحدي فيفوت المقصود من الرسالة (قال) الله (كلا) أي ارتدع يا موسى عما تظن أو حقا لا أسلطهم عليك بالقتل (فاذهبا) أي اذهب أنت ومن طلبته وهو هرون (بآياتنا) الدالة على صدقكما أي فانها تدفع خوفكما (انا معكم مستمعون) أي نالكما ولعدوكما ناصر لكما عليه وسامع لما يجري بينكما وبينه فأعليكما عليه وأكسر شوكته عنكما (فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين) اليك والى قومك وافراد الرسول لاتحادهما بسبب الاخوة واتفاقهما على شريعة واحدة ولان المعنى ان كل واحد منا رسول رب العالمين (أن أرسل معنا بني اسرائيل) وان مفسرة أي أطلقهم وخلهم وشأنهم ليذهبوا معنا الى الشام فانطلقا الى فرعون وقالا له ما أمرا به وروى وهب وغيره أنهما لما دخلا على فرعون وجداه وقد أخرج سباعا من أسد ونمور وفهود يتفرج عليها فخاف خدامها أن تبطش بموسى وهرون فأسرعوا اليهما وأسرعت السباع الى موسى وهرون فأقبلت تلحس أقدامهما وتبصبص اليهما بأذنابها وتلصق خدودها بفخذيهما فعجب فرعون من ذلك فقال ما أنتما قالا انا رسول رب العالمين فعرف هو موسى عليه السلام (قال) عند ذلك لموسى عليه السلام (ألم نربك فينا) أي في منازلنا (وليدا) أي صغيرا (ولبثت فينا من عمرك سنين) ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين وأقام بها عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله تعالى ثلاثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين سنة وقيل مكث عليه الصلاة والسلام عند فرعون خمس

لآية) أي لدلالة على وحدانية الله (وما كان أكثرهم مؤمنين) أي لما سبق في علمي وقضائي فيهم (و) اذكر يا محمد (اذ نادى ربك موسى) ليلة رأى الشجرة والنار (أن ائت القوم الظالمين) لانفسهم بالكفر (قوم فرعون ألا يتقون) أي ألا يخافون الله فيؤمنوا به (ويضيق صدري) من تكذيبهم اياي (ولا ينطلق لساني) باداء الرسالة للعقدة التي فيه (فأرسل الى هرون) أي ليظاهرني على التبليغ (ولهم علي ذنب) أي بقتل القبطي (قال كلا) لا يقتلونك (انا معكم) أي بالنصرة (مستمعون) يعني مستمع يريد أسمع ما تقول لهم ويقال لك (فأتيا فرعون فقولا انا رسول) ذو رسالة (رب العالمين أن أرسل معنا بني اسرائيل) مفسر في طه فلما أتاه بالرسالة عرفه فرعون ف(قال ألم نربك فينا وليدا) أي صبيا (ولبثت فينا من عمرك سنين) أي ثلاثين سنة

عشرةُسنة (وفعلت فعلتك التي فعلت) وهي وكز القبطي حتى مات (وأنت من الكافرين) أي
الجاحدين لنعمتي عليك بالتربية وعدم اتخاذك عبدا الى كبني اسرائيل أو من الذين يكفرون في دينهم
فقد كانت لهم آلهة (قال) موسى (فعلتها) أي تلك الفعلة (اذا) أي حين اذ كنت لا بنافيكم (وأنا من
الضالين) أي الناسين عن معرفة مايؤول اليه القتل لانه فعل الوكزة على وجه التأديب وقرئ من
الجاهلين أي بأن ذلك الفعل يؤدي الى القتل (ففررت منكم) الى ربي (لما خفتكم) أن تؤاخذوني
بما لا أستحقه بجنايتي لاني قتلت القتيل خطأ وأنا ابن اثني عشرة سنة مع كونه كافرا وروى عن
حمزة لما خفتكم بكسر اللام وبما المصدرية أي لتخوفي منكم (فوهب لي ربي حكما) أي علما وفهما
في الدين (وجعلني من المرسلين) بعد تلك الفعلة (وتلك) أي التربية (نعمة تمنها علي أن عبدت بني
اسرائيل) ومحل ان عبدت رفع عطف بيان لتلك أو بدل من نعمة أي وتلك جعلك بني اسرائيل
عبيدك وقصدك اياهم بذبح أبنائهم هو السبب في وقوعي عندك وانفاقك علي مما أخذت من أموالهم
فلولم يكن منك ذلك الظلم لكنت مستغنيا عن تربيتك فلا نعمة لك علي بالتربية ولا فضيلة لك في
عدم استعبادي الذي مننت به علي لان استعبادك لغيري ظلم كما ان عدم قتلك اياي لا يعد انعاما
لان قتلك غيري ظلم وقال الزجاج ويجوز أن يكون أن عبدت في محل نصب مفعولا لاجله والمعنى انما
صارت التربية نعمة علي لاجل أن عبدت بني اسرائيل فلولم تفعل ذلك لكفاني أهلي (قال فرعون)
لما سمع منه عليه الصلاة والسلام تلك المقالة المتينة (وما رب العالمين) أي أي شئ رب العالمين الذي
ادعيت انك رسوله (قال) موسى مجيبا له بابطال دعواه انه اله (رب السموات والارض وما بينهما)
أي خالق هذه الثلاثة (ان كنتم موقنين) باستناد هذه المحسوسات الى موجود هو واجب الوجود
فاعرفوا انه لا يمكن تعريفه الا بما ذكرته فالسؤال عن الحقيقة سفه (قال) أي فرعون (لمن حوله)
من أشراف قومه كانوا خمسمائة لابسين للاساورة ولم يلبسها الا السلاطين (ألا تستمعون) جوابه
فقد سألته عن حقيقته وهو يذكر أفعاله (قال) موسى (ربكم ورب آبائكم الاولين) جاء موسى
عليه السلام بدليل يفهمونه لانهم يعلمون أنهم قد كان لهم آباء فنوا وأنهم كانوا بعد أن لم يكونوا وأنهم
لابد لهم من مكون ومفن (قال) فرعون لخاصته وعليهم أقبية الديباج مخوصة بالذهب وقد خاف من
تأثرهم من جواب سيدنا موسى عليه السلام (ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون) لا يفهم السؤال
لاني أسأله عن شئ وهو يجيبني عن آخر وأسند فرعون الرسول الى من حوله تكبرا عن ان يكون
مرسلا الى نفسه وسماه رسولا بطريق الاستهزاء (قال) موسى (رب المشرق والمغرب وما بينهما)
أي هو خالق موضع طلوع الشمس وغروبها ووقتهما وما بينهما فتشاهدون في كل يوم انه يأتي بالشمس
من المشرق الى المغرب على وجه نافع تنتظم به أمور الكائنات وكل ذلك أمور حادثة مفتقرة الى محدث
قادر عليم حكيم (ان كنتم تعقلون) أي ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب فوق ذلك وان الامر
كما قلته (قال) فرعون لموسى عليه السلام لما عجز عن الحجج (لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من
المسجونين) أي لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادة اللعين ان يأخذ من
يريد أن يسجنه فيطرحه في بئر عميقة فردا لا يبصر فيها ولا يسمع حتى يموت فكان ذلك أشد من
القتل ولذلك لم يقل تعالى لاسجننك لانه لا يفيد الا صيرورته مسجونا وروى ان اللعين يفزع من
موسى فزعا شديدا حتى كان لا يمسك بوله (قال) موسى له (أولو جئتك بشئ مبين) أي أتفعل بي ذلك
ولو جئتك بأمرين في باب الدلالة على وجود الله تعالى وعلى اني رسوله أي وهل تستجيز أن تسجني
مع اقتداري على أن آتيك بالمعجزات الدالة على صدق دعواي (قال) فرعون له (فأت به) أي

فعلت) يعني قتل القبطي
(وأنت من الكافرين)
أي الجاحدين لنعمتي
عليك (قال) موسى (فعلتها
اذا وأنا من الضالين) أي
الجاهلين لم يأتني من الله
شئ (وتلك نعمة تمنها علي)
أقر بانعامه عليه فقال هي
نعمة اذ ربيتني ولم تستعبدني
كاستعبادك بني اسرائيل
وعبدت معناه اتخذت
عبيدا (قال فرعون وما
رب العالمين) يعني وأي شئ
رب العالمين الذي تزعم
أنك رسوله (قال رب
السموات والارض وما
بينهما ان كنتم موقنين)
أي انه خالقهما (قال)
فرعون (لمن حوله) من
أشراف قومه معجبا لهم
(ألا تستمعون) أي الى ما
يقوله موسى ف(قال) موسى
(ربكم ورب آبائكم الاولين
قال) فرعون (ان رسولكم
الذي أرسل اليكم لمجنون)
أي يتكلم بكلام لا تعرف
صحته (قال) موسى (رب
المشرق والمغرب وما بينهما
ان كنتم تعقلون) فقال
فرعون حين لزمته الحجة
(لئن اتخذت الها غيري
لأجعلنك من المسجونين)
أي من المحبوسين في
السجن (قال) موسى
(أولو جئتك بشئ مبين)
يعني أوتفعل ذلك ان أتيتك على ماأقول بحجة بينة (قال فأت به) مفسراً كثره الى قوله

بذلك

بذلك الشئ (ان كنت من الصادقين) فى دعوى الرسالة وفى ان لك برهانا وانما أمره عليه السلام فرعون بالاتيان بالشئ الموضح لصدق دعواه عليه السلام لظنه انه يقدر على معارضته ولطمعه فى أن يجد موضعا للافكار (فألقى عصاه) قال ابن عباس عصا موسى اسمها ماشا وقيل نبعة (فاذا هى ثعبان مبين) أى حية عظيمة صفراء اذ كرتبين للناظرين انه ثعبان بحركاته وبسائر العلامات وليس بتمويه كما يفعله السحرة (ونزع يده) من ابطه (فاذا هى بيضاء للناظرين) تضىء الوادى من شدة بياضها من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس تعجب الناظرين اليها قيل لما رأى فرعون الآية الاولى قال هل لك غيرها فأخرج موسى يده فقال لفرعون ما هذه فقال فرعون يدك فأدخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق فعند هذا أراد فرعون تعمية هذه الحجة على قومه فذكر أمورا ثلاثة (قال للملأ حوله ان هذا) الرسول (لساحر عليم) أى حاذق بالسحر فان الزمان كان زمن السحرة وكان عند كثير منهم ان الساحر قد يجوز ان ينتهى بسحره الى هذا الحد فلهذا روج فرعون عليهم هذا القول (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره) أى يريد هذا الرجل ان يخرجكم من مصر بما يلقيه بينكم من العداوات فيفرق جمعكم وهذا يجرى مجرى التنفير عن موسى عليه السلام فان مفارقة الوطن أصعب الامور فنفرهم عنه بذلك (فماذا تأمرون) أى فأى شئ تأمرونى به فى شأنه فانى متبع لرأيكم ومنقاد لقولكم ومثل هذا الكلام يوجب انصراف القلوب عن العدو فعند هذه الكلمات اتفقوا على جواب واحد (قالوا أرجه وأخاه) أى أخر مناظرتهما لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسهما ولا تقتلهما لما روى أن فرعون أراد قتلهما ولم يصل اليهما فقالوا له لا تفعل فانك ان قتلتهما أدخلت على الناس شبهة فى الدين ولكن أخر أمرهما الى ان تجمع السحرة ليقاوموهما فلا يثبت لهما حجة عليك وقرأ قالون أرجه بغير همز وباختلاس كسرة الهاء وورش والكسائى باشباع كسرة الهاء وابن كثير وهشام بالهمزة الساكنة وبصلة الهاء المضمومة وأبو عمرو بضم الهاء مع الاختلاس وابن ذكوان بالهمز وكسر الهاء مع الاختلاس وعاصم وحمزة بغير همز واسكان الهاء (وابعث فى المدائن حاشرين) أى أنفذ الى مدائن الساحرين شرطا يحشرهم وذلك لظنهم اذا كثر السحرة غلبوا موسى عليه السلام وكشفوا حاله (يأتوك) أى الحاشرون (بكل سحار عليم) أى فائق فى فن السحر على موسى (لجمع السحرة لميقات يوم معلوم) أى فى زمان يوم معروف وفى مكان معروف وعن ابن عباس وافق يوم السبت من أول يوم النيروز وهو أول سنتهم وعن ابن عباس قال كانت السحرة سبعين رجلا وسمى ابن اسحق رؤساءهم سابور وغادور وحطحط ومصفى وشمعون وعن ابن جريج كان اجتماعهم بالاسكندرية (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) والاستفهام للحث للناس على المبادرة الى الاجتماع والترجى للغلبة لا لاتباع السحرة لانه مقطوع به عندهم أى أحضروا للتشاهد واما يكون من الجانبين فانا نرجو أن يكون الغلبة للسحرة فنتبعهم لا نتبع موسى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا) أى جزاء من المال والجاه (ان كنا نحن الغالبين) على موسى فبذل فرعون لهم البدل والمنزلة (قال) فرعون (نعم) أى لكم الاجرة على عملكم السحر (وانكم اذا) أى اذ كنتم غالبين (لمن المقربين) عندى فى الدخول على تكونون أول من يدخل على وآخر من يخرج عنى وقرأ الكسائى نعم بكسر العين (قال لهم موسى) مريدا لابطال سحرهم لانه لا يمكن منه الا بالقائهم (ألقوا ما أنتم ملقون) وهذا تهديد أى ان فعلتم ذلك أتينا بما نبطله (فألقوا حبالهم وعصيهم) اثنين وسبعين حبلا واثنين وسبعين عصا (وقالوا) أى السحرة عند الالقاء نقسم (بعزة فرعون انا لنحن الغالبون) على موسى (فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف

ما يأفكون) أى تبتلع بسرعة ما يغيرونه عن حاله الاول من الجمادية الى كونه حية تسعى روى عن ابن عباس كانت حبالهم مطلية بالزئبق وعصيهم مجوفة مملوءة من الزئبق فلما حميت اشتدت حركتها فصارت كأنها حيات تدب من كل جانب من الارض فألقى موسى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ثم فتحت فاها فابتلعت كل ما رموه من حبالهم وعصيهم حتى أكلت الكل ثم أخذ موسى عصاه فاذا هى كما كانت فلما رأت السحرة ذلك قالوا لفرعون كنا نساحر الناس فاذا غلبناهم بقيت الحبال والعصى وكذلك ان غلبونا ولكن هذا حق (فألقى السحرة ساجدين) أى سقطوا على الارض ساجدين عقب ما شاهدوا ذلك من غير تلعثم لعلمهم بأن مثل ذلك خارج عن حدود السحر وانه أمر الهى قد ظهر على يد موسى عليه الصلاة والسلام لتصديقه (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) عطف بيان لرب العالمين لان فرعون كان يدعى الربوبية فأرادوا عزله وانما أسندوا الرب الى موسى وهرون لانهما اللذان دعواهم اليه (قال) أى فرعون للسحرة (آمنتم له قبل أن آذن لكم) أى آمنتم لموسى بغير أن آذن لكم (انه لكبيركم الذى علمكم السحر) أى ان موسى علمكم شيأ دون شئ فلذلك غلبكم فانكم فعلتم ذلك عن موافقة بينكم و بين موسى وقصرتم فى السحر لتظهروا أمر موسى والا ففى قوة السحرة أن يفعلوا مثل فعل موسى عليه السلام وهذه شبهة قوية فى تنفير من يقبل قوله عليه السلام (فسوف تعلمون) و بال ما فعلتم (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) وهو قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى (ولاصلبنكم أجمعين) على شاطئ نهر مصر وهذا تهديد شديد وليس فى الاهلاك أقوى من ذلك وليس فى الآية ان فرعون فعل ذلك أولم فعل (قالوا) أى السحرة (لاضير) أى لاضرر فى ذلك علينا (انا الى ربنا منقلبون) ومقصودهم بالايمان محض الوصول الى مرضاته تعالى والاستغراق فى أنوار معرفته وهذا أعلى درجات الصديقين (انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين) فانا الى ربنا وانا نطمع كلاهما تعليل لعدم الضير وان كنا تعليل لطمع غفران الخطايا أى لاضير علينا فى قتلك ايانا الا انا نرجو أن يغفر لنا ربنا بسبب كوننا أول المؤمنين من الجماعة الذين حضروا ذلك الموقف من رعية فرعون وقرئ ان كنا بالكسر على الشرط على طريقة قول المدل كقول العامل لمستأجر يؤخر أجرته ان كنت عملت لك فوفنى حقى (وأوحينا الى موسى) بعد ثلاثين سنة (أن أسر بعبادى) من آمن بك من بنى اسرائيل وقرأ نافع وابن كثير بكسر النون ووصل الهمزة والباقون بسكون النون وقطع الهمزة وقرئ أن سر فان حرف تفسير (انكم متبعون) تعليل للامر بالاسراء أى لانه يتبعكم فرعون وجنوده فلا يدركوكم قبل وصولكم الى البحر ثم ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا فى هذه الليلة عيدا ثم استعاروا منهم حليهم وحللهم بهذا السبب ثم خرجوا بتلك الاموال فى الليل الى جانب البحر قال القرطبى فخرج موسى عليه الصلاة والسلام ببنى اسرائيل سحرا فترك الطريق الى الشام على يساره وتوجه نحو البحر فكان الرجل من بنى اسرائيل يقول له فى ترك الطريق فيقول هكذا أمرت فلما أصبح فرعون وعلم بسرى موسى ببنى اسرائيل خرج فى أثرهم و بعث الى مدائن مصر لتلحقه العساكر وقوى نفسه ونفس أصحابه بأن وصف قوم موسى بوصفين من أوصاف الذم ووصف قوم نفسه بصفة المدح وذلك قوله تعالى (فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين) أى شرطا جامعين للعساكر ليتبعوهم قيل كان له ألف مدينة واثنا عشر ألف قرية وقال لهم (ان هؤلاء) أى بنى اسرائيل (لشرذمة قليلون) أى لطائفة قليلة وكانوا ستمائة ألف مقاتل ليس فيهم من دون عشرين ولا من يبلغ ستين سوى الحشم وفرعون يقللهم لكثرة من معه أولارادة ذلتهم اذ روى أنه أرسل فى أثرهم ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور ومع كل ملك ألف وخرج فرعون

(قالوا لاضير) أى لاضرر (انا الى ربنا منقلبون) أى راجعون للثواب (انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا) يعنى لان كنا (أول المؤمنين) أى من هذه الأمة (وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون) أى يتبعكم فرعون وقومه (فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين) يعنى الشرط ليجمعوا له الجيش وقال لهم (ان هؤلاء) يعنى بنى اسرائيل (لشرذمة) أى عصبة (قليلون

في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة ألف رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس خرج فرعون في ألف ألف حصان سوى الاناث وروى ان فرعون خرج على حصان أدهم وفي عسكره على لون فرسه ثلاثمائة ألف (وانهم لنا لغائظون) أي لفاعلون أفعالا تضيق صدورنا حيث خالفوا ديننا وذهبوا بأموالنا التي استعاروها وخرجوا من أرضنا بغير اذننا (وانا لجميع حاذرون) أي لجماعة يستعملون الحزم في الامور وقرأ ابن ذكوان والكوفيون بألف بعد الحاء أي شاكون السلاح وقرئ حادرون بالدال المهملة أي أقوياء أشداء (فأخرجناهم) أي جعلنا في قلوب فرعون وقومه داعية الخروج (من جنات) أي بساتين من اسوان الى رشيد (وعيون) أي أنهار جارية في البساتين والدور (وكنوز) أي أموال وسميت كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله تعالى قيل كان لفرعون ثمانمائة ألف غلام كل غلام على فرس عتيق في عنق كل فرس طوق من ذهب (ومقام كريم) أي منازل حسنة قيل كان فرعون اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلاثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها الاشراف من قومه والامراء وعليهم أقبية الديباج مرصعة بالذهب (كذلك) وهو مصدر تشبيهي أي أخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفناه أو وصف لمقام أي وأخرجناهم من مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم أو خبر مبتدا محذوف أي اخراجنا كما وصفنا (وأورثناها بني اسرائيل) أي جعلناهم متملكين لتلك النعم بعد هلاك فرعون وقومه (فأتبعوهم مشرقين) أي جعلوا أنفسهم تابعة لبني اسرائيل وقت طلوع الشمس وقرئ فاتبعوهم أي فلحقوهم داخلين في وقت شروق (فلما تراءى الجمعان) أي رأى كل واحد من جمع موسى وجمع فرعون الآخر وقرئ تراءت الفئتان (قال أصحاب موسى) بنو اسرائيل وغيرهم (انا لمدركون) أي لملحقون وقرئ لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء أي لمتتابعون في الهلاك على أيديهم حتى لا يبقى منا أحد (قال) موسى لهم (كلا) أي ارتدعوا عن ذلك التوهم أو حقا لا يدركونا لان الله وعدنا الخلاص منهم (ان معي ربي) بالنصرة (سيهدين) أي يدلني على طريق النجاة منهم البتة روى ان رجلا مؤمنا من آل فرعون يكتم ايمانه كان بين يدي موسى عليه السلام فقال يا كليم الله أين أمرت قال ههنا فحرك فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم أقحمه البحر فارتسب في الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا فأوحى الله اليه بضرب البحر بعصاه فاذا الرجل واقف على فرسه ولم يبتل سرجه وذلك قوله تعالى (فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر) فضربه (فانفلق) أي انشق بقدرة الله تعالى فصار اثني عشر فرقا بعدد الاسباط بينهن مسالك (فكان كل فرق) حاصل بالانفلاق (كالطود العظيم) أي كالجبل المرتفع في السماء فدخلوا في شعاب تلك الفرق كل سبط في شعب منها فقالوا كل سبط قتل أصحابنا فعند ذلك دعا موسى ربه فجعل في تلك الجدران المائية مناظر كالكوى حتى نظر بعضهم الى بعض على أرض يابسة (وأزلفنا ثم الآخرين) أي قربنا في موضع انفلاق البحر قوم فرعون حتى دخلوا عقب قوم موسى مداخلهم وعن عطاء بن السائب ان جبريل عليه السلام كان بين بني اسرائيل وبين قوم فرعون يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم أولكم ويقول للقبط رويدكم ليلحق آخركم أولكم وقيل وقربناهم الى الموت لانهم قربوا من أجلهم في ذلك الوقت وقيل المعنى وحبسنا فرعون وقومه في الضبابة عند طلبهم موسى بأن أظلمنا عليهم الدنيا بسحابة وقفت عليهم فوقفوا حيارى وقرئ وأزلقنا بالقاف أي أزللنا أقدامهم والمعنى أذهبنا عزهم (وأنجينا موسى ومن معه) من قومه وغيرهم (أجمعين) بحفظ البحر على انفلاقه اثني عشر فرقة الى أن عبروا الى البر (ثم أغرقنا الآخرين) باطباق البحر عليهم لما تكامل دخولهم البحر قيل هذا البحر بحر القلزم وقيل بحر اساف

وانهم لنا لغائظون) أي مغيظون لمخالفتهم ايانا (وانا لجميع حاذرون) أي مستعدون للحرب نأخذ اداتها وحذرون أي متيقظون (فأخرجناهم من جنات) يعني حين خرجوا من مصر ليلحقوا موسى وقومه (ومقام كريم) أي مجلس حسن (كذلك) أي وكما وصفنا (وأورثناها) بهلاكهم (بني اسرائيل فأتبعوهم) أي لحقوهم (مشرقين) أي وقت شروق الشمس (فلما ترأى الجمعان) أي رأى كل واحد الآخر (قال أصحاب موسى انا لمدركون) أي سيدركنا قوم فرعون (قال كلا) لن يدركونا (ان معي ربي) أي بالنصرة (سيهدين) طريق النجاة (فكان كل فرق) أي قطعة من الماء (كالطود) أي كالجبل (وأزلفنا ثم الآخرين) أي قربنا قوم فرعون الى الهلاك وقدمناهم الى البحر

وهو بحرورا مصر (ان فى ذلك) أى الذى حدث فى البحر (لآية) أى عبرة عجيبة دالة على قدرته تعالى وذلك ان الله تعالى أراد ان تكون الآية متعلقة بفعل موسى والا فضرب العصا ليس بفارق البحر ولا معينا على ذلك بذاته بل بما قترن به من اختراع الله تعالى (وما كان أكثرهم مؤمنين) فكان زائدة على رأى سيبويه أى وما أكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش مؤمنين لانهم لا يتدبرون فى حكايته صلى الله عليه وسلم لقصتهم من غير ان يسمعها من أحد ويجوز ان يجعل كان بمعنى صار أى وما صار أكثرهم مؤمنين مع ما سمعوا من الآية العظيمة الموجبة للايمان (وان ربك) يا أكرم الرسل (لهو العزيز الرحيم) أى لهو القادر على اهلاك المكذبين اياك بعد مشاهدة هذه الآية العظيمة من طريق الوحى وهو المبالغ فى رحمة عباده ولذلك لا يعجل عقوبتهم بعدم ايمانهم مع كمال استحقاقهم لذلك (واتل عليهم) أى كفار مكة (نبأ ابراهيم) والفعل معطوف على الفعل المقدر العامل فى اذ نادى الخ (اذ قال لابيه) آزر (وقومه) ليريهم أن ما يعبدونه ليس ممن يستحق العبادة فى شئ فاذ ظرف للنبا (ماتعبدون) أى أى شئ تعبدونه (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) أى فنصير مديمين على عبادتها وانما ذكروا هذه الزيادة اظهارا لما فى نفوسهم من الابتهاج بعبادة الاصنام (قال) ابراهيم منبها على فساد مذهبهم (هل يسمعونكم اذ تدعون) أى هل يسمعون دعاءكم حين دعوتموهم وهل يجيبونه وقرئ هل يسمعونكم بضم الياء وكسر الميم أى هل يسمعونكم جوابا عن دعائكم (أو ينفعونكم) فى معايشكم بسبب عبادتكم لها (أو يضرون) فى معايشكم بترككم لعبادتها اذ لابد للعبادة من جلب نفع أو دفع ضر (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) أى فعند هذه الحجة القوية لم يجد أبوه وقومه ما يدفعون به هذه الحجة فعدلوا الى قولهم ما علمنا منهم ما ذكر من الامور بل وجدنا آباءنا يعبدون مثل عبادتنا فاقتدينا بهم وهذا من أقوى الدلائل على فساد التقليد وعلى وجوب الاستدلال (قال) ابراهيم (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون) أى أتأملتم فعلمتم ما كنتم تعبدونه حق العلم أو أخبرونى ما كنتم تعبدون هل هو حقيق بالعبادة أولا وهذا استهزاء بعبدة الاصنام (فانهم عدو لى الا رب العالمين) فالاستثناء اما منقطع فالمعنى فاعلموا ان معبودكم عدو لى لا اعبدهم لكن رب العالمين فأعبده أو متصل فالمعنى فان كل معبود عدو لى الا رب العالمين فانه ليس بعدوى بل هو وليى ومعبودى وصور سيدنا ابراهيم الامر فى نفسه تعريضا بهم فالمعنى انى تفكرت فى أمرى فرأيت عبادتى للاصنام عبادة للعدو لان من يغرى على عبادتها هو الشيطان فانه أعدى عدو الانسان فاجتنبتها وأراهم سيدنا ابراهيم ان تلك الكلمة نصيحة نصح بها نفسه فاذا تفكروا قالوا ما نصحنا ابراهيم الا بما نصح به نفسه فيكون ذلك أدعى للقبول وأبعث الى الاستماع منه (الذى خلقنى) من النطفة على هيئة التصوير (فهو يهدين) الى مصالح الدين والدنيا بضروب الهدايات فى كل لحظة ولمحة (والذى هو يطعمنى ويسقين) أى يرزقنى بكل منافع الرزق (واذا مرضت فهو يشفين) وأكثر أسباب المرض يحدث بتفريط من الانسان فى مطاعمه ومشاربه وغير ذلك (والذى يميتنى) فى الدنيا بقبض روحى (ثم يحيين) يوم القيامة للمجازاة (والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى) بترك الاولى (يوم الدين) أى الجزاء روى ان عائشة قالت قلت يا رسول الله ان ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه قال لا ينفعه لانه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين واستغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وتعليم لأممهم ليكونوا على حذر ثم ذكر الله تعالى مناجاة سيدنا ابراهيم بقوله (رب هب لى حكما) أى كمالا فى العمل (وألحقنى بالصالحين) أى بالانبياء المرسلين فى درجات الجنة أى اجع

(وما كان أكثرهم مؤمنين) لم يؤمن من أهل مصر الا رجل وامرأتان وقوله (فانهم عدو لى) أى هذه الآلهة التى تعبدونها عدو لى أى أعاديهم أنا ولا أعبدهم (الا رب العالمين) أى لكن رب العالمين أعبده (الذى خلقنى) ظاهر الى قوله

ذريتهم فى الجنة (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) أى اجعل لى جاها وذكرا جميلا باقيا الى يوم الدين فان من صار ممدوحا بين الناس بسبب ما عنده من الفضائل يصير داعيا لغيره الى اكتساب مثل تلك الفضائل فيكون له مثل أجورهم أو اجعل من ذريتى فى آخر الزمان من يكون داعيا الى الله تعالى وقد أجاب الله دعاءه فما من أمة الا وهى تثنى عليه وجعله الله شجرة فرع الله منها الانبياء (واجعلنى من ورثة جنة النعيم) أى اجعلنى بعض الذين يرثون جنة النعيم وهذا اشارة الى ان الجنة لاتنال الا بكرمه تعالى (واغفر لابى) أى اهده الى الايمان (انه كان من الضالين) من طريق الحق (ولا تخزنى يوم يبعثون) أى ولا تجعلنى من الذليلين ولا من المستحيين يوم يبعث العباد من القبور نخزى كل واحد على حسب مقامه فان حسنات الابرار سيئات المقربين كما ان درجات الابرار دركات المقربين (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) فيوم بدل من يوم قبله والا من أتى مفعول لينفع أى لا ينفع مال وان كان مصروفا فى الدنيا الى وجوه الخيرات ولا بنون وان كانوا صلحاء الا أحدا سلم قلبه عن الكفر والاخلاق الرذيلة فينفعه ماله الذى أنفقه فى الخير وولده الصالح بدعائه وأما الذنوب فلا يسلم منها أحد (وأزلفت الجنة للمتقين) أى ويوم قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصى بحيث يشاهدونها من الموقف فيبتهجون بانهم المحشورون اليها (وبرزت الجحيم للغاوين) أى ويوم جعلت النار ظاهرة للضالين عن طريق الايمان والتقوى بحيث يرونها مع مافيها فيتحزنون على انهم المسوقون اليها (وقيل لهم) على سبيل التوبيخ (أين ما كنتم تعبدون من دون الله) أى أين آلهتكم الذين كنتم تزعمون فى الدنيا انهم شفعاؤكم فى هذا الموقف (هل ينصرونكم) بدفع عذاب الله عنكم (أو ينتصرون) أى أو ينفعون أنفسهم بامتناعهم من العذاب فانهم وآلهتهم وقود النار وهو قوله تعالى (فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون) أى فألقى فى الجحيم الاصنام والذين عبدوها والذين أضلوهم على وجوههم مرة بعد أخرى الى أن يستقروا فى قعرها فيجتمعون فى العذاب لاجتماعهم فيما يوجبه (قالوا) أى العابدون معترفين بخطئهم فى انهماكهم فى الضلالة (وهم فيها يختصمون) أى والحال أنهم فى الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم (تالله ان كنا لفى ضلال مبين) وهذا معمول لقالوا وجملة وهم فيها الخ فى محل نصب على الحال وان مخففة من الثقيلة قد حذف اسمها الذى هو ضمير الشأن واللام فارقة بينها وبين النافية أى ان الشأن كنا فى ضلال واضح لاخفاء فيه (اذ نسويكم برب العالمين) ظرف لكونهم فى ضلال مبين أى تالله لقد كنا فى غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا اياكم أيها الاصنام برب العالمين الذى أنتم أذل مخلوقاته فى استحقاق العبادة (وما أضلنا الا المجرمون) أى الذين دعونا الى عبادة الاصنام من رؤسائنا وكبرائنا (فما لنا من شافعين) كما نرى المؤمنين ان لهم شفعاء من الملائكة والنبيين (ولا صديق حميم) أى خالص مع موافقة الدين كما نرى أن المؤمنين أصدقاء لانه لا يتصادق فى الآخرة الا المؤمنون وأما أهل النار فبينهم التعادى والتباغض وفى بعض الاخبار يجىء يوم القيامة عبد يحاسب فيستوى حسناته وسيآته فيقول الله تعالى عبدى بقيت لك حسنة ان كنت تريد أن أدخلك الجنة انظر واطلب من الناس لعل واحدا يهب منك حسنة واحدة فيأتى العبد فى الصفوف ويطلب من أبيه ثم من أمه ثم من أصحابه فلا يجيبه أحد وكل يقول له أنا اليوم مفتقر الى حسنة واحدة فيرجع الى مكانه فيسأله الله تعالى ويقول ماذا جئت به فيقول يارب لم يعطنى أحد حسنة واحدة من حسناته فيقول الله تعالى ياعبدى ألم يكن لك صديق فى فيذكر العبد ويقول فلان كان صديقا لى فيدله الله عليه فيأتيه فيكلمه فى حاجته فيقول بلى لى عبادات كثيرة اقبلها منى فقد وهبتها منك فيجىء هذا العبد الى موضعه ويخبر بذلك ربه فيقول الله تعالى قد قبلتها

(واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) أى ذكرا جميلا وثناء حسنا فى الأمم التى تجىء بعدى (واجعلنى من ورثة جنة النعيم) أى ممن يرث الجنة بفضلك ورحمتك وقوله (الا من أتى الله بقلب سليم) أى سلم من الشرك (وأزلفت الجنة) أى قربت (للمتقين وبرزت) يعنى وأظهرت (الجحيم للغاوين) أى الكافرين (فكبكبوا) أى طرح بعضهم على بعض فى الجحيم (هم والغاوون) يعنى الشياطين (وجنود ابليس) يعنى أتباعه من الانس والجن (قالوا) للشياطين المعبودين (تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم) أى نعدلكم (برب العالمين) أى فى العبادة (وما أضلنا) أى وما دعانا الى الضلال (الا المجرمون) الأولون الذين اقتدينا بهم (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) أى قريب يشفع لنا

منه ولم أنقص من حقه شيأ أو قد غفرت لك وله (فلو أن لنا كرة) أي فليت لنا رجعة الى الدنيا (فنكون من المؤمنين) منصوب في جواب التمني (ان في ذلك) أي فيما ذكر من نبا ابراهيم المشتمل على بيان بطلان ما عليه أهل مكة من عبادة الاصنام (لآية) أي لعظة لمن أراد أن يعتبر وحجة لمن أراد أن يستبصر بها (وما كان أكثرهم مؤمنين) أي وما أكثر هؤلاء الذين تتلو عليهم النبأ مؤمنين بل هم مصرون على الكفر والضلال (وان ربك لهو العزيز الرحيم) أي لهو القادر على تعجيل العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعة ليؤمن بعض منهم أو من ذرياتهم (كذبت قوم نوح المرسلين) بتكذيبهم نوحا فمن كذب واحدا من الرسل فقد كذب الكل لان الاخير جاء بما جاء به الاول من التوحيد وأصول الشرائع التي لا تختلف باختلاف الازمنة (اذ قال لهم أخوهم) في النسب (نوح ألا تتقون) الله حيث تعبدون غيره (اني لكم رسول) من الله تعالى (أمين) أي مشهور بالامانة فيما منكم فكيف تتهموني اليوم (فاتقوا الله وأطيعون) فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى (وما أسألكم عليه من أجر) أي وما أسألكم على هذا النصح أجرة (ان أجري) أي ما ثوابي في دعائي لكم (الا على رب العالمين) وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص بفتح الياء في أجري في المواضع الخمسة في هذه السورة والباقون بالسكون (فاتقوا الله وأطيعون) أي اتبعوا وصيتي وكرر الامر بالتقوى لان المعنى في الاول ألا تتقون مخالفتي وأنا رسول الله وفي الثاني ألا تتقون مخالفتي ولست آخذا منكم أجرة فلا تكرار فيه لان المعنى مختلف (قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون) والواو للحال أي أنصدقك يا نوح لاجل قولك هذا والحال انه قد اتبعك فقراء الناس وضعفاؤهم من النسب قيل هم من أهل الصناعات الخسيسة كالحجامة والحياكة وقرأ يعقوب وأتباعك الارذلون فهو مبتدأ وخبر والجملة حال والاتباع جمع تابع أو تبع كاشهاد وابطال (قال) نوح (وما علمي بما كانوا يعملون) وهذا جواب عما أشير اليه من قولهم انهم لم يؤمنوا عن نظر واخلاص عمل وانما آمنوا بالهوى والطمع في العزة والمال وكان زائدة أي ما وظيفتي لاعتبار الظواهر دون التفتيش عن بواطنهم ولم أكلف العلم بأعمالهم وانما كلفت أن أدعوهم الى الايمان فالاعتبار بالايمان لا بالصنائع (ان حسابهم الا على ربي) أي ما محاسبة أعمالهم وبواطنهم الا على ربي فانه مطلع على السرائر (لو تشعرون) أي لو كنتم من أهل الشعور لعلمتم ذلك فلم تقولوا ما قلتم (وما أنا بطارد المؤمنين) بأن لا أقبل الايمان منهم للطمع في ايمانكم (ان أنا الا نذير مبين) أي ما أنا الا مبعوث لانذاركم بالبرهان الواضح ولزجر المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا من الاعزاء أو من الاراذل وقد فعلت وليس على استرضاء بعضكم بطرد الفقراء لاجل اتباع الاغنياء (قالوا لئن لم تنته يا نوح) عن مقالتك (لتكونن من المرجومين) أي من المقتولين كما قتلنا من آمن بك من الغرباء وقال الكلبي ومقاتل أي من المقتولين بالحجارة وقال الضحاك أي من المشتومين (قال) نوح عند حصول اليأس من فلاحهم شاكيا الى الله تعالى (رب ان قومي كذبون) في الرسالة وقتلوا من آمن بي من الغرباء (فافتح بيني وبينهم فتحا) أي احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا وافتح لنا من أبواب عدلك على مستحقيه بأن تنزل العقوبة بهم وبابا من أبواب فضلك على مستحقيه (ونجني ومن معي من المؤمنين) مما تعذب به الكافرين وكان المؤمنون ثمانين أربعين من الرجال وأربعين من النساء (فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون) أي حال كونهم في السفينة الموقرة بالناس والحيوان والطير وبما لا بد لهم منه (ثم أغرقنا بعد الباقين) أي أغرقنا بعد ركوب نوح والمؤمنين على السفينة الباقين على الارض من قومه (ان في ذلك) أي الانجاء والاهلاك (لآية) أي لعبرة لمن بعدهم (وما كان أكثرهم مؤمنين) أي ما أكثر

(فلو أن لنا كرة) أي رجعة الى الدنيا (فنكون من المؤمنين) يعني فيؤمنوا وقوله (اني لكم رسول أمين) على الوحي والرسالة لانكم عرفتموني قبل هذا بالأمانة وقوله (واتبعك الأرذلون) يعني السفلة والحاكة وقوله (من المرجومين) أي من المشتومين وقيل من المقتولين (في الفلك المشحون) أي المملوء وقوله

هؤلاء الذين سمعوا قصتهم من النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنين (وان ربك لهو العزيز الرحيم) أى لهو القادر على تعجيل العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم لانه رحيم ذو حكمة (كذبت عاد المرسلين) أى كذبت قوم هود هودا وسائر الرسل الذين ذكرهم هود فعاد اسم قبيلة هود سميت باسم أبيها الاعلى وكان من نسل سام ابن نوح (اذ قال لهم أخوهم) فى النسب نبيهم (هود ألا تتقون) الله فتفعلون ماتفعلون (انى لكم رسول أمين) على الرسالة (فاتقوا الله وأطيعون) فيما آمركم به من الايمان والتوبة (وما أسألكم عليه) أى الدعاء الى التوحيد (من أجر ان أجرى الا على رب العالمين) وكان هود تاجرا جيل الصورة يشبه آدم وعاش من العمر أربعمائة وأربعا وستين سنة (أتبنون بكل ريع آية تعبثون) أى أتبنون بكل مكان مرتفع علامة تعبثون فيها بمن يمر بكم وقيل انهم كانوا يبنون فى الاماكن المرتفعة ليعرف بذلك غناهم تفاخرا (وتتخذون مصانع) أى حيضانا تجمعون فيها ماء المطر فهى من نوع الصهاريج وقيل القصور (لعلكم تخلدون) أى مؤملين أن تخلدوا فى الدنيا لانكاركم البعث فلعل للترجى وهو للتوبيخ وقيل للتعليل ويؤيده قراءة عبد الله كى تخلدون وقيل معناها التشبيه ويؤيده مافى مصحف أبى كأنكم تخلدون وقرئ كأنكم خالدون وقرئ تخلدون بضم التاء مع تخفيف اللام وتشديدها (واذا بطشتم بطشتم جبارين) أى اذا أخذتم بالعقوبة على أحد بأن ضربتم أحدا بسوط أو قتلتم بالسيف فعلتم فعل الغاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ولا نظر فى العاقبة والحاصل أنهم أحبوا العلو بقاء العلو والتفرد بالعلو وكل ذلك ينبه على أن حب الدنيا رأس كل خطيئة وعنوان كل معصية (فاتقوا الله) بترك هذه الافعال (وأطيعون) فيما أدعوكم اليه فانه أنفع لكم (واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون) أى واخشوا الذى أعطاكم مالا خفاء فيه عليكم من أنواع النعم الحاصلة لكم ثم بين هود عليه السلام ما أعطاهم الله تعالى فقال (أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) فأنتم تنتفعون بذلك كله فلا تغفلوا عن تقييده بالشكر (انى أخاف عليكم) ان لم تقوموا بشكر هذه النعم (عذاب يوم عظيم) فى الدنيا والآخرة فان كفران النعم مستتبع للعذاب (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) فالا ان يرجع عما نحن فيه لاجل وعظك ايانا (ان هذا الا خلق الاولين) وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة بضم الخاء واللام أى ماهذا الذى جئتنا به من الكذب الا عادة الاولين كانوا يسطرونه أو ماهذا الذى نحن عليه من الدين الا عادة آبائنا الاولين يدينون به ونحن بهم مقتدون أو ماهذا الذى نحن عليه من الموت والحياة والبلاء والعافية ومن اعتقاد ان لا بعث ولا حساب ولا جزاء الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها من قديم الدهر وقرأ الباقون بفتح الخاء وسكون اللام أى ماهذا الذى جئت به الا كذب الاولين أو ماخلقنا هذا الا خلق الامم الماضية نحيى كحياتهم ونموت كمماتهم ولا بعث ولا حساب (وما نحن بمعذبين) على مانحن عليه من الاعمال كما تقول (فكذبوه) فى وعيده لهم بالعذاب (فأهلكناهم) بريح باردة شديدة الصوت (ان فى ذلك) الاهلاك (لآية) أى لعبرة لمن بعدهم (وما كان أكثرهم) أى وماصار أكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم من قوم محمد صلى الله عليه وسلم (مؤمنين وان ربك لهو العزيز) أى الغالب على مايريده من انتقام المكذبين (الرحيم) أى المبالغ فى الرحمة ولذلك يمهلهم بعدم ايمانهم لحكمة يعلمها (كذبت ثمود المرسلين) أى كذبت جماعة صالح صالحا فثمود اسم قبيلة صالح سميت باسم أبيها وهو ثمود جد صالح وعاش صالح من العمر مائتين وثمانين سنة وبينه وبين هود مائة سنة (اذ قال لهم أخوهم) فى نسب نبيهم (صالح ألا تتقون) الله (انى لكم رسول) من الله (أمين) فى جميع ما أرسلت به اليكم منه (فاتقوا الله وأطيعون) أى اتبعوا دينى وأمرى

(أتبنون بكل ريع) أى بكل شرف ومكان مرتفع (آية) أى علما (تعبثون) أى تلعبون يعنى أبنية الحمام وبروجها (وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) أى تتخذون مبانى وقصور اللخلود لا تفكرون فى الموت (واذا بطشتم بطشتم جبارين) أى اذا ضربتم ضربتم بالسياط وقتلتم قتل الجبارين الذين يقتلون على الغضب بغير حق وقوله (ان هذا) ماهذا الذى تدعونا اليه (الا خلق الأولين) أى كذبهم وافتراؤهم ومن قرأ خلق الأولين فمعناه عادة الأولين أى الذى نحن فيه عادة الأولين يعنى يعيشون ماعاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب وقوله

(وما أسألكم عليه) أى على ما بينتكم (به من أجر ان أجرى الا على رب العالمين) لتعليمهم
الناس ان من عمل لله لا ينبغى ان يطلب من غير الله و ينبغى للعلماء أن يتأدبوا بآداب الانبياء
فلا يطلبوا من الناس شيأ فى بث علومهم ولا ينتفعوا منهم بالتذكير لهم ومن انتفع من المستمعين من
الدين فلا بركة فيما يأخذه منهم (أتتركون فيما ههنا آمنين) أى أتظنون أنكم تتركون فى الدنيا آمنين
من العذاب وانه لا دار للمجازاة أى لا ينبغى لكم أن تعتقدوا أنكم تتقلبون فى النعم التى فى دياركم
آمنين من الزوال والعذاب فلا تطمعوا فى ذلك ثم فسر ذلك المكان بقوله (فى جنات وعيون وزروع
ونخل طلعها هضيم) أى لطيف لين والطلع ثمر النخل فى أول ما يطلع و بعده يسمى خلالا ثم بلحا ثم
بسرا ثم رطبا ثم تمرا (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) وقرأ ابن عامر والكوفيون بألف بعد الفاء
أى ماهرين فى العمل و يعملون بنشاط وطيب قلب وقرأ الباقون بغير ألف أى متكبرين لا للحاجة
فالغالب على قوم صالح هو اللذات الحسية وهى طلب المأكول والمشروب والمساكن الطيبة وأما الغالب
على قوم هود فهو اللذات الخيالية وهى طلب الاستعلاء والتجبر (فاتقوا الله وأطيعون) فى كل ما
أمرتكم به (ولا تطيعوا أمر المسرفين) أى المستكثرين من لذات الدنيا وشهواتها بل اكتفوا
واقتصروا منها بقدر الكفاف (الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون) وهذا بيان ان فسادهم فساد
خالص ليس معه شئ من الصلاح فان حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح (قالوا انما أنت من
المسحرين) أى ممن يأكلون الطعام ويشربون الشراب كما قال الفراء المسحر من له جوف (ما أنت الا
بشر مثلنا) فكيف تكون نبيا (فأت بآية) أى بعلامة تدل على صدقك (ان كنت من الصادقين)
فى دعواك انك رسول الينا فقال لهم صالح ماتريدون قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة
فتلد سقبا فأخذ صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة
و بركت بين أيديهم ونتجت سقبا مثلها فى العظم وعن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه رأيت مبركها
فاذا هو ستون ذراعا فى ستين ذراعا (قال) لهم صالح (هذه ناقة) دالة على نبوتى أخرجها ربى من
الصخرة كما اقترحتم (لها شرب) أى نصيب من الماء تشرب منه يوما (ولكم شرب يوم معلوم) أى
ولكم نصيب من الماء تشربون منه يوما ولا تزاحموا على شربها (ولا تمسوها بسوء) كضرب وعقر
(فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها) روى أن مصدعا ألجأها الى مضيق فرماها بسهم فسقطت ثم
ضربها قدار بالسيف فى ساقها قال مقاتل وغيره فخرج فى أبدانهم خراج مثل الحمص فكان فى اليوم
الاول أحمر ثم صار فى الغد أصفر ثم صار فى الثالث أسود وكان عقر الناقة يوم الاربعاء وهلاكهم يوم
الاحد انفقعت فيه تلك الخراجات وصاح عليهم جبريل صيحة فماتوا بالامرين وكان ذلك ضحوة
(فأصبحوا نادمين) أى فصاروا نادمين على قتلها لما ندم الخائفين من العذاب العاجل أو ندم التائبين
عند معاينة العذاب فلم ينفعهم الندم (فأخذهم العذاب) الموعود على عقرها (ان فى ذلك) أى فى
أخذهم بالعذاب (لآية) أى لعبرة لمن بعدهم (وما كان أكثرهم) أى أكثر هؤلاء الذين سمعوا
القصة من قريش (مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) حيث لا يعاجلهم بالعذاب (كذبت قوم
لوط المرسلين) فمن كذب رسولا فقد كذب الكل (اذ قال لهم أخوهم) فى البلد لا فى النسب نبيهم
(لوط) فان لوطا ابن أخى ابراهيم وهما من بلاد المشرق من أرض بابل ولوط كان مجاورا لهم فى قريتهم
(ألا تتقون) عبادة غير الله (انى لكم رسول) من الله (أمين) على الرسالة (فاتقوا الله) فيما
أمركم به (وأطيعون) أى اتبعوا أمرى (وما أسألكم عليه) أى الدعاء الى الله تعالى (من أجر
ان أجرى الا على رب العالمين) أى جامع الخلق ومربيهم (أتأتون الذكران من العالمين) أى أتأتون

(أتتركون فيما ههنا) أى
فى الدنيا (آمنين) أى من
الموت والعذاب وقوله
(ونخل طلعها) أى ثمرها
(هضيم) أى لين نضيج
(وتنحتون من الجبال
بيوتا فارهين) أى حاذقين
بنحتها فرهين أى أشرين
بطرين وكانوا معمرين
لا يبقى البناء مع عمرهم
فنحتوا فى الجبال بيوتا
وقوله (انما أنت من
المسحرين) أى من الذين
سحروا مرة بعد أخرى
وقيل ممن له سحر وهو الرئة
أى أنت بشر مثلنا وقوله
(لها شرب) أى حظ
ونصيب من الماء (ولا
تمسوها بسوء) أى بعقر
وقوله (أتأتون الذكران
من العالمين) يريد ما كان
من فعل قوم لوط من اتيان
الرجال فى أدبارهم

الذكران من أولاد آدم مع كون النساء أليق بالاستمتاع (وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم) أي وتتركون اناثا أباحها لكم ربكم هي أزواجكم لاجل استمتاعكم أو وتتركون فروجا أحل لكم ربكم حال كونها بعض أزواجكم (بل أنتم قوم عادون) أي متجاوزون الحد في جميع المعاصي باتيانكم هذه الفاحشة أو متجاوزون عن حد الشهوة حيث زدتم على سائر الحيوانات (قالوا لئن لم تنته يالوط) عن تقبيح أمرنا (لتكونن من المخرجين) أي من جملة من أخرجناه من بلدنا سدوم (قال) لوط (انى لعملكم من القالين) أي انى لعملكم الخبيث لمبغض من المبغضين غاية البغض فلا أقف عن الانكار عليه بالابعاد عنكم ثم توجه لوط الى الله تعالى قائلا (رب نجني وأهلي مما يعملون) أي من شؤم عملهم (فنجيناه وأهله) أي بنتيه وامرأته المؤمنة ومن اتبعه في الدين (أجمعين) مما عذبناهم به باخراجهم من بينهم عند قرب حلول العذاب بهم (الاعجوزا) هي امرأة لوط المنافقة (في الغابرين) أي الاعجوزا مقدرا كونها من الباقين في العذاب لانها كانت راضية بفعل القوم وقد أصابها الحجر في الطريق (ثم دمرنا الآخرين) أي أهلكنا المتأخر عن اتباع لوط بقلب قراهم عليهم وجعل أعلاها سافلها (وأمطرنا عليهم) أي على من كان منهم خارج القرى لسفر أو غيره (مطرا) غير معتاد حجارة من السماء فأهلكتهم (فساء مطر المنذرين) أي فبئس مطر جنس المنذرين مطر قوم لوط بالحجارة (ان في ذلك) أي فيما فعلنا بهم (لآية) أي دلالة على عزة الله وعظمته (وما كان أكثرهم) أي أكثر من تلوت عليهم القصة (مؤمنين) فان أكثر الخلق لئام وكرامهم قليلون كما قال الشاعر

تعيرنا انا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكريم قليل

(وان ربك لهو العزيز الرحيم) فلا يهتدى الى عديم النظير الاذلاء ويهتدى اليه برحمته الفائضة من كانت همته عالية (كذب أصحاب الايكة المرسلين) أي كذب أصحاب شجر ملتف بقرب مدين شعيبا وجملة المرسلين وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر في هذه السورة وفي ص خاصة ليكة بلام واحدة وفتح التاء وهي غير منصرف للعلمية والتأنيث واللام جزء الكلمة وهو اسم لبلدة لاصحاب الحجر وقال أبو عبيدة ان ليكة اسم للقرية التي كانوا عليها والايكة اسم للبلاد كلها (اذ قال لهم) نبيهم (شعيب ألا تتقون) الله الذي تفضل عليكم بنعمه (انى لكم رسول) من عند الله فهو أمرني أن أقول لكم ذلك (أمين) لا خيانة عندي (فاتقوا الله) المحسن اليكم بهذه الغيضة وغيرها (وأطيعون) لما أنت من نصحي لكم (وما أسألكم عليه) أي على دعائي لكم الى الايمان بالله تعالى (من أجر ان أجري الا على رب العالمين) أي المحسن الى الخلائق كلهم فاني لا أرجو أحدا سواه (أوفوا الكيل) أي أتموه اذا كلتم للناس كما توفونه اذا أخذتم منهم (ولا تكونوا من المخسرين) أي الناقصين لحقوق الناس (وزنوا بالقسطاس المستقيم) أي بالميزان العدل وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف والباقون بالضم (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أي لا تنقصوا شيأ من حقوق الناس في كيل ووزن أو غير ذلك (ولا تعثوا في الارض مفسدين) ولا تعملوا المعاصي في الارض قطع الطريق والغارة واهلاك الزرع والدعاء الى غير عبادة الله فانهم كانوا يفعلون ذلك (واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين) أي الخلائق الماضين الذين كانوا على خلقة عظيمة وطبيعة غليظة كقوم هود وقوم لوط وقرأ العامة الجبلة على كسر الجيم والباء وتشديد اللام وأبو حصين والاعمش والحسن بضمهما وتشديد اللام والسلمي بفتح الجيم أو كسرها مع سكون الباء (قالوا انما أنت من المسحرين) أي المجوفين مثلنا فلست بملك (وما أنت الا بشر مثلنا) تأكل وتشرب كما نفعل فلا وجه لتخصيصك بالرسالة (وان نظنك لمن الكاذبين) فان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي وانا نظنك لمن الكاذبين في

(وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم) أي وتدعون ان تأتوا نساءكم (بل أنتم قوم عادون) أي ظالمون غاية الظلم (قالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين) عن بلدنا (قال انى لعملكم) يعني اللواط (من القالين) أي من المبغضين وقوله (الاعجوزا) يعني امرأته (في الغابرين) أي الباقين في العذاب (ثم دمرنا) أي أهلكنا (كذب أصحاب الآيكة) وهي الغيضة وهم قوم شعيب (أوفوا الكيل) أتموها (ولا تكونوا من المخسرين) أي الناقصين للكيل والوزن وقوله (والجبلة الأولين) أي الخليقة السابقين

دعواك أنك رسول من الله ثم ان شعيبا كان هددهم بالعذاب ان استمروا على التكذيب فقالوا (فأسقط علينا كسفا من السماء) أى فأسقط علينا قطعا من السحاب (ان كنت من الصادقين) فى دعواك وقرأ حفص بفتح السين والباقون بالسكون وانما طلبوا ذلك لتصميمهم على التكذيب واستبعادهم وقوعه فعند ذلك فوض شعيب عليه السلام أمرهم الى الله تعالى (قال ربى أعلم بما تعملون) وبما تستحقون بسببه من العذاب (فكذبوه) أى أصروا على تكذيبه بالرسالة (فأخذهم عذاب يوم الظلة) وفى اضافة العذاب الى يوم دون الظلة اعلام بأن لهم يومئذ عذابا آخر غير عذاب السحاب كما روى ان الله تعالى فتح عليهم بابا من أبواب جهنم وأرسل عليهم هدة وحرا شديدا مع سكون الريح سبعة أيام بلياليها فأخذ بأنفاسهم فدخلوا بيوتهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فأنضجهم الحر فخرجوا هرابا فأرسل الله تعالى سحابة فأظلتهم فوجدوا لها بردا وروحا وريحا طيبة فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلى فصاروا رمادا (انه) أى ذلك العذاب (كان عذاب يوم عظيم) فى الشدة والهول قال قتادة بعث الله شعيبا الى أمتين أصحاب الأيكة وأهل مدين فأهلكت أصحاب الأيكة بالظلة وأهل مدين بصيحة جبريل عليه السلام (ان فى ذلك) أى فيما فعلنا بهم (لآية) أى دلالة واضحة على صدق الرسل (وما كان أكثرهم) أى أكثر قومك (مؤمنين) مع أنك قد أتيت قومك بما لا يكون معه شك لو لم يكن لهم معرفة بك قبل ذلك فكيف وهم عارفون بأنك كنت قبل الرسالة أصدقهم لهجة وأعظمهم أمانة وأغزرهم عقلا وأبعدهم عن كل ذى دنس (وان ربك لهو العزيز الرحيم) بالامهال وهذا آخر القصص السبع التى ذكرها الله تعالى تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين له وكل قصة من هذه القصص ذكر مستقل متجدد التنزول قد أتاهم من الله تعالى وما كان أكثرهم مؤمنين بعدما سمعوها على التفصيل قصة بعد قصة بأن لا يعتبروا بما فى كل واحدة منها من الدواعى الى الايمان والزواجر عن الكفر والطغيان وبأن لا يتأملوا فى شأن الآيات الكريمة الناطقة بتلك القصص على ما هى عليه مع علمهم بأنه صلى الله عليه وسلم لم يسمع شيأ منها من أحد أصلا وصاروا كأنهم لم يسمعوا شيأ يزجرهم عن الكفر والضلال واستمروا على ذلك (وانه) أى القرآن الذى من جملته هذه القصص (لتنزيل رب العالمين) أى منزل من خالق المخلوقين فليس بشعر ولا أساطير الاولين ولا غير ذلك مما قالوه فيه (نزل به الروح الامين) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص بتخفيف الزاى ورفع الروح والباقون بتشديد الزاى ونصب الروح وذكر الله تعالى دليل التنزيل بقوله تعالى نزل به الروح الى آخره فالروح هو جبريل عليه السلام سمى بالروح لانه به نجاة الخلق فى باب الدين فهو كالروح الذى تثبت معه الحياة وبالامين لأنه مؤتمن على ما يؤديه الى الانبياء عليهم السلام (على قلبك) أى جعل الله تعالى جبريل نازلا بالقرآن على قدر حفظك أى فهمك القرآن وأثبته فى قلبك اثبات ما لا ينسى وهذا تنبيه على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ان الاخبار عن هذه القصص ممن لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله تعالى (لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين) أى أنزل الله تعالى القرآن لتنذرهم بما فيه من العقوبات الهائلة وكان انزاله بلغة عربية واضحة المعنى لئلا يبقى لهم عذر ما له منه مناص لو نزله باللسان الاعجمى لقالوا له صلى الله عليه وسلم ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وقوله لتكون متعلق بنزل وكذا قوله بلسان ويجوز ان يكون بدلا من به وأما جعله متعلقا بالمنذرين فيفيد ان غاية الانزال كونه صلى الله عليه وسلم من جملة المنذرين باللغة العربية فقط وهذا لا ينبغى فان سبب كونه صلى الله عليه وسلم من جملة المنذرين مجرد انزال القرآن عليه صلى الله عليه وسلم لا انزاله بخصوص اللسان العربى

والذين

(فأسقط علينا كسفا من السماء) أى قطعة (قال ربى أعلم بما تعملون) فيجازيكم به وما على الا الدعوة (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة) وذلك أن الحر أخذهم فلم ينفعهم ماء ولا كن فخرجوا الى البرية فأظلتهم سحابة فوجدوا لها بردا واجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا (وانه) يعنى القرآن (لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين) يعنى جبريل عليه السلام (على قلبك) حتى وعيته

والذين أنذروا باللسان العربي خمسة فقط محمد واسمعيل وهود وصالح وشعيب عليهم الصلاة والسلام (وانه لفي زبر الاولين) أي وان معنى القرآن وصفته لفي الكتب المتقدمة فان الله تعالى أخبر في كتب الاولين عن القرآن وانزاله في آخر الزمان والله تعالى بين أصول معانيه في كتبهم (أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل) أي أغفل أهل مكة عن القرآن ولم يكن لهم آية دالة على انه تنزيل من رب العالمين وانه في زبر الاولين ان يعرفه علماء بني اسرائيل بنعوته المذكورة في كتبهم ويعرفوا من أنزل عليه وكانوا خمسة أسد وأسد وابن يامين وثعلبة وعبدالله بن سلام فهؤلاء الخمسة من علماء اليهود وقد حسن اسلامهم قال ابن عباس بعث أهل مكة الى اليهود بالمدينة فسألوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا زمانه وانا لنجد نعته في التوراة فكان ذلك آية على صدقه صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن عامر تكن بالتأنيث ورفع آية على انه اسمها ولهم خبرها وان يعلمه بدل من اسمها أو على انه فاعل لها ولهم حال وان يعلمه بدل من الفاعل ولا يجوز أن يكون آية اسمها وان يعلمه خبرها لانه يلزم عليه جعل الاسم نكرة والخبر معرفة والباقون يكن بالتذكير ونصب آية على انه خبرها وان يعلمه اسمها (ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) أي ولو نزلنا القرآن كما هو على رجل أعجمي فقرأه على أهل مكة قراءة صحيحة خارقة للعادة ما كانوا مؤمنين به مع ان الاعجمي لا يتهم باكتسابه أصلا لفقد الفصاحة فيه ولا باختراعه لكونه ليس بلغته لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم في المكابرة (كذلك سلكناه في قلوب المجرمين) أي مثل ذلك الادخال أدخلنا القرآن في قلوب كفار مكة ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته من حيث النظم المعجز ومن حيث الاخبار عن الغيب وقد انضم اليه اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على البشارة بانزاله ونعته من أنزل عليه بأوصافه وكيفما فعل بهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من الانكار (لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم) الملجئ للايمان به فيؤمنون حين لا ينفعهم الايمان (فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) باتيان العذاب (فيقولوا) تأسفا على مافات من الايمان (هل نحن منظرون) وهو استفهام طمع في المحال وهو امهالهم بعد مجيء العذاب وهم في الآخرة يعلمون أن لا ملجأ لهم لكنهم يذكرون ذلك استرواحا (أفبعذابنا يستعجلون) أي أيكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الاليم فيستعجلون بعذابنا في الدنيا بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ونحو ذلك (أفرأيت) أي اخبرني أيها المخاطب (ان متعناهم) في الدنيا بطول الاعمار وطيب المعاش (سنين) متطاولة (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) أي أي شيء أفادهم كونهم متمتعين ذلك التمتيع المديد من دفع العذاب وقرئ يمتعون بسكون الميم (وما أهلكنا من قرية) من القرى المهلكة (الا لها منذرون) أي رسل قد أنذروا أهلها الزاما للحجة (ذكرى) أي لاجل تذكيرهم العواقب وهو منصوب على انه مفعول لاجله أو مفعول مطلق منصوب بمنذرون لان التذكرة في معنى الانذار أو منصوب بفعل مقدر هو صفة لمنذرون أي الا لها منذرون يذكرونهم ذكرى ويجوز ان يكون ذكرى مفعولا له علة لأهلكنا والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين الا بعدما ألزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم عبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم (وما كنا ظالمين) فنهلك قوما غير ظالمين وقبل الانذار (وما تنزلت به الشياطين) وهذا رد لقول الكفار لم لا يجوز أن يكون هذا القرآن من القاء الجن والشياطين الى محمد على لسانه كسائر ما ينزل على الكهنة من أخبار السماء (وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون) أي ان الشياطين لممنوعون عن الاستماع للوحي كيف لا ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة غير مستعدة لا لقبول ما لا خير فيه أصلا من

(وانه) أي وان ذكر محمد (لفي زبر) يريد في كتب (الأولين أولم يكن لهم) أي للمشركين (آية) أي دلالة على صدقه (ان يعلمه علماء بني اسرائيل) أي يعلمون محمدا بالنبوة والرسالة (ولو نزلناه) يعني القرآن (على بعض الأعجمين) جمع الأعجم وهو الذي لا يحسن العربية (فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) أنفة من اتباعه (كذلك سلكناه) أي ادخلنا التكذيب (في قلوب المجرمين) فذلك الذي منعهم من الايمان الى قوله (هل نحن منظرون) فلما نزلت هذه الآية قالوا الى متى توعدنا فانزل الله هذه الآية (أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت ان متعناهم) بالدنيا وأبقيناهم فيها (سنين ثم جاءهم) العذاب لم ينفعهم امتاعهم بالدنيا فيما قبل (وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون) أي رسل ينذرونهم (ذكرى) أي انذارا بالموعظة (وما كنا ظالمين) أي في اهلاكهم بعد اقامة الحجة عليهم (وما تنزلت به) أي بالقرآن (الشياطين وما ينبغي لهم) أي ذلك (وما يستطيعون) ذلك (انهم عن) استراق (السمع) عن السماء (لمعزولون) يعني بالشهب

فنون الشرور قال بعضهم وهذا اشارة الى انه ليس للشياطين استعداد تنزيل القرآن ولاقوة حمله وسمع فهمه لانهم خلقوا من النار والقرآن نور قديم فلا يكون للنار المخلوقة قوة حمل النور القديم ألا ترى ان نار الجحيم كيف تستغيث عند مرور المؤمنين عليها وتقول جز يامؤمن فقد أطفأ نورك لهبي فاذا لم يكن لهم استطاعة على حمل القرآن ولاقوة على سمعه كيف يمكن لهم تنزيله وان وجد فيهم السمع الذى هو الادراك لانهم حرموا الفهم المؤدى للاستجابة لما دعوا اليه (فلا تدع مع الله الها آخر) أى فلا تعبد مع الله الها غيره (فتكون من المعذبين) قال بعضهم وهذا يشير الى أن طلب غير الله من الدنيا والآخرة تتوجه القلب اليه أمارة عذاب الله وهو البعد من الله فن يكون أبعد من الله يكون عذابه أشد فكل طالب شئ يكون قريبا اليه بعيدا عما سواه فطالب الدنيا قريب من الدنيا بعيد عن الآخرة وطالب الآخرة قريب من الآخرة بعيد عن الله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حسنات الابرار سيئات المقربين فالابرار أهل الجنة وحسناتهم طلب الجنة والمقربون أهل الله وحسناتهم طلب الله وحده بلا شريك له وهذا الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمقصود غيره كما هو شأن الحكيم اذا أراد أن يؤكد الخطاب لاحد وجهه الى الرؤساء فى الظاهر ولانه تعالى أراد يتبعه ما يليق بذلك فلهذا أفرده صلى الله عليه وسلم بالمخاطبة بقوله تعالى (وأنذر عشيرتك الاقربين) الاقرب منهم فالاقرب وروى انه صلى الله عليه وسلم قال يابنى عبد المطلب يابنى هاشم يابنى عبد مناف افتدوا أنفسكم من النار فانى لاأغنى عنكم شيأ ثم قال ياعائشة بنت أبى بكر و ياحفصة بنت عمر و يافاطمة بنت محمد و ياصفية عمة محمد اشترين أنفسكن من النار فانى لاأغنى عنكن شيأ وروى محمد بن اسحق عن على رضى الله عنه انه قال لما نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم هذه الآية دعانى فقال ياعلى ان الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الاقربين فاصنع لى صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عساً من لبن ثم اجمع بنى عبد المطلب حتى أبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرنى به ثم دعوتهم اليه وهم يومئذ أربعون رجلا فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا دعانى بالطعام الذى صنعته فجئت به فلما وضعته تناول صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها فى نواحى الصحفة ثم قال كلوا بسم الله فأكل القوم حتى شبعوا ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بادره أبو لهب فقال سحركم محمد صاحبكم فتفرق القوم فقال ياعلى ان هذا الرجل قد سبق الى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فأعد لنا الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعتهم ثم دعانى بالطعام فقدمته ففعل كما فعل بالامس فأكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يابنى عبد المطلب انى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرنى الله أن أدعوكم اليه فأيكم يوازرنى على أمرى و يكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم فأحجم القوم جميعا عن ذلك الكلام فقلت يارسول الله أنا أكون وزيرك عليه قال على فأخذ صلى الله عليه وسلم برقبتى ثم قال ان هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا وأطيعوا فقام القوم يضحكون و يقولون لابى طالب قد أمرك أن تسمع لعلى وتطيع وروى أبو يعلى عن الزبير بن العوام ان قريشا جاءته فانذرهم فسألوه آيات سليمان فى الريح وداود فى الجبال وعيسى فى احياء الموتى ونحو ذلك وان يسير الجبال و يفجر الانهار و يجعل الصخرة ذهبا فأوحى الله تعالى اليه وهم عنده أخبرهم بأن أعطى ماسألوه ولكن ان أراهم كفروا وعوجلوا فاختار صلى الله عليه وسلم الصبر عليهم ليدخلهم الله باب الرحمة (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) أى لين جانبك لهم ومن للتبيين لان من اتبع أعم ممن اتبع لدين أو قرابة أو نسب (فان عصوك فقل انى برئ مما تعملون) ولا تبرأ منهم وقل لهم قولا بالنصح

(وأنذر) أى خوف (عشيرتك الأقربين) من أدانى أهلك وأقاربك (واخفض جناحك) أى لين جانبك وقوله

لعلهم يرجعون الى قبول الدعوة منك والمعنى فبعد انذار عشيرتك فتواضع لمن آمن منهم وتبرأ من عمل من خالفك منهم (وتوكل على العزيز الرحيم) أى فوض أمرك الى الذى يقهر أعداءك بعزته و ينصرك عليهم برحمته وقرأ نافع وابن عامر فتوكل بالفاء على الابدال من جواب الشرط والباقون بالواو على العطف على أنذر (الذى يراك حين تقوم) من نوم أو غيره الى الصلاة منفردا (وتقلبك فى الساجدين) أى و يرى تصرفك فى الصلاة بالقيام والركوع والسجود والقعود مع المصلين جماعة اذ كنت اماما لهم و يقال و يراك متنقلا فى أصلاب المؤمنين وأرحام المؤمنات من لدن آدم وحواء الى عبد الله وآمنة فجميع أصول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رجالا ونساء مؤمنون فلا يدخلهم الشرك مادام النور المحمدى فى الذكر وفى الانثى فاذا انتقل منه لمن بعده أمكن أن يعبد غير الله وآزر ماعبد الاصنام الا بعد انتقال النور منه لابراهيم وأما قبل انتقاله فلم يعبد غير الله (انه هو السميع العليم) فيسمع ماتقوله و يعلم ماتنويه وتعمله (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين) أى هل أخبركم يا كفار مكة على من تنزل الشياطين أى لما قال الكفار لم لا يجوز ان يقال ان الشياطين تنزل بالقرآن على محمد كما انهم ينزلون بالكهانة على الكهنة و بالشعر على الشعراء فرق الله تعالى بين محمد صلى الله عليه وسلم و بين الكهنة والشعراء فقال (تنزل على كل أفاك أثيم) أى تنزل الشياطين على كل من اتصف بالكذب الكثير والاثم الكبير وهو مسيلمة الكذاب وسطيح وطليحة (يلقون السمع) وهذه الجملة اما حال من فاعل تنزل المستتر أى يصغى الشياطين سمعهم الى الملائكة ليسترقوا شيأ أو يلقون الشئ المسموع الى الكهنة واما صفة لكل أفاك أثيم أى يصغى الكهنة سمعهم الى الشياطين أو يلقون ماسمعوه منهم الى عوام الخلق (وأكثرهم كاذبون) فالشياطين يسمعون الكهنة مالم يسمعوا من الملائكة كما جاء فى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة والكهنة يفترون على الشياطين مالم يوحوا اليهم (والشعراء يتبعهم الغاوون) أى الراوون الذين يروون هجاء المسلمين أى وشعراء الكفار يتكلمون بالكذب منهم عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن أبى وهب ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة عمرو بن عبد الله وأمية بن أبى الصلت وقالوا نحن نقول مثل مايقول محمد وقالوا شعرا واجتمع اليهم سفهاء قومهم يسمعون أشعارهم حين يهجون النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه و يروون عنهم قولهم وقرأ نافع بسكون التاء وفتح الباء الموحدة (ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون) أى ألم تعلم أيها المخاطب ان الشعراء يسيرون فى طرق مختلفة سير الحائرين من طرق القيل والقال فانهم قد يمدحون الشئ بعد ان ذموه و بالعكس وقد يعظمونه بعد ان استحقروه وبالعكس لانهم لايطلبون بشعرهم الصدق (وأنهم يقولون مالا يفعلون) فانهم يمدحون الجود و يحثون عليه ولايفعلونه و يذمون البخل و يصرون عليه و يهجون الناس بأدنى شئ صدر منهم ثم انهم لايفعلون الا الفواحش وذلك يدل على الضلالة (الا الذين آمنوا) بالله ورسوله (وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا) فلم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ويكون أكثر أشعارهم فى التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته وفى الحكمة والموعظة والزهد فى الدنيا والزجر عن الاغترار بزخارفها (وانتصروا من بعد ماظلموا) أى فلا يذكرون هجو أحد الا من يهجوهم من الكفار وذلك رد على هجو الكفار لرسول الله وأصحابه كما قال صلى الله عليه وسلم يوم قريظة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك وعن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضاء وابن رواحة يمشى بين يديه وهو يقول

خلوا بنى الكفار عن سبيله ⁕ اليوم نضربكم على تنزيله

(الذى يراك حين تقوم) الى صلاتك (وتقلبك) أى وتصرفك فى أركان الصلاة قائما وقاعدا وراكعا وساجدا (فى الساجدين) أى فى المصلين (هل أنبئكم) أى أخبركم (على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك) أى كذاب (أثيم) أى فاجر مثل مسيلمة وغيره من الكهنة (يلقون السمع) أى يلقون اليهم ماسمعوا و يخلطون بذلك كذبا كثيرا وكان هذا قبل ان حجبوا عن السماء (والشعراء يتبعهم الغاوون) يعنى شعراء الكفار كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتبعهم عليه وسلم الكفار (ألم تر انهم فى كل واد يهيمون) أى فى كل لغو يخوضون يمدحون بباطل و يشقون بباطل ثم استثنى شعراء المؤمنين فقال (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا) ردوا على من هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين

ضرباً يزيل الهام عن مقيله * ويذهب الخليل عن خليله

فقال له عمر يا ابن رواحة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حرم الله تقول شعرا فقال النبى صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فهى أسرع فيهم من نضح النبل وعن عائشة رضى الله عنها قالت ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فانه أشد عليهم من رشق النبل وعن أبى بن كعب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر لحكمة وقال الشعبى كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان عثمان يقول الشعر وكان على أشعر من الثلاثة (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) أى سيعلم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك وهجو رسول الله وأصحابه وبالاعراض عن تدبر هذه الآيات انهم ينقلبون كمال انقلاب لان مصيرهم الى النار وهو أقبح مصير ومرجعهم الى العذاب وهو أشر مرجع فالمنقلب هو الانتقال الى ضد ما هو فيه والمرجع هو العود من حال هو فيها الى حال كان عليها فصار كل مرجع منقلبا وليس كل منقلب مرجعا وقرئ أى منفلت ينفلتون أى وسيعلم الظالمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات فانهم يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله تعالى وأى منصوب ينقلبون ولا يجوز أن يكون منصوبا بسيعلم لان أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها لان الاستفهام معنى وما قبله معنى آخر فلو عمل فيه ما قبله لدخل بعض المعانى فى بعض

﴿ سورة النمل مكية وهى أربع وتسعون آية وألف ومائة وتسع وأربعون كلمة ﴾

﴿ وأربعة آلاف وسبعمائة وسبع وستون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(طس) أى هذا مسمى بطس (تلك) أى تلك السورة (آيات القرآن وكتاب مبين) أى مظهر للحكم والاحكام وأحوال الآخرة وقرأ ابن أبى عبلة برفع كتاب مبين (هدى وبشرى للمؤمنين) هما حالان من آيات أى هادية الى الله ومبشرة بالوصول الى الله بهدايته للمصدقين بتلك الآيات أو بدلان منها أو خبران آخران لتلك كما قال تعالى ألا من طلبنى وجدنى من طلبنى بدلالات القرآن وجدنى بالعيان (الذين يقيمون الصلاة) أى يأتون بالصلوات الخمس بشروطها ووضعها فى حقها (ويؤتون الزكاة) أى يعطونها بشرائطها (وهم بالآخرة هم يوقنون) أى هؤلاء هم الموقنون بالآخرة حق الايقان لا من عداهم لان تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب ورجاء الثواب (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) بأن خلقنا فى قلبه العلم بما فيها من المنافع واللذات ولا نخلق فى قلبه العلم بما فيها من المضار والآفات (فهم يعمهون) أى يترددون فيها (أولئك) أى الموصوفون بعدم الايمان بما فى الآخرة وبالعمه فى الاعمال (الذين لهم سوء العذاب) وهو عمى القلوب وصممه وبكمه (وهم فى الآخرة هم الأخسرون) أى أشد الناس خسرانا لفوات الثواب واستحقاق العقاب ولانهم خسروا الدنيا والآخرة ولم يربحوا المولى وذلك لان قوما من المختصين بتوفيق من الله يحبهم ويحبونه قد خسروا الدنيا والآخرة بتركهما وعدم الالتفات اليهما فى طلب المولى فربحوا المولى فلهذا لما وجد أبو يزيد فى البادية قحف رأس مكتوب عليه خسر الدنيا والآخرة بكى وقبل عليه وقال هذا رأس صوفى (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) أى وانك يا أشرف الخلق لتؤتى القرآن من عند ذات مصيب فى أفعاله لا يفعل شيأ الا على وفق علمه عليم بكل شئ سواء كان ذلك العلم مؤديا الى العمل أم لا وقال بعضهم أى انك جاوزت حد كمال كل رسول فانهم كانوا يتلقون الكتب بأيديهم من يد جبريل والرسالات من لطفه وحيا وانك تلقى حقائق القرآن من عند الله تعالى وان كنت تلقى القرآن بتنزيل جبريل على قلبك فالله تعالى علمك حقائق القرآن بأن جعلك بحكمته مستعد القبول فيض القرآن بلا واسطة وهو أعلم حيث يجعل

(وسيعلم الذين ظلموا) أى أشركوا (أى منقلب ينقلبون) أى مرجع يرجعون اليه بعد مماتهم

﴿ تفسير سورة النمل ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(طس تلك آيات القرآن) أى هذه تلك الآيات التى وعدتم بها وذلك أنهم وعدوا بالقرآن فى كتبهم (وكتاب مبين) أى وآيات كتاب مبين (هدى) أى هو هدى (وبشرى للمؤمنين ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) أى جعلنا جزاءهم على كفرهم أن زينا لهم أعمالهم القبيحة حتى رأوها حسنة (فهم يعمهون) أى يتحيرون (أولئك الذين لهم سوء العذاب) فى الدنيا يعنى القتل ببدر (وهم فى الآخرة هم الأخسرون) أى بحرمان النجاة والمنع من الجنات (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) أى يلقى اليك القرآن وحيا من الله عز وجل

رسالته (اذقال موسى لاهله) أي زوجته بنت شعيب حيث تحير في الطريق عند مسيره من مدين الى مصر (انى آنست نارا) أي أبصرتها (سآتيكم منها بخبر) يعرف به الطريق (أو آتيكم بشهاب قبس) وقرأ الكوفيون بتنوين شهاب فالقبس بدل منه أو صفة له أي بشعلة نار مأخوذة من أصلها والباقون بالاضافة أي بشهاب من قبس (لعلكم تصطلون) أي لكي تدفؤا بها (فلما جاءها) أي تلك التي ظنها موسى نارا (نودي) من قبل الله تعالى (أن بورك من في النار ومن حولها) أي بورك من في مكان النار وهي البقعة المباركة ومن حول مكانها ويدل عليه قراءة أبي تباركت الارض ومن حولها وعنه أيضا بوركت النار وقيل المراد بمن في النار هو موسى عليه السلام لقربه منها ومن حولها الملائكة أي نودي ببركة من في النار أي بتطهيره مما يشغل قلبه عن غير الله وتخليصه للنبوة والرسالة أي ناداه الله تعالى بأنا قدسناك واخترناك للرسالة وهذه تحية من الله تعالى لموسى وتكرمة له (وسبحان الله رب العالمين) وهو من كلام الله مع موسى نزه الله تعالى نفسه عما لا يليق به في ذاته وحكمته ليكون ذلك مقدمة في صحة رسالة موسى عليه السلام واعلاما بأن ذلك الامر مكونه رب العالمين ولدفع ماقد يتوهمه موسى بحسب الطبع البشري الجاري على العادة الخلقية من أن الله المتكلم به في مكان أو في جهة ومن أن الكلام الذي يسمعه موسى في ذلك المكان بحرف وصوت حادث ككلام الخلق وقد علم موسى عليه السلام أن النداء من الله لما دل على ذلك من أن النار كانت مشتعلة على شجرة خضراء لم تحترق (ياموسى انه) أي ان مكلمك (أنا الله العزيز الحكيم) أي أنا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية وأمر اليد الفاعل ما أفعله بحكمة بالغة وانا خبران والله بيان له والعزيز الحكيم صفتان لله ممهدتان لما أراد الله أن يظهره على يد موسى عليه السلام من المعجزات (وألق عصاك) عطف على بورك فكلاهما تفسير لنودي فألقاها فانقلبت حية كبيرة جدا تسعى فأبصرها متحركة بسرعة واضطراب (فلما رآها تهتز) أي تضطرب في تحركها (كأنها) أي العصا (جان) أي حية صغيرة في سرعة الحركة (ولى مدبرا) أي هرب موسى منها مدبرا (ولم يعقب) أي لم يلتفت اليها من خوفها لظنه ان ذلك لامر أريد به ولذلك قال تعالى (ياموسى لاتخف) منها (انى لايخاف لدي المرسلون) في حالة الايحاء والارسال ولا يخاف من الملك العدل الا الظالم كما قال تعالى (الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم) أي لكن من ظلم ثم عمل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم وهذا تعريض لطيف بما وقع من موسى عليه السلام من وكزه القبطي وجعل الاخفش والفراء وأبو عبيدة الا حرف عطف بمنزلة الواو في التشريك في اللفظ والمعنى وقرئ ألامن ظلم بحرف التنبيه ومن شرطية وجوابها فانى غفور رحيم (وأدخل يدك في جيبك) أي في ابطك وكان له عليه السلام مدرعة صوف لا كم لها (تخرج بيضاء) لها اشراق (من غير سوء) أي آفة (في تسع آيات الى فرعون وقومه) وقوله في تسع متعلق بمحذوف حال أخرى من ضمير تخرج أي حال كون اليد مندرجة في جملة تسع آيات وقوله الى فرعون متعلق بمحذوف حال من فاعل أدخل أي حال كونك مرسلا بها الى فرعون والظاهر ان قوله الى فرعون متعلق بمحذوف حال من فاعل ألق وأدخل وان قوله في تسع متعلق بمحذوف حال من مفعولهما أي ألق وأدخل أي حال كون العصى واليد مع جملة لآيات التسع فان الآيات احدى عشرة العصا واليد والفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ولطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم وحال كونك مبعوثا الى فرعون والقبط (انهم كانوا قوما فاسقين) أي خارجين عن ربقة الانقياد لامري والعبودية لالوهيتي (فلما جاءتهم آياتنا) على يد موسى عليه السلام (مبصرة) كل من ينظر اليها ويتأمل فيها هادية الى الطريق الاقوم وقرأ علي بن الحسين وقتادة

(اذقال موسى) أي اذكر يا محمد قصة موسى اذ قال (لأهله) في مسيره من مدين الى مصر وقد ضل الطريق وأصلد زنده (انى آنست نارا) أي أبصرتها من بعيد (سآتيكم منها بخبر) عن الطريق أين هو (أو آتيكم بشهاب قبس) أي شعلة نار اقتبسها (لعلكم تصطلون) أي تستدفؤن من البرد (فلما جاءها نودي أن بورك من في النار) أي من في طلب النار وقصدها والمعنى بورك فيك ياموسى ويقال بورك فلان وبورك له وبورك فيه (ومن حولها) أي وفيمن حولها من الملائكة وهذا تحية من الله لموسى وتكرمة له (وسبحان الله رب العالمين) تنزيه الله من السوء وقوله (تهتز) أي تتحرك (كأنها جان) أي حية خفيفة (ولى مدبرا) أدبر من خوفه (ولم يعقب) أي ولم يرجع ولم يلتفت قلما (ياموسى لاتخف انى لايخاف لدي المرسلون الا من ظلم) أي لكن من ظلم نفسه (ثم بدل حسنا بعد سوء) أي تاب (فانى غفور رحيم وقوله (في تسع آيات) أي من تسع آيات أنت مرسل بها (الى فرعون وقومه) وقوله (مبصرة) أي مضيئة واضحة

مبصرة بفتح الميم والصاد أي مكانا يكثر فيه التبصر (قالوا هذا سحر مبين) أي هذا الذي أتى به موسى خيال لا حقيقة له واضح في أنه خيال (وجحدوا بها) أي كذبوا بتلك الآيات بألسنتهم (واستيقنتها أنفسهم) أي وقد علمتها قلوبهم علما يقينا أنها حق (ظلما وعلوا) حال أخرى من الواو في جحدوا أو علة للجحد أي ظالمين للآيات حيث سموها سحرا وحطوها في رتبها الرفيعة ومترفعين عن الايمان بها أو جحدوا بها للظلم للآيات وللتكبر عنها وقرئ عليا وعليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) من اغراقهم في البحر على الوجه الهائل الذي هو عبرة للعالمين (ولقد آتينا داود وسليمان علما) أي أعطينا كل واحد منهما جزأ من العلم لا تقابه من علم الحكم والسياسة ومختصا به كعلم داود صنعة لبوس وتسبيح الجبال والطير وعلم سليمان سائر نطق الطير والدواب (وقالا) شكرا لما أعطيناه من العلم (الحمد لله الذي فضلنا) بما أعطانا من العلم (على كثير من عباده المؤمنين) ممن لم يؤت علما مثل علمنا وفي هذا دليل على فضل العلم وشرف أهله وتحريض للعالم بأن يحمد الله تعالى على ما أعطاه من العلم و يعتقد انه قد فضل عليه كثير وان فضل على كثير فلا يفتخر ولا يتكبر وان يشكر الله تعالى في انه ينفع بعلمه المسلمين (وورث سليمان داود) أي ملكه بأن قام مقامه فيه دون سائر أولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا وزيد له تسخير الريح والشياطين وداود أشد تعبدا من سليمان وروى أن سليمان أعطى هذا الملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وأما داود فقد عاش مائة سنة (وقال) سليمان لبني اسرائيل على جهة الشكر لنعم الله تعالى والتنويه بها (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) وهذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان سليمان عليه السلام ملكا مطاعا لا يتكبر وقد يتعلق بتعظيم الملك مصالح فيصير ذلك التعظيم واجبا روى عن كعب الاحبار رضي الله عنه ان سليمان عليه السلام أخبر عن منطق جملة من الطيور الورشانة تقول لدوا للموت وابنوا للخراب والفاختة تقول ليت ذا الخلق لم يخلق والطاوس يقول كما تدين تدان والهدهد يقول من لا يرحم لا يرحم والصرد يقول استغفروا الله يا مذنبين وهو الذي دل آدم على مكان البيت ومن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله والطيطوى يقول كل حي ميت وكل جديد بال والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه وهو الذي آنس الله آدم به بعد خروجه من الجنة فهي لا تفارق بني آدم استئناسا لهم والحمام يقول سبحان ربي الاعلى والغراب يدعو على العشار فكان يقول اللهم العن العشار والحدأة تقول كل شيء هالك الا الله والقطاط تقول من سكت سلم والببغاء وهي الدرة تقول ويل لمن الدنيا همه والقمري يقول سبحان ربي العظيم المهيمن والبازي يقول سبحان ربي العظيم وبحمده والعقاب يقول في البعد عن الناس أنس والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت (وأوتينا من كل شيء) أي أعطينا شيأ كثيرا وكان له عليه السلام ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منصته في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء عليهم السلام على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وحولهم الوحش وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر فأوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك أن لا يتكلم أحد بشيء الا ألقته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد أوتي آل داود ملكا عظيما فألقته الريح في أذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتي آل داود (ان هذا) أي التعليم والاعطاء (لهو الفضل المبين) أي الذي لا يخفى على أحد وقصده عليه

(وجحدوا بها) الآية معناها وجحدوا بها ظلما وترفعا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى وهم يعلمون أنها من عند الله (وورث سليمان داود) أي نبوته وعلمه دون سائر أولاده (وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير) أي فهمنا ما يقوله الطير

السلام بذلك القول الشكر والحمد أي أقول هذا القول تشكر الآخرا (وحشر لسليمان جنوده) أي جمع له بقهر واكراه بأيسر أمر عساكره (من الجن والانس والطير فهم يوزعون) أي يمنعون من التقدم في السير حتى يجتمعوا اليكون مسيره عليه السلام مع جنوده على ترتيب وروى عن كعب الاحبار انه قال كان سليمان عليه السلام اذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقدور العظام تسع كل قدر عشرة من الابل فتطبخ الطباخون وتخبز الخبازون وهو بين السماء والارض واتخذ ميادين للدواب فتجرى بين يديه والريح تهوى فسار من اصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وصل اليها قال سليمان هذه دار هجرة نبي يكون آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل مكة رأى حول البيت أصناما تعبد فجاوزه سليمان فبكى البيت فأوحى اليه ما يبكيك قال يارب أبكاني ان هذا نبي من أنبيائك ومعه قوم من أوليائك مروا على ولم يصلوا عندى والاصنام تعبد حولي فأوحى الله تعالى اليه لاتبك فاني سوف أملأك وجوها سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك نبيا في آخر الزمان أحب أنبيائي الي وأجعل فيك عمارا من خلقي يعبدونني أفرض عليهم فريضة يحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها وأطهرك من الاوثان وعبدة الشيطان ثم ساروا (حتى اذا أتوا على وادي النمل) وهو واد بالشام كثير النمل على ماقاله مقاتل وقتادة وبالطائف على ماقاله كعب وهو نمل صغار على المشهور (قالت نملة) قولا مشتملا على حروف وأصوات وكانت عرجاء ذات جناحين وهي من الحيوانات التي تدخل الجنة فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال ويقال لها منذرة وقيل اسمها حرميا وقيل طاخية وقيل عيجلوف (ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم) أي جحركم (لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون) أي لايبرزوا فيدوسنكم سليمان وجنوده في حال كونهم لايشعرون بدوسهم لكم لاشتغالهم بما هم فيه من أحوال السير وكأنهم أرادوا النزول عند الوادي لانه مادامت الريح تحملهم في الهواء لايخاف دوسهم (فتبسم ضاحكا من قولها) أي تعجبا من قول النملة بفصاحتها واهتدائها الى تدبير مصالح بني نوعها وسرورا بما آتاه الله من سمعه كلامها وفهمه معناه وبشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة فيما بين أنواع المخلوقات (وقال) سليمان (رب أوزعني أن أشكر نعمتك) أي اجعلني أكف شكر نعمتك عندي عن ان ينقلب عني حتى أكون شاكرا لك أبدا أو وفقني لان أؤدي شكر نعمتك (التي أنعمت علي وعلى والدي) هما داود وأم سليمان وهي في الاصل زوجة أوريا التي امتحن الله بها داود عليه السلام (وأن أعمل صالحا ترضاه) لان العمل الصالح قد لايرضاه المنعم لنقص في العامل كما قيل

اذا كان المحب قليل حظ * فما حسناته الا ذنوب

(وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) ابراهيم واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين كما قاله ابن عباس لان الصالح الكامل هو الذي لايعصى الله تعالى ولا يهم بمعصية أي أثبت اسمي في أسمائهم واحشرني في زمرتهم (وتفقد الطير) أي بحث أحوال الطير فلم ير الهدهد فيما بينها أي نزل سليمان منزلا واحتاج الى الماء فطلبوه فلم يجدوه وطلب الهدهد ليدل على الماء لانه يعرف موضع الماء قربه وبعده فينقر الارض ثم تجيء الشياطين فيحفرونها ويستخرجون الماء في ساعة يسيرة (فقال مالي لاأرى الهدهد) اسمه عنبر كما أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن أي مالي لاأراه لساتر ستره أو لسبب آخر ثم ظهر له أنه غائب فانتقل عن ذلك الكلام وقال (أم كان من الغائبين) فتقدر أم بل أو بالهمزة أو بهما روى أن سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم وأقام به

(وحشر) أي وجمع (لسليمان جنوده) في مسير له (فهم يوزعون) أي يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا (حتى اذا أتوا على واد النمل) كان هذا الوادي بالشام وكان نمله كأمثال الذئاب (لايحطمنكم سليمان وجنوده) أي لا يكسرنكم بأن يطؤكم (فتبسم) سليمان لما سمع قولها وتذكر ما أنعم الله عليه وقال (رب أوزعني) أي ألهمني (أن أشكر نعمتك علي) الآية (وتفقد الطير) أي طلبها وبحث عنها (فقال مالي لا رى الهدهد أم كان) أي بل كان (من الغائبين) لذلك لم يره

ماأنشأه وكان ينحر في كل يوم طول مقامه فيه خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء وقت الزوال فرأى أرضا حسناء أعجبته خضرتها فنزل بها ليتغدى ويصلي فلم يجد الماء فتفقد الهدهد وكان حين اشتغل سليمان بالنزول ارتفع نحو السماء فنزل الى بستان بلقيس فاذاهو بهدهد آخر وكان اسم هدهد سليمان يعفور وهدهد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من أين أقبلت قال أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود قال ومن سليمان قال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح قال يعفور ومن ملك هذه البلاد قال عفير امرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها أربعمائة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل ولها ثلثمائة وزير يدبرون ملكها ولها اثناعشر ألف قائد مع كل قائد مائة ألف مقاتل وذهب معه لينظر الى بلقيس وملكها فما رجع يعفور الا بعد العصر فلما دخل العصر سأل سليمان الانس والجن والشياطين عن الماء فلم يعلموه فتفقد الهدهد فلم يره فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته الى مكان فغضب سليمان عند ذلك وقال (لأعذبنه) بسبب غيبته فيما لم آذن فيه (عذابا شديدا) بنتف ريشه فهذا عذاب الطير (أو لأذبحنه) بالسكين ليعتبر به أبناء جنسه (أو ليأتيني بسلطان مبين) أي الا أن يأتيني بحجة تبين عذره فلا أذبح ولا أعذب ثم دعا العقاب وهو أشد الطير طيرانا فقال له علي بالهدهد الساعة فارتفع العقاب في الهواء فالتفت يمينا وشمالا فرأى الهدهد من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريده وعلم الهدهد ان العقاب يقصده بسوء فقال بحق الله الذي قواك وأقدرك علي الا مارحمتني ولم تتعرض لي بسوء فتركه العقاب وقال له ويلك ان نبي الله قد حلف أن يعذبك أو يذبحك فطارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهى الى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا له ويلك أين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله وأخبروه بما قال سليمان فقال الهدهد أوما استثنى نبي الله فقالوا بلى انه قال أو ليأتيني بسلطان مبين فقال نجوت اذا ثم طار العقاب والهدهد حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يانبي الله (فمكث) أي الهدهد (غير بعيد) أي زمانا غير طويل حتى جاءه وقرأ عاصم بفتح الكاف والباقون بضمها فلما اقترب منه الهدهد رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما تواضعا لسليمان فلما دنا منه أخذ برأسه فمده اليه وقال له أين كنت لأعذبنك عذابا شديدا فقال يانبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه ثم سأله فقال ما الذي أبطأك عني (فقال أحطت بما لم تحط به) أي علمت مالم تعلم أيها الملك وبلغت الى مالم تبلغ (وجئتك من سبأ) وقرأ أبو عمرو والبزي بفتح الهمزة من غير تنوين يراد به القبيلة والمدينة والاصل اسم للقبيلة ثم سميت مدينة مارب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام والباقون بالجر والتنوين اسم للحي سموا باسم أبيهم الاكبر وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وعن ابن كثير في رواية سبا بالالف (بنبا يقين) أي بخبر حق عجيب (اني وجدت امرأة تملكهم) يقال لها بلقيس بكسر الباء وهي بنت شراحيل بن مالك بن الريان وأمها فارعة الجنية كما أخرج عن زهير بن محمد وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها وورث الملك من أربعين أبا ولم يكن له ولد غيرها وكان يقول لملوك الاطراف ليس أحد منكم كفؤا لي وأبى أن يتزوج منهم فزوجوه بامرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن قيل في سبب وصوله الى الجن أنه كان كثير الصيد فربما اصطاد من الجن وهم على صور الظبا فيخلي عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فزوجه اياها (وأوتيت من كل شئ) يحتاج اليه الملوك (ولها عرش عظيم) أي سرير حسن كبير طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وارتفاعه ثلاثون ذراعا مصنوع

(لأعذبنه عذابا شديدا) أي لأنتفن ريشه وألقينه في الشمس (أو ليأتيني بسلطان مبين) أي بحجة واضحة في غيبته (فمكث غير بعيد) أي لم يطل الوقت حتى جاء الهدهد وقال لسليمان (أحطت بما لم تحط به) أي علمت مالم تعلمه (وجئتك من سبأ) وهي مدينة باليمن (بنبأ يقين) أي بخبر لاشك فيه وقوله (وأوتيت من كل شئ) أي مما يعطى الملوك (ولها عرش) أي سرير (عظيم) وقوله

من

من الذهب والفضة مكلل بالجواهر وكانت قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق (وجدتها وقومها) أى لقيتهم مجوسا (يسجدون للشمس من دون الله) أى يعبدون الشمس متجاوزين عبادة الله (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل) أى سبيل الهدى (فهم لايهتدون) بسبب ذلك (أن لايسجدوا لله) مفعول له للصد أو التزيين على حذف اللام أى فصدهم لان لايسجدوا لله تعالى أو زين لهم أعمالهم لان لايسجدوا أو بدل من أعمالهم أى وزين لهم الشيطان عدم سجودهم لله تعالى وقرأ الكسائى ألا يسجدوا بتخفيف اللام فألا حرف تنبيه واستفتاح ويا بعدها حرف تنبيه أيضا أو نداء والمنادى محذوف تقديره ياهؤلاء اسجدوا واسجدوا فعل أمر فكان حق الخط على هذه القراءة أن يكون يا اسجدوا ولكن الصحابة أسقطوا ألف يا وهمزة الوصل خطا لما سقط لفظا ووصلوا الياء بسين اسجدوا فاتحدت القراءتان لفظا وخطا واختلفا تقديرا وعلى هذه القراءة فالوقف على يهتدون تام ولو وقف على يا بمعنى ألا ياهؤلاء ثم ابتدئ باسجدوا جاز بخلاف قراءة الباقين بادغام النون فى لا فالوقف على لايهتدون جائز وقرأ الاعمش هلا وهى حرف عبد الله بقلب الهمزة هاء وقرأ أبى ألا يسجدون أى لم لايسجدون لله كما قاله ابن عباس وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب وهلا يحتمل أن يكون استئنافا من جهة الله تعالى أو من سليمان عليه السلام قال أهل التحقيق قوله أن لايسجد وايجب أن يكون بمعنى الامر لانه لو كان بمعنى المنع من السجود لم يكن معنى لوصفه تعالى باستحقاق السجود للاتصاف بكونه تعالى قادرا على اخراج الخبء عالما بكل شئ (الذى يخرج الخبء فى السموات والارض) والجار والمجرور متعلق بالخبء أى الذى يظهر المخفى فيهما من المطر والنبات ومتعلق بيخرج على أن فيه معنى من كما قاله الفراء (و يعلم ماتخفون وماتعلنون) من الاحوال فيجازيكم بها وقرأ الكسائى وحفص بالتاء الفوقية فتأويل قراءة حفص فى ألا يسجدوا أنه خرج الى خطاب الحاضرين بعد ان أتم قصة أهل سبأ والخطاب على قراءة الكسائى ظاهر والباقون بالغيبة لتقدم ضمائر الغيبة فى قوله أعمالهم وصدهم فهم وهى غير ظاهرة وقرئ ألا تسجدون لله الذى يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وماتعلنون (الله لا اله الاهو رب العرش العظيم) أى فعرش الله عظيم بالنسبة الى جميع المخلوقات من السموات والارض وما بينهما وقرئ العظيم بالرفع على أنه صفة الرب ولما ذكر الهدهد قصة بلقيس لم يتغير سيدنا سليمان عليه السلام لذلك ولم يستفزه الطمع لما سمع من ملكها كعادة الملوك فى الطمع فى ملك غيرهم فلما ذكر الهدهد عبادة بلقيس وقومها غير الله اغتاظ سيدنا سليمان وأخذته حمية الدين وجعل يبحث عن تحقيق (قال) سليمان للهدهد (سننظر) أى سنتعرف فى مقالتك بالتجربة (أصدقت) فيه (أم كنت من الكاذبين) وفى هذا دليل على أن خبر الواحد لايثبت العلم وعلى أن الوالى يجب أن يقبل عذر من فى صورة المجرمين اذا صدق فى اعتقاده (اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم) أى الى من يعبدون الشمس (ثم تول عنهم) أى تنح الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون مايقولونه بمسمع منك (فانظر ماذا يرجعون) أى تعرف أى شئ يرجع بعضهم الى بعض من القول فأخذ الهدهد الكتاب وأتى به الى بلقيس وكانت بأرض مأرب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعاء فوجدها نائمة مستلقية على قفاها وقد غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فألقى الكتاب على نحرها وتوارى فى الكوة فانتبهت فزعة فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان فى خاتمه فعند ذلك (قالت) لاشراف قومها (ياأيها الملأ) أخرج ابن أبى حاتم عن قتادة ان أهل مشورتها كانوا ثلاثمائة واثنى عشر رجلا (انى ألقى الى كتاب كريم) أى لانه مكرم بختمه ولغرابة شأنه حيث وصل اليها على غير

(ألا يسجدوا) أى لان لا يسجدوا (لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض) أى القطر من السماء والنبات من الارض وقوله (ثم تول عنهم) أى استأخر غير بعيد (فانظر ماذا يرجعون) أى ما يردون من الجواب فمضى الهدهد وألقى اليها الكتاب (قالت ياأيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم) أى حسن ما فيه ثم بينت ما فيه فقالت

معشاد وبحسن مافيه من كونه مشتملا على اثبات الصانع الحي المريد القادر الرحيم وعلى النهي عن التكبر والامر بالانقياد ولكونه من عند ملك كريم فقد عرفت أن المرسل أعظم ملك امنها (أنه) أي ان عنوان الكتاب (من سليمان وانه) أي ان مضمونه (بسم الله الرحمن الرحيم أن لاتعلوا على) فان مفسرة ولا ناهية أي لاتتكبروا على كما نفعل الملوك وقرأ ابن عباس لاتغلوا بالغين المعجمة أي لا تترفعوا على ولا تمتنعوا من الاجابة (وائتوني مسلمين) أي مؤمنين (قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري) أي أجيبوني في أمري الذي حزبني وذكرت لكم خلاصته (ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون) أي عادتي معكم أن لا أفعل أمرا من الامور المتعلقة بالملك حتى أحضركم وأشاوركم (قالوا نحن أولوا قوة) في الاجساد والآلات (وأولوا بأس شديد) أي شجاعة مفرطة وثبات في القتال (والامر اليك) أي هو موكول اليك (فانظري) أي تأملي (ماذا تأمرين) ونحن مطيعون لك فمري بنا بأمرك ولما أحست منهم الميل الى الحراب لم ترض به لما علمت أن من سخر له الطير على هذا الوجه لا يعجزه شيء يريده وذلك يدل دلالة بينة على رسالة مرسلها بل مالت للصلح ولذلك بينت السبب في رغبتها فيه (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية) من القرى على منهاج الحراب (أفسدوها) بتخريب عمارتها واتلاف ما فيها من الاموال (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) بالقتل والاسر والاجلاء وغير ذلك من فنون الاهانة (وكذلك يفعلون) وهذا من جملة كلامها ذكرته توكيدا لما وصفته من حال الملوك أي ان الذين أرسلوا الكتاب يفعلون مثل الذي تفعله الملوك فان ذلك عادتهم المستمرة (واني مرسلة اليهم) رسلا (بهدية) عظيمة (فناظرة بم يرجع المرسلون) روي انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع وبعثت العود والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلا من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه الهدية وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وأخبر بما في الحق قبل أن يفتحه وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا من غير علاج انس وجن ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رأيته بشاشا لطيفا فهو نبي فانطلق الرسول بالهدايا فأقبل الهدهد الى سليمان عليه السلام فأخبره بذلك فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفاته من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر مختلفة ألوانها حتى ان لدواب البحر أجنحة وأعرافا ونواصي فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير أن أقيموا على يمين الميدان ويساره ثم قعد سليمان على سريره ووضع أربعة آلاف كرسي على جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا الدواب التي لم يروا مثلها تروث على لبن الذهب والفضة بهتوا وتقاصرت اليهم أنفسهم ووضعوا ما معهم من الهدايا في ذلك الموضع فلما وقفوا بين يدي سليمان أقبل عليهم بوجه طلق وسألهم عن حالهم فأخبره رئيس القوم بما جاؤا فيه وأعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحق فأتي به فحركه فجاءه جبريل فأخبره بما فيه فقال سليمان لهم ان فيه درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة ثم أمر بالارضة فأخذت شعرة في فيها ونفذت في الدرة فجعل رزقها في الشجرة وأمر بالدودة البيضاء فأخذت خيطا بفيها ونفذت في الجزعة فجعل رزقها في الفواكه وأمر الغلمان والجواري بأن يغسلوا وجوههم

(أنه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على) أي لا تترفعوا على وان كنتم ملوكا (وأتوني مسلمين) أي طائعين منقادين (قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري) أي بينوا لي ما أعمل (ما كنت قاطعة) أي قاضية وفاصلة (أمرا حتى تشهدون) أي تحضرون أي لا أقطع أمرا دونكم (قالوا) مجيبين لها (نحن أولوا قوة) أي في القتال (وأولوا بأس شديد) أي عند الحرب (والامر اليك) أيتها الملكة (فانظري ماذا تأمرين) نطعك (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية) عنوة وغلبة (أفسدوها) يعني خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أي أهانوا أشرافها ليستقيم لهم الامر أشارت الى أنها لو جاءها سليمان محاربا احتاج الى التخريب والافساد وصدقها الله تعالى في قولها وقال (وكذلك يفعلون واني مرسلة اليهم بهدية) أي أصانعه بها وأختبره أملك هو أم نبي فان كان ملكا قبلها وان كان نبيا لم يقبلها (فناظرة بم) أي بأي شيء (يرجع المرسلون) من عنده

وأيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تغسل به وجهها والغلام كما يأخذ الماء يضرب به وجهه وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام يصبه على ظهره فميز عليه السلام بين الغلمان والجواري ثم رد الهدية كما أخبر الله عنه بقوله (فلما جاء) أي رسول الملكة بلقيس وهو منذر (سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم) أي قال سليمان عليه السلام مخاطبا للرسول والمرسل لا ينبغي لكم يا أهل سبأ أن تعاونوني بالمال لان الله تعالى قد أعطاني منه مالم يعط أحدا ومع ذلك أكرمني بالنبوة والدين (بل أنتم بهديتكم تفرحون) فالمصدر إما مضاف لفاعله أي تفرحون بما تهدونه افتخارا على أمثالكم واعتدادا به من حيث انكم قدرتم على اهداء مثله وإما مضاف لمفعوله أي تفرحون بما يهدى اليكم حبا في كثرة أموالكم وحالي خلاف حالكم فلا أفرح بالدنيا وليست الدنيا من حاجتي وقيل بل أنتم بهديتكم هذه تفرحون بأخذها ان ردت اليكم ثم قال للمنذر (ارجع) أيها الرسول (اليهم) أي الى بلقيس وقومها بهديتهم وقيل الخطاب للهدهد أي ارجع يا هدهد حاملا كتابا آخر (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) أي فوالله لنأتينهم بجموع لا طاقة لهم بمقاومتها وقرأ ابن مسعود بهم بضمير جمع الذكور (ولنخرجنهم منها) أي من سبأ (أذلة) أي حال كونهم ذليلين بذهاب ملكهم وعزهم (وهم صاغرون) أي مهانون بوقوعهم في أسر واستعباد وبأغلال ايمانهم الى أعناقهم قال ابن عباس لما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان وأخبروها الخبر قالت قد عرفت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت الى سليمان اني قادمة اليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو اليه من دينك ثم أمرت بسريرها فجعل في آخر سبعة أبيات بعضها في داخل بعض ثم غلقت عليه سبعة أبواب وجعلت عليها حراسا يحفظونه ثم تجهزت للمسير فارتحلت الى سليمان في اثنى عشر ألف ملك من ملوكها تحت كل ملك ألوف فخرج سليمان يوما فجلس على سريره فسمع رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس وقد نزلت بهذا المكان أي الذي على مسيرة فرسخ من سليمان عليه السلام فأقبل سليمان على جنوده (قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها) فأراد سليمان أن يريها بعض ما خصه الله تعالى من اجراء العجائب على يده الدالة على عظيم قدرته تعالى وعلى صدقه في نبوته وكان سليمان اذ ذاك في بيت المقدس وعرشها في سبأ بلدة باليمن وبينها وبين بيت المقدس مسيرة شهرين وأن يعرف مقدار مملكتها قبل وصولها اليه لان العرش سرير المملكة (قبل أن يأتوني مسلمين) أي مؤمنين فانها اذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها (قال عفريت) أي قوي (من الجن) كان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه وكان مسخرا لسليمان واسمه ذكوان وقيل صخر وقيل كوزن (أنا آتيك به) وهو اسم الفاعل أي أنا آت بعرشها (قبل أن تقوم من مقامك) أي من مجلسك للقضاء وكان مجلس قضائه الى انتصاف النهار (واني عليه) أي على الاتيان به (لقوي أمين) أي لقوي على حمله أمين على ما فيه من الجواهر واللؤلؤ والذهب والفضة (قال الذي عنده علم من الكتاب) المنزل على الانبياء قبل سليمان كالتوراة قال ابن عباس وقتادة هو آصف بن برخيا كاتب سليمان (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) قال ابن عباس ان آصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد سليمان عينيه ونظر نحو اليمن ودعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير يجدون به تحت الارض حتى نبع بين يدي سليمان قيل كان الدعاء الذي دعا به يا حي يا قيوم كما روي ذلك عن عائشة قال بعضهم أراد سليمان أن يظهر كرامة أمته ليعلم ان في أمم الانبياء أهل الكرامات لئلا ينكروا من كرامات الاولياء وقال محمد بن المنكدر انما الذي عنده علم هو سليمان نفسه قال له عالم من بني اسرائيل أنت النبي ابن النبي وليس أحد أوجه منك عند الله فان دعوت الله كان العرش عندك فقال صدقت ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت قال الرازي

(فلما جاءها) البريد والرسول (سليمن قال أتمدونني بمال فما آتاني الله) من الدين والنبوة والحكمة (خير مما آتاكم) من الدنيا (بل أنتم بهديتكم تفرحون) لانكم أهل مكاثرة بالدنيا ثم قال للرسول (ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل) أي لا طاقة (لهم بها ولنخرجنهم منها) أي من أرضهم (أذلة وهم صاغرون) فجاءها الرسول فأخبرها بما رأى وشاهد فتجهزت للمسير الى سليمان فلما علم سليمان بمسيرها اليه (قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها) أي بسريرها (قبل أن يأتوني مسلمين) لانه حينئذ لا يحل لي أخذ ما في أيديهم (قال عفريت من الجن) وهو المارد القوي (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) أي من مجلسك الذي جلست فيه للحكم (واني عليه) أي على حمله (لقوي أمين) على ما فيه من الجواهر فقال سليمان أريد أسرع من هذا (قال الذي عنده علم من الكتاب) وهو آصف بن برخيا كان قد قرأ كتب الله (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) قبل أن يرجع اليك الشخص من منتهى طرفك

وهذا القول أقرب والمخاطب به العفريت الذى كلمه وأراد سليمان عليه السلام اظهار معجزة فغالبه أولا ثم بين انه يتحصل له من سرعة الاتيان بالعرش ما لا يتهيأ للعفريت قيل خر سليمان ساجدا ودعا باسم الله الاعظم فغاب العرش تحت الارض حتى ظهر عند كرسى سليمان وانما هذا أقرب لان سليمان كان أعرف بالكتاب من غيره لانه نبى وان احضار العرش فى تلك الساعة اللطيفة درجة عالية فلو حصلت لآصف لاقتضى ذلك تفضيله على سليمان ولو افتقر اليه فى ذلك لاقتضى ذلك نقص حال سليمان فى أعين الخلق ولان ظاهر قوله هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر يقتضى أن يكون اتيان العرش بدعاء سليمان (فلما رآه مستقرا عنده) أى رأى سليمان العرش حاضرا لديه (قال) سليمان شاكرا لربه لما آتاه الله تعالى من هذه الخوارق (هذا) أى اتيان العرش فى هذه المدة لقصيرة (من فضل ربى) أى من احسانه الى من غير استحقاق له من قبلى (ليبلونى) أى ليختبرنى (أأشكر) فأعترف بكون ذلك فضلا منه تعالى (أم أكفر) بأن أثبت لنفسى تصرفا فى ذلك أو أترك شكرا (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) فان نفع الشكر عائد الى الشاكر فانه يخرج عن علقة وجوب الشكر عليه وانه يستحق المزيد وانه مشتغل بالمنعم أما المعرض عن الشكر فهو مشتغل باللذات الحسية (ومن كفر) أى ترك شكر النعمة (فان ربى غنى) عن شكره لا يضره تعالى كفرانه (كريم) أى لا يقطع عنه نعمه بسبب اعراضه عن الشكر (قال) سليمان (نكروا لها عرشها) أى غيروا سريرها من هيئة فزيدوا فيه وانقصوا منه وروى انه جعل أعلاه أسفله وجعل مكان الجوهر الاخضر أحمر و بالعكس وأراد سليمان عليه السلام اختبار عقلها (ننظر) بالجزم على انه جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف أى نعلم (أتهتدى) أى أتعرف ان ذلك العرش عرشها أو أتعرف الجواب اللائق بالمقام (أم تكون من الذين لا يهتدون) أى لا يعرفون ذلك (فلما جاءت) أى بلقيس سليمان (قيل) لها من جهة سليمان (أهكذا عرشك) أى أمثل هذا عرشك الذى تركته فى قصرك وأغلقت عليه الابواب وجعلت عليه حراسا (قالت كأنه هو) أى كأن عرشى هو هذا وقال عكرمة كانت حكيمة لم تقل نعم خوفا من أن تكذب ولم تقل لا خوفا من التكذيب فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر ولو قيل لها أهذا عرشك لقالت نعم لمعرفتها للعرش (وأوتينا العلم من قبلها) أى وأعطينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوّتك من قبل هذه المعجزة التى شاهدناها بما سمعناه من رسولنا المنذر من الآيات الدالة على ذلك (وكنا مسلمين) من ذلك الوقت وهذا من تتمة كلام بلقيس كأنها ظنت ان سليمان أراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) وهذا من كلام الله تعالى أى ومنع بلقيس عن اظهار الاسلام عبادتها القديمة للشمس فما كانت تعبد فاعل صد أو ان ما كان مجرورا بعن مقدرة وفاعل صد راجع الى سليمان أى وصرفها سليمان عن الذى كانت تعبده وهو الشمس (انها كانت من قوم كافرين) تعليل لعبادة غير الله أى انها كانت من قوم راسخين فى الكفر ولذلك لم تكن قادرة على اظهار اسلامها وهى بينهم الى ان دخلت تحت ملك سليمان أو استئناف أخبر الله تعالى انها كانت من مجوس يعبدون الشمس ولا تعرف الا عبادتها وقرأ سعيد بن جبير وأبو حيوة بفتح الهمزة على ان هذه الجملة مجرورة بحرف العلة أو بدل من ما كانت تعبد أى ومنعها عن اظهار دعواها الاسلام كونها من قوم كافرين أو وصرفها سليمان عن صيرورتها كافرة (قيل لها ادخلى الصرح) أى البلاط المتخذ من زجاج روى أن سيدنا سليمان أمر الشياطين قبل قدوم بلقيس بأن يحفروا على طريقها حفيرة و يجعلوا سقفها زجاجا أبيض شفافا و يضعوا فيها ماء وسمكا وضفدعا وغير ذلك من حيوانات الماء وصار الماء وما فيه يرى من هذا الزجاج فمن أراد مجاوزته يمر فوق السطح الذى تحته الماء ولا يمسه

أكفر) ها (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) لان نفع ذلك يعود اليه حيث يستوجب المزيد (ومن كفر فان ربى غنى) عن شكره (كريم) بالافضال على من يكفر النعمة (قال نكروا) أى غيروا (لها عرشها) بتغيير صورته (ننظر أتهتدى) أى أتعلم أنه عرشها فتعرفه (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو) شبهته لانه كان مغيرا وأراد سليمان أن يختبر عقلها لانه قيل له ان فى عقلها شيأ ثم قالت (وأوتينا العلم) أى بصحة نبوة سليمان (من قبلها) أى من قبل هذه الآية التى رأيتها فى احضار العرش (وكنا مسلمين) أى منقادين له قبل مجيئنا (وصدها) أى منعها عن الايمان (ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين) فنشأت فيهم ولم تعرف الا قوما يعبدون الشمس (قيل لها ادخلى الصرح) وذلك انه قيل لسليمان ان قدميها كحافر الحمار فأراد سليمان أن يرى قدميها فاتخذ لها ساحة من زجاج وتحته الماء والسمك وجلس سليمان فى صدر الصرح وقيل لها ادخلى الصرح

الماء ومن لم يكن عالما بالحال يظن هذا ماء مكشوف فالبس لهذا سقف يمنع من الخوض فيه ووضع سيدنا سليمان عليه السلام سريره في صدر ذلك السطح فجلس عليه قال وهب ومحمد بن كعب والسبب في ذلك ان الجن قالوا لسيدنا سليمان ان في عقل بلقيس شيأ وان رجليها كرجلي حمار وانها شعراء الساقين وغرضهم في ذلك تنفيره عن تزوجها لانهم ظنوا انه سيتزوجها وكرهوا ذلك لان أمها كانت جنية فخافوا ان تفشي له أسرار الجن ولانهم خافوا أن يأتي له منها أولاد فيسخرون الجن فيدوم عليهم الاستخدام والذل فأراد سليمان عليه السلام ان يختبر عقلها بتنكير عرشها فاذا فيها ما يدل على كمال رزانة رأيها ورصانة فكرها وان ينظر الى قدميها ببناء ذلك البلاط لانه أراد أن ينكحها ليعلم ان ما قالت الجن في حقها صدق أو كذب (فلما رأته) أي رأت ذلك الصحن (حسبته لجة) أي ماء غمرا (وكشفت عن ساقيها) على عادة من أراد خوض الماء لاجل أن تصل الى سليمان قال وهب بن منبه فلما رأت اللجة فزعت وظنت انه قصد بها الغرق وتعجبت من كون كرسيه على الماء ورأت ماهالها ولم يكن لها بد من امتثال الامر فرفعت ثيابها عن ساقيها فرآهما فاذا هي أحسن النساء ساقا وقدما سليمة مما قالت الجن فيها الا انها كانت كثيرة الشعر في ساقيها فلما علم الحال صرف بصره عنها (قال) عليه السلام حين رأى منها الدهشة والرعب (انه صرح ممرد من قوارير) أي ان الذي ظننته ماء سقف مملس من زجاج تحته ماء فلا تخافي واعبري عليه (قالت) بعد أن دعاها سليمان الى الاسلام وقد رأت حال العرش والصرح (رب اني ظلمت نفسي) بالثبات على الكفر فيما تقدم من الزمان وقيل بسوء ظني بسليمان انه يغرقني في اللجة (وأسلمت مع سليمان) أي ودخلت في دين الاسلام مصاحبة له في الدين مقتدية به (لله رب العالمين) قيل لما أراد أن يتزوجها وكره شعر ساقيها أمر الشياطين أن يتخذوا النورة والحمام لاجل ازالته فكانتا من يومئذ فلما تزوجها سليمان أحبها حبا كثيرا حتى بقيت على نكاحه الى ان مات عنها ورزق منها بولد اسمه داود وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها بأرض اليمن ثلاثة قصور لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وكان يزورها في الشهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام وكان يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان فسبحان من لا يزول ملكه (ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون) أي فريق مؤمن وفريق كافر فالذين آمنوا لانهم عرفوا صحة حجة صالح فيكونون خصماء لمن لم يقبلها والاختصام في باب الدين حق وابطال للتقليد (قال) صالح للفرقة الكافرة (ياقوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة) أي لما توعد صالح للمكذبين بالعذاب فقالوا على وجه الاستهزاء ائتنا بعذاب الله فعند ذلك قال صالح ياقوم قد أمكنكم التوصل الى رحمة الله تعالى فلماذا تعدلون عنه الى استعجال عذابه وكانوا لجهلهم يقولون ان صدق ايعاد صالح بنزول العذاب تبنا حينئذ فحينئذ يدفع الله العذاب عنا والا فنحن على ما كنا عليه فخاطبهم صالح على حسب اعتقادهم وقال (لولا تستغفرون الله) أي هلا تطلبون غفران الله قبل نزول العذاب بتوحيد الله والتوبة من الشرك (لعلكم ترحمون) بقبول التوبة فان استعجال الخير أولى من استعجال الشر وان قبول التوبة لا يمكن عند نزول العذاب (قالوا اطيرنا بك وبمن معك) أي تشاءمنا بك وبمن في دينك حيث تتابعت علينا الشدائد من القحط والاختلاف مذ اخترعتم دينكم (قال) صالح (طائركم عند الله) أي السبب الذي منه يجيء شدتكم ورخاؤكم قدره تعالى ان شاء رزقكم وان شاء أحرمكم (بل أنتم قوم تفتنون) بزينة الدنيا فلا تعرفون قدر نعم الله في حقكم وقال ابن عباس أي أنتم تختبرون بالخير والشر وقال محمد بن كعب أي تعذبون (وكان في المدينة) أي في الحجر (تسعة رهط) أي أشخاص قال ابن عباس أسماؤهم رعمي ورعيم

(فلما رأته حسبته لجة) ماء وهي مغطية (وكشفت عن ساقيها) لدخول الماء فرأى سليمان قدميها واذا هي أحسن الناس ساقا وقدما (قال) لها (انه صرح ممرد) أي أملس (من قوارير) ثم ان سليمان دعاها الى الاسلام فأجابت و(قالت رب اني ظلمت نفسي) بالكفر (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقوله (فاذا هم فريقان يختصمون) أي فاذا قوم صالح فريقان مؤمن وكافر يختصمون أي يقول كل فريق الحق معي وطلبت الفرقة الكافرة على تصديق صالح العذاب ف(قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة) أي لم قلتم ان كان ما أتيت به حقا فأتنا بالعذاب (لولا) أي هلا (تستغفرون الله) أي بالتوبة من الكفر (لعلكم ترحمون) أي لكي ترحموا (قالوا اطيرنا) تشاءمنا (بك وبمن معك) وذلك أنهم قحطوا بتكذيبهم فقالوا أصابنا القحط بشؤمك وشؤم أصحابك ف(قال) صالح (طائركم عند الله) أي ما أصابكم من خير وشر فمن الله (بل أنتم قوم تفتنون) أي تختبرون بالخير والشر (وكان في المدينة) أي مدينة ثمود (تسعة رهط)

وهرمى وهريم وداب وصواب ورباب ومسطع وقدار بن سالف عاقر الناقة وأسماؤهم عن وهب وقد نظمهم بعضهم فى بيتين فقال

رباب وغنم والهذيل ومسطع * عمير سبيط عاصم وقدار
وسمعان رهط الماكرين بصالح * الآن عدوان النفوس جوار

(يفسدون فى الارض) بالمعاصى (ولا يصلحون) أى لا يمزجون ذلك الفساد بشئ من الصلاح (قالوا تقاسموا) أى قال بعضهم لبعض فى أثناء المشاورة فى أمر صالح عليه السلام غب ما أنذرهم بالعذاب احلفوا (بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون) وقرأ حمزة والكسائى لتبيتنه بتاء فوقية بعد اللام وبالرفع للجمع ولتقولن بتاء فوقية وبالرفع للجمع وقرأ عاصم مهلك بفتح الميم وحفص بكسر اللام والباقون بفتحها وبضم الميم مع فتح اللام فقط ٧ والمعنى انهم تواثقوا وحلفوا بالله لندخلن على صالح ومن آمن به وهم أربعة آلاف ليلا بغتة ونقتلهم جميعا ثم لنقولن لولى دم صالح ما حضرنا قتلهم أو وقته أو مكانه فلا ندرى من قتلهم وانا لصادقون فى انكارنا لقتلهم أى لو اتهمنا قوم صالح حلفنا لهم أنا لم نحضر (ومكروا مكرا) بهذه الكيفية (ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون) قيل انهم خرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء صالح يصلى فى مسجده قتلناه ثم رجعنا الى أهله فقتلناهم فبعث الله تعالى صخرة فطبقت فم الشعب عليهم فهلكوا وهلك الباقون بالصيحة وقيل جاؤا بالليل شاهرين سيوفهم وقد أرسل الله تعالى الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الاحجار ولا يرون راميا (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم) بصالح (انا دمرناهم وقومهم أجمعين) أى انا أهلكنا التسعة بالحجارة وأهلكنا قومهم أجمعين بصيحة جبريل عليه السلام وقرأ الكوفيون أنا دمرناهم بفتح الهمزة اما بدل من عاقبة على انه فاعل كان وكيف حال أى فتفكر فى أى وجه حدث تدميرنا اياهم واما خبر لمبتدا محذوف أى هى أى العاقبة تدميرنا اياهم (فتلك بيوتهم خاوية) أى خالية ساقطة وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع على انه خبر لمبتدا محذوف (بما ظلموا) أى ظلمهم بعبادتهم غير الله تعالى (ان فى ذلك) أى التدمير العجيب (لآية) أى لعبرة عظيمة (لقوم يعلمون) أى يفهمون اشارات القرآن (وأنجينا الذين آمنوا) أى صالحا ومن معه من المؤمنين (وكانوا يتقون) أى المعاصى وقتل الناقة وهم أربعة آلاف وخرج صالح بمن آمن معه الى حضرموت فلما دخلها مات صالح فسمى حضرموت ثم بنوا مدينة يقال لها حاضوراء (ولوطا) منصوب بمضمر معطوف على أرسلنا فى صدر قصة صالح أى وأرسلنا لوطا (اذ قال لقومه) فاذ ظرف للارسال لما فارق عمه ابراهيم عليه السلام (أتأتون الفاحشة) أى الفعلة المتناهية فى السماجة (وأنتم تبصرون) أى والحال انكم تعلمون علما يقينا انها قبيحة (أئنكم لتأتون الرجال شهوة) أى لاجل الشهوة فقط فهو كالبهائم ليس فيها قصد اعفاف ولا قصد ولد (من دون النساء) أى حال كونكم متجاوزين النساء (بل أنتم قوم تجهلون) أى بل أنتم قوم سفهاء ماجنون (فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط) أى أخرجوا لوطا وابنتيه زعورا وريثا وزوجته المؤمنة (من قريتكم) سدوم (انهم أناس يتطهرون) أى يتنزهون عن الاقذار قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء (فأنجيناه وأهله الا امرأته) المنافقة (قدرناها من الغابرين) أى قدرنا عليها أن تكون من الباقين فى العذاب وقرأ شعبة بتخفيف الدال (وأمطرنا عليهم) أى على كل من كان منهم خارج المدينة (مطرا) هو طين محرق (فساء مطر المنذرين) مطرهم (قل الحمد لله) على هلاك الكفار (وسلام على عباده الذين اصطفى) أى اصطفاهم الله بالاسلام من السابقين واللاحقين (آلله

تقاسموا) أى احلفوا (بالله لنبيتنه وأهله) أى لنأتين ليلا صالحا ولنقتلنه وأهله (ثم لنقولن لوليه) أى لولى دمه (ما شهدنا مهلك أهله) أى ما حضرنا اهلاكهم (وانا لصادقون) فى قولنا (ومكروا مكرا) أى لتبييت صالح (ومكرنا مكرا) أى جازيناهم على ذلك وقوله (أنا دمرناهم) أهلكناهم وذلك أنهم لما خرجوا ليلا لاهلاك صالح دمغتهم الملائكة بالحجارة من حيث لا يرونهم فقتلوهم وقوله (وقومهم أجمعين) أى باهلاك قوم ثمود بالصيحة (فتلك بيوتهم) أى مساكنهم (خاوية) أى ساقطة خالية (بما ظلموا) أى بكفرهم بالله وقوله (أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون) أى تعلمون انها فاحشة فهو أعظم لذنوبكم وقوله (انهم أناس يتطهرون) يتنزهون عن أدبار الرجال يقولونه استهزاء وقوله (قدرناها من الغابرين) أى قضينا عليها انها من الباقين فى العذاب (وأمطرنا عليهم) أى على شذاذهم ومن كان منهم فى الاسفار (مطرا) وهو الحجارة (قل) يا محمد (الحمد لله) أى على اهلاك كفار الامم الخالية (وسلام على عباده الذين اصطفى) أى اصطفاهم للرسالة (آلله خير

٧ كذا بالاصل وليحرر

خيرأم مايشركون) وقرأ أبوعمرو وعاصم بالياء التحتية أي آلله الذي ذكرت شؤونه العظيمة خير أم مايشركون به تعالى من الاصنام والباقون بالتاء على الخطاب أي آلله خير أم آلهة تشركونها بالله تعالى ياأهل مكة وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذاقرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم (أمن خلق السموات والارض) أي بل ماخلقهما (وأنزل لكم من السماء ماء) أي وأنزل لاجل منفعتكم من السماء نوعا من الماء هو المطر (فأنبتنا به حدائق) أي بساتين (ذات بهجة) أي حسن يفرح به الناظر (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) أي ما كان لكم مقدرة أن تنبتوا أشجار البساتين (أإله مع الله) أي أإله آخر كائن مع الله الذي ذكر بعض شؤونه وقرئ أإلها مع الله أي أتعبدون إلها آخر مع الله (بل هم قوم يعدلون) أي بل هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق والانحراف عن الاستقامة في كل أمر من الامور وقيل قوم يماثلون بالله غيره (أمن جعل الارض قرارا) أي بل من جعل الارض مسكنا فيستقر عليها الانسان والدواب (وجعل خلالها أنهارا) أي صير أوساطها أنهارا جارية ينتفعون بها (وجعل لها رواسي) أي جبالا ثوابت تمنعها أن تميد بأهلها (وجعل بين البحرين) أي العذب والمالح (حاجزا) أي برزخا معنويا مانعا الممازجة (أإله مع الله) في ابداع هذه البدائع (بل أكثرهم لايعلمون) كمال قدرته تعالى وحكمته واستغنائه عن الشريك (أمن يجيب المضطر اذا دعاه) أي بل من يجيب الذي أحوجه مرض أوفقر أو نازلة الى التضرع الى الله تعالى (ويكشف السوء) أي يدفع مايحزن الانسان ممايطرأ عليه (ويجعلكم خلفاء الارض) أي متوارثين سكناها ممن قبلكم فتعمرون الدنيا وتزينونها بأنواع الصنائع والحرف (أإله مع الله) في فعل ذلك (قليلا ماتذكرون) قرأ أبوعمرو وهشام بالتحتية على الغيبة والباقون بالخطاب وعلى كل من القراءتين فالذال مفتوحة مشددة الادغام لتاء فيها ومامزيدة والقلة كناية عن العدم أي انكم ماتتعظون لا كثيرا ولاقليلا (أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر) أي بل من يهديكم الى مقاصدكم في ظلمات الليالي فيهما أومشتبهات الطرق فيهما (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) أي قدام المطر وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير الريح بالافراد وقرأ نافع وابن كثير وأبوعمرو نشرا بضم النون والشين وابن عامر بضم النون وسكون الشين وحمزة والكسائي بفتح النون وسكون الشين أي تجمع السحاب وقرأ عاصم بالموحدة المضمومة وبسكون الشين أي طيبة (أإله مع الله) أي ليس مع الله إله فعل ذلك (تعالى الله عمايشركون) أي تنزه الله عن وجود مايشركونه بالله تعالى بعنوان كونه إلها (أمن يبدأ الخلق ثم يعيده) أي بل من يبتدئ الخلق من النطفة ثم يعيده بعد الموت بالبعث وأم في الجمل الخمس انتقال من التبكيت بماقبلها الى تبكيت بوجه آخر أدخل في الالزام بجهة من الجهات (ومن يرزقكم من السماء والارض) أي بأسباب سماوية وأرضية كالمطر والحر والبرد والنبات والمعادن والحيوان (أإله مع الله) أي أإله آخر موجود مع الله حتى يجعل شريكا له في العبادة (قل هاتوا برهانكم) أي قل ياأشرف الخلق للمشركين هاتوا برهانا عقليا أونقليا يدل على ان معه إلها (ان كنتم صادقين) في دعواكم ان مع الله آلهة شتى (قل) ياأشرف الخلق للمشركين الذين سألوك عن وقت قيام الساعة (لايعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) فمن في محل نصب مفعول والغيب بدل منها والله فاعل أي لايعلم الاشياء التي تحدث في السموات والارض الغائبة عنا الا الله تعالى وان جعل من فاعلا ليعلم والغيب مفعوله كان اسم الجلالة مبتدأ خبره محذوف والاستثناء منقطع أي لايعلم الذي ثبت في السموات والارض وهم الملائكة والانس الغائب كوقت قيام الساعة ونزول العذاب لكن الله يعلمه قال بعضهم وللغيب خمس مراتب أحدها غيب أهل الارض في الارض وفي السماء وللانسان

خيرأم مايشركون) به من الاصنام وقوله (حدائق ذات بهجة) أي بساتين ذات حسن (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) أي ما قدرتم عليه (بل هم قوم يعدلون) أي يشركون (أمن جعل الارض قرارا) أي لاتتحرك (وجعل خلالها) أي وسطها (أنهارا) جارية (وجعل لها رواسي) أي جبالا ثوابت (وجعل بين البحرين) أي البحر العذب والمالح (حاجزا) أي مانعا من قدرته حتى لا يختلطان (أمن يجيب المضطر اذا دعاه) يعني المجهود ذا الضرورة (ويكشف السوء) الضر (ويجعلكم خلفاء الأرض) أي سكانها باهلاك من قبلكم (ومن يرزقكم من السماء والارض) أي من السماء المطر ومن الارض النبات وقوله

امكان تحصيل علمه وهو على نوعين الاول ماغاب فى الارض الصورية وسمائها فالغائب فى الارض مثل غيبة شخص عنك أوغيبة أمر من الامور فذلك امكان احضار الشخص والاطلاع على ذلك الامر والغائب فى السماء مثل علم النجوم والهيئة فذلك امكان تحصيله بالتعلم والثانى ماغاب فى أرض المعنى وهى أرض النفس فان فيها مخبآت من الاوصاف والاخلاق فذلك امكان الوقوف عليها بطريق المجاهدة والرياضة والذكر والفكر وماغاب فى سماء المعنى وهى سماء القلب فان فيها مخبآت من العلوم والحكم والمعانى فذلك امكان الوصول اليه بالسير عن مقامات النفس فى مقامات القلب وثانيها غيب أهل الارض فى الارض والسماء وليس للانسان امكان الوصول اليه الا بارادة الله تعالى كما قال تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وثالثها غيب أهل السماء فى السماء والارض وليس لهم امكان الوصول اليه الا بتعظيم الله تعالى مثل الاسماء فان الله تعالى كرم آدم بكرامة لم يكرم بها الملائكة وذلك بتعليمه علم الاسماء كلها ورابعها سبيل غيب لاسبيل لاهل السموات والارض الى علمه الا من ارتضى له الله تعالى كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول و بهذا يستدل على فضيلة الرسل على الملائكة لان الله تعالى اختصهم باظهاره تعالى اياهم على غيبه دون الملائكة وهذا أسجدهم لآدم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم فتجلى فيه و خامسها غيب انفرد الله بعلمه وهو قيام الساعة فلا يعلمه الا الله تعالى كما قال تعالى (ومايشعرون أيان يبعثون) أى متى ينشرون من القبور وقرئ بكسر الهمزة (بل ادارك علمهم فى الآخرة) وقرأ أبو عمرو وابن كثير بل أدرك بسكون اللام وفتح الهمزة وسكون الدال على وزن أكرم والباقون بكسر اللام ووصل الهمزة وتشديد الدال و بعدها ألف وأصله تدارك و به قرأ أبي قال ابن عباس أى بل اجتمع علمهم على ان الآخرة لاتكون أى فلم يعتقدوها (بل هم فى شك منها) أى من نفس الآخرة كمن تحير فى أمر لايجد عليه دليلا (بل هم منها عمون) أى لايدركون دلائلها لاختلال بصائرهم والله تعالى وصف المشركين أولا بأنهم لايشعرون وقت البعث ثم وصفهم بأنهم لايعلمون أن القيامة كائنة ثم وصفهم بأنهم يخبطون فى شك ثم وصفهم بأن قلوبهم عمى فهم كالبهائم لايخطرون ببالهم حقا ولا باطلا و يستقر همهم على البطون والفروج (وقال الذين كفروا) من أهل مكة (أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) أى أنخرج من القبور أحياء اذا صرنا ترابا (لقد وعدنا هذا) أى الاخراج من القبور كما كنا أول مرة (نحن وآباؤنا من قبل) أى من قبل مجىء وعد محمد (ان هذا الا أساطير الأولين) أى ماهذا الذى تعدنا يامحمد الا أحاديث الاولين التى لاحقيقة لها (قل) ياأشرف الخلق لاهل مكة (سيروا فى الارض) أى سافروا فيها أيها الجاهلون (فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) أى كيف كان آخر أمر المنكرين للبعث المكذبين للرسل فيما دعوهم اليه من الايمان بالله تعالى و باليوم الآخر وهو هلاكهم بالعذاب الدنيوى لان فى مشاهدة ذلك مافيه كفاية لمن اعتبر (ولاتحزن عليهم) ياأكرم الرسل فيما مضى لاصرارهم على الكفر (ولاتكن فى ضيق مما يمكرون) أى ولاتكن فى ضيق قلب من مكرهم فى المستقبل وقرأ ابن كثير بكسر الضاد (ويقولون متى هذا الوعد) أى العذاب الموعود (ان كنتم صادقين) فى اخباركم بمجىء العذاب (قل) لهم ياسيد الرسل (عسى ان يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون) فعسى ولعل وسوف بمنزلة الجزم فى مواعيد الملوك أى لابد أن يكون بعض الذى تستعجلون حلوله لحقكم وهو عذاب يوم بدر واللام مزيدة (وان ربك لذو فضل على الناس) أى انه متفضل عليهم بتأخير عقوبتهم على مايفعلونه من المعاصى (ولكن أكثرهم لايشكرون) بتأخير العذاب لانهم لايعرفون حق النعمة فيه (وان ربك ليعلم ماتكن

(بل أدارك علمهم فى الآخرة) أى لحقهم علمهم بأن الساعة والبعث حق فى الآخرة حين لاينفعهم ذلك ومن قرأ أدارك فمعناه تدارك أى تكامل علمهم يعنى يوم القيامة لانهم يبعثون و يشاهدون ماوعدوا (بل هم فى شك منها) أى فى الدنيا (بل هم منها) أى من علمها (عمون) أى جاهلون وقوله (ولاتحزن عليهم) أى على تكذيبهم واعراضهم عنك (ولا تكن فى ضيق مما يمكرون) ولايضيق صدرك بمكرهم (ويقولون متى هذا الوعد) أى وعد العذاب (ان كنتم صادقين) أن العذاب نازل بالمكذب (قل عسى أن يكون ردف لكم) أى ردفكم والمعنى تبعكم ودنا منكم (بعض الذى تستعجلون) من العذاب وكان ذلك يوم بدر

صدورهم)

صدورهم) أي ما تخفيه فليس تأخير العذاب بخفاء حالهم عليه تعالى وقرأ ابن محيصن وابن السميقع وحميد تكن بفتح التاء وضم الكاف (وما يعلنون) من الافعال والاقوال (وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين) أي وما من خافية فيهما الا في لوح محفوظ ظاهر لمن يطالعه من الملائكة (ان هذا القرآن) الذي تقرأ عليهم يا سيد الرسل (يقص على بني اسرائيل) أي يبين لليهود والنصارى (أكثر الذي هم فيه يختلفون) كالتشبيه والتنزيه وشأن عزير والمسيح (وانه) أي القرآن (لهدى) من الضلالة (ورحمة للمؤمنين) وذلك لان بعض الناس لما تأمل القرآن فوجد فيه من الدلائل العقلية على التوحيد والنبوة والحشر وبيان نعوت جلال الله تعالى ووجد ما فيه من الشرائع مطابقة للعقول ووجده مبرأ عن التناقض ووجد القوى البشرية عاجزة عن جمع كتاب على هذا الوجه علم انه ليس الا من عند الله تعالى فكان القرآن معجزا من هذه الجهة وكان هدى ورحمة من هذه الجهات (ان ربك يقضي بينهم) أي بين اليهود والنصارى أي بين المصيب والمخطئ منهم (بحكمه) أي بالحق لانه تعالى لا يحكم الا بالعدل أو بحكمته كما يدل عليه قراءة من قرأ بحكمه بكسر الحاء وفتح الكاف جمع حكمة (وهو العزيز العليم) أي هو القادر الذي لا يمنع فلا يرد حكمه العالم بالحكم فلا يكون الا الحق (فتوكل على الله) أي ثق بالله الذي هذه أوصافه فانها توجب على كل أحد ان يفوض جميع أموره اليه (انك على الحق المبين) أي الدين الظاهر فالمحق حقيق بنصرة الله تعالى ثم قطع الله تعالى طمع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن بني اسرائيل بتبيين أحوالهم انهم لا يلتفتون الى شيء من الدلائل فان قطع الطمع عنهم يقوي القلب على اظهار المخالفة وعلى اظهار الدين كما ينبغي فقال (انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) أي انهم لفرط اعراضهم عما يدعون اليه كالميت الذي لا سبيل الى اسماعه وكالاصم الذي لا يسمع برفع الصوت ولا يفهم بالاشارة (وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم) أي ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الايمان وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم بالتحتية وفتحها وفتح الميم ورفع الصم وقرأ حمزة تهدي العمي بالمضارع المفيد للخطاب وبنصب العمي (ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) أي ما تسمع سماعا يجدي السامع الا من هو في علم الله انهم يصدقون بالقرآن لانهم منقادون للحق (واذا وقع القول عليهم) أي واذا ثبت نزول العذاب على الكفار وذلك اذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وهو يكون بموت العلماء وذهاب العلم ورفع القرآن (أخرجنا لهم دابة من الارض) من جبل الصفا بمكة وهي فصيل ناقة صالح عليه السلام فانه لما عقرت أمه هرب فانفتح له حجر فدخل في جوفه ثم انطبق عليه الحجر فهو فيه حتى يخرج باذن الله تعالى في آخر الزمان وعن علي رضي الله عنه انها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج كل يوم الا ثلثها وعن الحسن رضي الله عنه لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة أيام وفي الحديث ان طولها ستون ذراعا بذراع آدم عليه السلام لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب (تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) قرأ الكوفيون بفتح أن بتقدير الباء كما يدل عليه قراءة عبد الله بن مسعود بأن بتصريح الباء أي تحدثهم بأن الناس كانوا لا يوقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة ومبادئها وقرأ أبي تنبئهم واضافة الآيات الى نون العظمة لانها حكاية من الله تعالى لمعنى قولها لا لعين عبارتها وقرأ الباقون بكسران على الاستئناف فعلى هذا فالوقف على تكلمهم تام وعليه أيضا يجوز أن يكون بمعنى تجرحهم مع افادة معنى التكثير ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن جبير ومجاهد وابن زرعة والجحدري تكلمهم بفتح التاء وسكون الكاف وضم اللام والمراد بالجرح الوسم بالعصا والخاتم روي ان الدابة تخرج من الصفا ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن بين عينيه بعصى موسى عليه السلام فتنكت نكتة بيضاء فتنفشوا تلك

ان بني اسرائيل اختلفوا حتى لعن بعضهم بعضا فقال الله تعالى ان هذا القرآن يقص (على بني اسرائيل) معناه يقص عليهم الهدى مما اختلفوا فيه لو أخذوا به (ان ربك يقضي بينهم) أي بين المختلفين في الدين (بحكمه) يوم القيامة (وهو العزيز) أي القوي فلا يرد له أمر (العليم) بأحوالهم (انك لا تسمع الموتى) يعني الكفار (ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) يعني الكفار الذين هم بمنزلة الصم لا يسمعون النداء اذا أعرضوا (وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم) يريد انه أعماهم حتى لا يهتدوا فكيف يهدي النبي صلى الله عليه وسلم عن ضلالتهم قوما عميا (ان تسمع) أي ما تسمع سماع افهام (الا من يؤمن بآياتنا) أي بأدلتنا (فهم مسلمون) أي في علم الله (واذا وقع القول عليهم) أي وجب العذاب والسخط عليهم وذلك حين لا يقبل الله من كافر ايمانه ولم يبق الا من يموت كافرا في علم الله (أخرجنا لهم دابة من الارض) وخروجها من أول شروط القيامة (تكلمهم) أي تحدثهم بما يسوءهم (أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) تخبر الدابة من رآها أن أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون ومن كسران كان المعنى تقول لهم ان

الشكتة فى وجهه حتى يضىء لها وجهه ونكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم فى أنفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم أنت يا فلان من أهل الجنة وأنت يا فلان من أهل النار (ويوم نحشر) للعذاب بعد الحشر الكلى الشامل لكافة الخلق (من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) أى واذكر لهم وقت جمعنا على وجه الاكراه من كل أمة من أمم الانبياء جماعة كثيرة مكذبين بكتابنا فهم يوقف أولهم حتى يجتمعوا فى موقف التوبيخ والمناقشة (حتى اذا جاؤا) الى موقف السؤال والجواب (قال أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما) أى قال الله تعالى موبخا لهم على التكذيب أكذبتم بآياتى الناطقة بلقاء يومكم هذا بادئ الرأى غير ناظرين فيها نظرا يؤدى الى العلم بحقيقتها وانها حقيقة بالتصديق حتما (أم ماذا كنتم تعملون) أى بل أى شئ كنتم تعملون فى الكفر والمعنى لم يكن لكم عمل غير الكفر (ووقع القول عليهم) أى نزل بهم العذاب الموعود وهو كبهم فى النار (بما ظلموا) أى بسبب تكذيبهم بآيات الله (فهم لا ينطقون) بحجة واعتذار (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) أى ألم يتفكر أهل مكة ولم يعلموا أنا جعلنا الليل مظلما ليستريحوا فيه بالقرار والنوم والنهار مضيئا ليطلبوا فيه معايشهم (ان فى ذلك) أى فى جعل الليل والنهار كما ذكر (لآيات) أى دلالات ظاهرة على التوحيد والبعث والنبوة (لقوم يؤمنون) أما وجه دلالته على التوحيد فلان التقلب من النور الى الظلمة وعكسه لا يحصل الا بقدرة قاهرة عالية وأما وجه دلالته على الحشر فلانه لما ثبت قدرة القادر على هذا التقليب ثبت قدرته على التقليب من الحياة الى الموت مرة ومن الموت الى الحياة مرة أخرى وأما وجه دلالته على النبوة فلان هذا التقليب لمنافع الخلق وان فى بعثة الانبياء الى الخلق منافع عظيمة فقد ثبت ان هذه الكلمة كافية فى اقامة الدلالة على تصحيح الاصول الثلاثة (ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض) أى واذكر لهم وقت نفخ اسرافيل فى الصور النفخة الثانية فاذا سمع الخلق شدة صوت ذلك النفخ بحيث لا تتحمله طبائعهم يفزعون عنده ويموت كل من كان حيا ذلك الوقت لم يسبق له موت أو كان ميتا لكنه حى فى قبره كالانبياء والشهداء (الا من شاء الله) ان لا يفزع قيل هم الشهداء يتقلدون أسيافهم حول العرش فانهم أحياء عند ربهم لا يصل الفزع اليهم وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وقيل الحور وخزنة النار وحملة العرش وقيل منهم موسى عليه السلام لانه صعق مرة وقال القشيرى والانبياء داخلون فى الشهداء لان لهم الشهادة مع النبوة (وكل أتوه داخرين) أى كل واحد من المبعوثين عند النفخة حضروا الموقف للسؤال والجواب والحساب ذليلين مطيعين وقرأ حفص وحمزة أتوه بصيغة الفعل الماضى وهو بقصر الهمزة وفتح التاء والباقون بصيغة اسم الفاعل فهو بمد الهمزة وضم التاء وقرئ أتاه باعتبار لفظ كل (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) أى وتبصر الجبال وقت النفخة تظنها ثابتة فى أماكنها والحال أنها تمر مر السحاب التى تسيرها الرياح سيرا سريعا فسير الجبال يوم القيامة لا يرى لعظمها كما ان سير السحاب لا يرى لعظمه (صنع الله الذى أتقن كل شئ) أى صنع الله الذى أحسن خلقه وأتى به على الحكمة ذلك النفخ فى الصور وما تفرع منه من الامور صنعا وصنع منصوب على أنه مصدر مؤكد لمضمون ما قبله أى فان نفخ الصور المؤدى الى الفزع العام وحضور الكل الموقف وما فعل بالجبال انما هو من صنع الله لا يحتمل غيره (انه خبير بما تفعلون) أى انه تعالى عالم بما يعمله أهل السعادة والشقاوة من الخير والشر وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بالتحتية على الغيبة والباقون بالفوقية على الخطاب (من جاء بالحسنة فله خير منها) أى من جاء يوم القيامة بكلمة الشهادة فله من

الناس (ويوم نحشر) أى نجمع (من كل أمة فوجا) أى جماعة (ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم ليجتمعوا (حتى اذا جاؤا قال) الله تعالى لهم (أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما) أى ولم تعرفوها حق معرفتها وهذا توبيخ لهم (أم ماذا كنتم تعملون) أى حين لم تتفكروا فيها (ووقع القول) أى وجبت الحجة (عليهم بما ظلموا) أى باشراكهم (فهم لا ينطقون) بحجة وعذرهم ذكر الدليل على قدرته والهيته فقال (ألم يروا أنا جعلنا الليل) الآية وقوله (الا من شاء الله) يعنى الشهداء (وكل أتوه) أى يأتون الله (داخرين) صاغرين (وترى الجبال تحسبها جامدة) أى واقفة مستقرة (وهى تمر مر السحاب) وذلك أن كل شئ عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته فهو فى حسبان الناظر واقف وهو يسير (صنع الله) أى صنع الله وذلك صنعه (الذى أتقن) أى أحكم (كل شئ انه خبير بما تفعلون من جاء بالحسنة) وهى كلمة لا اله الا الله (فله خير منها) أى فمنها يصل اليه

الجزاء ماهو خير منها باعتبار أن الثواب دائم وانه من فعل الله وانه حاصل من جهة الله تعالى فان المعرفة النظرية الحاصلة فى الدنيا جزاؤها المعرفة الضرورية الحاصلة فى الآخرة ولذة النظر الى وجه الله تعالى (وهم من فزع يومئذ آمنون) وقرأ الكوفيون فزع بالتنوين فحينئذ كان يومئذ ظرف لآمنون أو المحذوف هو صفة لفزع أى والذين جاؤا بالحسنات آمنون من فزع كائن يوم اذ وقعت هذه الاحوال العظيمة وعلى هذا فالفزع على نوعين فزع من خوف العقاب وفزع شديد مفرط الشدة لخوف النار أما ما يلحق الانسان من الرعب عند مشاهدة الاهوال فلا ينفك منه أحد وقرأ الباقون باضافة فزع وقرأ نافع والكوفيون بفتح الميم من يومئذ وهو فتحة بناء لاضافة يوم المبنى والباقون بكسرها وهو كسرة اعراب وهذا يقتضى الامن من جميع فزع ذلك اليوم (ومن جاء بالسيئة) أى بالشرك بالله (فكبت وجوههم فى النار) أى القوا فى النار على وجوههم وتقول لهم خزنة جهنم وقت كبهم على وجوههم فى النار (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) أى ما تجزون الآن الا جزاء أعمالكم من الشرك والمعاصى فى الدنيا ثم أمر الله تعالى نبيه أن يقول لاهل مكة تنبيها لهم على انه قد أتم أمر الدعوة (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة) وهى مكة (الذى حرمها) أى جعلها حرما لا يسفك فيها دم انسان ولا يصاد صيدها ولا يقطع حشيشها الرطب قرأ الجمهور الذى صفة لرب وقرأ ابن عباس وابن مسعود التى صفة للبلدة (وله كل شئ) خلقا وتصرفا من غير أن يشاركه شئ فى شئ من ذلك (وأمرت أن أكون من المسلمين) أى بان أثبت على ملة الاسلام وبأن أكون من المنقادين لها وهذا اشارة الى أن المسلم الحقيقى من يستعمل الشريعة مثل استعمال النبى صلى الله عليه وسلم (وأن أتلو القرآن) أى أمرت أن أقرأ عليكم القرآن بطريق تكرير الدعوة وان أواظب على تلاوته لتنكشف لى حقائقه (فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه) أى فمن اهتدى باتباعه اياى فى العبادة والاسلام وتلاوة القرآن فانما منافع اهتدائه راجعة اليه لا الى (ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين) أى ومن ضل بمخالفتى فيما ذكر فقل فى حقه انما أنا من المنذرين فلا على شئ من وبال ضلاله (وقل الحمد لله) على ما أعطانى من نعمة العلم والنبوة وعلى ما وفقنى من القيام بأداء الرسالة (سيريكم آياته) أى سيريكم الله تعالى فى الدنيا آياته الباهرة كخروج الدابة وسائر أشراط الساعة (فتعرفونها) أى فتعرفون أنها آيات الله تعالى حين لا تنفعكم المعرفة (وما ربك بغافل عما تعملون) وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب أى وما ربك بغافل عما تعمل أنت من الحسنات وما تعملون أنتم أيها الكفرة من السيئات فيجازى كلا منكم بعمله والباقون بالياء على الغيبة أى وما ربك غافل عن أعمالهم فسيعذبهم فلا يحسبوا ان تأخير عذابهم لغفلته تعالى عن أعمالهم المسببة للعذاب

﴿سورة القصص وتسمى أيضا سورة موسى مكية وقيل الا قوله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فانها نزلت بالجحفة بين مكة والمدينة وهى ثمان وثمانون آية وألف وأربعمائة واحدى وأربعون كلمة وخمسة آلاف وثمانمائة حرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طسم تلك آيات الكتاب المبين) أى ان آيات هذه السورة آيات الكتاب الذى بين بفصاحته انه من كلام الله وبين صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبين خبر الاولين والآخرين وبين كيفية التخلص عن شبهات أهل الضلال (نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون) أى نقرأ عليك بواسطة جبريل بعض خبر موسى وفرعون متلبسا بالحق لاجل قوم يصدقون بك وبالقرآن فانهم المنتفعون به (ان فرعون علا فى الارض) أى تجبر فى مملكته أرض مصر (وجعل أهلها) أى أهل

(ومن جاء بالسيئة) أى الشرك (فكبت) أى ألقيت وطرحت (وجوههم فى النار) وقيل لهم (هل تجزون الا ما كنتم) أى بما كنتم تعملون (قل) يا محمد (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة) يعنى مكة (الذى حرمها) أى جعلها حرما آمنا (قوله كل شئ ملكا وخلقا وقوله (ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين) أى ليس على الا البلاغ (وقل الحمد لله سيريكم) أيها المشركون (آياته) يعنى يوم بدر (فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون

﴿تفسير سورة القصص﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (طسم تلك آيات الكتاب المبين) يعنى القرآن وهو مبين للاحكام (نتلوا) أى نقص (عليك من نبأ) أى خبر (موسى وفرعون بالحق) أى بالصدق الذى لا شك فيه لقوم (يؤمنون) أى يصدقون بأن ما يأتيهم به صدق (ان فرعون علا) أى استكبر وتعظم (فى الارض) يعنى أرض مصر (وجعل أهلها

علكته (شيعا) أي أصنافا في استخدامه يستعمل كل صنف في عمل من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الاعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية (يستضعف طائفة منهم) وهم بنو اسرائيل قال ابن عباس ان بني اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا المعاصي ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم الى ان أنجاهم الله على يد نبيه موسى عليه السلام (يذبح أبناءهم) كثيرا صغارا وذلك لان الانبياء الذين كانوا قبل موسى عليه السلام بشروا بمجيئه عليه السلام وفرعون كان قد سمع ذلك فلهذا كان يذبح أبناء بني اسرائيل عند الولادة وهذا الوجه أولى بالقبول قال وهب قتل القبط في طلب موسى عليه السلام تسعين ألفا من بني اسرائيل قوله يستضعف حال من فاعل علا أو خبر ثان لان أو بدل اشتمال من علا وقوله يذبح بدل اشتمال من يستضعف (ويستحيي نساءهم) قيل أي يستخدمهن كبارا (انه كان من المفسدين) في كفره بادعائه الى غير عبادة الله وقتل خلق كثير من أولاد الانبياء (ونريد) بارسال موسى (أن نمن على الذين استضعفوا في الارض) أي ان نتفضل على من قهروا في أرض مصر وهم بنو اسرائيل بانجائهم من بأس فرعون وقوله تعالى ونريد الخ معطوف على قوله ان فرعون الخ لانهما وقعا تفسيرين لنبا موسى وفرعون أو حال من طائفة بتقدير المبتدا أي ونحن نريد (ونجعلهم أئمة) أي قادة الى الخير متقدمين في أمور الدين بعد ان كانوا أتباعا مسخرين لآخرين (ونجعلهم الوارثين) لملك فرعون وأرضه وما في يده (ونمكن لهم في الارض) أي ننفذ أمرهم في أرض مصر والشام يتصرفون فيها مايشاؤن (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) أي ونرى رؤية بصرية فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يخافونه من المستضعفين من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود من بني اسرائيل وقرأ حمزة والكسائي ويرى بالياء المفتوحة وبفتح الراء مع الامالة ورفع ما بعده (وأوحينا الى أم موسى أن ارضعيه) أي ألهمنا أم موسى يوحانذ بنت لاوي بن يعقوب أي أرضعي هذا الصبي (فاذا خفت عليه) أي اشتد خوفك عليه من الذبح بأن يفطن به جيرانك ويسمعون صوته عند البكاء (فألقيه في اليم) أي بحر النيل (ولا تخافي) من هلاكه بالغرق ونحوه (ولا تحزني) بسبب فراقه (انا رادوه اليك) من قريب لتكوني أنت المرتضعة له (وجاعلوه من المرسلين) الى أهل مصر والشام قال ابن عباس ان أم موسى لما تقارب ولادتها بأن أحست بالطلق أرسلت الى قابلة وكانت مصافية لأم موسى وقالت لها لينفعني اليوم حبك اياي فجلست القابلة تعالجها فلما نزل موسى الى الارض هالها نور بين عينيه فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى قلبها فقالت ياهذه ماجئتك الا لقتل مولودك ولكني وجدت لابنك هذا حبا شديدا فاحفظي ابنك فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاء الى بابها ليدخل على أم موسى فقالت أخته ياأماه هذا الحارس بالباب فلفته بخرقة ووضعته في تنور مسجور فطاش عقلها فلم تعقل ماتصنع فدخل فاذا التنور مسجور ورأى أم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقال لم دخلت القابلة عليك قالت انها حبيبة لي دخلت للزيارة فخرج من عندها ورجع اليها عقلها فقالت لأخت موسى أين الصبي قالت لا أدري فسمعت بكاء في التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فأخذته ثم ان أم موسى عليه السلام لما رأت جد فرعون في طلب الولد خافت على ابنها فقذف الله في قلبها ان تتخذ له تابوتا ثم تقذف التابوت في النيل فذهبت الى نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال لها ما تصنعين به فقالت لي ابن أخبؤه فيه فلما انصرفت ذهب النجار الى الذباحين ليخبرهم بذلك فلما جاءهم أمسك الله لسانه وجعل يشير بيده فضربوه وطردوه فلما عاد الى موضعه رد الله عليه نطقه فذهب مرة أخرى ليخبرهم فأخذ الله لسانه وبصره فجعل

شيعا) أي فرقا يتبع بعض تلك الفرق بعضا في خدمته (يستضعف طائفة منهم) وهم بنو اسرائيل (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض) أي ننعم على بني اسرائيل (ونجعلهم أئمة) أي قادة في الخير (ونجعلهم الوارثين) أي يرثون ملك فرعون وقومه (ونمكن لهم في الارض) يريد أرض مصر والشام حتى يغلبوا عليها من غير منازع (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) وذلك أنهم كانوا قد أخبروا أن هلاكهم على يدي رجل من بني اسرائيل فكانوا على وجل منهم (وأوحينا الى أم موسى) قيل انه وحي الهام وقيل وحي اعلام

الله تعالى انه ان رد عليه بصره ولسانه لا يدلهم عليه فعلم الله تعالى منه الصدق فرد الله عليه ذلك وانطلقت أم موسى وألقته فى النيل وكان لفرعون بنت لم يكن له ولد غيرها وكان بها برص شديد وكان فرعون قد شاور الاطباء والسحرة فى أمرها فقالوا أيها الملك لا تبرأ هذه الا من قبل البحر يوجد منه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك فى يوم كذا فى شهر كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون الى مجلس له كان على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون فى جواريها حتى جلست على شاطئ النيل اذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الامواج وتعلق بشجرة فقال فرعون ائتونى به فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فنظرت آسية فرأت نورا فى جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هى بصبى صغير واذا نور بين عينيه فألقى الله محبته فى قلوب آسية وفرعون فأخرجوه من التابوت وعمدت بنت فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرئت فى الحال فقبلته وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون أيها الملك انا نظن ان هذا هو الذى نحذر منه رمى فى البحر خوفا منك فهم فرعون بقتله فاستوهبته آسية من فرعون فوهبه لها فترك قتله وتبنته وقيل لآسية سميه فقالت سميته موشى بالشين المعجمة لانا وجدناه فى الماء والشجر فان معنى مو ماء ومعنى شا شجر فأصل موسى بالمهملة موشى بالمعجمة وذلك قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون) أى أخذت موسى جوارى فرعون من بين الماء والشجر يوم الاثنين وذهبن به الى امرأة فرعون (ليكون) أى موسى (لهم عدوا) من بعد ما يجيء اليهم بالرسالة (وحزنا) بذهاب ملكهم وقرأ حمزة والكسائى بضم الحاء وسكون الزاى والباقون بفتحهما (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) فيما كانوا عليه من الكفر والظلم فعاقبهم الله تعالى بأن ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وقال الحسن معنى كانوا خاطئين أى كانوا لا يشعرون ان موسى هو الذى يذهب بملكهم (وقالت امرأة فرعون) وهى آسية لفرعون حين أخرجته من التابوت وهم فرعون بقتله لقول الغواة (قرة عين لى ولك) أى هذا الغلام قرة عين لى ولك يا فرعون قال ابن عباس لما قالت آسية ذلك قال فرعون يكون لك واما أنا فلا حاجة لى فيه قال ابن اسحق ان الله تعالى ألقى محبته عليه السلام فى قلبها لانه كان فى وجهه ملاحة فكل من رآه أحبه ولانها حين فتحت التابوت رأت النور ولانها لما فتحته رأته يمتص أصبعه ولان ابنة فرعون لما لطخت برصها بريقه زال (لا تقتلوه) خاطبته بلفظ الجمع تعظيما لاجل ان يعاونها فيما تريده (عسى أن ينفعنا) فنصيب منه خيرا وكان له أبوان معروفان (أو نتخذه ولدا) اذ لم يعرف له أبوان وكانت آسية لا تلد (وهم لا يشعرون) وهذا ابتداء كلام من الله تعالى أى وهم لا يشعرون ان هلاكهم على يديه وبسببه وهذا قول مجاهد وقتادة والضحاك ومقاتل وقال ابن عباس أى وهم لا يشعرون الى ماذا يصير أمر موسى عليه السلام وقال آخرون هذا من تمام كلام امرأة فرعون أى بنو اسرائيل وأهل مصر لا يشعرون أنا التقطناه وانه ليس منا (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) أى وصار قلب يوحانذ صفرا من العقل لفرط الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون وقيل أى خاليا من الحزن علمه بوثوقها بوعد الله تعالى أو لسماعها ان فرعون تبناه (ان كادت لتبدى به) أى انها كادت لتظهر بأمر موسى من فرط الدهشة أو من شدة الفرح بتبنى امرأة فرعون وقال ابن عباس كادت تخبر بان الذى وجدتموه ابنى بعد ان نسب الى فرعون وقال أيضا فى رواية عكرمة كادت تقول وا ابناه من شدة حزنها عليه حين رأت الموج يرفع ويضع وقال الكلبى ذلك حين سمعت الناس يقولون لموسى بعد ما شب انه ابن فرعون (لولا أن ربطنا

(فالتقطه) أى أخذه عن الماء (ليكون لهم عدوا وحزنا) أى ليصير الأمر الى ذلك (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) أى عاصين آثمين (وقالت امرأة فرعون قرة عين) أى هو قرة عين (لى ولك لا تقتلوه) فانه أتانا به الماء من أرض أخرى وليس من بنى اسرائيل (وهم لا يشعرون) أى بما هو كائن من أمرهم وأمره (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) أى خاليا من كل شئ الا من ذكر موسى وهمه (ان كادت لتبدى به) أى بأنه ابنها (لولا أن ربطنا

على قلبها) أى لولا حفظنا قلبها بإلهام الصبر لابدت قصة موسى (لتكون من المؤمنين) أى من المصدقين بوعد الله تعالى برده إليها بان يكون من المرسلين أو من الواثقين بحفظ الله تعالى لا بتبنى امرأة فرعون وتعطفها (وقالت) أم موسى (لأخته) الشقيقة مريم وقال الضحاك اسمها كلثمة وقال السهيلي اسمها كلثوم (قصيه) أى فتشي خبره وانظري الى أين وقع (فبصرت به عن جنب) أى فأبصرت مريم ذلك الغلام كائنة من مكان بعيد اختفاء عن الناس (وهم لا يشعرون) بغرضها وبانها أخت موسى (وحرمنا عليه المراضع من قبل) أى منعناه ان يرتضع من المرضعات التى أحضرها فرعون من قبل مجيء أمه قال الضحاك كانت أمه قد أرضعته ثلاثة أشهر حتى عرف ريحها وروى ان موسى مكث ثمان ليال لا يقبل ثديا يصيح فقالوا الأخت موسى بعد نظرها له وقربها منه هل عندك مرضعة تدلينا عليها لعله يقبل ثديها (فقالت) أى أخت موسى لآل فرعون عند عدم قبوله ثدي أحد من المرضعات (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) أى يضمنون رضاعه ويقومون بجميع مصالحه لأجلكم (وهم له ناصحون) أى هم يمنعونه ما يضره فى تربيته واغذائه ولا يخونونكم فيه قال السدى لما قالت مريم ذلك أخذوها وقالوا انك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت ما أعرفه وقالت انما أردت أنهم للملك ناصحون فتخلصت منهم بذلك وقيل قالوا لها من هم قالت أمي قالوا أولأمك ابن قالت نعم هرون قالوا صدقت فأتينا بها فانطلقت الى أمها وأخبرتها بحال ابنها وجاءت بها اليهم فلما وجد الصبي ريح أمه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلأت جنباه ريا فقالوا أقيمي عندنا فقالت لا أقدر على فرق بيتى ان رضيتم ان أكفله فى بيتى والا فلا حاجة لى به وأظهرت عدم الرغبة فيه نفيا للتهمة فرضوا بذلك فرجعت به الى بيتها قال الضحاك لما قبل ثديها قال هامان انك لامه قالت لا قال فما بالك قبل ثديك من بين النسوة قالت أيها الملك انى امرأة طيبة الريح حلوة اللبن ما شم ريحي صبي الا أقبل على ثديي قال صدقت فلم يبق أحد من آل فرعون الا أهدى اليها وأتحفها بالذهب والجواهر (فرددناه) أى موسى (الى أمه كى تقر عينها) أى تطيب نفسها بوصول موسى اليها وتربيتها له فى بيتها (ولا تحزن) على موسى بفراقه (ولتعلم أن وعد الله) فى رده اليها وجعله من المرسلين (حق ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن المقصود الاصلى من رده اليها علمها ان وعد الله حق لا خلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه فهذا هو الغرض الدينى وما سواه من قرة العين وذهاب الحزن تبع فمكث موسى عند أمه الى ان فطمته وأمر فرعون باجراء أجرتها لكل يوم دينار وأتت به فرعون واستمر عنده يأكل من مأكوله ويشرب من مائه ويلبس من ملبوسه الى أن كمل (ولما بلغ أشده) أى كمال قوته الجسمانية (واستوى) أى تكامل عقله (آتيناه حكما وعلما) أى أعطيناه علم الحكماء والعلماء (وكذلك) أى ومثل ذلك الذى أعطينا موسى الحكم والعلم (نجزى المحسنين) أى الصالحين بالعلم والحكمة (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) أى ودخل موسى مدينة منف فى وقت اشتغال أهلها عند نصف النهار ومنف بفتح الميم وسكون النون أصلها مافة ومعناها بلغة القبط ثلاثون لانها أول مدينة عمرت بعد الطوفان نزلها مصر بن حام فى ثلاثين رجلا فسميت مافة ثم عربت منف قيل ان موسى عليه السلام لما بلغ أشده وآتاه الله العلم فى دينه ودين آبائه علم أن فرعون وقومه على الباطل فتكلم بالحق وعاب دينهم واشتهر ذلك منه حتى آل الامر الى أن أخافوه وخافهم وكان له من بنى اسرائيل شيعة يقتدون به ويسمعون منه وبالغ فى الخوف بحيث ما كان يدخل مدينة فرعون الا خائفا فدخلها يوما وافق كونهم قائلين (فوجد فيها) أى المدينة (رجلين يقتتلان) أى يلازمان مقدمات القتل من الضرب والخنق (هذا

والهمناها الصبر (لتكون من المؤمنين) أى المصدقين بوعد الله (وقالت لأخته) لاخت موسى (قصيه) اتبعى أثره فاتبعته (فبصرت به عن جنب) أى أبصرته عن بعيد (وهم لا يشعرون) انها أخته (وحرمنا عليه المراضع) أى منعنا موسى ان يقبل ثدى مرضع (من قبل) ان نرده على أمه (فقالت) أخته حين تعذر عليهم رضاعه (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) أى يضمونه اليهم (وهم له ناصحون) أى مخلصون بشفقته (فرددناه الى أمه) وذلك انها دلتهم على أم موسى فدفع اليها تربيه لهم وقوله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعنى آل فرعون كانوا لا يعلمون أن الله وعدها رده عليها (ولما بلغ أشده) أى منتهى قوته وهو ما فوق الثلاثين (واستوى) أى وبلغ أربعين سنة (آتيناه حكما وعلما) أى عقلا وفهما وعلما قبل النبوة (ودخل المدينة) يعنى مدينة بأرض مصر (على حين غفلة من أهلها) أى فيما بين المغرب والعشاء (فوجد فيها رجلين يقتتلان) احدهما اسرائيلي وهو الذى

من شيعته والآخر قبطي وهو الذي (من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) أي استغاثه الاسرائيلي على الفرعوني (فوكزه موسى) أي ضربه بجمع كفه (فقضى عليه) يعني فقتله ولم يتعمد قتله فندم على ذلك لأنه لم يؤمر بقتلهم ف(قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين) ثم استغفر (قال رب انى ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت على) أي بالمغفرة (فلن أكون ظهيرا للمجرمين) أي لن أعين بعدها على خطيئة (فأصبح في) تلك (المدينة خائفا) أي من قتله القبطي (يترقب) أي ينتظر الاخبار (فاذا الاسرائيلي (الذي استنصره بالأمس يستصرخه) أي يستغيثه (قال له موسى انك لغوي مبين) أي ظاهر الغواية قد قتلت لك بالأمس رجلا وتدعوني الى آخر فبل اليهما فظن الذي يستغيثه انه يريده وقال (أتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض) تقتل ظلما فلما قال الاسرائيلي هذا علم القبطي أنه قاتل القبطي بالأمس فأتى فرعون وأخبره بذلك فأمر فرعون بقتل موسى فأتاه رجل وأخبره بذلك وهو قوله تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) وهو مؤمن من آل فرعون (قال يا موسى ان الملا يأتمرون بك) أي يأمر بعضهم بعضا بية ساورون ليقتلوك فاخرج) من هذه المدينة (انى لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب) أي ينتظر الطلب (قال رب نجني من القوم الظالمين) يعني قوم فرعون (ولما توجه) أي قصد بوجهه

من شيعته) أي ممن تابع موسى على دينه وهم بنو اسرائيل (وهذا من عدوه) أي ممن يخالف موسى في دينه وهم القبط فالقبطي الذي سخر الاسرائيلي كان طباخ فرعون استسخره لحمل الحطب الى مطبخه واسمه فليثون أو فاتون (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) أي طلب الاسرائيلي من موسى أن ينصره على القبطي وان يخلصه منه (فوكزه موسى) أي دفعه بأطراف الاصابع وقيل بقبضها وقرأ ابن مسعود فلكزه موسى وقال بعضهم الوكز في الصدر واللكز في الظهر (فقضى عليه) أي أنهى موسى حياة القبطي وخفي هذا على الناس فريعرف به أحد لما هم في الغفلة فندم موسى عليه السلام عليه فدفنه في الرمل (قال هذا من عمل الشيطان) أي هذا القتل من عمل الشيطان لاني لم أومر به أو هذا المقتول من جند الشيطان (انه عدو مضل مبين) أي ظاهر العداوة والاضلال (قال) مناجيا مع الله تعالى (رب انى ظلمت نفسي) بقتل القبطي من غير أمر فان فرعون اذا عرف ذلك قتلني به (فاغفر لي) أي فاستره علي ولا توصل خبره الى فرعون (فغفر له) أي فستره عن الوصول الى فرعون (انه هو الغفور الرحيم) أي المبالغ في ستر ذنوب عباده وفي رحمتهم (قال) موسى (رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين) أي أقسم بانعامك علي بالقوة والمعرفة فلن أكون معينا لاحد من المشركين بل أكون معاونا للمسلمين أي اني وان أسأت في هذا القتل الذي لم أومر به فلا أترك نصرة المسلمين على المجرمين ونصرة المؤمن واجبة في جميع الشرائع قال الفراء وفي قراءة عبد الله فلا تجعلني ظهيرا للمجرمين (فأصبح في المدينة خائفا يترقب) أي فصار موسى في المدينة التي قتل فيها القبطي خائفا من أن يظهر انه هو القاتل فيطالب بذلك القتل يترقب أي ينتظر نصرة الله اياه (فاذا الذي استنصره بالامس) أي فاذا الاسرائيلي الذي استعان موسى على القبطي (يستصرخه) أي يطلب من موسى نصرته بصياح على قبطي آخر يريد ان يستخدم الاسرائيلي (قال له) أي للقبطي (موسى انك لغوي مبين) في تسخيرهذا الاسرائيلي (فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما) أي فلما أراد موسى أن يأخذ عدوه وعدو الاسرائيلي بسطوة لخلاصه من عدوهما لان القبطي لم يكن على دينهما ولان القبط أعداء بني اسرائيل (قال) أي القبطي وكان عرف القصة من الاسرائيلي أو كان توهم من زجر موسى للاسرائيلي انه هو الذي قتل الرجل بالامس (ياموسى أتريد أن تقتلني) اليوم (كما قتلت نفسا) قبطيا (بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض) أي ماتريد ياموسى الا ان تفعل ماتريده في أرض مصر من ضرب وقتل من غير نظر في العواقب (وما تريد أن تكون من المصلحين) أي المتورعين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وانتشر حديث هذه الواقعة في المدينة وانتهى الى فرعون وهموا بقتله (وجاء رجل) هو مؤمن آل فرعون اسمه سمعان وكان ابن عم فرعون (من أقصى المدينة) أي من آخرها (يسعى) أي يسرع في مشيه (قال ياموسى ان الملا) أي أولياء المقتول (يأتمرون بك ليقتلوك) أي يأمر بعضهم بعضا بقتلك فاتفقوا على أن يجالوا فيك ليهلكوك (فاخرج) من هذه المدينة (انى لك من الناصحين) أي المشفقين (فخرج) موسى عليه السلام (منها) أي المدينة (خائفا) على نفسه من آل فرعون (يترقب) أي ينتظر لحوق الطالبين ويكثر الالتفات وينظر هل يلحقه أحد يطلبه (قال) عند ذلك (رب نجني من القوم الظالمين) أي خلصني منهم واحفظني من لحوقهم وهذا يدل على ان قتله عليه السلام لذلك القبطي لم يكن ذنبا (ولما توجه

مدين) وهي بئر كانت لهم (وجد عليه أمة) أي جماعة (من الناس يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم امرأتين تذودان) أي تحبسان غنمهما عن الماء حتى يصدر الرعاء مواشي الناس (قال) موسى لهما (ماخطبكما) أي ماشأنكما لاتسقيان مع الناس (قالتا لانسقي) مواشينا (حتى يصدر الرعاء) عن الماء لانا لانطيق ان نستقي وان نزاحم الرجال فاذا صدروا سقينا من فضل مواشيهم (وأبونا شيخ كبير) لايمكنه أن يردوأن يستقي (فسقى لهما) أغنامهما من بئر أخرى رفع عنها حجرا كان لايرفعه الاعشرة أنفس (ثم تولى الى الظل) أي ظل شجرة (فقال رب انى لما أنزلت الى من خير) طعام (فقير) أي محتاج وكان قدجاع فسأل الله ما يأكل فلما رجعتا الى أبيهما أخبرتاه بما فعل موسى فقال لاحديهما اذهبي فادعيه فذلك قوله (فجاءته احداهما تمشي على استحياء) أي مستترة بكم درعها (قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص) أي أخبره بأمره والسبب الذي أخرجه من أرضه (قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين) يعني فرعون وقومه فانه لاسلطان له بأرضنا (قالت احداهما ياأبت استأجره) اتخذه أجيرا ليرعى أغنامنا

تلقاء مدين) أي لما قصد الذهاب الى مدين لانها ليست تحت ملك فرعون ولانه وقع في نفسه ان بينه وبين أهل مدين قرابة لانهم من ولد مدين بن ابراهيم عليه السلام وهو منهم ولم يكن له علم بالطريق بل اعتمد على فضل الله تعالى (قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) وهي من اضافة الصفة للموصوف أي الطريق الوسط وكان لمدين ثلاث طرق فأخذ موسى الطريق الوسطى وأخذ الطلاب الاخريين وقال ابن اسحق خرج موسى من مصر الى مدين بغير زاد ولا مركوب و بينهما مسيرة ثمانية أيام ولم يكن له طعام الا ورق الشجر ونبات الارض وما وصل الى مدين حتى وقع خف قدميه (ولما ورد ماء مدين) أي لما وصل الى بئر مدين (وجد عليه) أي فوق شفيرها (أمة) أي جماعة (من الناس يسقون) مواشيهم وكانوا أربعين رجلا (ووجد من دونهم امرأتين تذودان) أي تحبسان غنمهما عن الماء من ضعفهما حتى يفرغ القوم وقال ابن اسحق اسم الكبرى صفوراء والصغرى ليا (قال) موسى لهما (ماخطبكما) أي ماشأنكما لاتسقيان غنمكما (قالتا لانسقي) أي لا نقدر أن نسقي غنمنا (حتى يصدر الرعاء) قرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم بفتح الياء وضم الدال أي حتى يرجعوا من سقيهم والباقون بضم الياء وكسر الدال أي حتى يصرفوا مواشيهم عن الماء (وأبونا شيخ كبير) لايستطيع أن يسقي وليس له أحد يعينه غيرنا (فسقى لهما) أي فسقى موسى غنمهما لاجلهما قيل عمد موسى الى بئر على رأسه صخرة لايرفعها الاعشرة رجال فنحاها بنفسه واستقى الماء من ذلك البئر (ثم تولى) أي انصرف موسى (الى الظل) أي ظل سمرة فجلس فيه ليستريح من حر الشمس وهو جائع لم يذق طعاما في سبعة أيام (فقال رب انى لما أنزلت الي من خير فقير) أي رب اني بسبب ما نزلت الي من خير الدين صرت فقيرا في الدنيا وذلك لان موسى كان عند فرعون في ثروة فقال ذلك رضا بهذا البدل وفرحا به وشكرا له روي انهما لما رجعتا الى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي وهي الكبرى عند الاكثرين (فجاءته احداهما) واسمها صفوراء (تمشي على استحياء) أي مائلة عن الرجال رافعة كمها على وجهها (قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا) مواشينا روي ان موسى عليه السلام أجابها فانطلقا وهي امامه فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق ففعلت حتى أتيا دار شعيب عليه السلام (فلما جاءه) أي جاء موسى شعيبا (وقص) موسى (عليه القصص) أي فراره من فرعون (قال) شعيب له (لاتخف نجوت من القوم الظالمين) من أهل مصر فان فرعون لاسلطان له في أرضنا قال الضحاك لما دخل على شعيب قال له من أنت ياعبد الله فقال أنا موسى بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب وذكر له جميع أمره من لدن ولادته وأمر القوابل والمراضع والقذف في اليم وقتل القبطي وانهم يطلبونه ليقتلوه فقال شعيب لاتخف نجوت من القوم الظالمين أي لا سلطان في مملكة فرعون وروي ان موسى لما دخل على شعيب فاذا الطعام موضوع فقال شعيب تناول يافتى فقال موسى عليه السلام أعوذ بالله قال شعيب ولم ذلك قال لانا من أهل بيت لانبيع ديننا بملء الارض ذهبا ولا نأخذ على المعروف عوضا فقال شعيب عادتي وعادة آبائي اطعام الضيف فجلس موسى فأكل وانما كره أكل الطعام خشية أن يكون ذلك أجرة له على عمله (قالت احداهما) وهي التي دعته الى أبيها وهي التي تزوجها موسى (ياأبت استأجره) أي

اتخذه أجيرا لرعي أغنامنا (ان خير من استأجرت القوي الامين) روي ان شعيبا أخذته الغيرة
فقال وما أعلمك بقوته وأمانته فذكرت ما شاهدته منه عليه السلام من كيفية السقي ورفع الصخرة
من فم البئر ومن غض بصره حال ذودهما الماشية وحال سقيه لهما وحال مشيه أمامها الى أبيها (قال)
أي شعيب لموسى عند ذلك (اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين) أي الحاضرتين (على أن
تأجرني ثماني حجج) أي مشروطا على ان تأجرني نفسك في رعي غنمي ثماني سنين (فان أتممت
عشرا) من السنين في العمل (فمن عندك) أي فالتمام من عندك بطريق التفضل لا من عندي
بطريق الالزام عليك (وما أريد أن أشق عليك) بالزام أتم الاجلين ولا كاملك الاحتياط الشديد في
كيفية الرعي لي أساهلك فيها بقدر الامكان (ستجدني ان شاء الله من الصالحين) في حسن المعاملة
وغيره وانما قال شعيب ان شاء الله للتبرك ولتفويض أمره الى معونته تعالى لا لتعليق صلاحه بمشيئته
تعالى (قال) موسى (ذلك بيني وبينك) أي ذلك الشرط ثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا
(أيما الاجلين قضيت فلا عدوان علي) أي أي أحد الوقتين وفيتكه بأداء الخدمة فيه فلا اثم
علي فكما لا اثم علي في قضاء الاكثر لا اثم علي في قضاء الاقصر فقط (والله على ما نقول) من الشرط
الجاري بيننا (وكيل) أي شاهد ولما تم العقد بينهما أمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصا يدفع بها
السباع عن غنمه وفي بعض الاخبار ان موسى لما عقد العقد مع شعيب وأصبح من الغد وأراد الرعي
قال له شعيب عليه السلام اذهب بهذه الاغنام فاذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تأخذ على
يمينك وان كان الكلأ بها أكثر فان بها تنينا عظيما فأخشى عليك وعلى الاغنام منه فذهب موسى
بالاغنام فلما بلغ مفرق الطريق أخذت الاغنام ذات اليمين فاجتهد موسى على ان يردها فلم يقدر
فسار على أثرها فرأى عشبا كثيرا ثم ان موسى عليه السلام نام والاغنام ترعى واذا بالتنين قد جاء
فقامت عصا موسى فقاتلته حتى قتلته وعادت الى جنب موسى وهي دامية فلما استيقظ موسى رأى
العصا دامية والتنين مقتولا فارتاح لذلك وعلم أن لله تعالى في تلك العصا آية وعاد الى شعيب وكان
ضريرا فمس الاغنام فاذا هي أحسن حالا مما كانت فسأله عن ذلك وأخبره موسى بالقصة ففرح بذلك
وعلم أن لموسى وعصاه شأنا فأراد أن يجازي موسى على حسن رعيها كراما له وصلة لابنته فقال اني
وهبت لك من السخال التي تضعها أغنامي في هذه السنة كل ابلق وبلقاء فأوحى الله الى موسى أن
اضرب بعصاك الماء التي تسقي الغنم منه ففعل ثم سقى الاغنام منه فما أخطأت واحدة منها الا وضعت
حملها ما بين أبلق وبلقاء فعلم شعيب ان ذلك رزق ساقه الله تعالى الى موسى وامرأته فوفى له بشرطه
(فلما قضى موسى الاجل) أي أتمه (وسار) نحو مصر لصلة رحمه وزيارة أمه وأخيه (بأهله) أي بزوجته
وابنه منها والخادم باذن من شعيب عليه السلام (آنس من جانب الطور نارا) أي رأى من جهة جبل
الطور عن يسار الطريق نارا ولما عزم على السير قال لزوجته اطلبي من أبيك أن يعطينا بعض الغنم
فطلبت من أبيها ذلك (قال لاهله امكثوا) أي انزلوا ههنا (اني آنست نارا) وقرأ حمزة لاهله في الوصل
بضم الهاء وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء (لعلي آتيكم منها بخبر) أي من عند النار
بخبر الطريق وقد كان موسى تحير في الطريق (أو جذوة) أي عود غليظ (من النار) وقرأ عاصم بفتح
الجيم وحمزة بضمها والباقون بالكسر (لعلكم تصطلون) أي لكي تدفؤا بها روي أنه أظلم عليه الليل
في الصحراء وهبت ريح مبددة فرقت ماشيته وأصابهم مطر فوجدوا بردا شديدا فعند ذلك أبصر
نارا بعيدة فسار اليها يطلب من يدله على الطريق (فلما أتاها) أي النار التي أبصرها (نودي من

(ان خير من استأجرت القوي الامين) وانما قالت ذلك لانها عرفت قوته برفع الحجر من رأس البئر وأمانته لان موسى قال لها لما دعته الى أبيها امشي خلفي فانا بنو يعقوب لا ننظر الى أعجاز النساء (قال) عند ذلك الشيخ لموسى (اني أريد أن أنكحك) أزوجك (احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني) أي تكون أجيرا لي (ثماني حجج) أي سنين (فان أتممت عشرا فمن عندك) وليس بواجب عليك (وما أريد أن أشق عليك) بأن أشرط العشر (ستجدني ان شاء الله من الصالحين) أي من الوافين بالعهد (قال) موسى (ذلك) الذي وصفت (بيني وبينك) أي لك ما شرطت علي ولي ما شرطت لي من تزويج احداهما (أيما الاجلين قضيت فلا عدوان علي) أي لا ظلم علي بأن أطالب بأكثر منه (والله على ما نقول وكيل) أي والله شاهد على معقدنا (فلما قضى) مفسر فيما مضى الى قوله (أو جذوة) يعني قطعة وشعلة (من النار فلما أتاها نودي من

شاطئ الوادي الايمن) أي أتاه النداء من الشاطئ الايمن بالنسبة الى موسى (في البقعة المباركة) فانه حصل لموسى عليه السلام في تلك البقعة ابتداء الرسالة وتكليم الله تعالى اياه والجار والمجرور متعلق بنودي (من الشجرة) أي من جهة الشجرة وهي شجرة عناب أو شوك وهذا بدل اشتمال من شاطئ (أن ياموسى) فان مفسرة (انى أنا الله رب العالمين) والعامة على كسر همزة انى على تضمين النداء معنى القول وقرئ بالفتح فهي معمولة لفعل مضمر تقديره أي ياموسى اعلم أنى أنا الله (وأن ألق عصاك) من يدك وهذا معطوف على أن ياموسى مفسر أيضا لنودي فألقاها فصارت ثعبانا فتحركت رافعة رأسها (فلما رآها تهتز كأنها جان) أي شبيهة بالحية الصغيرة في سرعة حركتها مع غاية عظم جثتها ولم تدع شجرة ولا صخرة الا ابتلعت حتى ان موسى سمع صرير أسنانها وقعقعة الشجر والصخر في جوفها (ولى مدبرا) هاربا منها (ولم يعقب) أي لم يرجع ولم يلتفت اليها قال الله (ياموسى أقبل) اليها (ولا تخف) منها (انك من الآمنين) من شرها فأخذها موسى فاذا هي عصا كما كانت قال الله له (اسلك يدك في جيبك) أي أدخل كمك اليمين في طوق قيصك وأخرجها (تخرج بيضاء) لها ضوء كضوء الشمس (من غير سوء) أي عيب (واضمم اليك جناحك من الرهب) أي أدخل الكف اليمين التي حصل فيها البياض في جيبك فتعود الى حالها فيزول عنك الفزع الذي حصل لك وقيل من أجل الخوف اذا أرهبت بها الناس، قال ابن عباس ان الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يضم يده الى صدره ليذهب عنه الخوف عند معاينة الحيه فمعنى من أجل الرهب أي اذا أصابك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقال مجاهد وكل من فزع فضم جناحه اليه ذهب عنه الفزع (فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه) أي فالعصا واليد حجتان نيرتان كائنتان من الله تعالى واصلتان الى فرعون وقومه (انهم كانوا قوما فاسقين) أي خارجين عن عبودية الله فكانوا أحقاء بأن نرسلك اليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين (قال رب انى قتلت منهم نفسا) هو القبطي (فأخاف أن يقتلون) بمقابلتها فيفوت المقصود بقتلي (وأخي هرون هو أفصح مني لسانا) أي أبين مني كلاما (فأرسله معي ردأ) أي معينا وقرأ نافع ردا بتنوين الدال وحذف الهمزة (يصدقني) أي أرسل معي أخي حتى يعاضدني على اظهار الحجة فربما حصل المقصود من تصديق فرعون والمراد بتصديق هرون تلخيصه بلسان الفصيح وجوه الدلائل وجوابه عن الشبهات ومجادلته الكفار وقرأ عاصم وحمزة بالرفع صفة لردأ أو يروى عن أبي عمرو أيضا والباقون بالجزم وهو المشهور عن أبي عمرو (انى أخاف أن يكذبون) بالرسالة لان لساني لا يطاوعني عند المحاجة بسبب العقدة التي حصلت بسبب الجمرة (قال) الله تعالى (سنشد عضدك باخيك) أي سنقوي ظهرك بهرون ونعين أمرك به (ونجعل لكما سلطانا) أي غلبة بالحجة في الحال وغلبة في المملكة في ثاني الحال (فلا يصلون اليكما بآياتنا) فالآية التي هي قلب العصا حية تمنع من وصول ضرر فرعون الى موسى وهرون عليهما السلام لانهم اذا علموا انه متى ألقاها صارت حية عظيمة وان أراد ارسالها ليهم أهلكتهم زجرهم ذلك عن الاقدام عليهما بسوء فصارت مانعة من وصولهم اليهما بالقتل وغيره (أنتما ومن اتبعكما الغالبون) على فرعون وقومه بالبرهان والدولة وقوله بآياتنا متعلق بلا يصلون أو بالغالبون (فلما جاءهم موسى بآياتنا) وهي العصا واليد ففي كل منهما آيات عديدة (بينات) أي واضحات الدلالة على صحة رسالة موسى من الله تعالى (قالوا ما هذا) أي الذي جئتنا به (الا سحر مفترى) أي موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر أو سحر كذب هو من تلقاء نفسك لان الذي أظهرته معجزة صادرة من الله تعالى وانما أنت تفتري على الله الى (وما سمعنا بهذا) أي الذي تدعونا اليه من التوحيد والذي تدعيه من الرسالة عن الله تعالى

شاطئ الوادي الأيمن) أي من جانب الوادي الأيمن عن يمين موسى (في البقعة) أي في القطعة الارض (المباركة) أي بتكليم الله فيها موسى وانبائه النبوة (من الشجرة) أي من جانب الشجرة (أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين) والباقي مفسر فيما سبق الى قوله (واضمم اليك جناحك) أي يدك (من الرهب) أي من الخوف والمعنى سكن روعك واخفض عليك جانبيك وذلك أنه كان يرتعد خوفا (فذانك) أي اليد والعصا (برهانان من ربك) الآية وقوله (ردأ) أي معينا (قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا) أي حجة بينة (بآياتنا) أي بالعصا واليد وسائر ما أعطيا (فلا يصلون اليكما) بسوء

واقعا (فى آبائنا الاولين) وقد كذبوا فانهم سمعوا ذلك على أيام يوسف عليه السلام (وقال) لهم (موسى) وقرأ ابن كثير بغير واو (ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار) أى ربى عالم بمن جاء بالرسالة من عنده وبمن تكون له العاقبة المحمودة فى الدنيا وهى ان يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلق الملائكة بالبشرى عند الموت فالدنيا خلقت مزرعة للآخرة ومجازا اليها والمقصود بالذات هو الثواب للمطيعين العابدين فيكون الثواب هو العاقبة الاصلية ولا اعتداد بعاقبة السوء لانها من نتائج أعمال الفجار ويكون العقاب انما قصد بالتبعية (انه لا يفلح الظالمون) أى يظفر المشركون بالنجاة والمنافع كما قال القائل من بحر الطويل

فليتك تحلو والحياة مريرة * وليتك ترضى والانام غضاب

وليت الذى بينى وبينك عامر * وبينى وبين العالمين خراب

(وقال فرعون) بعدما جمع السحرة لمعارضة موسى فكان من أمرهم ما كان (يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فأوقد لى يا هامان على الطين) أى بعد ما تخذه لبنا ولم يقل فرعون اطبخ لى الآجر لانه أول من عمل الآجر فهو يعلم صنعته لهامان (فاجعل لى) منه (صرحا) أى قصرا عاليا (لعلى أطلع الى اله موسى) أى أنظر اليه (وانى لأظنه) أى موسى عليه السلام (من الكاذبين) فى ادعاء وجود اله غيرى فليس فى السماء من اله واعلم ان عادة فرعون متى ظهرت حجة موسى يدفعها بشبهة يروجها على أغمار قومه وهى قوله لا دليل على وجود اله غيرى ولا أثبته بل أظن موسى كاذبا فى دعواه وذلك نفى اله غير نفسه وقوله لا تكليف على الناس لأن طيعوا املككهم ويتقادوا لأمره فهذا هو ادعاؤه الالهية لا ادعاؤه كونه خالقا للسماء والارض ومن مكر فرعون ودهائه انه لما دل سيدنا موسى عليه السلام فرعون بقوله رب السموات والارض أوهم فرعون أغمار قومه ان موسى قال ان الهه فى السماء وأمر فرعون وزيره ببناء الصرح قيل لما أمر فرعون ببناء لصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء سوى الاتبع والاجراء وأمر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وسبك المسامير فبنوا الصرح ورفعوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بناء أحد من الخلق فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه راكبا على البراذين وأمر بنشابة فضرب بها نحو السماء فردت اليه وهى ملطوخة بالدم فقال قد قتلت اله موسى فبعث الله جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع قطعة وقعت على عسكر فرعون فقتلت منه ألف ألف رجل وقطعة وقعت فى البحر وقطعة وقعت فى المغرب ولم يبق أحد من عماله الا وقد هلك (واستكبر هو وجنوده فى الارض) أى أرض مصر (بغير الحق) أى ملتبسين بغير استحقاق (وظنوا) أى فرعون وجموعه القبط (أنهم الينا) أى الى حكمنا (لا يرجعون) بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائى بفتح الياء وكسر الجيم فهو من الرجوع وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الجيم فهو من الرجع (فأخذناه وجنوده) عقب ما بلغوا أقصى الغايات فى العتو وفى هذا استحقار لهم واستقلال لعددهم وان كانوا كبيرا كثيرا وتعظيم لشأن الاخذ فشبههم الله تعالى بحصيات أخذهن آخذ فى كفه فطرحهن فى البحر وذلك قوله تعالى (فنبذناهم فى اليم) أى فألقيناهم فى البحر قيل هو بحر يسمى اساف من وراء مصر حكاه ابن عساكر (فانظر) يا أشرف الخلق (كيف كان عاقبة الظالمين) أى كيف صار آخر أمر المشركين وبينه لقومك ليعتبروا به (وجعلناهم أئمة) أى رؤساء (يدعون الى النار) أى الى ما يؤدى الى النار من الكفر والمعاصى وقرأ أبو عمرو ونافع وابن كثير أيمة بابدال الهمزة الثانية ياء (ويوم القيامة لا ينصرون) فلا يمكن التخلص من العقاب الذى سينزل بهم لانهم بلغوا أقصى النهايات فى باب المعاصى حتى صاروا

(وقال موسى) لما كذب ونسب الى السحر (ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) يعنى نفسه أى ربى أعلم بى ان الذى جئت به من عنده (ومن تكون له عاقبة الدار) أى العقبى المحمودة فى الدار الآخرة وقوله (فأوقد لى يا هامان على الطين) أى اطبخ لى الآجر (فاجعل لى صرحا) أن بناء مشرفا طويلا (لعلى أطلع الى اله موسى) أى أنظر اليه وأقف عليه (وجعلناهم أئمة) أى قادة ورؤساء (يدعون الى النار) أى الى الضلالة التى عاقبتها النار

[illegible]

قدوة للضلال (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) أي ابعادا من الرحمة ولا تزال تلعنهم الملائكة والمؤمنون خلفا عن سلف (ويوم القيامة هم من المقبوحين) أي من المطرودين عن الرحمة ومن الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجوه (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي التوراة (من بعد ما أهلكنا القرون الاولى) هم أقوام نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام (بصائر للناس) أي حال كون الكتاب أنوار القلوب الناس فانه يستبصر به في باب الدين (وهدى) الى كل خير فان الكتاب يستدل به والمتمسك به يفوز بمطلوبه من الثواب (ورحمة) لان الكتاب من نعم الله تعالى على من تعبد به فكل من عمل به ينال رحمة الله تعالى (لعلهم يتذكرون) أي ليكونوا على حال يرجى منه التذكر وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما أهلك الله تعالى قرنا من القرون بعذاب من السماء ولا من الارض منذ أنزل التوراة غير أهل القرية التي مسخها قردة (وما كنت) يا أفضل الخلق (بجانب الغربي) أي في المكان الواقع في شق الغرب من جبل الطور وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى عليه السلام الذي رأى فيه النار (اذ قضينا الى موسى الامر) أي حين أوحينا الى موسى أمر الرسالة حيث أمرناه بالاتيان الى فرعون وقومه (وما كنت من الشاهدين) لموسى وما جرى عليه (ولكنا أنشأنا قرونا) أي ولكنا خلقنا بين زمانك وزمان موسى أمما كثيرة (فتطاول عليهم العمر) فتغيرت الاحكام وخفيت عليهم الاخبار لاسيما على آخرهم فاقتضى الحال اظهار الاحكام الجديدة فأوحينا اليك فاخبارك عن هذه الاشياء من غير حضورها دلالة ظاهرة على نبوتك (وما كنت ثاويا في أهل مدين) أي وما كنت يا سيد الرسل مقيما في أهل مدين من شعيب والمؤمنين به (تتلو عليهم آياتنا) أي تقرأ على أهل مدين آياتنا الناطقة بالقصة على طريق التعلم منهم ويقال وما كنت مقيما في أهل مدين وقت تلاوتك القرآن على قومك أهل مكة تخبرهم قصة أهل مدين مع موسى ومع شعيب حتى تنقلها بطريق المشافهة وانما أتتك بطريق الوحي الالهي فاخبارك لأهل مكة انما هو عن وحي لا عن مشاهدة للمخبر عنه وذلك قوله تعالى (ولكنا كنا مرسلين) اياك وموحين اليك تلك الآيات ونظائرها (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) أي وما كنت يا سيد الخلق بجانب جبل زبير حين نادينا موسى ليلة المناجاة والتكليم لما أتى الميقات مع السبعين لأخذ التوراة ويقال اذ نادينا أمتك قال وهب لما ذكر الله لموسى فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال رب أرنيهم قال انك لن تدركهم وان شئت أسمعتك أصواتهم قال بلى يارب فقال الله تعالى يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب آبائهم فأسمعه الله تعالى أصواتهم ثم قال أجبتكم قبل أن تدعوني (ولكن رحمة من ربك) أي ولكن أرسلناك بالقرآن لرحمة عظيمة كائنة منا لك وللناس وقرأ عيسى ابن عمر بالرفع أي لكن هي رحمة (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) أي لكي تخوف بالقرآن من العقاب على المعصية قوما لم يأتهم رسول مخوف قبلك لوجودهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة أو بينك وبين اسماعيل بناء على القول بأن دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل (لعلهم يتذكرون) أي يتعظون بانذارك (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) أي ولولا انهم قائلون بلسان الحال اذا عوقبوا يوم القيامة بسبب اكتسابهم في كفرهم أنواع المعاصي لم ترسل الينا رسولا مع الكتاب قبل هذا العذاب فيتسبب عن ارسال رسولك أن نتبع كتابك ونصدق بكل ما أتى به رسولك ما أرسلناك اليهم وانما أرسلنا الرسول قطعا لمعاذيرهم بالكلية أي لكي لا يكون لهم حجة علينا (فلما جاءهم الحق من عندنا) أي فلما جاء الرسول بالكتاب المعجز أهل مكة (قالوا)

لعنة) وذلك أنهم لما أغرقوا أرواحهم يعرضون على النار غدوة وعشيا الى يوم القيامة (ويوم القيامة هم من المقبوحين) أي من الممقوتين المهلكين (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس) أي مبينا لهم (وما كنت بجانب الغربي) أي الجبل الغربي الذي هو في جانب الغرب (اذ قضينا الى موسى الأمر) أي أحكمناه معه وعهدنا اليه بأمرنا ونهينا (وما كنت من الشاهدين) أي حاضر من هنالك (ولكنا أنشأنا) أي أحدثنا وخلقنا (قرونا) أي أمما (فتطاول عليهم العمر) فنسوا عهد الله وتركوا أمره (وما كنت ثاويا) أي مقيما (في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين) أي أرسلناك رسولا وأنزلنا عليك هذه الاخبار ولولا ذلك لما علمتها (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) موسى (ولكن) أوحينا اليك هذا القصص (رحمة من ربك لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة) أي عقوبة ونقمة (بما قدمت أيديهم) ﻫ جواب لولا محذوف تقديره لعاجلناهم بالعقوبة (فلما جاءهم الحق) محمد بالحق (من عندنا قالوا

أي كفار مكة تعنتا (لولا أوتي مثل ما أوتي موسى) أي هلا أعطى محمد مثل ما أعطى موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية ومن اليد البيضاء وغير ذلك قال تعالى ردا عليهم (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل) أي ألم يكفر كفار مكة من قبل هذا القول بما أعطى موسى من الكتاب كما كفروا بهذا القرآن فان كفار قريش كانوا منكرين لجميع النبوات فلما طلبوا من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم معجزات سيدنا موسى عليه السلام رد الله تعالى عليهم بذلك القول لانه لاغرض لهم من هذا الاقتراح الا التعنت (قالوا) أي كفار مكة (سحران تظاهرا) وقرأ الكوفيون بكسر السين وسكون الحاء والمعنى أي ما أوتي محمد وما أوتي موسى سحران تعاونا بتصديق كل واحد منهما الآخر وقرأ الباقون ساحران بصيغة اسم الفاعل أي محمد وموسى ساحران أعان كل منهما صاحبه على سحره روى ان مشركي مكة بعثوا رهطا الى يهود المدينة ليسألهم عن شأن محمد صلى الله عليه وسلم فسألوهم عنه فقالوا انا نجده في التوراة بصفته فلما رجع الرهط اليهم وأخبروهم بما قالت اليهود قالوا ان موسى كان ساحرا كما ان محمدا ساحر فقال تعالى في حقهم أولم يكفروا بما أوتي موسى (وقالوا) أي كفار مكة (انا بكل) من التوراة والقرآن أو من محمد وموسى (كافرون) أي غير مصدقين (قل) لهم تعجيزا لهم وتوبيخا (فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) أي اذا لم تؤمنوا بهذين الكتابين وقلتم فيهما ما قلتم فأتوا بكتاب من عند الله هو أوضح في هداية الخلق منهما (أتبعه) أي فان أتيتم به أتبعه (ان كنتم صادقين) أي في قولكم ان التوراة والقرآن سحران مختلفان (فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) أي فان لم يمكنهم ان يأتوا بكتاب أفضل منهما فاعلم انهم ليس لهم مستند وانما لهم محض هواهم الفاسد (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) أي لا أضل منه لانه أضل من كل ضال (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) لانفسهم بالانهماك في اتباع الهوى والاعراض عن الآيات الهادية الى الحق (ولقد وصلنا لهم القول) أي أنزلنا القرآن منجما يتصل بعضه ببعض ليكون ذلك أقرب الى تنبيه كفار مكة فانهم كل يوم يطلعون على فائدة فيكونون عند ذلك أقرب الى التذكر أو جعلنا القرآن أنواعا من المعاني من قصص وعبر ونصائح (لعلهم يتذكرون) فيؤمنون بما في القرآن (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أي من قبل مجيء القرآن (هم به يؤمنون) وهم مؤمنو أهل الكتاب (واذا يتلى) أي القرآن (عليهم قالوا آمنا به انه) أي القرآن (الحق من ربنا انا كنا من قبله) أي من قبل قراءة القرآن علينا (مسلمين) أي مخلصين لله بالتوحيد مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) بايمانهم بمحمد قبل بعثته وبعد بعثته (بما صبروا) على طعن الكفار وأذاهم متى بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم ودخلوا في دينه قال مقاتل هؤلاء لما آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم شتمهم المشركون فصفحوا عنهم فلهم أجران أجر على الصفح وأجر على الايمان وقال السدي ان اليهود عابوا عبد الله بن سلام وشتموه وهو يقول سلام عليكم (ويدرؤن بالحسنة السيئة) أي ويدفعون بالطاعة المعصية وبالعفو الاذى وبالامتناع من المعاصي ٧ فان نفس الامتناع حسنة (ومما رزقناهم ينفقون) وقال سعيد بن جبير وهم أربعون رجلا قدموا مع جعفر من الحبشة على النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ما بالمسلمين من

فأخبروهم أنهم يجدونه في كتابهم بنعته وصفته فقالوا ساحران تظاهرا يعنون موسى ومحمد تعاونا على السحر (وقالوا انا بكل) أي من موسى ومحمد وما أنزل عليهما (كافرون قل) لهم (فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) أي من كتابيهما (أتبعه ان كنتم صادقين) أي انهما كانا ساحرين (فان لم يستجيبوا لك) أي يجيبوك الى الاتيان بالكتاب (فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) أي يؤثرون هواءهم على الدين (ولقد وصلنا لهم القول) أنزلنا القرآن يتبع بعضه بعضا (لعلهم يتذكرون) يتعظون ويعتبرون (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أي من قبل محمد (هم به يؤمنون) يعني مؤمني أهل الكتاب (واذا يتلى عليهم) يعني القرآن (قالوا آمنا) أي صدقنا (به انه الحق من ربنا) وذلك أنهم عرفوا بما ذكر في كتبهم من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وكتابه (انا كنا من قبله) أي من قبل القرآن ومن قبل محمد صلى

 الله عليه وسلم (مسلمين) لانا كنا نؤمن به وبكتابه (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) مرة بايمانهم بكتابهم ومرة بايمانهم بالقرآن (بما صبروا) أي بصبرهم على ما أوذوا (ويدرؤن بالحسنة السيئة) أي يدفعون بما يعملون من الحسنات ما قدم لهم من السيآت (ومما رزقناهم ينفقون) أي يتصدقون

٧ هكذا بالاصل ولعله وبالامتناع من المعاصي السيئة اهـ

الخصاصة قالوا له يا نبي الله ان لنا أموالا فان أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا بها المسلمين فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فنزلت هذه الآيات الثلاث (واذا سمعوا اللغو) أي ما لا ينفع في دين ودنيا (أعرضوا عنه) أي اللغو (وقالوا) للاغين (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أي لنا ديننا ولكم دينكم (سلام عليكم) وهو سلام اعراض وفراق لا سلام تحية فلا نقابلكم بمثل ما فعلتم بنا (لا نبتغي الجاهلين) أي لا نطلب صحبتهم ولا نجازيهم بالباطل على باطلهم فان المشركين كانوا يسبون مؤمني أهل الكتاب ويقولون تبا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم (انك) يا أشرف الخلق (لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) قال الزجاج أجمع المسلمون على ان هذه الآية نزلت في أبي طالب وذلك ان أبا طالب قال عند قرب موته يا معشر بني عبد مناف أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصح لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخي قال أريد منك كلمة واحدة فانك في آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول لا اله الا الله أشهد لك بها عند الله تعالى قال يا ابن أخي قد علمت انك صادق ولكن أكره أن يقال جزع عند الموت ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك عضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصحك ولكني سوف أموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف ثم مات اه وهذه الآية لا دلالة في ظاهرها على كفر أبي طالب لان الله هو الذي هداه بعد أن أيس منه النبي صلى الله عليه وسلم أما الاحاديث الدالة على عذابه ودخوله النار فهو اما الترك النطق بالشهادتين أو لغيره وذلك ان لم يعتقد بما نطق به من الشهادة فالعذاب يكون لترك النطق بالشهادة وان اعتقد به فالعذاب يكون في مقابلة ترك فرض آخر ومما يدل على انه آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد وصى قريشا عند موته باتباع رسول الله وقال والله لقد دانت له العرب والعجم فلا يسبقنكم اليه سائر العرب فيكونوا أسعد به منكم وعلى هذا قد حصل منه التصديق بقلبه وعن عبد الله بن ثعلب العذري ان أبا طالب لما حضرته الوفاة دعا بني عبد المطلب فقال لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فاتبعوه وأعينوه ترشدوا وانه قال ألم تعلموا انا وجدنا محمدا رسولا كموسى صح ذلك في الكتب وانه قال عند قرب موته مخاطبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ودعوتني وعلمت انك صادق * ولقد صدقت وكنت قبل أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

واعلم انه لو ترك شخص النطق بالشهادتين بعد المطالبة لا اباء عن الاسلام ولا العناد له بل خوف من ظالم أو من ملامة أو مسبة عند من يعظم ذلك وقلبه مطمئن بالايمان فلا يكون كافرا بينه وبين الله بل لو تكلم بالكفر والحالة هذه لا يضره وقال الحليمي لا خلاف في ان الايمان ينعقد بغير كلمة لا اله الا الله حتى لو قال لا اله غير الله أو لا اله ما عدا الله أو ما سوى الله أو ما من اله الا الله أو لا اله الا الرحمن أو لا رحمن الا الله أو الا الباريء فهو كقوله لا اله الا الله اه وكذا لو قال محمد نبي الله أو مبعوثه أو نحو ذلك أو ما يؤدي الى ذلك باللغات العجمية صح اسلامه وحكم بكونه مسلما وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم آدم ومن دونه تحت لوائي وان عبد المطلب يعطى نور الانبياء وجمال الملوك وعن جعفر بن محمد الصادق قال ويحشر عبد المطلب له نور الانبياء وجمال الملوك ويحشر أبو طالب في زمرته أي انما يعطى عبد المطلب نور الانبياء لانه كان على التوحيد ولانه مستقل لا تابع وهو من أهل الفترة وانما يعطى جمال

(واذا سمعوا اللغو) أي القبيح من القول (أعرضوا عنه) أي لم يلتفتوا اليه يعني اذا شتمهم الكفار لم يشتغلوا بمعارضتهم بالشتم (وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) ليس هذا تسليم التحية وانما هو تسليم المتاركة أي بيننا وبينكم المتاركة والتسليم وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال (لا نبتغي الجاهلين) أي لا نصحبهم (انك لا تهدي من أحببت) نزلت حين حرص النبي صلى الله عليه وسلم على ايمان عمه عند موته فلم يؤمن فأنزل الله هذه الآية والمعنى لا تهدي من أحببت هدايته (ولكن الله يهدي من يشاء) هدايته (وهو أعلم بالمهتدين) أي بمن اهتدى في معلومه

الملوك لانه كان سيد قريش فى زمانه فهو فى ذلك ملحق بالملوك الذين عدلوا وما ظلموا ومما يدل على ان أبا طالب مؤمن ما روى عن اسحاق بن عبد الله بن الحرث قال قال العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم أترجو لأبى طالب خيرا قال كل الخير أرجو من ربى ورجاؤه صلى الله عليه وسلم محقق ولا يرجو كل الخير الا لمؤمن وما روى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة شفعت لأبى وأمى وعمى أبى طالب وأخ كان لى فى الجاهلية أورده المحب الطبرى أى وهو الاخ من الرضاعة وفى الحديث انى ادخرت شفاعتى جعلتها لمن مات من أمتى لا يشرك بالله شيأ اهـ وما أخبر صلى الله عليه وسلم ان أبا طالب أخرج من طمطام النار وغمراتها الى ضحضاح منها وخفف عنه من عذابها وجعل أخف أهل النار عذابا ألبس نعلين من النار فما مست النار الا تحت قدميه ولو كان كافرا لكان عذاب الكفر فوق عذاب الكبائر قطعا ولو وجد مؤمن عاص أخف عذابا من أبى طالب لزم الخلف فى قوله صلى الله عليه وسلم حيث جعله أخف أهل النار على الاطلاق فوجب أن يكون عذابه كعذاب عصاة المؤمنين فى مقابلة كبيرة كذا فى رسالة لسيد رسول البرزنجى (وقالوا) أى أهل مكة (ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) أى ان نوحد الله معك يا محمد نطرد من مكة روى ان الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب أن يتخطفونا من أرضنا أى ان يجتمعوا على محاربتنا ويخرجونا من مكة فرد الله تعالى عليهم بقوله تعالى (أولم نمكن لهم حرما آمنا) أى ألم نجعل مكانهم حرما ذا أمن (يجبى اليه ثمرات كل شئ) أى يحمل اليه من كل ناحية ألوان كل شئ من الثمرات وقرأ نافع بالتاء الفوقية (رزقا من لدنا) فاذا كان حالهم ما ذكر مع كونهم عبدة أصنام فكيف يخافون ان نسلط عليهم الكفار ان ضموا الى حرمة البيت حرمة الايمان فرزقا اما مصدر مؤكد ليجبى أو مفعول له أو حال من ثمرات بمعنى مرزوق (ولكن أكثرهم لا يعلمون) انا جعلنا الحرم آمنا وانا سقنا اليه الرزق من كل جهة (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) أى وكثير من أهل قرية كانت حالهم كحالكم فى ادرار الرزق حتى طغوا بالنعمة فى زمن حياتها فأهلكناهم وخربنا ديارهم (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم) أى من بعد هلاكهم (الا قليلا) أى الا فى زمن قليل يسكنها المسافرون ومارو الطريق (وكنا نحن الوارثين) أى المالكين لها بعد هلاك أهلها (وما كان ربك مهلك القرى) أى مهلك أهل القرى (حتى يبعث فى أمها) أى فى أعظمها (رسولا) فعادة الله ان يبعث الرسل فى المدن لان أهلها أفطن وغيرهم يتبعهم (يتلو عليهم آياتنا) الدالة على الحق والداعية اليه بالترغيب والترهيب وذلك لقطع المعذرة (وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون) أى وما كنا مهلكين لاهل القرى بعدما بعثنا فى اشرافهم رسولا يدعوهم الى الحق فى حال من الاحوال الا حال كونهم ظالمين بتكذيب رسولنا وبالكفر بآياتنا (وما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) أى وما أعطيتم يا معشر قريش من أسباب الدنيا كالمال والخدم فهو شئ عادته ان يتنفع به ويتزين به أيام حياتكم وقرئ فمتاعا الحياة بنصب الكلمتين على المصدر وعلى الظرف أى يتمتعون متاعا فى الحياة الدنيا (وما عند الله خير وأبقى) أى منافع الآخرة لمن آمن بالله ورسوله أعظم وأدوم مما لكم فى الدنيا فنصيب كل أحد فى الآخرة بالقياس الى منافع الدنيا كلها كالذرة بالقياس الى البحر فكيف قلتم تركنا الدين لئلا تفوتنا الدنيا (أفلا تعقلون) أى ألا تتفكرون فلا تعقلون ان الدنيا فانية والآخرة باقية (أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) أى أفمن وعدناه وعدا الجنة فهو مدرك الموعود به من غير شك كمن أعطيناه المال والخدم فى الدنيا ثم هو يوم القيامة نحضره للعذاب قال محمد بن كعب نزلت

(وقالوا) يعنى مشركى مكة (ان نتبع الهدى معك) بالايمان بك (نتخطف) أى نسلب ونؤخذ (من أرضنا) لاجماع العرب على خلافنا قال الله تعالى (أولم نمكن لهم حرما آمنا) أخبر الله انه آمنهم بحرمة البيت ومنع منهم العدو فكيف يخافون أن تستحل العرب قتالهم فيه (يجبى) يجمع (اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان ذلك مما تفضل الله به عليهم (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) أى عاشوا فى البطر وكفران النعمة (فتلك مساكنهم) خاوية (لم تسكن من بعدهم الا قليلا) أى لا يسكنها الا المسافرون والمار يوما أو ساعة (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها) أى أعظمها الآية (أفمن وعدناه وعدا حسنا) يعنى الجنة (فهو لاقيه) أى مدركه ومصيبه (كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) فى النار نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم وأبى جهل

هذه الآية في حمزة وعلي وفي أبي جهل وقال غيره في حمزة أو عثمان بن عفان وفي أبي جهل (ويوم يناديهم) معطوف على يوم القيامة (فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) أي ويوم ينادي الله المشركين فيقول توبيخا لهم أين الذين عبدتموهم من دوني وأثبتم لهم شركة في استحقاق العبادة وتزعمون انهم يشفعون لكم أين هم لينصروكم من هذا الذي نزل بكم (قال الذين حق عليهم القول) أي الذين ثبت عليهم مدلول قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا) قال أبو علي الذين أغوينا خبر لاسم الاشارة وأغويناهم مستأنف والمعنى هؤلاء هم الذين أضللناهم فصاروا أتباعنا آثروا الكفر على الايمان فضلوا باختيارهم ضلالا مثل ضلالنا باختيارنا وكنا سببا في كفرهم فقبلوا منا وما أكرهناهم عليه (تبرأنا اليك) منهم ومن عقائدهم وأعمالهم (ما كانوا ايانا يعبدون) أي ما كانوا يطيعوننا وانما كانوا يطيعون أهواءهم (وقيل) للكفار تبكيتا لهم (ادعوا شركاءكم) أي استغيثوا بآلهتكم التي عبدتموها في الدنيا لتنصركم وتدفع عنكم (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) أي فاستغاثوا بهم فلم يجيبوهم ولا انتفعوا بهم (ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) أي أبصر المشركون العذاب لو انهم يبصرون شيأ فانهم لما خاطبهم الله تعالى بقوله ادعوا شركاءكم اشتد الخوف عليهم حتى يصيروا بحيث لا يبصرون شيأ أو المعنى لما قيل ادعوا شركاءكم دعوا الاصنام مرارا كثيرة حتى كأن الاصنام يشاهدون العذاب لو كانوا من الاحياء المهتدين أو المعنى وعلم الكفار حقيقة هذا العذاب في الدنيا لو كانوا يهتدون قال الرازي وهذه الوجوه عندي خير من الوجوه المبنية على ان جواب لو محذوف (ويوم يناديهم) عطف ما قبله سئلوا أولا عن اشراكهم وثانيا عن جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك (فيقول) الله تعالى (ماذا أجبتم المرسلين) اليكم بما دعوكم (فعميت عليهم الانباء يومئذ) أي خفيت عليهم الاخبار يوم اذ سئلوا عن ذلك (فهم لا يتساءلون) أي لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب النافع لانهم يتساوون جميعا في العجز عن الجواب المنجي لفرط الدهشة فلا نطق ولا عقل (فأما من تاب) من الشرك (وآمن) بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم (وعمل صالحا) أي خالصا فيما بينه وبين الله (فعسى أن يكون من المفلحين) أي فليطمع في الفلاح والنجاة من العذاب (وربك يخلق ما يشاء) أن يخلقه (ويختار) ما يشاء اختياره (ما كان لهم الخيرة) أي ليس لهم الاختيار المؤثر عنهم وليس لهم ان يختاروا على الله ان يفعل قال العلماء لا ينبغي لاحد أن يقوم على أمر من أمور الدنيا الا حتى يسأل الله تعالى الخيرة في ذلك بان يصلي صلاة الاستخارة بالكيفية المشهورة وأهل الرضا حطوا الرحال بين يدي ربهم وسلموا الامور اليه بصفاء التفويض فلا يرضيهم الا ما يرضيه ولا يريدون الا ما يريده فيمضيه وروي ان هذه الآية نزلت في شأن الوليد بن المغيرة حين قال لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ويقصد بذلك الوليد بن المغيرة أو ابا مسعود الثقفي فأجاب الله تعالى عنه بقوله تعالى وربك الى آخره والمعنى لا يبعث الله تعالى الرسل باختيار المرسل اليهم (سبحان الله وتعالى عما يشركون) أي تنزيها له تعالى عن ان يزاحم اختياره تعالى اختيار والمقصود ان يعلم العبد أن الاعزاز والاذلال مفوض اليه تعالى ليس لاحد في الخلق والاختيار شركة له تعالى (وربك يعلم ما تكن صدورهم) من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما يعلنون) من الطعن في الرسول بألسنتهم (وهو الله لا اله الا هو) أي وهو المستحق للعبادة لا أحد يستحقها الا الله (له الحمد في الاولى والآخرة) لان الثواب غير واجب عليه بل هو تعالى يعطيه فضلا واحسانا منه تعالى فله الحمد في الدنيا والآخرة لانه معطي النعم كلها فيحمده المؤمنون في الآخرة فرحا بفضله والتذاذا بحمده بقولهم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده (وله الحكم) النافذ في

(قال الذين حق عليهم القول) أي وجب عليهم العذاب (ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون) كعادة الشيطان في التبري ممن يطيعه اذا أورده الهلكة (وقيل) للكفار (ادعوا شركاءكم) أي من كنتم تعبدون من دون الله (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) أي لم يجيبوهم بشئ ينفعهم (ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) لما اتبعوهم ولما رأوا العذاب (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت عليهم الانباء) أي عميت عليهم الحجة لان الله قد أعذر اليهم في الدنيا فلا تكون لهم حجة يومئذ فسكتوا فذلك قوله (فهم لا يتساءلون) أي لا يسأل بعضهم بعضا عما يحتجون به (وربك يخلق ما يشاء) أي كما يشاء (ويختار) أي ويختار مما يشاء ما شاء فاختار من كل ما خلق شيأ (ما كان لهم الخيرة) أي ليس لهم أن يختاروا على الله وليس لهم الاختيار والمعنى لا يرسل الرسل اليهم على اختيارهم والباقي ظاهر الى قوله

كل

كل شئ من غير مشاركة فيه لغيره في الدنيا والآخرة (واليه ترجعون) بالخروج من القبور (قل) يا أفضل الخلق لاهل مكة (أرأيتم) أى أخبرونى (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) أى دائما (الى يوم القيامة) باسكان الشمس تحت الارض أو تحريكها حول الافق الغير المرئى (من اله غير الله يأتيكم بضياء) يخرجكم من مشقة الظلام (أفلا تسمعون) هذا الكلام الحق سماع تفهم تطيعون من يفعل ذلك (قل) لهم (أرأيتم) أى اخبرونى (ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة) باسكان الشمس فى وسط السماء أو تحريكها على مدار فوق الافق (من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه) استراحة عن متاعب الاشغال (أفلا تبصرون) هذه المنفعة الظاهرة ولا تنظرون بقلوبكم ما أنتم عليه من الخطا (ومن رحمته) أى نعمته تعالى (جعل لكم الليل والنهار) لاغراض ثلاثة (لتسكنوا فيه) أى فى أحدهما وهو الليل (ولتبتغوا من فضله) فى الآخر وهو النهار بأنواع المكاسب ففى هذا مدح للسعى فى طلب الرزق كما ورد فى الحديث الكاسب حبيب الله وهو لا ينافى التوكل (ولعلكم تشكرون) أى لكى تشكرون على المنفعتين معا (و يوم يناديهم) أى اذكر يوم ينادى الله المشركين يوم القيامة (فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) أى أين الذين ادعيتم الهيتهم لتخلصكم من الهلاك (ونزعنا من كل أمة شهيدا) أى أخرجنا من كل أمة نبيا يشهد عليهم بما كانوا عليه فى كل زمان فيدخل فيه الاحوال التى فى أزمنة الفترات وفى الازمنة التى حصلت بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (فقلنا) لهم (هاتوا برهانكم) على صحة ما كنتم تدينون به (فعلموا) أى كل أمة يومئذ (أن الحق لله) أى ان حقيقة الالهية لله تعالى لا يشاركه فيها أحد (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أى زال عنهم ما كانوا يعبدون فى الدنيا بالكذب (ان قارون كان من قوم موسى) وروى أبو امامة الباهلى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كان قارون من السبعين المختار بن الذين سمعوا كلام الله تعالى قيل هو ابن عم موسى وعن ابن عباس كان ابن خالته ثم قيل انه كان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بنى اسرائيل للتوراة الا انه نافق كما نافق السامرى (فبغى عليهم) أى طلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت أمره كما قاله القفال وقال ابن عباس تكبر عليهم اهـ ثم حسد موسى على رسالته وهرون على أمانته فى الذبح فكفر بعدما آمن بهما بسبب كثرة ماله و يروى ان موسى عليه السلام لما قطع البحر جعل الحبورة والقربان لهرون فقال قارون ياموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وهو امامة الذبح ولست فى شئ ولا أصبر أنا على هذا فقال موسى عليه السلام والله ما صنعت ذلك لهرون ولكن جعله الله له فقال لا والله لا أصدقك أبدا حتى تأتينى بآية أعرف بها ان الله جعل ذلك لهرون فأمر موسى عليه السلام رؤساء بنى اسرائيل أن يجىء كل رجل منهم بعصاة فجاؤا بها فحزمها موسى فألقاها فى قبة له فباتوا يحرسون عصيهم فأصبحت عصا هرون تهتز طاورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى ياقارون أما ترى ما صنع الله لهرون فقال قارون والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر فاعتزل قارون ومعه ناس كثير من أتباعه من بنى اسرائيل فما كان يأتى موسى عليه السلام ولا يجالسه (وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة) أى وأعطينا قارون من الاموال المدخرة الذى ان مفاتح صناديقه لتثقل الجماعة الكثيرة الاقوياء وأخرج الدينورى عن خيثمة قال قرأت فى الانجيل أن مفاتيح كنوز قارون وقر ستين بغلا كل مفتاح منها على قدر أصبع لكل مفتاح منها كنز (اذ قال له قومه) أى المؤمنون من بنى اسرائيل (لا تفرح) بكثرة المال فالفرح بالدنيا من حيث انها دنيا مذموم مطلقا (ان الله لا يحب الفرحين) بزخارف الدنيا (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) أى اطلب ثواب الله تعالى بسبب المال بأن تصرفه الى ما يؤديك الى الجنة كصدقة

(ونزعنا من كل أمة شهيدا) أى أخرجنا شهيدا يعنى رسولهم الذى أرسل اليهم (فقلنا هاتوا برهانكم) أى ما اعتقدتم أنه برهان لكم أنكم كنتم على الحق (فعلموا أن الحق لله) أى أن الحق ما دعا اليه الله وآتاهم به الرسول (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أى لم ينتفعوا بما عبدوه من دون الله (ان قارون كان من قوم موسى) كان ابن عمه (فبغى عليهم) بالكبر والبذخ وكثرة المال (وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه)

جمع المفتح وهو ما يفتح به (لتنوء بالعصبة) أى تثقل الجماعة (أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح) بكثرة المال ولا تأشر (ان الله لا يحب الفرحين) أى الاشرين البطرين (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) أى اطلبها بانفاق مالك فى رضى الله

وصلة رحم واطعام جائع وكسوة عار ونفقة على محتاج (ولا تنس نصيبك من الدنيا) أى لا تترك العمل في الدنيا للآخرة وخذ ما تحتاجه من الدنيا وأخرج الباقي كما في الحديث اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك (وأحسن كما أحسن الله اليك) أى وأحسن الى عباد الله تعالى احسانا كاحسان الله تعالى اليك فيما أنعم اليك فيدخل في الاحسان الاعانة بالمال والجاه وطلاقة الوجه وحسن اللقاء وحسن الذكر (ولا تبغ الفساد في الارض) أى لا تطلب الفساد بعمل المعاصي في الارض (ان الله لا يحب المفسدين) أى انه تعالى يعاقب المفسدين بسوء أفعالهم (قال) قارون مجيبا الناصحه (انما أوتيته على علم عندى) أى انما أعطيت هذا المال حال كوني متصفا بالعلم الذي عندي وفضلت به على الناس بالمال والجاه فكان ذلك لفضل علمي بالتوراة واستحقاقي لذلك أى لانه أقرأ بني اسرائيل للتوراة كما قاله قتادة ومقاتل والكلبي اه وقال سعيد بن المسيب والضحاك كان موسى عليه السلام أنزل عليه علم الكيمياء من السماء فعلم قارون ثلث العلم ويوشع ثلثه وكالب ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه فكان يأخذ الرصاص فيجعله فضة والنحاس فيجعله ذهبا وكان ذلك سبب كثرة أمواله (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) أى أعلم قارون ما ادعاه ولم يعلم أن الله قد أهلك من هو أقوى منه وأغنى وأكثر جماعة حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) أى لا يسأل الله عن صفة ذنوب المجرمين وعددها اذا أراد أن يعاقبهم لانه تعالى عالم بكل المعلومات (فخرج على قومه في زينته) أى فخرج قارون يوم السبت متزينا مع أتباعه كانوا أربعة آلاف على زيه وكان عن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى والديباج وكانت بغلته شهباء سرجها من ذهب وكان على سرجها الارجوان بضم الهمزة والجيم وهو قطيفة حمراء وكانت خيولهم وبغالهم متحلية بالديباج الاحمر ومعهم ألوان السلاح وقال ابن زيد خرج في تسعين ألفا عليهم المعصفرات وهو أول يوم رؤى فيه المعصفر (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) من المؤمنين جريا على طريقة الجبلة البشرية من الرغبة في السعة (يا) للتنبيه (ليت لنا مثل ما أوتي قارون) من هذه الاموال وهذه الزينة (انه) أى قارون (لذو حظ عظيم) أى لذو بخت وافر من الدنيا (وقال الذين أوتوا العلم) بأحوال الدنيا والآخرة للراغبين في الدنيا (ويلكم) اى ضيق الله عليكم الدنيا وهذا زجر عن ذلك التمني (ثواب الله) في الآخرة (خير لمن آمن وعمل صالحا) من هذه النعم لان الثواب منافع عظيمة وخالصة عن شوائب المضار ودائمة وهذه النعم العاجلة على الضد من هذه الصفات الثلاثة (ولا يلقاها الا الصابرون) أى ولا يعطى هذه الطريقة التي هي الايمان والعمل الصالح الا الصابرون على أمر الله والمرازى أو ولا يعطى الجنة التي هي الثواب الا الصابرون على مخالفات النفس وموافقات الشريعة (فخسفنا به) أى بقارون (وبداره الارض) روى أن قارون كان يؤذي نبي الله موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم وعن كل ألف شاة على شاة وكذلك سائر الاشياء ثم رجع الى بيته فحسبه فوجده شيأ كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت سيدنا وكبيرنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغي كي تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك رفضه بنو اسرائيل فدعوها فجعل قارون لها طشتا من ذهب مملوءا ذهبا فلما كان يوم عيد قام موسى خطيبا فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان كان محصنا رجمناه فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال ان بني اسرائيل يقولون انك فجرت

(ولا تنس نصيبك من الدنيا) أى لا تترك أن تعمل في دنياك لآخرتك (وأحسن) الى الناس (كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض) أى العمل بالمعاصي (قال انما أوتيته على علم عندى) على فضل علم عندى فكنت بذلك العلم مستحقا لفضل المال وكان أقرأ بني اسرائيل للتوراة قال الله تعالى (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) للمال منه (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) لانهم يدخلون النار بغير حساب (فخرج على قومه في زينته) أى في ثياب حمر عليه وعلى دوابه والركبان الذين معه (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) ظاهر الى قوله (ولا يلقاها) (أى ولا يلقن ويوفق لهذه الكلمة (الا الصابرون) أى عن زينة الدنيا

بفلانة قال موسى ادعوها فلما جاءت قال لها موسى يافلانة انا فعلت بك مايقول هؤلاء وسألها بالذى فلق البحر لبنى اسرائيل وأنزل التوراة الاالصدقين فتداركها الله بالتوفيق فقالت كذبوا بل جعل لى قارون جعلا على ان أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا يبكى وقال يارب ان كنت رسولك فاغضب لى فاوحى الله تعالى اليه انى أمرت الارض أن تطيعك فرها بماشئت فقال يابنى اسرائيل ان الله بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معى فليعتزل عنه فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال موسى ياأرض خذيهم فأخذتهم الى الركب ثم قال ياأرض خذيهم فأخذتهم الى الاوساط ثم قال ياأرض خذيهم فأخذتهم الى الاعناق وهم فى كل ذلك يتضرعون الى موسى و يقول له قارون بالله والرحم وموسى عليه السلام لايلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال ياأرض خذيهم فانطبقت الارض عليهم فأصبحت بنواسرائيل يتناجون بينهم انما دعاموسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وأمواله (فما كان له) أى لقارون (من فئة) أى جماعة (ينصرونه من دون الله) أى غيره بدفع العذاب عنه (وما كان من المنتصرين) أى من الممتنعين بأنفسهم من عذاب الله تعالى (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس) أى وصار الذين تمنوا مثل رتبة قارون من الدنيا من زمان قريب (يقولون) متنبهين على خطئهم فى تمنيهم لما شاهدوا الخسف (ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) أى أعجب أنا لان الله يوسع المال على من يشاء من عباده وهو مكر منه تعالى كما كان لقارون ويقتر على من يشاء وهو نظر منه تعالى فان القوم لما شاهدوا مانزل بقارون من الخسف تندموا على تمنيهم حيث علموا ان بسط الرزق لا يكون لكرامة الرجل على الله ولا تضييقه لهوانه عنده فتعجبوا من أنفسهم كيف وقعوا فى مثل هذا الخطا ووى اسم فعل بمعنى أعجب انا والكاف للتعليل وقال أبوالحسن وى اسم فعل والكاف حرف خطاب وأن على اضمار اللام وقيل وى اسم فعل وكأن للتحقيق أى أعجب انا وقد علمت ان كلا من البسط والقبض بمقتضى مشيئته تعالى وليس البسط للكرامة والقبض للهوان (لولا أن من الله علينا) بالايمان والرحمة (لخسف بنا) كما خسف بقارون (ويكأنه لايفلح الكافرون) وقيل وى كلمة للزجر والكاف حرف خطاب وأن معمولة لمحذوف أى انزجر عن تمنيك واعلم أنه لا ينجوا المكذبون برسول الله من عذاب الله (تلك الدار الآخرة) أى الجنة (نجعلها للذين لايريدون علوا فى الارض) أى نعطيها لمن لايريدون غلبة وتكبرا (ولافسادا) أى ظلما على العباد كدأب فرعون وقارون (والعاقبة) الحميدة وهى الجنة (للمتقين) أى للذين يتقون مالا يرضاه الله تعالى من الافعال والاقوال (من جاء بالحسنة) أى من جاء يوم القيامة متصفا بالحسنة المقبولة الاصلية المعمولة (فله خير منها) أى فله بمقابلتها ثواب خير منها ذاتا وصفة وقدرا بالمضاعفة ومثل المعمولة ما فى حكمها كما لوتصدق عن غيره فخرج بالمعمولة مالوهم بحسنة فلم يعملها لمانع فانها يجازى عليها من غير تضعيف وخرجت الحسنة المأخوذة فى نظير الظلامة ولاتضاعف له وخرج بالاصلية الحسنات الحاصلة بالتضعيف والاتضاعف (ومن جاء بالسيئة) وهى مايذم فاعلها شرعا (فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون) أى الاجزاء مثل ما كانوا يعملون (ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) أى ان الذى أوجب عليك تبليغ القرآن والعمل بما فيه من الاحكام لرادك الى مكة فانه صلى الله عليه وسلم خرج من الغار ليلا وسار فى غير الطريق مخافة الطلب فلما أمن رجع الى الطريق ونزل بالجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة فاشتاق اليها وذكر مولده ومولد أبيه فنزل جبريل وقال له أتشتاق الى بلدك ومولدك فقال عليه السلام نعم فقال جبريل ان الله تعالى يقول ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد أى الى مكة غالبا عليهم (قل) ياأشرف الخلق

(وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس) أى صار الذين كانوا يقولون ياليت لنا مثل ماأوتى قارون (يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يوسع لمن يشاء ويضيق (لولا أن من الله علينا) أى عصمنا عن مثل ما كان عليه قارون من البطر والبغى (لخسف بنا) كما خسف به (تلك الدار الآخرة) يعنى الجنة (نجعلها للذين لايريدون علوا فى الارض) تكبرا وتجبرا فيها (ولا فسادا) أى عملا بالمعاصى وأخذ المال بغير حقه (والعاقبة) المحمودة (للمتقين ان الذى فرض عليك القرآن) أى أنزله وقيل فرض عليك العمل بما فى القرآن (لرادك الى معاد) أى الى مكة ظاهرا عليها وذلك حين اشتاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مولده

[illegible] المشركين (ربى أعلم من جاء بالهدى) ومايستحقه من الثواب والاعزاز بالاعلاء [illegible]
فى ضلال مبين) ومايستحقونه من العقاب والاذلال فى بلدهم يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك
نفسه والمشركين (وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب الارحمة من ربك) أى وما كنت قبل مجئ
الرسالة اليك ترجوا انزال القرآن عليك وكونك نبيا فانزاله عليك ليس عن ميعاد وكونك نبيا ليس
عن تطلب سابق منك ولكن أنزل اليك القرآن وتجعل نبيا لاجل الترحم من ربك (فلا تكونن
ظهيرا للكافرين) أى معينا لهم بالاجابة الى طلبتهم (ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك)
أى لاتركن الى أقوال الكافرين فيصدوك عن اتباع آيات الله بعد وقت انزالها عليك وايجاب العمل
بها (وادع الى ربك) أى ادع الناس الى دين ربك (ولاتكونن من المشركين) باعانتهم فى
الامور لان من رضى بطريقتهم أومال اليهم كان منهم (ولا تدع مع الله الها آخر) أى لاتعتمد على
غير الله ولا تتخذ غيره وكيلا فى أمورك (لا اله الا هو) لا نافع ولا ضار ولا معطى ولا مانع الا هو (كل
شئ هالك) أى معدوم فى حد ذاته فان وجوده كلا وجود لان وجوده ليس ذاتيا (الا وجهه) أى ذاته
تعالى وقيل معنى كونه هالكا كونه قابلا للهلاك والمستثنى من الهلاك والفناء ثمانية أشياء نظمها
السيوطى فى قوله

ثمانية حكم البقاء يعمها * من الخلق والباقون فى حيز العدم
هى العرش والكرسى ونار وجنة * وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

(له الحكم) النافذ فى الخلق (واليه) أى الى جزائه بالعدل عند البعث (ترجعون)

﴿ سورة العنكبوت مكية تسع وستون آية وألف وتسعمائة واحدى وثمانون كلمة وأربعة
آلاف وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) أى أظن الذين نطقوا بكلمة الشهادة انهم
يتركون غير ممتحنين بمجرد ذلك النطق لا بل يمتحنون ليميز الراسخ فى الدين من غيره نزلت هذه الآية
فى عمار بن ياسر وعياش بن أبى ربيعة والوليد وسلمة بن هشام وكانوا يعذبون بمكة فكانت صدورهم
تضيق بذلك والمقصود الاقصى من الخلق العبادة والمقصد الاعلى فى العبادة حصول محبة الله وكل من
كان قلبه أشد امتلاء من محبة الله فهو أعظم درجة عند الله لكن للقلب ترجمان وهو اللسان وله مصدقات
هى الاعضاء ولها مزكيات فاذا قال الانسان باللسان آمنت فقد ادعى محبة الله فى الجنان فلا بد له من
شهود فاذا استعمل الاركان فى الاتيان بما عليه من أركان الاسلام حصل له على دعواه شهود مصدقات
فاذا بذل نفسه وماله فى سبيل الله وزكى أعماله بترك ماسوى الله زكى شهوده الذين صدقوه فيما قاله
فحينئذ يحرر اسمه فى جرائد المحبين ويقرر قسمه فى أقسام المقربين (ولقد فتنا الذين من قبلهم)
أى ابتلينا الماضين كسيدنا ابراهيم ألقى فى النار وكقوم نشروا بالمناشير فى دين الله فلم يرجعوا عنه
(فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) أى فليظهرن الصادقين فى قولهم آمنا من الكاذبين
فى ذلك فمن الناس من لا يصبر فى البلاء ولا يشكر فى النعماء فهو من الكاذبين ومنهم من يصبر فى حال
البلاء ويشكر فى حال النعماء فهذه صفة الصادقين ومنهم من لا يستمتع فى العطاء بل يؤثر فى حال الرخاء
ويستريح الى البلاء ويستعذب مقاساة العناء وهذا أجل الكبراء (أم حسب الذين يعملون السيئات
أن يسبقونا) أى بل أحسب المشركون انهم يفرون منا ويفوتونا عذابنا فلا نقدر على مجازاتهم
بعصيانهم (ساء ما يحكمون) أى بئس الذين يحكمونه حكمهم ذلك (من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله

[illegible] يصدنك عن آيات الله بعد
اذ أنزلت اليك) وهلا حين
دعى الى دين آبائه وقوله
(كل شئ هالك الا وجهه)
أى الا اياه (له الحكم)
يحكم مايريد (واليه
ترجعون

﴿ تفسير سورة العنكبوت ﴾
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الم أحسب الناس أن
يتركوا) نزلت فى الذين
جزعوا من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من أذى
المشركين ومعناه أحسبوا
أن يقنع منهم بأن يقولوا
انا مؤمنون فقط ولا
يمتحنون بما يتبين به
حقيقة ايمانهم (ولقد فتنا
الذين من قبلهم) أى اختبرنا
وابتلينا (فليعلمن الله)
صدق (الذين صدقوا) فى
قولهم آمنا بوقوعه منهم
وهو الصبر على البلاء
(وليعلمن) كذب
(الكاذبين) فى قولهم آمنا
بارتدادهم عن الدين
عند البلاء ومعنى العلم هنا
العلم به موجودا كائنا (أم
حسب الذين يعملون السيآت
أن يسبقونا) أى يفوتونا
(ساء ما يحكمون) أى بئس
حكما يحكمون لانفسهم
بهذا الظن (من كان يرجوا
لقاء الله) أى يخشى البعث

لآت) أي من كان يطمع في ثواب الله فليعمل عملا صالحا فإن الوقت المضروب له لجاء لا شك في مجيئه (وهو السميع العليم) فيسمع ما قالوه ويعلم ما يعملونه فالعبد أمور ثلاثة من أصناف حسناته عمل قلبه فهو لا يرى ولا يسمع وإنما يعلم وعمل لسانه فهو يسمع وعمل أعضائه وهو يرى فإذا أتى بهذه الأشياء يجعل الله لمسموعه ما لا أذن سمعت ولمرئيه ما لا عين رأت ولعمل قلبه ما لا خطر على قلب أحد (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه) أي ومن صبر على الشدة في محاربة الكفار وفي مخالفة النفس فإن منفعة صبره له لا لله تعالى (إن الله لغني عن العالمين) فلا حاجة له إلى طاعتهم وإنما أمرهم بطاعة الله توجيها لهم للثواب بمقتضى رحمته (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون) أي بأحسن جزاء أعمالهم فتكفير السيئات في مقابلة الإيمان والجزاء بالأحسن في مقابلة العمل الصالح فالمؤمن يدخل الجنة بإيمانه وتكفر سيئاته به فلا يخلد في النار فحينئذ يكون الجزاء الأحسن غير الجنة وهو ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أن يكون هو رؤية الله تعالى (ووصينا الإنسان بوالديه حسنا) أي أمرنا الإنسان بالبر بوالديه والعطف عليهما لأنهما سبب وجود الولد (وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) أي وإن أمراك أن تشرك بي ما ليس لك بإلهيته علم فلا تطعهما في الإشراك وقوله ما ليس لك به علم إشارة إلى أن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وإن لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه روي أن حمنة بنت أبي سفيان بن أمية ابن عبد شمس لما سمعت بإسلام ولدها سعد بن أبي وقاص الزهري وهو من السابقين إلى الإسلام قالت له يا سعد بلغني أنك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح وإن الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد وكان أحب أولادها إليها ولبثت هي ثلاثة أيام لا تستظل من الضح ولا تأكل ولا تشرب حتى غشي عليها وقال لها والله لو كان لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما كفرت بمحمد عليه السلام فإن شئت فكلي وإن شئت فلا تأكلي فلما رأت ذلك أكلت ثم جاء سعد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما كان من أمرها فأنزل الله تعالى وإن جاهداك الآية (إلي مرجعكم) أي عاقبتكم إلي وإن كان اليوم مجالستكم بالآباء والأولاد والأقارب (فأنبئكم بما كنتم تعملون) فلا تظنوا أني غائب عنكم وآباؤكم حاضرون فتوافقون الحاضرين في الحال فإني حاضر معكم أعلم ما تفعلون ولا أنسى فأنبئكم بجميعه وأجازيكم عليه إن خيرا فخير وإن شرا فشر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين) أي لنجعلنهم في عداد المجردين الذين لا فساد لهم (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله) أي في دين الله (جعل فتنة الناس) مع ضعفها وانقطاعها (كعذاب الله) الأليم الدائم في الآخرة حتى كفر نزلت هذه الآية في المنافقين كعياش بن أبي ربيعة المخزومي فإنهم قالوا للمؤمنين إيماننا كإيمانكم فإذا آذاهم الكفار بالضرب بالسياط جعلوا ذلك الأذى صارفا لهم عن الإيمان كما أن عذاب الله في النار دائما صارف للمؤمنين عن الكفر (ولئن جاء نصر من ربك) وهو فتح مكة وغنيمتها (ليقولن) أي عياش وأصحابه (إنا كنا معكم) أي في الإيمان وإنما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا فأشركونا في الغنيمة لأننا على دينكم قال تعالى تكذيبا لهم في قولهم إنا على دينكم (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) من الإخلاص في الإيمان والنفاق فيه ثم أسلم عياش وأصحابه بعد ذلك وحسن إسلامهم (وليعلمن الله الذين آمنوا) بالإخلاص وثبتوا على الإسلام عند البلاء (وليعلمن المنافقين) بترك الإيمان عند البلاء أي ليجزينهم بما لهم من الإيمان والنفاق (وقال الذين كفروا) وهو الوليد بن المغيرة وأبو جهل وأصحابهما (للذين آمنوا) كعلي

بأحسن أعمالهم وهي الطاعة (ووصينا الإنسان بوالديه حسنا) أي أمرناه أن يحسن إليهما (وإن جاهداك) أي اجتهدا عليك (لتشرك بي ما ليس لك به علم) أنه لي شريك (فلا تطعهما) نزلت في سعد بن أبي وقاص حلفت أمه أنها لا تأكل ولا تشرب ولا يظلها سقف بيت حتى يكفر بمحمد ويرجع إلى ما كان عليه فأمر أن يترضاها ويحسن إليها ولا يطيعها في الشرك وقوله (لندخلنهم في الصالحين) أي في زمرتهم وجملتهم ومعناه لنحشرنهم معهم وقوله (جعل فتنة الناس) أي أذاهم وعذابهم (كعذاب الله) أي جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله ولم يصبر على الأذية في الله (ولئن جاء المؤمنين نصر من ربك ليقولن) يعني هؤلاء الذين ارتدوا حين أوذوا (إنا كنا معكم) وهم كاذبون فقال الله تعالى (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) يعني أنه عالم بإيمان المؤمنين وكفر الكافرين (وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) هذا إخبار عن الله تعالى أنه يعلم إيمان المؤمن ونفاق المنافق (وقال الذين كفروا) من أهل مكة (للذين آمنوا

وسلمان وأصحابهما (اتبعوا سبيلنا) أى ديننا فى عبادة الاوثان (ولنحمل خطاياكم) أى ذنوبكم عنكم يوم القيامة وقرأ الحسن وعيسى بكسر لام الامر وهو لغة الحجاز وليس هذا أمرا فى الحقيقة ورد الله عليهم بقوله (وماهم) أى الكفار (بحاملين من خطاياهم) أى من ذنوب المؤمنين (من شئ) يوم القيامة (انهم لكاذبون) فى مقالتهم (وليحملن) أى الكفرة (أثقالهم) أى أوزار مااقترفته أنفسهم كاملة (وأثقالا مع أثقالهم) أى وأوزار الذين يضلونهم مع أوزارهم (وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) فى قولهم ولنحمل خطاياكم فانه صادر عن اعتقادهم أن لاخطيئة فى الكفر ومن اعتقادهم أن لاحشر و يقال لهم أما قلتم أن لاحشر و يقال لهم احملوا خطاياهم فلا يحملون فيسألون و يقال لهم لم افتريتم (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما) يدعوهم الى التوحيد فلم يجيبوه قال ابن عباس كان عمر نوح عليه السلام ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين سنة ولبث فى قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة (فأخذهم الطوفان) أى الماء الكثير المحيط بهم والمرتفع على أعلى جبل أربعين ذراعا (وهم ظالمون) أى والحال انهم مصرون على كفرهم (فأنجيناه) أى نوحا (وأصحاب السفينة) أى ومن ركب فى السفينة معه عليه السلام من أولاده وأتباعه وكانوا ثمانين (وجعلناها) أى السفينة (آية للعالمين) أى علامة دالة على قدرة الله تعالى وعلمه ووحدته ليتعظوا بها وذلك أن السفينة تخذت قبل ظهور الماء ولولا اعلام الله نوحا ذلك لما اشتغل بها فلا يحصل لهم النجاة وان الله أمر نوحا بأخذ قوم معه وأقواتهم ثم ان الماء غيض قبل نفاد الزاد ولولا ذلك لما حصل لهم النجاة وان الله سلم السفينة عن الرياح المرجفة وعن الحيوانات المؤذية ولولا ذلك لما حصل لهم النجاة قال أبو السعود عاش نوح بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفا ومائتين وأربعين سنة (وابراهيم اذ قال لقومه) أى وأرسلناه حين تكامل عقله وترقى من رتبة الكمال الى درجة التكميل حيث تصدى لارشاد الخلق الى طريق الحق (اعبدوا الله) وحده (واتقوه) أن تشركوا به شيأ فقوله اعبدوا الله اشارة الى اثبات الاله الواحد وقوله واتقوه اشارة الى نفى غيره وأيضا فاعبدوا الله اشارة الى الاتيان بالواجبات فيدخل فيه الاعتراف بالله واتقوه اشارة الى الامتناع عن المحرمات فيدخل فيه الامتناع من الشرك (ذلكم) أى عبادة الله وتقواه (خير لكم) عقلا واعتبارا (ان كنتم تعلمون) الدلائل والاعتبارات فان ضد عبادة الله تعطيل وضد تقواه تشريك وكلاهما شر عقلا واعتبارا أما عقلا فلان الممكن لابد له من مؤثر واجب الوجود ثم ان شريك الواجب ان لم يكن واجب الوجود فكيف يكون شريكا وان كان كذلك لزم وجود واجبين فيشتركان فى الوجوب ويختلفان فى الالهية ومابه الاشتراك غير مابه الامتياز فيلزم التركيب فيهما ولا يكونان واجبين لكونهما مركبين فيلزم التعطيل وأما اعتبارا فلان الشرف اما ان يكون بكونه ملكا أو قريب ملك فالانسان لا يكون ملكا للسموات والارضين فأعلى درجاته ان يكون قريب الملك فلا يكون قربه الا بعبادة فالمعطل لاملك ولا قريب ملك لعدم اعتقاده بوجود ملك فلا مرتبة له أصلا ثم من يكون سيده لانظير له يكون أعلا رتبة ممن يكون لسيده شركاء خسيسة فان من يقول ان ربى لايمائله شئ أعلى مرتبة ممن يقول سيدى صنم منحوت فثبت ان عبادة الله وتقواه خير للناس (انما تعبدون من دون الله أوثانا) أى أحجارا لاتستحق العبادة (وتخلقون افكا) أى وتكذبون كذبا حيث تسمونها آلهة وتدعون انها شفعاؤكم وقرئ تخلقون بتشديد اللام للتكثير فى الخلق الذى بمعنى الكذب وقرئ تخلقون بحذف احدى التاءين من تخلق بمعنى تكذب وذكر سيدنا ابراهيم بطلان مذهبهم بأبلغ الوجوه وذلك لان المعبود انما يعبد لاحد أمور أربعة اما لكونه مستحقا

العبادة

اتبعوا سبيلنا) أى الطريق الذى نسلكه فى ديننا (ولنحمل خطاياكم) أى ان كان فيه اثم فنحن نحتمله قال الله تعالى (وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ) يخفف عنهم العذاب (انهم لكاذبون) فى قولهم لانهم فى القيامة لايحملون عنهم خطاياهم ثم أعلم الله عز جل أنهم يحملون أثقالهم أى أوزار أنفسهم وأثقالا أخرى بسبب اضلالهم مع أثقال أنفسهم لان من دعا الى ضلالة فاتبع فعليه مثل أوزار الذين اتبعوه ثم ذكر أنه يوبخهم على ماقالوا فقال (وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون) أى سؤال توبيخ وقوله (وتخلقون افكا) أى يقولون كذبا أن الاوثان شركاء الله وقوله

للعبادة بذاته كالعبد يخدم سيده الذى اشتراه واما لكونه نافعا فى الحال كمن يخدم غيره لخير يوصله اليه كالمستخدم باجرة واما لكونه نافعا فى المستقبل كمن يخدم غيره راجيا منه أمرا فى المستقبل واما لكونه خائفا منه (ان الذين تعبدون من دون الله) من الاوثان (لا يملكون لكم رزقا) أى لا يقدرون على ان يرزقوكم شيأ من الرزق (فابتغوا عند الله الرزق) أى فاطلبوا من الله تعالى كل الرزق (واعبدوه) لكونه مستحقا للعبادة لذاته (واشكروا له) لكونه سابق النعم بالخلق ومعطى النعم بالرزق (اليه ترجعون) فيرجى الخير منه لا من غيره (وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم) أى وان تكذبونى فيما أخبرتكم به من انكم اليه تعالى ترجعون بالبعث فلا تضروننى بتكذيبكم فان من قبلكم من الامم قد كذبوا من قبلى من الرسل وهم شيث وادريس ونوح عليهم السلام فلم يضرهم تكذيبهم شيأ (وما على الرسول الا البلاغ المبين) أى الا ذكر المسائل واقامة البرهان عليه (أولم يروا) أى ألم ينظر هؤلاء القوم ولم يعلموا علما جاريا مجرى الرؤية فى الظهور (كيف يبدئ الله الخلق) أى يخلقهم ولم يكونوا شيأ مذكورا ويخلقهم من نطفة من غذاء هو من ماء وتراب وهذا القدر كاف فى حصول العلم بامكان الاعادة فان الاعادة مثل البدء (ثم يعيده) أى الخلق كما بدأهم (ان ذلك) أى الاعادة (على الله يسير) اذ لا يفتقر فعله تعالى الى شئ أصلا (قل) يا ابراهيم لقومك (سيروا فى الارض) أى سيروا فكركم فى الارض وأجيلوا ذهنكم فى الحوادث الخارجة عن أنفسكم (فانظروا كيف بدأ الخلق) أى فانظروا الى الاشياء المخلوقة ليحصل لكم علم بأن الله بدأ خلقا (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) بعد النشأة الاولى التى شاهدتموها (ان الله على كل شئ قدير) فان من علم قدرته تعالى على جميع الاشياء لا يتصور ان يتردد فى وقوع الاعادة بعد ما أخبر الله به (يعذب) بعد النشأة الآخرة (من يشاء) ان يعذبه وهم المنكرون لها (ويرحم من يشاء) أن يرحمه وهم المصدقون بها (واليه تقلبون) أى فان تأخر عنكم ذلك فلا تظنوا انه فات فان اليه تعالى ايابكم وعليه حسابكم وعنده يدخر ثوابكم وعقابكم (وما أنتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء) بممتنعين منه تعالى أى لو صعدتم الى محل السماك فى السماء أو هبطتم الى موضع السموك فى الماء لا تخرجون من قبضة قدرة الله وهذا خطاب لقوم فيهم النمرود الذى حاول الصعود الى السماء (وما لكم من دون الله من ولى) أى قريب ينفعكم (ولا نصير) أى مانع يمنعكم من عذاب الله (والذين كفروا بآيات الله) أى بدلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وأفعاله (ولقائه) أى بالبعث بعد الموت (أولئك يئسوا من رحمتى وأولئك لهم عذاب أليم) وذلك لان لله تعالى فى كل شئ آية دالة على وحدانيته فاذا أشرك أحد كفر بآيات الله واذا أنكر الحشر كفر بلقاء الله وأخرج نفسه عن محل رحمة الله واذا جعل له آلهة لم يفر بالحاجة الى طريق متعين فيئس من رحمة الله ولما أنكر الحشر وقال لا عذاب عذبه الله تحقيقا للامر عليه فعدم الرحمة يناسب الاشراك والعذاب الاليم يناسب انكار الحشر (فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) أى قال بعضهم لبعض لا تجيبوا ابراهيم عن براهينه الدالة على التوحيد والنبوة والحشر واقتلوه بسيف أو نحوه فتستريحوا منه عاجلا أو حرقوه بالنار فاما ان يرجع الى دينكم اذا أوجعته النار واما ان يموت بها اذا أصر على دينه فقذفوه فى النار (فأنجاه الله من النار) أى بجعلها بردا روى انه فى ذلك اليوم لم ينتفع أحد بنار (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) أى فى انجاء الله تعالى ابراهيم من النار لعبرات لقوم يصدقون بقدرة الله فان الله حفظ ابراهيم من حرها وجعلها خامدة فى زمان يسير فلا تؤذيه ولكن أحرقت وثاقه وأنشأ فى وسطها بستانا (وقال) ابراهيم بعد انجائه من النار (انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى برفع مودة غير منونة وجر بينكم ونافع وابن

(أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده) كما بدأ وليس المعنى على أولم يروا كيف يعيده لانهم لم يروا الاعادة (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) يعنى الأمم الماضية كيف قدر الله على خلقهم ابتداء (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أى يبعثهم ثانية بانشائه اياهم (وما أنتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء) أى لو كنتم فيهما ثم عاد الكلام الى قصة ابراهيم فقال (فما كان جواب قومه) حين دعاهم الى الله (الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) وقال (لهم ابراهيم (انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم) أى لتتوادّوا بها فهى مودّة بينكم ما دمتم

عامر وأبو بكر بنصب مودة منونة ونصب بينكم وحمزة وحفص بنصب مودة غير منونة وبجر بينكم ونقل عن عاصم انه رفع مودة غير منونة ونصب بينكم لاضافته الى المبنى فالرفع خبران أى ان الذين اتخذتموه أوثانا صلة بينكم والنصب مفعول له وخبران محذوف أى ان الذين اتخذتموه أوثانا معبودة لكم لاجل المودة لاينفعكم (فى الحياة الدنيا) والمعنى ان اتخاذكم أصناما مودة بينكم ليس الا فى الحياة الدنيا وقد أجرتم أحكامه حيث فعلتم بى ما فعلتم لاجل مودتكم لها انتصارا مى أى لما خرج ابراهيم من النار عاد الى عذل الكفار وقال اذا بينت لكم فساد مذهبكم وما كان لكم جواب فليس هذا الا تقليدا فان بين بعضكم محبة طبيعية فلا يريد أحدكم ان يفارقه صاحبه فى الاحوال و بينكم و بين آبائكم صلة فورثتموهم وأخذتم مقالتهم ولزمتم ضلالتهم (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) فيقول العابد ما هذا معبودى و يقول المعبود ما هؤلاء عبدتى (و يلعن بعضكم بعضا) فيقول المعبود لذلك أنت أوقعتنى فى العذاب حيث عبدتنى و يقول العابد لهذا أنت أوقعتنى فيه حيث أضللتنى بعبادتك و يريد كل واحد ان يبعد صاحبه باللعن ولا يتباعدون بل هم مجتمعون فى النار كما هم مجتمعون فى هذه الدار كما قال تعالى (ومأواكم النار) أى هى منزلكم فلا ترجعون منه أبدا (ومالكم من ناصرين) يخلصونكم من تلك النار كما خلصنى ربى من النار التى ألقيتمونى فيها (فآمن له لوط) أى صدقه لوط فى جميع مقالاته فقال لابراهيم صدقت يا براهيم ولوط هو ابن أخيه هاران (وقال) ابراهيم (انى مهاجر الى ربى) أى انى خارج من قومى الى مكان أمرنى ربى بالتوجه اليه روى انه هاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم وكان عمر ابراهيم اذ ذاك خمسا وسبعين سنة (انه هو العزيز الحكيم) فيمنع أعدائى عن ايذائى ولا يأمرنى الا بما فيه صلاحى (ووهبنا له) بعد اسماعيل بأربع عشرة سنة (اسحق) من عجوز عاقر (و يعقوب) نافلة (وجعلنا فى ذريته) أى ذرية ابراهيم (النبوة) فكل الانبياء بعده من ذريته (والكتاب) فلم ينزل بعده كتاب الا على أولاده (وآتيناه أجره) على هجرته (فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين) فان الله بدل جميع أحواله فى الدنيا باضدادها فبدل وحدته فى النار بكثرة ذريته حتى ملأت الدنيا و بدل أقاربه الضالين المضلين بأقارب مهتدين هادين و بدل ذلته وخمولته بالجاه وكثرة المال حتى قيل انه كان له اثنا عشر ألف كلب حارس باطواق ذهب وكانت الصلاة عليه مقرونة بالصلاة على سائر الانبياء الى يوم القيامة فصار معروفا بشيخ المرسلين وكان فى الآخرة باقيا على ماينبغى (ولوطا) أى وأرسلنا لوطا الى قومه (اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة) أى اللواطة (ماسبقكم بها) أى بتلك الفاحشة (من أحد من العالمين) كلهم من الانس والجن (أئنكم لتأتون الرجال) أى أدبار الرجال (وتقطعون السبيل) أى سبيل الولد بالاعراض عن الحرث واتيان ماليس بحرث ويقال وتقطعون على من مر بكم من الغرباء (وتأتون فى ناديكم المنكر) أى وتعملون فى مجلسكم الجامع لاصحابكم المنكر كالجماع والضراط وحل الازار والحذف بالبندق ومضغ العلك والفرقعة قيل انهم كانوا يجلسون فى مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فأيهم أصابه كان يأخذ ما معه و يلوطه و يغرمه ثلاثة دراهم ولهم قاض بذلك (فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) فى قولك بمجئ عذاب الله علينا ان لم نؤمن أى ان لوطا كان مداوما على ارشاد قومه فقالوا أولا استهزاء ائتنا بعذاب الله ثم لما كثر منه ذلك ولم يسكت عن فعلهم قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم ثم ان لوطا لما يئس منهم طلب النصرة من الله (قال رب انصرنى على القوم المفسدين) أى بانزال العذاب على هؤلاء المفسدين وهم الذين ابتدعوا الفاحشة واصروها

(فى) هذه (الحياة الدنيا) ثم تنقطع ولا تنفع فى الآخرة وهو قوله (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) أى تتبرؤ الاوثان من عابديها وقوله (فآمن له لوط) هو أول من آمن بابراهيم (وقال انى مهاجر الى ربى) هاجر من سواد الكوفة الى الشام وقوله (وآتيناه أجره فى الدنيا) قيل هو الذكر الحسن وقيل الولد الصالح وقوله (وتقطعون السبيل) أى سبيل الولد وقيل تأخذون الناس من الطرق لطلب الفاحشة (وتأتون فى ناديكم) أى مجلسكم (المنكر) وكان بعضهم يجامع بعضا فى مجالسهم (فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) انه نازل بنا وقوله

واستعجلوا

واستعجلوا العذاب بطريق الاستهزاء (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) أى لما جاء جبريل ومن معه من الملائكة الى ابراهيم بالبشارة بالولد والنافلة (قالوا) لابراهيم (انا مهلكوا أهل هذه القرية) أى قرية سدوم (ان أهلها كانوا ظالمين) باصرارهم على أنواع المعاصى (قال) ابراهيم (ان فيها) أى فى تلك القرى (لوطا) فكيف تهلكونها (قالوا) أى الرسل من الملائكة (نحن أعلم بمن فيها) أى من لوط وغيره (لننجينه وأهله) ابنتيه زاعورا وورينا (الا امرأته) المنافقة واعلة (كانت من الغابرين) أى من المنغمسين فى العذاب بسبب ان للدال على الشر نصيبا كفاعله وهى كانت تدل القوم على أضياف لوط (ولما أن جاءت رسلنا لوطا سىء بهم) أى جاءه ما أحزنه بمجيئهم على صورة البشر بأحسن صورة خلق الله فخاف عليهم من قومه (وضاق بهم ذرعا) أى ضاق بتدبير أمرهم طاقته وعجز عن مدافعة قومه (وقالوا) للوط (لا تخف) علينا (ولا تحزن) لا جلنا فانا ملائكة (انا منجوك وأهلك) مما يصيبهم من العذاب ونصب أهلك معطوف على محل الكاف (الا امرأتك كانت من الغابرين) أى من الباقين فى الهلاك ومن ارائحين الماضى ذكرهم (انا منزلون على أهل هذه القرية) هى سدوم (رجزا) أى عذابا مزعجا (من السماء بما كانوا يفسقون) أى بسبب فسقهم المستمر وقرأ ابن عامر بفتح النون وتشديد الزاى (ولقد تركنا منها) أى القرية (آية بينة) أى علامة ظاهرة (لقوم يعقلون) وهى آثار ديارهم الخربة وظهور الماء الاسود على وجه الارض وهو بين القدس والكرك (والى مدين أخاهم شعيبا) أى وأرسلنا الى مدين نبيهم شعيبا (فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) أى اعملوا لليوم الآخر وانما قال شعيب بلفظ الرجاء لان عبادة الله يرجى منها الخير فى الدارين (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) أى لا تعملوا المعاصى فى الارض ويمكن أن يقال نصب مفسدين على المصدر كما يقال قم قائما أى قياما (فكذبوه) فيما أخبرهم به لان شعيبا كأنه قال الله واحد فاعبدوه والحشر كائن فارجوه والفساد محرم فلا تقربوه وهذه الاشياء فيها اخبارات فالتكذيب راجع الى الاخبارات الضمنية (فأخذتهم الرجفة) أى التى ترجف الارض والافئدة اذ قيل ان جبريل صاح فتزلزلت الارض من صيحته ورجفت قلوبهم منها (فأصبحوا فى دارهم جاثمين) أى فصاروا فى مجمعهم ميتين لا يتحركون (وعادا وثمود) أى وأهلكنا قوم هود وقوم صالح (وقد تبين لكم من مساكنهم) أى وقد ظهر لكم يا أهل مكة اهلاكنا اياهم من جهة منازلهم الكائنة فى الحجر واليمن اذا نظرتم اليها عند مروركم عليها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) أى عبادتهم غير الله (فصدهم عن السبيل) أى عن عبادة الله (وكانوا مستبصرين) أى عاقلين ألباء صحيحى النظر (وقارون) أى وأهلكناه وهو ابن عم موسى (وفرعون وهامان) وزير فرعون (ولقد جاءهم موسى بالبينات) أى بالحجج الظاهرات (فاستكبروا فى الأرض) عن الايمان بالآيات وعن عبادة الله (وما كانوا سابقين) أى فارين من عذاب الله (فكلا) أى كل واحد من المذكورين (أخذنا بذنبه) أى عاقبناه بسبب ذنبه (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) أى حجارة محماة يقع على واحد منهم وينفذ من الجانب الآخر وهم قوم لوط وعاد (ومنهم من أخذته الصيحة) هو هواء متموج فان الصوت سببه وصول الهواء المتموج الى الصماخ وهم قوم شعيب وصالح (ومنهم من خسفنا به الارض) أى غيبناه فى التراب وهو قارون ومن معه (ومنهم من أغرقنا) بالماء وهم قوم نوح وفرعون وقومه فحصل العذاب بالعناصر الاربعة النار والريح والتراب والماء والانسان مركب منها وبسببها بقاؤه فاذا أراد الله هلاك الانسان جعل ما منه وجوده سببا لعدمه وما به بقاؤه سببا لفنائه (وما كان الله ليظلمهم) بالهلاك (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالاشراك أى وما كان الله يضعهم فى غير موضعهم فان موضعهم الكرامة لكنهم

(ولقد تركنا منها) يعنى من قرية لوط (آية بينة) أى عبرة ظاهرة وهى خرابها وآثارها وقوله (وكانوا مستبصرين) أى فى ضلالتهم معجبين بها وقيل حسبوا أنهم على الهدى وهم على الباطل وقيل أنوا ما أتوا وقد بين لهم أن عاقبته العذاب (فكلا) أى من الكفار (أخذنا) أى عاقبنا (بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) وهم قوم لوط (ومنهم من أخذته الصيحة) يم ثمود (ومنهم من خسفنا به الارض) قارون وقومه (ومنهم من أغرقنا) قوم نوح وفرعون (وما كان الله ليظلمهم) لانه قد بين لهم بارسال الرسول (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أى بكفرهم

ظلموا أنفسهم حيث وضعوها مع شرفهم فى عبادة الوثن مع خسته (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت) فان أدنى مراتب البيت أن لا يصير سبب افتراق فبيت العنكبوت يصير سبب انزعاج العنكبوت فانه اذا داوم فى زاوية لايخرج منها فاذا نسج على نفسه بيتا يتبعه صاحب الملك بتنظيف البيت منه و يمسحه بالمسوح الخشنة المؤذية لجسم العنكبوت فكذلك العابد ينبغى ان يستحق الثواب بسبب العبادة أولا يستحق العذاب به والكافر يستحق العذاب بسبب عبادته وان بيت العنكبوت اذا هبت ريح لايرى منه عين ولا أثر بل يصير هباء منثورا فكذلك أعمالهم للاوثان وهذا اشارة الى ابطال الشرك الخفى أيضا فان من عبد الله رياء فقد اتخذ وليا غير الله فمثله مثل العنكبوت يتخذ نسجه بيتا فلا يقيها من حر ولا برد (لو كانوا يعلمون) شيأ من الاشياء لجزموا ان مثلهم كمثل العنكبوت وان أضعف ما يعتمد به فى الدين دينهم (ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ) أى ان الله يعلم الذين يعبدونهم من غير الله من شئ صنم أو انسى أو جنى (وهو العزيز الحكيم) أى وهو قادر على اهلاكهم لكنه حكيم يمهلهم ليكون الهلاك عن بينة وقرأ عاصم وأبو عمرو يدعون بالتحتية والباقون بالفوقية (وتلك الامثال نضربها للناس) أى نبينها لهم تقريبا لما بعد من أفهامهم (وما يعقلها الا العالمون) أى وما يفهم صحتها وفائدتها الا المتدبرون فى الاشياء على ما ينبغى (خلق الله السموات والارض بالحق) أى متقنا مراعيا للمصالح (ان فى ذلك) أى فى خلقهما (لآية للمؤمنين) أى لدلالة للمؤمنين على شؤونه تعالى واختص المؤمنون بالذكر لانهم المنتفعون بتلك الآية (اتل ما أوحى اليك من الكتاب) تقربا الى الله تعالى بقراءته وتذكيرا للناس وحملا لهم على العمل بما فيه من الاحكام ومحاسن الآداب ومكارم الاخلاق (وأقم الصلاة) أى داوم على اقامتها (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) أى تنهى عن التعطيل والاشراك فالتعطيل هو انكار وجود الله والاشراك اثبات ألوهية لغير الله فالعبد أول ما يشرع فى الصلاة يقول الله أكبر فبقوله الله ينفى التعطيل وبقوله أكبر ينفى التشريك لان الشريك لا يكون أكبر من الشريك الآخر فيما فيه الاشتراك فاذا قال بسم الله نفى التعطيل واذا قال الرحمن الرحيم نفى الاشراك لان الرحمن من يعطى الوجود بالخلق والرحيم من يعطى البقاء بالرزق فاذا قال الحمد لله أثبت خلاف التعطيل واذا قال رب العالمين أثبت خلاف الاشراك فاذا قال اياك نعبد نفى التعطيل والاشراك وكذا اذا قال واياك نستعين واذا قال اهدنا الصراط نفى التعطيل لان طالب الصراط له مقصد والمعطل لامقصد له واذا قال المستقيم نفى الاشراك لان المستقيم هو الاقرب والمشرك يعبد الاصنام و يظنون انهم يشفعون لهم وعبادة الله من غير واسطة أقرب وعلى هذا الى آخر الصلاة فاذا قال فيها أشهد أن لا اله الا الله فقد نفى الاشراك والتعطيل ومعنى نهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر انها سبب للانتهاء عنهما لانها مناجاة لله تعالى فلا بد ان تكون مع اقبال تام على طاعته واعراض كلى عن معاصيه (ولذكر الله أكبر) أى ذكر الله اياكم بالمغفرة والثواب أكبر من ذكركم اياه بالصلاة وقيل ذكركم الله بسائر أنواعه أفضل من الطاعات التى ليس فيها ذكر الله وقيل المراد بالذكر نفس الصلاة أى وللصلاة أكبر من سائر الطاعات (والله يعلم ما تصنعون) من الذكر ومن سائر الطاعات ويجازيكم به أحسن المجازاة (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم) أى ولا تخاصموا اليهود والنصارى الا بالاحسن أى بعدم استخفاف آرائهم و بعدم نسبة آبائهم الى الضلال لانهم جاؤا بكل حسن غير الاعتراف بالنبى صلى الله عليه وسلم فانهم آمنوا بانزال الكتب وارسال الرسل و بالحشر ففى مقابلة احسانهم يجادلون بالاحسن الا الذين أشركوا منهم باثبات الولد

(مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) يعنى الاصنام فى قلة غنائها عنهم (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) لايدفع عنها بردا ولا حرا (وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت) وذلك أنه لابيت أضعف منه فيما يتخذه الهوام (لو كانوا يعلمون) وصلة عند قوله مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء لو كانوا يعلمون كمثل العنكبوت فهو مؤخر معناه التقديم وقوله (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) يعنى ان فى الصلاة منهاة ومزدجرا عن معاصى الله فمن لم تنهه صلاته عن المنكر فليست صلاته بصلاة (ولذكر الله أكبر) أى من كل شئ فى الدنيا وأفضل (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن) وهو الجميل من القول بالدعاء الى الله تعالى والتنبيه على الحجج (الا الذين ظلموا منهم) أى الا الذين ظلموكم بالقتال ومنع الجزية

لله وبالقول بثالث ثالاثة فتجادلون بالاخشن من تهجين مقالتهم وتبيين جهالتهم كالمشرك الذى جاء بالمنكر من غيرهم فاللائق ان يجادل بالاخشن ويبالغ فى تهجين مذهبه وتوهين شبهه (وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا) من القرآن (وأنزل اليكم) من التوراة والانجيل روى كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم الآية وفى رواية وقولوا آمنا بالله وبكتبه وبرسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم (والهنا والهكم واحد) لا شريك له فى الالوهية (ونحن له مسلمون) أى مطيعون لا لغيره (وكذلك أنزلنا اليك الكتاب) أى كما أنزلنا سائر الكتب على من تقدمك أنزلنا عليك القرآن (فالذين آتيناهم الكتاب) وهم الانبياء (يؤمنون به) أى بالقرآن (ومن هؤلاء) أى من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (من يؤمن به) أى بالقرآن (وما يجحد بآياتنا) أى بالقرآن الذى ظهرت دلالته على المعانى وعلى كونه من عند الله تعالى (الا الكافرون) ككعب بن الاشرف وأصحابه وأبى جهل وأصحابه (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) أى وما كنت يا أشرف الخلق تقرأ كتابا قبل انزالنا القرآن اليك ولا تكتب الكتاب بيدك والاصح انه صلى الله عليه وسلم كان لا يحسن الخط والشعر ولكن كان يميز بين جيد الشعر ورديئه (اذا لارتاب المبطلون) أى لو كنت قارئا أو كاتبا لشك اليهود والنصارى لان فى كتابهم انك أمى لا تقرأ ولا تكتب (بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) أى بل القرآن آيات واضحات ثابتة فى قلوب الذين أعطوا العلم بالقرآن فليس مما يشك فيه لكونه محفوظا من غير ان يلتقط من كتاب بحيث لا يقدر على تحريفه بخلاف غيره من الكتب فانه لا يقرأ الا فى المصاحف والمعنى ان المؤمنين يقرؤن القرآن بالحفظ عن قلب تلقيا منك وبعضهم من بعض وأنت تلقيته عن جبريل عن اللوح المحفوظ فلم تأخذه من كتاب بطريق تلقيه منه (وما يجحد بآياتنا الا الظالمون) أى المتجاوزون للحد وفى الشر من اليهود والنصارى والمشركين (وقالوا) أى الظالمون (لولا أنزل عليه آيات من ربه) أى هلا أنزل على محمد آيات مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص آيات بالجمع والباقون بالافراد (قل انما الآيات عند الله) ينزلها أولا ينزلها فلا تتعلق بى (وانما أنا نذير مبين) أى لست الارسولا مخوفا لأهل المعصية بالنار بلغة تعلمونها وليس لى عليه تعالى حكم بشئ (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب) الدال على نبوتك (يتلى عليهم) فى كل زمان ومكان فهو معجزة ظاهرة باقية أتم من كل معجزة وقد وصل الى المشرق والمغرب وسمعه كل أحد بخلاف قلب العصا ثعبانا فانه لم يبق لنا منه أثر ولم يره من لم يكن فى ذلك المكان (ان فى ذلك) أى الكتاب (لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) أى فان الكتاب رحمة على العباد ليعلموا بها الصادق فان اظهار المعجزة على يد الصادق رحمة من الله فلو لم يظهر الكتاب لبقى الخلق فى ورطة تكذيب الصادق أو تصديق الكاذب لانه لو لم تكن هذه المعجزة لزم ان لا يتميز النبى عن المتنبئ وهذا الكتاب يتذكر كل من يكون من المؤمنين ما بقى الزمان (قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا) بأنى رسوله روى ان كعب بن الاشرف وغيره قالوا يا محمد من يشهد لك انك رسول الله فنزلت هذه الآية (يعلم ما فى السموات والارض) من الامور التى منها شأنى وشأنكم (والذين آمنوا بالباطل) وهو ما سوى الله (وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون) لانهم ضيعوا الادلة السمعية الموجبة للايمان (ويستعجلونك بالعذاب) على طريقة الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد ونحو ذلك نزلت هذه الآية فى النضر بن الحرث حين قال فأمطر

(وكذلك) أى وكما آتيناهم الكتاب (أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) أى بمحمد يعنى من كانوا قبل عصره كانوا يؤمنون به لما يجدونه من نعته فى كتابهم (ومن هؤلاء) أى الذين هو بين ظهرانيهم (من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون وما كنت تتلوا من قبله) أى من قبل هذا الكتاب الذى أنزلنا اليك (من كتاب ولا تخطه) أى ولا تكتبه (بيمينك اذا لارتاب المبطلون) أى اشكوا فيك واتهموك لو كنت تكتب وأراد بالمبطلين كفار قريش يعنى لقالوا انه كتبه وتعلمه من كتاب (بل هو) يعنى محمدا والعلم بأنه أمى (آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) من أهل الكتاب قرؤها من التوراة وحفظوها (وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه) كما أنزل على من كان قبله من الانبياء (قل انما الآيات عند الله) فاذا شاء أرسلها وليست بيدى (قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا) يشهد على صدقى وعلى تكذيبكم وقوله

علينا حجارة من السماء ان كنت من الصادقين (ولولا أجل مسمى) لوقت عذابهم (لجاءهم العذاب) وقت استعجالهم (وليأتينهم بغتة) فاتيان العذاب بغتة حكمة لانه لو كان وقته معلوما عندهم لكان كل أحد يعتمد على علمه بوقته فيفجر معتمدا على التوبة قبل الموت (وهم لا يشعرون) باتيانه ويظنون انه لا يأتيهم أصلا (يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين) أي يستعجلونك بالعذاب في الدنيا والحال ان العذاب سيحيط بهم يوم يأتيهم (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم) أي يوم يلحقهم العذاب من جميع جهاتهم فنار جهنم تنزل من فوق ولا تنطفئ بالدوس عليها بوضع القدم (و يقول) قرأ نافع والكوفيون بالياء أي الله تعالى أو بعض ملائكته بأمره والباقون بالنون (ذوقوا ما كنتم تعملون) أي ذوقوا جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا قال تعالى (ياعبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فاياي فاعبدون) أي ان تعذرت العبادة عليكم في بعض الارض فهاجروا ولا تتركوا عبادتي بحال وقرأ بفتح الياء ابن عامر والباقون بتسكينها (كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون) أي كل نفس من النفوس واجدة مرارة الموت فراجعة الى حكمنا وجزائنا بحسب أعمالها لما أمر الله تعالى المؤمنين بالمهاجرة صعب عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان فقال لهم ان ما تكرهون لابد من وقوعه فان كل نفس ذائقة مشاق الموت والموت مفرق الاحباب فالأولى أن يكون ذلك في سبيل الله فيجازيكم عليه فلا تخافوا من بعد الوطن أو الغنى اذا تعبتم في فوتكم رجوع الى وليس يموت كما قال صلى الله عليه وسلم المؤمنون لا يموتون بل ينقلون من دار الى دار وقرأ أبو بكر بالياء التحتية (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي الطاعات (لنبوئنهم من الجنة غرفا) أي لننزلنهم بيوتا عالية من الجنة وقرأ حمزة والكسائي لنثوينهم بالمثلثة أي لنقيمنهم في علالي من الجنة (تجري من تحتها الانهار) أي في موضع الانهار بساتين كما رو زروع ورياض وأزهار فيشرفون عليها من تلك العلالي (خالدين فيها) أي في الغرف (نعم أجر العاملين) أي نعم أجر العاملين الاعمال الصالحة هذا الاجر (الذين صبروا) على شدائد المهاجرة وعلى أمر الله والمرازي (وعلى ربهم يتوكلون) أي الذين لم يتوكلوا فيما يأتون ويذرون الا على الله تعالى (وكأين من دابة لا تحمل رزقها) أي وكثيرا من الدواب لا تطيق حمل رزقها لضعفها ولا تدخر شيأ لساعة أخرى روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة الى المدينة قالوا كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت هذه الآية (الله يرزقها) أي الدابة على ضعفها وهي لا تدخر (واياكم) مع قوتكم لان رزق الكل بأسباب هو تعالى وحده المسبب لها فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة (وهو السميع العليم) فيسمع قولكم هذا ويعلم ضمائركم وحاجتكم ويسمع اذا طلبتم الرزق ويعلم مقدار حاجتكم اذا سكتم (ولئن سألتهم) أي أهل مكة (من خلق السموات والارض) على هذا النظام (وسخر الشمس والقمر) لاصلاح الاقوات ومعرفة الاوقات وغير ذلك من المنافع (ليقولن الله) اذ لا سبيل لهم الى انكار ذلك (فأنى يؤفكون) أي فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرده تعالى في الالهية مع اقرارهم بتفرده تعالى في الخلق والتسخير (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) أي الله يوسع المال ويقتر على من يشاء في أي وقت بوافق الحكمة فيفعل كلا من البسط والتضييق في وقته ومحله (ان الله بكل شئ عليم) فيعلم مقادير الارزاق ومقادير الحاجات ألا ترى أن الملوك يفاوتون في الرزق بين عمالهم بحسب ما يعلمون من أحوالهم فما ظنك بملك الملوك العالم بكل شئ (ولئن سألتهم) أي كفار مكة (من نزل من السماء ماء فأحيى به الارض من بعد موتها) أي يبوستها (ليقولن الله) معترفين بأنه تعالى الموجد للممكنات بأسرها ثم انهم يشركون به تعالى بعض مخلوقاته (قل الحمد لله) على ان أظهر حجتك عليهم

(ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون) أي جزاءه من العذاب (ياعبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة) نزلت في حث من كان بمكة لا يقدرون على اظهار دينهم على الهجرة (كل نفس ذائقة الموت) أينما كانت فلا تقيموا بدار الشرك وقوله (لنبوأنهم من الجنة غرفا) أي لننزلنهم منها قصورا (وكأين) وكم (من دابة لا تحمل رزقها) فتحوؤه لغد (الله يرزقها واياكم) يوما بيوم وذلك ان الذين كانوا بمكة من المؤمنين اذا قيل لهم اخرجوا الى المدينة قالوا فمن يطعمنا بها ولا مال لنا هناك وأرل الله تعالى الله يرزقها واياكم (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله) على انزاله الماء لاحيائه الارض

(بل أكثرهم لا يعقلون) شيأ من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى قولهم هذا فيشركون به تعالى أخس مخلوقاته ولا يعرفون فساد هذا التناقض (وما هذه الحياة الدنيا الالهو ولعب) أى ان الدنيا سريعة الزوال فالاشتغال بلذاتها كاشتغال الصبيان بلهوهم وعبثهم فانهم يجتمعون عليه ويفرحون به ساعة ثم يتفرقون عنه فالاعراض عن الحق لهو والاقبال على الباطل لعب (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) أى ان الحياة الثانية لهى الحياة الدائمة التى لاموت فيها (لو كانوا يعلمون) ان الحياة المعتبرة هى حياة الآخرة لما آثروا عليها الدنيا (فاذا ركبوا) أى كفار مكة (فى الفلك) فى البحر ولقوا شدة (دعوا الله مخلصين له الدين) صورة حيث لا يدعون غير الله تعالى بالنجاة وألقوا الاصنام التى حملوها معهم فى البحر وقالوا يارب يارب لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد عنهم الا الله تعالى (فلما نجاهم) من البحر (الى البر اذا هم يشركون) أى عادوا الى ما كانوا عليه من حب الدنيا وأشركوا بالله الاوثان (ليكفروا بما آتيناهم) من عرض الدنيا (وليتمتعوا) أى وليتلذذوا بمتاع الدنيا وقرأ ورش وأبو عمرو وابن عامر وعاصم بكسر اللام وهى اما لام العاقبة والمآل واما لام الامر على سبيل التهديد والباقون بالتسكين فهى لام الامر (فسوف يعلمون) فساد عملهم حين يرون العذاب (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) أى ألم ينظر كفار مكة ولم يشاهدوا انا جعلنا بلدهم مكة حرما مصونا من النهب والحال انه يختلس من حولهم قتلا وسبيا مع كون أهل مكة قليلين قارين فى مكان غير ذى زرع أبعد ظهور الحق بالباطل خاصة من الاديان يصدقون وبنعمة الله التى أعطاهموها يكفرون والمعنى انكم يا أهل مكة فى أخوف ما كنتم دعوتم الله تعالى وفى أمن ما حصلتم عليه كفرتم بالله وهذا متناقض لان دعاءكم فى وقت الخوف على سبيل الاخلاص لم يكن الا لقطعكم بأن النعمة من الله لا غير وقد اعترفتم بأن تلك النعمة العظيمة من الله كيف تكفرون بها وقد قطعتم فى حال الخوف انه لا أمن من الاصنام حيث ألقيتموها فى البحر كيف آمنتم بها فى حال الامن (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه) فالله تعالى لا يمكن ان يكون له شريك فمن جعل الشريك للملك مستقل فى الملك لكان ظالما يستحق العقاب منه فكيف اذا جعل الشريك لمن لا يمكن ان يكون له شريك ومن كذب صادقا يجوز عليه الكذب كان ظالما فكيف من كذب صادقا لا يجوز عليه الكذب فاذا ليس أحد أظلم ممن يكذب على الله بالشرك ويكذب الله فى تصديقه نبيه صلى الله عليه وسلم ويكذب النبى فى رسالته به ويكذب القرآن المنزل من الله الى الرسول صلى الله عليه وسلم (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) أى ألا يستحقون الاقامة فى جهنم وقد فعلوا افتراء على الله تعالى وتكذيبا بالحق الصريح أو يقال ألم يعلموا ان فى جهنم منزلا للكافرين حتى اجترؤا هذه الجراءة (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) أى والذين جاهدوا فى طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا ويقال والذين نظروا فى دلائلنا لتحصل فيهم العلم بنا (وان الله لمع المحسنين) أى لمعينهم فى القول والفعل بالتوفيق والعصمة وهذا اشارة الى درجة أعلى من الاستدلال كأن الله تعالى يقول من الناس من يكون بعيدا لا يتقرب وهم الكفار ومنهم من يتقرب بالنظر والسلوك فيهديهم الله تعالى ويقربهم ومنهم من يكون الله معه ويكون قريبا منه تعالى يعلم الاشياء منه تعالى ولا يعلمه من الاشياء فقوله تعالى ومن أظلم اشارة الى الاول وقوله والذين جاهدوا فينا اشارة الى الثانى وقوله وان الله لمع المحسنين اشارة الى الثالث

﴿ سورة الروم مكية وهى ستون آية وثمانمائة وتسع عشرة كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون حرفا ﴾

(بل أكثرهم لا يعقلون) أى العقل الذى يعرفون به الحق من الباطل (وما هذه الحياة الدنيا الالهو ولعب) يعنى لنفادها عن قريب (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) أى هى الحياة الدائمة (لو كانوا يعلمون) انها كذلك ولكن لا يعلمون (فاذا ركبوا فى الفلك) وخافوا الغرق (دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم) أى ليجحدوا بما أنعمنا عليهم من انجائهم والظاهر ان هذا لام الامر أمر التهديد ويدل عليه قوله (وليتمتعوا فسوف يعلمون أولم يروا) يعنى أهل مكة (أنا جعلنا حرما آمنا) أى ذا أمن لا يغار على أهله (ويتخطف الناس من حولهم) بالقتل والنهب والسلب (أفبالباطل يؤمنون) يعنى الأصنام (وبنعمة الله) يعنى محمدا والقرآن (يكفرون والذين جاهدوا فينا) أعداء الدين والكفار (لنهدينهم سبلنا) أى سبل الشهادة والمغفرة وقيل من اجتهد فى عمل لله زاده هدى على هدايته (وان الله لمع المحسنين) أى بنصره اياهم

﴿تفسير سورة الروم﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الم غلبت الروم) أي غلبتها فارس (في أدنى الارض) أدنى أرض الشام من أرض العرب وفارس وهي اذرعات وكشكر (وهم) أي الروم (من بعد غلبهم) أي غلبة فارس اياهم (سيغلبون) فارس (في بضع سنين) البضع ما بين الثلاث الى التسع (لله الأمر من قبل) ان يغلب الروم (ومن بعد) أي ومن بعد ما غلبت (ويومئذ) يوم تغلب الروم فارس (يفرح المؤمنون بنصر الله) الروم لانهم أهل كتاب فهم أقرب الى المؤمنين وفارس مجوس فكانوا أقرب الى المشركين فالمؤمنون يفرحون بنصر الله الروم على فارس والمشركون يحزنون لذلك (وعد الله) أي وعد ذلك وعدا (ولكن أكثر الناس) يعني مشركي مكة (لا يعلمون) ذلك ثم بين مقدار ما يعلمون فقال (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) يعني أمر معاشهم وذلك انهم كانوا أهل تجارة وتكسب بها

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الم غلبت الروم في أدنى الارض) أي في أقرب أرض العرب منهم وهي أطراف الشام قال الروم اسم قبيلة وسميت باسم جدها وهو روم بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم وسمي عيصو لانه كان مع يعقوب في بطن فعند خروجهما تزاحما وأراد كل أن يخرج قبل أخيه فقال عيصو ليعقوب ان لم أخرج قبلك خرجت من جنب أمي فتأخر يعقوب شفقة لها فلذا كان أبا الانبياء وعيصو أبا الجبارين (وهم) أي الروم (من بعد غلبهم) أي من بعد مغلوبيتهم (سيغلبون) فارس (في بضع سنين) وسبب نزول هذه الآية انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون ان تغلب فارس الروم لان فارس كانوا مجوسا أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهريار وبعث قيصر جيشا واستعمل عليهم رجلا يدعى بخنس فالتقيا باذرعات وبصرى وهي أقرب الشام الى أرض العرب فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وفارس أميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فنزلت هذه الآية فخرج أبو بكر الصديق الى كفار مكة فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوالله لتظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقال له أبي بن خلف الجمحي كذبت يا أبا فضيل فقال له أبو بكر أنت أكذب يا عدو الله فقال له اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر به أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات أبي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه في أحد بعد رجوعه الى مكة ثم أقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي الى الفرس وظهرت الروم على فارس عند رأس سبع سنين من مناحبتهم ومات كسرى وذلك يوم الحديبية فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له تصدق به وكان ذلك قبل تحريم القمار وهذه الآيات تدل على علم النبي صلى الله عليه وسلم بوقت الغلبة لكن لم يأذن الله تعالى في اظهاره لان الكفار كانوا معاندين فالمعاند يرجف بوقوع الواقعة قبل الوقوع ليحصل الخلف في الكلام والوقت يمكن فيه الاختلاف وقرئ غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول والمعنى ان الروم غلبت على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون وقد غزاهم المسلمون في السنة التاسعة من نزولها ففتحوا بعض بلادهم (لله الامر من قبل ومن بعد) أي من قبل غلبة الروم على فارس ومن بعدها فكل من كون الروم مغلوبين أولا وغالبين آخرا ليس الا بأمر الله تعالى وقضائه (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) أي ويوم اذ يغلب الروم على فارس يفرح المؤمنون بتغليب الله من له كتاب على من لا كتاب له ويفرحون بغلبتهم المشركين ببدر قال السدي فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وظهور أهل الكتاب على أهل الشرك والجار والمجرور متعلق بيفرح (ينصر من يشاء) أي ينصره من عباده على عدوه من ضعيف وقوي (وهو العزيز الرحيم) أي وهو تعالى المبالغ في الغلبة والمبالغ في الرحمة (وعد الله) مصدر مؤكد لنفسه أي وعدهم الله بالنصر وبالفرج وعدا (لا يخلف الله وعده) أي وعد كان مما يتعلق بالدنيا والآخرة لاستحالة الكذب عليه تعالى (ولكن أكثر الناس) أهل مكة (لا يعلمون) وعده تعالى بنصرهم ووعد الله لا خلف فيه (يعلمون) أي أكثرهم (ظاهرا من الحياة الدنيا) من زخارفها وملاذها وسائر أحوالها الموافقة لشهواتهم ولا يعلمون باطنها وهي مضارها ومتاعبها وفناؤها (وهم

عن الآخرة هم غافلون) أي وهم جاهلون بأمر الآخرة تاركون لعملها ولا يعلمون أن الدنيا مجاز الى الآخرة (أولم يتفكروا في أنفسهم) فلو تفكروا في أنفسهم لعلموا وحدانية الله وصدقوا بالحشر أما دلالة الانسان على الوحدانية فلان الله خلقهم على أحسن تقويم ولنذكر من حسن خلقهم جزأ من ألف جزء وهو ان الله تعالى خلق للانسان معدة فيها غذاؤه لتقوى به أعضاؤه ولها منفذان أحدهما لدخول الطعام فيه والآخر لخروجه منه فاذا دخل الطعام فيها انطبق المنفذ الآخر بعضه على بعض بحيث لا يخرج منه ذرة وتمسكه الماسكة الى أن ينضج نضجا صالحا ثم يخرج من المنفذ الآخر وخلق تحت المعدة عروقا دقاقا صلابا كالمصفاة فينزل منها الصافي الى الكبد و ينصب الثفل الى الامعاء و يكون مع الغذاء المتوجه من المعدة الى الكبد فضل ماء مشروب ليرقق و ينذرف في العروق الدقاق المذكورة وفي الكبد يستغنى عن ذلك الماء فيتميز عنه ذلك الماء و ينصب من جانب حدبة الكبد الى الكلية ومعه دم يسير تغتذى به الكلية وغيرها و يخرج الدم الخالص من الكبد في عرق كبير ثم يتشعب ذلك النهر الى جداول والجداول الى سواق والسواقي الى رواضع و يصل فيها الى جميع البدن فهذه حكمة واحدة في خلق الانسان وهذه كفاية في معرفة كون الله فاعلا مختارا قادرا عالما ومن يكون كذلك يكون واحدا والا لكان عاجزا عند ارادة شريكه ضد ما أراده وأما دلالة الانسان على الحشر فذلك لانه اذا تفكر في نفسه يرى قواه صائرة الى الزوال وأجزاؤه مائلة الى الانحلال وله فناء ضروري فلو لم يكن له حياة أخرى لكان خلقه تعالى على هذا الوجه للفناء عبثا لان من يفعل شيأ للعبث لو بالغ في اتقانه يضحك منه فاذا خلق الله الانسان للبقاء ولا بقاء دون اللقاء فالآخرة لابد منها (ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى) أي ما خلقها عبثا بغير حكمة بالغة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة الدالة على وجود صانعها ووحدته وقدرته وعلمه بأجل معين قدره الله تعالى لبقائها الى أن تنتهي اليه وهو وقت قيام الساعة وقوله الا بالحق اشارة الى وجه دلالتها على الوحدانية وقوله وأجل مسمى اشارة الى معاد الانسان فان مجازاته بما عمل من الاساءة والاحسان هو المقصود بالذات (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون) أي وان كفار مكة لمنكرون بلقاء حسابه تعالى وجزائه بالبعث (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أي أقعد كفار مكة في أماكنهم ولم يسيروا في أقطار الارض فيشاهدوا كيف كان جزاء الامم الذين كذبوا رسلهم كعاد وثمود (كانوا) أي من قبلهم (أشد منهم قوة) في الجسم وأقدر منهم على التمتع بالحياة (وأثاروا الارض) أي قلبوها للزراعة والغرس أكثر مما حرث أهل مكة (وعمروها) بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء وغيرها (أكثر مما عمروها) أي أكثر مما عمر أهل مكة كما وكيفا وزمانا (وجاءتهم رسلهم بالبينات) أي بالحجج الطاهرات وبالمعجزات فكذبوهم فأهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم) باهلاكه اياهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بتكذيب الرسل (ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى) وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو عاقبة بالرفع على أنها اسم كان والسوأى خبرها وهي جهنم أي ثم كان آخر أمر الذين عملوا السيآت نار جهنم وقرأ الباقون بنصب عاقبة على أنها خبر كان واسمها السوأى تأنيث الاسوء أو ان كذبوا أي ثم كان تكذيبهم واستهزاؤهم آخر أمر الذين أشركوا بالله وعملوا الفعلة السوأى وهي اسم النار كما تقدم (أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) بدل من السوأى وقيل كذبوا الخ تفسير لاساؤا (الله يبدؤ الخلق) أي ينشئهم من النطفة (ثم يعيده) بعد الموت بالبعث (ثم اليه ترجعون) الى موقف الحساب والجزاء وقرأ أبو عمرو وشعبة بالياء على الغيبة والباقون على الخطاب للمبالغة في الترهيب (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) أي وقت رجعهم

(أولم يتفكروا في أنفسهم) فيعلموا (ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق) أي للحق وهي الدلالة على توحيده وقدرته (وأجل مسمى) أي مؤقت معلوم عنده يعني القيامة وقوله (وأثاروا الارض) أي قلبوها للزراعة (وعمروها أكثر مما عمروها) يعني ان الذين أهلكوا من الامم الخالية كانوا أكثر حرثا وعمارة من أهل مكة (ثم كان عاقبة الذين أساؤا) أي أشركوا (السوأى) أي النار (ان كذبوا بآيات الله) أي بأن كذبوا وقوله (يبلس المجرمون) أي يسكتون لانقطاع حجتهم و يأسهم من الرحمة

اليه تعالى يسكت المشركون متحيرين ويبأسون من كل خير (ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء) يجيرونهم من عذاب الله تعالى كما كانوا يزعمونه (وكانوا بشركائهم كافرين) أي وكان عبدة الاصنام بآلهتهم متبرئين منهم يقولون والله ربنا ما كنا مشركين (ويوم تقوم الساعة يومئذ) بعد تمام الحساب (يتفرقون) أي جميع الخلق فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون) أي فهم في جنة يسرون بكل مسرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الجنة ومافيها من النعيم وفي آخر القوم أعرابي فقال يارسول الله هل في الجنة من سماع قال صلى الله عليه وسلم ياأعرابي ان في الجنة نهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها قط فذلك أفضل نعيم الجنة وروي ان في الجنة لاشجارا عليها أجراس من فضة فاذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طربا (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) بالبعث بعد الموت (فأولئك في العذاب محضرون) أي لاغيبة لهم عن العذاب ولا فتور له عنهم أما من يؤمن و يعمل السيآت فليس دائم الحضور في العذاب وليس من المحبورين غاية الحبور في رياض بل له منزلة بين المنزلتين (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون) أي نزهوه تعالى عن صفات النقص وصفوه بصفات الكمال في هذه الاوقات واحمدوه وانما خص بعض الاوقات بالامر بالتسبيح لان الانسان لا يمكنه أن يصرف جميع أوقاته الى التسبيح لكونه محتاجا الى تحصيل مأكول ومشروب وملبوس ومركوب وكما أن العبد ينزه الله في أول النهار وآخره ووسطه فان الله يطهره في أوله وهو دنياه وفي آخره وهو عقباه وفي وسطه وهو حالة كونه في قبره وقوله تعالى وله الحمد في السموات والارض كلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وفيه لطيفة وهو ان الله تعالى لما أمر العباد بالتسبيح كأنه بين لهم أن تسبيحهم الله لنفعهم لا النفع يعود على الله فعليهم أن يحمدوا الله اذا سبحوه ثم ان التنزيه المأمور به يشمل التنزيه بالقلب وهو الاعتقاد الجازم واللسان وهو الذكر الحسن بالاركان وهو العمل الصالح فالانسان اذا اعتقد شيأ ظهر من قلبه على لسانه واذا قال ظهر صدقه في مقاله من أحواله وأفعاله واللسان ترجمان الجنان والاركان برهان اللسان لكن الصلاة أفضل أعمال الأركان وهي مشتملة على الذكر باللسان والقصد بالجنان وهو تنزيه في التحقيق فيجب حمل التسبيح على كل ما هو تنزيه فيكون هذا أيضا أمرا بالصلاة (يخرج الحي من الميت) كالانسان من نطفة والطير من البيضة (ويخرج الميت من الحي) أي يخرج النطفة والبيضة من الحيوان وقال بعضهم يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ويقال يخرج اليقظان من النائم والنائم من اليقظان فاحياء الميت عنده تعالى كتنبيه النائم واماتة الحي كتنويم المنتبه (ويحيي الارض) بالنبات (بعد موتها) أي بعد يبوستها (وكذلك) أي ومثل ذلك الاخراج (تخرجون) من قبوركم وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء وضم الراء (ومن آياته) الدالة على أنكم تبعثون (أن خلقكم من تراب) فاما خلقنا من نطفة وهي من الغذاء وهو من النبات وهو من التراب (ثم اذا أنتم بشر تنتشرون) أي ثم بعد أطوار كثيرة فاجأتم وقت كونكم بشرا تمتعون على وجه الارض (ومن آياته) الدالة على البعث والجزاء (أن خلق لكم) أي لاجلكم (من أنفسكم) أي من جنسكم (ازواجا) أي اناثا (لتسكنوا اليها) أي لتميلوا اليها وتطمئنوا بها (وجعل بينكم) أي بين المرأة والزوج (مودة) أي محبة (ورحمة) أي شفقة ويقال مودة للصغير على الكبير ورحمة للكبير على الصغير (ان في ذلك) أي في خلقهم من تراب وخلق أزواجهم من جنسهم والقاء المودة والرحمة بينهم

(ولم يكن لهم من شركائهم) أي أوثانهم التي عبدوها رجاء الشفاعة (شفعاء وكانوا بعبادتهم كافرين) أي قالوا ما عبدتمونا وقوله (يومئذ يتفرقون) يعني المؤمنين والكافرين ثم بين كيف ذلك التفرق فقال (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون) أي يسرون ويستمتعون في الجنة (فسبحان الله) أي صلوا لله (حين تمسون) يعني صلاة المغرب والعشاء (وحين تصبحون) يعني صلاة الصبح (وعشيا) يعني صلاة العصر (وحين تظهرون) يعني الظهر (ومن آياته ان خلقكم من تراب) يعني آباءكم آدم (ثم اذا أنتم بشر تنتشرون) يعني ذريته (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم) أي من جنسكم (أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) يعني الالفة بين الزوجين

(لايات

(لآيات لقوم يتفكرون) فيما خلق الله (ومن آياته) الدالة على أمر البعث (خلق السموات والارض) من حيث ان خلقهما وما فيهما ليس الا لمعاش البشر ومعاده (واختلاف ألسنتكم) أى لغاتكم العربية والفارسية وغير ذلك والاصح انه اختلاف كلامكم فان الأخوين اذا تكلما بلغة واحدة يعرف أحدهما من الآخر (وألوانكم) ببياض الجلد وسواده وتوسطه (ان فى ذلك) أى فى خلق السموات والارض واختلاف الالسنة والالوان (لآيات للعالمين) وقرأ حفص وحده بكسر اللام أى لآيات عظيمة فى أنفسها كثيرة فى عددها للمتصفين بالعلم والباقون بفتح اللام أى فى ذلك دلالة على كمال وضوح الآيات على أحد من الخلق كافة (ومن آياته) الدالة على القدرة والعلم (منامكم بالليل والنهار) فالنوم بالنهار مما تعده العرب نعمة من الله ولاسيما فى أوقات القيلولة فى البلاد الحارة (وابتغاؤكم من فضله) فيهما وهذا اشارة الى أن العبد ينبغى أن لا يرى الرزق من كسبه و بحذقه بل يرى كل ذلك من فضل ربه (ان فى ذلك) أى فى الليل والنهار (لآيات لقوم يسمعون) سماع تفهم حيث يستدلون بذلك على شؤنه تعالى (ومن آياته يريكم البرق) أى ومن آياته الدالة على عظيم قدرته تعالى اراءته لكم البرق (خوفا) للمسافر من المطر أن يبل ثيابه (وطمعا) للمقيم فى المطر أن يسقى حروثه (وينزل من السماء ماء) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون (فيحيي به) أى بذلك الماء (الارض) بالنبات (بعد موتها) أى بعد يبوستها (ان فى ذلك) أى المطر (لآيات لقوم يعقلون) أى لدلالات على الفاعل المختار لمن له عقل وان لم يتفكر تفكرا تاما (ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره) أى ومن آياته الدالة على القدرة استمرار السماء والارض على ما هما عليه بارادته تعالى له (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون) أى ثم اذا دعاكم الله على لسان اسرافيل بعد انقضاء الاجل من الارض وأنتم فى قبوركم دعوة واحدة بان قال أيها الموتى اخرجوا فاجأتم الخروج منها وقوله من الارض متعلق بدعاكم (وله) خاصة (من فى السموات والارض) من الملائكة والثقلين خلقا وملكا وتصرفا (كل له قانتون) أى منقادون لفعله (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده) بعد موتهم (وهو أهون عليه) بالقياس على قوانينكم من ان الاعادة للشئ أهون من ابتدائه والا فالافعال كلها بالنسبة الى قدرته تعالى متساوية فى السهولة (وله المثل الاعلى) أى وله تعالى الوصف الاعلى الذى ليس لغيره ما يدانيه (فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) أى وهو كامل القدرة على الممكنات شامل العلم بجميع الموجودات فيجرى الافعال على سنن الحكمة (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) أى بين الله لكم يا معشر الكفار مثلا مأخوذا من أحوال أنفسكم (هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم) أى هل شركاء فيما رزقناكم من الاموال كائنون من النوع الذى ملكت ايمانكم (فأنتم فيه سواء) أى فأنتم وعبيدكم فيما رزقناكم مستوون فى التصرف (تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) أى تخافون ان تنفردوا بالتصرف فيه بدون رأيهم خيفة كائنة مثل خيفتكم من الاحرار المشاركين لكم فيما ذكر أى أنتم لا ترضون بأن يشارككم مماليككم وهم أمثالكم فى البشرية فكيف تشركون به تعالى فى المعبودية مخلوقه تعالى (كذلك) أى مثل ذلك التفصيل الواضح (نفصل الآيات) أى نبينها بالدلائل القطعية والامثلة والمحاكيات الاقناعية (لقوم يعقلون) أى يستعملون عقولهم فى تدبر الامور (بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم) أى لا يجوز ان يشرك بالمالك مملوكه ولكن الذين أشركوا اتبعوا أهواءهم الزائغة من غير علم وأثبتوا شركاء من غير دليل

(ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) أى الليل لتناموا فيه والنهار لتبتغوا فيه من فضله (ومن آياته يريكم البرق خوفا) للمسافرين (وطمعا) للحاضرين وقوله (ثم اذا دعاكم دعوة من اذا أنتم تخرجون) من الارض هكذا تقدير الآية على التقديم والتأخير وقوله (كل له قانتون) أى مطيعون لا طاعة العبادة ولكن طاعة الارادة وخلقهم على ما أراد فكانوا على ما أراد لا يقدر احد أن يتغير عما خلق عليه وقوله (وهو أهون عليه) أى هين عليه وقيل أهون عليه عند كم وفيما بينكم لان الاعادة عندنا أيسر من الابتداء (وله المثل الأعلى) أى الصفة العليا وهو أنه لا اله الا هو ولا رب غيره (ضرب لكم مثلا) أى بين لكم شبها فى اتخاذكم الأصنام شركاء مع الله (من أنفسكم) ثم بين ذلك فقال (هل لكم مما ملكت ايمانكم) من العبيد والاماء (من شركاء فيما رزقناكم) من المال والولد أى هل يشاركونكم فيما أعطاكم الله حتى تكونوا أنتم وهم فيه سواء (تخافونهم) أن يرثوكم كما يخاف بعضكم بعضا ان يرثه ماله والمعنى كما لا يكون هذا فكيف يكون ما هو مخلوق لله مثله حتى يعبد كعبادته فلما ألزمتهم الحجة بهذا ذكر انهم انما يعبدون باتباع الهوى فقال (بل اتبع الذين ظلموا) فى عبادة الأصنام (أهواءهم

(فمن يهدى من أضل الله) أى لا يقدر أحد على هداية من خلق الله فيه الضلال (وما لهم) أى لمن أضله الله تعالى (من ناصرين) يخلصونهم من الضلال (فأقم وجهك للدين) أى أقبل بكلك على الدين غير ملتفت يمينا وشمالا (حنيفا) أى مائلا عن كل ما عدا الدين (فطرت الله التى فطر الناس عليها) أى الزم دين الله وهو التوحيد فان الله خلق الناس عليه فى بطون أمهاتهم وحيث أخذهم الله من ظهر آدم وسألهم ألست بربكم فقالوا بلى (لا تبديل لخلق الله) أى لا تبدلوا دين الله كما قاله مجاهد وابراهيم وقيل أى لا تغير للوحدانية حتى ان سألتهم من خلق السموات والارض يقولون الله لكن الايمان الفطرى غير كاف (ذلك) أى لزوم دين الله (الدين القيم) أى الحق الذى لا عوج فيه (ولكن أكثر الناس) أى أهل مكة (لا يعلمون) ان ذلك هو الدين الحق فيصدون عنه صدودا (منيبين اليه) أى أقيموا وجوهكم للدين مقبلين عليه (واتقوه) من مخالفة أمره بل داوموا على العبادة (وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) أى ولا تشركوا بعد الايمان وههنا وجه آخر وهو ان الله أثبت التوحيد الذى هو خروج عن الاشراك الظاهر بقوله تعالى منيبين اليه وأراد الله اخراج العبد عن الشرك الخفى بقوله تعالى ولا تكونوا من المشركين أى لا تقصدوا بعملكم الا وجه الله ولا تطلبوا به الا رضا الله ثم أبدل الله قوله من المشركين قوله تعالى (من الذين فرقوا دينهم) أى اختلفوا فيما يعبدونه على اختلاف أهوائهم وقرأ حمزة والكسائى فارقوا بألف أى تركوا دينهم الذى أمروا به (وكانوا شيعا) أى وصاروا فرقا فيما يعبدونه (كل حزب بما لديهم فرحون) أى كل أهل دين مسرورون بما عندهم من الدين يظنون انه حق (واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه) أى واذا أصاب كفار مكة شدة دعوا ربهم برفع الشدة مقبلين اليه بالدعاء (ثم اذا أذاقهم منه) أى من الضر (رحمة) أى خلاصا (اذا فريق منهم) أى الكفار (بربهم يشركون) ويقول تخلصت بسبب اتصال الكوكب الفلانى بفلان وبسبب الصنم الفلانى (ليكفروا بما آتيناهم) فاللام للعاقبة (فتمتعوا) يا أهل مكة (فسوف تعلمون) عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا فعل ماض وقرئ وليتمتعوا (أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون) أى هل أنزلنا على أهل مكة كتابا فذلك الكتاب يدل على الامر الذى بسببه يشركون فأم بمعنى الهمزة فقط عند الكوفيين وبمعنى بل والهمزة عند البصريين كما هو شأن أم المنقطعة (واذا أذقنا الناس رحمة) من صحة وسعة (فرحوا بها) بطرا لا شكرا فان قيل لك الفرح بالرحمة مأمور به فى قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وههنا ذمهم الله على الفرح بالرحمة فكيف ذلك قلت هناك فرحوا برحمة الله من حيث انها مضافة الى الله تعالى وههنا فرحوا بنفس الرحمة حتى لو كان المطر من غير الله لكان فرحهم به مثل فرحهم بما اذا كان من الله وهو كما أن الملك لو حط عند أمير رغيفا على السماط أو أمر غلمانه بأن يحطوه عنده ففرح ذلك الامير به ولو أعطى الملك فقيرا غير ملتفت اليه رغيفا فرح به ففرح الامير بكون ذلك الرغيف من الملك وفرح الفقير بكون ذلك رغيفا (وان تصبهم سيئة) أى شدة ضيق (بما قدمت أيديهم) أى بشؤم معاصيهم (اذا هم يقنطون) أى ييأسون من رحمة الله غير صابرين بها وقرأ أبو عمرو والكسائى بكسر النون (أولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى ألم ينظروا ولم يشاهدوا ان الله يوسع الرزق لمن يشاء امتحانا أهل يشكر أم يكفر ويضيقه لمن يشاء اختبارا أهل يصبر أم يجزع (ان فى ذلك) أى التوسيع والتضييق (لآيات لقوم يؤمنون) فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة (فآت ذا القربى حقه) من الصلة والصدقة وسائر المبرات (والمسكين) سواء كان ذا قرابة أم لا (وابن السبيل) أى المسافر من صدقة التطوع (ذلك) أى المذكور من الصلة والعطية والاكرام (خير) أى

أى أقبل عليه ... عنه (فطرت الله) أى الزم فطرة الله يعنى خلقة الله (التى فطر الناس عليها) وذلك أن كل مولود يولد على ما فطره الله عليه من أنه لا رب لم غيره كما أقر به لما أخرج من ظهر آدم (لا تبديل لخلق الله) أى لم يبدل الله دينه فدينه انه لا رب غيره (ذلك الدين القيم) أى المستقيم (منيبين اليه) أى راجعين الى ما أمر به وهو حال من قوله فأقم وجهك والمعنى فأقيموا وجوهكم لأن أمره أمر لأمته وقوله (من الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا) مفسر فى سورة الأنعام (كل حزب) جماعة من الذين فارقوا دينهم (بما لديهم فرحون) أى يظنون أنهم على الهدى ثم ذكر أنهم مع شركهم لا يلتجئون فى الشدائد الى الاصنام فقال (واذا مس الناس ضر) الآية وقوله (ليكفروا بما آتيناهم) مفسر فى سورة العنكبوت (أم أنزلنا عليهم سلطانا) أى كتابا (فهو يتكلم بما كانوا به يشركون) أى ينطق بعذرهم فى الاشراك (واذا أذقنا الناس) هذا من صفة الكافر يبطر عند النعمة ويقنط عند الشدة لا يشكر فى الاولى ولا يحتسب فى الثانية

ثواب فى الآخرة (الذين يريدون وجه الله) أى يقصدون بمعروفهم جهة التقرب اليه تعالى لا جهة أخرى (وأولئك هم المفلحون) أى الناجون من السخط (وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله) أى وما أعطيتم من عطية خالية من العوض ليزيد فى أموال الناس بأن تعطوا شيأ وتطلبوا ما هو أفضل منه فليس لكم فيه أجر وليس عليكم فيه اثم وقرأ نافع لتربوا بتاء الخطاب وسكون الواو أى لتصيروا ذوى زيادة وقرأ ابن كثير وما أتيتم بقصر الهمزة أى وما جئتم به من اعطاء عطية واختلف العلماء فيمن وهب هبة يطلب عوضها وقال انما أردت العوض فان كان مثله ممن يطلب العوض من الموهوب له فله ذلك عند مالك رضى الله عنه وذلك كهبة الفقير للغنى وهبة الخادم لصاحبه وهبة الشخص لمن فوقه ولاميره وقال أبو حنيفة لا يكون له عوض اذا لم يشترط وهذان القولان جاريان للشافعى رضى الله عنهم (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) أى وما أعطيتم من صدقة تطوع الى المساكين تبتغون وجهه تعالى فأولئك هم الذين أضعفت صدقاتهم فى الآخرة بكثرة الثواب وبحفظ أموالهم فى الدنيا وبالبركة لها (الله الذى خلقكم) نسما فى بطون أمهاتكم ثم أخرجكم ونفخ فيكم الروح (ثم رزقكم) الى الموت (ثم يميتكم) عند انقضاء مدتكم (ثم يحييكم) للبعث بعد الموت (هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ) أى هل من آلهتكم يا أهل مكة من يقدر أن يفعل من ذلك شيأ (سبحانه وتعالى عما يشركون) أى لا تصفوه تعالى بالاشراك وقرأ حمزة والكسائى بتاء الخطاب (ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس) أى تبين الفساد فى البر والبحر كالجدب وكثرة الحرق والغرق وموت دواب البر والبحر وقلة اللؤلؤ بسبب كسب الناس المعاصى قال الضحاك كانت الارض خضرة مونقة لا يأتى ابن آدم شجرة الا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد الاسد البقر والغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الارض وشاكت الاشجار وصار ماء البحر ملحا زعاقا وقصد الحيوانات بعضها بعضا (ليذيقهم بعض الذى عملوا) أى بعض جزاء الذى عملوا فان تمامه فى الآخرة وقرأ قنبل لنذيقهم بالنون (لعلهم يرجعون) عما كانوا عليه (قل) يا محمد لاهل مكة (سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) كقوم نوح وعاد وثمود ليشاهدوا آثارهم (كان أكثرهم مشركين) وكان بعض الهلاك بغير الشرك كالفسق ومخالفة الامر (فأقم وجهك للدين القيم) قال الزجاج أى أقم صدرك واجعل وجهك اتباع دين الاسلام (من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله) متعلق بيأتى أو بمرد أى لا يقدر أحد على رده من الله تعالى ولا يرده الله تعالى لتعلق ارادته تعالى بمجيئه (يومئذ يصدعون) أى يوم اذ يأتى ذلك اليوم يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير (من كفر فعليه كفره) أى من كفر بالله فعليه عقوبة كفره وهو خلوده فى النار (ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون) أى ومن عمل صالحا فى الايمان فيفرشون منازلهم فى الجنة (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) والجار والمجرور متعلق بيمهدون أو بيصدعون أى يتفرقون بتفريق الله تعالى فريقين ليجزى الله كلا منهما بحسب أعمالهم (انه لا يحب الكافرين) أى يعاقبهم (ومن آياته) الدالة على وحدانيته تعالى وقدرته (أن يرسل الرياح مبشرات) لخلقه بالمطر وبصلاح الاهوية والاحوال فان الرياح لو لم تهب لظهر الوباء والفساد فرياح الرحمة هى الشمال والصبا والجنوب وأما الدبور فهى ريح العذاب (وليذيقكم من رحمته) وهى المنافع التابعة للرياح (ولتجرى الفلك) أى السفن بسوقها (بأمره) أى بمشيئته فى البحر (ولتبتغوا من فضله) بتجارة البحر (ولعلكم تشكرون) نعمة الله فيما ذكر (ولقد أرسلنا من قبلك) يا أكرم الرسل (رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات) أى جاء كل رسول قومه بما يخصه من البينات كما جئت

فى أموال الناس) يعنى ما يعطونه من الهدية ليأخذوا بها أكثر منها وهو من الربا الحلال (فلا يربوا عند الله) لانكم لم تريدوا بذلك وجه الله تعالى وقوله (فأولئك هم المضعفون) أى أصحاب الاضعاف يضاعف لهم بالواحد عشر (ظهر الفساد) أى القحط وذهاب البركة (فى البر) أى القفار (والبحر) أى القرى والريف (بما كسبت أيدى الناس) يعنى بشؤم ذنوبهم (ليذيقهم بعض الذى عملوا) أى كان ذلك ليذاقوا الشدة بذنوبهم فى العاجل (فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم) القيامة فلا ينفع نفسا ايمانها (يومئذ يصدعون) أى يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير (من كفر فعليه كفره) أى وبال كفره وعذابه (ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون) أى يفرشون ويسوون المضاجع والمعنى لأنفسهم يبغون الخير (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) بالمطر (وليذيقكم من رحمته) أى نعمته بالمطر يرسلها (ولتجرى الفلك بأمره) وذلك انها تجرى بالرياح (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة فى البحر وقوله

الرياح فتثير سحابا) أى ... (فيبسطه) الله (فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا) أى قطعا ... مرة يبسطه ومرة يقطعه (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) أى وسطه وشقوقه (فاذا أصاب به) أى

قومك ببيناتك فكذبوهم (فانتقمنا من الذين أجرموا) أى أهلكنا الذين كذبوهم (وكان حقا) أى واجبا (علينا نصر المؤمنين) أى وكان الانتقام حقا فلم يكن ظلما ثم استأنف الله بقوله تعالى علينا نصر المؤمنين وهذا بشارة لمن آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقال نصر المؤمنين كان واجبا علينا وهذا تأكيد البشارة لان كلمة على تفيد معنى اللزوم فاذا قال حقا كذلك المعنى والنصر هو الغلبة التى لا تكون عاقبتها وخيمة والكافر ان هزم المسلم فى بعض الاوقات لا يكون ذلك نصرة اذ لا عاقبة له (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا) أى فترفع سحابا ثقالا بالمطر (فيبسطه فى السماء كيف يشاء) أى فينشر الله السحاب بالانتشار متصلا بعضه ببعض تارة فى جو السماء كيف يشاء سائرا وواقفا ومطبقا وغير مطبق (ويجعله كسفا) أى ويجعل الله السحاب قطعا تارة أخرى (فترى الودق) أى المطر (يخرج من خلاله) أى من خلال السحاب (فاذا أصاب) أى الله (به) أى بالودق (من يشاء من عباده) أى اراضيهم (اذاهم يستبشرون) أى يفرحون بمجىء الخصب (وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين) أى وان الشأن كانوا من قبل أن ينزل عليهم المطر من قبل الاستبشار لآيسين من المطر (فانظر الى آثار رحمة الله) من النبات والاشجار والثمار فالرحمة هى المطر وأثرها هو النبات وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص آثار بالالف والباقون بغير ألف (كيف يحيي الارض بعد موتها) أى فانظر الى احياء الله تعالى للارض باخراج النبات بعد يبوستها (ان ذلك) أى الذى يحيى الارض (لمحيي الموتى) أى لقادر على احيائهم (وهو على كل شئ قدير) أى مبالغ فى القدرة على جميع الاشياء (ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون) أى وبالله لئن أرسلنا ريحا حارة أو باردة فضربت زرعهم بالصفار فرأوا الزرع مصفرا بعد خضرته لصاروا من بعد صفرته يكفرون نعمته تعالى السالفة (فانك) يا أشرف الخلق (لا تسمع الموتى) أى لا تجزع ولا تحزن على عدم ايمانهم فانهم موتى صم عمى ومن كان كذلك لا يهتدى (ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) أى اذا أعرضوا مدبرين عن الحق (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) أى ليس شغلك هداية العميان الى الحق وقرأ حمزة تهدى بتاء الخطاب الداخل فى المضارع ونصب العمى (ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا) أى ما تسمع دعوتك الا من مؤمن بكتابنا فان ايمانهم يدعوهم الى قبوله (فهم مسلمون) أى مطيعون (الله الذى خلقكم من ضعف) أى من أصل ضعيف هو النطفة (ثم جعل من بعد ضعف) أى من بعد كونه جنينا وطفلا مولودا ورضيعا ومفطوما (قوة) أى حالة البلوغ والشباب (ثم جعل من بعد قوة ضعفا) للكهولة (وشيبة) وهو بياض الشعر الاسود (يخلق ما يشاء) أى فان ذلك الضعف والقوة والشباب والشيبة ليس طبعا بل هو بمشيئة الله تعالى (وهو العليم القدير) فالترديد فى الاطوار المختلفة من أوضح دلائل العلم والقدرة (ويوم تقوم الساعة) أى توجد القيامة (يقسم المجرمون) أى يحلف الكافرون بالله (ما لبثوا) فى القبور (غير ساعة) أى غير قدر ساعة (كذلك) أى مثل ذلك الصرف (كانوا يؤفكون) أى يصرفون من الحق الى الباطل ومن الصدق الى الكذب (وقال الذين أوتوا العلم والايمان) من الملائكة

بالودق (من يشاء من عباده اذاهم يستبشرون) أى يفرحون (وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم) المطر (من قبله) كرر قبل للتأكيد (لمبلسين) أى آيسين (فانظر الى آثار رحمة الله) يعنى آثار المطر الذى هو رحمة الله (كيف يحيي الارض) أى جعلها تنبت (بعد موتها ان ذلك) الذى فعل ذلك وهو الله عز وجل (لمحيي الموتى وهو على كل شئ قدير ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا) أى رأوا النبت قد اصفر وجف (لظلوا من بعده يكفرون) يريد أن الكفار يستبشرون بالغيث فاذا جف النبت ولم يحتاجوا الى الغيث ظلوا يكفرون نعمة الله فلم يؤمنوا ولم يشكروا انعامه بالمطر (فانك لا تسمع الموتى) مضت الآية فى سورة الأنبياء والآية التى بعدها فى سورة النمل (الله الذى خلقكم من ضعف) أى من نطفة الآية (ويوم

تقوم الساعة يقسم) أى يحلف (المجرمون) أى الكافرون والانس (ما لبثوا) أى فى قبورهم (غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون) أى كذبوا فى هذا الوقت كما كانوا يكذبون فى الدنيا (وقال الذين أوتوا العلم والايمان

والانس (لقد لبثتم) فى القبور (فى كتاب الله) أى بحسب ما علمه الله وقدره (الى يوم البعث) من القبور (فهذا يوم البعث) الذى كنتم توعدون فى الدنيا والذى أنكرتموه (ولكنكم كنتم لا تعلمون) انه حق ولا تقرون بوقوعه فتستعجلون به استهزاء وتطلبون الآن تأخير الساعة فصار مصيركم الى النار (فيؤمئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم) وقرأ الكوفيون لا ينفع بالياء التحتية أى فيوم القيامة لا ينفع الذين أشركوا اعتذارهم فى انكارهم له (ولا هم يستعتبون) أى لا يطلب منهم ازالة العتب من التوبة كما طلبت منهم فى الدنيا لانها لا تقبل منهم (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) أى و بالله لقد بيناهم فى هذا القرآن كل حال وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كأنها فى غرابتها مثل (ولئن جئتهم) يا أشرف الخلق (بآية) من آيات القرآن الناطقة بأمثال ذلك (ليقولن الذين كفروا) من أهل مكة (ان أنتم الا مبطلون) أى ما أنتم يا معشر المؤمنين الا كاذبون ويقال ولئن جئتهم بكل آية جاءت بها الرسل يقولون أنتم كالكم أيها المدعون للرسالة مزورون (كذلك) أى مثل ذلك الطبع (يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أى لا يطلبون العلم ولا يقصدون الحق (فاصبر) على ما تشاهد منهم من الاقوال الباطلة والافعال السيئة (ان وعد الله حق) وقد وعدك بالنصرة واظهار الدين (ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) أى لا يحملنك على الخفة وترك الصبر الذين لا يصدقون بالآيات وهذا اشارة الى وجوب مداومة النبى صلى الله عليه وسلم على الدعاء الى الايمان فانه لو سكت لقال الكافر انه منقلب الرأى لا ثبات له والله أعلم بالصواب

﴿ سورة لقمان مكية وهى أربع وثلاثون آية وخمسمائة وثمان وأربعون كلمة وألفان ومائة وعشرة أحرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الم) قيل قسم أقسم الله به (تلك آيات الكتاب الحكيم) أى هذه السورة آيات القرآن ذى الحكمة (هدى ورحمة) بالنصب على الحالية من الآيات وبالرفع على قراءة حمزة خبران آخران لاسم الاشارة (للمحسنين) أى العاملين للحسنات (الذين يقيمون الصلاة) أى يتقنون جميع ما أمروا به فيها (و يؤتون الزكاة) كلها (وهم بالآخرة هم يوقنون) أى وهم يصدقون بالبعث بعد الموت فالصلاة ترك التشبه بالسيد فالله تعالى تجب له العبادة ولا يجوز عليه العبادة والزكاة تشبه بالسيد فانها دفع حاجة الغير والله دافع الحاجات والتشبه لازم على العبد فى أمور كما أن ترك التشبه لازم على العبد فى أمور فلا يجلس العبد عند جلوس السيد ولا يتكئ عند اتكائه وعبد العالم لا يتلبس بلباس الاجناد وعبد الجندى لا يتلبس بلباس الزهاد وبهما تتم العبودية (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) أى الناجون من كل مهروب والفائزون بكل مطلوب (ومن الناس) وهو النضر بن الحرث (من يشترى لهو الحديث) أى أباطيل الحديث (ليضل) بذلك (عن سبيل الله) أى على دينه الحق الموصل اليه تعالى وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء أى ليستمر على ضلاله عن قراءة كتاب الله تعالى الهادى اليه (بغير علم) أى يشترى بغير علم بحال ما يشتريه (و يتخذها هزوا) وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالنصب عطفا على يضل والباقون بالرفع عطفا على يشترى والضمير البارز للسبيل وهو دين الاسلام أو للقرآن (أولئك) أى من يشترى ذلك (لهم عذاب مهين) أى ذو اهانة لاهانتهم الحق (واذا تتلى عليه) أى المشترى (آياتنا) أى التى هى آيات الكتاب الحكيم (ولى مستكبرا) أى أعرض عنها مبالغا فى التكبر عن الايمان بها (كأن لم يسمعها) أى كأنه لم يسمع الآيات (كأن فى أذنيه وقرا) أى مشبها حاله حال من فى أذنيه ثقل مانع من السماع (فبشره بعذاب أليم) أى فاعلمه يا أشرف الخلق أن العذاب

كنتم لا تعلمون) أى انه يكون وقوله (ولا هم يستعتبون) أى لا يطلب منهم أن يرجعوا الى ما يرضى الله (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) أى بينا لهم الامثال للاعتبار (ولئن جئتهم بآية) لهم فيها بيان واعتبار (ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون) أى ما أنتم الا أصحاب الاباطيل (كذلك) أى كما طبع الله على قلوبهم حتى لا يفهموا (يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أى أدلة التوحيد (فاصبر ان وعد الله) فى نصرك وتمكينك (حق ولا يستخفنك) أى يستفزنك عن دينك (الذين لا يوقنون) أى الضلال الشاكون

﴿ تفسير سورة لقمان ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

هذه السورة مفسرة فيما مضى الى قوله (ومن الناس من يشترى لهو الحديث) يعنى النضر بن الحارث كان يخرج تاجرا الى فارس فيشترى أخبار الاعاجم ثم يأتى فيقرؤها فى أندية قريش فيستملحونها و يتركون استماع القرآن وقوله (و يتخذها هزوا) أى يتخذ آيات الكتاب هزوا وقوله

لله تعالى مستتبعة لمنافع الخلق (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) أي وأتم عليكم نعمه محسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير معروفة وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص نعمه بفتح العين وبالهاء آخره والباقون بسكون العين وبتاء منونة آخره (ومن الناس من يجادل فى الله) نزلت هذه الآية فى النضر ابن الحرث وأبي بن خلف وأمية بن خلف وأشباههم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم فى الله تعالى وفى صفاته (بغير علم) مستفاد من دليل (ولا هدى) من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم (ولا كتاب منير) أنزله الله تعالى بل بمجرد التقليد (واذا قيل لهم) أي لمن يخاصم (اتبعوا ما أنزل الله) على نبيه من القرآن (قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) أي قالوا نترك القول النازل من الله ونتبع الفعل من آبائنا وهو عبادة الاصنام (أولو كان الشيطان يدعوهم) أي قال الله تعالى أيتبعون آباءهم ولو كان الشيطان يدعو آباءهم فيما هم عليه من الشرك (الى عذاب السعير) فهم يقتدون بهم (ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي ومن يفوض اليه تعالى مجامع أموره ويقبل عليه تعالى بكليته وهو آت بأعماله جامعة بين الحسن الذاتي والوصفي فقد تمسك بحبل لا انقطاع له وترقى بسببه الى أعلا المقامات (والى الله عاقبة الأمور) فيجازيه أحسن الجزاء (ومن كفر فلا يحزنك كفره) أي لا تحزن اذا كفر كافر (الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا) فى الدنيا من الكفر والمعاصي بالعقاب (ان الله عليم بذات الصدور) فلا يخفى عليه سرهم وعلانيتهم فينبئهم بما أضمرته صدورهم (نمتعهم قليلا) أي زمانا قليلا مدة حياتهم (ثم نضطرهم الى عذاب غليظ) ثم نردهم فى الآخرة الى عذاب شديد أي فانهم لما كذبوا الرسل ثم تبين لهم الامر ووقع عليهم من الخجالة ما يدخلون ولا يختارون الوقوف بين يدي ربهم بمحضر الانبياء (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) وهذا يصدقك فى دعوى الوحدانية ويبين كذبهم فى الاشراك (قل الحمد لله) على ظهور صدقك وكذب مكذبيك (بل أكثرهم لا يعلمون) أي ليس لهم علم يمنعك من تكذيبك مع اعترافهم بما يوجب تصديقك (لله ما فى السموات والارض) فلا يستحق العبادة فيهما غيره تعالى (ان الله هو الغني الحميد) أي الغني عن العالمين المستحق للحمد وان لم يحمده أحد (ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) أي ولو كانت الاشجار أقلاما والبحار السبعة من بعد نفاد البحر المحيط مدادا فكتب بها عجائب صنع الله الدالة على قدرته ووحدانيته لم تنفد تلك العجائب فان العجائب بقوله تعالى كن وكن كلمة واطلاق اسم السبب على المسبب جائز كما يقول الشجاع لمن يبارزه انا موتك وكما يقال للدواء فى حق المريض هذا شفاؤك ودليل صحة هذا هو ان الله تعالى سمى المسيح كلمة لانه كان أمرا عجيبا الوجود من غير أب واذا قلنا بأن عجائب الله لا نهاية لها دخل فيها كلامه تعالى فالمخلوق هو الحرف والتركيب هو عجيب أما الكلمات فهي من صفات الله تعالى (ان الله عزيز) أي كامل القدرة فلا يعجزه شيء (حكيم) أي كامل العلم فلا يخرج عن علمه أمر (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) أي ما خلقكم وبعثكم الا كخلق نفس واحدة وبعثها أي سهولة الحصول اذ لا يشغله تعالى شأن عن شأن لان مناط وجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية (ان الله سميع بصير) أي سميع لما يقولون كيف يبعثنا بصير بما يعملون (ألم تر) أي ألم تعلم يا أيها العاقل (أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) أي يدخل كل واحد منهما فى الآخر وضمه اليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصانا (وسخر الشمس والقمر) أي ذللهما (كل يجري الى أجل مسمى) أي الى وقت معلوم فى منازل معروفة لهما (وأن الله بما تعملون) فى كل وقت من الخير والشر (خبير) فمن شاهد مثل ذلك الصنع لا يغفل عن كون صانعه محيطا بجلائل

وقد مضى تفسيره الى قوله (أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) أي موجباته فيتبعونه (ومن يسلم وجهه الى الله) أي يقبل على طاعته وأوامره (وهو محسن) أي مؤمن موحد (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي بالطرف الاوثق الذى لا يخاف انقطاعه (والى الله عاقبة الامور) أي مرجعها (نمتعهم قليلا) بالدنيا (ثم نضطرهم) أي نلجئهم (الى عذاب غليظ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله) الذى خلقهما (بل أكثرهم لا يعلمون) اذ أشركوا بعد اقرارهم بأنه خالقهما (ولو أن ما فى الارض) الآية ان المشركين قالوا فى القرآن ان هذا كلام سينفد وينقطع فأعلم الله تعالى أن كلامه لا ينقطع ولا ينفد وقوله (والبحر يمده) أي يزيد فيه ثم كتب بها كلمات الله (مانفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) أي كخلق نفس واحدة وكبعث نفس واحدة لان قدرة الله على بعث الخلق كلهم كقدرته على بعث نفس واحدة (ان الله سميع)

أعماله ودقائقه (ذلك) أي ماذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع (بأن الله هو الحق) أي الثابت الوجود والوهيته (وأن مايدعون من دونه الباطل) و بسبب بيان بطلان الهية مايعبدونه من غيره تعالى وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص يدعون بالغيبة (وأن الله هو العلي الكبير) أي و بيان أنه تعالى هو العلي في صفاته الكبير في ذاته أكبر من كل مايتصور فلا يكون جسما في مكان (ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله) أي بالريح التي هي بأمر الله وباحسانه تعالى في تهيئة أسباب الجري (ليريكم من آياته) أي ليريكم باجراء السفينة بنعمته بعض دلائل وحدته وعلمه وقدرته (ان في ذلك) أي فيما ذكر (لآيات) عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها (لكل صبار) في الشدة (شكور) في الرخاء فالتكاليف أفعال وتروك فالتروك صبر عن المألوف والافعال شكر على المعروف (واذا غشيهم) أي أحاط بهم (موج كالظلل) أي كالجبال في الارتفاع (دعوا الله مخلصين له الدين) أي مفردين له تعالى بالدعوة بأن ينجيهم (فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد) أي مقيم على الطريق المستقيم الذي هو التوحيد ومنهم من يعود الى الشرك وهو المراد بقوله تعالى (وما يجحد بآياتنا) أي الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا (الا كل ختار) أي كثير الغدر ولا يكون الغدر الا من قلة الصبر (كفور) أي مبالغ في كفران نعم الله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم) أي يا أهل مكة أطيعوا ربكم (واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده) أي لا يقضي فيه والد عن ولده في دفع الآلام (ولا مولود هو جاز عن والده شيأ) في دفع الاهانة فمولود مبتدأ وهو مبتدأ ثان وجاز خبره والجملة خبر مولود وقرئ لا يجزئ بضم الياء ورفع الهمزة أي لا يغني (ان وعد الله) بالثواب والعقاب (حق) أي لا يمكن اخلافه أصلا (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) فانها زائلة لوقوع اليوم الذي لا مجازاة بين الوالد وولده بالوعد الحق (ولا يغرنكم بالله) أي بسبب حلم الله (الغرور) أي الشيطان أو الدنيا فمن الناس من تدعوه الدنيا الى نفسه فيميل اليها ومنهم من يوسوس في صدره الشيطان ويزين في عينه الدنيا ويقول انك تحصل بها الآخرة أو لتلذ بها ثم تتوب فتجتمع لك الدنيا والآخرة أي كونوا من الذين لا يلتفتون الى الدنيا ولا الى من يحسن الدنيا في الاعين (ان الله عنده علم الساعة) أي علم وقت قيام القيامة (وينزل الغيث) الى محله في ابانه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح النون وتشديد الزاي (ويعلم ما في الارحام) من ذكر أو أنثى تام أو ناقص (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) من خير أو شر (وما تدري نفس بأي أرض تموت) كما لا تدري في أي وقت تموت روي أن ملك الموت مر على سليمان عليه السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدني فمر الريح أن تحملني وتلقيني ببلاد الهند ففعل ثم قال الملك لسليمان كان دوام نظري اليه تعجبا منه حيث كنت أمرت بأن أقبض روحه بالهند وهو عندك (ان الله عليم) أي مبالغ في العلم بكل شئ (خبير) أي عالم ببواطن الاشياء كما يعلم ظواهرها

﴿سورة السجدة وتسمى سورة المضاجع مكية عند أكثرهم وهي تسع وعشرون آية
وستمائة وثمانون كلمة وألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) فتنزيل خبر عن الم أي هذه السورة المسماة الم منزل الكتاب ولا ريب فيه حال من الكتاب ومن رب متعلق بتنزيل (أم يقولون افتراه) أي بل أيقول كفار مكة اختلق محمد القرآن من تلقاء نفسه (بل هو الحق من ربك) أي بل القرآن هو الثابت من ربك نزل به جبريل عليك (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون) أي لكي تخوف بالقرآن

الى قوله (ذلك) أي جعل الله ذلك (لتعلموا أن الله هو الحق) الاله الذي لا اله الا هو وقوله (ان (١١٣) في ذلك لآيات لكل صبار شكور) أي لكل مؤمن بهذه الصفة (واذا غشيهم موج) أي علاهم موج (كالظلل) أي كالجبال التي تظل من تحتها وقيل كالسحاب وقوله (دعوا الله مخلصين له الدين) أي الدعاء بأن ينجيهم أي لا يدعون معه غيره (فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد) أي مؤمن موف بما عاهد الله في البحر (وما يجحد بآياتنا) ومنها الانجاء من الموت وقوله (كل ختار) أي غدار (كفور) جحود (يا أيها الناس) أي أهل مكة (اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده) أي لا يكفي ولا يغني عنه شيأ (ولا مولود هو جاز عن والده) فيه (شيأ ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا) عن الاسلام (ولا يغرنكم بالله) في حلمه وامهاله (والغرور) الشيطان (ان الله عنده علم الساعة) أي متى تقوم (وينزل الغيث) أي المطر (ويعلم ما في الارحام) ذكرا كان أم أنثى ولا يعلم واحدا من الثلاثة غير الله (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) من خير وشر يعلمه الله تعالى (وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير) بباطنه وظاهره وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه حديث مفاتيح الغيب خمسة ان الله عنده الى آخر السورة ﴿تفسير سورة السجدة﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قومالم يأتهم رسول يخوف قبلك وراجيا أنت لاهتدائهم (الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام) أولها أحد وآخرها جمعة (ثم استوى على العرش) أي ثم استقام الله على ملكه وتصرف فيه تصرفا تاما والعرش موجود قبل السموات والارض (مالكم) يا أهل مكة (من دونه) أي من غير الله (من ولي) أي قريب ينفعكم (ولا شفيع) ينصركم من عذاب الله فعبادتكم لهذه الاصنام ضائعة لاهم خالقوكم ولا ناصروكم (أفلا تتذكرون) أي أتستمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون (يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) أي يدبر أمر الدنيا من السماء على عباده ويصعد اليه آثار الامر وهي أعمالهم الصالحة الصادرة على موافقة ذلك الامر فان نزول الامر وعروج العمل في مسافة ألف سنة مما تعدون عليهم أي على غير الملائكة فان بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة فينزل في مسيرة خمسمائة سنة ويعرج في مسيرة خمسمائة سنة فهو مقدار ألف سنة قال عبد الرحمن بن سابط يدبر أمر الدنيا أربعة جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل عليهم السلام فأما جبريل فوكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل فوكل بالقطر والماء وأما ملك الموت فوكل بقبض الارواح وأما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وقد قيل ان العرش موضع التدبير كما ان مادون العرش موضع التفصيل قال الله تعالى ثم استوى على العرش ومادون السموات موضع التصريف (ذلك) أي المدبر (عالم الغيب والشهادة) أي عالم ما غاب عن العباد وما يكون وما علمه العباد وما كان فيدبر أمرهما (العزيز الرحيم) فهو قادر على الانتقام على الكفرة واسع الرحمة على البررة (الذى أحسن كل شيء خلقه) لجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن وأحسن (وبدأ خلق الانسان من طين) أي بدأ آدم عليه السلام من أديم الارض على فطرة عجيبة (ثم جعل نسله) أي ذريته (من سلالة) أي من نطفة (من ماء مهين) أي من ماء ضعيف مخلوط من ماء الرجل والمرأة (ثم سواه) أي عدله بتكميل أعضائه في الرحم (ونفخ فيه من روحه) أي جعل الروح فيه (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) على مقتضى الحكمة وذلك لان الانسان يسمع أولا من الناس أمورا فيفهمها ثم يحصل له بسبب ذلك بصيرة فيبصر الامور ويجربها ثم يحصل له بسبب ذلك ادراك تام وذهن كامل فيستخرج الاشياء من قلبه (قليلا ما تشكرون) أي تشكرون شكرا قليلا (وقالوا) أي أبو جهل وأصحابه (أئذا ضللنا في الارض) أي أئذا غبنا في الارض بالدفن بأن صرنا ترابا مخلوطا بترابها بحيث لا نتميز منه (أئنا لفي خلق جديد) أي أئنا يجدد خلقنا (بل هم بلقاء ربهم كافرون) أي ليس انكارهم لمجرد الخلق ثانيا بل يكفرون بجميع أحوال الآخرة حتى لو صدقوا بالخلق الثاني لما اعترفوا بالعذاب والثواب (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم) أي قل يا أشرف الخلق يقبض أرواحكم ملك الموت الذى وكل بكم بقبض أرواحكم وذلك دليل على بقاء الارواح فلابد من الحياة بعد الموت لا كما تزعمون أن الموت من الاحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة (ثم الى ربكم ترجعون) بالبعث للحساب والجزاء (ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا) أي ولو ترى أيها المخاطب اذ المشركون خافضوا رؤسهم عند ربهم من الحياء والخزى عند ظهور قبائحهم يقولون ربنا أبصرنا قبح أعمالنا وكنا نراها في الدنيا حسنة وأبصرنا الحشر (وسمعنا) قول الرسول وأن مردنا الى النار (فارجعنا) الى الدنيا (نعمل صالحا انا موقنون) أي انا آمنا في الحال أي لو ترى حالهم وتشاهد استحجالهم لترى عجبا (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) أي قال تعالى جوابا عن قولهم ذلك اني لو أرجعتكم الى الايمان لهديتكم في الدنيا ولما لم أهدكم تبين اني ماشئت ايمانكم ولا أردكم الى الدنيا (ولكن حق القول مني) أي سبقت كلمتي حيث قلت لابليس فالحق والحق أقول

لأملأن

قوله (يدبر الامر من السماء الى الارض) أي يقضي القضاء من السماء فينزله الى الارض مدة أيام الدنيا (ثم يعرج اليه) أي يرجع الامر والتدبير الى السماء ويعود اليه بعد انقضاء الدنيا وفنائها (في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) وهو يوم القيامة وذلك اليوم يطول على قوم ويشتد حتى يكون كخمسين ألف سنة ويقصر على قوم فلا آخر له معلوم وقوله (الذى أحسن كل شيء خلقه) أي أتقنه وأحكمه (وبدأ خلق الانسان) يعني آدم (من طين ثم جعل نسله) أي ذريته (من سلالة) أي نطفة (من ماء مهين) أي ضعيف حقير (وقالوا) يعني منكري البعث (أئذا ضللنا في الارض) أي صرنا ترابا وبطلنا (أئنا لفي خلق جديد) أي نخلق بعد ذلك جديدا (قل يتوفاكم) أي يقبض أرواحكم (ولو ترى) يا محمد (اذ المجرمون) أي المشركون (ناكسوا رؤسهم عند ربهم) أي مطأطؤها حياء من ربهم يقولون (ربنا أبصرنا) أي ما كنا به مكذبين (وسمعنا) منك صدق ما أتت به الرسل (فارجعنا) أي فارددنا الى الدنيا (نعمل صالحا انا موقنون) (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) أي رشدها الآية ويقال لاهل النار

لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وهو المراد بقوله تعالى (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أي من كفارهم (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) أي لا رجوع لكم الى الدنيا فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم التفكر فيه (انا نسيناكم) أي انا تركناكم بالكلية غير ملتفت اليكم قطعا لرجائكم (وذوقوا عذاب الخلد) أي العذاب الدائم (بما كنتم تعملون) في الكفر (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها) أي بتلك الآيات (خروا سجدا) أي انقادت أعضاؤهم للسجود (وسبحوا بحمد ربهم) أي وتحرك ألسنتهم بتنزيهه تعالى عن الشرك (وهم لا يستكبرون) عن الخرور والتسبيح والتحميد (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) أي تتنحى جنوبهم عن مواضع المنام قال أنس نزلت هذه الآية فينا كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن أنس أيضا قال نزلت في أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء وهي صلاة الاوابين وهو قول ابن حازم ومحمد ابن المنكدر وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما والمشهور أن المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة لقوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل (يدعون ربهم خوفا) من عدم قبول عبادته ومن سخطه تعالى وعذابه (وطمعا) في رحمته (ومما رزقناهم) من المال (ينفقون) في وجوه البر والحسنات (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم) أي فلا تعلم نفس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ما ذخر لهم (من قرة أعين) أي مما يحصل به الفرح والسرور (جزاء بما كانوا يعملون) أي للجزاء بما كانوا يعملونه في الدنيا من الاعمال الصالحة (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) أي أفبعد ظهور التباين بين المؤمن والكافر يتوهم كون المؤمن الذي حكيت أوصافه الفاضلة كالكافر الذي ذكرت أحواله الشنيعة (لا يستوون) أي المؤمنون كعلي رضي الله عنه والكافرون كالوليد بن عقبة بن أبي معيط وذلك أنه كان بينهما تنازع يوم بدر فقال الوليد بن عقبة لعلي اسكت فانك صبي وأنا والله أبسط منك لسانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا في الكتيبة فقال علي اسكت فانك فاسق فأنزل الله تعالى هذه الآية (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا) أي حالة كونها ثوابا معدا لهم كما يعد ما يحصل به الاكرام للضيف (بما كانوا يعملون) أي بسبب أعمالهم الصالحة في الدنيا (وأما الذين فسقوا) أي خرجوا عن دائرة الايمان (فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها) أي النار (أعيدوا فيها) بمقامع الحديد (وقيل لهم) أي قالت الزبانية زيادة في غيظهم (ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) أي الذي كنتم في الدنيا تكذبون بعذاب النار وقلتم انه لا يكون (ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر) أي ولنصيبن كفار مكة من عذاب الدنيا بالقحط سبع سنين والقتل والاسر يوم بدر قبل عذاب الآخرة (لعلهم يرجعون) يتوبون عن الكفر (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها) أي لنذيقنهم ولا يرجعون فيكونون قد ذكروا بآيات الله من النعم أولا والنقم ثانيا ولم يؤمنوا فلا أظلم منهم (انا من المجرمين منتقمون) أي لما لم ينفعهم العذاب الادنى فانا منتقم منهم بالعذاب الاكبر (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي التوراة (فلا تكن في مرية من لقائه) أي فلا تكن يا أشرف الخلق من لقاء الكتاب الذي هو القرآن أي انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب فلا تكن في شك من أنك لقيت نظيره (وجعلناه) أي الكتاب الذي آتيناه موسى (هدى لبني اسرائيل) كما جعلنا كتابك هاديا للامة (وجعلنا منهم أئمة يهدون) الى دين الله (بأمرنا) اياهم بذلك كما جعلنا من أمتك صحابة يهدون (لما صبروا) أي حين صبروا على مشاق

يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها) أي وعظوا (خروا سجدا) خوفا منه (وسبحوا بحمد ربهم) أي نزهوا الله بالحمد له (وهم لا يستكبرون) أي عن الايمان به والسجود له (تتجافى جنوبهم) أي ترتفع أضلاعهم (عن المضاجع) أي الفرش ومواضع النوم (يدعون ربهم خوفا) من النار (وطمعا) في الجنة (ومما رزقناهم ينفقون) أي يتصدقون (فلا تعلم نفس) أي من هؤلاء (ما أخفي لهم) ما أعد لهم (من قرة أعين) أي مما تقر به عيونهم اذا رأوه (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة بن أبي معيط (ولنذيقنهم من العذاب الادنى) قيل المصيبات في الدنيا وقيل القتل ببدر وقيل عذاب القبر وقيل الجوع سبع سنين والاولى المصيبات والجوع لقوله (لعلهم يرجعون) وقوله (فلا تكن في مرية من لقائه) أي من لقاء موسى ليلة المعراج وعده الله أن يريه موسى ليلة الاسراء به (وجعلنا منهم) أي من بني اسرائيل (أئمة) أي قادة (يهدون) أي يدعون الخلق (بأمرنا لما صبروا) أي حين صبروا على الحق

الطاعات ومقاساة الشدائد فى نصرة الدين وقرأ حمزة والكسائى بكسر اللام وتخفيف الميم أى لصبرهم على ذلك (وكانوا بآياتنا) التى فى تضاعيف الكتاب (يوقنون) لامعانهم فيها النظر (ان ربك هو يفصل) أى يقضى (بينهم) أى بين المبتدع والمتبع كما يفصل بين المؤمن والكافر أو يفصل بين المختلفين من أمة واحدة كما يفصل بين المختلفين من الامم الكثيرة (يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من أمور الدين (أولم يهد لهم كم أهلكنا) أى أغفلوا ولم يفعل الهداية لهم كثرة اهلاكنا وقد جوز أن يكون الفاعل ضميرا يعود على الله كما يدل عليه قراءة نهد بنون العظمة فيكون كم أهلكنا الخ استئنافا مبينا لكيفية هدايته تعالى (من قبلهم من القرون) مثل عاد وثمود وقوم لوط (يمشون فى مساكنهم) أى يمرون فى أسفارهم الى التجارة على ديارهم و بلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم (ان فى ذلك) أى فى كثرة اهلاكنا الامم الخالية العاتية (لآيات) عظيمة فى أنفسها كثيرة فى عددها (أفلا يسمعون) هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ (أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز) أى التى أزيل نباتها بالمرة قال ابن عباس هى أرض اليمن والشام وقال قوم هى مصر (فنخرج به) أى بذلك الماء من تلك الارض (زرعا تأكل منه) أى من ذلك الزرع (أنعامهم وأنفسهم) قدم الانعام فى الأكل لان الزرع أول ما ينبت يصلح للدواب ولان الزرع غذاء الدواب وهو لا بد منه (أفلا يبصرون) أى الا ينظرون فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته تعالى وعلى فضله (ويقولون) أى المشركون للمؤمنين بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء (متى هذا الفتح) أى النصر (ان كنتم صادقين) وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين وان الله ينصرنا عليكم (قل) يا أشرف الخلق لبنى خزيمة و بنى كنانة (يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم) اذا جاءهم العذاب وقتلوا لان ايمانهم حال القتل ايمان اضطرار (ولا هم ينظرون) أى يمهلون بتأخير العذاب عنهم ولما فتحت مكة هربت قوم من بنى كنانة فلحقهم خالد بن الوليد فأظهروا الاسلام فلم يقبله منهم خالد وقتلهم (فأعرض عنهم) أى عن بنى خزيمة ولا تبال بتكذيبهم (وانتظر) هلاكهم يوم فتح مكة (انهم منتظرون) هلاكك ويقال وانتظر النصر من الله فانهم ينتظرون النصر من آلهتهم ويقال وانتظر عذابهم بنفسك فانهم ينتظرونه بلفظهم استهزاء

﴿سورة الاحزاب مدنية بالاجماع وهى ثلاث وسبعون آية وألف ومائتان وثمانون كلمة وخمسة آلاف وتسعمائة وتسعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين) أى المجاهرين بالكفر (والمنافقين) المضمرين له نزلت هذه الآية فى أبى سفيان بن حرب وعكرمة بن أبى جهل وأبى الاعور عمرو بن سفيان السلمى وذلك انهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبى رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم الامان على ان يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله ائذن لنا فى قتلهم فقال انى أعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا فى لعنة الله وغضبه وأمر النبى صلى الله عليه وسلم عمر ان يخرجهم من المدينة فأنزل الله تعالى هذه الآية (ان الله كان عليما حكيما) أى مبالغا

في

أى من أمرك (أولم يهد لهم) أى يبين لهم يعنى صدقك (كم أهلكنا) من كذب الرسل (قبلهم) وهم (يمشون فى مساكنهم) اذا سافروا فيرون خراب منازلهم (ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون) آيات الله وعظاته (أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز) أى الغليظة التى لا نبات فيها (فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون) هذا فيعلمون انا نقدر على اعادتهم (ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين) وذلك أن المؤمنين قالوا للكفار ان لنا يوما يحكم الله فيه بيننا يريدون يوم القيامة فقالوا متى هذا الفتح فقال الله تعالى (قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون) أى يمهلون للتوبة (فأعرض عنهم) منسوخ بآية السيف (وانتظر) عذابهم (انهم منتظرون) هلاكك فى زعمهم الكاذب

﴿تفسير سورة الاحزاب﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها النبى اتق الله) أى اثبت على تقوى الله ودم عليه (ولا تطع الكافرين والمنافقين) وذلك أن الكافرين قالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل ان لها شفاعة ومنفعة لمن عبدها ووازرهم المنافقون على ذلك (ان الله كان عليما) بما يكون قبل كونه (حكيما) فيما يخلق

في العلم والحكمة فيعلم جميع الأشياء من المصالح والمفاسد فلا يأمرك إلا بما فيه مصلحة ولا ينهاك إلا عن ما فيه مفسدة ولا يحكم إلا بما يقتضيه الحكمة البالغة (واتبع) في كل ما تأتي وما تذر من أمور الدين (ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا) فلا تهتم بشأنهم فإن الله تعالى كافيكه وقرأ أبو عمرو بما يعملون بالغيبة فالواو ضمير يعود على الكفرة والمنافقين (وتوكل على الله) أي فوض جميع أمورك إليه (وكفى بالله وكيلا) أي حافظا موكولا إليه كل الأمور (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) نزلت هذه الآية في أبي معمر جميل بن أسد الفهري كان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقالت قريش ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء إلا من أجل أن له قلبين وكان هو يقول لي قلبان أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فلقيه أبو سفيان واحدى نعليه بيده والأخرى برجله فقال له يا أبا معمر ما حال الناس فقال انهزموا فقال ما بال احدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك فقال أبو معمر ما شعرت إلا أنهما في رجلي فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده (وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم) أي كأمهاتكم في الحرام نزلت هذه الآية في أوس بن الصامت أخي عبادة بن الصامت وامرأته خولة (وما جعل أدعياءكم) الذين تبنيتم (أبناءكم) أي كأبنائكم من النسب وقرأ عاصم تظاهرون بضم التاء وفتح الظاء مع المد وكسر الهاء وحمزة والكسائي بفتح التاء والظاء مع المد والتخفيف وفتح الهاء وابن عامر كذلك إلا أنه يشدد الظاء والباقون بفتح التاء والظاء والهاء المشددتين ولا ألف بعد الظاء روى الأئمة عن ابن عمر قال ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله وكان زيد فيما روى عن أنس بن مالك وغيره مسبيا من الشام بستة خيل من تهامة فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد فوهبته خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم فأعتقه وتبناه فأقام عنده مدة ثم جاء عنده أبوه وعمه في فدائه فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم خيراه فإن اختاركما فهو لكما دون فداء فاختار الرق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حريته وقومه فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك يا معشر قريش اشهدوا أنه ابني يرثني وأرثه وكان يطوف على حلق قريش يشهدهم فرضي بذلك عمه وأبوه وانصرفا (ذلكم) أي دعاؤكم بقولكم هذا ابني (قولكم بأفواهكم) فقط فهو قول لا حقيقة له ولا يخرج من قلب ولا يدخل في قلب فهو قول بالفم مثل أصوات البهائم (والله يقول الحق) فإن العاقل ينبغي أن يكون قوله إما عن عقل أو عن شرع فإذا قال فلان ابن فلان ينبغي أن يكون عن حقيقة أو عن شرع بأن يكون ابنه شرعا وإن لم يعلم الحقيقة كمن تزوج بامرأة فولدت لستة أشهر ولدا وكانت الزوجة من قبل زوجة شخص آخر يحتمل أن يكون الولد منه فإنا نلحقه بالزوج الثاني لقيام الفراش ونقول إنه ابنه وفي الدعي لم توجد حقيقة ولا ورد الشرع به لأن أباه ظاهر مشهور ومن قال إن تزوج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب لم يكن حسنا لأنها زوجة الابن يكون قد ترك قول الله الحق هي حلال لك وقد أخذ بقول خرج من الفم (وهو يهدي السبيل) أي سبيل الحق فدعوا أقوالكم وخذوا بقوله تعالى (ادعوهم لآبائهم) أي انسبوهم إليهم (هو أقسط عند الله) أي الدعاء لآبائهم بالغ في العدل في حكم الله تعالى (فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) أي بنو عمكم أي فإن لم تعرفوا أبا شخص تنسبونه إليه وأردتم خطابه فقولوا له يا أخي ويا ابن عمي ويقال فادعوهم باسم إخوانكم في الدين كأن تقولوا عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم وعبد الرزاق (وليس عليكم جناح) أي إثم (فيما أخطأتم به) بالسهو أو سبق اللسان فقول القائل لغيره يا ابني بطريق الشفقة أو يا أبي بطريق التعظيم فإنه مثل الخطأ ألا ترى أن اللغو في اليمين مثل الخطأ وسبق اللسان (ولكن ما

(ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) هذا تكذيب لبعض من قال من الكفار إن لي قلبين أفهم بكل واحد منهما أكثر مما يفهم محمد فأكذبه الله قيل إنه ابن خطل (وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم) أي لم يجعل نساءكم التي أنتم تقولون هن علينا كظهور أمهاتنا في الحرام كما تقولون وكان هذا من طلاق الجاهلية فجعل الله في ذلك كفارة (وما جعل أدعياءكم) أي من تبنيتموهم (أبناءكم) في الحقيقة كما تقولون (ذلكم قولكم بأفواهكم) أي قول بالفم لا حقيقة له (والله يقول الحق) وهو أن غير الابن لا يكون ابنا (وهو يهدي السبيل) أي إلى السبيل المستقيم (ادعوهم لآبائهم) أي انسبوهم إلى الذين ولدوهم (هو أقسط) أي أعدل عند الله (فإن لم تعلموا آباءهم) من هم (فإخوانكم) أي فهم إخوانكم (في الدين ومواليكم) أي بنو عمكم وقيل أولياؤكم في الدين (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) وهو أن يقول لغير ابنه يا ابني من غير أن يتعمد أن يجريه مجرى الولد في الميراث وهو قوله (ولكن ما

[illegible] (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) [illegible]
أنفسهم الى شئ كانت طاعة النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم (وأزواجه أمهاتهم) أى فى حرمة نكاحهن عليهم (وأولوا الأرحام) أى الاقارب (بعضهم أولى ببعض) يعنى فى الميراث (فى كتاب الله) أى فى حكمه (من المؤمنين والمهاجرين

تعمدت قلوبكم) فيه جناح (وكان الله غفورا رحيما) يغفر الذنوب ويرحم المذنب فالمغفرة هو ان يستر القادر القبيح الصادر ممن تحت قدرته والرحمة هو ان يميل الى شخص بالاحسان لعجز المرحوم اليه لا لعوض (النبي أولى) أى أشفق (بالمؤمنين من أنفسهم) فى كل أمر من أمور الدين والدنيا فان نفوسهم تدعوهم الى مافيه هلاكهم وهو صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى مافيه نجاتهم والمعنى ان طاعتهم للنبي أولى من طاعتهم لانفسهم (وأزواجه أمهاتهم) أى منزلات منزلة الامهات فى استحقاق التعظيم وفى تحريم نكاحهن تحريما مؤبدا الافى غير ذلك سواء دخل صلى الله عليه وسلم بها أولا وسواء مات عنهن أوطلقهن (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين) أى ذووا القرابات بعضهم أولى ببعض فى التوارث بحق القرابة من الارث بحق الايمان وبحق الهجرة فى القرآن وهو آية المواريث والوصية (الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا) أى الى أصدقائكم وصية من الثلث أى ان أوصيتم فغير الوارثين أولى وان لم توصوا فالوارثون أولى بميراثكم وبما تركتم (كان ذلك) أى الميراث للقرابة والوصية للاجانب با واددة (فى الكتاب) أى القرآن (مسطورا) أى مكتوبا (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) أى اذكر وقت أخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين الحق (ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) أى عهدا مؤكدا وهو الاخبار بأنهم مسؤلون عما فعلوا فى الارسال (ليسأل الصادقين عن صدقهم) أى ليسأل الرسل عن صدقهم فى تبليغ الرسالة تبكيتا لمن أرسلوا اليهم وليسأل الوافين عن وفائهم والمؤمنين عن ايمانهم (وأعد للكافرين عذابا أليما) أى فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين بالرسل عذابا أليما (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود) أى أحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثنى عشر ألفا (فأرسلنا عليهم ريحا) وهى ريح الصبا (وجنودا لم تروها) وهم الملائكة عليهم السلام وكانوا ألفا ولم يقاتلوا يومئذ وانما ألقوا الرعب فى قلوب الاحزاب (وكان الله بما تعملون) من التجائكم اليه ورجائكم فضله (بصيرا) فنصركم على الاعداء عند الاستعداد وقرئ بما يعملون بالياء أى الاحزاب (اذ جاؤكم) أى الاحزاب (من فوقكم) أى من أعلى الوادى من جهة المشرق وهم بنو غطفان وأسد قائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل فى هوازن ومعهم اليهود من قريظة والنضير (ومن أسفل منكم) أى من أسفل الوادى من قبل المغرب وهم قريش وبنو كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وكانوا عشرة آلاف (واذ زاغت الابصار) أى واذكروا حين مالت أبصار المنافقين عن موضعها عن طريقها فلم تلتفت الى العدو لكثرته (وبلغت القلوب الحناجر) أى بلغت قلوب المنافقين بأن انتفخت عند منتهى الحلقوم من الخوف (وتظنون بالله الظنونا) أى ظن المخلصون ان الله تعالى ينجز وعده فى اعلاء دينه أو يمتحنهم فخافوا الزلل (هنالك) أى فى ذلك الزمن الهائل والمكان الدحض (ابتلى المؤمنون) أى امتحنهم الله فتميز الصادق عن المنافق (وزلزلوا زلزالا شديدا) أى حركوا تحريكا شديدا من الهول والفزع

وذلك انهم كانوا فى ابتداء الاسلام يرثون بالايمان والهجرة (الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا) أى لكن ان توصوا لهم بشئ من الثلث فهو جائز (كان ذلك فى الكتاب مسطورا) أى كان هذا الحكم مكتوبا فى اللوح المحفوظ (واذ أخذنا) واذكر اذ أخذنا (من النبيين ميثاقهم) أى على الوفاء بما حملوا وأن يصدق بعضهم بعضا (ليسأل الصادقين عن صدقهم) أى المبلغين من الرسل عن تبليغهم وفى تلك المسألة تبكيت الكفار (وأعد للكافرين) بالرسل (عذابا أليما يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود) يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان وقريظة والنضير حاصروا المسلمين يوم الخندق (فأرسلنا عليهم ريحا) كفأت قدورهم وقلعت فساطيطهم (وجنودا لم تروها) وهم الملائكة (وكان الله بما تعملون بصيرا) من حفر الخندق

(اذ جاؤكم من فوقكم) من قبل المشرق يعنى قريظة (ومن أسفل منكم) قريش من ناحية مكة (واذ زاغت الابصار) أى مالت وشخصت وتحيرت لشدة الأمر وصعوبته عليكم (وبلغت القلوب الحناجر) أى ارتفعت الى الحلقوم لشدة الخوف (وتظنون بالله الظنونا) ظن المنافقون أن محمدا وأصحابه يستأصلون وأيقن المؤمنون بنصر الله (هنالك) أى فى تلك الحال (ابتلى المؤمنون) أى اختبروا ليتبين المخلص من المنافق (وزلزلوا) أى حركوا وخوفوا وكانت

وكانت غزوة الاحزاب فى شوال سنة أربع وسببها انه لما وقع اجلاء بنى النضير من أماكنهم سار منهم جمع من أكابرهم منهم سيدهم حيى بن أخطب الى ان قدموا مكة على قريش فحرضوهم على حرب رسول الله وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقال أبو سفيان مرحبا وأهلا وأحب الناس الينا من أعاننا على عداوة محمد ثم خرج أولئك اليهود حتى جاؤا غطفان وقيس وغيلان فطلبوهم لحرب محمد فأجابوهم فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفر الخندق باشارة سلمان الفارسى وكان النبى يقطع لكل عشرة أربعين ذراعا فلما فرغوا من حفره أقبلت قريش والقبائل وجملتهم اثنا عشر ألفا فنزلوا حول المدينة حتى نزلوا الى جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه صلى الله عليه وسلم وبين القوم وأمر بالذرارى والنساء فرفعوا فى الآطام فلما رأت قريش الخندق قالوا هذه مكيدة لم تكن العرب تعرفها فشرعوا يترامون مع المسلمين بالنبل ومكثوا فى ذلك الحصار أربعة وعشرين يوما فاشتد على المسلمين الخوف فبعث الله عليهم ريحا فى ليلة شديدة البرد والظلمة فقلعت بيوتهم وقطعت أطنابهم وكفأت قدورهم وصارت تلقى الرجل على الارض وأرسل الله الملائكة فزلزلتهم ولم تقاتل بل نفثت فى قلوبهم الرعب فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الريح بهم قام فقال يامعشر قريش ليتعرف كل منكم جليسه واحذروا الجواسيس ثم قال أبو سفيان يامعشر قريش والله انكم لستم بدار مقام ولقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ماترون فارتحلوا فانى مرتحل ووثب على جمله وشرع القوم يقولون الرحيل الرحيل والريح تقلبهم على بعض أمتعتهم وتضربهم بالحجارة ولم تجاوز عسكرهم ورحلوا وتركوا مااستثقلوه من متاعهم وحين انجلى الاحزاب قال صلى الله عليه وسلم الآن نغزوهم ولا يغزونا (واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) أى ضعف اعتقاد (ماوعدنا الله ورسوله) من اعلاء الدين (الا غرورا) أى الا وعد غرور أى قال معتب بن قشير وأصحابه يعدنا محمد بفتح كنوز كسرى وقيصر والحال اننا لا نقدر ان نخرج لغائط خوفا وماهذا الا وعد غرور (واذ قالت طائفة منهم) هم أوس بن قيظى من رؤساء المنافقين واتباعه وقال السدى هم عبد الله بن أبى وأصحابه (ياأهل يثرب) هو اسم المدينة المطهرة (لامقام لكم) أى لا وجه لاقامتكم مع محمد (فارجعوا) عن محمد واتفقوا مع الاحزاب تخرجوا من الاحزان (ويستأذن فريق منهم النبى) أى يستأذن النبى فى الرجوع الى المدينة فريق من المنافقين أوس بن قيظى وأبو عرابة بن أوس من بنى حارثة (يقولون) للنبى صلى الله عليه وسلم ائذن لنا ياnبى الله بالرجوع الى المدينة (ان بيوتنا عورة) أى غير حصينة نخاف عليها سرق السراق (وماهى بعورة) أى والحال ان البيوت ليس فيها خلل (ان يريدون الا فرارا) أى مايريدون بالاستئذان الا الفرار من القتل (ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا) أى ولو دخل الاحزاب بيوتهم من جميع جوانبها ثم سألهم الداخلون أو غيرهم الرجعة الى الكفر لجاؤها وقرأ نافع وابن كثير لأتوها بقصر الهمزة أى لفعلوها والباقون بالمد أى لأعطوها اجابة لسؤال من سألهم وما أخروا الردة الا قدر مايسع السؤال والجواب أى لأسرعوا الاجابة الى الشرك طيبة نفوسهم به (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أى من قبل غزوة الخندق (لا يولون الادبار) أى منهزمين من المشركين فان بنى حارثة هموا يوم أحد أن يفشلوا مع بنى سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله تعالى ان لا يعودوا لمثل ذلك (وكان عهد الله مسؤلا) أى وكان ناقض عهد الله مسؤلا يوم

اذ وعدنا ان فارس والروم يفتحان علينا (واذ قالت طائفة منهم) أى من المنافقين (ياأهل يثرب) يعنى المدينة (لامقام لكم) أى لامكان لكم تقيمون فيه (فارجعوا) الى منازلكم بالمدينة أمروهم بترك رسول الله صلى الله عليه وسلم وخذلانه وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد خرج من المدينة الى سلع لقتال القوم (ويستأذن فريق منهم) أى من المنافقين (النبى) فى الرجوع الى منازلهم (يقولون ان بيوتنا عورة) أى ليست حصينة نخاف عليها العدو قال الله تعالى (وماهى بعورة ان يريدون الا فرارا) أى من القتال (ولو دخلت عليهم) أى لو دخل عليهم هؤلاء الذين يريدون قتالهم المدينة (من أقطارها) أى جوانبها (ثم سئلوا الفتنة) اى سألوهم الشرك بالله (لآتوها) أى لأعطوا مرادهم (وما تلبثوا بها الا يسيرا) أى وما احتبسوا عن الشرك الا يسيرا يعنى لأسرعوا الاجابة اليه (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أى عاهدوا الرسول قبل غزاة الخندق (لا يولون الادبار) أى لا ينهزمون عن العدو (وكان عهد الله مسؤلا) يريد والله يسألهم عن ذلك يوم القيامة

(قل) لهم (لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل) [illegible] الى الذى كتب عليكم (واذا لا تمتعون الا قليلا) [illegible]

الى آجالكم (قد يعلم الله المعوقين منكم) أى الذين يعوقون الناس عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم (والقائلين لاخوانهم هلم

الينا) أى يقولون خلوا محمدا فانه مغرور وتعالوا الينا (ولا يأتون البأس الا قليلا) أى لا يحضرون

الحرب مع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الا تعذيرا يوهمونهم أنهم معهم (أشحة عليكم) أى بخلاء عليكم بالخير والنفقة (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم) فى رؤسهم من الخوف (كـ)دوران عين (الذى يغشى عليه من الموت) أى قرب ان يموت فانقلبت عيناه (فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد) آذوكم بالكلام وجادلوكم فى الغنيمة (أشحة) أى بخلاء على الخير يعنى الغنيمة (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا) أى لجبنهم وشدة خوفهم يظنون انهم بعد انهزامهم لم ينصرفوا بعد (وان يأت الأحزاب) أى يرجعوا كرة ثانية (يودوا لو أنهم بادون) أى خارجون من المدينة (فى الأعراب يسألون عن أنبائكم) أى يودو لو أنهم غائبون عنكم يسمعون أخباركم بسؤالهم عنها من غير مشاهدة قال الله تعالى

(ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا) أى رياء من غير حسبة ولما وصف الله حال المنافقين فى الحرب وصف الله

حال المؤمنين فقال (لقد كان لكم) أيها المؤمنون (فى رسول الله أسوة حسنة) أى سنة صالحة واقتداء حسن حيث لم تخذلوه ولم تتولوا عنه كما فعل هو يوم أحد شج حاجبه وكسرت رباعيته فوقف ولم ينهزم ثم بين لمن كان هذا الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) أى يخافهما (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا) تصديقا لوعد الله (هذا ما وعدنا الله ورسوله

القيامة عن نقضه (قل) يا أشرف الخلق لبنى حارثة (لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل) لانه لابد لكل انسان من الموت فى وقت معين سبق به قضاء الله تعالى وجرى عليه القلم (واذا لا تمتعون الا قليلا) أى ولو فررتم من الموت فى يومكم مثلا لما دمتم ولما متعتم بعد الفرار الا تمتيعا قليلا (قل) يا أكرم الرسل لبنى حارثة (من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة) أى من يمنعكم من مراد الله ان أراد بكم عذابا بالقتل أو أراد بكم نجاة من القتل (ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) أى ليس لكم ولى يشفع لمحبته اياكم ولا نصير يدفع عنكم السوء اذا أتاكم (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا) أى قد علم الله المانعين من الرجوع الى الخندق والقائلين لاصحابهم المنافقين قربوا أنفسهم الينا أى وهم عند هذا القول خارجون من المعسكر متوجهون نحو المدينة وكان هؤلاء عبد الله بن أبى وجد بن قيس ومعتب بن قشير (ولا يأتون البأس الا قليلا) أى وهم لا يأتون القتال الا زمانا قليلا رياء وسمعة (أشحة عليكم) أى بخلاء عليكم بأبدانهم (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت) أى فاذا جاء خوف العدو رأيت المنافقين فى الخندق يا أشرف الخلق ينظرون اليك تدور أعينهم فى أحداقهم نظرا كائنا كنظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت (فاذا ذهب الخوف) وحيزت الغنائم (سلقوكم بألسنة حداد) أى غلبوكم بألسنة ذربة وآذوكم بكلامهم يقولون نحن الذين قاتلنا وبنا انتصرتم وكسرتم العدو وقهرتم ويطالبونكم بالقسم الاوفر من الغنيمة وكانوا من قبل راضين من الغنيمة بالاياب (أشحة على الخير) أى حرصا على المال ويقال انهم قليلو الخير فى الحالتين كثيرو الشر فى الوقتين (أولئك) الموصوفون بما ذكر (لم يؤمنوا) بقلوبهم وان أظهروا الايمان لفظا (فأحبط الله أعمالهم) أى أظهر الله بطلان أعمالهم التى كانوا يأتون بها مع المسلمين (وكان ذلك) أى الاحباط (على الله يسيرا) أى هينا (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا) أى هؤلاء المنافقون لجبنهم يظنون قريشا وغطفان واليهود لم ينهزموا عند ذهابهم ففروا الى داخل المدينة (وان يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الاعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا) أى وان يأت الكفار بعد ما ذهبوا كرة ثانية تمنى هؤلاء المنافقون ان لو كانوا ساكنين خارج المدينة بين الاعراب بعداء عن تلك الكفار يسألون كل قادم من جانب المدينة عما جرى عليكم مع الكفار والحال ان هؤلاء المنافقين لو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة ووقع قتال آخر ما قاتلوا معكم الا قليلا رياء وخوفا من التعيير (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) أى خصلة حسنة حقها أن يقتدى بها على سبيل الايجاب فى أمور الدين وعلى سبيل الاستحباب فى أمور الدنيا (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) أى يرجو ثواب الله واليوم الآخر خصوصا (وذكر الله كثيرا) باللسان والقلب (ولما رأى المؤمنون الاحزاب) أى الكفار الكثيرة الاجناس (قالوا هذا) أى المرئى (ما وعدنا الله ورسوله) بقوله تعالى أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء الى قوله تعالى الا ان نصر

الله قريب وبقوله صلى الله عليه وسلم سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وبقوله صلى الله عليه وسلم ان الاحزاب سائرون اليكم بعد تسع ليال أو عشر (وصدق الله ورسوله) في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء (وما زادهم الا ايمانا وتسليما) أي وما زادهم الوعد الا ايمانا بوقوعه وتسليما عند وجوده ويقال وما زادهم ما رأوه الا ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما الاوامره ومقاديره وقرأ ابن أبي عبلة وما زادوهم بضمير الجمع ويعود للاحزاب لان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرهم ان الاحزاب تأتيهم بعد تسع أو عشر (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أي أتوا بالصدق في عهدهم من الثبات مع الرسول أي من الصحابة رجال نذروا انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر وغيرهم (فمنهم من قضى نحبه) أي نذره كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر وغيرهم وأخرج الترمذي عن معاوية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال طلحة ممن قضى نحبه وقد روى ان طلحة ثبت مع رسول الله يوم أحد حتى أصيبت يده فقال صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم في رواية عائشة من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على الارض وقد قضى نحبه فلينظر الى طلحة (ومنهم من ينتظر) قضاء نحبه لكونه موقتا كعثمان وطلحة وغيرهما ممن استشهد بعد ذلك فانهم مستمرون على نذورهم (وما بدلوا تبديلا) أي وما غيروا العهد تغييرا بالنقض (ليجزي الله الصادقين بصدقهم) أي بصدق ما وعدهم بالقول والفعل في الدنيا والآخرة (ويعذب المنافقين) الذين كذبوا وأخلفوا بما صدر عنهم من الاعمال والاقوال المحكية (ان شاء) تعذيبهم فيمنعهم من الايمان فماتوا على النفاق (أو يتوب عليهم) ان تابوا قبل الموت ان أراد ذلك (ان الله كان غفورا) لمن تاب حيث ستر ذنوبهم (رحيما) حيث رزقهم الايمان (ورد الله) أي صرف الله (الذين كفروا) وهم الاحزاب (بغيظهم) أي ملتبسين به (لم ينالوا خيرا) أي غير ظافرين بخير من دين ودنيا (وكفى الله المؤمنين القتال) أي رفع الله مؤنة القتال عن المؤمنين بالريح والملائكة (وكان الله قويا) على نصر المؤمنين فلم يحوجهم الى قتال الكفار (عزيزا) أي قادرا على اهلاك الكافرين واذلالهم روى البخاري عن سليمان بن صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انجلى الاحزاب يقول الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير اليهم (وأنزل الذين ظاهروهم) أي عاونوا كفار مكة (من أهل الكتاب) وهم بنو قريظة والنضير كعب بن الاشرف وحيي بن أخطب وأصحابهما (من صياصيهم) أي حصونهم (وقذف في قلوبهم الرعب) أي الخوف الشديد حتى سلموا أنفسهم للقتل وأولادهم ونساءهم للسبي (فريقا تقتلون) وهم الرجال كانوا ستمائة (وتأسرون فريقا) وهم النساء والذراري وكانوا سبعمائة (وأورثكم أرضهم) من الحدائق والمزارع (وديارهم) أي منازلهم (وأموالهم) من النقد والماشية والسلاح والاثاث وغيرها (وأرضا لم تطؤها) أي لم تقبضوها الآن وهي خيبر فانها فتحت بعد بني قريظة بسنتين كما قاله السدي ومقاتل أو هي أرض الروم وفارس كما قاله الحسن (وكان الله على كل شيء قديرا) ويملككم غيرها روي ان جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا السلاح وهو على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس والسرج فقال صلى الله عليه وسلم ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن

بهذه الآية أنهم يبتلون فلما ابتلوا بالأحزاب علموا أن الجنة والنصر قد وجبا لهم ان سلموا وصبروا وذلك قوله (وما زادهم الا ايمانا) أي تصديقا بالله ورسوله (وتسليما) لله أمره (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أي كانوا صادقين في عهودهم بنصرة النبي صلى الله عليه وسلم (فمنهم من قضى نحبه) أي فرغ من نذره واستشهد يعني الذين قتلوا بأحد (ومنهم من ينتظر) يعني ينتظر أن يقتل شهيدا (وما بدلوا) أي عهدهم ثم ذكر جزاء الفريقين فقال (ليجزي الله الصادقين) الآية (ورد الله الذين كفروا) أي قريشا والاحزاب (بغيظهم) أي على ما فيهم من الغيظ (لم ينالوا خيرا) يعني لم يظفروا بالمسلمين (وكفى الله المؤمنين القتال) أي بالريح والملائكة (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب) يعني الذين عاونوا الأحزاب من قريظة (من صياصيهم) أي حصونهم وذلك أن النبي صلى الله وسلم حاصرهم واشتد ذلك عليهم حتى نزلوا على حكمه وذلك قوله تعالى (وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون) أي الرجال (وتأسرون فريقا) يعني النساء والذرية وقوله (وأرضا لم تطؤها) يعني خيبر ولم يكونوا نالوها فوعدهم الله اياها

فسرجه فقال يارسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح منذ أربعين ليلة ان الله يأمرك أن تسير الى بني قريظة فانهض اليهم فاني قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم في زلزال وألقيت الرعب في قلوبهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي ان من كان مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة فحاصرهم المسلمون خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتنزلون على حكمي فأبوا فقال أتنزلون على حكم سعد بن معاذ سيد الاوس فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبي الذراري والنساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحرث من نساء بني النجار ثم خرج الى سوق المدينة الذي هو سوقها اليوم فخندق فيه خندقا ثم بعث اليهم فأتى بهم اليه وفيهم حيي بن أخطب رئيس بني النضير وكعب بن أسد رئيس بني قريظة وكانوا استمائة فأمر عليا والزبير بضرب أعناقهم وطرحهم في ذلك الخندق فلما فرغ من قتلهم وانقضى شأنهم توفي سعد المذكور بالجرح الذي أصابه في وقعة الاحزاب وحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر قالت عائشة فوالذي نفس محمد بيده اني لاعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر واني في حجرتي (ياأيها النبي قل لازواجك) قال عكرمة كان تحته صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة وحفصة وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية ثم صفية بنت حيي الخيبرية وميمونة بنت الحرث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحرث من بني المصطلق روى انهن سألنه صلى الله عليه وسلم ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت هذه الآية (ان كنتن تردن الحياة الدنيا) أي التنعم فيها (وزينتها) أي زخارفها (فتعالين) أي أقبلن بارادتكن واختياركن لاحدى الخصلتين (أمتعكن) أي أعطكن المتعة (وأسرحكن سراحا جميلا) أي أخرجكن من البيوت من غير ضرار بعد اعطاء المتعة (وان كنتن تردن الله ورسوله) أي تردن طاعة الله وطاعة رسوله (والدار الآخرة) أي الجنة (فان الله أعد للمحسنات منكن) أي لمن عمل الصالحات منكن (أجرا عظيما) وهي الكبير في الذات الحسن في الصفات الباقي في الاوقات روى عن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لاحد منهم فأذن لابي بكر فدخل ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له فدخل فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا واجما ساكتا وحوله نساؤه قال عمر فقلت والله لاقولن شيأ أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسألنني النفقة فقام أبو بكر الى عائشة يجأ عنقها وقام عمر الى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول لا تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فقلن والله لانسأل رسول الله أبدا شيأ ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا ثم نزلت هذه الآية فبدأ بعائشة فقال ياعائشة اني أريد ان أعرض عليك أمرا أحب ان تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك قالت وما هو يارسول الله فتلا عليها الاية فقالت أفيك يارسول الله استشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن ذلك (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة) أي كبيرة (مبينة) أي ظاهرة القبح وقرأ ابن كثير وشعبة بفتح الياء التحتية أي بين الله قبحها (يضاعف لها العذاب ضعفين) أي يعذبن ضعفي عذاب غيرهن وقرأ أبو عمرو يضعف بتشديد العين على البناء للمفعول وقرأ ابن كثير وابن عامر نضعف بنون العظمة وتشديد العين على البناء للفاعل ونصب العذاب (وكان ذلك) أي التضعيف (على الله يسيرا) لا يمنعه تعالى عن التضعيف كونهن

(ياأيها النبي قل لازواجك) الآية نزلت حين سألت نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ من عرض الدنيا وآذينه بزيادة النفقة فأنزل الله هذه الآيات وأمره بأن يخيرهن بين الاقامة معه على طلب ما عند الله أو السراح ان أردن الدنيا وهو قوله (ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن) أي متعة الطلاق فقرأ عليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات فاخترن الآخرة على الدنيا والجنة على الزينة فرفع الله درجتهن على سائر النساء بقوله (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة) أي بمعصية ظاهرة (يضعف لها العذاب ضعفين) أي ضعفي عذاب غيرهن من النساء

نساء النبي صلى الله عليه وسلم وليس أمر الله كأمر الخلق حيث يتعذر عليهم تعذيب الاعزة بسبب كثرة شفعائهم (ومن يقنت منكن لله ورسوله) أي ومن يطع الله ورسوله منكن (وتعمل صالحا) أي خالصا فيما بينها وبين ربها (نؤتها أجرها مرتين) أي نعطها ثوابها مثلي ثواب غيرهن من النساء فمرة على الطاعة ومرة لطلبهن رضا رسول الله بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائي بالياء التحتية في يعمل ويؤتها (وأعتدنا لها) أي هيأنا لها (رزقا كريما) أي مرضيا في الجنة زيادة على أجرها المضاعف (يانساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن) أي اتصفتن بالتقوى لان فيكن أمرا لا يوجد في غيركن وهو كونكن أمهات جميع المؤمنين وزوجات خير المرسلين كما أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس كأحد من الرجال (فلا تخضعن بالقول) أي فلا ترققن بالقول عند الرجال (فيطمع) في الخيانة (الذي في قلبه مرض) أي شهوة الزنا (وقلن قولا معروفا) أي قولا حسنا مانعا كونه خشنا (وقرن في بيوتكن) أي امكثن في بيوتكن وليكن عليكن حسن الهيئة وقرأ نافع وعاصم بفتح القاف فهو أمر من قر يقر من باب علم أو من قار يقار اذا اجتمع وقرأ غيرهما بكسر القاف من وقر يقر وقارا (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) أي ولا تتزين بزينة الكفار في الثياب الرقاق الملونة والمراد بالجاهلية الاولى هي التي قبل الاسلام (وأقمن الصلاة) أي أتممن الصلوات الخمس (وآتين الزكاة) أي أعطين زكاة أموالكن (وأطعن الله ورسوله) في كل ما تأتين وما تذرن (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) أي عمل الشيطان وما ليس فيه رضا الرحمن كما قاله ابن عباس أو الذنب المدنس لعرضكم (أهل البيت) أي يا أهل بيت النبوة وأخرج الترمذي حديثا أنه لما نزلت هذه الاية دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسنا وحسينا وعليا وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة (ويطهركم تطهيرا) أي يلبسكم خلع الكرامة فذهاب الرجس كناية عن زوال عين النجاسة والتطهير كناية عن تطهير المحل (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) أي اذكرن للناس بطريق العظة ما يتلى في بيوتكن من القرآن كلمات النبي صلى الله عليه وسلم (ان الله كان لطيفا خبيرا) يعلم ويدبر ما يصلح في الدين (ان المسلمين والمسلمات) أي ان المنقادين لحكم الله تعالى من الذكور والاناث (والمؤمنين والمؤمنات) أي المصدقين بما يجب تصديقه من الفريقين (والقانتين والقانتات) أي المداومين على الطاعات (والصادقين والصادقات) في القول والعمل (والصابرين والصابرات) على الطاعات وعن المعاصي (والخاشعين والخاشعات) أي المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم (والمتصدقين والمتصدقات) مما وجب في مالهم (والصائمين والصائمات) الصوم المفروض (والحافظين فروجهم والحافظات) عن الحرام (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) بقلوبهم وألسنتهم (أعد الله لهم) بسبب ما عملوا من تلك الحسنات المذكورة (مغفرة) للصغائر (وأجرا عظيما) عن الطاعات نزلت هذه الآية في قول أم سلمة ونسيبة بنت كعب الاحبار يارسول الله ما نرى الله يذكر النساء في شيء من الخير انما يذكر الرجال ثم نزلت في زينب بنت جحش بنت عمة رسول الله وأميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله لزيد بن حارثة وأبت هي وأخوها عبد الله وكانت بيضاء جميلة وزيد أسود وقالت أنا بنت عمتك يارسول الله فلا أرضاه لنفسي وقيل نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وأخيها وكانت وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد بعد ما طلق زينب بنت جحش فسخطت هي وأخوها وقالا انما أردنا رسول الله

(ومن يقنت) أي تطع (نؤتها أجرها مرتين) يعني مثلي ثواب غيرها من النساء (وأعتدنا لها رزقا كريما) يعني الجنة وقوله (فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض) أي لا تقلن قولا يجد منافق به سبيلا الى أن يطمع في موافقتكن له (وقلن قولا معروفا) أي قلن قولا بما يوجبه الدين والاسلام بغير خضوع فيه بل بتصريح (وقرن في بيوتكن) أمر لهن من الوقار والقرار جميعا (ولا تبرجن) أي ولا تظهرن المحاسن كما كان يفعله أهل الجاهلية وهو ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) وهو كل مستنكر ومستقذر من عمل أهل البيت يعني نساء النبي صلى الله عليه وسلم ورجال أهل بيته (واذكرن ما يتلى في بيوتكن) يعني القرآن (والحكمة) يعني السنة (ان المسلمين والمسلمات) قالت النساء ذكر الله الرجال بخير في القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير فأنزل الله هذه الآية

فزوجنا عبده (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) أي وما صح لكل مؤمن وكل مؤمنة اذا أراد رسول الله أمرا أن يختاروا من أمرهم ماشاؤا بل يجب عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعا لاختياره صلى الله عليه وسلم (ومن يعص الله ورسوله) في أمر من الامور كأن يعمل فيه برأيه (فقد ضل) طريق الحق (ضلالا مبينا) أي بين الانحراف عن سنن الصواب فلما نزلت هذه الآية رضيت زينب وأخوها وجعلا الامر بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحها زيدا وساق اليها رسول الله عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر (واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه) أي واذكر وقت قولك للذي أنعم الله عليه بالاسلام وأنعمت عليه بالاعتاق وهو زيد بن حارثة (أمسك عليك زوجك) زينب أي لا تطلقها وذلك أنه صلى الله عليه وسلم أبصرها قائمة في درع وخمار بعدما أنكحها اياه فوقعت في نفسه حالة جبلية لا يكاد يسلم منها البشر فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن لذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال أريد أن أفارق صاحبتي فقال مالك أرابك منها شيء فقال لا والله يارسول الله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتعاظم على لشرفها فقال له أمسك عليك زوجك أي لا تفارقها (واتق الله) في أمرها فلا تطلقها تعللا بتكبرها عليك بسبب النسب وعدم الكفاءة (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) أي والحال أنك تخفي في نفسك ما أعلمك الله أنها ستصير من أزواجك بعد طلاق زيد (وتخشى الناس) وتستحيي من تعيير الناس اياك بأن يقولوا أخذ محمد زوجة ابنه (والله أحق أن تخشاه) أي والحال أن الله وحده أحق أن تستحيي منه (فلما قضى زيد منها وطرا) أي فلما وطئها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها (زوجناكها) أي جعلناها زوجتك بلا واسطة عقد فدخل صلى الله عليه وسلم عليها بغير اذن ولا تجديد عقد ولا تقرير صداق ولا شيء مما يكون شرطا في حقوقنا وأولم عليها بشاة وأطعم الناس خبزا ولحما حتى تركوه وعن أنس قال ما أولم النبي صلى الله عليه وسلم على أحد من نسائه كما أولم على زينب (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا) أي لكيلا يكون على المؤمنين ضيق في تزوج نساء من تبنوهم اذا قضوا منهن حاجة بالدخول بهن ثم الطلاق وانقضاء العدة فان لهم في رسول الله أسوة حسنة والمعنى زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي تبنيته ليعلم أن زوجة المتبنى حلال للمتبني ولو بعد الدخول بها وفي هذا التعليل اشارة الى أن التزوج من النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن لقضاء شهوته بل لبيان الشريعة بفعله فان الشرع يستفاد من فعل النبي وقوله (وكان أمر الله مفعولا) أي وكان مراد الله موجودا في الخارج لا محالة (ما كان على النبي

(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) [illegible] خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
وظنت أنه خطبها رسول الله لنفسه فلما علمت أنه يريدها لزيد كرهت ذلك فأنزل الله وما كان لمؤمن يعني عبد الله ولا مؤمنة يعني زينب أخته (اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) أي الاختيار فأعلم الله أنه لا اختيار على ما قضاه الله ورسوله وزوجها من زيد فمكثت عنده حينا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى زيدا ذات يوم لحاجة فأبصرها قائمة في درع وخمار فأعجبته وكأنها وقعت في نفسه وألقى في نفس زيد كراهتها فأراد فراقها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني أريد أن أفارق صاحبتي فانها تؤذيني بلسانها فذلك قوله (واذ تقول للذي أنعم الله عليه) بالاسلام يعني زيدا (وأنعمت عليه) بالاعتاق (أمسك عليك زوجك واتق الله) فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يتزوج بها الا أنه آثر ما يجب في الأمر بالمعروف وقوله (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) أن لو فارقها تزوجها وذلك أن الله كان قد قضى ذلك وأعلمه أنها ستكون من أزواجه وان زيدا يطلقها (وتخشى الناس) أي تكره مقالة الناس لو قلت طلقها فيقال أمر رجلا بطلاق امرأته ثم تزوجها (والله أحق أن تخشاه) في كل الاحوال ليس أنه لم يخش الله في شيء من هذه القصة ولكن ذكر هذا الكلام ههنا على الجملة وقيل والله أحق أن تستحيي منه فلا تأمر زيدا بامساك زوجته بعد اعلام الله اياك أنها من ستكون زوجتك وأنت تستحيي من الناس وتقول أمسك عليك زوجك (فلما قضى زيد منها وطرا) أي حاجته من نكاحها (زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم) الآية يعني لكي لا يظن أن امرأة المتبنى لا تحل للمتبني وكانت العرب تظن ذلك وقوله (وكان أمر الله مفعولا) أي كائنا لا محالة وقد كان قضي في زينب أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما كان على النبي)

من حرج فيما فرض الله له) أي ليس على النبي مأثم فيما خص الله من التزوج (سنة الله في الذين خلوا من قبل) أي سن الله ذلك سنة في الذين مضوا من قبل محمد فإن داود عليه السلام افتتن بامرأة أوريا وسليمان عليه السلام تزوج بلقيس ولقد كانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية فإن اليهود عابوا النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة النساء فرد الله عليهم بقوله سنة الله أي كسنة الله في الأنبياء الذين من قبل محمد (وكان أمر الله قدرا مقدورا) أي وكان قضاء الله حكما مبتوتا والقضاء ما كان مقصودا في الأصل والقدر ما يكون تابعا له مثاله من كان يقصد مدينة نزل بطريق تلك المدينة في قرية يصح منه في العرف أن يقول في جواب من يقول لم جئت إلى هذه القرية إني ما جئت إلى هذه القرية وإنما قصدت المدينة الفلانية وهذه وقعت في طريقي وإن كان قد جاءها ودخلها إذا عرفت هذا فإن الخير كله بقضاء وما في العالم من الضرر بقدر ثم وصف الله تعالى الذين خلوا بقوله تعالى (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه) في تبليغ الرسالة (ولا يخشون أحدا إلا الله) أي الذين هم كانوا رسلا مثل محمد (وكفى بالله حسيبا) أي كافيا للمخاوف فينبغي أن لا يخشى غيره أو محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية منه تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها فليس محمد أبا زيد (ولكن رسول الله) أي ولكن كان محمد رسول الله والعامة على تخفيف لكن ونصب رسول على إضمار كان وقرأ أبو عمرو في رواية بتشديدها على أن رسول اسمها والخبر محذوف أي ولكن رسول الله هو وقرأ زيد بن علي وابن أبي عبلة بتخفيفها ورفع رسول على الابتداء وخبره مقدر أي هو أو بالعكس أي ولكن هو رسول الله (وخاتم النبيين) أي وكان آخرهم الذين ختموا به وقرأ عاصم بفتح التاء والباقون بكسرها أي فإن رسول الله كالأب للأمة في الشفقة من جانبه وفي التعظيم من طرفهم بل أقوى فإن النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم والأب ليس كذلك ثم إن النبي الذي يكون بعده نبي إن ترك شيئا من النصيحة يستدركه من يأتي بعده وأما من لا نبي بعده يكون أشفق على أمته وأهدى لهم إذ هو كالوالد لولده الذي ليس له غيره من أحد (وكان الله بكل شيء عليما) ومن جملته الحكم الذي بينه لكم وكنتم منه في شك والحكمة في تزوجه صلى الله عليه وسلم بزوجة من تبناه إكمال شرعه وذلك أن قول النبي يفيد شرعا لكن إذا امتنع هو عنه يبقى في بعض النفوس نفرة ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم أحل أكل الضب ثم لما لم يأكله بقي في النفوس شيء ولما أكل لحم الجمل طاب أكله عندهامع أنه في بعض الملل لا يؤكل وكذلك الأرنب (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله) بما هو أهله من التهليل والتحميد بالنهار والليل (ذكرا كثيرا) يعم الأوقات والأحوال أي بالليل والنهار والبر والبحر والصحة والسقم في السر والعلانية عند المعصية والطاعة (وسبحوه) أي نزهوه عما لا يليق به (بكرة وأصيلا) وهذا إشارة إلى المداومة وذلك لأن مريد العموم قد يذكر الطرفين ويفهم منهما الوسط (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) أي فالله تعالى وملائكته يعتنون بما فيه خيركم وصلاح أمركم فالله يهديكم برحمته والملائكة يستغفرون لكم (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) أي يخرجكم بذلك من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة (وكان بالمؤمنين رحيما) أي وكان الله بكافة المؤمنين رحيما (تحيتهم يوم يلقونه سلام) أي ما يحيون به يوم لقاء الله عند الموت أو عند الخروج من القبور أو عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله تعالى تعظيما لهم أو من الملائكة بشارة لهم بالجنة أو تكرمة لهم (وأعد لهم أجرا كريما) أي ثوابا حسنا في الجنة وهذا ترغيب ببيان أن الأجر الذي هو المقصد الأقصى موجود بالفعل مهيأ لهم (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا) على من بعثت إليهم

أيضا لغيرك يعني كثرة أزواج داود وسليمان والمعنى سن الله سنة واسعة لا حرج عليه فيها (وكان أمر الله قدرا مقدورا) أي قضاء مقضيا (الذين يبلغون رسالات الله) من نعت قوله في الذين خلوا من قبل (ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله) أي لا يخشون مقالة الناس ولا تهم فيما أحل الله لهم (وكفى بالله حسيبا) أي حافظا لأعمال خلقه (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) فتقولوا إنه تزوج امرأة ابنه يعني زيدا ليس له بابن وإن كان قد تبناه (ولكن) كان (رسول الله وخاتم النبيين) أي لا نبي بعده (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) وهو أن لا تنسى على حال (وسبحوه) أي صلوا له (بكرة) صلاة الفجر (وأصيلا) صلاة العصر والعشاءين (هو الذي يصلي عليكم) أي يغفر لكم ويرحمكم (وملائكته) يستغفرون لكم (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) من ظلمات الجهل والكفر إلى نور اليقين والإسلام (تحيتهم) أي تحية الله للمؤمنين (يوم يلقونه) أي يرونه

تشاهد أعمالهم فالنبي بعث فى الدنيا متحملا للشهادة ويكون فى الآخرة مؤديا لما تحمله (ومبشرا) للمؤمنين بالجنة (ونذيرا) للكافرين بالنار (وداعيا الى الله) أي الى دينه (باذنه) وهذا راجع الى داعيا وذلك كما اذا قال شخص من يطع الملك يسعد ومن يعصه يشقى فيكون مبشرا ونذيرا ولا يحتاج فى ذلك الى اذن من الملك وأما اذا قال تعالوا الى سماطه واحضروا على خوانه فيحتاج فى ذلك الى اذنه (وسراجا منيرا) يستضاء به فى ظلمات الجهل ويهتدي بأنواره الى مناهج الرشد (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) على سائر الأمم المؤمنين فى الزيادة على أجور أعمالهم قوله وبشر عطف على مفهوم والتقدير انا أرسلناك شاهدا ومبشرا فاشهد وبشر وقيل لما نزل قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال المؤمنون هنيأ لك يارسول الله بالمغفرة فما لنا عند الله تعالى فقال الله تعالى وبشر المؤمنين الآية (ولا تطع الكافرين والمنافقين) أي ولا تطع الكافرين من أهل مكة أبا سفيان وأصحابه والمنافقين من أهل المدينة عبد الله بن أبي وأصحابه أي لا تترك ابلاغ شئ مما أمرت (ودع أذاهم) أي دع أذيتهم اياك الى الله فانه يعذبهم بأيديكم وبالنار أو لا تبال بأذيتهم لك بسبب تصلبك فى الدعوة والانذار (وتوكل على الله) فى كل ما تأتي وما تذر فانه تعالى يكفيكهم (وكفى بالله وكيلا) أي موكولا اليه الأمور فى كل الاحوال (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات) أو الكتابيات (ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) وقرأ حمزة والكسائي تماسوهن بضم التاء ومد الميم أي من قبل أن تجامعوهن (فما لكم عليهن من عدة) بالشهور أو الحيض (تعتدونها) أي تستوفون أنتم عددها (فمتعوهن) أي أعطوهن ما يتمتعن به وهو المتعة الواجبة للمفارقة فى الحياة اذا كانت مدخولا بها أو غير مدخول بها وكانت مفوضة ولم يفرض لها شئ قبل الفراق (وسرحوهن سراحا جميلا) أي اخرجوهن من منازلكم من غير ضرار ولا منع حق (يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) أي أعطيت مهورهن (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) أي مما فتح الله عليك مثل صفية بنت حيي النضرية وريحانة القرظية وجويرية بنت الحرث الخزاعية (وبنات عمك وبنات عماتك) من بني عبد المطلب (وبنات خالك وبنات خالاتك) من بني عبد مناف بن زهرة (اللاتي هاجرن معك) ذكر للنبي ما هو الاولى فان الزوجة التي أوتيت مهرها أطيب قلبا من التي لم تؤت والمملوكة التي سباها الرجل بنفسه أطهر من التي اشتراها الرجل فان المشتراة لا يتحقق بدء أمرها وما جرى عليها ومن هاجرت من أقارب النبي صلى الله عليه وسلم معه من مكة الى المدينة أشرف مما لم تهاجر (وامرأة مؤمنة) وهي أم شريك بنت جابر العامرية وخولة بنت حكيم وزينب بنت خزيمة الانصارية وميمونة بنت الحرث (ان وهبت نفسها للنبي) أي ان ملكته بضعها بأي عبارة كانت بلا مهر فتصير كالمستوفية مهرها (ان أراد النبي أن يستنكحها) أي ان يملك بضعها بلا مهر فارادة النكاح جارية منه صلى الله عليه وسلم مجرى القبول (خالصة لك) أي حال كون المرأة خصوصية لك أو هبة مرخصة لك فخالصة اما حال أو نعت مصدر مقدر (من دون المؤمنين) قال الشافعي والمعنى ان اباحة الوطء بالهبة وحصول التزوج بلفظها من خواصك وقرئ خالصة بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي تلك المرأة أو تلك الهبة رخصة لك وخصوصية لك لا تتجاوز المؤمنين حيث لا تحل المرأة لهم بغير مهر ولا تصح الهبة بل

أي على أمتك بابلاغ الرسالة (وداعيا الى الله) [illegible] من الطاعة والتوحيد (باذنه) يعني بأمره أي أنه أمرك بهذا لا أنك تفعله من قبلك يعني لا يطيعك أحد الا باذن الله فى ذلك وقضائه وقدره (وسراجا منيرا) يستضاء به من ظلمة الكفر وقوله (ودع أذاهم) لا تجازهم عليه الى ان تؤمر فيهم بأمر (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات) أي تزوجتموهن (ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أي تجامعوهن (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) أي تحصونها عليهن بالاقراء والاشهر لان المطلقة قبل الجماع لا عدة عليها (فمتعوهن) أي أعطوهن ما يستمتعن به وهو أمر ندب لان الواجب لها نصف الصداق (وسرحوهن سراحا جميلا) أي بالمعروف كما أمر الله ثم ذكر ما يحل من النساء للنبي صلى الله عليه وسلم فقال (يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) أي مهورهن (وما ملكت يمينك) أي من الاماء (مما أفاء الله عليك) أي جعلهن غنيمة تسبي وتسترق بحكم الشرع (وبنات عمك وبنات عماتك) أي تتزوجهن يعني نساء عبد المطلب (وبنات خالك وبنات خالاتك) يعني نساء بني زهرة (اللاتي هاجرن معك) فمن لم تهاجر منهن لا يحل يجب نكاحها (و) احللنا لك (امرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي ان يستنكحها) فله ذلك (خالصة لك من دون المؤمنين) أي فليس لغير النبي صلى الله عليه وسلم أن يستبيح وطء امرأة بلفظ الهبة من غير ولي ولا مهر ولا شاهد

(قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم) من أنه لا نكاح الا بولي وشاهدين (وما ملكت أيمانهم) يريد أنه لا يحل لغير النبي الا أربع بولي وشهود والاملاك اليمين والنبي صلى الله عليه وسلم يحل له ماذكر في هذه الآية (لكيلا يكون عليك حرج) في النكاح (ترجي من تشاء) أي تؤخر (وتؤوي) أي وتضم (اليك من تشاء) أباح الله له أن يترك التسوية والقسمة بين أزواجه حتى انه ليؤخر من يشاء منهن عن وقت نوبتها ويطأ من يشاء في غير نوبتها ويكون الأمر في ذلك اليه يفعل فيه مايشاء وهذا من خصائصه (ومن ابتغيت) أي طلبت وأردت اصابتها (ممن عزلت) أي هجرت وأخرت نوبتها (فلاجناح عليك) أي في ذلك (ذلك أدنى ان تقرأ عينهن) الآية أي اذا كانت هذه الرخصة منزلة من الله عليك كان أقرب الى ان يرضين (بما آتيتهن كلهن والله يعلم مافي قلوبكم) أي من أمر النساء والميل الى بعضهن ولما خير النبي صلى الله عليه وسلم نساءه فاخترنه ورضين به قصره الله عليهن وحرم عليه طلاقهن والتزوج بسواهن وجعلهن أمهات المؤمنين وهو قوله (لاتحل لك النساء من بعد) أي من بعد هؤلاء التسع (ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن) أي ليس لك أن تطلق واحدة من هؤلاء وتتزوج بدلها أخرى أعجبتك بجمالها (الا ما ملكت يمينك) من الاماء فانهن حلال لك (ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا) الآية نزلت في اناس من المؤمنين كانوا يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام الى ان يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتأذى بهم وهو قوله (غير ناظرين اناه) أي منتظرين ادراكه

يجب مهر المثل (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم) أي ما أوجبنا على المؤمنين في حق أزواجهم بأن لا يزيدوا على أربع نسوة ولا يتزوجوا الا بولي وشهود ومهر (وما ملكت أيمانهم) بأن تكون الأمة ممن تحل لمالكها كالكتابية وان تستبرأ قبل الوطء (لكيلا يكون عليك حرج) أي ضيق فاللام متعلق بأحللنا والمعنى أحللنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لك لتكون في فسحة من الامر فلا يبقى لك شغل قلب فينزل جبريل بالآيات على قلبك الفارغ وتبلغ رسالات ربك بجدك (وكان الله غفورا رحيما) فيغفر الذنوب مما يعسر التحرز عنه ويرحم العبيد بتوسعة الامر في مواضع الضيق (ترجي من تشاء منهن) أي تترك مضاجعتها (وتؤوي اليك من تشاء) أي وتضم اليك من تشاء مضاجعتها فالله أحل له صلى الله عليه وسلم وجوه المعاشرة بهن كيف يشاء ولا يجب عليه القسم فان شاء أن يقسم قسم وان شاء أن يترك القسم ترك وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى أمته نسبة السيد المطاع وروى أنه صلى الله عليه وسلم أرجأ منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة فكان يقسم لهن ماشاء كما شاء وكانت مما آوى اليه صلى الله عليه وسلم عائشة وحفصة وزينب وأم سلمة فأرجأ خمسا وآوى أربعا وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي ترجي بياء ساكنة والباقون بهمزة مضمومة (ومن ابتغيت ممن عزلت فلاجناح عليك) أي اذا طلبت رد من كنت تركتها الى فراشك فلاجناح عليك في شئ من ذلك (ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن) من تقريب وارجاء وعزل وايواء أي تفويض الامر الى مشيئتك أقرب الى طيب نفوسهن والى قلة حزنهن والى رضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن أنه بحكم الله فتطمئن به نفوسهن (والله يعلم مافي قلوبكم) من الرضا والسخط فاجتهدوا في احسان الخواطر (وكان الله عليما حليما) أي ان أضمرن خلاف ما أظهرن فانه يعلم ضمائر القلوب فان لم يعاتبهن في الحال فلا يغتررن فانه حليم لا يعجل (لايحل لك النساء من بعد) أي من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما يؤتيهن الرسول من الوصل والهجران والنقص والحرمان وقرأ أبو عمرو لاتحل بالفوقية أو لايحل لك النساء غير اللاتي ذكرنا لك من المؤمنات المهاجرات من بنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك وأما غيرهن من الكتابيات فلا يحل لك التزوج بهن (ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن) وهذا نهى عن شغل الجاهلية فانهم كانوا يبادلون زوجة بزوجة فينزل أحدهم عن زوجته ويأخذ زوجة صديقه ويعطيه زوجته روى الدارقطني عن أبي هريرة قال كان البدل في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي وأزيدك فأنزل الله تعالى ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن (الا ما ملكت يمينك) فتحل لك وقد ملك مارية القبطية وولدت له ابراهيم ومات في حياته صلى الله عليه وسلم (وكان الله على كل شئ رقيبا) أي حافظا شاهدا فاحذروا مجاوزة حدوده (ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم) أي لاتدخلوا بيوت النبي في حال من الاحوال الا حال كونكم مأذونا لكم بالدخول (الى طعام غير ناظرين اناه) أي منتظرين نضجه نزلت هذه الآية

سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) إذا أردتم أن تخاطبوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في أمر فخاطبوهن من وراء حجاب وكانت النساء قبل نزول هذه الآية يبرزن للرجال فلما نزلت هذه الآية ضرب عليهن الحجاب فكانت هذه آية الحجاب بينهن وبين الرجال (ذلكم) أي الحجاب (أطهر لقلوبكم وقلوبهن) فان كل واحد من الرجل والمرأة اذا لم ير الآخر لم يقع في قلبه شئ (وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله) أي ما كان لكم أذاه في شئ من الاشياء (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) وذلك ان رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لئن قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنكحن عائشة رضي الله عنها فأعلم ان ذلك محرم بقوله (ان ذلكم كان عند الله عظيما) أي ذنبا عظيما (ان تبدوا شيأ أو تخفوه) لآية نزلت في هذا الرجل الذي قال لأنكحن عائشة أخبر الله أنه عالم بما يظهر و يضمر فلما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء لرسول الله صلى الله عليه وسلم نحن أيضا نكلمهن من وراء حجاب فأنزل الله تعالى (لا جناح عليهن) إلى قوله ولا ما ملكت ايمانهن أي في ترك الاحتجاب من هؤلاء (ان الله وملائكته يصلون على النبي) الله تعالى يثني على النبي ويرحمه والملائكة يدعون له (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

في قوم كانوا يدخلون في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم غدوة وعشية فيجلسون و ينتظرون وقت الطعام حتى يأكلوا ثم يتحدثون مع نساء النبي صلى الله عليه وسلم فاغتم بذلك النبي صلى الله عليه وسلم واستحيا أن يأمرهم بالخروج و نهاهم عن الدخول فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآيات (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم) أي أكلتم الطعام (فانتشروا) أي فتفرقوا ولا تلبثوا (ولا مستأنسين لحديث) أي وغير مستأنسين لحديث بعضكم بعضا أو لحديث أهل البيت بالتسمع له (ان ذلكم) أي الدخول والمكث لحديث (كان يؤذي النبي) لتضييق المنزل عليه وعلى أهله (فيستحيي منكم) أي من اخراجكم (والله لا يستحيي من الحق) أي لا يترك الامر بخروجكم ولا يترك النهي عن الدخول بغير اذن (واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) أي واذا سألتم نساء النبي شيأ ينتفع به فاسألوهن من خلف ستر * قيل انه صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة رضي الله عنها فكره النبي ذلك فنزلت هذه الآية (ذلكم أطهر لقلوبكم) أي ان ان عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستئناس للحديث بعد الدخول بالاذن وسؤال المتاع من وراء حجاب أطهر للخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء (وقلوبهن) أي وأطهر للخواطر التي تعرض للنساء في أمر الرجال أي فان ذلك أنفى للريبة وأبعد للتهمة وأقوى في الحماية (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) أي وما صح لكم أن تفعلوا في حياته صلى الله عليه وسلم ما يكرهه و يتأذى به كالدخول عليه بغير اذنه والحديث مع أزواجه وما صح لكم أن تنكحوا أزواجه صلى الله عليه وسلم أبدا من بعد فراقه صلى الله عليه وسلم بموت أو طلاق سواء أدخل بها أم لا ونزلت هذه الآية في رجل من الصحابة قال في نفسه اذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نكحت عائشة وندم هذا الرجل على ما حدث به نفسه فمشى الى مكة على رجليه وحمل على عشرة أفراس في سبيل الله وأعتق رقيقا فكفر الله عنه قيل هذا الرجل هو طلحة بن عبيد الله (ان ذلكم كان عند الله عظيما) أي ان ايذاء الرسول بنكاح زوجته أو غيره كان عند الله ذنبا عظيما (ان تبدوا شيأ أو تخفوه فان الله كان بكل شئ عليما) أي ان تظهروا شيأ مما لا خير فيه كنكاحهن على ألسنتكم أو تعزموا على ايذائه صلى الله عليه وسلم أو نكاح أزواجه بعده في قلوبكم فالله يجازيكم على ذلك (لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن) أي لا اثم على نساء النبي صلى الله عليه وسلم في عدم الاحتجاب عن محارمهن وهذا استئناف لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم روي أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والأقارب يا رسول الله أو نكلمهن أيضا من وراء الحجاب فنزلت هذه الآية (ولا نسائهن) أي ولا جناح على زوجات النبي في عدم الاحتجاب عن النساء المسلمات ويجب عليهن الاحتجاب عن النساء الكافرات ما عدا ما يبدو عند المهنة (ولا ما ملكت أيمانهن) من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقيل من كان دون البلوغ من عبيدهن (واتقين الله) في كل ما تأتين وما تذرن وقال الرازي و تقين الله عند المماليك وذلك دليل على ان التكشف لهم مشروط بالسلامة والعلم بعدم المحذور (ان الله كان على كل شئ شهيدا) فهو شاهد عند اختلاء بعضكم ببعض فخلوتكم مثل ملئكم فاتقوا شهادة الله (ان الله وملائكته يصلون على النبي) أي ان الله يرحم النبي والملائكة يدعون له صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن عباس وكذا أبو عمرو في رواية وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها عند الكوفيين ومبتدأ محذوف الخبر عند البصريين (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا

تسليما) وهذا دليل على وجوب الصلاة والسلام عند الشافعى لان الامر للوجوب ولايجبان الافى الصلاة فيجبان فى التشهد وهما قولنا فيه سلام عليك ايها النبى وقولنا اللهم صل على محمد وانما أمرنا الله بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مع أنه يكفيه صلى الله عليه وسلم صلاته تعالى عليه لاظهار تعظيمه صلى الله عليه وسلم منا شفقة علينا ليثيبنا عليه كما ان الله تعالى أوجب علينا ذكر نفسه تعالى ولا حاجة له اليه (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله) أى أبعدهم من رحمته (فى الدنيا والآخرة) بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيأ منها (وأعد لهم) مع ذلك (عذابا مهينا) يصيبهم فى الآخرة خاصة وأذاية الله تكون بالكفر كانكار وجوده تعالى ووصفه تعالى بما لايليق به كقول اليهود يد الله مغلولة وان الله فقير وعزير ابن الله وقول النصارى ثالث ثلاثة والمسيح ابن الله وقول المشركين الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه وأذاية الرسول كسر رباعيته وشج وجهه يوم أحد وطعنهم فى نكاح صفية وقولهم له صلى الله عليه وسلم هو شاعر ساحر كاهن مجنون (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات) بقول أو فعل (بغير ما اكتسبوا) أى بغير جناية يستحقون بها الاذية (فقد احتملوا بهتانا) أى زورا (واثما مبينا) أى ذنبا ظاهرا موجبا للعقاب فى الآخرة قيل ان هذه الآية نزلت فى منافقين كانوا يؤذون عليا ويسمعونه ما لاخير فيه وقيل نزلت فى أهل الافك فى شأن عائشة وصفوان وقيل فى زناة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيغمزون المرأة فان سكتت اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها وكانوا لايتعرضون الا للاماء ولكن ربما يقع منهم التعرض للحرائر أيضا لان زى الكل كان واحدا لانهن يخرجن فى درع وخمار فشكون ذلك الى أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية ثم نهى الله تعالى الحرائر ان يتشبهن بالاماء بقوله تعالى (ياأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن) أى يرخين على نحورهن وجيوبهن (من جلابيبهن) أى ثيابهن التى يلتحفن بها (ذلك) أى تغطى الابدان (أدنى أن يعرفن) أى أحق بأن يعرفن أنهن حرائر وأنهن مستورات لا يمكن طلب الزنا منهن لان من تستر وجهها لا يطمع فيها أن تكشف عورتها (فلا يؤذين) بالتعرض لهن من جهة من يتعرض للاماء (وكان الله غفورا) لما سلف منهن من التفريط (رحيما) بعباده حيث يراعى مصالحهم (لئن لم ينته المنافقون) عبد الله بن أبى وأصحابه عن المكر والخيانة (والذين فى قلوبهم مرض) أى شهوة الزنا الذى يؤذى المؤمن باتباع نسائه (والمرجفون فى المدينة) بقولهم غلب محمد وسيخرج من المدينة وسيؤخذ (لنغرينك بهم) أى لنأمرنك باخراجهم من المدينة أو بقتالهم (ثم لايجاورونك فيها) أى لايساكنون معك فى المدينة وتخلو المدينة منهم بالاخراج أو بالموت (الا قليلا) أى الا زمانا يسيرا (ملعونين) أى مطرودين من باب الله ومن بابك وهو نصب على الشتم ويجوز عند الكسائى والفراء منصوبا بأخذوا الذى هو جواب الشرط وعلى الوقف ملعونين وقف كاف أى على غير هذا الاعراب (أينما ثقفوا) أى فى أى مكان وجدوا (أخذوا وقتلوا تقتيلا) وهذه الآية خبر بمعنى الامر أى خذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اذا كانوا مقيمين على النفاق والارجاف (سنة الله فى الذين خلوا من قبل) أى سن الله ذلك فى الأمم الذين من قبلهم سنة وهى أن يقتل الذين نافقوا الانبياء عليهم السلام وسعوا فى توهين أمرهم الارجاف ونحوه أينما وجدوا

تسليما) أى قولوا اللهم صل على محمد وسلم (ان الذين يؤذون الله ورسوله) يعنى اليهود والنصارى والمشركين فى قولهم يد الله مغلولة وان الله فقير ونحن أغنياء والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله وشجوا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ساحر وشاعر (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) أى يرمونهم بغير ما عملوا (ياأيها النبى قل لأزواجك) الآية كان قوم من الزناة يتبعون النساء اذا خرجن ليلا ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكن لم تكن يومئذ تعرف الحرة من الأمة فان زيهن كان واحدا انما يخرجن فى درع وخمار فنهى الله الحرائر ان يتشبهن بالاماء فانزل الله قوله (يدنين عليهن من جلابيبهن) أى يرخين أرديتهن وملاحفهن ليعلم انهن حرائر فلا يتعرض لهن وهو قوله (وذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا) أى لما سلف منهن فى ترك الستر (رحيما) بهن اذ سترهن (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة) أى الذين يوقعون أخبار السرايا بأنهم هزموا بالكذب والباطل (لنغرينك بهم) أى لنسلطنك عليهم (ثم لايجاورونك فيها) أى لايساكنونك فى المدينة (الا قليلا) حتى يخرجوا منها (ملعونين) أى مطرودين (أينما ثقفوا) وجدوا (أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا من قبل) سن الله فى الذين ينافقون الأنبياء ويرجفون بهم ان يقتلوا حيثما ثقفوا وقوله

(ولن تجد لسنة الله تبديلا) أى هذه السنة ليست مثل الحكم الذى ينسخ فان النسخ يكون فى الاحكام أما الافعال والاخبار فلا تنسخ (يسألك الناس) أى كفار مكة واليهود (عن الساعة) أى عن وقت قيام القيامة فان المشركين يسألونه صلى الله عليه وسلم عن ذلك استعجالا بطريق الاستهزاء واليهود سألوا عنه امتحانا (قل انما علمها عند الله) لا يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا (وما يدريك) أى أى شئ يعلمك بوقت قيامها أى لا يعلمك به شئ أصلا (لعل الساعة تكون قريبا) وهذا نحو يفيد أى هى فى علم الله فلا تستبطؤها فربما تقع عن زمان قريب (ان الله لعن الكافرين) فى الدنيا والاخرة (وأعد لهم سعيرا) أى نارا شديدة الاتقاد (خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا) أى حافظا يحفظهم من عذاب الله (ولا نصيرا) يخلصهم منه (يوم تقلب وجوههم فى النار) وهو ظرف للا يجدون (يقولون) حال من ضمير وجوههم (ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا) عطف على يقولون (ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) أى فصرفونا عن الدين وقرأ ابن عامر ساداتنا بألف بعد الدال و بالنصب بالكسرة الظاهرة أى ان الكافرين يقولون يوم تصرف أبدانهم فى النار من جهة الى جهة كاللحم يشوى فى النار أو يطبخ فى القدور فى الدنيا فلا تبتلى ٧ بهذا العذاب فيتحسرون ويندمون حيث لا تنفعهم الندامة والحسرة ثم يقولون أطعنا السادة بدل طاعة الله تعالى وأطعنا الكبراء بدل طاعة الرسول وتركنا طاعة سادة السادات وأكبر الاكابر فبدلنا الخير بالشر ففاتنا خير الجنات وأعطينا شر النيران ثم انهم يطلبون بعض التشفى بتعذيب المضلين ويقولون (ربنا آتهم) أى أعط الرؤساء (ضعفين من العذاب) أى مثلى العذاب الذى أعطيتناه (والعنهم لعنا كبيرا) أى شديدا وقرأ عاصم بالباء الموحدة أى لعنا عظيما والباقون بالثاء المثلثة أى كثير العدد (ياأيها الذين آمنوا لا تكونوا) فى ايذاء نبيكم (كالذين آذوا موسى) بأنواع الأذية كنسبته الى عيب فى بدنه من ادرة أو برص وكاغراء مومسة على قذفه عليه السلام بنفسها بدفع مال عظيم اليها وكغير ذلك (فبرأه الله مما قالوا) أى أظهر الله براءته عليه السلام من قولهم روى مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا الا انه آدر فذهب يوما يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجعل موسى يجرى عقبه ويقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى سوأة موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس فوقف الحجر فأخذ موسى ثوبه فاستتر به وضرب الحجر حتى ظهر فيه ستة جروح اه (وكان) موسى (عند الله وجيها) أى معظما رفيع القدر قال ابن عباس كان عظيما عند الله تعالى لا يسأله شيأ الا أعطاه وقال الحسن كان مجاب الدعوة وقيل كان محببا مقبولا (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) أى صوابا والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب المائل عن العدل (يصلح لكم أعمالكم) قال ابن عباس أى يتقبل حسناتكم وقال مقاتل يزكى أعمالكم (ويغفر لكم ذنوبكم) باستقامتكم فى القول والعمل (ومن يطع الله ورسوله) فى الاوامر والنواهى (فقد فاز) فى الدارين (فوزا عظيما) أى نال جميع مراداته (انا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال) والمراد بالأمانة الفرائض التى فرضها الله تعالى على عباده (فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) أى خفن من حملها أن لا يؤدينها فيلحقهن من العقاب أى فقال لهن أتحملن هذه الأمانة بما فيها قلن وما فيها قال ان أحسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن قلن لا يارب نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وتعظيما لدين الله تعالى لا لمخالفة لأمره وكان العرض عليهن تخييرا لا الزاما (وحملها الانسان) أى آدم قال الله تعالى لآدم انى عرضت

(انا أطعنا سادتنا) أى قادتنا ورؤساءنا فى الشرك والضلالة (ربنا آتهم ضعفين من العذاب) أى مثلى عذابنا (ياأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى) أى لا تؤذوا نبيكم كما آذواهم موسى وذلك انهم رموه بالبرص والادرة حتى براه الله مما رموه بآية معجزة (وكان عند الله وجيها) أى ذاجاه ومنزلة (وقولوا قولا سديدا) أى حقا وصوابا وقيل هو لا اله الا الله (انا عرضنا الأمانة) أى الفرائض التى افترضها الله على العباد وشرط عليهم ان من أداها جوزى بالاحسان ومن خان فيها عوقب (على السموات والارض والجبال) أى أفهمهن الله خطابه وانطقهن (فأبين ان يحملنها) مخافة وخشية لا معصية ومخالفة وهو قوله (وأشفقن منها) أى خشين منها (وحملها الانسان) يعنى آدم

الأمانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها فهل أنت آخذها بما فيها قال يارب وما فيها قال ان أحسنت جوزيت وان أسأت عوقبت فحملها آدم فقال بين أذنى وعاتقى قال الله تعالى أما اذا تحملت فسأعينك واجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت أن تنظر الى مالا يحل فارخ عليه حجابه واجعل للسانك لحيين وغلاقا فاذا خشيت فأغلق عليه واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليه (انه) أى الانسان (كان ظلوما) أى متعبا لنفسه بحملها وهذا الظلم ممدوح من الانبياء (جهولا) بعاقبته وان النفس لا تطيق الدوام على حملها (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) فاللام للعاقبة متعلق بحمل أى حملها الانسان وكان عاقبة حمله لها أن يعذب الله بعض أفراده الذين لم يراعوها (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) أى كان عاقبة حمله لها أن يقبل توبتهم (وكان الله غفورا) للظلوم (رحيما) على الجهول لان الله تعالى وعد عباده بأنه يغفر الظلم جميعا الا الظلم العظيم الذى هو الشرك

﴿سورة سبأ مكية أربع وخمسون آية وثمانمائة وثلاث
وثمانون كلمة وألف وخمسمائة واثنا عشر حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض) أى له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة جميع ما وجد فيهما (وله الحمد فى الآخرة) أى له المنة على أهل الجنة فيحمدونه (وهو الحكيم الخبير) فالحكيم هو الفاعل على وفق العلم فان من يعلم أمرا ولم يأت بما يناسب علمه لا يقال له حكيم ومن يأتى بأمر عجيب على سبيل الاتفاق من غير علم لا يقال له حكيم والخبير هو الذى يعلم عواقب الامور وبواطنها فهو حكيم فى الابتداء يخلق كما ينبغى وخبير بالانتهاء يعلم ماذا يصدر من المخلوق وما لا يصدر ومصير كل أحد (يعلم ما يلج فى الارض) من الغيث والكنوز والدفائن والاموات ونحوها (وما يخرج منها) كالحيوان والنبات وماء العيون ونحوها (وما ينزل من السماء) كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها (وما يعرج فيها) كالملائكة وأعمال العباد والابخرة والادخنة (وهو الرحيم الغفور) أى الرحيم بانزال الرزق وللحامدين عليه والغفور عند ما تعرج اليه الارواح والاعمال وللمفرطين فى الحمد (وقال الذين كفروا) أبو جهل وأصحابه (لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم) أى الساعة (عالم الغيب) قرأ نافع وابن عامر بالرفع على المدح فالوقف على لتأتينكم حينئذ كاف وابن كثير وأبو عمرو وعاصم بالجر نعت لربى أو بدل منه وقرأ حمزة والكسائى علام بالجر والوقف حينئذ على بلى وهو كاف كالوقف على الغيب (لا يعزب عنه مثقال ذرة) أى لا يغيب عن الله وزن نملة حمراء صغيرة وقرأ الكسائى بكسر الزاى (فى السموات ولا فى الارض) فقوله فى السموات اشارة الى علمه تعالى بالارواح لانها فى السماء وقوله ولا فى الارض اشارة الى علمه تعالى بالاجساد لان اجزاءها فى الارض واذا علم الله الارواح والاشباح وقدر على جمعها لا يبقى استبعاد فى المعاد (ولا أصغر من ذلك) أى من مثقال ذرة (ولا أكبر) منه (الا فى كتاب مبين) أى الا مكتوب فى اللوح المحفوظ وجملة ولا أصغر الى آخرها من مبتدأ وخبر مؤكدة لنفى العزوب أما على قراءة الفتح فى أصغر وأكبر فهو اسم لا والخبر الا فى كتاب (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وهذا علة لقوله تعالى لتأتينكم (أولئك) الموصوفون بالصفات الجليلة (لهم مغفرة) لما فرط منهم (ورزق كريم) فان الرزق يأتى من غير طلب بخلاف رزق الدنيا فانه ما لم يتسبب فيه لا يأتى ثم ان المغفرة جزاء الايمان فكل مؤمن مغفور له كما فى حديث البخارى يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن ذرة من ايمان

(انه كان ظلوما) لنفسه (جهولا) أى غرا بأمر الله وما احتمل من الامانة ثم بين أن حمل آدم هذه الأمانة كانت سببا لتعذيب المنافقين والمشركين فى قوله (ليعذب الله المنافقين) الآية الى قوله (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) يعنى اذا خانوا فى الآمانة بمعصية أمر الله تاب الله عليهم بفضله (وكان الله غفورا رحيما)

﴿تفسير سورة سبأ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد لله) على جهة التعظيم (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وملكا وخلقا (وله الحمد فى الآخرة) لان أهل الجنة يحمدونه (يعلم ما يلج فى الارض) أى يدخل فيها من الماء والأموات (وما يخرج منها) من النبات (وما ينزل من السماء) من الامطار (وما يعرج) أى يصعد (فيها) من الملائكة (وقال الذين كفروا) يعنى منكرى البعث (لا تأتينا الساعة) أى لا بعث (قل) لهم يا محمد (بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب) بالخفض من نعت قوله وربى وبالرفع على معنى هو عالم الغيب وقوله (لا يعزب) مفسر فى سورة يونس وقوله (ليجزى) يعود الى قوله لتأتينكم الساعة معناه لتأتينكم الساعة ليجزى (الذين آمنوا) الآية

(والذين سعوا في آياتنا) [illegible] (ويرى الذين أوتوا العلم) يعني مؤمني أهل الكتاب (الذي أنزل إليك من ربك) وهو
القرآن (هو الحق ويهدي) أي القرآن (وقال الذين كفروا) انكار البعث وتعجبا منه (هل ندلكم على
رجل) وهو محمد صلى الله
عليه وسلم (ينبئكم اذا
مزقتم كل ممزق) أي مزقتم
وصرتم رفاتا (انكم لفي
خلق جديد) أي تبعثون
(افترى على الله كذبا)
أي فيما يخبر به من البعث
(أم به جنة) أي حالة
جنون قال الله تعالى (بل
الذين لا يؤمنون بالآخرة)
الآية (أفلم يروا الى ما بين
أيديهم وما خلفهم من
السماء والارض) يقول
اما يعلمون انهم حيثما
كانوا فهم يرون ما بين
أيديهم من الارض
والسماء مثل الذي خلفهم
وانهم لا يخرجون منها
فكيف يأمنون أن
(نخسف بهم الارض أو
نسقط عليهم كسفا من
السماء) عذابا (ان في
ذلك لآية لكل عبد
منيب) أي لعلامة تدل على
قدرة الله على احياء الموتى
لكل من أناب الى الله
وتأمل ما خلق الله تعالى
(ولقد آتينا داود منا
فضلا) ثم بين ذلك وقال
(ياجبال) أي قلنا ياجبال
(أوبي معه) أي سبحي
معه (والطير) كان اذا
سبح جاوبته الجبال وعكفت عليه الطير من فوقه تسعده على ذلك (وألنا له الحديد) أي جعلناه لينا في يده كالطين التي
الملول والعجين وقلنا له (ان أعمل سابغات) أي دروعا كوامل (وقدر في السرد) أي لا تجعل مسمار الدروع دقيقا فيقلق ولا غليظا فيفصم
الحلق أي اجعله على قدر الحاجة والسرد نسج الدروع (وأعملوا) يعني داود وآله (صالحا) أي عملا صالحا من طاعة الله (ولسليمان الريح)

والرزق الكريم جزاء العمل الصالح (والذين سعوا في آياتنا) بالابطال أي كذبوها (معاجزين) أي متأخرين وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين بتشديد الجيم وبغير ألف بعد العين أي مريدين التعجيز أو ظانين انهم يفوتون الله أو مثبطين عن الايمان من اراده (أولئك لهم عذاب من رجز) أي من جنس سوء العذاب (أليم) أي شديد وقرأ ابن كثير وحفص الرفع صفة لعذاب والباقون بالجر صفة لرجز (ويرى الذين أوتوا العلم) أي ويعلم أولو العلم من أصحاب رسول الله ومن علماء أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما (الذي أنزل اليك من ربك) أي القرآن (هو الحق) بالنصب على أنه مفعول ثان (ويهدي الى صراط العزيز الحميد) الذي هو التوحيد (وقال الذين كفروا) أبو سفيان وأصحابه السفلة (هل ندلكم على رجل ينبئكم) أي يحدثكم بعجب عجاب (اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد) أي انكم تنشؤن خلقا جديدا بعد أن تفرقت أجسادكم كل تفريق بحيث تصير ترابا يقصدون بذلك الرجل سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم (أفترى على الله كذبا) أي أهو رجل تعمد على الله كذبا ان كان يعتقد خلاف خباره بأنهم يبعثون (أم به جنة) أي أم فيه جنون ان كان لا يعتقد خلافه وهذا اما من تمام القائل أولا أو من كلام السامع المجيب لذلك القائل قال الله تعالى جوابا للترديد هم منادبا عليهم بسوء حالهم (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي بالبعث بعد الموت والجزاء على الاعمال (في العذاب والضلال البعيد) لان من يسمي المهتدي ضالا يكون هو الضال ومن يسمي الهادي ضالا يكون أضل (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض) أي أفعلوا ما فعلوا من المنكر فلم ينظروا الى ما أحاط بهم من جميع جوانبهم فذلك يدل على وحدانية الله وكمال قدرته وذلك دليل على الاعادة (ان نشأ نخسف بهم الارض) كما خسفناها بقارون وأصحابه (أو نسقط عليهم كسفا) أي قطعا (من السماء) كما أسقطناها على أصحاب الايكة لاستحقاقهم ذلك وقرأ حفص بفتح السين والباقون بسكونها وقرأ حمزة والكسائي ان يشأ يخسف أو يسقط بالياء في الثلاثة (ان في ذلك) أي المحيط بالناظر من جميع الجوانب (لآية لكل عبد منيب) أي لكل من يرجع الى الله ويترك التعصب تدل على قدرة الله على احياء الموتى (ولقد آتينا داود منا فضلا) أي أعطيناه لصحة توبته نوعا من الفضل على سائر الانبياء عليهم السلام وهو ما ذكر بعد (ياجبال أوبي معه) أي رجعي مع داود النوحة على الذنب (والطير) بالنصب عطفا على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لان ايتاءه اياه تسخيرها له وقيل كان داود ينوح على ذنبه بترجيع وتحزن وكانت الجبال تساعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وقوله ياجبال الخ بدل من آتينا باضمار قلنا أو من فضلا باضمار قولنا (وألنا له الحديد) أي جعلناه لينا في نفسه كالشمع يصرفه في يده كيف يشاء من غير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة (ان اعمل سابغات) أي أمرناه أن اعمل دروعا واسعات (وقدر في السرد) أي توسط في نسج الدروع بحيث تتناسب حلقها أو لا تصرف جميع أوقاتك الى النسج بل مقدار ما يحصل به القوت وأما الباقي فاصرفه الى العبادة (واعملوا صالحا) أي يا آل داود الا للعمل الصالح فاكثروا منه وقدروا في الكسب (اني بما تعملون بصير) فمن عمل للملك شغلا ويعلم أنه بمرأى من الملك يحسن العمل ويتقنه ويجتهد فيه (ولسليمان الريح) أي وسخرنا له الريح عوضا عن الخيل

التى عقرها الله تعالى وقرأ شعبة برفع الريح على الابتداء والخبر مجرور وقبله لان الريح كانت لسليمان كالمملوك المختص به يأمرها بما يريد حيث يريد (غدوها شهر ورواحها شهر) أى جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشى كذلك قال الحسن كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر ويروح من اصطخر فيبيت ببابل (وأسلنا له عين القطر) أى النحاس المذاب يعمل به ما يشاء كما يعمل بالطين وكان ذلك بأرض اليمن وقيل كان يسيل فى الشهر ثلاثة أيام (ومن الجن من يعمل بين يديه) بالسخرة من البنيان وغيرها (باذن ربه) أى بأمره تعالى (ومن يزغ) أى يمل (منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير) أى عذاب النار الوقود فى الآخرة (يعملون له) أى فى أى وقت شاء (ما يشاء من محاريب) أى أبنية مرتفعة يصعد اليها بدرج (وتماثيل) أى صور من نحاس وزجاج ورخام ونحو ذلك وقيل هى صور الملائكة والانبياء والعباد كانت تصور فى المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة ويعبدوا ربهم على مثالهم وروى أنهم عملوا له أسدين فى أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد على الكرسى بسط الاسدان له ذراعيهما واذا جلس أظله النسران بأجنحتهما (وجفان كالجواب) أى قصاع كالحياض الكبار وقيل كان يجتمع على جفنة واحدة ألف رجل وقرأ ورش وأبو عمرو باثبات الياء فى الوصل دون الوقف وابن كثير باثباتها وقفا ووصلا والباقون بالحذف وقفا ووصلا (وقدور راسيات) أى ثابتات على الاثافى لا تنزل عنها لعظمها وكان يصعد عليها بالسلالم وكانت باليمن (اعملوا آل داود شكرا) فآل منادى وشكرا مفعول به روى أن سليمان عليه السلام جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتى ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلى (وقليل من عبادى الشكور) أى المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته (فلما قضينا عليه) أى سليمان (الموت ما دلهم) أى آله (على موته الا دابة الارض) وهى الارضة (تأكل منسأته) أى عصاه (فلما خر) أى وقع سليمان على الارض بعد أن قصمت الارضة عصاه (تبينت الجن) أى علمت الجن علما بينا (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين) أى انهم لو كانوا يعلمون الغيب كموت سليمان ما لبثوا فى العذاب المهين وحينئذ يعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب بل كانوا يسترقون السمع ويموهون على الناس أنهم يعلمون الغيب وقال سليمان لملك الموت اذا أمرت بى فاعلمنى فقال أمرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض الله روحه وهو متكئ عليها وكان الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلى وكان للمحراب كوى بين يديه وخلفه فكانت الجن تعمل الاعمال الشاقة التى كانوا يعملونها فى حياته وينظرون الى سليمان عليه السلام فيرونه قائما متكئا على عصاه فيحسبونه حيا فلا ينكرون خروجه الى الناس لطول صلاته فمكثوا يدأبون له بعد موته حولا كاملا حتى أكلت الارضة عصا سليمان فخر ميتا فعلموا بموته حينئذ فشكروا ذلك للارضة فاينما كانت يأتونها بالماء والطين وقالوا لها لو كنت تأكلين الطعام والشراب لأتيناك بهما وحكى أن سليمان عليه السلام ابتدأ بناء بيت المقدس فى السنة الرابعة من ملكه وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن سبع عشرة سنة وكان ملكه خمسين سنة وقرب بعد فراغه منه اثنى عشر ألف ثور ومائة وعشرين ألف شاة واتخذ اليوم الذى فرغ فيه من بنائه عيدا وقام على الصخرة رافعا يديه الى الله تعالى بالدعاء وقال اللهم أنت وهبت لى هذا

أى وسخرنا له الريح يعنى بتأويله (غدوها شهر) أى مسيرها الى انتصاف النهار مسيرة شهر ومن انتصاف النهار الى الليل مسيرة شهر وهو قوله تعالى (ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر) أى أذبنا له عين النحاس فسالت له كما يسيل الماء (ومن الجن) أى وسخرنا له من الجن (من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ) أى يمل ويعدل (منهم عن أمرنا) الذى أمرناه به من طاعة سليمان (نذقه من عذاب السعير) وذلك أن الله وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقته (يعملون له ما يشاء من محاريب) أى مجالس ومساكن ومساجد (وتماثيل) يعنى صور الانبياء كانت تصور فى المساجد ليراها الناس ليزدادوا عبادة (وجفان) أى قصاع كبار (كالجوابى) يعنى كالحياض التى تجمع الماء (وقدور راسيات) أى ثوابت لا يحركن عن مكانها لعظمها وقلنا (اعملوا) طاعة الله (آل داود شكرا) له على نعمه (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم) الآية كان سليمان يقول اللهم عم على الجن موتى ليعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب فمات سليمان متكئا على عصاه سنة ولم يعلم الجن ذلك حتى أكلت الارضة عصاه فسقط ميتا وهو قوله (ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته) أى عصاه (فلما خر) أى سقط (تبينت الجن) أى علمت أنهم (لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا) بعد موت سليمان (فى العذاب المهين) أى فيما سخرهم فيه سليمان واستعملهم

السلطان وقويتني على بناء هذا المسجد اللهم فأوزعني شكرك على ما أنعمت على وتوفني على ملتك ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني اللهم اني أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال لا يدخله مذنب دخل للتوبة الا غفرت له وتبت عليه ولا خائف الا أمنته ولا سقيم الا شفيته ولا فقير الا أغنيته والخامسة أن لا تصرف نظرك عمن دخله حتى يخرج منه الا من أراد الحادا أو ظلما يارب العالمين (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية) أي علامة دالة على قدرتنا وقرأ حمزة وحفص بسكون السين وفتح الكاف والكسائي بكسرها والباقون مساكنهم بلفظ الجمع أي عند مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام آية دالة على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء (جنتان عن يمين وشمال) أي عن يمين بلدهم وشمالها جماعتان من الجنات وكان سبأ ثلاث عشرة قرية فبعث الله اليهم ثلاثة عشر نبيا فقال لهم الانبياء (كلوا من رزق ربكم) من الثمار ونحوها (واشكروا له) بالتوحيد ليديم لكم النعمة (بلدة طيبة ورب غفور) أي بلدتكم بلدة طاهرة عن المؤذيات لا حية فيها ولا عقرب ولا وباء ولا وخم ورب كم الذي رزقكم الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور لفرطات من يشكره (فأعرضوا) عن الايمان ولم يشكروا قال وهب أرسل الله الى سبأ ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعم الله عليهم وأنذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله تعالى علينا من نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة عنا ان استطاع (فأرسلنا عليهم سيل العرم) أي سلطنا عليهم سيل الوادي والعرم واد في اليمن يقال له وادي الشجر وكان فيه مسناة يحبسون الماء في الوادي وكان لها ثلاثة أبواب بعضها أسفل من بعض فكانوا يسقون من الاعلى ثم من الثاني ثم من الثالث على قدر حاجاتهم وأخصبوا وكثرت أموالهم فلما كذبوا الرسل سلط الله عليهم الفأرة فنقبت الردم فهدم الله تلك المسناة واهلكهم بذلك الماء وأهلك ما كان لهم من البساتين والبيوت وغير ذلك (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط) أي أذهبنا جنتيهم وآتيناهم بدلهما جنتين ذواتي ثمر بشع وقرأ أبو عمرو أكل بغير تنوين أي ثمر أراك (وأثل) أي طرفاء (وشيء من سدر قليل) أي قليل ثمره كثير شوكه له ثمرة عفصة لا تؤكل أصلا ولا ينتفع بورقه غسل اليد وهو في سدر برى وهذان معطوفان على أكل لا على خمط وقرئ وأثلا وشيأ عطفا على جنتين (ذلك) أي التبديل (جزيناهم بما كفروا) أي بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها (وهل نجازي الا الكفور) أي وما نجازي هذا الجزاء الا المبالغ في الكفران وقرأ حفص وحمزة والكسائي بنون العظمة والباقون بالياء على البناء للمفعول ورفع الكفور وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) بالماء والشجر (قرى ظاهرة) أي وجعلنا بين أهل سبأ وهم باليمن وبين أهل الاردن وفلسطين وهم بالشام قرى يرى بعضها من بعض لتقاربها يرى سواد القرية من القرية الاخرى قيل كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ الى الشام (وقدرنا فيها السير) أي جعلنا السير بين قراهم والشام سيرا مقدرا من قرية الى قرية فاذا ساروا نصف يوم وصلوا الى قرية ذات مياه وأشجار فلا يحتاجون في السفر الى حمل زاد وماء وقلنا لهم (سيروا فيها ليالي وأياما آمنين) وهو أمر

[illegible] على ما أنعم عليكم (بلدة طيبة) أي بلدتكم [illegible]
طيبة (و) الله (رب غفور) والمعنى تمتعوا ببلدتكم الطيبة واعبدوا ربا يغفر ذنوبكم (فأعرضوا) عن أمر الله بتكذيب الرسل (فأرسلنا عليهم سيل العرم) وهو السكر الذي يحبس الماء وكان لهم سكر يحبس الماء عن جنتيهم فأرسل الله فيه جرذانا فنقبته وانشق الماء عليهم فغرق جناتهم (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط) أي ذواتي ثمار مر (وأثل) وهو الطرفاء (وشيء من سدر قليل) وذلك أن الله أهلك أشجارهم المثمرة وأنبت بدلها الأراك والطرفاء والسدر (ذلك جزيناهم بما كفروا) أي جزيناهم ذلك الجزاء بكفرهم (وهل يجازي الا الكفور) أي بسوء عمله وذلك أن المؤمن تكفر عنه سيآته والكافر يجازي بكل سوء يعمله (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) يعني قرى الشام (قرى ظاهرة) أي متواصلة ترى من هذه القرية القرية الأخرى وكانوا يخرجون من سبأ الى الشام فيمرون على القرى العامرة (وقدرنا فيها السير) أي جعلنا سيرهم بمقدار اذا عدا أحدهم من قرية قال في الأخرى واذا راح من قرية أوى الى قرية أخرى (وقلنا لهم سيروا فيها) أي في تلك القرى (ليالي وأياما) يعني أي وقت شئتم من ليل أو نهار (آمنين) أي لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا

(فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) [illegible] وذلك أنهم بطروا النعمة فتمنوا أن تتباعد قراهم ليبعد سفرهم فيها (وظلموا أنفسهم) بالكفر والبطر (فجعلناهم أحاديث) أي لمن بعدهم يتحدثون بقصتهم (ومزقناهم كل ممزق) وفرقناهم في البلاد فصاروا يتمثل بهم في الفرقة وذلك أنهم ارتحلوا عن أماكنهم وتفرقوا في البلاد (ان في ذلك) الذي فعلنا (لآيات لكل صبار شكور) أي لكل مؤمن لان المؤمن هو الذي اذا ابتلي صبر واذا أعطي شكر (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) الذي ظن بهم من اغوائهم (فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين) أي وجدهم كما ظن بهم الا المؤمنين (وما كان له عليهم من سلطان) أي من حجة نستتبعهم بها (الا لنعلم) والمعنى لكن امتحناهم بابليس لنعلم (من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك) أي علم وقوعه منه (قل) يا محمد لمشركي قومك (ادعوا الذين زعمتم) أنهم آلهة (من دون الله) ثم وصفهم فقال (لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما) أي في السموات والارض (من شرك) أي شركة (وما له) أي لله (منهم من ظهير) أي عون يريد لن يعين الله على خلق السموات والارض آلهتهم فكيف يكونون شركاء له ثم أبطل قولهم انهم شفعاؤنا عند الله فقال (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) أي أذن الله له أن يشفع

يعني الخبر أي تسيرون في تلك القرى ان شئتم ليالي وان شئتم أياما لعدم الخوف بخلاف المواضع المخوفة فان بعضها يسلك ليلا لئلا يعلم العدو بسيرها وبعضها يسلك نهارا لئلا يقصدهم العدو اذا كان غير مجاهر بالقصد والعداوة قال قتادة كانوا يسيرون غير خائفين ولا جائعين ولا ظامئين كانوا يسيرون مسيرة أربعة أشهر في أمان لا يحرك بعضهم بعضا ولو لقي الرجل قاتل أبيه لا يحركه (فقالوا) على وجه الدعاء (ربنا باعد بين أسفارنا) أي باعد بين المنازل التي ننزل فيها بأن يكون بين كل واحد والآخر مسافة بعيدة أي سألوا أن يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام قفارا ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الازواد ويتطاولوا فيها على الفقراء فعجل الله تعالى لهم الاجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بلقعا لا يسمع فيها داع ولا مجيب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بعد بتشديد العين من غير ألف (وظلموا أنفسهم) حيث عدوا النعمة نقمة والاحسان اساءة وتركوا شكر تلك النعم (فجعلناهم أحاديث) لمن بعدهم فيتحدث السامر بهم متعجبين من أحوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ويضربون مثلا فيقولون تفرقوا أيدي سبأ والايدي بمعنى الانفس أو الاولاد (ومزقناهم كل ممزق) أي فرقناهم كل تفريق أي فلما أغرقت قراهم تفرقوا في البلاد فغسان لحقوا بالشام والازد بعمان وخزاعة بتهامة والاوس والخزرج بيثرب (ان في ذلك) أي التمزيق والاهلاك (لآيات) أي لعبرات (لكل صبار) عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات (شكور) على النعم (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) أي ولقد وجد ابليس ظنه صادقا في أنه يغوي بني آدم أو في أنه خير منهم فالمتبوع خير من التابع فابليس امتنع من عبادة غير الله والمشركون يعبدون غير الله فابليس كفر بأمر أقرب الى التوحيد والمشركون كفروا بالاشراك وقرأ صدق الكوفيون بتشديد الدال والباقون بالتخفيف أي صدق في ظنه أو جعل ظنه صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع ظن مع تشديد صدق بمعنى وجده ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى قال له الصدق حين خيل له اغواءهم وبرفعهما مع التخفيف على الابدال (فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين) أي الا فريقا هم المؤمنون فان المؤمنين كلهم لم يتبعوه في أصل الدين أو الا فريقا من فرق المؤمنين فان المخلصين لم يتبعوه في العصيان (وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك) أي وما كان تسلط ابليس على بني آدم الا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزا عمن هو في شك منها فنجازي كلا منهما (وربك على كل شيء حفيظ) أي الله تعالى قادر على منع ابليس عنهم عالم بما سيقع (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله) أي قل يا أشرف الخلق لكفار مكة بني مليح وكانوا يعبدون الجن ويظنون انهم الملائكة ادعوا الذين زعمتموهم آلهة من دون الله ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع قال الله تعالى (لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) أي لا يملك آلهتهم وزن ذرة من نفع وضر في أمر من الامور (وما لهم فيهما من شركة) أي وما لآلهتهم في السموات والارض من شركة مع الله لا خلقا ولا ملكا ولا تصرفا (وما له) تعالى (منهم) أي من آلهتهم (من ظهير) أي معين في تدبير أمرهما وفي خلق شيء بل الله تعالى هو المنفرد بالايجاد فهو الذي يجب ان يكون معبودا (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) أي ولا تقع الشفاعة عنده تعالى في حال من الاحوال الا كائنة لمن أذن الله له في الشفاعة من النبيين والملائكة ونحوهم من المستأهلين لمقام الشفاعة

(حتى اذا فزع) أى اذا كشف (عن قلوبهم) يعنى كشف الفزع عن قلوب المشركين بعد الموت باقامة الحجة عليهم وتقول لهم الملائكة

(ماذا قال ربكم) فيما أوحى الى أنبيائه (قالوا الحق) فأقروا حين لا ينفعهم الاقرار (قل من

يرزقكم من السموات) المطر (و) من (الارض) النبات ثم أمره أن يخبرهم فقال (قل الله) أى الذى يفعل ذلك الله وهذا احتجاج عليهم ثم أمره بعد اقامة الحجة عليهم أن يعرض بكونهم على الضلال فقال (وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) أى نحن وأنتم اما على هدى أو فى ضلال والمعنى أنتم الضالون حين أشركتم بالذى يرزقكم من السماء والارض وهذا كما تقول لصاحبك اذا كذب أحدنا كاذب وأنت تعنيه ثم بين براءته منهم ومن أعمالهم فقال (قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون) وهذا كقوله لكم دينكم ولى دين ثم أخبر أنه يجمعهم فى القيامة ثم يحكم بينهم وهو قوله (قل يجمع بيننا ربنا) الآيه (قل أرونى الذين ألحقتم) أى ألحقتموهم بالله فى العبادة يعنى الأصنام أى أرونيهم هل خلقوا شيأ وهذه الآية مختصرة تفسيرها قوله قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك فى السموات ثم قال (كلا) أى ليس الامر على ما تزعمون (بل هو الله العزيز بعص
الحكيم وما أرسلناك الا كافة للناس) أى جامعا لهم كلهم بالانذار والتبشير (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك وقوله (ولا بالذى بين يديه) أى من الكتب المتقدمة وقوله (يرجع بعضهم الى

وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى أذن له مبنيا للمجهول (حتى اذا فزع عن قلوبهم) أى حتى اذا أزيل الفزع الذى عند الوحى أى حين انحدر عليهم جبريل قال الله عندما يوحى يفزع من فى السموات ثم يزيل الله عنهم الفزع فرفعوا رؤسهم فحتى غاية متعلقة بقوله تعالى قل (قالوا) أى الملائكة السائلون من جبريل (ماذا قال ربكم) يا جبريل (قالوا) أى جبريل ومن تبعه (الحق) أى قال ربنا القول الحق وهو الاذن فى الشفاعة للمستحقين لها وقرئ الحق بالرفع أى ما قاله الحق (وهو العلى الكبير) أى هو المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لاحد من أشراف الخلائق ان يتكلم الا باذنه (قل) يا أشرف الخلق لكفار مكة (من يرزقكم من السموات) بالمطر (والارض) بالنبات (قل الله) أى فان أجابوك وقالوا الله فذلك ظاهر وان لم يقولوا ذلك فقل الله يرزق اذ لا جواب سواه وهذا اشارة الى ان جر النفع ليس الا به تعالى ومنه تعالى فاذا ان كنتم من الخواص فاعبدوه لعلوه وكبريائه سواء دفع عنكم ضررا أولم يدفع وسواء نفعكم بخير أولم ينفع فان لم تكونوا كذلك فاعبدوه لدفع الضر وجر النفع (وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) أى وان أحد الفريقين من الذين يوحدون الرازق بالعبادة والذين يشركون به فى العبادة الجماد الذى لا يوصف بالقدرة لعلى أحد الامرين من الهدى والضلال المبين واختلاف الجارين للاعلام بان المهتدى كمن استعلى منارا ينظر الاشياء والضلال كأنه منغمس فى ظلام لا يرى شيأ (قل لا تسألون عما أجرمنا) أى أذنبنا (ولا نسئل عما تعملون) فى كفركم لانا بريئون منكم وهذا أبعد من الجدل وأبلغ فى التواضع حيث أسندوا الاجرام الى أنفسهم والعمل الى المخاطبين (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة (ثم يفتح) أى يحكم (بيننا بالحق) أى بالعدل بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار (وهو الفتاح) أى البليغ الفتح لما انغلق (العليم) بما ينبغى ان يحكم به (قل) يا أشرف الخلق لاهل مكة (أرونى الذين ألحقتم به) تعالى (شركاء) لانظر بأى صفة ألحقتموها بالله فى استحقاق العبادة هل يخلقون أو يرزقون (كلا) أى حاشا لم يخلقوا شيأ ولم يرزقوا بشئ أو لا تشركوا بالله شيأ (بل هو) أى الله الذى ألحقتم به شركاء (الله العزيز الحكيم) أى الله الموصوف بالغلبة القاهرة وبالحكمة الباهرة فاين شركاؤكم التى هى أخس الاشياء (وما أرسلناك) يا أشرف الخلق (الا كافة للناس) أى عامة لجميع الناس تكف الناس عن الكفر (بشيرا) بالجنة لمن آمن بالله (ونذيرا) من النار لمن كفر به (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) عموم رسالته وكونه بشيرا وكونه نذيرا لغفلتهم لا لخفاء ذلك (ويقولون) بطريق الاستهزاء (متى هذا الوعد) الذى تعدنا ان يجمع بيننا ثم يقضى بيننا (ان كنتم صادقين) مخاطبين لرسول الله والمؤمنين به (قل) لهم يا أكرم الرسل (لكم ميعاد يوم) أى وعد يوم (لا تستأخرون عنه ساعة) ان طلبتم التأخير عنه (ولا تستقدمون) أى ان طلبتم الاستعجال والاضافة فى ميعاد يوم للتبيين وقرئ ميعاد يوم برفع الاسمين مع التنوين على البدل وقرئ برفع ميعاد ونصب يوم مع التنوين فيهما أى أعنى يوما وذلك يفيد التعظيم والتهويل (وقال الذين كفروا) أبو جهل بن هشام وأصحابه (لن نؤمن بهذا القرآن) الذى يقرؤه علينا محمد عليه الصلاة والسلام (ولا بالذى بين يديه) أى ولا بالذى قبل القرآن من التوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب الدالة على البعث (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى

بعض القول) أى ولو ترى اذ المنكرون للبعث محبوسون فى موقف المحاسبة راجعا بعضهم القول الى بعض لرأيت أمرا عجيبا ثم فسر قوله تعالى يرجع الخ بقوله تعالى (يقول الذين استضعفوا) أى قهروا وهم السفلة (للذين استكبروا) أى تعظموا عن الايمان وهم القادة (لولا أنتم) مضلون ايانا وصادون ايانا عن الايمان (لكنا مؤمنين) باتباع الرسول عليه الصلاة والسلام (قال الذين استكبروا) لرؤساءهم (للذين استضعفوا) وهم الاتباع (أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم) على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام (بل كنتم مجرمين) أى بل أنتم الصادون بأنفسكم بسبب كونكم راسخين فى الاجرام (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا) ابطالا لانكارهم الصد (بل مكر الليل والنهار) أى بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار (اذ تأمروننا أن نكفر بالله) قبل اتيان الرسل (ونجعل له أندادا) أى أعدالا (وأسروا الندامة) أى أخفى كل من الفريقين الندامة عن الآخر مخافة التعيير ويقال أظهر القادة والسفلة الندامة على ترك الايمان بالله (لما رأوا العذاب) أى حين رأوه (وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا) الاتباع والمتبوعين جميعا (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) أى لا يجزون الا بما كانوا يعملونه فى الدنيا (وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها) أى أغنياؤها (انا بما أرسلتم به كافرون) أى جاحدون (وقالوا) للرسل (نحن أكثر أموالا وأولادا) منكم بسبب لزومنا الدين (وما نحن بمعذبين) فى الآخرة بديننا هذا كأنهم قالوا حالنا عاجلا خير من حالكم ولا نعذب آجلا قالوا ذلك انكارا منهم للعذاب بالكلية أو اعتقاد الحسن حالهم أيضا قياسا على حالهم فى الدنيا (قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء) ان يبسط له (ويقدر) أى يقتر على من يشاء فسعة الرزق لا تدل على حال المحق كما ان ضيقه لا يدل على حال المبطل فلا يقاس على ذلك أمر الثواب والعقاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها (ولكن أكثر الناس) أى أهل مكة (لا يعلمون) ان ضنك العيش وخصبها بالمشيئة من غير اختصاص بالفاسق والصالح (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا) أى وما الاموال والاولاد تقرب أحدا الى الله الا المؤمن الصالح الذى أنفق أمواله فى سبيل الله تعالى وعلم أولاده الخير ورباهم على الصلاح (فأولئك لهم جزاء الضعف) فى الحسنات (بما عملوا) من الصالحات (وهم فى الغرفات) أى غرفات الجنة (آمنون) من جميع المكاره وقرأ حمزة غرفة على التوحيد على ارادة الجنس (والذين يسعون فى آياتنا) أى يكذبونها (معاجزين) أى متأخرين عنها وفى قراءة معجزين أى معتقدين عجزنا (أولئك فى العذاب محضرون) أى لا يخرجون منه (قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) فلا تخشوا الفقر وأنفقوا فى سبيل الله (وما أنفقتم من شئ) فى سبيل الله (فهو يخلفه) أى يعوضه فى الدنيا بالمال أو بالقناعة وفى الآخرة بالحسنات (وهو خير الرازقين) أى الواهبين للرزق وأفضل المعوضين (ويوم يحشرهم) أى بنى مليح والملائكة (جميعا ثم يقول للملائكة) اهانة لهؤلاء الكفار وقرأ حفص يحشرهم ثم يقول بالياء (أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) بأمركم (قالوا) أى الملائكة متبرئين منهم (سبحانك) أى تنزهك عن أن يكون غيرك معبودا وأنت معبود كل خلق (أنت ولينا) أى أنت الذى نواليك أى نتقرب منك بالعبادة (من دونهم) أى لم يكن لنا دخل فى عبادتهم لنا وقال الرازى معنى أنت ولينا من دونهم أى كونك ولينا بالعبودية أحب الينا من كون هؤلاء الضالين أولياء بالعبادة لنا (بل كانوا يعبدون الجن) أى كانوا ينقادون لامر الشياطين وهم فى الحقيقة كانوا يعبدون

بعض القول) فى الكلام ثم ذكر أى شئ يرجعون فقال (يقول الذين استضعفوا) الى قوله (بل مكر الليل والنهار) أى مكركم بنا فيهما (اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا) أى وأظهروا (وما أرسلنا فى قرية من نذير) أى نبى ينذرهم (الا قال مترفوها) أى رؤساؤها وأغنياؤها الآية (وقالوا) للرسل (نحن أكثر أموالا وأولادا) منكم يعنون أن الله رضى عنا حيث أعطانا المال (وما نحن بمعذبين) كما تقولون (قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) وليس ذلك مما يدل على العواقب (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى) أى قربى يعنى تقريبا (الا من) أى لكن من (آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف) من الثواب بالواحد عشر (وهم فى الغرفات) قصور الجنة (آمنون وما أنفقتم من شئ) أى تصدقتم من صدقة (فهو يخلفه) أى يعطى خلفه اما عاجلا فى الدنيا واما آجلا فى الآخرة (ويوم نحشرهم جميعا) أى العابدين والمعبودين (ثم نقول للملائكة) توبيخا للكفار (أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك) تنزيها لك (أنت ولينا) الذى نتولاه ويتولانا (من دونهم بل كانوا يعبدون الجن)

[illegible] (أكثرهم بهم مؤمنون) أي كل المشركين مصدقون للشياطين وهذا
محض كلام الله تعالى والوقف على الجن تام وأما اذا قلنا ان هذا من كلام الملائكة فمعنى أكثرهم على
أصله وانما قالوا ذلك لئلا يكونوا مدعين اطلاعهم على ما في القلوب أو على من في جميع الوجود (فاليوم)
أي يوم الحشر (لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا) أي لا يقدر المعبودون وهم الملائكة على نفع العابدين
وهم الكفار بالثواب ولا على دفع ضررهم (ونقول للذين ظلموا) وهذا معطوف على قوله تعالى تقول
للملائكة أي ونقول (ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها) أي بالنار (تكذبون واذا تتلى عليهم)
أي كفار مكة بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم (آياتنا) الناطقة بحقيقة التوحيد و بطلان الشرك
(بينات) أي واضحات (قالوا ما هذا) أي التالي (الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم)
من الآلهة (وقالوا ما هذا) أي القول بالوحدانية (الا افك) أي كلام مصروف عن وجهه (مفترى)
باسناده الى الله تعالى (وقال الذين كفروا للحق) أي للقرآن (لما جاءهم) من غير تأمل فيه (ان هذا)
أي ما هذا القرآن (الا سحر) أي خيال (مبين) أي ظاهر سحريته قال الرازي وان أعيد اسم
الاشارة الثاني الى القرآن كان اسم الاشارة هذا عائدا الى المعجزات فانكار التوحيد كان مختصا بالمشركين
وأما انكار القرآن والمعجزات كان متفقا عليه بين المشركين وأهل الكتاب ولذلك قال تعالى وقال الذين
كفروا للحق على وجه العموم وهو بدل عن قوله تعالى وقالوا للحق (وما آتيناهم) أي ما أعطينا كفار
مكة (من كتب) دالة على صحة الاشراك (يدرسونها) أي يقرؤنها (وما أرسلنا اليهم قبلك من
نذير) أي رسول يدعوهم الى الاشراك و ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا (وكذب الذين من قبلهم)
الأمم المتقدمة (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) أي وما بلغ هؤلاء المشركون معشار ما آتينا المتقدمين من
القوة وكثرة المال وطول العمر (فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) أي تغييري عليهم بالتدمير وما
نفعتهم قوتهم وما لهم فكيف حال هؤلاء الضعفاء ويقال وما بلغ الذين من قبلهم معشار ما أعطينا قوم محمد
من البيان والبرهان فان محمدا أفضل من جميع الرسل وأفصح وبرهانه أوفى وبيانه أشفى وكتابه أكمل
من سائر الكتب وأوضح ثم ان المتقدمين لما كذبوا الكتب والرسل أنكر عليهم وكيف لا أنكر على
هؤلاء الامة وقد كذبوا أفصح الرسل وأوضح السبل فليحذر هؤلاء من مثل ذلك (قل) يا أكرم الرسل
لكفار مكة (انما أعظكم بواحدة) أي ما أنصح لكم الا بخصلة واحدة (أن تقوموا لله مثنى وفرادى
ثم تتفكروا) فقوله تعالى أن تقوموا بدل من واحدة أو عطف بيان لها أي ان تنهضوا بالهمة لاجل الله
حال كونكم اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الافهام ويخلط الافكار بالاوهام ثم
تتفكروا في أمر محمد وما جاء به أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على
صاحبه لينظر فيه وأما الواحد فيفكر في نفسه بعدل فيقول هل رأينا من هذا الرجل جنونا أو جربنا عليه
كذبا وقد علمتم أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما به من جنون بل علمتموه أرجح قريش عقلا وأوزنهم
حلما وأحدهم ذهنا وأرضاهم رأيا وأصدقهم قولا وأزكاهم نفسا وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال واذا
علمتم بذلك كفاكم أن تطالبوه بآية واذا جاء بها تبين أنه نبي صادق فيما جاء به ثم نبه الله تعالى على
طريقة النظر بقوله تعالى (ما بصاحبكم من جنة) نفي مستأنف فالوقف على تتفكروا تام عند أبي
حاتم أي ما بصاحبكم محمد من جنون ويجوز أن يكون تتفكروا معلقا عن الجملة المنفية فهي في
موضع نصب على اسقاط في أي ثم تتفكروا في عدم الجنون في صاحبكم ويجوز أن تكون ما
استفهامية على معنى ثم تتفكروا أي شيء بمحمد من آثار الجنون وعلى هذين الاحتمالين لا وقف
على تتفكروا (ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) أي ما محمد الا رسول مخوف لكم بعذاب

أي يطيعون ابليس وأعوانه (أكثرهم به مؤمنون) أي مصدقون ما يمنونهم و يعدونهم وقوله (وما آتيناهم) يعني مشركي مكة لم يكونوا أهل كتاب ولا بعث اليهم نبي قبل محمد صلى الله عليه وسلم (وكذب الذين من قبلهم) من الأمم (وما بلغوا) يعني مشركي مكة (معشار) أي عشر (ما آتيناهم) من النعمة والقوة (فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) أي انكاري عليهم ما فعلوا بالاهلاك والعقوبة (قل انما أعظكم بواحدة) أي بخصلة واحدة وهي الطاعة لله (أن تقوموا) أي لان تقوموا (لله مثنى وفرادى) مجتمعين ومتفرقين (ثم تتفكروا) فتعلموا (ما بصاحبكم) محمد صلى الله عليه وسلم (من جنة) أي جنون (ان هو) أي ما هو (الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) ان عصيتموه

حاضر يسكم عن قريب قبيل عذاب شديد فى الآخرة ان لم تؤمنوا به (قل) لهم يا أشرف الخلق (ما سألتكم من أجر) أى أى شئ سألتكم من أجر على تبليغ الرسالة (فهو لكم) والمراد نفى السؤال بالكلية أى لا أسألكم على انذاركم أجرا (ان أجرى الا على الله) فلا أطلب شيأ الا من عنده تعالى (وهو على كل شئ شهيد) يعلم صدقى وخلوص نيتى (قل) لمن أنكر التوحيد والرسالة (ان ربى يقذف بالحق) أى يلقيه فى قلوب المحقين فان الامر بيده تعالى أو يقذف بالحق على الباطل فهو اشارة الى ظهور البراهين على التوحيد والنبوة (علام الغيوب) أى ماغاب فى السموات والارض عن خلقه (قل) لهؤلاء (جاء الحق) أى ظهر الاسلام (ومايبدئ الباطل ومايعيد) أى زهق الشرك بحيث لم يبق له ابداء ولا اعادة فانا نافية وهذا جعل مثلا فى الهلاك بالمرة (قل) للكفار الذين قالوا والله يا محمد تركت دين آبائك فضللت (ان ضللت فانما أضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحى الى ربى) أى ضلالى على نفسى كضلالكم وأما اهتدائى فليس كاهتدائكم بالنظر والاستدلال وانما هو بالوحى المبين (انه سميع قريب) يسمع قول كل من المهتدى والضال وفعله وان بالغ فى اخفائهما (ولو ترى اذ فزعوا) أى ولو ترى حالهم وقت فزعهم بخسف البيداء لرأيت أمرا هائلا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان ثمانين ألفا يغزون الكعبة فى آخر الزمان ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم الارض وماتوا (فلا فوت) أى فلا يفوت منهم أحد (وأخذوا من مكان قريب) أى من تحت أقدامهم وخسف بهم الارض (وقالوا) عندما خسف بهم الارض (آمنا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم (وأنى لهم التناوش) أى ومن أين لهم أن يتناولوا الايمان تناولا سهلا (من مكان بعيد) أى بعد الموت فلا يكون الايمان الا فى الدنيا وهم فى الآخرة فالدنيا من الآخرة بعيد (وقد كفروا به) أى بمحمد أو بالعذاب الذى أنذرهم اياه (من قبل) أى من قبل نزول العذاب (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) أى ويقولون مالا يعلمون من وهمهم الفاسد وظنهم الخاطئ فانهم قالوا فى حق النبى ساحر شاعر كاهن وفى حق القرآن سحر شعر كهانة ويقال أى يسألون الرجعة الى الدنيا بعد الموت (وحيل بينهم وبين مايشتهون) من العود الى الدنيا أو من لذات الدنيا (كما فعل بأشياعهم) أى بأشباههم فى الكفر (من قبل) أى من قبلهم من الكفار فكل من جاءه الملك طلب التأخير ولم يعط وأرادوا أن يؤمنوا عند ظهور اليأس ولم يقبل الايمان منهم (انهم كانوا فى شك مريب) أى ذى ريبة من أمر الرسل والبعث والجنة والنار

﴿سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة أيضا مكية خمس وأربعون آية وما ئة وسبع وتسعون كلمة وثلاثة آلاف ومائة وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد لله فاطر السموات والارض) أى خالقهما من غير مثال سبق (جاعل الملائكة رسلا) أى وسائط بين الله وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحى والالهام والرؤيا الصالحة أو بينه تعالى وبين خلقه حيث يوصلون اليهم آثار قدرته وصنعه وهم جبريل وميكائيل

[illegible] الا على الله) أى انما أطلب ثوابه [illegible]

يقذفه بالحق) أى يلقيه الى أنبيائه (قل جاء الحق) أى جاء أمر الله الذى هو الحق (ومايبدئ الباطل ومايعيد) أى مايخلق ابليس أحدا ولا يبعثه انما يفعل ذلك الله (قل ان ضللت فانما أضل على نفسى) أى على نفسى يكون وبال ضلالى وهذا اخبار أن من ضل فانما يضر نفسه (وان اهتديت فبما يوحى الى ربى) يعنى لولا الوحى ما كنت أهتدى (ولو ترى) يا محمد (اذ فزعوا) أى عند البعث (فلا فوت) لهم منا (وأخذوا من مكان قريب) على الله وهو القبور (وقالوا) حين عاينوا العذاب (آمنا به وأنى لهم التناوش) أى كيف يتناولون التوبة وقد بعدت عنهم يريد أن التوبة تقبل منهم فى الدنيا وقد ذهبت الدنيا وبعدت عن الآخرة (وقد كفروا به) أى بمحمد والقرآن (من قبل) أى فى الدنيا (ويقذفون بالغيب) أى يرمون محمدا بالكذب والبهتان ظنا لا يقينا (من مكان بعيد) وهو أن الله تعالى بعدهم أن يعلموا صدق محمد (وحيل بينهم) أى منعوا مما يشتهون من التوبة والايمان والرجوع الى الدنيا (كما فعل بأشياعهم من قبل) ممن كانوا على مثل رأيهم من تكذيب الرسل قبلهم حين لم يقبل منهم الايمان والتوبة (انهم كانوا فى شك) من أمر الرسل والبعث (مريب) أى موقع للريبة والتهمة

﴿تفسير سورة فاطر﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الحمد لله فاطر السموات والارض) أى خالقهما على ابتداء (جاعل الملائكة رسلا

واسرافيل وملك الموت والرقباء والحفظة (أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع) أي ذوي أجنحة متعددة متفاوتة في العدد فمنهم من له جناحان يطير بهما ومن له ثلاثة أجنحة ومن له أربعة أجنحة (يزيد في الخلق) أي خلق الملائكة (مايشاء) ويروى ان صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة فجناحان منها يلفون بهما أجسادهم وجناحان منها يطيران يطيرون بهما فيما أمروا به من جهته تعالى وجناحان منها مرخيان على وجوههم حياء من الله تعالى (ان الله على كل شئ) من الزيادة والنقصان (قدير مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) أي أي شئ يرسل الله للناس من خزائن رحمته أي رحمة كانت من نعمة وصحة وأمن وعلم وحكمة الى غير ذلك فلا أحد يقدر على امساكها (ومايمسك فلا مرسل له من بعده) أي أي شئ يمسك الله فلا أحد يقدر على ارساله من بعد امساكه (وهو العزيز الحكيم) أي كامل القدرة في الارسال والامساك وكامل العلم في ذلك (ياأيها الناس) أي ياأهل مكة (اذكروا نعمة الله عليكم) أي انعام الله عليكم بنعمة الايجاد ونعمة الابقاء (هل من خالق غير الله) أي هل خالق مغاير له تعالى موجود وقرأ حمزة والكسائي بجر غير نعت لخالق على اللفظ (يرزقكم من السماء) بالمطر ونحوه (والارض) بالنبات وغيره (لا اله الا هو) فهو الخالق الرازق (فأنى تؤفكون) أي فمن أين تصرفون عن التوحيد الى الاشراك فكيف تشركون المنحوت بمن له الملكوت وبأي سبب تعبدون غيره تعالى فانه لايقدر على خلق ولا على رزق ولا على غيرهما (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) أي وان استمروا على أن يكذبوك ياأشرف الخلق فيما بلغت اليهم من التوحيد والبعث والحساب والجزاء وغير ذلك بعدما أقمت عليهم الحجة فتأس بأولئك الرسل في المصابرة على ما أصابهم من قبل قومهم (والى الله ترجع الامور) في الآخرة فيجازي المكذبين والصابرين (ياأيها الناس ان وعد الله حق) أي ياأهل مكة ان وعد الله بالبعث بعد الموت والجزاء ثابت من غير خلف (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) بأن يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم لتلهي بزخارفها عن الطاعة لله وعن تدارك ماينفعكم يوم حلول الميعاد (ولا يغرنكم بالله الغرور) بفتح الغين أي ولا يغرنكم بسبب حلم الله وامهاله المبالغ في الغرور وهو الشيطان بأن يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصي قائلا اعملوا ماشئتم ان الله غفور يغفر الذنوب جميعا فتعاطي الذنوب بهذا التمني مثل تناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة (ان الشيطان لكم عدو) عظيم فان عداوته عداوة قديمة لاتكاد تزول (فاتخذوه عدوا) بمخالفتكم له في عقائدكم وأفعالكم وكونوا على حذر منه في جميع أحوالكم فاذا فعلتم فعلا فتنبهوا له فانه ربما يدخل عليكم فيه الرياء ويزين لكم القبائح (انما يدعو حزبه) أي أتباعه في الضلال (ليكونوا) أي تلك الاتباع (من أصحاب السعير) أي لنار الموقودة (الذين كفروا لهم عذاب شديد) في الدنيا بفوات مطلوبهم وفي الآخرة بالسعير (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) من صلاة وزكاة وصوم وغير ذلك (لهم مغفرة) أي ستر لذنوبهم في الدنيا (وأجر كبير) في الآخرة (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) أي أبعد كون حالي الفريقين كذلك يكون من زين الكفر له الشيطان ونفسه الأمارة وهواه القبيح فرآه صوابا فانهمك فيه كمن عرف الحق فاختار الايمان أو العمل الصالح نزلت هذه الآية في أبي جهل ومشركي مكة (فان الله يضل من يشاء) أن يضله لاستحبابه الضلال وصرف اختياره اليه فيرده أسفل سافلين (ويهدي من يشاء) أن يهديه بصرف اختياره الى الهدى فيرفعه الى أعلى عليين (فلاتذهب نفسك عليهم حسرات) أي فلا تهلك نفسك على عدم ايمانهم لكثرة التحزن وقرأ أبو جعفر وقتادة والاشهب بضم التاء وكسر اللام مسند الضمير المخاطب نفسك مفعول به (ان الله عليم بما يصنعون) من القبائح فيجازيهم عليه (والله الذي أرسل الرياح) وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح بالتوحيد

أولى) أصحاب (أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق) أي في خلق الملائكة وأجنحتها (مايشاء مايفتح الله للناس من رحمة) أي من رزق ومطر فلا يقدر أحد أن يمسكه والذي يمسك لايرسله أحد (ياأيها الناس) خطاب لأهل مكة (اذكروا نعمة الله عليكم) أي بالرزق والمطر وسائر ذلك (هل من خالق غير الله) أي هل يخلق أحد سواه (يرزقكم من السماء) المطر (و) من (الارض) النبات (لا اله الا هو فأنى تؤفكون) أي من أين يقع لكم الافك والكذب بتوحيد الله ثم عزى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله (وان يكذبوك) الآية (أفمن زين له سوء عمله) باضلال الله اياه فرأى قبيح مايعمله (حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) أي لاتغتم لكفرهم ولاتتحسر على تركهم الايمان

أي أوجدها من العدم فهو بها دليل ظاهر على الفاعل المختار وذلك لان الهواء قد يسكن وقد يتحرك وعند حركته قد يتحرك الى اليمين وقد يتحرك الى الشمال وفي حركاته المختلفة قد ينشئ السحاب وقد لا ينشئ فهذه الاختلافات دليل على تسخير مدبر ومؤثر مقدر (فتثير سحابا) أي فتحركه وترفعه (فسقناه) أي السحاب (الى بلد ميت) أي الى مكان لا نبات فيه وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي بتشديد الياء (فأحيينا به) أي بماء السحاب (الارض بعد موتها) أي بعد يبسها وأسند الله تعالى الارسال الى الغائب والسوق والاحياء الى المتكلم لان في الاول تعريفا بالفعل العجيب وهو الارسال والاثارة وفي الثاني تذكيرا بالنعمة فان كمال نعمة الرياح والسحب بالسوق والاحياء (كذلك النشور) أي احياء الاموات في سهولة الحصول فان الارض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها كذلك الاعضاء لمية تقبل الحياة وكما انا نسوق الريح والسحاب الى البلد الميت نسوق الروح والحياة الى البدن الميت وكما انا نجمع القطع لسحابية بالريح كذلك نجمع أجزاء الاعضاء المتفرقة بالروح (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) أي من كان يريد العزة فليطلبها من عند الله بطاعته لانه لا عزة الا لله فان المشركين كانوا يتعززون بعبادة الاصنام ومن اعتز بالعبيد أذله الله ومن اعتز بالله أعزه الله (اليه يصعد الكلم الطيب) الذي يطلب به العزة وهي كلمة لا اله الا الله (والعمل الصالح يرفعه) والضمير المستكن عائد للكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل أو عائد للعمل فانه لا يقوى الايمان بلا عمل فاذا رجع الضمير البارز للعمل كان الضمير المستكن عائدا للكلم كما تقدم أو لله تعالى (والذين يمكرون السيآت لهم عذاب شديد) أي والذين يكسبون أصناف المكرات السيآت لهم عذاب شديد (ومكر أولئك هو يبور) أي صنع أولئك هو يفسد ويهلك قيل هي مكرات قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة في احدى ثلاث حبسه وقتله واخراجه من مكة وقال مجاهد نزلت هذه الآية في أهل الربا وقال مقاتل في أهل الشرك بالله وقال الكلبي المعنى يعملون السيآت وعلى هذا فيكون هذا في مقابلة قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه وهو اشارة الى بقاء العمل الصالح وقوله ومكر أولئك هو يبور اشارة الى فناء العمل السيئ (والله خلقكم من تراب ثم من نطفة) فكل أولاد آدم من تراب ومن نطفة لان كلهم من نطفة والنطفة من غذاء والغذاء ينتهي الى الماء والتراب (ثم جعلكم أزواجا) أي أصنافا ذكرانا واناثا (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) في وقته ونوعه وغير ذلك (وما يعمر من معمر) أي وما يمد في عمر أحد (ولا ينقص من عمره) أي عمر أحد (الا في كتاب) أي لوح محفوظ وعن سعيد يكتب عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتي الى آخره وقيل ان الله كتب عمر الانسان مائة سنة ان أطاع وتسعين ان عصى فأيهما بلغ فهو كتاب والله تعالى بين كمال قدرته بقوله خلقكم من تراب وكمال علمه بقوله تعالى وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه فان مانع الارحام قبل الانخلاق وما في البطن بعده لا يعلم أحد حاله كيف والأم الحامل لا تعلم منه شيأ ونفوذ ارادته بقوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب فبين الله انه هو القادر العالم المريد والاصنام لا قدرة لها ولا علم ولا ارادة فكيف يستحق واحد منها العبادة (ان ذلك) أي الخلق من تراب وكتابة الآجال (على الله يسير) لاستغنائه عن الاسباب فكذلك البعث (وما يستوي البحران هذا عذب) أي لذيذ (فرات) أي يكسر العطش (سائغ شرابه) أي يسهل انحداره الى الحلق (وهذا ملح أجاج) أي مر زعاق لا يستطاع شربه (ومن كل) من البحرين (تأكلون لحما طريا) أي سمكا شهي المطعم (وتستخرجون) من الملح خاصة (حلية) أي زينة وهي اللؤلؤ والمرجان (تلبسونها) وقوله تعالى وما يستوي البحران اشارة الى أن عدم استوائهما دليل على كمال قدرته

(من كان يريد العزة) أي علم العزة لمن هي (فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب) أي اليه يصل الكلام الذي هو توحيده وهو قول لا اله الا الله (والعمل الصالح يرفعه) أي يرفع ذلك الكلم الطيب فالكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح أداء فرائضه فمن قال حسنا وعمل صالحا رفعه العمل ومعنى الرفع رفعه الى محل القبول (والذين يمكرون السيئات) يعني الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة (ومكر أولئك هو يبور) أي يفسد ويبطل وقوله (وما يعمر من معمر) أي ما يطول عمر أحد (ولا ينقص من عمره) أي ولا يكون أحد ناقص العمر (الا) وهو محصى (في كتاب) نعني عدد عمر الطويل العمر وعمر القصير العمر (وما يستوي البحران هذا عذب فرات) شديد العذوبة (وهذا ملح أجاج) شديد المرارة (ومن كل) أي من الملح والعذب (تأكلون لحما طريا) أي من السمك (وتستخرجون) من الملح (حلية تلبسونها) يعني المرجان وانما ذكر هذا أدلة على قدرته وقوله

وقوّة ارادته وهو دليل آخر على القدرة والوحدانية (وترى الفلك) أى وترى السفن أيها الناس (فيه) أى فى كل منهما (مواخر) أى شواق للماء بجريها مقبلة ومدابرة بريح واحدة (لتبتغوا من فضله) بالتجارة وغيرها واللام متعلقة بمواخر (ولعلكم تشكرون) أى ولتشكروا الله على نعمه (يولج الليل) أى يدخل زيادته (فى النهار) فيكون النهار أطول من الليل بقدر نقصانه (ويولج النهار) أى يدخل زيادته (فى الليل) فيكون الليل أطول من النهار بقدر نقصانه (وسخر الشمس والقمر) أى ذلل ضوء الشمس والقمر لبنى آدم (كل) منهما (يجرى) فى فلكه (لاجل مسمى) أى الى وقت معلوم فى منازل معروفة ومدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهر (ذلكم الله ربكم) أى الذى فعل هذه الافعال هو الله الموجد لكم من العدم المربى بجميع النعم (له الملك) كله وهو مالك كل شئ (والذين تدعون) أى تعبدون (من دونه) تعالى وهم الاصنام (ما يملكون من قطمير) أى لا يقدرون أن يفعلوا من ذلك قدر الشئ الذى يتعلق به النواة مع القمع وقيل القطمير هو القشرة الرقيقة البيضاء التى بين التمرة والنواة وهذا استدلال على تفرده تعالى بالالوهية (ان تدعوهم) أى المعبودات من غير الله (لا يسمعوا دعاءكم) لانها جمادات (ولو سمعوا) على سبيل التقدير (ما استجابوا لكم) أى ما أجابوكم بجلب نفع ودفع ضرر لعجزهم عن الافعال بالمرة (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) أى حين ينطقهم الله ينكرون عبادتكم اياهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون (ولا ينبئك مثل خبير) أى ولا يخبرك أيها السامع أحد مثلى لانى عالم بالاشياء وغيرى لا يعلمها (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) أى الى مغفرته ورحمته ورزقه فى الدنيا والى جنته فى الآخرة وهذا يوجب عبادته (والله هو الغنى الحميد) أى والله مع استغنائه يدعوكم كل الدعاء يقضى فى الدنيا حوائجكم وان آمنتم به يقضى فى الآخرة حوائجكم فهو المستوجب للحمد (ان يشأ يذهبكم) أى يهلككم يا أهل مكة (ويأت بخلق جديد) أى بقوم آخرين مستمرين على الطاعة أو بعالم آخر غير ما تعرفونه (وما ذلك) أى الاذهاب بهم والاتيان بآخرين (على الله بعزيز) أى بمتعسر (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تحمل نفس آثمة اثم نفس أخرى بل انما تحمل كل منهما اثمها (وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ) أى وان تدع نفس مثقلة بالذنوب نفسا الى حمل بعض ذنوبها لم تجب تلك النفس المدعوة بحمل شئ من تلك الاوزار وتروى عن الكسائى لا تحمل بفتح التاء الفوقية وكسر الميم شيأ أى لا تحمل تلك النفس المدعوة شيأ من الوزر (ولو كان ذا قربى) أى ولو كان المدعو ذا قرابة من الداعى قال ابن عباس يلقى الاب والام الابن فيقولان له يا بنى احمل عنا بعض ذنوبنا فيقول لا أستطيع حسبى ما على (انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) أى انما ينفع انذارك يا أشرف الرسل بهذه الانذارات الذين يخشون عذاب ربهم وهو غائب عنهم (وأقاموا الصلاة) أى راعوها كما ينبغى (ومن تزكى) أى تطهر من المعاصى (فانما يتزكى لنفسه) أى فتطهره لنفسه اذ نفعه لها كما ان من تدنس بالاوزار لا يتدنس الا على نفسه (والى الله المصير) فالمتزكى ان لم تظهر فائدته عاجلا فهى تظهر عنده فى يوم اللقاء فى دار البقاء كما ان الوازر ان لم تظهر تبعة وزره فى الدنيا فهى تظهر فى الآخرة اذ المرجع الى الله (وما يستوى الاعمى والبصير) أى الكافر والمؤمن (ولا الظلمات ولا النور) أى ولا الباطل والحق (ولا الظل ولا الحرور) أى ولا الثواب والعقاب (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) أى وما يستوى المؤمنون والكفار أو العلماء والجهلة (ان الله يسمع من يشاء) أى ان الله يفهم من يشاء ممن كان أهلا لفهم آياته تعالى (وما أنت بمسمع من فى القبور) أى وما أنت يا أشرف الخلق بمفهم من هو مثل الميت الذى فى القبور شبه الله الكفار بالموتى فى عدم التأثر بدعوته صلى الله عليه وسلم (ان أنت الا نذير) أى ما أنت الا رسول

(من قطمير) يعنى لفافة النواة وقوله (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) أى يقولون ما كنتم ايانا تعبدون (ولا ينبئك مثل خبير) وهو الله عز وجل وقوله (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تحمل نفس حاملة حمل نفس أخرى (وان تدع مثقلة) نفس مثقلة أى بالذنوب (الى حملها) يعنى ذنوبها (لا يحمل منه شئ ولو كان) المدعو (ذا قربى) أى مثل الاب والابن (انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) أى انما ينفع انذارك الذين يخافون الله ولم يروه (ومن تزكى) أى عمل خيرا (وما يستوى الأعمى) أى عن الحق وهو الكافر (و) لا (البصير) أى الذى يبصر رشده وهو المؤمن (ولا الظلمات ولا النور) يعنى الكفر والايمان (ولا الظل ولا الحرور) يعنى الجنة التى فيها ظل دائم والنار التى لها حرارة شديدة (وما يستوى الاحياء ولا الأموات) يعنى المؤمنين والكفار (ان الله يسمع من يشاء) أى فينتفع بذلك (وما أنت بمسمع من فى القبور) يعنى الكفار شبههم بالأموات أى كما لا يسمع من فى القبور كذلك لا يسمع الكفار وقوله

نذير وليس لك من الهدى شئ (انا أرسلناك بالحق) أى ارسالا مصحوبا بالحق (بشيرا ونذيرا) يجوز أن يتعلق بالحق بما بعده أى بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق (وان من أمة الا خلا فيها نذير) أى ما من أمة الا مضى فيها نبى أو عالم ينذرهم (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم) أى وان يكذبك أهل مكة فلا تبال بتكذيبهم لانه قد كذب الذين من قبلهم من الامم العاتية رسلهم (جاءتهم رسلهم بالبينات) أى المعجزات الظاهرة الدالة على نبوتهم (وبالزبر) أى بخبر الاولين كصحف ابراهيم (وبالكتاب المنير) أى الموضح لطريق الخير والشر كالتوراة والانجيل والزبور (ثم أخذت الذين كفروا) بالكتب والرسل بأنواع العذاب (فكيف كان نكير) أى انكارى بالعقوبة (ألم تر) أى ألم تعلم أيها المخاطب (أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به) أى بذلك الماء (ثمرات مختلفا ألوانها) من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها (ومن الجبال جدد) أى طرائق تخالف لون الجبل (بيض وحمر مختلف ألوانها) فمختلف صفة لجدد أيضا وألوانها فاعل وقال الرازى الظاهر ان الاختلاف راجع الى كل لون أى بيض مختلف ألوانها وحمر مختلف ألوانها لان الابيض قد يكون على لون الجص وقد يكون على لون التراب الابيض وكذلك الاحمر (وغرابيب) اى شديدة السواد (سود) وهو بدل من غرابيب (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) أى ألوان ذلك البعض (كذلك) أى اختلافا كائنا كاختلاف الثمار والجبال (انما يخشى الله من عباده العلماء) فالخشية بقدر معرفة المخشى والعالم يعرف الله فيخافه ويرجوه وهذا دليل على ان العالم أعلى درجة من العابد ومعنى الآية فى قراءة من قرأ بنصب العلماء ورفع اسم الجلالة انما يعظم الله علماء (ان الله عزيز غفور) فكونه تعالى عزيزا ذا انتقام يوجب الخوف التام وكونه تعالى غفورا للتائب عن العصيان يوجب الرجاء البالغ (ان الذين يتلون كتاب الله) أى يداومون على قراءة القرآن (واقاموا الصلاة) أى أداموها (وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) كيفما اتفق من غير قصد اليهما (يرجون تجارة) أى تحصيل ثواب الطاعة (لن تبور) أى لن تهلك بالخسران أصلا وقوله تعالى سرا وعلانية حث على الانفاق كيفما تهيأ فان تهيأ سرا فذاك والا فعلانية ولا يمنعه ظنه ان يكون رياء فان ترك الخير مخافة ان يقال فيه انه مراء هو عين الرياء (ليوفيهم أجورهم) متعلق بلن تبور أى تنفق التجارة عند الله ليوفيهم الله أجور أعمالهم ما يرجونه (ويزيدهم من فضله) أى يعطيهم ما لم يخطر ببالهم عند العمل (انه غفور) عند أعطاء الاجور (شكور) عند اعطاء الزيادة (والذى أوحينا اليك من الكتاب) أى هو القرآن (هو الحق) أى الصدق (مصدقا لما بين يديه) أى مصدقا لما قبله من الكتب السماوية فيوافقه فى العقائد وأصول الاحكام (ان الله بعباده لخبير) أى عالم بالبواطن (بصير) أى عالم بالظواهر فلا يكون الكتاب باطلا فى وحيه لا فى الباطن ولا فى الظاهر (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) أى ثم أعطينا القرآن أمتك الذين اخترناهم على سائر الامم (فمنهم ظالم لنفسه) أى راجح سيآته (ومنهم مقتصد) أى تساوت سيآته وحسناته (ومنهم سابق بالخيرات) وهو الذى ترجحت حسناته (باذن الله) أى بتوفيق الله وهو متعلق بسابق (ذلك) أى السبق بالخيرات (هو الفضل الكبير) من الله تعالى (جنات عدن يدخلونها) خبر لجنات أى هؤلاء الثلاثة أصناف يدخلون جنات عدن ومن دخلها لم يخرج منها وقرأ أبو عمرو بالبناء للمفعول (يحلون فيها) أى يلبسون على سبيل التزين فى الجنة (من أساور من ذهب) فمن الاولى للتبعيض والثانية للتبيين (ولؤلؤا) قرأه عاصم ونافع بالنصب عطفا على محل من أساور والباقون بالجر عطفا على ذهب (ولباسهم فيها) أى الجنة (حرير) واكثار

(ومن الجبال جدد) أى طرائق تكون فى الجبال كالعروق (بيض وحمر وغرابيب سود) وهى الجبال ذات الصخور السود (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك) أى كاختلاف الجبال والثمرات فى اختلاف الالوان (انما يخشى الله من عباده العلماء) أى من كان عالما بالله اشتدت خشيته وقوله (يرجون تجارة لن تبور) أى لن تكسد ولن تفسد (انه غفور) لذنوبهم (شكور) لحسناتهم (ثم أورثنا) أى أعطينا بعد هلاك الأمم (الكتاب) أى القرآن (الذين اصطفينا من عبادنا) وهم أمة محمد ثم ذكر أصنافا فقال (فمنهم ظالم لنفسه) وهو الذى زادت سيئاته على حسناته (ومنهم مقتصد) وهو الذى استوت حسناته وسيئاته (ومنهم سابق بالخيرات) وهو الذى رجحت حسناته على سيئاته (باذن الله) أى بقضائه وارادته (ذلك هو الفضل الكبير) يعنى ايتاء الكتاب وقوله

الزينة يدل على الغنى فلا يعجز عن الوصول الى الاشياء الكثيرة عند الحاجة و يدل على الفراغ (وقالوا) أي و يقول أهل الجنة في الجنة (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) أي كل حزن بحصول كل مطلوب به (ان ربنا لغفور) للمذنبين (شكور) للمطيعين (الذي أحلنا دار المقامة) أي دار الاقامة التي لا انتقال عنها أبدا (من فضله) من غير ان يوجبه شئ من جهتنا (لا يمسنا فيها نصب) أي تعب (ولا يمسنا فيها لغوب) أي فتور ناشئ عن التعب (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم) أي لا يحكم عليهم بموت ثان (فيموتوا) أي لا يستريحون بالموت بل عذابهم دائم (ولا يخفف عنهم من عذابها) أي جهنم طرفة عين (كذلك) أي مثل ذلك الجزاء (نجزي كل كفور) وقرأ أبو عمرو يجزى بالبناء للمفعول وكل بالرفع (وهم يصطرخون فيها) أي يصيحون في جهنم بقولهم (ربنا أخرجنا) منها (نعمل صالحا) أي خالصا في الايمان (غير الذي كنا نعمل) في الدنيا من الشرك فيقول الله لهم توبيخا (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) أي ألم نمهلكم يا معشر الكفار ولم نطل أعماركم زمانا يتعظ فيه من أراد ان يتعظ وهو ستون سنة كما قاله ابن عباس أو أربعون سنة كما قاله الحسن (وجاءكم النذير) أي رسول من الله تعالى أو عقل أو شيب أو حمى أو موت الاقارب فالشيب والحمى وموت الاهل كله انذار بالموت والمراد أي رسول كان لأن هذا الكلام مع الكفار على الاطلاق قال تعالى (فذوقوا) ما أعددناه لكم من العذاب دائما أبدا (فما للظالمين من نصير) أي لانه ليس للذين وضعوا أعمالهم في غير موضعها وأتوا بالمعذرة في غير وقتها مانع من عذاب الله (ان الله عالم غيب السموات والارض) فلا يخفى عليه تعالى أحوالهم لو ردوا الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه (انه عليم بذات الصدور) وكان يعلم من الكافر ان في قلبه تمكن الكفر بحيث لو دام في الدنيا الى الابد لما أطاع الله (هو الذي جعلكم خلائف في الارض) أي خلفاء ممن قبلكم من الامم تعلمون أحوال الماضين ممن كذب الرسل (فمن كفر فعليه كفره) أي عقوبة كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) أي ان الكفر لا ينفع عند الله فلا يزيدهم الا بغضه الشديد ولا ينفعهم في أنفسهم بل لا يفيدهم الا الخسار فان العمر كرأس المال فمن اشترى به رضا الله ربح ومن اشترى به سخطه خسر (قل) يا أشرف الخلق لاهل مكة (أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض) وجملة قوله أروني بدل اشتمال من أرأيتم أي اخبروني عن آلهتكم التي زعمتم أنها شركاء الله تعالى الذين تعبدونها من غير الله أروني أي جزء خلقوا من الارض (أم لهم شرك في السموات) أي بل ألهم شركة مع الله في خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة ذاتية في الالوهية (أم آتيناهم كتابا) أي بل أعطينا الشركاء كتابا ينطق بانا اتخذناهم شركاء (فهم على بينة منه) وقرأ أبو عمرو وحمزة وابن كثير وحفص بينة بالافراد والباقون بينات بالجمع أي فالشركاء على حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بأن لهم شركة جعلية (بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا) أي بل ما يعد الاسلاف للاخلاف والرؤساء للسفلة في الدنيا بأن شركاءهم تقربهم الى الله تعالى المنزلة وبأنها تشفع لهم في الآخرة فتنصر وتنفع الا باطلا (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا) أي ان الله يمنعهما من أن تزولا عن مكانهما لان مقتضى شركهم زوالهما (ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده) أي والله لئن زالتا عن مكانهما ما يمسكهما أحد من بعد زوالهما (انه كان حليما) اذا أمسكهما فما ترك الله تعذيب المشركين الا حلما منه تعالى والا كانوا يستحقون اسقاط السموات واطباق الارض عليهم (غفورا) أي محاء للذنوب من تاب وان استحق العقاب

(الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) يعني كل ما يحزن الانسان من أمر المعاش والمعاد (الذي أحلنا) أي أنزلنا (دار المقامة) أي دار الخلود (من فضله) أي ذلك بتفضله لا بأعمالنا (لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) أي اعياء (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم) الموت (فيموتوا وهم يصطرخون) أي يستغيثون وقوله (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) أي العمر الذي يتعظ و يرجع فيه الى الله من يتعظ وهو ستون سنة (وجاءكم النذير) يعني الرسول وقيل الشيب (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) أي جعلكم أمة خلفت من قبلها من الأمم (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) أخبروني عنهم (ماذا خلقوا من الأرض) أي بأي شئ أوجبتم لهم الشركة مع الله لخلق خلقوه من الارض (أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتابا) أي أعطينا المشركين كتابا بما يدعونه من الشركة (فهم على بينة) أي من ذلك الكتاب (بل ان يعد) ما يعد (الظالمون بعضهم بعضا الا) أباطيل (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا) أي لئلا تزولا وتتحركا (ولئن زالتا ان أمسكهما) أي ما أمسكهما (من أحد من بعده) أي سوى الله

(وأقسموا) أي كفار مكة (بالله جهد أيمانهم) أي غاية اجتهادهم في الايمان (لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم) أي لما بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أسرع اجابة من كل الامم (فلما جاءهم نذير) أي فلما صح لهم مجيء رسول وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي كانوا يشهدون أنه خيرهم نفسا وأشرفهم نسبا وأكرمهم خلقا (ما زادهم الا نفورا) أي تباعدا عن الحق (استكبارا في الارض) اعراضا عن الايمان وهو بدل من نفورا (ومكر السيئ) وهو معطوف على نفورا وهو جميع ما صدر منهم من القصد الى الايذاء به صلى الله عليه وسلم ومنع الناس من الدخول في الايمان واظهار الانكار (ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله) أي ولا يحيط المكر السيئ الا بفاعله (فهل ينظرون الا سنة الاولين) أي ما ينتظرون الا عادة الله في الاولين من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم فان سنة الله الاهلاك بالشرك والاكرام على الاسلام (فلن تجد لسنة الله تبديلا) لانه سنة من سنن الله (ولن تجد لسنة الله تحويلا) فان العذاب مع أنه لا تبديل له بالثواب لا ينقل عن مستحقه الى غيره فبهذا يتم تهديد المسيء (أولم يسيروا في الارض) أي أقعدوا في الارض (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا) أي من قبلهم (أشد منهم قوة) وقد كانوا مارين على ديارهم رائين لآثارهم وأملهم كان فوق أملهم لطول أعمارهم وشدة اقتدارهم وعملهم كان دون عملهم لانهم لم يكذبوا محمدا ولا مثل محمد وأنتم يا أهل مكة كذبتم محمدا ومن تقدمه من الرسل فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم فما نفعهم طول المدى وما دفع عنهم شدة القوى (وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض) أي ان الاولين مع شدة قوتهم ما أعجزوا الله وهؤلاء أولى بأن لا يعجزوه (انه كان عليما) بأفعالهم وأقوالهم (قديرا) على اهلاكهم واستئصالهم (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) من السيئات كما فعل بأولئك الاولين (ما ترك على ظهرها) أي على وجه الارض (من دابة) أي من ذوي روح تدب عليها (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) أي الى وقت معلوم عند الله تعالى فللعذاب أجل والله لا يؤاخذ الناس بنفس الظلم فان الانسان ظلوم جهول وانما يؤاخذ بالاصرار على المعاصي وحصول اليأس للناس عن ايمانهم فاذا لم يبق فيهم من يؤمن يهلك الله المكذبين ولو آخذهم بنفس الظلم لكان كل يوم اهلاك (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) أي فاذا جاء أجلهم وهو يوم القيامة أو يوم لا يوجد في الخلق من يؤمن أو يوم القتل والاسر فان الله يجازيهم عند ذلك بأعمالهم لان الله تعالى كان بصيرا بعباده وهذا تسلية للمؤمنين وذلك لان الله تعالى لما قال ما ترك على ظهرها من دابة قال فاذا جاء الهلاك في الدنيا فان الله بصير بالعباد اما أن ينجي المؤمنين أو يميتهم تقريبا من الله لا تعذيبا

﴿سورة يس وتسمى أيضا القلب والدافعة والقاضية والمعممة مكية وهي ثلاث﴾
﴿وثمانون آية وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة وثلاثة آلاف حرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يس) أي هذه يس أو اقرأ يس (والقرآن الحكيم) أي المتضمن للحكمة اعلم ان العبادة قلبية ولسانية وجارحية وكل واحدة منها قسمان قسم علم معناه وقسم لم يعلم أما القلبية فمنها ما لم يعلم دليله عقلا وانما وجب للايمان به كالصراط الذي هو أرق من الشعرة وأحد من السيف ويمر عليه المؤمن كالبرق الخاطف والميزان التي توزن به الاعمال التي لا ثقل لها في نظر الناظر وكيفيات الجنة والنار فان هذه الاشياء وجودها لم يعلم بدليل عقلي وانما المعلوم بالعقل امكانها ووقوعها مقطوع به بالسمع ومنها ما علم

(وأقسموا بالله جهد أيمانهم) يعني المشركين كانوا يقولون قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم لئن أتانا رسول (لنكونن أهدى من احدى الأمم) أي من اليهود والنصارى والمجوس (فلما جاءهم نذير) وهو النبي صلى الله عليه وسلم (ما زادهم) مجيئه (الا نفورا) عن الحق استكبارا في الأرض) أي استكبروا عن الايمان استكبارا ومكروا المكر السيء وهو مكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه (ولا يحيق المكر السيء الا بأهله) فحاق بهم يوم بدر مكرهم (فهل ينظرون) بعد تكذيبك (الا سنة الاولين) يعني العذاب (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) أي من الجرائم (ما ترك على ظهرها) أي على ظهر الارض (من دابة) من الانس والجن وكل مقل (ولكن يؤخرهم) الآية

﴿تفسير سورة يس﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يس) يا انسان (والقرآن الحكيم) أقسم الله بالقرآن المحكم أن محمدا من المرسلين وهو قوله

(انك لمن المرسلين على صراط مستقيم) أى على طريق الانبياء الذين تقدموك (تنزيل) أى القرآن تنزيل (العزيز الرحيم لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم) فى الفترة (فهم غافلون) أى عن الايمان والرشد (لقد حق القول) أى وجب عليهم كلمة العذاب (فهم لايؤمنون) ثم بين سبب تركهم الايمان فقال (انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا) أراد فى أعناقهم وأيديهم لان الغل لايكون فى العنق دون اليد (فهى الى الاذقان) أى فأيديهم مجموعة الى أذقانهم لان الغل يجعل فى اليد مما يلى الذقن (فهم مقمحون) أى فهم رافعون رؤسهم لا يستطيعون الاطراق لان من غلت يده الى ذقنه ارتفع رأسه هذا مثل معناه أمسكنا أيديهم عن النفقة فى سبيل الله بموانع كالأغلال (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) هذا وصف اضلال الله اياهم فهم بمنزلة من سد طريقه من بين يديه ومن خلفه يريد انهم لا يستطيعون أن يخرجوا من ضلالتهم (فأغشيناهم) أى فأعميناهم عن الهدى (فهم لايبصرون) ثم ذكر أن هؤلاء لا ينفعهم الانذار فقال

كالتوحيد والنبوة وقدرة الله وصدق الرسول وفى العبادات الجارحية ما علم معناه وما لم يعلم كمقادير النصب وعدد الركعات فالعبد اذا أتى بما أمر به من غير أن يعلم ما فيه من الفائدة فلا يكون الاتيان به الا لمحض العبادة بخلاف ما لو علم الفائدة فربما يأتى للفائدة فقط وان لم يؤمن كما لو قال السيد لعبده انقل هذه الحجارة من ههنا ولم يعلمه بما فى النقل فنقلها ولو قال انقلها فان تحتها كنزا هو لك فانه ينقلها وان لم يؤمن فكذلك العبادات اللسانية فنها ما لا يفهم معناه فاذا يتكلم به العبد علم انه لا يقصد غير الانقياد لامر المعبود الآمر الناهى فاذا قال يس حم الم طس علم انه لا يذكر ذلك لمعنى يفهمه بل هو يتلفظ به اقامة لما أمر به (انك) يا أشرف الخلق (لمن المرسلين على صراط مستقيم) أى ثابت على شريعة شريفة فان شريعته صلى الله عليه وسلم أقوم الشرائع وقوله على صراط خبر ثان لان (تنزيل العزيز الرحيم) وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائى بالنصب على الحال أو على المدح باضمار أعنى أى حال كون القرآن تنزيل المانع عن أشياء المطلق لاشياء أو المنتقم لمن لا يؤمن الرحيم لمن آمن والباقون بالرفع أى هذا تكليم العزيز وقرئ بالجر على انه بدل من القرآن كأنه تعالى قال والقرآن الحكيم تنزيل العزيز الرحيم انك لمن المرسلين (لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم) أى لم ينذر آباؤهم الاقربون لتطاول مدة الفترة لان قريشا لم يبعث اليهم نبى قبل نبينا صلى الله عليه وسلم فما نافية والجملة صفة لقوما ويصح كونها موصولة أى الذين انذر آباؤهم الاقدمون ويصح كونها مصدرية فيكون نعتا لمصدر مؤكد أى لتنذر قوما انذارا كائنا مثل انذار آبائهم الاقدمين من العذاب (فهم) أى القوم وآباؤهم الاقربون (غافلون) عن أمر الآخرة جاحدون بها أو فهؤلاء القوم غافلون عما أنذر آباؤهم الاقدمون لامتداد المدة (لقد حق القول على أكثرهم) أى لقد حقت كلمة العذاب العاجل على أكثر أهل مكة أبى جهل وأصحابه (فهم لايؤمنون) أى فى علم الله وقتلوا يوم بدر على الكفر (انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان) أى فالاغلال منتهية الى أذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له (فهم مقمحون) أى رافعون رؤسهم غاضون أبصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) أى وجعلنا مع ما ذكر من أمامهم سدا عظيما ومن ورائهم كذلك (فأغشيناهم فهم لايبصرون) أى وغطينا بهذين السدين أبصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرون على ابصار شئ ما أصلا وقوله تعالى انا جعلنا الخ كناية عن منع الله اياهم عن الاهتداء وهو تمثيل حالهم بحال من غلت أعناقهم وقوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا اشارة الى انهم لا يتهجون سبيل الرشاد فلا يبصرون الحق لمكان السد ولا ينقادون لك لمكان الغل وقيل نزلت هذه الآيات فى أبى جهل بن هشام وصاحبيه المخزوميين وذلك ان أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه بحجر فلما رآه يصلى ذهب اليه فرفع حجرا ليرميه فلما أومأ اليه رجفت يداه الى عنقه والتصق الحجر بيده الى عنقه ولما عاد الى أصحابه أخبرهم بما رأى قال الوليد بن المغيرة أنا أرضخ رأسه فأتاه وهو يصلى على حالته ليرميه بالحجر فأعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقال والله ما رأيته ولقد سمعت صوته فقال الرجل الثالث والله لاشدخن رأسه ثم أخذ الحجر وانطلق فرجع القهقرى ينكص على عقبيه حتى خر على قفاه مغشيا عليه فقيل له ما شأنك قال شأنى عظيم رأيت الرجل فلما دنوت منه فاذا فحل يخطر بذنبه ما رأيت قط فحلا أعظم منه حال بينى وبينه فواللات والعزى لو دنوت منه لأكلنى فأنزل الله تعالى انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون أى انا جمعنا أيمانهم الى الاذقان حين أرادوا ان يرجموا النبى صلى الله عليه وسلم بالحجارة وهو فى الصلاة فهاهم

مغلولون

يٰسٓ مغلولون من كل خير محرومون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون أي وجعلنا من أمامهم سترا حيث أرادوا ان يرجموا النبي صلى الله عليه وسلم بالحجارة وهو في الصلاة فلم يبصروا النبي عليه السلام ومن خلفهم سدا حتى لا يبصروا أصحابه فغطينا أبصارهم فهم لا يبصرون النبي صلى الله عليه وسلم فيؤذوه وقرأ حمزة والكسائي وحفص سدا بفتح السين والباقون بالضم في الموضعين (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) أي مستو عند بني مخزوم أبي جهل وأصحابه انذارك بالقرآن اياهم وعدمه واما الانذار بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم فهو سبب في زيادة سيادته عاجلا وسعادته آجلا (لا يؤمنون) في علم الله (انما تنذر من اتبع الذكر) أي انما ينفع انذارك ياسيد الرسل من آمن بالقرآن (وخشي الرحمن بالغيب) أي خاف عقابه وهو تعالى غائب عنه أي عمل صالحا فالعاقل لا ينبغي ان يترك الخشية فان كل من كانت نعمته بسبب رحمته أكثر فالخوف منه أتم مخافة ان يقطع عنه النعم المتواترة (فبشره بمغفرة) عظيمة (وأجر كريم) أي ثواب حسن في الجنة فالغفران جزاء الايمان فكل مؤمن مغفور والاجر الكريم جزاء العمل الصالح (انا نحن نحيي الموتى) أي نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن انا نخرجهم من الشرك الى الايمان (ونكتب) في صحف الملائكة (ماقدموا) أي ما أسلفوا من الاعمال صالحة كانت أو فاسدة (وآثارهم) أي التي أبقوها من السنن الحسنة كالكتب المصنفة والقناطر المبنية والحبائس التي وقفوها من المساجد والرباطات ومن السنن السيئة كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة أحدثها فيها تخسيرهم وآلات الملاهي وأدوات المناهي المعمولة الباقية (وكل شئ) من الاشياء (أحصيناه في امام مبين) أي كتبناه في أصل مظهر لجميع الاشياء مما كان ومايكون وهو اللوح المحفوظ (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية) أي بين لاهل مكة صفة أهل انطاكية كيف أهلكناهم (اذجاءها المرسلون) وهم رسل عيسى عليه السلام الى أهلها فرسول رسول الله باذن الله رسول الله وهذا يؤيد مسئلة فقهية وهي ان وكيل الوكيل باذن الموكل وكيل الموكل لا وكيل الوكيل حتى لا ينعزل بعزل الوكيل اياه وينعزل اذا عزله الموكل الاول (اذ أرسلنا اليهم اثنين) أي رسولين وهما يحنا وبولس وقيل سمعان وتومان (فكذبوهما) أي فأتياهم فدعواهم الى الحق فكذبوهما في الرسالة (فعززنا بثالث) أي قوينا هما برسول ثالث هو شمعون وقرأ شعبة بتخفيف الزاي (فقالوا) أي جميعا (انا اليكم مرسلون قالوا) أي أهل انطاكية مخاطبين للثلاثة (ماأنتم الا بشر مثلنا) فلا يجوز رجحانكم علينا (وماأنزل الرحمن من شئ) أي فما نزلتم من عند الله وماأنزل الله اليكم أحدا فكيف صرتم رسل الله أو يقال ان الله ليس بمنزل شيأ في هذا العالم فان تصرفه في العالم العلوي وللعلويات التصرف في السفليات على مذهبهم فالله تعالى لم ينزل شيأ من الاشياء في الدنيا فكيف أنزل اليكم (ان أنتم الا تكذبون) أي ما أنتم الا كاذبين في دعوى رسالته تعالى (قالوا) أي الرسل (ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجري مجرى القسم مع تحذيرهم معارضة علم الله تعالى (وماعلينا الا البلاغ المبين) أي وماعلينا من جهة ربنا الاتبليغ رسالته تبليغا ظاهرا بأنكم تعلمونها بالآيات الشاهدة بالصحة فلا مؤاخذة لنا بعد ذلك من جهة ربنا (قالوا) للرسل لما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل (انا تطيرنا بكم) أي تشاءمنا بكم بناء على أن الدعوة لاتخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة ضر متعلق بأنفسهم وأهليهم وأموالهم ان لم يؤمنوا فكانوا ينفرون عنه وقيل انما تطير والما لعلهم من ان كل نبي اذا دعا قومه فلم يجيبوه كان عاقبتهم الهلاك (لئن لم تنتهوا) عن مقالتكم هذه (لنرجمنكم) بالحجارة (وليمسنكم منا عذاب أليم) أي وليصدنكم مما سبب الرجم عذاب أليم أي نديم الرجم

(وسواء عليهم) الآية (انما تنذر من اتبع الذكر) أي انما ينفع انذارك من اتبع القرآن فعمل به (وخشي الرحمن بالغيب) أي خاف الله ولم يره (انا نحن نحيي الموتى) أي عند البعث (ونكتب ماقدموا) من الاعمال (وآثارهم) أي ما استن به بعدهم وقيل خطاهم الى المساجد (وكل شئ أحصيناه) أي عددناه وبيناه (في امام مبين) وهو اللوح المحفوظ (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية) وهي انطاكية (اذجاءها المرسلون) أي رسل عيسى (اذ أرسلنا اليهم اثنين) من الحواريين (فكذبوهما فعززنا بثالث) أي قوينا الرسالة برسول ثالث وقوله (انا تطيرنا بكم) أي تشاءمنا بكم وذلك أنهم حبس المطر عنهم فقالوا هذا بشؤمكم (لئن لم تنتهوا لنرجمنكم) يعني لنقتلنكم رجما بالحجارة

عليكم الى الموت (قالوا) أى الرسل (طائركم معكم) أى سبب شؤمكم معكم لامن قبلنا وهو سوء عقيدتكم وقبح أعمالكم (أئن ذكرتم) أى ان وعظتم بما فيه سعادتكم تطيرتم وتوعدتم بالرجم والتعذيب (بل أنتم قوم مسرفون) أى ليس التذكير سببا للشؤم بل أنتم قوم عادتكم الاسراف فى العصيان فلذلك أتاكم الشؤم (وجاء من أقصى المدينة رجل) وهو حبيب النجار وهو ينحت أصنامهم وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به صلى الله عليه وسلم تبع وورقة ابن نوفل وغيرهما وقيل انه كان اسكافا وقيل انه كان قصارا (يسعى) أى يسرع فى المشى حيث سمع بالرسل (قال ياقوم اتبعوا المرسلين) الذين أظهروا لكم الدليل وأوضحوا لكم السبيل (اتبعوا من لا يسألكم أجرا) فانهم لو كانوا متهمين بعدم الصدق لسألوكم المال (وهم مهتدون) أى عالمون بالطريقة المستقيمة الموصلة الى الحق قالوا له تبرأت منا ومن ديننا ودخلت فى دين عدونا فقال لهم (ومالى لاأعبد الذى فطرنى) أى خلقنى اختراعا وهو مالكى (واليه ترجعون) بعد الموت فكيف لاتعبدونه والعابد على أقسام ثلاثة عابد يعبد الله لكونه الها مالكا سواء أنعم بعد ذلك أولم ينعم وعابد يعبد الله للنعم الواصلة اليه وعابد يعبد الله خوفا فجعل القائل نفسه من القسم الاول وهو الاعلى (أأتخذ من دونه) أى من غير الذى خلقنى (آلهة) أى لاأعبد آلهة من غيره تعالى (ان يردن الرحمن بضر لاتغن عنى شفاعتهم شيأ ولا ينقذون) أى ان يصبنى الرحمن بعذاب لاتنفعنى تلك الاصنام نفعا ولا تدفع عنى ذلك العذاب (انى اذا) أى اذا اتخذت من دونه آلهة (لفى ضلال مبين) أى خطأ ظاهر (انى آمنت بربكم فاسمعون) وهذا خطاب من حبيب للرسل وذلك لما أقبل القوم عليه يريدون قتله أقبل هو على المرسلين وقال انى آمنت بربكم فاسمعوا قولى واشهدوا لى بالايمان عند الله تعالى وقيل الخطاب للكفرة خاطبهم بذلك اظهارا للتصلب فى الدين وعدم المبالاة بالقتل ففيه بيان للتوحيد وذلك لانه لما قال أعبد الذى فطرنى ثم قال آمنت بربكم فهم أنه يقول ربى وربكم واحد وهو الذى فطرنى وهو الذى بعينه ربكم بخلاف مالو قال آمنت بربى فيقول الكافر وأنا آمنت بربى أيضا وعلى هذا فمعنى الآية آمنت بربكم فاسمعوا ما قلته لكم وأطيعونى بالايمان فأخذوه وقتلوه وصلبوه ووطئوه بأرجلهم حتى خرجت امعاؤه من دبره وألقى فى بئر وهى الرس وهم أصحاب الرس (قيل ادخل الجنة) أى انه قتل ثم قيل له بعد القتل ادخل الجنة اكراما له بدخولها حينئذ كسائر الشهداء (قال) بعد موته (يا) حرف تنبيه (ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى) أى بالذى غفر لى ربى وهو التوحيد أو بمغفرة ربى لى ويقال قيل ادخل الجنة عقب قوله آمنت الخ قال فى حياته كأنه سمع الرسل أنه من الداخلين الجنة وصدقهم ياليت قومى يعلمون كما علمت فيؤمنون كما آمنت بأى شئ غفر لى ربى (وجعلنى من المكرمين) فان الايمان والعمل الصالح يوجبان الغفران والاكرام وحاصل هذه القصة ان عيسى عليه السلام بعث رسولين من الحواريين الى أهل انطاكية فلما قربا الى المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب بن اسرائيل النجار فسلما عليه فقال من أنتما فقالا رسولا عيسى عليه السلام يدعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية قالا نعم نشفى المريض ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله تعالى فقال ان لى ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا ننظر حاله فأتى بهما الى منزله فمسحا ابنه فقام فى الوقت باذن الله تعالى صحيحا فآمن حبيب وفشا الخبر فى المدينة وشفى الله تعالى على أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك اسمه انطيخا وكان من ملوك الروم فانتهى خبرهما اليه فدعاهما فقال لهما من أنتما فقالا رسولا عيسى عليه السلام قال وفيم جئتما قالا ندعوك من عبادة مالا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر قال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا

(قالوا طائركم معكم) أى شؤمكم معكم بكفركم (أئن ذكرتم) أى وعظتم وخوفتم تطيرتم (بل أنتم قوم مسرفون) أى مجاوزون الحد بشرككم (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) وهو حبيب النجار وكان قد آمن بالرسل وكان منزله فى أقصى المدينة فلما سمع أن القوم كذبوهم وهموا بقتلهم أتاهم يأمرهم بالايمان ف(قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا) على أداء النصح وتبليغ الرسالة (وهم مهتدون) يعنى الرسل فقيل له أنت على دين هؤلاء فقال (ومالى لاأعبد الذى فطرنى) الى قوله فاسمعون فلما قال ذلك وثبوا اليه وقتلوه وأدخله الله الجنة فذلك قوله تعالى (قيل ادخل الجنة) فلما شاهدها (قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى) أى بمغفرة ربى

لم من أوجدك وآلهتك فقال لهما قوما حتى أنظر فأمر كاوأمر بحبسهما وبجلد كل واحد منهما مائة جلدة ثم بعث عيسى عليه السلام رأس الحواريين شمعون لينصرهما فدخل البلد متنكرا وجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به وأوصلوا خبره الى الملك فدعاه وأنس به وأكرمه فقال يوما الملك بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال لا فقد حال الغضب بيني و بين ذلك قال ان رأى أيها الملك ان تدعوهما حتى نطلع على ماعندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما الى ههنا قالا الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا انه يفعل مايشاء ويحكم مايريد قال لهما شمعون وما آيتكما قالا مايتمنى الملك فدعا الملك بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فمازالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من طين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فتعجب الملك فقال شمعون له أيها الملك ان شئت أن تغلبهم فقل للآلهة التى تعبدونها تفعل شيأ من ذلك قال الملك لايخفى عليك أنها لاتبصر ولاتسمع ولا تقدر ولاتعلم فقال شمعون فاذا ظهر الحق من جانبهم فآمن الملك وقوم وكفر آخرون وكانت الغلبة للمكذبين وأجمعوا على قتل الرسل وقومهم فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين ولما قتلوه غضب الله له فعجل لهم العقوبة فأمر جبريل فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى (وما أنزلنا على قومه) أى قوم ذلك الرجل الذى هو حبيب وهم أصحاب القرية الذين رجموه (من بعده) أى من بعد قتله (من جند من السماء) لاهلاكهم (وما كنا منزلين) أى ما لم ننزل ملائكة لاهلاك الكفار فى الازمنة الماضية بل نهلكهم بغير الملائكة إما بالحاصب أو بالصيحة أو بالخسف أو بالاغراق وانما جعلنا انزال الجند من خصائصك فى الانتصار من قومك تعظيما لشأنك (ان كانت الاصيحة واحدة) أى ما كانت عقوبتهم الاصيحة واحدة من جبريل أخذ جبريل بعضادتى الباب فصاح فيهم صيحة واحدة وذلك لحقارة أمرهم عندنا (فاذاهم خامدون) أى ميتون لايتحركون (ياحسرة على العباد) وهذا اما من كلام الملائكة أو من كلام المؤمنين أى ياشدة التحزن على العباد تعالى هذا وقتك فاحضرى وهو وقت الاستهزاء بالرسل فالمستهزؤن بالناصحين أحقاء بأن يتحزنوا و يتحزن عليهم المتحزنون (ما يأتيهم من رسول الا كانوا به) أى بذلك الرسول (يستهزؤن) وهذا سبب الندامة (ألم يروا) أى ألم يعلم أهل مكة الذين أنكروا رسالتك (كم أهلكنا قبلهم من القرون) أى الامم الماضية (أنهم اليهم لا يرجعون) أى انهم أهلكوا اهلاكا لارجوع لهم الى من فى الدنيا ويقال ان الباقين لايرجعون الى المهلكين بنسب ولا ولادة أى أهلكناهم وقطعنا نسلهم والوجه الاول أشهر نقلا والثانى أظهر عقلا (وان كل لما جميع لدينا محضرون) وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بتشديد الميم بمعنى الا أى ما كلهم الامجموعون عندنا محضرون للحساب والجزاء والباقون بالتخفيف والمعنى عند الكوفيين كما تقدم وعند البصريين وان كلهم لمجموعون عندنا محضرون للحساب (وآية لهم الارض الميتة أحييناها) أى وعلامة عظيمة لهم على قدرتنا على البعث وعلى وحدانيتنا الارض الميتة أحييناها بانواع النبات فيها فالذى أحيا الارض احياء كاملا منبتا للزرع يحيي الموتى احياء كاملا (وأخرجنا منها) أى الارض (حبا) أى جنس الحب كالحنطة والشعير والارز (فمنه) أى من ذلك الحب (يأكلون) فهو أكثر مايعاش به (وجعلنا فيها) أى الارض (جنات) أى بساتين (من نخيل وأعناب) أى من أنواع النخل والعنب (وفجرنا فيها من العيون) أى فتحنا فى الارض بعضا من العيون (ليأكلوا من ثمره) أى من ثمر ما

(وما انزلنا على قومه) يعني على قوم حبيب (من بعده من جند من السماء) لنصرة الرسل الذين كذبوهم يريد لم نحتج فى اهلاكهم الى ارسال جند (ان كانت) أى ما كانت عقوبتهم (الا صيحة واحدة) أى صاح بهم جبريل عليه السلام فماتوا عن آخرهم وقوله (فاذاهم خامدون) أى ساكنون قد ماتوا (ياحسرة على العباد) يعنى على هؤلاء حين استهزؤا بالرسل فتحسروا عنه العقوبة (ألم يروا) يعنى أهل مكة (كم اهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لايرجعون) يعنى ألم يروا أن الذين أهلكناهم قبلهم من القرون لا يرجعون اليهم (وان كل) أى ما كل من الخلق (لما) أى الا (جميع لدينا محضرون) أى عند البعث يوم القيامة نحضرهم ليقفوا على ما عملوا (وآية لهم) على البعث (الارض الميتة أحييناها) وقوله

ذكر من الجنات أو من ثمر الله لانه الذى خلقه وقرأ حمزة والكسائى بضم الثاء والميم (وما عملته أيديهم)
وهو ما يتخذ من ذلك الثمر من العصير والدبس ونحوهما فما موصولة عطف على ثمره ويؤيده هذا قراءة
حمزة والكسائى وشعبة بحذف الهاء من عملته فان حذف العائد من الصلة أحسن من الحذف من غيرها
وقيل ما نافية ومحل الجملة نصب على الحالية والمعنى ان الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم (أفلا يشكرون)
أى أيتنعمون بهذه النعم فلا يشكرون نهاهم فيرجعون عن عبادة غير الله وفى ذلك استدلال على وحدته
تعالى وتعديد للنعم فالارض مكان لهم لابد لهم منها فهى نعمة ثم احياؤها بالنبات نعمة ثانية فانها تصير أزه
ثم اخراج الحب منها نعمة ثالثة فان قوتهم يصير فى مكانهم ثم جعل الجنات فيها نعمة رابعة لان الارض تنبت
الحب فى كل سنة وكل ذلك مفيد الى بيان احياء الموتى فيقول الله تعالى كما فعلنا فى موت الارض كذلك
نفعل فى الاموات فى الارض فنحييهم ونعطيهم مالا بد لهم منه فى بقائهم من الاعضاء المحتاج اليها وقواها
كالعين والاذن وغير ذلك ونزيد له ماهو زينة كالعقل الكامل والادراك الشامل فكانه تعالى قال نحيى
الموتى احياء تاما كما أحيينا الارض احياء تاما (سبحان الذى خلق الازواج كلها) أى تنزيها للذى
خلق الانواع كلها (مما تنبت الارض) من نجم وشجر ومعدن (ومن أنفسهم) من ذكر وأنثى
(ومما لا يعلمون) مما فى أقطار السموات وتخوم الارضين وغيره تعالى لم يخلق شيأ وانما ذكر الله تعالى
كون الكل مخلوقا لينزه الله تعالى عن الشريك فان المخلوق لا يصلح شريكا للخالق والتوحيد الحقيقى
لا يحصل الا بالاعتراف بان لا اله الا الله فلا تشركوا بالله شيأ مما تعلمون ومما لا تعلمون (وآية لهم الليل
نسلخ منه النهار) أى وعلامة عظيمة لاهل مكة على قدرتنا على البعث الليل نزيل عنه النهار الذى هو
كالساتر له (فاذا هم مظلمون) أى داخلون فى الظلام (والشمس تجرى لمستقر لها) أى لحد معين
ينتهى اليه دورها فتقف فى مستقرها ولا تنتقل عنه ومستقرها هو مكان تحت العرش تسجد فيه كل ليلة
عند غروبها فتستمر ساجدة فيه طول الليل فعند طلوع النهار يؤذن لها فى أن تطلع من مطلعها أولا
فاذا كان آخر الزمان لا يؤذن لها فى الطلوع من المشرق بل يقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من
المغرب وقرئ الى مستقر لها وعن ابن عباس لا مستقر لها أى لا سكون لها ولا وقوف فانها جارية أبدا
الى يوم القيامة وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس (ذلك) أى جرى الشمس (تقدير العزيز
العليم) أى تدبيره وتسخيره اياها (والقمر قدرناه منازل) أى جعلنا له منازل ثمانية وعشرين منزلا
فى ثمانية وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين يوما ويستتر ليلة ان كان
الشهر تسعة وعشرين يوما (حتى عاد كالعرجون القديم) أى حتى يصير فى رأى العين كالعذق المقوس
اليابس اذا حال عليه الحول (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر) أى فالشمس لم تصلح لها سرعة
الحركة بحيث تدرك القمر والا لكان فى شهر واحد صيف وشتاء فلا تدرك الثمار (ولا الليل سابق
النهار) أى ولا الليل يطلع سلطان النهار فيذهب ضوءه ولكن يعاقبه (وكل) من الشمس والقمر (فى
فلك) أى دائرة (يسبحون) أى يدورون ولفظ كل يجوز ان يوحد نظرا الى كونه لفظا موحدا
ويجوز ان يجمع لكون معناه جمعا وللشمس فلكان أحدهما مركزه مركز العالم ثانيهما مركزه فوق
مركز العالم وهو مثل بياض البيض بين صفرته والقيض والشمس كرة فى الفلك الخارج المركز تدور
بدورانه فى السنة دورة فاذا حصلت فى الجانب الاعلى تكون بعيدة عن الارض فيقال انها فى الاوج
واذا حصلت فى الجانب الاسفل تكون قريبة من الارض فتكون فى الحضيض والقمر فلك شامل
لجميع أجزائه وأفلاكه وفلك آخر هو بعض من الفلك الاول محيط به كالقشرة الفوقانية من البصلة وفلك
ثالث فى الفلك التحتانى كما كان فى الفلك الخارج المركز فى فلك الشمس وفى الفلك الخارج المركز كرة

مثل

(وما عملته أيديهم) أى ولم تعمله ولا صنع لهم فى ذلك (سبحان الذى خلق الأزواج كلها) أى الاجناس من النبات والحيوان (ومما لا يعلمون) أى مما خلق الله من جميع الانواع والاشباه (وآية لهم) أى ودلالة لهم على توحيد الله وقدرته (الليل نسلخ منه النهار) اخراجا لا يبقى معه شئ من ضوء النهار والمعنى ننزع النهار فنذهب به ونأتى (فاذا هم مظلمون) أى داخلون فى الظلام (والشمس) أى وآية لهم الشمس (تجرى لمستقر لها) أى عند انقضاء الدنيا (والقمر قدرناه منازل) ذا منازل (حتى عاد) فى آخر منازله (كالعرجون) وهو عود الشماريخ اذا يبس أعوج (لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر) فيجتمعا معا (ولا الليل سابق النهار) أى يسبقه فيأتى قبل انقضاء النهار (وكل) من الشمس والقمر والنجوم (فى فلك يسبحون) أى يسيرون

مثل جرم الشمس وفي الكرة القمر من كوز كمسمار في كرة مغرق فيها ويسمى الفلك الموقاني الجوزهر والخارج المركز الفلك الحامل والفلك التحتاني الذي فيه الفلك الحامل المائل والكرة التي في الحامل تسمى فلك التدوير (وآية لهم) أي لاهل مكة على قدرتنا على البعث (أنا حملنا ذريتهم) وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم على الجمع أي أولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم أو صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم (في الفلك المشحون) أي المملوء ومع ذلك نجاه الله من الغرق وقال علي بن أبي طالب حمل الله تعالى النطف في بطون النساء فالبطون تشبيه بالفلك المشحون (وخلقنا لهم من مثله) أي مما يماثل الفلك (ما يركبون) في البر من الابل ونحوها وفي البحر من الزواريق ونحوها (وان نشأ نغرقهم) مع ركوبهم في الفلك ونحوه (فلا صريخ لهم) أي فلا مغيث لهم من الغرق (ولا هم ينقذون) أي ولا ينجون من الغرق بعد وقوعه (الا رحمة منا ومتاعا الى حين) فالانقاذ ينقسم الى قسمين اما أن ينقذه الله لرحمة منه فيمن علم الله منه انه يؤمن أو ينقذه للتمتيع باللذات زمانا الى انقضاء أجله وليزداد اثما فيمن علم الله انه لا يؤمن فالانقاذ غير مفيد للدوام بل الزوال في الدنيا لابد منه (واذا قيل لهم) أي لاهل مكة بطريق الانذار (اتقوا ما بين أيديكم) أي ما أمامكم من أمر الآخرة فانهم مستقبلون لها (وما خلفكم) من أمر الدنيا فانهم تاركون لها (لعلكم ترحمون) أي راجين أن ترحموا فان الله لا يجب عليه شيء اعرضوا حسب ما اعتادوه ويقال اتقوا ما بين أيديكم من أنواع العذاب مثل الغرق والحرق وغيرهما وما خلفكم من الموت لطالب لكم فانكم ان نجوتم من هذه الاشياء فلا نجاة لكم منه (وما تأتيهم) أي كفار مكة (من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها) أي تلك الآية (معرضين) على وجه التكذيب والاستهزاء فلا تنفعهم الآيات ومن كذب بالبعض هان عليه التكذيب بالكل وقوله تعالى من آية فمن زائدة وقوله من آيات ربهم تبعيضية وقوله الا كانوا الخ جملة حالية (واذا قيل لهم) بطريق النصيحة (أنفقوا مما رزقكم الله) أي بعض ما أعطاكم الله تعالى من فضله على المحتاجين فان ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره (قال الذين كفروا للذين آمنوا) استهزاء بهم (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) على زعمكم (ان أنتم الا في ضلال مبين) حيث تأمروننا بما يخالف مشيئته تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان بمكة زنادقة من قريش اذا أمروا بالتصدق على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن وكانوا يسمعون من المؤمنين يعلقون أفعال الله بمشيئته يقولون لو شاء الله لأغنى فلانا ولو شاء لاعز ولو شاء لكان كذا فاخرجوا هذا الجواب استهزاء بالمؤمنين وما كانوا يقولون بتعليق الامور بمشيئة الله تعالى وقيل ان المؤمنين لما قالوا لكفار قريش انفقوا على المساكين مما زعمتم من أموالكم انه لله تعالى وهو ما جعلوه لله من حرثهم وانعامهم قالوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه لكنا سطره تعالى لا يشاء ذلك فانه لم يطعمهم مما نرى من فقرهم فنحن أيضا لا نشاء ذلك موافقة لمراد الله تعالى فيه (ويقولون) أي كفار مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (متى هذا الوعد) بقيام الساعة (ان كنتم صادقين) فيما تعدوننا به منه قال الله تعالى (ما ينظرون الا صيحة واحدة) أي ما ينتظر قومك اذ كذبوك الا النفخة الاولى المميتة (تأخذهم وهم يخصمون) أي يتخاصمون في السوق قرأه حمزة بسكون الخاء وكسر الصاد والمعنى يخصم بعضهم بعضا والباقون بحركة الخاء وتشديد الصاد وأصله يختصمون فأدغمت التاء في الصاد بعد قلبها صادا فنافع وابن كثير وهشام نقلوا فتحة الصاد الى الساكن قبلها نقلا كاملا وأبو عمرو وقالون اختلسا حركتها تنبيها على ان الخاء أصلها السكون والباقون حذفوا حركتها فالتقى ساكنان

(وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) أي آباءهم (في الفلك المشحون) يعني سفينة نوح (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) أي في البحر (وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم) أي لا مغيث لهم (ولا هم ينقذون) أي ينجون (الا رحمة منا) أي الا أن نرحمهم (ومتاعا الى حين) أي ونمتعهم الى انقضاء آجالهم (واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم) أي العذاب الذي عذب به الامم قبلكم (وما خلفكم) يعني عذاب الآخرة (لعلكم ترحمون) أي لكي تكونوا على رجاء الرحمة وجواب اذا محذوف تقديره واذا قيل لهم هذا أعرضوا ودل على هذا قوله (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله) كان فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون للمشركين أعطونا من أموالكم ما زعمتم أنها لله وكانوا يقولون استهزاء (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) قال الله تعالى (ان أنتم الا في ضلال مبين ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) أنا نبعث (ما ينظرون) أي ما ينتظرون (الا صيحة واحدة) وهي نفخة اسرافيل (تأخذهم وهم يخصمون) أي يختصمون يعني يخاصم بعضهم بعضا يعني تقوم الساعة وهم في غفلة عنها

لذلك فكسروا أولهما لان الساكن اذا حرك حرك بالكسر (فلايستطيعون توصية) فى شئ من أمورهم ان كانوا فيما بين أهليهم (ولاالى أهلهم يرجعون) ان كانوا خارج أبوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيثما كانوا وقد صح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبا بينهما فلايتبايعانه ولايطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلايطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلايسقى فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها (ونفخ فى الصور) أى وينفخ فى القرن النفخة الثانية بينها و بين الاولى أربعون سنة (فاذاهم من الاجداث الى ربهم) أى الى مالك أمرهم (ينسلون) أى يخرجون بسرعة بطريق الاجبار دون الاختيار (قالوا) أى الكفار بعدما خرجوا من القبور (ياويلنا) أى ياهلاكنا احضر فهذا أوانك (من بعثنا من مرقدنا) وقرئ من أهبنا وقرأ ابن عباس والضحاك وغيرهما من بعثنا على انها جار ومجرور متعلق بويل وقرئ من هبنا بمن الجارة والمصدر (هذاماوعد الرحمن) أى هذا البعث ماوعدنابه الرحمن (وصدق المرسلون) أى صدقونا فيه وقيل الوقف على هذا بجعله بدلامن مرقدنا وجعل ماوعد الرحمن خبرمبتدا محذوف أى هو ماوعد الرحمن به فى الدنيا من البعث وعلى ذلك التفسير فهذا الخ من كلام الكافر بن حيث يتذكرون ماسمعوه من الرسل عليهم السلام فيجيبون به أنفسهم أويجيب بعضهم بعضا وقيل قالت لهم الحفظة تذكيرالكفرهم هذاماوعد الرحمن على ألسنة الرسل فى الدنيا وصدق المرسلون فيما أخبروكم به من البعث بعد الموت (ان كانت) أى ما كانت نفخة البعث (الاصيحة واحدة) حصلت من نفخ اسرافيل فى الصور (فاذاهم جميع لدينا) أى مجموع عندنا (محضرون) للحساب (فاليوم) وهو يوم القيامة (لاتظلم نفس شيأ) أى لاينقص من حسنات أحد ولايزاد على سيئات أحد (ولاتجزون) فى الآخرة (الاما كنتم تعملون) أى الابسبب ما كنتم تعملونه فى الدنيا (ان أصحاب الجنة) أى أهل الجنة (اليوم) وهو يوم القيامة (فى شغل) أى شأن يشغلهم عماسواه (فاكهون) أى متلذذون فى النعمة كالتزاور وضيافة الله وافتضاض الابكار وضرب الاوتار وسماعه (هم وأزواجهم فى ظلال) يجدون فيها بردالاكباد وغاية المراد (على الارائك) اى السرر المزينة بالثياب والستور التى هى داخل الحجال (متكئون) أى جالسون مع التمكن أوالميل على شق وفى هذا اشارة الى الفراغ (لهم فيها) أى الجنة (فاكهة) كثيرة من كل نوع من أنواع الفواكه (ولهم) فيها (مايدعون) أى يشتهون وقال الزجاج أى مايدعوا به أهل الجنة يأتيهم وعلى هذا فيكون لافتعال بمعنى الفعل ويعضده القراءة بسكون الدال (سلام قولامن رب رحيم) أى سلام عليهم أخص قولامن رب رحيم وعلى هذا فيكون حكاية لماسيقال لهم من جهته تعالى يومئذ كما فى قوله تعالى وسلام على المرسلين فيكون الله تعالى أحسن الى عباده المؤمنين كما أحسن الى عباده المرسلين عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أهل الجنة فى نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم ياأهل الجنة فينظر اليهم وينظرون اليه فلايلتفتون الى شئ من النعيم ماداموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره و بركته عليهم فى ديارهم (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) أى ويقال للمشركين انفردوا اليوم أيها المجرمون عن المؤمنين حين يسار بهم الى الجنة اذلادواء لألمكم ولاشفاء لسقمكم (ألم أعهد اليكم) أى ألم أوص اليكم (يابنى آدم) على لسان رسلى (أن لاتعبدوا الشيطان) أى لاتطيعوه (انه لكم عدومبين) أى ظاهر العداوة فاذاجاءك شخص يأمرك بشئ فانظر اماأن يكون ذلك موافقا

(فلايستطيعون توصية) أى بعدذلك الى ان يوصوا فى أمورهم بشئ (ولا الى أهلهم يرجعون) أى لاينقلبون الى أهلهم من الاسواق بل يموتون فى مكانهم (ونفخ فى الصور) يعنى نفخة البعث (فاذاهم من الاجداث) أى القبور (الى ربهم ينسلون) أى يخرجون بسرعة (قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا) أى منامنا وذلك انهم كانوا قد رفع عنهم العذاب فيما بين النفختين فيرقدون ثم يقولون (هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون) أقروا حين لاينفعهم (ان كانت الاصيحة واحدة) لآية بريد أن بعثهم واحياءهم كان بصيحة يصاح بهم وهو قول اسرافيل أيتها العظام البالية (ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل) أى بافتضاض الابكار (فاكهون) أى ناعمون فرحون (ولهم مايدعون) أى يتمنون (سلام) أى لهم سلام (قولا) أى يقول الله قولا (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) أى انفردوا عن المؤمنين (ألم أعهد اليكم) أى ألم آمركم يابنى آدم أن لاتعبدوا الشيطان انه لكم عدومبين

لامر الله أولا فان لم يكن موافقا له فذلك الشخطل بعينه الشيطان يأمرك بما يأمرك به فان أطعته فقد عبدت الشيطان وان دعتك نفسك الى فعل فانظر أهو مأذون فيه من جهة الشرع أولا فان لم يكن مأذونا فيه فنفسك هي الشيطان أومعها الشيطان يدعوك فان اتبعته فقد عبدته ثم ان الشيطان يأمر أولا بمخالفة الله ظاهرا فمن أطاعه فقد عبده ومن لم يطعه فيقول له اعبد الله كي لاتهان وليرتفع شأنك عند الناس و ينتفع بك اخوانك فان أجاب اليه فقد عبده (وأن اعبدوني) أى أطيعوني موحدين بي (هذا) أى التوحيد (صراط مستقيم) أى طريق قريبا من فاسلكوه وفي ضمن قوله تعالى هذا صراط اشارة الى ان الانسان مار في الدنيا لامقيم فيها (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا) أى و بالله لقد أضل الشيطان منكم يابني آدم خلقا كثيرا قبلكم عن ذلك الصراط المستقيم الذى أمرتكم بالثبات عليه فأصابهم لاجل ذلك ماأصابهم من العقوبات الهائلة (أفلم تكونوا تعقلون) أى أ كنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون انها لضلالهم أوأفلم تكونوا تعلمون ماصنع الشيطان بهم وقرأ نافع وعاصم جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وأبو عمرو وابن عامر بضم الجيم وسكون الموحدة والباقون بضمهما واللام مخففة (هذه جهنم التي كنتم توعدون) أى كنتم توعدون بها في الدنيا على ألسنة الرسل عليهم السلام بمقابلة عبادة الشيطان و بهذا يخاطب الكفار بعد تمام التوبيخ عند اشرافهم على شفير جهنم (اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) أى ادخلوا جهنم وقاسوا فنون عذابها اليوم بكفركم المستمر في الدنيا (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) أى يعملون من الشر روى انهم حين يسمعون قوله تعالى بما كنتم تكفرون ينكرون كفرهم فيشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فيختم الله على أفواههم و ينطق الله غير لسانهم من الجوارح فيقرون بذنوبهم ولا يقدرون على الانكار فكل عضو ينطق بما صدر منه فشهادتهم هو اقرارهم (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) أى ولو نشاء ان نطمس على أعينهم لمسحنا أعينهم حتى تصير ممسوحة بحيث لاسد ولهاجفن ولاشق (فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون) أى فلو أرادوا سلوك الطريق الواضح المألوف لهم لايقدرون عليه والمراد ان في قدرتنا ازالة نعمة البصر عنهم فيصيروا عميا لايقدرون على التردد في الطريق لمصالحهم ولكن أبقينا عليهم نعمة البصر فضلا وكرما فحقهم ان يشكروا عليها ولا يكفروا فهذا توبيخ لهم كال توبيخ (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم) وقرأ شعبة مكاناتهم على الجمع (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) أى ولو نشاء مسخهم لحولنا صورهم وأبطلنا قواهم في منازلهم فلا يقدرون أن يبرحوا مكانهم باقبال ولا ادبار ولا يرجعون الى الحال الاول وعن ابن عباس أى حولناهم قردة وخنازير وقيل أى حولناهم حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على أرجلهم وأزمناهم (ومن نعمره ننكسه في الخلق) أى ومن نطل عمره اطالة كثيرة تقلبه في خلق جسده وقواه الباطنية فكل منهما ينقلب حاله فيرجع من القوة الى الضعف حتى صار كأنه طفل وقرأ عاصم وحمزة بضم النون الاولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة والباقون بفتح الاولى وتسكين الثانية وضم الكاف (أفلا يعقلون) أى أيرون ذلك فلا يعقلون ان من قدر على ذلك يقدر على الطمس والمسخ وان عدم ايقاعهما لعدم تعلق مشيئته تعالى بهما وقرأ نافع وابن ذكوان تعقلون بالخطاب (وماعلمناه الشعر) أى وماعلمنا محمدا الشعر وليس القرآن بشعر وهذا رد لما كانوا يقولون في حقه صلى الله عليه وسلم من ان محمدا شاعر ومايقوله شعر (وماينبغي له) أى وما كان الشعر يليق به صلى الله عليه وسلم ولا يصلح له وذلك لان الشعر يدعو الى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن فالشارع يكون اللفظ منه تبعا للمعنى والشاعر يكون

ولقد أضل منكم جبلا كثيرا) أى خلقا كثيرا (أفلم تكونوا تعقلون) عداوته واضلاله (اصلوها اليوم) أى ادخلوها وقاسوا حرها (بما كنتم تكفرون ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) أى لأعميناهم وأذهبنا أبصارهم (فاستبقوا الصراط) يعني فتبادروا الى الطريق (فأنى يبصرون) أى فكيف يبصرون حينئذ وقد طمسنا أعينهم (ولو نشاء لمسخناهم) أى حجارة (على مكانتهم) أى في منازلهم (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) أى لم يقدروا على ذهاب ولا مجيء (ومن نعمره ننكسه في الخلق) أى من أطلنا عمره نكسنا خلقه فصار بدل القوة ضعفا وبدل الشباب هرما (أفلا تعقلون) أنا نقدر على ذلك (وماعلمناه الشعر) أى لم نعلم محمدا صلى الله عليه وسلم قول الشعر (وما ينبغي له) أى وما يتسهل له ذلك

المعنى منه تبع اللفظ لانه يقصد لفظا يصح به وزن الشعر أو قافيته فيحتاج الى التحيل لمعنى يأتي به لاجل ذلك اللفظ ولو صدر من النبي صلى الله عليه وسلم كلام كثير موزون مقفى لا يكون شعرا لعدم قصده اللفظ وانما قصد المعنى فجاء على تلك الالفاظ (ان هو الا ذكر) أي ما القرآن الا عظة من الله تعالى للثقلين (وقرآن) أي كتاب جامع للاحكام كلها (مبين) أي ظاهر انه ليس من كلام البشر (لينذر) أي محمد كما يدل له قراءة نافع وابن عامر بالتاء على الخطاب أو القرآن (من كان حيا) أي عاقلا منهما أو مؤمنا في علم الله تعالى وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به (ويحق القول على الكافرين) أي وتثبت كلمة العذاب على المصرين على الكفر أو ويثبت القول في الوحدانية والرسالة والحشر وسائر المسائل الدينية على كفار مكة فان في القرآن ذكر الدلائل التي تثبت بها المطالب (أولم يروا) أي ألم يتفكروا ولم يعلموا علما يقينا (أنا خلقنا لهم) أي لاجل انتفاعهم (مما عملت أيدينا) أي مما عملناه بقدرتنا وارادتنا (أنعاما) هي الابل والبقر والغنم وهو مفعول خلقنا (فهم لها مالكون) بتمليكنا اياهم لها بحيث يتصرفون فيها بوجوه التصرفات (وذللناها لهم) أي صيرناها منقادة لهم بحيث لا تستعصي عليهم في شيء مما يريدون بها (فمنها ركوبهم) أي فبعض منها مركوبهم (ومنها يأكلون) أي وبعض منها يأكلون لحمه (ولهم فيها) أي الانعام (منافع) غير المركوب والاكل كالجلود والاصواف والاوبار والنسل والحرث عليها والحمل (ومشارب) من ألبانها (أفلا يشكرون) أي أيشاهدون هذه النعم فلا يشكرون المنعم بها فيعبدونه (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون) أي وعبد كفار مكة من غير الله أصناما راجين أن ينصروهم من عذاب الله تعالى (لا يستطيعون نصرهم) أي لا تقدر آلهتهم على نصرهم (وهم لهم جند محضرون) أي والمشركون لآلهتهم بمنزلة الجند فهم قائمون بين أيديهم كالعبيد ويخدمونها ويغضبون لها في الدنيا أو المعنى وآلهتهم وهي الاصنام جند للعابدين محضرون معهم في النار فلا يدفع بعضهم عن بعض ويقال والمشركون جند لآلهتهم يشيعونها عند مساقها الى النار (فلا يحزنك) يا أشرف الخلق (قولهم) أي تكذيبهم اياك وقرئ يحزنك بضم الياء وكسر الزاي وهو لغة بني تميم اما القراءة المشهورة التي هي بفتح الياء وضم الزاي فهي لغة قريش (انا نعلم ما يسرون) من النفاق أو من المكر بك أو من العقائد الفاسدة (وما يعلنون) من الشرك أو من الكفر بك أو من الافعال القبيحة أي انا نجازيهم بجميع جناياتهم الخافية والبادية (أولم ير الانسان) أي ألم يتفكر الانسان ولم يعلم علما يقينا (أنا خلقناه من نطفة) قذرة خسيسة (فاذا هو خصيم) أي ناطق بالباطل (مبين) أي مبين النطق في نفي البعث (وضرب لنا مثلا) أي أورد الانسان في شأننا أمرا عجيبا وهو انكاره قدرتنا على احياء الموتى مع شهادة العقل والنقل في ذلك (ونسي خلقه) أي وترك الانسان ذكر بدء خلقه من المني (قال من يحيي العظام وهي رميم) أي بالية أشد البلاء بعيدة عن الحياة غاية البعد ونزلت هذه الآيات في العاصي بن وائل كما نقل عن مجاهد أو في أبي بن خلف كما قاله عكرمة والسدي أو في عبد الله بن أبي كما نقل عن ابن عباس أو أمية بن خلف كما حكاه ابن عساكر وروي ان جماعة من كفار قريش تكلموا فقال لهم أبي بن خلف ألا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاذهبن اليه ولاخصمنه فأخذ عظما باليا فجعل يفتته بيده وأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال انك يا محمد تقول ان الهك يحيي هذه العظام فقال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم (قل) له يا أكرم الرسل (يحييها الذي أنشأها أول مرة) أي يحيي العظام من خلقها من العدم أول مرة من النطفة فكما خلق الله الانسان ولم يكن شيأ مذكورا كذلك يعيده وان لم يبق شيأ مذكورا (وهو بكل خلق عليم) أي فيعلم الله أجزاء الاشخاص المتفتتة المتفرقة في المشارق والمغارب

به لان الكافر كالميت (ويحق القول على الكافرين) أي تجب الحجة عليهم (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا) أي عملناه من غير واسطة ولا توكيل ولا شريك أعاننا (أنعاما فهم لها مالكون) أي ضابطون (وذللناها لهم) أي سخرناها لهم (فمنها ركوبهم) أي منها يركبون (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون) أي يمنعون من عذاب الله (لا يستطيعون نصرهم) أي لا تنصرهم آلهتهم (وهم لهم جند محضرون) أي في النار لان أوثانهم معهم فيها (فلا يحزنك قولهم) فيك بالسوء والقبيح (انا نعلم ما يسرون وما يعلنون) يعني فنجازيهم بذلك (أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة) يعني العاص بن وائل وقيل أبي ابن خلف (فاذا هو خصيم مبين) أي جدل بالباطل خاصم النبي صلى الله عليه وسلم في انكار البعث وهو قوله (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه) وهو أنه (قال) متى يحيي الله العظم البالي المتفتت ونسي ابتداء خلقه لانه لو علم ذلك ما أنكر الاعادة وهذا معنى قوله (من يحيي العظام وهي رميم) أي بالية (قل يحييها الذي انشاها) خلقها (أول مرة وهو بكل خلق عليم)

والتي بعضها في أبدان السباع و بعضها في جدران الرباع سواء كانت اجزاء اصلية أو فضلية فلا كل
أولما أكول فيعيد الله كلا من ذلك على النمط السابق مع القوى التي كانت قبل و يجمعه و ينفخ روحه
(الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) والموصول بدل من الموصول الاول أي الذي خلق لاجل
منفعتكم نارا من المرخ والعفار فالمرخ شجر سريع القدح والعفار بفتح العين شجر تقدح منه النار
فمن أراد النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما اخضران يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على
العفار فتخرج منهما النار باذن الله تعالى وهذا قول ابن عباس وقال الحكماء في كل شجر نار الا العناب
(فاذا أنتم) يا أهل مكة (منه) أي من الشجر الاخضر (توقدون) فمن قدر على احداث النار من الشجر
الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها كان أقدر على اعادة الاجساد بعد فنائها (أوليس الذي
خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم) أي أليس الذي أنشأ العظام أول مرة وليس
الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا وليس الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم
شأنهما يقدر على ان يخلق مثل الاناسي في الصغر ثم أجاب الله نفسه بقوله (بلى) هو قادر على ذلك
(وهو الخلاق العليم) أي وهو كامل القدرة وشامل العلم (انما أمره) أي شأنه (اذا أراد شيأ) من
الاشياء (أن يقول له كن) أي أن يعلق بذلك الشيء قدرته تعالى (فيكون) أي فيحدث من غير
توقف على شيء آخر أصلا وقرأ ابن عامر والكسائي بالنصب عطفا على يقول (فسبحان الذي بيده
ملكوت كل شيء) أي تنزه عن الشريك والعجز من في قبضته مملكة كل شيء وخزائنه (واليه) لا الى
غيره (ترجعون) بعد الموت فيجزيكم بأعمالكم وقرأ زيد بن علي بالبناء للفاعل

﴿سورة الصافات مكية وهي مائة واثنان وثمانون آية وثمانمائة وستون﴾
﴿كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة وتسعة وعشرون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والصافات) أي والملائكة الناظمات لانفسها في سلك الصفوف بقيامها في مقاماتها المعلومة أو
الصافات أقدامها في السماء لاداء العبادات أو الباسطات أجنحتها في الهواء واقفة حتى يأمرها الله
تعالى بما يريد (صفا) بديعا (فالزاجرات) أي الملائكة التي تزجر السحاب أي أتون بها من موضع
الى موضع أو الزاجرات لبني آدم عن المعاصي بالالهامات أو الزاجرات للشياطين عن التعرض لبني آدم
بالشر والايذاء وعن استراق السمع (زجرا) بليغا (فالتاليات ذكرا) أي الملائكة التاليات الكتب
المنزلة على الانبياء عليهم السلام وغيرها من التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد (ان الهكم)
يا أهل مكة (لواحد) بلا شريك اذ لو لم يكن واحدا لاختل هذا الاصطفاف والزجر والتلاوة فكان
غير حكيم (رب السموات والارض) أي مالكهما (وما بينهما) من الموجودات (ورب المشارق) أي
مشارق الشمس فانها ثلثمائة وستون مشرقا تشرق الشمس كل يوم من مشرق منها و بحسبها
تختلف المغارب وتغرب كل يوم في مغرب منها (انا زينا السماء الدنيا) أي القربى من أهل الارض
(بزينة الكواكب) قرأ أبو بكر عن عاصم بتنوين زينة ونصب الكواكب أي بتزييننا الكواكب
في كونها مضيئة حسنة في أنفسها وحمزة وحفص كذلك الا انهما خفضا الكواكب بدل من زينة
والباقون باضافة زينة الى الكواكب أي بتزيين ضوء الكواكب السماء وقرأ ابن عباس و ابن
مسعود بتنوين زينة ورفع الكواكب أي بزينة هي الكواكب أو تزيين الكواكب فالاول
في قوة البدل والثاني في قوة المضاف للفاعل (وحفظا) عطف على زينة باعتبار المعنى أي انا خلقنا
الكواكب زينة للسماء وحفظا (من كل شيطان مارد) أي عال على الله خارج عن طاعته يرمى

أي من الابتداء والاعادة عليم (الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) يعني المرخ والعفار ومنها زنود الاعراب (فاذا أنتم منه توقدون) أي تورون النار ثم احتج عليهم بخلق السموات والارض فقال (أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) ثم ذكر كمال قدرته فقال (انما أمره اذا أراد شيأ) أي خلق شيء (أن يقول له كن فيكون) ذلك الشيء (فسبحان) تنزيها لله من أن يوصف بغير القدرة على الاعادة (الذي بيده ملكوت كل شيء) أي القدرة على كل شيء (واليه ترجعون) أي تردون في الآخرة

﴿تفسير سورة والصافات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والصافات صفا) يعني صفوف الملائكة في السماء (فالزاجرات زجرا) يعني الملائكة تزجر السحاب وتسوقه (فالتاليات ذكرا) أي جماعة قراء القرآن (ان الهكم لواحد) أقسم الله بهؤلاء ان الهكم لواحد (رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق) أي مطالع الشمس (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) أي بضوئها (وحفظا) أي وحفظناها حفظا (من كل شيطان مارد) أي خبيث

الشهب (لا يسمعون الى الملأ الاعلى) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بفتح السين وتشديدها وتشديد الميم أي كي لا يتطلب الشياطين السماع الى كلام أشراف الملائكة والباقون بسكون السين (و يقذفون) أي يرمون بالشهب (من كل جانب) أي من جميع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود اليها (دحورا) أي للطرد (ولهم عذاب واصب) أي دائم بالشهب في الدنيا الى النفخة الاولى و بالنار في الآخرة (الا من خطف الخطفة) ومن في محل رفع بدل من الواو في لا يسمعون أي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي اختلس الكلمة من كلام الملائكة على وجه المسارقة (فأتبعه شهاب ثاقب) أي لحقه شهاب مضيء يحرقه أو يخبله أو يقتله (فاستفتهم) أي سل يا أشرف الخلق هؤلاء المنكرين للبعث من مشركي مكة (أهم أشد خلقا) أي أصعب خلقا وأشق ايجادا (أم من خلقنا) أي أم التي خلقناها من هذه الاشياء أصعب وهي السموات والارض وما بينهما والمشارق والمغارب والشياطين الذين يصعدون الفلك والملائكة والكواكب والشهب الثواقب (انا خلقناهم) أي كل انسان (من طين لازب) أي لاصق لشدة اختلاط بعضه ببعض فان الحيوان انما يتولد من المني وهو يتولد من الغذاء ثم النبات انما يتولد من امتزاج الارض بالماء وهو الطين اللازب (بل عجبت و يسخرون) أي بل عجبت يا أشرف الرسل من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من تعجبك ومن تقريرك للبعث فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من سمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن سخروا منه ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبي وقرأ حمزة والكسائي عجبت بضم التاء وهو قراءة ابن عباس وابن مسعود وابراهيم و يحيى بن وثاب والاعمش والمعنى عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه أفاعيله وممن كثرت مخلوقاته وكملت قدرته و يسخروا ممن يجوز البعث وقال بعض الائمة معنى قوله بل عجبت بالضم بل جازيتهم على عجبهم أي ان هؤلاء المنكرين أقروا بأن الله تعالى قادر على تكوين أشياء أصعب من اعادة الحياة الى هذه الاجساد وقد تقرر في صرائح العقول أن القادر على الاشق الاشد يكون قادرا على الاسهل الايسر ومع قيام هذه الحجة البديهية بقي هؤلاء القوم مصرين على انكار البعث والقيامة وهذا في موضع التعجب الشديد (واذا ذكروا) أي اذا وعظوا بشيء من المواعظ (لا يذكرون) أي لا يتعظون ولا ينتفعون بذكر دلائل صحة البعث لغاية بلادتهم وقصور فكرهم (واذا رأوا آية) أي معجزة تدل على صدق القائل بالبعث كانشقاق القمر (يستسخرون) أي يبالغون في السخرية (وقالوا ان هذا) أي ما هذا الذي يرونه (الا سحر مبين) أي ظاهر سحريته أي ان الرسول أثبت جهة رسالته بالمعجزات ثم قال لما ثبت بهذه المعجزة كوني رسولا من عند الله صادقا فأنا أخبركم بأن البعث والقيامة حق ثم ان هؤلاء المنكرين لا ينتفعون بهذا الطريق أيضا لانهم اذا رأوا معجزة باهرة حملوها على كونها سحرا واستهزؤا منها (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون) وقرأ قالون وابن عامر بسكون الواو على انها معطوفة على الضمير في مبعوثون والباقون بفتحها على انها همزة الاستفهام دخلت على واو العطف فالمعنى أوتبعث آباؤنا و يقال أو آباؤنا الاولون مبعوثون أيضا أي ان القوم كانوا يستبعدون الحشر والقيامة و يقولون من مات وصار ترابا وتفرقت أجزاؤه في العالم كيف يعقل عوده بعينه و لما وافى هذا الاستبعاد الى حيث كانوا يستسخرون ممن سلك هذا المذهب الحق (قل) لهم تبكيتا (نعم وأنتم داخرون) أي نعم تبعثون أنتم وآباؤكم الاولون حال كونكم وهم ذليلين حقيرين (فانما هي زجرة واحدة) أي لا تستبعدوا البعث لانه انما هي صيحة واحدة (فاذا هم) أي الخلائق قائمون من مراقدهم أحياء (ينظرون)

(لا يسمعون الى الملأ الأعلى) يعني الملائكة (و يقذفون من كل جانب) أي ويرمون (دحورا) أي يدحرون دحورا يعني يباعدون (ولهم عذاب واصب) أي دائم (الا من خطف الخطفة) أي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة (فأتبعه) أي لحقه (شهاب ثاقب) أي كوكب مضيء (فاستفتهم) أي فاسألهم يعني أهل مكة (أهم أشد خلقا أم من خلقنا) من الامم السالفة قبلهم وغيرهم من السموات والارضين (انا خلقناهم من طين لازب) أي لاصق لازم (بل عجبت) يا محمد من تكذيبهم اياك (و يسخرون) أي وهم يسخرون من تعجبك (واذا رأوا آية يستسخرون) اي معجزة سخروا (وقالوا ان هذا الا سحر مبين قل نعم) تبعثون (وأنتم داخرون) أي صاغرون اذلاء (فانما هي) يعني القيامة (زجرة) نفخة (واحدة فاذا هم) أحياء

(ينظرون) أي يبصرون كما كانوا يفعلون ما يفعل بهم (وقالوا) أي الكفار اذا قاموا من القبور (ياويلنا) أي ياهلاك كنا استحضرهلنا آوان حضورك (هذا يوم الدين) أي هذا اليوم الذى نجازى فيه بأعمالنا (هذا يوم الفصل) أي يوم القضاء بينكم وبين المؤمنين (الذى كنتم) فى الدنيا (به) أي بهذا اليوم (تكذبون) والوقف على ويلنا تام ان جعل هذا يوم الدين من كلام الملائكة بجوابا لهم فالمعنى هذا يوم جزاء الاعمال وان جعل من كلام الكفار لانهم كانوا يسمعون فى الدنيا انهم يبعثون ويجزون بأعمالهم فالوقف التام على يوم الدين لان هذا يوم الفصل الى آخره من كلام الملائكة جوابا لهم بطريق التوبيخ وقيل هو من كلام بعضهم لبعض فيقول الله للملائكة (احشروا الذين ظلموا) أي رؤساء الكفار من مقامهم الى الموقف (وأزواجهم) أي أخزابهم ونظراءهم من الكفرة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتى على دينهم (وما كانوا يعبدون من دون الله) أي من غيره من الاصنام ونحوها (فاهدوهم الى صراط الجحيم) أي سوقوهم الى طريق جهنم (وقفوهم) أي احبسوهم فى الموقف أو على النار (انهم مسؤلون) عن عقائدهم وأعمالهم وقيل المراد سألتهم خزنة النار بنحو قولهم ألم يأتكم رسل منكم بالبينات قالوا بلى وقرئ بفتح الهمزة على حذف لام العلة أي قفوهم لاجل سؤال الله اياهم وتقول لهم خزنة جهنم (مالكم لاتناصرون) أي أى شئ لكم لاينصر بعضكم بعضا كما كنتم فى الدنيا كما قاله ابن عباس وذلك لان أباجهل قال يوم بدر نحن جميع منتصر فيقال لهم يوم القيامة مالكم غير متناصرين كما كنتم تزعمون فى الدنيا (بل هم اليوم مستسلمون) أي منقادون خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم فى دفع تلك المضار (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) أي يتخاصمون يقول الاتباع غررتمونا ويقول الرؤساء لم قبلتم منا (قالوا) أي الاتباع للرؤساء (انكم كنتم تأتوننا) فى الدنيا (عن اليمين) أي عن القوة والقهر وتقصدوننا عن الغلبة حتى تحملونا على الضلال أو عن الحلف فان أئمة الكفار كانوا قد حلفوا لهؤلاء المستضعفين ان ما يدعونهم اليه هو الحق فوثقوا بأيمانهم (قالوا) أي الرؤساء للاتباع (بل لم تكونوا مؤمنين) أي لم نمنعكم من الايمان بل لم تؤمنوا باختياركم (وما كان لنا عليكم من سلطان) أي من قهر والمعنى فلاقدرة لنا عليكم حتى نقهركم على متابعتنا (بل كنتم قوما طاغين) أي غاوين فى معصية الله تعالى (فحق علينا قول ربنا انا لذائقون) أي فثبت وعيد ربنا انا لذائقوا العذاب والمعنى ان الله تعالى لما أخبر عن وقوعنا فى العذاب فلو لم يحصل وقوعنا فى العذاب لما كان خبر الله حقا ولما كان خبر الله أمرا ثابتا كان الوقوع فى العذاب الاليم لازما ولما حق علينا وعيد ربنا وجب ان نكون ذائقين لهذا العذاب (فأغويناكم انا كنا غاوين) أي انا انما أقدمنا على اغوائكم لانا كنا موصوفين فى أنفسنا بالغواية فلالوم علينا (فانهم) أي الاتباع والمتبوعين (يومئذ) أي يوم القيامة (فى العذاب) أي فى وقوعهم فى العذاب (مشتركون) كما كانوا فى الدنيا مشتركين فى الغواية (انا كذلك) أي كما نفعل بعبدة الاوثان (نفعل بالمجرمين) أي المشركين غير هؤلاء كالنصارى واليهود (انهم كانوا اذا قيل لهم لااله الاالله يستكبرون) أي عبدة الاوثان كانوا اذا قيل لهم قولوا لااله الاالله يتعاظمون عن النطق بكلمة التوحيد وعلى من يدعوهم اليها (ويقولون) فى تكذيب النبوة (أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) أي أئنا لتاركوا عبادة آلهتنا لاجل قول محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان الله تعالى كذبهم فى ذلك الكلام فقال (بل جاء بالحق) أي بل جاء محمد بالدين الحق لانه ثبت بالعقل انه تعالى منزه عن الشريك (وصدق المرسلين) أي وصدق محمد الرسلين فى مجيئه بالتوحيد ونفى الشريك فان التوحيد دين كل الانبياء (انكم)

١ ينظرون وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين) أي يوم نجازى فيه بما عملنا (هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا) أي كفروا (وأزواجهم) أي قرناءهم من الشياطين وأوثانهم (فاهدوهم) أي دلوهم الى النار (وقفوهم) أي احبسوهم (انهم مسؤلون) أي عن أقوالهم وأفعالهم (مالكم لا تناصرون) أي لا ينصر بعضكم بعضا (بل هم اليوم مستسلمون) أي منقادون (وأقبل بعضهم على بعض) يعنى الاتباع والرؤساء (يتساءلون) أي يتخاصمون (قالوا) يعنى الاتباع للرؤساء (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أي من قبل الدين فتضلوننا عنه (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين) أي انما الكفر من قبلكم (فحق علينا) جميعا (قول ربنا) أي كلمة العذاب

بما قدموا من الاشراك وتكذيب الرسول عليه السلام (لذائقوا العذاب الاليم) وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون وقرئ لذائقون العذاب على الاصل (وما تجزون الا ما كنتم تعملون) أى الا بما كنتم تعملونه من السيئات وكأنه قيل فكيف يليق بالرحيم الكريم المتنزه عن النفع والضر أن يعذب عباده فأجاب الله عن ذلك بقوله وما تجزون الخ والمعنى ان الحكم يقتضى الامر بالحسن والنهى عن القبيح ولا يكمل المقصود منهما الا بالترغيب فى الثواب وبالترهيب بالعقاب واذا وقع الاخبار عن ذلك وجب تحقيقه صونا للكلام عن الكذب فلهذا السبب وقعوا فى العذاب (الا عباد الله المخلصين) وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام أى المعصومين من الكفر والباقون بالكسر أى المخلصين للطاعة وهذا استثناء منقطع من ضمير ذائقوا فالمعنى انكم لذائقو العذاب الاليم لكن عباد الله الموحدين المخلصين بالعبادة ليسوا كذلك ثم قال أبو السعود ولا وجه لجعله استثناء من ضمير تجزون على معنى ان الكفرة لا يجزون الا بقدر أعمالهم دون عباد الله المخلصين فانهم يجزون أضعافا مضاعفة اهـ (أولئك) أى المخلصون (لهم رزق معلوم) أى معروف الصفة لكونه مخصوصا بخصائص خلقها الله فيه من طيب طعم ورائحة ولذة طعم وحسن منظر وقيل معنى المعلوم انهم يتيقنون دوام الرزق لا كرزق الدنيا الذى لا يعلم متى يحصل ومتى ينقطع وقيل معناه ان الرزق على قدر يستحقونه بأعمالهم من ثواب الله وكرامته عليهم (فواكه) وهو ما يؤكل لمجرد التلذذ دون الاقتيات لانهم مستغنون عن القوت وهو بدل كل من رزق فالفواكه مساوية للرزق فتشمل الخبز واللحم لانهما يؤكلان فى الجنة تلذذا (وهم مكرمون) عند الله تعالى لا يلحقهم هوان لان الاكل الخالى عن التعظيم يليق بالبهائم (فى جنات النعيم) أى فى جنات ليس فيها الا النعيم (على سرر) مكللة بالدر والياقوت والزبرجد (متقابلين) أى متواجهين فى الزيارة لا يرى بعضهم قفا بعض وفى بعض الاخبار انهم اذا أرادوا القرب سار السرير تحتهم (يطاف عليهم بكأس) أى بخمر أو باناء فيه خمر فالكأس يطلق عليهما (من معين) أى من نهر جار على وجه الارض خارج من العيون (بيضاء) مثل اللبن (لذة للشاربين لا فيها غول) أى ليس فى شربها صداع فى الرأس كما قاله ابن عباس والليث ولا وجع البطن كما قاله قتادة ولا اثم كما قاله الكلبى (ولا هم عنها ينزفون) قرأ حمزة والكسائى بضم الياء وكسر الزاى أى يسكرون والباقون بفتح الزاى أى يذهب عقولهم وعن سيبيه أى بسبب الخمر (وعندهم) فى الجنة (قاصرات الطرف) أى حوار قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم (عين) أى كبار الاعين حسانها (كأنهن) فى الصفاء (بيض) للنعام (مكنون) أى مصون عن الغبرة شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه فى الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة فان ذلك أحسن ألوان الابدان (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) وهذا معطوف على يطاف أى يشربون ويتحادثون على الشراب فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم وعن المعارف (قال قائل منهم) أى من أهل الجنة فى تضاعيف محاوراتهم وهو يهوذا (انى كان لى قرين) أى مصاحب فى الدنيا يقال له نطروس وهما شريكان فى بنى اسرائيل أحدهما مؤمن وهو يهوذا والآخر كافر وهو نطروس (يقول) لى يوبخنى على التصديق بالبعث والقيامة (أئنك لمن المصدقين) بالبعث ويقول تعجبا (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) أى لمحاسبون ومجازون وقرئ المصدقين بتشديد الصاد وقيل كان رجل تصدق بماله لوجه الله تعالى فافتقر فاستجدى بعض اخوانه فقال أين مالك قال تصدقت به ليعوضنى الله تعالى فى الآخرة خيرا منه فقال أئنك لمن المصدقين بيوم الدين أو من المتصدقين لطلب الثواب والله لا أعطيك شيأ فيكون التعرض لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما حينئذ لتأكيد

(الا عباد الله المخلصين) أى المؤمنين (أولئك لهم رزق معلوم) أى بكرة وعشيا وقوله (بكأس من معين) أى خمر يجرى على وجه الارض (بيضاء لذة) أى ذات لذة (لا فيها غول) أى داء ووجع (ولا هم عنها ينزفون) أى لا تذهب بعقولهم (وعندهم قاصرات الطرف) أى نساء لا ينظرن الى غير أزواجهن (عين) أى نجل العيون (كأنهن بيض) أى فى صفاء لونها (مكنون) يستره ريش النعام (فأقبل بعضهم) يعنى أهل الجنة (على بعض يتساءلون) أى عما مر بهم (قال قائل منهم انى كان لى قرين) يعنى للذين قص الله خبرهما فى سورة الكهف كان (يقول) له قرينه (أئنك) ممن يصدق بالبعث والجزاء وقوله (أئنا لمدينون) أى لمجزيون

انكار الجزاء المبنى على انكار البعث (قال) ذلك الرجل الذى هو من أهل الجنة لجلسائه (هل أنتم مطلعون) الى أهل النار لأريكم ذلك القرين فذهب الى بعض أطراف الجنة (فاطلع) عندها الى النار (فرآه فى سواء الجحيم) أى فرأى ذلك الرجل قرينه فى وسط النار (قال) له موبخا (تالله ان كدت لتردين) أى انه أى الشأن قاربت لتهلكنى بدعائك اياى الى انكار البعث والقيامة وقرئ لتغوين أى لتضلنى عن الدين (ولولا نعمة ربى) بالارشاد الى الحق والعصمة عن الباطل (لكنت من المحضرين) فى النار مثلك ثم عاد الى مخاطبة جلسائه من أهل الجنة فقال (أفما نحن بميتين) أى أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين (الا موتتنا الاولى) التى كانت فى الدنيا (وما نحن بمعذبين) وهذا استفهام تلذذ فهو من سؤال بعضهم لبعض لان الذى يتكامل سعادته اذا عظم تعجبه بها قد يقول أيدوم هذا لى أيبقى هذا لى وان كان على يقين من دوامه ثم عند فراغهم من هذه المباحثات يقولون (ان هذا) أى الذى نحن فيه (لهو الفوز العظيم) والوقف هنا تام وقيل هو من قول الله تعالى تصديقا لقولهم وقرئ ان هذا أى الذى ذكر لاهل الجنة لهو الرزق العظيم قال الله تعالى ترغيبا للكاملين فى عمل الطاعات (لمثل هذا فليعمل العاملون) أى لطلب مثل هذه السعادات الحكمية يجب أن يعمل العاملون فليجتهد المجتهدون بالعلم والعبادة (أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم) أى أذلك الرزق المعلوم الذى حاصله اللذة والسرور خير حاصلا أم شجرة الزقوم التى حاصلها الالم والغم أمر الله رسوله أن يورد ذلك على كفار قومه ليصير ذلك زاجرا لهم عن الكفر والمعنى ان الرزق المعلوم ضيافة أهل الجنة وأهل النار ضيافتهم شجرة الزقوم فأيهما خير فى كونه ضيافة وهذا الكلام جىء به على سبيل السخرية بهم لانه لا نسبة لاحدهما الى الآخر فى الخيرية (انا جعلناها) أى شجرة الزقوم (فتنة للظالمين) أى شبهة فى قلوبهم حتى صارت سببا لتماديهم فى الكفر فانهم لما سمعوا ان شجرة الزقوم فى النار قالوا كيف يعقل أن تنبت الشجرة فى النار مع انها تحرق الشجر ولم يعلموا ان خالق النار قادر على أن يمنع النار من احراق الشجر لانه اذا جاز أن يكون فى النار زبانية والله يمنع النار عن احراقهم فلم لا يجوز مثل ذلك فى هذه الشجرة (انها) أى الزقوم (شجرة تخرج فى أصل الجحيم) أى منبتها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها وقرئ نابتة فى أصل الجحيم (طلعها) أى ثمرها (كأنه رؤس الشياطين) فى القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق فى الحسن بالملك فى قوله تعالى حكاية لقول النساء ان هذا الا ملك كريم وذلك ان الناس اعتقدوا فى الملائكة كمال الفضل فى الصورة والسيرة واعتقدوا فى الشياطين نهاية القبح فى الصورة والسيرة فكما حسن التشبيه بالملك عند ارادة تقرير الكمال حسن التشبيه برؤس الشياطين فى قبح النظر كأنه قيل ان أقبح الاشياء فى الخيال هو رؤس الشياطين وقيل ان الشياطين حيات هائلة لها رؤس وأعراف وهى من أقبح الحيات والزقوم اسم شجرة صغيرة الورق دفرة مرة كريهة الرائحة تكون فى تهامة (فانهم) أى الكفار (لآكلون منها) أى من الزقوم (فمالئون منها البطون) لغلبة الجوع أو للقسر على أكلها تكميلا لعذابهم (ثم ان لهم عليها) أى الزقوم بعدما شبعوا منها وغلبهم العطش (لشوبا من حميم) أى لمخلوطا بماء متناه فى الحرارة والمعنى اذا غلبهم العطش الشديد سقوا من الماء الحار فحينئذ يخلط الزقوم بماء حميم فيقطع أمعاءهم نعوذ بالله من ذلك (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) فان الزقوم والحميم ضيافة تقدم ليهم قبل دخولها وقرئ ان مصيرهم ان منقلبهم (انهم ألفوا آباءهم ضالين) أى انهم وجدوهم ضالين فى نفس الامر (فهم على آثارهم يهرعون) أى فهم يتبعون آباءهم على دينهم اسراعا فى سرعة من غير تدبر رأى انما استحقاقهم للوقوع فى تلك الشدائد بتقليد الآباء فى الدين وترك اتباع الدليل (ولقد ضل قبلهم) أى قبل

(قال) الله تعالى لأهل الجنة هل أنتم مطلعون) أى الى النار (فاطلع) المسلم فرأى قرينه الكافر (فى سواء الجحيم) أى وسطها (قال) له (تالله ان كدت لتردين) أى تهلكنى وتضلنى (ولولا نعمة ربى) أى عصمته ورحمته (لكنت من المحضرين) أى فى النار (أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى) يقوله أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت فتقول الملائكة لا فيقولون (ان هذا لهو الفوز العظيم) الآيات (أذلك) الذى ذكرتم من نعيم أهل الجنة (خير أم شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين) أى افتتنوا بها وكذبوا بكونها فصارت فتنة وذلك انهم أنكروا أن تكون فى النار شجرة قال الله تعالى (انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) اى اصلها فى قعر جهنم (طلعها) أى ثمرها (كأنه رؤس الشياطين أى فى القبح وكراهة المنظر (ثم ان لهم عليها) أى على شجرة الزقوم (لشوبا) أى خلطا ومزاجا (من حميم) أى ماء حار (ثم ان مرجعهم) أى مرجع الكفار (لالى الجحيم) أى التى تجمع هذه الاشياء وقوله (يهرعون) أى يزعجون الى اتباعهم

 (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أى أنبياء أنذروهم

وذوى شأن خطير بينوا لهم بطلان ما عليهم فلم يؤمنوا وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فى كفر قومه وتكذيبهم له ليكون له أسوة بمن تقدم من الرسل ليصبر كما صبروا (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) والمقصود من هذا الخطاب خطاب الكفار وان كان فى الظاهر خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم لانهم سمعوا بالاخبار ما جرى على قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (الا عباد الله المخلصين) بفتح اللام أى الذين أخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل وبكسرها أى الذين أخلصوا دينهم لله تعالى وهذا استثناء من قوله تعالى كيف كان عاقبة المنذرين فانها كانت أقبح العواقب فانا أهلكناهم الا عاقبة عباد الله المخلصين فانها كانت مقرونة بالخير والراحة لانا لم نهلكهم أو استثناء من قوله تعالى ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين الا عباد الله المخلصين أى فانهم لم يضلوا الا انهم لم يكذبوا رسلهم (ولقد نادانا نوح) فى أن ننجيه من الغرق أو فى ايذاء قومه وقصدهم لقتله (فلنعم المجيبون) أى فوالله لنعم المجيبون نحن (ونجيناه) أى نوحا (وأهله من الكرب العظيم) أى الحاصل بسبب الخوف من الغرق أو الحاصل من أذى قومه (وجعلنا ذريته هم الباقين) الى يوم القيامة وكان له ثلاث بنين سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو الحبش والبربر والسند ويافث أبو الترك والتتار ويأجوج ومأجوج (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين) أى وتركنا على نوح فى الباقين بعده من الأمم هذه الكلمة وهى سلام على نوح فى العالمين أى يسلمون عليه تسليما ويدعون له بثبوت هذه التحية فى الملائكة والثقلين جميعا على الدوام أى أثبت الله التسليم على نوح وأدامه فى الملائكة والثقلين فيسلمون عليه بكليتهم (انا كذلك نجزى المحسنين) أى انا مثل ذلك الجزاء لكامل نجزى الكاملين فى الاحسان (انه من عبادنا المؤمنين) والمقصود من هذا بيان ان أعظم الدرجات الايمان بالله والانقياد لطاعته (ثم أغرقنا الآخرين) وهم كفار قومه أجمعين (وان من شيعته) أى ممن تابعه فى أصول الدين (لابراهيم) وان اختلف فروع شرائعهما وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح عليهم السلام وكان بين نوح وابراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة (اذ جاء ربه بقلب سليم) أى اذ أقبل ابراهيم الى طاعة ربه بقلب خالص من كل عيب وقال الأصوليون المراد أنه عاش ومات على طهارة القلب من كل دنس المعاصى فيكون سليما عن الشرك والغش والحقد والحسد وعن ابن عباس أنه كان يحب للناس ما يحب لنفسه وسلم جميع الناس من غشه وظلمه (اذ قال لأبيه وقومه) ظرف لجاء أو لسليم وأما العامل فى اذ الاولى فهو ما دل عليه قوله تعالى وان من شيعته من معنى المتابعة (ماذا تعبدون) أى أى شئ تعبدونه (أئفكا آلهة دون الله تريدون) أى أتعبدون آلهة من غير الله لاجل الكذب (فما ظنكم برب العالمين) انه من جنس هذه الاجسام حتى جعلتموها مساوية له فى المعبودية أو انه جوز جعل هذه الجمادات مشاركة له فى العبودية (فنظر نظرة فى النجوم) أى فى علم النجوم وأراد أن يتخلف عنهم فى عيد يخرجون اليه ليبقى خاليا فى بيت الأصنام فيقدر على كسرها ليلزمهم الحجة فى أنها غير معبودة وكان قومه يتعاملون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاملون به ليتركوه ويعذروه فى التخلف عنهم (فقال انى سقيم) أى سأسقم سقم الموت لان من كتب الله عليه الموت يسقم فى الغالب ثم يموت كما قاله الضحاك أو سقيم القلب عليكم لعبادتكم الاصنام وذلك تورية ليتركوه وقيل انه نظر الى نجم طالع فقال ان هذا يطلع مع سقمى وأشار لهم الى مرض يعدى كالطاعون وكانوا يهربون من الطاعون (فتولوا عنه مدبرين) أى فارين مخافة العدوى وتركوه وعذروه فى أن لا يخرج اليوم ذاهبين الى عيدهم فكان ذلك مراده وكانوا فى قرية بين

أى نحن (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) يعنى الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) لان الخلق كلهم أهلكوا الا من كان معه فى سفينته وكانوا من ذريته (وتركنا عليه فى الآخرين) أى فيمن يأتى بعده ثناء حسنا وهو أن يصلى عليه ويسلم وهو معنى قوله (سلام على نوح فى العالمين وان من شيعته) أى أهل دينه وملته (لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم) أى من الشرك (فما ظنكم برب العالمين) قال ابراهيم لقومه وهم يعبدون الأصنام أى شئ ظنكم برب العالمين وأنتم تعبدون غيره (فنظر نظرة) الآية وذلك أنه كان لقومه من الغد عيد يخرجون اليه ويصنعون أطعمتهم بين يدى الاصنام لتبرك عليها على زعمهم فقالوا لابراهيم ألا تخرج معنا الى عيدنا فنظر الى نجم وقال لهم (انى سقيم) وكانوا يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه واعتل فى التخلف عن عيدهم بأنه يعتل وتأول قوله سقيم أى سأسقم (فتولوا عنه مدبرين) أى أدبروا عنه الى عيدهم وتركوه

الكوفة والبصرة يقال طاهر من (فراغ الى آلهتهم) أى ذهب الى الاصنام فى خفية (فقال) استهزاء بها (ألا تأكلون) أى من الطعام الذى كانوا يضعونه عندها للتبرك عليه (ما لكم لا تنطقون) بجواب كلامى (فراغ عليهم ضربا باليمين) أى أقبل عليهم مستخفيا ضاربا اضربا شديدا قويا (فأقبلوا اليه يزفون) أى ابراهيم لما رجعوا من عيدهم الى بيت الاصنام ووجدوها مكسرة فسألوا عن المكسر فظنوا أنه ابراهيم عليه السلام فأتوا به يسرعون المشى وقرأ حمزة يزفون بضم الياء أى يحملون غيرهم على الاسراع فى المشى (قال) لهم ابراهيم أى بعد أن أتوا به عليه السلام وعاتبوه على كسر الاصنام (أتعبدون ما تنحتون) بأيديكم من العيدان والحجارة (والله خلقكم وما تعملون) أى والحال ان الله تعالى خلقكم وخلق معمولكم فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى كان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك (قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم) أى فى النار الشديدة الاتقاد قال ابن عباس بنوا حائطا من حجر طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه نارا فطرحوا سيدنا ابراهيم فيها (فأرادوا به كيدا) أى شرا حرقا بالنار (فجعلناهم الاسفلين) أى الاذلين بابطال كيدهم بجعل النار عليه بردا وسلاما أى ان ابراهيم عليه السلام فى وقت المحاجة حصلت الغلبة له وعندما ألقوه فى النار صرف الله عنه ضرر النار فصار هو الغالب عليهم (وقال) ابراهيم لما انقضت هذه الواقعة (انى ذاهب الى ربى) أى الى مواضع دين ربى وهى أرض الشام فالمراد بالذهاب الى الرب هو الهجرة من الديار (سيهدين) الى ما فيه صلاح دينى فلما هاجر الى الارض المقدسة أراد الولد فقال (رب هب لى من الصالحين) أى ولدا من المرسلين فاستجبناله (فبشرناه) على لسان الملائكة (بغلام) أى بولد ذكر (حليم) أى ذى حلم كثير وهو اسمعيل عليه السلام (فلما بلغ معه السعى) أى فوهبناه فنشأ فلما بلغ رتبة أن يسعى معه فى أشغاله وحوائجه (قال) ابراهيم لاسمعيل عليهما السلام (يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك) أى انى أرى فى المنام ما يوجب ان يذبحك فى اليقظة روى أن ابراهيم رأى ليلة التروية فى منامه كان قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح تروى فى ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثم سمى يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فسمى يوم عرفة ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى يوم النحر (فانظر ماذا ترى) بفتح التاء والراء أى أى شئ تشير الى برأيك وقرأ حمزة والكسائى بضم التاء وكسر الراء أى أى الذى ترى من نفسك الصبر والتسليم وقرئ مبنيا للمفعول أى ماذا تظن ذلك الرؤيا (قال) أى ذلك الغلام (يا أبت افعل ما تؤمر) أى ما أمرت به (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) على قضاء الله وعلى الذبح (فلما أسلما) أى انقاد الامر الله تعالى واتفقا وقال قتادة أسلم ابراهيم ابنه واسمعيل نفسه (وتله للجبين) أى أضجعه على جنبه وجواب لما محذوف أى نادته الملائكة من الجبل يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا يحكى أن ابراهيم لما أراد ذبحه قال يا بنى خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى الشعب نحتطب فلما توسطا شعب ثبير أخبره بما أمر به فقال يا أبت اشدد رباطى فى كى لا أضطرب واكفف عنى ثيابك كى لا ينتضح عليها شئ من دمى فتراه أمى فتحزن واستحد شفرتك وأسرع امرارها على حلقى ليكون أهون على فان الموت شديد واقرأ على أمى سلامى وان رأيت أن ترد قميصى على أمى فافعل فانه عسى أن يكون أسهل لها فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون أنت يا بنى على أمر الله ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم تؤثر شيأ فقال الابن كبنى على وجهى فانك اذا نظرت وجهى رحمتنى وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت فعند ذلك نودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا

آلهتهم فقال) اظهار التشفها وعجزها (ألا تأكلون) من هذه الأطعمة (فراغ) أى قال (عليهم) يضربهم (ضربا باليمين) أى بيده اليمنى (فأقبلوا اليه) أى من عيدهم (يزفون) أى يسرعون (فقال) لهم ابراهيم محتجا (أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون) أى من نحتكم وجميع أعمالكم (قالوا ابنوا له بنيانا) أى حظيرة واملؤه نارا وألقوا ابراهيم فى تلك النار (وأرادوا به كيدا) أى حين قصدوا احراقه بالنار (فجعلناهم الاسفلين) أى المقهورين لانه علاهم بالحجة والنصرة (وقال انى ذاهب الى ربى) أى الى المكان الذى أمرنى بالهجرة اليه (سيهدين) أى يثبتنى على الهدى (رب هب لى ولدا) من الصالحين فبشرناه بغلام حليم) أى سيد يوصف بالحلم (فلما بلغ) ذلك الغلام (معه السعى) أى أدرك معه العمل (قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك) وذلك أنه أمر فى المنام بذبح ولده (فانظر ماذا ترى) أى ما الذى تراه فيما أقول لك هل تستسلم له فاستسلم الغلام و(قال) له (يا أبت افعل ما تؤمر) فلما أسلما أى انقاد الامر الله (وتله للجبين) أى صرعه على أحد جنبيه

فذلك قوله تعالى (وناديناه أن يا ابراهيم) فأن مفسرة (قد صدقت الرؤيا) أي قد أتيت بما أمرت به في المنام وقد حصل المقصود من تلك الرؤيا (انا كذلك نجزي المحسنين) أي كما جزينا ابراهيم وابنه بتفريج الكرب نجزي كل محسن بامتثال الامر (ان هذا) أي الذبح (لهو البلاء المبين) أي لهو المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة أصعب منها (وفديناه بذبح عظيم) أي وفدينا اسمعيل بكبش سمين اسمه جريرو هو الكبش الذي تقرب به هابيل الى الله تعالى فقبله وكان في الجنة يرعى حتى فدى الله تعالى به اسمعيل وقال السدى نودي ابراهيم فالتفت فاذا هو بكبش أملح انحط من الجبل فقام عند ابراهيم فأخذه فذبحه ثم اعتنق ابنه وقال يا بني اليوم وهبت لي وروى أنه لما ذبحه قال جبريل عليه السلام الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله أكبر فقال ابراهيم الله أكبر ولله الحمد فبقي ذلك سنة والفادي في الحقيقة هو ابراهيم فالله هو المعطى له والآمر به (وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم) أي وتركنا على ابراهيم في الباقين من الامم هذه الكلمة والمعنى أثبت الله التسليم على ابراهيم وأدامه في الآخرين فيسلمون عليه أي يدعون له بثبوت هذه التحية (كذلك نجزي المحسنين) أي مثل ذكره الجميل فيما بين الامم نجزي المحسنين بالثناء الحسن (انه) أي ابراهيم (من عبادنا المؤمنين) أي الراسخين في الايمان (وبشرناه) أي ابراهيم (باسحق نبيا من الصالحين) أي مقضيا بنبوته مقدرا نبوته من الصالحين فالصلاح غاية للنبوة (وباركنا عليه وعلى اسحق) أي أبقينا الثناء الحسن على ابراهيم واسحق الى قيام القيامة وأخرجنا جميع أنبياء بني اسرائيل من صلب اسحق (ومن ذريتهما محسن) بالايمان والطاعة (وظالم لنفسه) بالكفر والمعاصي (مبين) أي ظاهر ظلمه (ولقد مننا على موسى وهرون) أي أنعمنا عليهما بمنافع الدنيا كالحياة والعقل والصحة وبمنافع الدين كالعلم والطاعة وأعلى هذه الدرجات النبوة (ونجيناهما وقومهما) وهم بنو اسرائيل (من الكرب العظيم) من الغرق الذي أغرق الله به فرعون وقومه ومن ايذاء فرعون (ونصرناهم) على فرعون وقومه (فكانوا) بسبب ذلك (هم الغالبين) عليهم بظهور الحجة ثم بالرفعة (وآتيناهما الكتاب المستبين) أي البليغ في البيان وهو التوراة فانه كتاب مشتمل على جميع العلوم التي يحتاج اليها في مصالح الدين والدنيا (وهديناهما الصراط المستقيم) أي دللناهما على طريق الحق عقلا وسمعا وأمددناهما بالتوفيق والعصمة (وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون) أي وتركنا عليهما في أمة محمد صلى الله عليه وسلم قولهم سلام على موسى وهرون أي دعاءهم لهما بثبوت هذه التحية (انا كذلك) أي مثل الجزاء الكامل (نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين) وهذا تنبيه على أن الفضيلة الحاصلة بسبب الايمان أعلى من كل الفضائل ولولا ذلك لما حسن ختم فضائل المرسلين كونهم من المؤمنين (وان الياس لمن المرسلين) وهو الياس بن ياسين من ولد هرون أخي موسى عليهم السلام وهو نبي من أنبياء بني اسرائيل قال ابن عباس وهو ابن عم اليسع عليهما السلام (اذ قال لقومه ألا تتقون) عذاب الله (أتدعون بعلا) أي أتعبدون بعلا وهو اسم صنم لأهل بك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة وجوه وكانوا عظموه حتى جعلوا له أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء وكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم أهل بعلبك من بلاد الشام وبعلبك سميت مدينتهم (وتذرون أحسن الخالقين) أي وتتركون عبادة أعظم المصورين (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على البدل والباقون بالرفع على الاستئناف (فكذبوه) أي الياس (فانهم) بسبب تكذيبهم (لمحضرون) النار غدا (الا عباد الله المخلصين) في التوحيد والعبادة وهذا استثناء من الواو في فكذبوه (وتركنا

(وناديناه أن يا ابراهيم) الآية ان هذا لهو البلاء المبين) أي الاختبار الظاهر يعنى حين اختبره بذبح ولده فانقاد وأطاع (وفديناه بذبح عظيم) أي بكبش عظيم لانه قد رعى في الجنة أربعين خريفا وكان الكبش الذي تقبل من ابن آدم (ولقد مننا على موسى وهارون) أي بالنبوة (ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم) يعنى الغرق وقوله (أتدعون بعلا) أي صنما كان لهم (فكذبوه فانهم لمحضرون) أي في النار (الا عباد الله المخلصين) أي من قومه

عليه فى الآخرين سلام على الياسين) أى وتركنا عليه فى الآخرين دعاء ممله بثبوت التسلم قرأنافع وابن عامر ويعقوب بفتح الهمزة ممدودة وكسر اللام على اضافة لفظ آل الى لفظ ياسين والمراد به الياس ابن ياسين كأن الياس آل ياسين والباقون بكسر الهمزة وسكون اللام كما قال ميكال وميكائيل وميكائين فكذا ههنا يقال الياس والياسين كذا قال الزجاج (انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين) الى قومه (اذ نجيناه وأهله) ابنتيه زاعورا وريثا (أجمعين الا عجوزا فى الغابرين) أى الامرأته المنافقة تخلفت مع المتخلفين بالهلاك (ثم دمرنا الآخرين) أى أهلكنا من بقى بعد لوط وابنتيه (وانكم) يا أهل مكة (لتمرون عليهم) أى على قريات قوم لوط سدوم وعمورا وصبورا ودادوما (مصبحين وبالليل) فان أهل مكة كانوا يسافرون الى الشام والمسافر فى أكثر الامر انما يمشى فى الليل وفى أول النهار فلهذا السبب عين الله تعالى هذين الوقتين (أفلا تعقلون) أى أتشاهدون ذلك فليس فيكم عقول تعتبرون به وتخافون ان يصيبكم مثل ما أصابهم (وان يونس لمن المرسلين اذ أبق) أى هرب من قومه بغير اذن ربه (الى الفلك المشحون) أى الى السفينة الموقرة (فساهم) أى قارع فى السفينة (فكان من المدحضين) أى فصار من المغلوبين بالقرعة (فالتقمه الحوت) يقال له نجم (وهو مليم) أى مستحق اللوم (فلولا أنه كان من المسبحين) أى كان يقول فى بطن الحوت لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين أو كان قبل أن التقمه الحوت من المصلين (للبث فى بطنه) أى تلك الحوت (الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء) أى أمرنا الحوت بلفظه بالمكان الخالى عما يغطيه من شجر أو نبت قال جعفر بشاطئ دجلة وقيل بأرض اليمن حكاه ابن كثير روى ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شئ فأسلموا (وهو سقيم) أى مريض صار بدنه كبدن الطفل حين يولد (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) أى من قرع وخص الله القرع لانه يجمع برد الظل ولين الملمس وكبر الورق وان الذباب لا يقربه فان جسد يونس حين ألقى على الارض لم يكن يتحمل الذباب قال مقاتل بن حبان كان يونس عليه السلام يستظل بالشجرة وكانت وعلة تتردد اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشيا حتى اشتد لحمه ونبت شعره (وأرسلناه) الى قوم نينوى وهى قرية من أرض الموصل (الى مائة ألف أو يزيدون) قال ابن عباس ان أو بمعنى الواو وقد قرئ بالواو (فآمنوا) بعد ما شاهدوا أمارات حلول العذاب ايمانا خالصا (فمتعناهم) بالحياة الدنيا (الى حين) أى الى الوقت الذى جعله الله أجلا لكل واحد منهم أى ان أولئك القوم لما آمنوا أزال الله عنهم الخوف وآمنهم من العذاب (فاستفتهم) أى سل بعض أجناس العرب ممن قالوا الملائكة بنات الله كبنى مليح وبنى سلمة وجهينة وخزاعة (ألربك البنات) اللاتى هى أوضع الجنسين (ولهم البنون) الذين هم أرفعهما فان ذلك مما لا يقول به من له أدنى شئ من العقل (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) أى بل أخلقناهم اناثا والحال انهم حاضرون حينئذ (ألا انهم من افكهم) أى كذبهم (ليقولون ولد الله) فعل وفاعل حيث قالوا الملائكة بنات الله وقرئ ولد الله على أنه خبر مبتدأ محذوف أى الملائكة ولد الله (وانهم لكاذبون) فى مقالتهم ذلك كذبا بينا (أصطفى البنات على البنين) بفتح الهمزة وهى استفهام انكار وتقريع أى أأختار الله الاناث على الذكور (ما لكم كيف تحكمون) بهذا الحكم الجائر وهو انهم نسبوا أخس الجنسين الى الله تعالى وأحسنهما اليهم فالاول استفهام انكار عما استقر لهم والثانى استفهام تعجب من هذا الحكم (أفلا تذكرون) أى ألا تلاحظون ذلك فلا تتعظون به (أم لكم سلطان مبين) أى بل ألكم حجة

(سلام على آل ياسين) يعنى الياس وقيل يعنى قومه لانهم ينتسبون الى اتباعه (اذ أبق) أى هرب (الى الفلك المشحون) أى السفينة المملوءة حين ذهب مغاضبا فوقفت السفينة ولم تجر فقارعه أهل السفينة فوقعت عليه القرعة فخرج منها وألقى نفسه فى البحر فذلك قوله (فساهم) أى فقارع (فكان من المدحضين) أى المغلوبين بالقرعة (فالتقمه) أى فابتلعه (الحوت وهو مليم) أى جاء بما يلام عليه (فلولا انه كان من المسبحين) أى من المصلين قبل ذلك (للبث فى بطنه الى يوم) القيامة (فنبذناه) أى طرحناه (بالعراء) يعنى وجه الارض (وهو سقيم) أى عليل كالفرخ الممعط (وأنبتنا عليه) أى عنده (شجرة من يقطين) وهى القرع يستظل بها (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) يعنى بل يزيدون (فآمنوا فمتعناهم الى حين) أى الى انقضاء آجالهم (فاستفتهم) أى فسأل يا محمد أهل مكة (ألربك البنات ولهم البنون) وذلك انهم زعموا أن الملائكة بنات الله (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) أى حاضرون خلقنا اياهم (أصطفى البنات على البنين) أى اتخذ البنات دون البنين فاصطفاها وجعل لكم البنين كقوله أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا الآية (أم لكم سلطان) أى برهان (مبين) على ان

واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بنات الله (فأتوا بكتابكم) الذي دل على صحة دعواكم (ان كنتم صادقين) في دعواكم (وجعلوا بينه) تعالى (وبين الجنة نسبا) أي ان قوما من الزنادقة يقولون الله تعالى وابليس اخوان فالله تعالى هو الحر الكريم وابليس هو الشرير اللئيم ويقولون ابليس مع الله شريك فالله خالق الخير وابليس خالق الشر وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان وأهرمن (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) أي ولقد علمت الشياطين ان الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم بها ولو كانوا شركاء الله في استحقاق العبادة لما عذبهم ثم نزه الله نفسه عما قالوا من الكذب فقال (سبحان الله عما يصفون) أي عما يقولون من الكذب (الا عباد الله المخلصين) أي لكن عباد الله المخلصين لله بالاعتقاد والعبادة فانهم لا يكذبون على الله وينزهون الله تعالى عما يصفه به تعالى الكاذبون وكل من لم يجعل بين الله وبين الجنة مناسبة فهو عند الله مخلص من الشرك (فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم) أي فانكم ومعبوديكم أيها المشركون لستم بفاتنين عليه تعالى بافساد عباده واضلالهم الا أصحاب النار الذي سبق في علم الله كونهم من أهل النار فانهم يصرون على الكفر بسوء اختيارهم وهذا استثناء مفرغ وقرأ العامة صال الجحيم بكسر اللام لانه منقوص حذفت منه لام كلمته لالتقاء الساكنين وقرأ الحسن بضم اللام وسقوط الواو لالتقاء الساكنين ومن موحد اللفظ مجموع المعنى (وما منا الا له مقام معلوم) أنزل الله تعالى هذه الآية حكاية عن قول الملائكة وهي حكاية لاعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم أي وما منا ملك الا له مكان معلوم في العبادة قاله ابن مسعود وابن جبير وقالت عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم ما في السماء موضع قدم الا عليه ملك ساجد أو قائم (وانا لنحن الصافون) في أداء الطاعة ومنازل الخدمة (وانا لنحن المسبحون) أي المنزهون لله تعالى عما لا يليق به تعالى (وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين) أي ان مشركي قريش وغيرهم كانوا يقولون لو ان عندنا كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل لأخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ثم جاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار والكتاب الشاهد على كل الكتب وهو القرآن (فكفروا به فسوف يعلمون) عاقبة هذا الكفر والتكذيب (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) أي وبالله لقد سبق وعدنا لهم وهو (انهم لهم المنصورون) بالحجة (وان جندنا) وهم أتباع المرسلين (لهم الغالبون) على أعدائهم في الدنيا والآخرة ولا يقدح في ذلك انهزامهم في بعض المشاهد فان أساس أمرهم النصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من المحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وقرئ على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت وقرئ كلماتنا (فتول عنهم حتى حين) أي أعرض عن كفار مكة الى مدة يسيرة تؤمر فيها بجهادهم (وأبصرهم) وما يقضى عليهم من القتل والاسر في الدنيا ومن العذاب في الآخرة (فسوف يبصرون) ما يقع عليهم من الأمور (أفبعذابنا يستعجلون) روى انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا على سبيل الاستهزاء متى هذا الموعود فنزل (فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين) أي فاذا نزل العذاب بقربهم فبئس صباح المنذرين صباحهم روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتى خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا

[illegible]

الله (ولقد علمت الجنة) أي الملائكة (انهم لمحضرون) يعني ان الذين قالوا هذا القول انهم لمحضرون في النار (الا عباد الله المخلصين) فانهم ناجون من النار (فانكم وما تعبدون) أي من الأصنام (ما أنتم عليه بفاتنين) أي لا تفتنون أحدا على ما تعبدون ولا تضلونه (الا من هو صال الجحيم) أي الا من هو في معلوم الله أنه يدخل النار (وما منا الا له مقام) هذا من قول الملائكة والمعنى ما منا ملك الا له مقام (معلوم) من السماء يعبد الله هناك (وانا لنحن الصافون) أي في الصلاة (وانا لنحن المسبحون) أي المصلون (وان كانوا ليقولون) أي كان كفار مكة يقولون لو جاءنا كتاب كما جاء غيرنا من الاولين لاخلصنا عبادة الله فلما جاءهم (كفروا به فسوف يعلمون) أي عاقبة كفرهم (ولقد سبقت) الآيات أي تقدم الوعد منا بنصرهم وهو قوله كتب الله لأغلبن أنا ورسلي (فتول عنهم حتى حين) أي حتى تنقضي المدة التي أمهلوا فيها (وأبصرهم) أي انظر اليهم اذا عذبوا (وسوف يبصرون) ما أنكروا (أفبعذابنا يستعجلون) وذلك أنهم كانوا يقولون متى هذا الوعد (فاذا نزل) العذاب (بساحتهم) بفنائهم (فساء صباح المنذرين) أي فبئس ما يصبحون عند ذلك

محمد

محمد والجيش ورجعوا الى حصنهم فقال صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين والصباح هو وقت نزول العذاب وان وقع ليلا وقرئ نزل بتشديد الزاى وبالبناء للمفعول (وتول عنهم حتى حين) أى أعرض عنهم الى يوم بدر أو الى فتح مكة (وأبصر فسوف يبصرون) أى يبصرونك مع ماقدر لك من النصرة (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) وهذه كلمات محتوية على أقصى الدرجات فى معرفة اله العالم فلفظة سبحان تنزيهه عما لا يليق بصفات الالهية والربوبية دالة على كمال الرحمة والحكمة والعزة اشارة الى كمال القدرة وهى دالة على انه تعالى قادر على جميع الحوادث ومنزه عن الشريك والنظير فى الالهية (وسلام على المرسلين) وهذا اللفظ يدل على انهم فى الكمال اللائق بالبشر فاقوا غيرهم فيجب على كل من سواهم الاقتداء بهم (والحمد لله رب العالمين) على نجاة الرسل وسلامة الحال بعد الموت فالله تعالى غنى رحيم والغنى الرحيم لا يعذب

﴿ سورة ص ويقال لها سورة داود مكية وهى ست وثمانون آية وسبعمائة واثنتان وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وتسعة وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ص) قيل انه مفتاح أسماء الله تعالى التى أولها صاد كقولنا صادق الوعد صانع المصنوعات صمد وقيل معناه صدق محمد فى كل ما أخبر به عن الله تعالى (والقرآن ذى الذكر) أى ذى الشرف أو ذى البيان ففيه قصص الأولين والآخرين (بل الذين كفروا) من رؤساء قريش (فى عزة) أى استكبار وامتناع من متابعة الغير (وشقاق) أى اظهار المخالفة على جهة المساواة للمخالف وقرئ فى غرة أى فى غفلة عما يجب عليه التنبيه له من دواعى الايمان (كم أهلكنا من قبلهم) أى قريش (من قرن) أى أمة ماضية (فنادوا) بالاستغاثة عند نزول عذاب لينجوا من ذلك (ولات حين مناص) أى والحال انه ليس الحين حين منجا وغوث (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) أى وعجب قريش من أن جاءهم رسول من جنسهم وأنكروه أشد الانكار فقالوا ان محمدا مساو لنا فى الخلقة الظاهرة والاخلاق الباطنة والنسب فكيف يعقل ان يختص من بيننا بهذا المنصب العالى (وقال الكافرون) أى المتوغلون فى الكفر (هذا) أى محمد (ساحر) فيما يظهره من الخوارق (كذاب) فيما يسنده الى الله تعالى من الارسال والانزال (أجعل الآلهة الها واحدا) بأن نفى الالوهية عنهم وقصرها على واحد (ان هذا) أى القول بالوحدانية (لشئ عجاب) أى بليغ فى التعجب روى انه لما أسلم عمر فرح به المسلمون فرحا شديدا وشق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى أبى طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت مافعل هؤلاء السفهاء فجئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا يسألوننى قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان أعطيتكم ما سألتم أتعطونى أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا أجعل الآلهة الها واحدا كيف يكفينا اله واحد فى حوائجنا كما يقول محمد ان هذا الشئ عجاب وقرئ عجاب بالتشديد (وانطلق الملأ منهم) أى انطلق الرؤساء من قريش عتبة بن أبى معيط وأبو جهل والعاصى بن وائل والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث عن مجلس أبى طالب (أن امشوا) وقرأ ابن أبى عبلة بحذف أن أى قال بعضهم لبعض اذهبوا (واصبروا على آلهتكم) أى اثبتوا على عبادة آلهتكم (ان هذا الشئ

﴿ تفسير سورة ص ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ص) صدق الله (والقرآن ذى الذكر) أى ذى الشرف (بل الذين كفروا فى عزة) أى امتناع من الدين (وشقاق) أى خلاف وعداوة (كم أهلكنا) هذا جواب القسم واعترض بينهما قوله بل الذين كفروا فى عزة وشقاق (فنادوا) أى بالاستغاثة عند البلاء (ولات حين مناص) أى وليس حين منجا وفوت (وعجبوا) يعنى أهل مكة (أن جاءهم منذر منهم) محمد صلى الله عليه وسلم (أجعل الآلهة الها واحدا) وذلك أنهم اجتمعوا عند أبى طالب يشكون اليه محمدا فقال النبى صلى الله عليه وسلم انى أدعوكم الى كلمة التوحيد لا اله الا الله فقالوا كيف يسع الخلق كلهم اله واحد (ان هذا) الذى تقوله (لشئ عجاب) أى عجب (وانطلق الملأ منهم) أى نهضوا من مجلسهم ذلك يقول بعضهم لبعض (امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا) الذى يقوله محمد (لشئ

يراد) أي ان نفي آلهتنا الشيء يراد من جهة محمد ليستولي علينا فيحكم في أموالنا وأولادنا بما يريد وأوان الصبر على عبادة الآلهة شيء يراد أن لا تنفك عنه (ماسمعنا بهذا) أي التوحيد (في الملة الآخرة) أي في ملة عيسى عليه السلام كما قاله ابن عباس ومحمد بن كعب أو في ملة قريش كما قاله مجاهد أي ماسمعنا عن اسلافنا القول بالتوحيد (ان هذا الا اختلاق) أي ماهذا الذي يقوله محمد الا اختلاق من عند نفسه (أأنزل عليه الذكر من بيننا) أي أأنزل على محمد القرآن ونحن رؤساء الناس واشرافهم فكيف يعقل أن يختص هو بهذه الدرجة العالية (بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب) أي انكار كفار مكة للقرآن ليس عن علم بل هم في شك منه وسببه انهم لم يذوقوا عذابي فانهم لو ذاقوه لأيقنوا بالقرآن وآمنوا به وتصديقهم لا ينفعهم حينئذ لانهم صدقوا مضطرين (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) أي بل أعندهم خزائن رحمة ربك من النبوة والكتاب فيعطونهما من شاؤا بمقتضى آرائهم والمعنى ان النبوة منصب عظيم عطية من الله تعالى فالقادر على هبتها يجب أن يكون كامل القدرة عظيم الجود فلم تتوقف هبته لهذه النعمة على كون الموهوب منه غنيا أو فقيرا ولم يختلف ذلك بسبب ان أعداءه يحبونه أو يكرهونه فهو تعالى الغالب الذي لا يغلب وهو الوهاب فله أن يهب كل مايشاء لمن يشاء (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) أي بل ألهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتحكموا في التدابير الالهية لتي ينفرد بها رب العزة (فليرتقوا في الأسباب) أي ان كان لهم ذلك الملك فليصعدوا في طرق السموات التي يتوصل بها الى العرش حتى يدبروا أمر العالم وينزلوا الوحي على من يختارون (جند ماهنالك مهزوم من الاحزاب) وجند خبر مبتدا محذوف وما مزيدة للتحقير أو صفة له وهنالك ظرف لمهزوم ومهزوم صفة ثانية لجند ومن الاحزاب صفة ثالثة لجند أي هم جند ضعيفون من المتحزبين على رسول الله سيصيرون منهزمين في الموضع الذي ذكروا فيه تلك الكلمات وذلك الموضع هو مكة وذلك الانهزام يوم فتح مكة فكيف يكونون مالكي السموات والارض وما بينهما ومن أين لهم التصرف في الامور الربانية (كذبت قبلهم) أي قبل قومك ياأكرم الرسل (قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد) كان ينصب الخشب في الهواء وكان يمد يدي المعذب ورجليه الى تلك الخشب الاربع ويضرب على كل واحد من هذه الاعضاء وتدا ويتركه في الهواء الى أن يموت وقال مجاهد كان يمد المعذب مستلقيا بين أربعة أوتاد في الارض يشد رجليه ويديه ورأسه على الارض بالاوتاد قال السدي ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل ان عساكره كانوا كثيرين وكانوا كثيري الاهبة عظيمي النعم وكانوا يكثرون من الاوتاد لاجل الخيام فعرف بها (وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة) أي الاشجار المجتمعة من قوم شعيب عليه السلام (أولئك الاحزاب) أي الذين تحزبوا على أنبيائهم عليهم السلام (ان كل الا كذب الرسل) أي ما كل حزب منهم الا كذب الرسل كما كذبك قومك (فحق عقاب) أي فوقع على كل منهم عقابي فأهلك الله قوم نوح بالغرق والطوفان وقوم هود بالريح وفرعون مع قومه بالغرق وقوم صالح بالصيحة وقوم لوط بالخسف وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة (وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة) أي وما ينتظر كفار مكة ان كذبوك الا نفخة ثانية (مالها من فواق) أي من توقف وقرأ حمزة والكسائي بضم الفاء (وقالوا ربنا) بطريق الاستهزاء

النبوة فإذا الله تعالى (بل هم في شك من ذكري) أي وحيي (بل لما يذوقوا عذابي) ولو ذاقوه لأيقنوا وصدقوا (أم عندهم خزائن رحمة ربك) أي مفاتيح النبوة حتى يعطوا النبوة من اختاروا (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) يعني ان ذلك لله فيصطفي من يشاء (فليرتقوا في الأسباب) أي ان ادّعوا شيأ من ذلك فليصعدوا فيها يوصلهم الى السماء وليأتوا منها بالوحي الى من يختارون ثم وعد نبيه صلى الله عليه وسلم بالنصر فقال (جند ما هنالك) أي هم جند هنالك (مهزوم) أي مغلوب (من الأحزاب) كالقرون الماضية الذين قهروا وأهلكوا وهذا اخبار عن هزيمتهم ببدر ثم عزى نبيه صلى الله عليه وسلم فقال (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد) أي ذو الملك الشديد (ان كل) أي ما كل من هؤلاء (الا كذب الرسل فحق) أي فوجب (عقاب وما ينظر) أي ينتظر (هؤلاء) يعني كفار مكة (الا صيحة واحدة) وهي نفخة القيامة (مالها من فواق) أي رجوع ومرد (وقالوا ربنا) الآية لما نزل قوله فأما من أوتي كتابه بيمينه وأما من أوتي كتابه بشماله قالوا ربنا (عجل لنا قطنا) أي كتابنا عند

الا قبل يوم الحساب) وقوله (داود ذا الايد) أي ذا القوة على العبادة (انه أواب) أي رجاع الى الله تعالى (انا سخرنا الجبال معه يسبحن)
أي يجاوبنه بالتسبيح (بالعشي والاشراق) يعني الضحى (والطير) أي وسخرنا الطير (محشورة)
أي مجموعة (كل له) أي لداود (أواب) أي مطيع يأتيه ويسبح معه (وشددنا ملكه) أي بالحرس وكانوا ثلاثة وثلاثين ألف رجل يحرسون كل ليلة محرابه (وآتيناه الحكمة) أي الاصابة في الأمور (وفصل الخطاب) بيان الكلام والتبصر في القضاء وهو الفصل بين الحق والباطل (وهل أتاك نبأ الخصم) يعني الملكين اللذين تصورا في صورة خصمين من بني آدم (اذ تسوروا المحراب) أي علوا فوق غرفة داود عليه السلام (اذ دخلوا على داود ففزع منهم) لانهما دخلا بغير اذن في غير وقت دخول الخصوم ف(قالوا لا تخف خصمان) أي نحن خصمان (بغى بعضنا على بعض) أي ظلم بعضنا بعضا (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أي ولا تجر (واهدنا الى سواء الصراط) أي الى طريق الحق (ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة) يعني امرأة (ولي نعجة واحدة) أي امرأة واحدة (فقال أكفلنيها) أي انزل لي عنها واجعلني أنا أكفلها (وعزني في الخطاب) أي

عند سماعهم بتأخير عقابهم الى الآخرة (عجل لنا قطنا) أي حظنا من العذاب الذي توعدنا به (قبل يوم الحساب) ولا تؤخره الى يوم الحساب الذي مبدؤه النفخة الثانية وقيل انهم قالوا ذلك حين ذكر الله في كتابه فأما من أوتي كتابه بيمينه وأما من أوتي كتابه بشماله فالمعنى عجل لنا صحيفة أعمالنا قبل يوم الحساب لننظر ما فيها ولنعلمه وقيل لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله تعالى المؤمنين بالجنة فقالوا ذلك على سبيل السخرية فالمعنى عجل لنا نصيبنا من الجنة التي تقول في الدنيا وذلك لانهم كانوا في غاية لانكار القول بالنشر والحشر ولما بالغوا في السفاهة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره الله تعالى بالصبر على سفاهتهم فقال (اصبر على ما يقولون) من أمثال هذه المقالات الباطلة والوقف هنا تام (واذكر عبدنا داود ذا الايد) أي ذا القوة على أداء الطاعة وعلى الاحتراز عن المعاصي (انه أواب) أي رجاع في أموره كلها الى طاعتنا (انا سخرنا الجبال معه) بطريق الاقتداء به في عبادة الله تعالى (يسبحن بالعشي والاشراق) أي يقدسن الله تعالى بخلق الله تعالى فيها الكلام فكان داود يسبح عقب صلاته عند طلوع الشمس وعند غروبها (والطير محشورة) أي وسخرنا الطير محشورة قال ابن عباس رضي الله عنهما كان داود اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت معه واجتماعها اليه هو حشرها فيكون حاشرها هو الله وقرئ والطير محشورة بالرفع على الابتداء والخبرية (كل له أواب) أي كل واحد من الجبال والطير حال تسبيح داود رجاع الى التسبيح أي كلما رجع داود الى التسبيح جاوبته وبهذا اللفظ فهمنا دوام تلك الموافقة (وشددنا ملكه) بالهيبة وكثرة الجنود عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يحرسه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل فاذا أصبح قيل ارجعوا فقد رضي عنكم نبي الله وعن عكرمة عن ابن عباس ان رجلا ادعى عند داود على رجل أخذ منه بقرة فأنكر المدعى عليه فقال داود للمدعي أقم البينة فلم يقمها فرأى داود في منامه ان الله يأمره أن يقتل المدعى عليه فتأخر داود وقال هو منام فأتاه الوحي بعد ذلك في اليقظة فأحضر المدعى عليه وأعلمه ان الله أمره بقتله فقال صدق الله اني كنت قتلت أبا هذا الرجل غيلة فقتله داود فقال الناس ان أذنب أحد ذنبا أظهره الله عليه فهابوه وعظمت هيبته في القلوب فهذه الواقعة شددت ملكه (وآتيناه الحكمة) أي النبوة وكمال العلم واتقان العمل (وفصل الخطاب) أي فصل الخصام تمييز الحق عن الباطل (وهل أتاك نبأ الخصم) أي خبر خصم داود (اذ تسوروا المحراب) أي اذ أتوا البيت الذي كان داود يدخل فيه ويشتغل بطاعة ربه من أعلاه أي تصعدوا حائطه المرتفع (اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان) روي ان جماعة من الاعداء طمعوا في ان يقتلوا نبي الله داود عليه السلام وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشتغل بطاعة ربه فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوروا المحراب فلما دخلوا عليه وجد عنده أقواما يمنعونه منهم فخافوا فوضعوا كذبا فقالوا خصمان أي نحن فريقان الى آخر القصة فعلم عليه السلام غرضهم وهم بأن ينتقم منهم (بغى بعضنا) أي تطاول (على بعض) جئناك لتقضي بيننا (فاحكم بيننا بالحق) أي بالامر الذي يطابق الحق (ولا تشطط) أي لا تجر في الحكومة (واهدنا الى سواء الصراط) أي دلنا الى وسط طريق الحق (ان هذا أخي) في الدين أو في الصحبة (له تسع وتسعون نعجة) أي أنثى من الضأن (ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها) أي اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي (وعزني في الخطاب) أي غلبني في الكلام بأن جاء بحجاج علي في الاحتجاج لانه أقوى مني وأقدر على النطق وهذا القول من الملكين على التمثيل لا على التحقيق كأن القائل منهما قال نحن كخصمين هذه حالهما فلما قال هذا أحد الخصمين اعترف له الآخر

لم أقدر على رده وقرئ وعازنى أى غالبنى (قال) داود (لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) أى والله لقد ظلمك أخوك بسؤال اضافة نعجتك الى نعاجه (وان كثيرا من الخلطاء) أى الشركاء الذين خلطوا أموالهم (ليبغى بعضهم) أى ليتعدى (على بعض) فلم يراع حق الصحبة والشركة (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) منهم فانهم يتحامون عن الظلم (وقليل ماهم) أى وهم قليل وما مزيدة للتعجب من قلتهم (وظن داود أنما فتناه) وما كافة زائدة أى وظن داود انا فتناه بهذه الواقعة لانها جارية مجرى الامتحان فتنبه عليه السلام لذلك (فاستغفر ربه) مما هم به من الانتقام منهم وقيل ان دخولهم على داود كان فتنة له الا انه عليه السلام استغفر لذلك الداخل العازم على قتله وقيل ان أوريا كان قد خطب المرأة فأجابوه ثم خطبها داود فى حال غيبة أوريا فى غزاته فزوجت نفسها منه عليه السلام لجلالته وعلى هذا المعنى وعزنى فى الخطاب أى غلبنى فى خطبة المرأة وقيل كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا ان يطلق امرأته حتى يتزوجها اذا أعجبته وكان داود عليه السلام مازاد على قوله لاوريا انزل لى عن امرأتك وذلك انه وقع بصره على تلك المرأة من غير قصد فأحبها ومال قلبه اليها فسأل زوجها لنزول عنها فاستحيا ان يرده عليه السلام ففعل فتزوجها وهى أم سليمان وكان ذلك جائزا فى شريعته معتادا فيما بين الناس غير مخل بالمروءة وعلى هذا فمعنى أكفلنيها انزل لى عن تلك النعجة الواحدة واعطنيها فعوتب داود بشيئين أحدهما خطبته على خطبة أخيه المؤمن والثانى اظهار الحرص على التزوج مع كثرة نسائه وهذا وان كان جائزا فى الشريعة الا انه لا يليق بجنابه عليه السلام فان حسنات الابرار سيئات المقربين وقيل ان ذنب داود الذى استغفر منه ليس بسبب أوريا والمرأة وانما هو بسبب قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فلما كان هذا الحكم مخالفا للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة فثبت بهذه الوجوه نزاهة داود عليه السلام مما نسب اليه من الكبائر وانما يلزم فى حقه ترك الافضل والاولى والله أعلم وكان داود استغفر ربه منه (وخر راكعا) أى سقط داود للسجود مصليا فكأنه أحرم بركعتى الاستغفار (وأناب) أى أقبل الى الله تعالى بالتوبة وروى أنه عليه الصلاة والسلام بقى ساجدا أربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه الا لصلاة مكتوبة أولما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب منه الى رأسه ولا يشرب ماء الا ثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى فى العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه فاجتمع اليه أهل الزيغ من بنى اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه قال الحسن وكان داود عليه السلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وقال ثابت كان داود اذا ذكر عقاب الله انخلعت أوصاله فلا يشدها الا الاسار واذا ذكر رحمة الله تراجعت (فغفرنا له ذلك) أى ما استغفر منه (وان له عندنا لزلفى) أى لقربة فى الدرجات بعد المغفرة (وحسن مآب) أى حسن مرجع فى الجنة (يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض) أى نبيا ملكا على بنى اسرائيل نافذ الحكم عليهم (فاحكم بين الناس بالحق) أى بالعدل لان الاحكام اذا كانت مطابقة للشريعة الحقية الالهية انتظمت مصالح العالم واتسعت أبواب الخيرات على أحسن الوجوه اما اذا كانت أحكام السلطان القاهر على وفق هواه ولطلب مصالح دنياه عظم ضرره على الخلق فانه يجعل الرعية فداء لنفسه وذلك يفضى الى تخريب العالم ووقوع الهرج والمرج فى الخلق وذلك يفضى الى هلاك الملك (ولا تتبع الهوى) أى هوى النفس فى الحكومات وغيرها من أمور الدين والدنيا (فيضلك عن سبيل الله) أى ان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله وهو يوجب سوء العذاب لان الهوى يدعو الى الاستغراق فى اللذات الجسمانية

(قال) داود (لقد ظلمك بسؤال نعجتك) أى بسؤاله اياك نعجتك أى امرأتك أن يضمها (الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء) أى من الشركاء (ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم) وقليل هم ما (وظن) أى وعلم (داود) عند ذلك (انما فتناه) أى ابتليناه بتلك المرأة التى أحب أن يتزوجها ثم تزوجها بعد قتل زوجها (فاستغفر ربه) عما فعل وهو محبته أن يتزوج امرأة من له امرأة واحدة وله تسع وتسعون امرأة (وخر) سجد (راكعا) للسجود بعد ما كان راكعا (وأناب) رجع الى الله بالتوبة (فغفرنا له ذلك وان له عندنا) بعد المغفرة (لزلفى) أى قربة (وحسن مآب) أى مرجع (يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض) أى عمن قبلك من الانبياء وقوله (بما نسوا يوم الحساب) أى تركوا الايمان به والعمل له

وهو يمنع من الاشتغال فى طلب السعادات الروحانية (ان الذين يضلون عن سبيل الله) أى عن الايمان بالله وعن طاعة الله (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أى بنسيانهم يوم الحساب أى بتركهم الايمان بذلك اليوم وتركهم العمل لذلك اليوم (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) أى عبثا جزافا بلا أمر ولا نهى وهذه الآية تدل على كونه تعالى خالقا للاعمال لانها حاصلة بين السماء والارض فوجب أن يكون الله تعالى خالقها وهذه الآية تدل ايضا على الحشر والنشر والقيامة وذلك لانه تعالى خلق الخلق فى هذا العالم فاما ان يقال انه تعالى خلقهم لا للانتفاع ولا للاضرار فهذا باطل لان هذه الحالة حاصلة حين كانوا معدومين أو للاضرار فهذا باطل لان ذلك لا يليق بالرحيم الكريم أو للانتفاع وذلك اما أن يكون فى حياة الدنيا أو فى حياة الآخرة فان كان الانتفاع فى حياة الدنيا فهو باطل لان منافع الدنيا قليلة ومضارها كثيرة وتحمل المضار الكثيرة للمنفعة القليلة لا يليق بالحكمة فثبت القول بوجود حياة أخرى بعد الحياة الدنيوية وذلك هو القول بالحشر والنشر والقيامة فثبت بما ذكرنا انه تعالى ما خلق السماء والارض وما بينهما باطلا واذا لم يكن خلقهما باطلا كان القول بالحشر والنشر لازما وكل من أنكر القول بالحشر والنشر كان شاكا فى حكمة الله تعالى فى خلق السماء والارض وهذا هو المراد من قوله تعالى (ذلك) أى خلق ما ذكر لا لاجل الامر والنهى ولا لاجل الثواب والعقاب (ظن الذين كفروا) بأمر البعث والجزاء (فويل للذين كفروا من النار) أى فشدة العذاب للذين كفروا بالبعث بعد الموت بسبب النار المترتبة على ظنهم أن لا بعث ولا حساب وذلك نفى لحكمة الله تعالى فى خلق السماء والارض وفى أمره تعالى ونهيه (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض) أى بل أنجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين فى أقطار الارض كما يقتضيه عدم البعث والجزاء لاستواء الفريقين فى التمتع بالحياة الدنيا بل الكفرة أوفر حظا منها من المؤمنين لكن ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الاولين الى أعلى عليين ورد الآخرين الى أسفل سافلين (أم نجعل المتقين كالفجار) أى بل أنجعل أتقياء المؤمنين كعلى بن أبى طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحرث كأشقياء الكفرة كعتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة وهم الذين بارزوا يوم بدر عليا وحمزة وعبيدة فقتل على الوليد بن عتبة وقتل حمزة عتبة بن ربيعة وقتل عبيدة شيبة بن ربيعة قيل نزلت هذه الآية لما قال كفار مكة للمؤمنين انا نعطى فى الآخرة من الخير مثل ما تعطون وتقرير هذه الآية انا نرى فى الدنيا من أطاع الله واحترز عن معصيته فى الفقر والزمانة وأنواع البلاء ونرى الكفرة والفساق فى الراحة والغبطة فلو لم يكن حشر ونشر ومعاد كان حال المطيع أدون من حال العاصى وذلك لا يليق بحكمة الحكيم الرحيم واذا كان ذلك قادحا فى الحكمة ثبت ان انكار الحشر والنشر يوجب انكار حكمة الله تعالى (كتاب) أى هذا قرآن (أنزلناه اليك) صفة لكتاب (مبارك) أى كثير المنافع الدينية والدنيوية خبر مبتدا مضمر وقرئ مباركا على الحال اللازمة لان البركة لا تفارقه (ليدبروا آياته) أى ليتفكروا فى معانيها اللطيفة وفى أسرارها العجيبة (وليتذكر أولوا الالباب) أى وليتعظ به ذوو العقول السليمة فان من لم يتدبر ولم يساعده التوفيق الالهى لم يقف على الاسرار العجيبة المذكورة فى هذا القرآن العظيم (ووهبنا لداود سليمان) من المرأة التى أخذها من أوريا (نعم العبد) أى سليمان (انه) أى سليمان (أواب) أى رجاع الى الله تعالى بالتوبة مقبل الى طاعة الله (اذ عرض عليه بالعشى) أى بعد الظهر (الصافنات) أى الخيل التى تقوم على طرف سنبك يد أو رجل (الجياد) أى سراع الجرى وعن ابراهيم التيمى انها عشرون ألف فرس (فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى) أى انى ألزمت حب الخيل لاجل كتاب ربى وهو التوراة فان معنى الخير هو المال الكثير والمراد به هنا الخيل

(وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) الالاصح صحيح وهو الدلالة على قدرة خالقها وتوحيده وعبادته وقوله (الصافنات الجياد) يعنى الخيل القائمة على ثلاثة قوائم وقد أقام الاخرى على طرف الحافر (فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى) أى آثرت حب الخير يعنى الخيل على ذكر الله عز وجل

(حتى توارت بالحجاب) أى استترت الصافنات عن النظر (ردوها) أى الصافنات (علىّ فطفق مسحا بالسوق والاعناق) أى فردوها عليه فأخذ سليمان عليه السلام يمسح سوقها وأعناقها وذلك ان رباط الخيل كان مندوبا اليه فى دينهم كما أنه كذلك فى دين محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان سليمان عليه السلام احتاج الى الغزو فجلس وأمر باحضار الخيل وأمر باجرائها وذكر انى لا أحبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما أحبها لامر الله وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله عن ذكر ربى ثم انه عليه السلام أمر بتسييرها حتى غابت عن بصره وهو معنى قوله حتى توارت بالحجاب ثم انه أمر الرائضين بأن يردوا تلك الخيل اليه فلما عادت اليه شرع يمسح سوقها وأعناقها تشريفا لها لكونها من أعظم الاعوان فى دفع العدو ولانه أراد أن يظهر انه يتضع حيث يباشر أكثر الامور بنفسه وانه يضبط السياسة والملك ولانه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها فكان يمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال سليمان لاطوفن الليلة على سبعين امرأة كل امرأة تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله تعالى فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجىء به على كرسيه فوضع فى حجره فوالذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون قال العلماء والشق هو الجسد الذى ألقى على كرسيه حين عرض عليه وهى محنته وقيل ان فتنة سليمان انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش صار مسلطا علينا مثل أبيه فسبيلنا أن نقتله فعلم سليمان ذلك فأمر السحاب فحمله فكان يربيه فى السحاب فبينما هو مشتغل بمهماته اذ ألقى ذلك الولد ميتا على كرسيه فتنبه على خطئه فى انه لم يتوكل فيه على الله وقيل انه أصابه مرض شديد فصار يجلس على كرسيه وهو مريض وفتنته هو مرضه ولشدة المرض ألقاه الله على كرسيه والعرب تقول فى الضعيف انه لحم على وضم وجسم بلا روح ولما توفى سليمان بعث بخت نصر فأخذ الكرسى فحمله الى انطاكية فأراد ان يصعد عليه ولم يكن له علم كيف يصعد عليه فلما وضع رجله ضرب الاسد رجله فكسرها وكان سليمان اذا صعد وضع قدميه جميعا ومات بخت نصر وحمل الكرسى الى بيت المقدس فلم يستطع قط ملك ان يجلس عليه (ثم أناب) أى رجع الى حال الصحة أو تاب من خطئه (قال رب اغفر لى) أى ما صدر عنى من الزلة وهو ترك الافضل والاولى لان حسنات الابرار سيئات المقربين وطلب المغفرة دأب الانبياء والصالحين هضما للنفس واظهارا للذل والخشوع وطلبا للترقى فى المقامات (وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى) أى غيرى بحيث لا يقدر أحد على معارضته ليكون معجزة لى لان شرط المعجزة ان لا يقدر أحد على معارضتها فكان المراد أقدرنى على أشياء لا يقدر عليها غيرى البتة ليصير اقتدارى عليها معجزة تدل على صحة نبوتى ورسالتى (انك أنت الوهاب) بالملك والنبوة لمن شئت (فسخرنا له الريح) أى فذللناها لطاعته اجابة لدعوته (تجرى بأمره) اياها (رخاء) أى لينة فى أثناء سيرها أما فى أوله فهى عاصفة (حيث أصاب) الى أى موضع قصده وأراد (والشياطين) عطف على الريح (كل بناء) يبنون له ما شاء من الابنية وهو بدل من الشياطين (وغواص) فى قعر البحر فيستخرجون اللؤلؤ (وآخرين مقرنين فى الاصفاد) أى مسلسلين فى أغلال الحديد وهم المردة من الشياطين الذين لا يبعثهم الى عمل الا انقلبوا (هذا) أى الملك (عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) لكثرته قال ابن عباس رضى الله عنهما اعط من شئت وامنع من شئت أى غير محاسب على منك وامساكك أى ليس عليك حرج فيما أعطيت وفيما أمسكت من الامر الذى أعطيناكه وقيل المعنى هذا أى تسخير الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين فخل سبيلهم من الغل أو احبس من شئت فى الغل من غير أن

(... والأعناق) أى ... ولم يفعل ذلك الا باباحة الله تعالى له ذلك (ولقد فتنا سليمان) أى ابتليناه (وألقينا على كرسيه جسدا) أى شيطانا تصور فى صورته وذلك انه تزوج امرأة وهو يهواها وعبدت هى الصنم فى دار سليمان بغير علمه فنزع الله ملك سليمان أياما وسلط شيطانا على مملكته ثم تاب سليمان وأعاد الله عليه ملكه فسأل الله تعالى أن يهب له ملكا يدل على أنه غفر له ورد عليه ما نزع منه وهو قوله (هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى) وقوله (رخاء) أى لينة (حيث أصاب) أى أراد وقصد يعنى سليمان (والشياطين) الآية أى وسخرنا له (كل بناء) من الشياطين يبنون له (وغواص) يغوصون فى البحر يستخرجون ما يريد (وآخرين مقرنين فى الأصفاد) وسخرنا له مردة الشياطين حتى قرنهم فى السلاسل من الحديد وقلنا له (هذا) الذى أعطيناك (عطاؤنا فامنن) أى اعط (أو أمسك بغير حساب) عليك فى اعطائه ولا امساكه وهذا مما خص به النبى صلى الله عليه وسلم وقوله

يحاسب وتأثم بذلك (وان له عندنا) في الآخرة (لزلفى) أي قرب عظيمة (وحسن مآب) وهو الجنة (واذكر عبدنا أيوب) بن عيص بن اسحق عليه السلام (اذ نادى ربه أني مسني الشيطان) اسمه مبسوط (بنصب) أي بلاء (وعذاب) أي وسوسة والقاء الخواطر الفاسدة روي ان ابليس سأل ربه فقال هل في عبيدك من لو سلطتني عليه يمتنع مني فقال الله نعم عبدي أيوب فجعل يأتيه بوساوسه وهو يرى ابليس عيانا ولا يلتفت اليه فقال يارب انه قد امتنع علي فسلطني على ماله فكان الشيطان يجيئه ويقول له هلك من مالك كذا وكذا فيقول الله أعطى والله أخذ ثم يحمد الله تعالى فقال الشيطان يارب ان أيوب لا يبالي بماله فسلطني على ولده فجاء اليه وزلزل الدار فهلك أولاده بالكلية وأخبره به فلم يلتفت اليه فقال يارب أيوب لا يبالي بولده فسلطني على جسده فأذن فيه فنفخ في جلد أيوب فحدثت أسقام عظيمة وآلام شديدة فيه فمكث في ذلك البلاء سنين حتى صار بحيث استقذره أهل بلده فخرج الى الصحراء وما كان يقرب منه أحد فجاء الشيطان الى امرأته ليا بنت يعقوب عليه السلام وقال ان زوجك ان استغاث بي خلصته من هذا البلاء فذكرت المرأة ذلك لزوجها فحلف بالله لئن عافاه الله تعالى ليجلدنها مائة جلدة وحين كان الألم على الجسد لم يذكر أيوب شيأ فلما عظمت الوساوس خاف على القلب والدين فتضرع ومن الوساوس ان الشيطان كان يذكره النعم التي كانت والآفات التي حصلت ومنها انه كان يقنطه من ربه ويزين له ان يجزع فشق ذلك عليه عليه السلام فتضرع الى الله تعالى وقال أني مسني الشيطان بنصب وعذاب فانه كلما كانت تلك الخواطر أكثر كان ألم قلبه منها أكثر فأجاب الله دعاءه وأوحى اليه بقوله تعالى (اركض) أي اضرب (برجلك) الارض فضرب بها فنبعت عين فقيل له (هذا مغتسل بارد) أي ماء تغتسل به فيبرأ ظاهرك (وشراب) أي وتشرب منه فيبرأ باطنك أي ان الله تعالى أظهر من تحت رجل أيوب عينا باردة طيبة فاغتسل وشرب منها فأذهب الله عنه كل داء في ظاهره وباطنه ورد عليه أهله وماله كما قال تعالى (ووهبنا له أهله) باحيائهم بعد هلاكهم كما قاله الحسن أو بجمعهم بعد تفرقهم كما قيل (ومثلهم معهم) فكان له من الاولاد ضعف ما كان له قبل (رحمة منا) أي لاجل رحمة عظيمة عليه على سبيل الفضل منا لا على سبيل اللزوم (وذكرى لأولي الالباب) أي ولتذكير أصحاب العقول بحاله عليه السلام ليصبروا على الشدائد كما صبر ويلجؤا الى الله تعالى كما لجأ ليظفروا كما ظفر (وخذ بيدك) يا أيوب (ضغثا) أي قبضة من سنبل فيها مائة سنبلة مختلطة الرطب باليابس (فاضرب به) أي امرأتك رحمة بنت يوسف الصديق لانه قد حلف ليضربنها مائة ضربة لانه لقيها ابليس في صورة طبيب فدعته الى مداواة أيوب فقال أداويه على أنه اذا برئ قال أنت شفيتني لا أريد جزاء سواه قالت نعم فأشارت على أيوب بذلك فحلف ليضربنها وقال ويحك ذلك الشيطان كذا حكاه ابن عباس (ولا تحنث) أي لا تأثم في يمينك بترك ضربها ولقد شرع الله تعالى هذه الرخصة رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها (انا وجدناه صابرا) فيما أصابه في النفس والأهل والمال وليس في شكواه الى الله تعالى اخلال بذلك الصبر فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء على أنه عليه السلام قال ذلك خيفة الفتنة في الدين حيث كان الشيطان يوسوس الى قومه بأنه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به ويروى أنه عليه السلام قال في مناجاته الهي قد علمت أنه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم أبت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع وعريان فكشف الله تعالى عنه (نعم العبد) أي أيوب (انه أواب) أي مقبل الى طاعة الله تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الأيدي والابصار) أي أولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين فقوله تعالى أولي الايدي اشارة الى القوة العاملة فأشرف ما يصدر عنها

(بنصب) أي بتعب ومشقة في بدني (وعذاب) في أهلي ومالي فقلنا له (اركض برجلك) أي دس وحرك برجلك في الارض فنبعت عين ماء فاغتسل به حتى ذهب الداء من ظاهره ثم شرب منه حتى ذهب الداء من باطنه (ووهبنا له) لآية مفسرة في سورة الانبياء (وخذ بيدك ضغثا) أي حزمة من الحشيش (فاضرب به) امرأتك (ولا تحنث) في يمينك وقوله (أولي الايدي) أي ذوي القوة في العبادة (والابصار) أي البصائر في الدين

طاعة الله وقوله والابصار اشارة الى القوة لعالمة فأشرف ما يصدر عنها معرفة الله وما سوى هذين القسمين باطل وقرأ ابن كثير عبدنا على التوحيد (انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) أى انا جعلناهم خالصين لنا بسبب خصلة خالصة وهى استغراقهم فى ذكر الدار الآخرة حتى نسوا الدنيا وقرأ نافع وهشام باضافة خالصة أى انا اختصصناهم باخلاصهم ذكر الآخرة وتناسيهم عند ذكرها ذكر الدنيا وقد جاء المصدر على فاعلة كالعاقبة (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) أى لمن المختارين من أبناء جنسهم المستعلين عليهم فى الخير (واذكر اسمعيل واليسع) بن أخطوب استخلفه الياس على بنى اسرائيل ثم استنبئ وهو ابن عم الياس واللام زائدة وقرأ حمزة والكسائى بتشديد اللام وسكون الياء (وذا الكفل) وهو ابن عم يسع أو بشر بن أيوب (وكل) أى كل المتقدمين من داود الى هنا (من الاخيار) أى وكلهم من المشهورين بالخيرية وهم أنبياء تحملوا الشدائد فى دين الله تعالى (هذا) أى ما تقدم من ذكر محاسنهم (ذكر) أى شرف لهم وثناء جيل فى الدنيا (وان للمتقين لحسن مآب) أى مرجع فى الآخرة (جنات عدن مفتحة لهم الابواب) منها فجنات عطف بيان ومفتحة حال منها وقرئتا مرفوعتين هى جنات عدن مفتحة (متكئين فيها) أى جالسين على السرر فى الحجال ناعمين فى الجنة (يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) أى يسألون فى الجنة بألوان الفاكهة وألوان الشراب (وعندهم) فى الجنة (قاصرات الطرف) أى جوار حابسات العين على أزواجهن لا ينظرن الى غيرهم (أتراب) أى مستويات فى السن والحسن (هذا) أى المذكور (ما توعدون) فى الدنيا (ليوم الحساب) أى لاجل وقوعه فى يوم القيامة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء على الغيبة (ان هذا) أى ما ذكر من ألوان النعم (لرزقنا) أعطيناكموه (ماله من نفاد) أى فناء (هذا) أى الامر هذا المذكور (وان للطاغين) أى للكافرين (لشر مآب) أى مرجع فى الآخرة (جهنم يصلونها) أى يدخلونها (فبئس المهاد) أى المفرش (هذا) أى عذاب جهنم (فليذوقوه حميم وغساق) فالحميم ماء حار يحرقهم بحره والغساق ماء بارد منتن يحرقهم ببرده وقرأ حمزة والكسائى وحفص بتشديد السين والوقف على فليذوقوه كاف ان جعل خبرا لهذا أو جعل هذا مفعولا لفعل محذوف يفسره فليذوقوه ويكون حميم خبر مبتدا محذوف وان جعل هذا حميم مبتدأ وخبرا وما بينهما اعتراض فالوقف على غساق وهو كاف (وآخر من شكله أزواج) أى ومذوق آخر من مثل هذا المذوق أجناس وقرأ أبو عمرو وأخر بضم الهمزة أى ومذوقات أخر من مثل هذا المذوق فى الشدة والفظاعة أنواع مختلفة وآخر مبتدأ وأزواج خبره قال خزنة جهنم لرؤساء الكفار فى اتباعهم اذا دخلوا النار (هذا فوج مقتحم معكم) أى هذا جمع كثيف قد دخل معكم النار كما كانوا قد دخلوا معكم فى الضلال فقال هؤلاء الرؤساء (لا مرحبا بهم) أى لا اتسعت منازلهم فى النار (انهم صالوا النار) أى داخلون فيها كما دخلنا فيها (قالوا) أى الاتباع عند سماعهم ما قيل فى حقهم خطابا للرؤساء (بل أنتم لا مرحبا بكم) أى لا وسع الله عليكم فى منازلكم فى النار أى ان الدعاء الذى دعوتم به علينا أيها الرؤساء أنتم أحق به (أنتم قدمتموه لنا) أى أنتم قدمتم الطغيان الذى هذا العذاب جزاؤه فاقتديناكم (فبئس القرار) أى بئس المسكن لنا ولكم جهنم (قالوا) أى الاتباع معرضين عن خصومتهم متضرعين الى الله تعالى (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار) أى يا ربنا من شرع لنا هذا الطغيان من الرؤساء فزده عذابا مضاعفا فى النار قال ابن مسعود والمراد بالضعف الحيات والافاعى (وقالوا) أى الطاغون (ما لنا لا نرى رجالا) من فقراء المؤمنين (كنا نعدهم من الاشرار) أى يقول أبو جهل ما لنا لا نرى فى النار عمارا وبلالا وصهيبا وخبابا كنا نعدهم من السفلة (اتخذناهم سخريا)

(ذكر) أى شرف [illegible] جميل يذكرون به أبدا (وان للمتقين) مع ذلك (لحسن مآب) أى مرجع فى الآخرة ثم بين ذلك المرجع فقال (جنات عدن) وقوله (أتراب) أى أسنانهن واحدة وقوله (هذا وان للطاغين) أى الامر هذا الذى ذكرت وقوله (هذا فليذوقوه حميم) أى هذا حميم (وغساق) فليذوقوه والغساق ما سال من جلود أهل النار (وآخر) أى وعذاب آخر (من شكله) أى من مثل ذلك الاول (أزواج) أى أنواع فاذا دخلت الرؤساء النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الملائكة (هذا فوج) أى جماعة (مقتحم معكم) داخلوا النار فقال الرؤساء (لا مرحبا بهم انهم صالوا النار) كما صليناها فقال الاتباع (بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا) أى شرعتم وسننتم الكفر لنا (فبئس القرار) أى قرارنا وقراركم (قالوا) يعنى الاتباع (ربنا من قدم لنا هذا) أى شرعه وسنته (فزده عذابا ضعفا فى النار) كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب (وقالوا) يعنى صناديد قريش (ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار) يعنون فقراء المسلمين (اتخذناهم سخريا) أى كنا نسخر بهم

قرأه نافع بضم السين (أم زاغت عنهم الابصار) وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم وابن عباس أتخذناهم بقطع الهمزة على الاستفهام للتوبيخ والتعجب فيوقف على الاشرار وهو كاف والمعنى ألاجل انا قد اتخذناهم سخريا فى الدنيا فأخطأنا فلم يدخلوا النار فلذلك لانراهم أم لاجل انه زاغت عنهم أبصارنا ولم نعلم مكانهم وهم فيها وقرأ ابن كثير والاعمش وأبو عمرو وحمزة والكسائى اتخذناهم بوصل الهمزة فلا يوقف على الاشرار لان اتخذناهم صفة أخرى لرجالا والمعنى مالنا لانرى فى النار رجالا سخرناهم وحقرناهم فى الدنيا بل مالت أبصارنا عنهم فلا نعدهم شيأ (ان ذلك) أى الذى حكيناه عنهم (لحق) أى واجب وقوعه فلابد وان يتكلموا به (تخاصم أهل النار) أى وهو كلام أهل النار فى النار بخصومة بعضهم مع بعض وقرئ تخاصم بالنصب على أنه بدل من ذلك (قل) ياأفضل الخلق لكفار مكة (انما أنا منذر) أى مخوف بعذاب الله لمن عصى (وما من اله) موجود (الا الله الواحد) الذى لايقبل الشركة (القهار) لخلقه (رب السموات والارض وما بينهما) أى خالقهما (العزيز) أى الغالب فلا يغلب فى أمر من الامور (الغفار) لمن تاب (قل هو) أى ما أنبأتكم به (نبأ عظيم) وارد من الله تعالى (أنتم عنه) أى عن ذلك النبا (معرضون) اى تاركون له وهذه الجملة صفة ثانية (ما كان لى من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون) أى ما كان لى من علم بكلام الملائكة وقت اختصامهم فى أمر آدم عليه السلام (ان يوحى الى الا انما أنا نذير مبين) أى ما يوحى الى حال الملائكة الا كونى نذيرا مبينا أى أنا ما عرفت هذه المخاصمة الا بالوحى وانما أوحى الله الى هذه القصة لأنذركم بها ولتصير هذه القصة حاصلة لكم على الاخلاص فى الطاعة والاحتراز عن الجهل والتقليد (اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا) أى آدم (من طين فاذا سويته) أى جمعت أجزاء بدنه وصورته بالصورة الانسانية (ونفخت فيه من روحى) أى أفضت عليه الروح وهى عرض صار البدن بوجودها حيا وهى جوهر يسرى فى البدن سريان الضوء فى الفضاء وسريان النار فى الفحم (فقعوا له) أى اسقطوا له (ساجدين) تحية له وتكريما لخالقه اسنادا واه لجعل الروح فيه (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) أى فسجد الملائكة كلهم بطريق المعية لآدم بحيث لم يبق منهم أحد الا سجد اه ولم يتأخر فى ذلك السجود أحد منهم عن أحد (الا ابليس استكبر) أى تعظم عن السجود لآدم (وكان من الكافرين) أى وصار ابليس من الكافرين بآبائه عن أمر الله بعد ان كان مسلما عابدا فانه عبد الله ثمانين ألف عام (قال) الله له (يا ابليس) أى ياخبيث (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) أى لما خلقته بقدرتى وارادتى من غير توسط أب وأم (أستكبرت) أى أتكبرت عن السجود لآدم من غير استحقاق (أم كنت من العالين) أى من المستحقين للتفوق (قال) ابليس (أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) والنار أفضل من الطين لان النار تأكل الطين فلذلك لم أسجد له (قال) الله له (فاخرج منها) أى من الخلقة التى كنت عليها فانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعدما كان أبيض وقبح بعدما كان حسنا وأظلم بعدما كان نورانيا (فانك رجيم) أى مطرود من كل خير (وان عليك لعنتى) أى سخطى (الى يوم الدين) أى يوم الحساب (قال) ابليس (رب فأنظرنى الى يوم يبعثون) من القبور أى اذا جعلتنى رجيما فلا تمتنى الى يوم يبعث آدم وذريته من القبور للجزاء بعد فنائهم وأراد الخبيث بذلك أن يجد فسحة لاغوائهم وأن لايذوق الموت (قال) منه (فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) الذى قدره الله وعينه لفناء الخلائق وهو وقت النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذى هو السؤل (قال) ابليس (فبعزتك) أى فأقسم بعزتك (لأغوينهم أجمعين) أى لأضلن ذرية آدم عن دينك بتزيين المعاصى لهم (الا عبادك منهم المخلصين) أى المعصومين من اغوائه

فى الدنيا أمفقودون هم (أم زاغت عنهم الابصار) فلا نراهم ههنا (ان ذلك) الذى ذكرنا عن أهل النار (لحق) ثم بين ما هو فقال (تخاصم أهل النار قل هو نبأ عظيم) يعنى القرآن الذى أنبأتكم به وجئتكم فيه بما لا يعلم الا بوحى وهو قوله (ما كان لى من علم بالملأ الأعلى وهم الملائكة (اذ يختصمون) أى فى شأن آدم يعنى قوله أتجعل فيها الآية وقوله (لما خلقت بيدى) أى توليت خلقه وهذا اللفظ ذكر تشريفا لآدم وان كان كل شئ يتولى الله خلقه دون غيره وقوله

أو المخلصين قلو بهم وأنم بالملم لله (قال) الله (فالحق والحق أقول) قرأ عاصم وحمزة برفع الاول ونصب الثانى أى فأنا الحق أو فالحق قسمى ولا أقول الا الحق وقرأ الباقون بنصبهما أى فبالحق أى أقسم بالحق وقرئ بجرهما على أن الثانى حكاية لفظ المقسم به على أن معنى الحق نقيض الباطل وقرئ بجر الاول على اضمار حرف القسم ونصب الثانى على المفعولية (لاملأن جهنم منك) ومن جنسك من الشياطين (وممن تبعك) فى الغواية (منهم) أى من ذرية آدم (أجمعين) تأكيد للكاف وما عطف عليه. (قل) يا أشرف الرسل (ما أسألكم عليه) أى على هذه الدعوة (من أجر) أى نبوى (وما أنا من المتكلفين) أى الحاملين للمشقة فى الشريعة على الناس أى ان هذا الذى أدعوكم اليه دين لا يحتاج فى معرفة صحته الى التكلفات الكثيرة بل هو دين يشهد العقل بصحته فانى أدعوكم أولا الى الاقرار بوجود الله ثم أدعوكم ثانيا الى تنزيهه تعالى عن كل ما لا يليق به تعالى ثم أدعوكم ثالثا الى الاقرار بكونه تعالى موصوفا بكمال العلم والقدرة والحكمة والرحمة ثم أدعوكم رابعا الى الاقرار بكونه تعالى منزها عن الشركاء ثم أدعوكم خامسا الى الامتناع عن عبادة الاوثان ثم أدعوكم سادسا الى تعظيم الملائكة والانبياء ثم أدعوكم سابعا الى الاقرار بالبعث والقيامة ثم أدعوكم ثامنا الى الاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة فهذه الاصول الثمانية هى الاصول المعتبرة فى دين الله تعالى وأوائل الافكار شاهدة بصحة هذه الاصول الثمانية فثبت انى لست من المتكلفين فى الشريعة التى ادعو الخلق اليها بل كل عقل سليم يشهد بصحتها وبعدها عن الفساد وهو المراد من قوله تعالى (ان هو الا ذكر للعالمين) أى ما هذا القرآن الا عظة من الله تعالى للثقلين كافة (ولتعلمن نبأه بعد حين) أى انكم ان أصررتم على الجهل والتقليد وأبيتم قبول هذه البينات التى ذكرناها فى القرآن فستعلمون بعد الموت انكم كنتم مصيبين فى اعراضكم عنه أو مخطئين

﴿سورة الزمر ويقال لها سورة الغرف مكية الا آيتين نزلتا بالمدينة احداهما الله نزل أحسن الحديث والاخرى قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية وهى خمس وسبعون آية وألف ومائة واثنتان وتسعون كلمة وأربعة آلاف وسبعمائة وثمانية أحرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) أى هذه السورة تنزيل الكتاب من الله (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) أى ملتبسا بكل ما فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل به حتما (فاعبد الله مخلصا له الدين) أى فاعبده تعالى ممحضا له الدين من شوائب الشرك والرياء وقرأ ابن أبى عبلة برفع الدين على انه مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله (ألا لله الدين الخالص) أى ألا هو الذى يجب أن يخص باخلاص الطاعة له لانه المنفرد بصفات الالوهية (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) والموصول مبتدأ وهو عبارة عن المشركين وخبره محذوف والوقف على زلفى كاف كما قاله أبو عمرو وقيل تام أى والمشركون الذين عبدوا من غير الله أربابا الملائكة وعيسى وعزيرا والاصنام والشمس والقمر والنجوم يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله فى المنزلة (ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) وقرئ ما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم (ان الله لا يهدى) أى لا يوفق للاهتداء الى الحق (من هو كاذب) فى وصفهم لغير الله بانهم آلهة مستحقة للعبادة (كفار) لاعتقادهم فى غير الله بالالهية ولكفرانهم نعمة المنعم وهو الله تعالى فان العبادة نهاية التعظيم وهى لا تليق الا بمن يصدر عنه غاية الانعام (لو أراد الله أن يتخذ ولدا) من الملائكة والآدميين كما قالت اليهود والنصارى وبنو مليح (لاصطفى مما يخلق ما يشاء) اذ كل موجود سواه مخلوق له لكن اتخاذ الولد من خالقه باطل لاستحالة

أى فبالحق وأقول الحق (لأملأن جهنم) الآية (قل ما أسألكم عليه) أى على تبليغ الرسالة (من أجر وما أنا من المتكلفين) أى المتقولين القرآن من تلقاء نفسى (ان هو) أى ليس القرآن (الا ذكر) أى عظة (للعالمين ولتعلمن) أنتم أيها المشركون (نبأه) أى ما أخبرتكم فيه من البعث والقيامة (بعد حين) أى بعد الموت

[﴿تفسير سورة الزمر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تنزيل الكتاب) ابتداء وخبره قوله (من الله العزيز الحكيم) وقوله (مخلصا له الدين) أى الطاعة والمعنى أعبده موحدا له الدين (ألا لله الدين الخالص) أى الطاعة الخالصة لا يستحقها غير الله ثم ذكر الذين يعبدون غيره فقال (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم) أى يقولون ما نعبدهم (الا ليقربونا الى الله زلفى) أى قربى (ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) أى من أمر الدين ثم ذكر انه لا يهدى هؤلاء فقال (ان الله لا يهدى من هو كاذب) أى فى اضافة الولد الى الله (كفار) أى يكفر نعمته بعبادة غيره ثم ذكر براءته عن الولد فقال (لو أراد الله ان يتخذ ولدا) كما يزعم هؤلاء (لاصطفى) أى لاختار (مما يخلق ما يشاء

كون

كون المخلوق من جنس الخالق ولان كونه منه يستلزم حدوث الخالق وهو ممتنع عقلا ونقلا (سبحانه) أي تنزيها له عن اتخاذ الولد (هو الله الواحد القهار) أي ان كون الله الها واجب الوجود لذاته يوجب كونه واحدا في حقيقته وكونه واحدا في حقيقته يمنع من ثبوت الولد له فثبت ان كونه واحدا يمنع من ثبوت الولد ثم أن كونه تعالى قهارا يمنع من ثبوت الولد له فلان المحتاج الى الولد هو الذي يموت ويحتاج الى من يقوم مقامه لانه يكون مقهورا بالموت أما الذي يكون قاهرا لايموت كان الولد في حقه محالا وقوله هو الله الواحد القهار ألفاظ مشتملة على دلائل قاطعة في نفي الولد عن الله تعالى (خلق السموات والارض بالحق) أي ملتبسة بالصواب مشتملة على الحكم والمصالح (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) أي يغشي كل واحد منهما الآخر ويزيد كل واحد منهما بقدر ماينقص من الآخر (وسخر الشمس والقمر) أي جعلهما منقادين لامره تعالى (كل يجري لاجل مسمى) أي كل منهما يجري في فلكه لمنتهى دورته (ألا هو العزيز الغفار) أي ان خلق هذه الاجرام العظيمة دليل على كمال القدرة فهو يوجب الخوف والرهبة الا انه تعالى غفار فكونه تعالى غفارا دليل على كثرة رحمته فهي توجب الرجاء والرغبة (خلقكم من نفس واحدة) خلقها وهي نفس آدم وحدها (ثم جعل منها) أي من تلك النفس (زوجها) حواء خلقها من ضلع من أضلاعه القصرى (وأنزل لكم) أي أحدث لكم بأسباب نازلة من السماء كالامطار وأشعة الكواكب (من الانعام ثمانية أزواج) أي افراد من الابل اثنين ذكرا وأنثى ومن البقر اثنين ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) أي حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف (في ظلمات ثلاث) البطن والرحم والمشيمة (ذلكم الله ربكم) أي ذلكم الذي عرفتم عجائب أفعاله هو الله المربي لكم بالخلق والرزق فهو المستحق لعبادتكم (له الملك) في الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة في ذلك (لا اله الا هو) أي لامعبود للخلق أجمعين الا الله (فأنى تصرفون) أي فكيف تصرفون عن عبادة الله تعالى مع وفور دواعيها الى عبادة غيره تعالى من غير داع اليها (ان تكفروا) به تعالى (فان الله غني عنكم) أي فاعلموا ان الله تعالى ما كلف المكلفين ليجر الى نفسه منفعة أو ليدفع عن نفسه مضرة لان الله تعالى غني عن ايمانكم وشرككم (ولا يرضى لعباده الكفر) أي وان كان لا ينفعه تعالى ايمان ولا يضره كفر الا انه لايرضى بالكفر (وان تشكروا) بأن تقروا باللسان بحصول النعمة وتعتقدوا صدور النعمة من الله تعالى وتعملوا الصالحات بجوارحكم (يرضه لكم) أي يرضى الشكر لاجل منفعتكم لانه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه تعالى به وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة بضم الهاء مختلسة وقرأ أبو عمرو وحمزة في بعض الروايات بسكون الهاء للتخفيف وقرأ نافع في بعض الروايات وابن عامر والكسائي وابن ذكوان والدوري مضمومة الهاء مشبعة (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لاتحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس أخرى فكل مأخوذ بذنبه وهذا بيان لعدم سراية كفر الكافر الى غيره أصلا (ثم الى ربكم مرجعكم) بالبعث بعد الموت فأهم المطالب للانسان ان يعرف خالقه بقدر الامكان وان يعرف مايضره وما ينفعه وان يعرف أحواله بعد الموت (فينبئكم بما كنتم تعملون) أي يجازيكم بأعمال الكفر والايمان في الدنيا ثوابا وعقابا وهذا تهديد للعاصي وبشارة للمطيع (انه عليم بذات الصدور) فيعلم مافي قلوبكم من الدواعي والصوارف وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لاينظر الى صوركم ولا الى أقوالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم (واذا مس الانسان) أي الكافر كعتبة بن ربيعة وأبي جهل (ضر) في جسمه أوماله أو أهله أو ولده (دعا ربه) أي استجار بربه (منيبا اليه) أي

سبحانه) تنزيها له عن الولد وقوله (يكور الليل على النهار) أي يدخل أحدهما على الآخر (خلقكم من نفس واحدة) يعني آدم (ثم جعل منها زوجها) يعني حواء (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) مشروح في سورة الأنعام وقوله (خلقا من بعد خلق) يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة (في ظلمات ثلاث) يعني ظلمة البطن والرحم والمشيمة (فأنى تصرفون) عن عبادته الى عبادة غيره بعد هذا البيان وقوله (ولا يرضى لعباده الكفر) يعني المؤمنين المخلصين منهم كقوله عينا يشرب بها عباد الله (وان تشكروا) أي تطيعوا ربكم (يرضه لكم) أي يرضى الشكر لكم ويثيبكم عليه (واذا مس الانسان) يعني الكافر (ضر دعا ربه منيبا اليه) أي راجعا

مقبلا اليه بالدعاء فى ازالة ذلك الضر ولم يؤمل فيه سواه (ثم اذا خوله) أى أعطاه (نعمة منه نسى ما كان يدعو اليه من قبل) أى ترك دعاءه به الذى يتضرع اليه من قبل اعطاء النعمة كأنه لم يفزع اليه ونسى ان لا اله سواه فعاد الى اتخاذ الشركاء مع الله تعالى كما قال تعالى (وجعل لله أندادا) أى أعدالا فى العبادة (ليضل عن سبيله) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء بعد لام العاقبة أى ليثبت على الضلال عن دين الاسلام والباقون بضمها أى ليضل غيره عنه (قل) للكافر (تمتع بكفرك قليلا) أى عش فى كفرك فى هذه الدنيا بقية عمرك وهذا الامر زجر عن الكفر وتعريف لقلة تمتعه فى الدنيا (انك من أصحاب النار) أى من المعذبين فى النار على الدوام وفى هذا اقناط للكافر من النجاة (أمن هو قانت آناء الليل) وقرأ نافع وابن كثير وحمزة أمن بتخفيف الميم والهمزة اما للاستفهام التقريرى ومقابله محذوف تقديره أمن هو قائم بما يجب عليه من الطاعة فى ساعات الليل حالتى السراء والضراء كمن جعل لله أندادا ودعاه عند مساس الضر فقط أو للنداء أى يامن هو قائم فى ساعات الليل قل كيت وكيت أنت من أهل الجنة وقرأ الباقون بتشديد الميم فأم داخلة على من الموصولة وهى اما متصلة ومعادلها محذوف تقديره الكافر خير أم من هو قائم بأداء وظائف العبادات أو منفصلة تقدر ببل والهمزة أى بل أمن هو مطيع لله كالكافر المقول له تمتع بكفرك (ساجدا وقائما) حال من ضمير قانت وقرئ بالرفع على انه خبر بعد خبر (يحذر الآخرة) أى يخاف عذاب الآخرة (ويرجو رحمة ربه) أى جنة ربه فينجو عما يخافه ويفوز بما يرجوه (قل هل يستوى الذين يعلمون) توحيد الله وأمره ونهيه وهو أبو بكر وأصحابه (والذين لا يعلمون) ذلك وهو أبو جهل وأصحابه ويجوز ان يراد هذا على سبيل التشبيه أى كما لا يستوى العالمون والجاهلون لا يستوى القانتون والعاصون (انما يتذكر أولوا الالباب) أى انما يتعظ بهذه البيانات الواضحة أصحاب العقول الصافية ولا يعرف التفاوت الحاصل بين العلماء والجهال الا أصحاب القلوب النيرة وقيل لبعض العلماء انكم تقولون العلم أفضل من المال ثم نرى العلماء يجتمعون عند أبواب الملوك ولا نرى الملوك يجتمعين عند أبواب العلماء فأجاب بأن هذا أيضا دل على فضيلة العلم لان العلماء علموا ما فى المال من المنافع فطلبوه والجهال لم يعرفوا ما فى العلم من المنافع فتركوه (قل ياعبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم) أى قل لهم ربكم يقول أطيعوا ربكم فى الصغير والكبير من الامور (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) والجار والمجرور اما صلة لاحسنوا والمعنى للذين عملوا الاعمال الحسنة فى هذه الدنيا على وجه الاخلاص حسنة عظيمة فى الآخرة وهى الجنة واما صلة لحسنة والمعنى الذين أحسنوا فلهم فى هذه الدنيا أمن وصحة وكفاية (وأرض الله واسعة) أى فان لم تمكنوا من صرف الهمم الى الاحسان فى بلادهم فقل لهم فان أرض الله واسعة فلتهاجروا من تلك البلاد الى بلاد تقدرون فيها على الاشتغال بالعبادات واقتدوا بالانبياء والصالحين فى مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا طاعة الى طاعتهم لانه لا عذر البتة للمقصرين فى الاحسان (انما يوفى الصابرون) على مفارقة أوطانهم وعشائرهم واحتمال البلايا فى طاعة الله تعالى (أجرهم بغير حساب) أى بغير نهاية بهنداز ونحوه (قل) ياأشرف الرسل لكفار قريش حيث قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا الدين الذى أتيتنا به ألا تنظر الى ملة أبيك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى فتأخذ بها (انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أى العبادة عن شوائب الشرك والرياء وغير ذلك (وأمرت لان أكون أول المسلمين) أى وأمرت بأن أكون أول من تمسك بالعبادات التى أرسلت بها فانى لست من الملوك الجبابرة الذين يأمرون الناس بأشياء وهم لا يفعلون ذلك بل كل ما أمرتكم به فانا أول الناس شروعا فيه وأكثرهم مداومة

(ثم اذا خوله) أى أعطاه (نعمة منه نسى ما كان يدعوا اليه من قبل) أى نسى الله الذى كان يتضرع اليه من قبل النعمة وترك عبادته (قل) يامحمد لمن يفعل هذا (تمتع بكفرك قليلا) الآية وهذا تهديد (أمن هو قانت) أى قائم مطيع لله (آناء الليل) أى أوقاته (يحذر) عذاب (الآخرة) كمن هو عاص ثم ضرب لهما مثلا فقال (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) أى هل يستوى العالم والجاهل كذلك لا يستوى المطيع والعاصى (انما يتذكر أولوا الالباب) أى انما يتعظ بوعظ الله ذوو العقول وقوله (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا) أى وحدوا الله وعملوا بطاعته (حسنة) وهى الجنة (وأرض الله واسعة) فهاجروا فيها واخرجوا من بين الكفار (انما يوفى الصابرون) على طاعة الله وما يبتليهم به (أجرهم بغير حساب) أى بغير مكيال ولا ميزان (قل انى أمرت ان أعبد الله مخلصا له الدين) أى موحدا (وأمرت لان أكون أول المسلمين) أى من هذه الأمة

عليه والعبادة لها ركنان عمل القلب وعمل الجوارح فعمل القلب هو الاخلاص وعمل الجوارح هو الاسلام وهذا فائدة اتيان الامر مرتين ثم بين الله ان هذا الامر للوجوب فقال (قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) ومعنى هذا العصيان ترك الامر الذى تقدم ذكره (قل الله أعبد مخلصاله دينى) أى لا أعبد أحدا سوى الله والاول اخبار بأنه صلى الله عليه وسلم مأمور من جهة الله تعالى بالاتيان بالعبادة واخلاص القلب له تعالى بها وهذا اخبار بأنه صلى الله عليه وسلم أمر بأن لا يعبد أحدا غير الله واخبار بامتثاله صلى الله عليه وسلم بالامر على أبلغ وجه (فاعبدوا ما شئتم) أن تعبدوه (من دونه) تعالى وفى هذا دلالة على شدة الغضب عليهم (قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) أى حين يدخلون النار حيث أوقعوهما فى هالكة لا هالكة وراءها (ألا) أى تنبهوا لهذه الخسرة العظيمة (ذلك) أى الامر العظيم (هو الخسران المبين) فلا خسران وراءه فكل خسران يصير فى مقابلته كلا خسران (لهم) أى لهؤلاء الخاسرين (من فوقهم ظلل) أى قطع كبار (من النار ومن تحتهم ظلل) أى فراش من النار والمراد احاطة النار بهم من جميع الجوانب وانما سمى ما تحتهم بالظلل لان التى تحتهم تكون ظللا لآخرين تحتهم لان النار دركات وأيضا ان الطلة التحتانية تشابه الفوقانية فى الحرارة والاحراق (ذلك) العذاب هو الذى (يخوف الله به عباده) المؤمنين ليخلصوا فى الطاعة (ياعباد فاتقون) أى يا أيها المؤمنون بالغوا فى الخوف والحذر (والذين اجتنبوا الطاغوت) أى الشيطان (أن يعبدوها وأنابوا الى الله) أى أقبلوا اليه بالطاعات (لهم البشرى) بنوع من الخير عند قرب الموت وعند الوضع فى القبر وعند الخروج منه وعند الوقوف فى عرصة القيامة وعلى باب الجنة وقوله تعالى أن يعبدوها بدل الاشتمال والمعنى والذين تركوا عبادة الشيطان لان عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان اذ هو الآمر بها (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وعن ابن عباس ان المراد من هذا الرجل يجلس مع القوم ويسمع الحديث فى ذلك المجلس محاسن ومساوى فيحدث باحسن ما سمع ويترك ما سواه وقرأ السوسى عبادى بياء مفتوحة فى الوصل ساكنة فى الوقف والباقون بغير الياء (أولئك الذين هداهم الله) للصواب ولمحاسن الامور (وأولئك هم أولوا الالباب) أى هم ذوو العقول السليمة عن منازعة الهوى (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار) أى أفمن ثبت عليه كلمة العذاب أفأنت تهدى من هو منغمس فى الضلال بدعائك له الى الايمان فتنقذه من النار وهذا تنبيه على ان المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع فى النار وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحرص على ايمان قوم وقد سبقت لهم من الله الشقاوة فنزلت هذه الآية قال ابن عباس نزلت فى حق أبى لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان (لكن الذين اتقوا ربهم) بأن أطاعوه (لهم غرف) أى منازل فى الجنة رفيعة (من فوقها غرف) أى من فوق تلك المنازل منازل أرفع منها (مبنية) أى قوية كبناء المنازل المبنية على الارض فى الاحكام بخلاف منازل الدنيا فالفوقانى فضيلته الارتفاع ونقصانه السخافة والتحتانى فضيلته القوة ونقصانه التسفل اما منازل الجنة فهى مستجمعة للفضائل فهى مرتفعة قوية وقوله تعالى لكن اضراب عن قصة الى قصة مخالفة للاولى وليست للاستدراك (تجرى من تحتها الانهار) أى تجرى من تحت تلك الغرف الفوقانية والتحتانية الانهار المختلفة من غير تفاوت بين العلو والسفل (وعد الله) أى وعدهم الله بذلك وعدا وهو مصدر مؤكد لمضمون الجملة ان الله (لا يخلف الله الميعاد) أى وعده للمؤمنين وفى الآية دقيقة شريفة وهى انه تعالى لم يذكر فى آيات الوعيد البتة مثل هذا التأكيد وذلك يدل على ان جانب الوعد أرجح من جانب الوعيد اما قوله تعالى ما يبدل القول لدى ليس

(قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم) بالتخليد فى النار (وأهليهم) لانهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل فى الجنة (لهم من فوقهم ظلل) الآية وهذا كقوله يوم يغشيهم العذاب من فوقهم الآية وقوله لهم من جهنم مهاد الآية (ذلك) الذى وصف من العذاب (يخوف الله به عباده ياعباد فاتقون والذين اجتنبوا الطاغوت) أى الاوثان (أن يعبدوها وأنابوا الى الله) أى رجعوا اليه بالطاعة (لهم البشرى) بالجنة (فبشر عباد الذين يستمعون القول) القرآن وغيره (فيتبعون أحسنه) وهو القرآن (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت) يا محمد تنقذه أى تخرجه من النار يريد انه لا تقدر على هدايته وقوله (لهم غرف من فوقها غرف مبنية) أى لهم منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها

تصريحا بجانب الوعيد بل هو كلام عام يتناول الوعد والوعيد فثبت ان ترجيح الوعد حق خلافا للمعتزلة (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض) أى ألم تعلم ان الله أنزل من السماء مطرا الى بعض المواضع ثم يقسمه فيدخله فى مجارى فى خلال الارض كالعروق فى الاجساد و يقال فيدخل ذلك المطر فى خلال الارض حال كونه مياها نابعة فى الارض (ثم يخرج به) أى ينبت بالمطر (زرعا مختلفا ألوانه) أى أصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها وصفاته من طعوم وألوان خضرة وحمرة وصفرة و بياض وغير ذلك (ثم يهيج) أى يتم جفافه (فتراه مصفرا) بعد خضرته وقرئ مصفارا (ثم يجعله حطاما) أى متكسرة (ان فى ذلك) أى المذكور من الافعال الحسنة (لذكرى لاولى الالباب) أى لتذكيرا عظيما لاصحاب العقول الصافية يتذكرون بذلك ان حال الحياة الدنيا فى سرعة الانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها و يجزمون بأن من قدر على انزال الماء من السماء واجرائه فى عيون الارض قادر على اجراء الانهار من تحت الغرف فى الجنة (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) أى أكل الناس سواء فمن جعله مستعدا للاسلام فهو على هداية من ربه فمن شرطية وخبرها ما بعدها وقيل اسم موصول مبتدأ خبره محذوف والتقدير أفمن شرح الله صدره للاسلام فاهتدى فهو على لطف الهى فائض عليه كمن طبع على قلبه فلم يهتد لقسوته (فويل) أى عذاب وخسران (للقاسية قلوبهم من ذكر الله) أى من أجل ذكر الله فاذا سمعوه نفروا وازدادوا قسوة ولما نزل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وكان قد حضر هناك عمر بن الخطاب وانسان آخر فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر قال كل واحد من القوم فتبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكتب فهكذا أنزلت فازداد عمر ايمانا على ايمان وازداد ذلك الانسان كفرا على كفر وقرئ عن ذكر الله أى عن قبول ذكر الله (أولئك) أى الذين قست قلوبهم (فى ضلال) أى بعد عن الحق (مبين) أى ظاهر كونه ضلالا لكل أحد قيل نزلت هذه الآية فى حمزة وعلى رضى الله عنهما وأبى لهب وولده وقيل فى عمار ابن ياسر وأبى جهل وأصحابه (الله نزل أحسن الحديث) بحسب لفظه لفصاحته وجزالته و بحسب معناه لاشتماله على الغيوب الكثيرة فى الماضى والمستقبل ولان العلوم الموجودة فيه كثيرة جدا (كتابا متشابها) أى يشبه بعضه بعضا كما قاله ابن عباس فان كل ما فيه من الآيات يقوى بعضها بعضا والمقصود منها بأسرها الدعوى الى الدين وتقرير عظمة الله (مثانى) فانه أكثر الاشياء المذكورة وقعت زوجين زوجين آية الرحمة والعذاب و آية الوعد والوعيد وآية الامر والنهى وآية القصص والاحكام وغير ذلك (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) فان الانسان اذا تأمل فى الدلائل الدالة على انه يجب تنزيه الله عن التحيز والجهة فههنا يقشعر جلده لان اثبات موجود لا داخل العالم ولا خارج عنه ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه مما يصعب تصوره فههنا تقشعر الجلود واذا تأمل فى الدلائل الدالة على انه يجب ان تكون الله تعالى فردا أحدا وثبت ان كل متحيز منقسم فههنا يلين جلده وقلبه الى ذكر الله وعدى تلين بالى لان تقدير الكلام تلين جلودهم وقلوبهم حال وصولها الى حضرة الله وهو لا يحس بالادراك و يقال انهم اذا سمعوا القرآن وذكر آيات العذاب أصابتهم خشية أو ذكر آيات الرحمة اطمأنت جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وانما قال الله الى ذكر الله ولم يقل الى ذكر رحمة الله لان المحب الحق الذى فى الدرجة العالية هو من أحب الله لا لشئ سواه وأما من أحب الله لاجل رحمته فهو ما أحب الله وانما أحب شيأ غيره (ذلك) أى الكتاب

الذى

(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه) أى أدخل ذلك الماء (ينابيع فى الارض) وهى الأمكنة التى ينبع منها الماء وكل ماء فى الارض فمن السماء نزل (ثم يخرج به) أى بذلك الماء (زرعا مختلفا ألوانه) بخضرة وحمرة وصفرة (ثم يهيج) أى ييبس (فتريه مصفرا ثم يجعله حطاما) أى دقاقا فتاتا (ان فى ذلك لذكرى لأولى الالباب) أى يذكرون ما لهم من الدلالة فى هذا على توحيد الله وقدرته (أفمن شرح الله) أى وسع (صدره للاسلام فهو على نور من ربه) أى فاهتدى الى دين الاسلام كمن طبع على قلبه و يدل على هذا المحذوف قوله (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله الله نزل أحسن الحديث) يعنى القرآن (كتابا متشابها) يشبه بعضه بعضا (مثانى) أى ثنى فيه الأخبار والقصص وذكر الثواب والعقاب (تقشعر) أى تضطرب وتتحرك بالخوف (منه جلود الذين يخشون ربهم) يعنى عند ذكر آية العذاب (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أى من آية الرحمة (ذلك

الذى هو أحسن الحديث (هدى الله يهدى به من يشاء) وهو الذى شرح صدره لقبول هذه الهداية (ومن يضلل الله) أى ومن يجعل الله قلبه قاسيا مظلما بليد الفهم منافيا لقبول هذه الهداية (فما له من هاد) يخلصه من ورطة الضلال وقرأ ابن كثير باثبات الياء فى الوقف (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون) والهمزة للاستفهام الانكارى والفاء عاطفة على جملة مقدرة ومن اسم موصول مبتدأ وخبره محذوف وقيل معطوف على يتقى وتقدير الكلام أكل الناس سواء فمن يجعل وجهه قائما مقام الدرقة يتقى به وجهه العذاب الشديد يوم القيامة وتقول لهم خزنة النار ذوقوا عذاب ما كنتم تكسبونه فى الدنيا كمن هو آمن من العذاب قيل يلقى الكافر فى النار مغلولة يداه الى عنقه وفى عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشتعل النار فيها وهى فى عنقه فحرها على وجهه لا يطيق دفعها عنه للاغلال التى فى يديه وعنقه قيل نزلت هذه الآية فى حق أبى جهل وأصحابه (كذب الذين من قبلهم) أى قبل قومك من الأمم السالفة (فأتاهم العذاب) المقدر لكل أمة منهم (من حيث لا يشعرون) أى من الجهة التى لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها بينما هم آمنون اذ أتاهم العذاب من الجهة التى توقعوا الامن منها (فأذاقهم الله الخزى) أى الذل (فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر) أى فالعذاب المدخر لهم فى يوم القيامة أعظم من ذلك الذى وقع (لو كانوا يعلمون) عذاب الآخرة ما كذبوا رسلهم ولكن لا علم لهم أصلا (ولقد ضربنا) بينا (للناس فى هذا القرآن من كل مثل) أى وجه يحتاج اليه الناظر فى أمور دينه (لعلهم يتذكرون) أى كى يتعظوا به (قرآنا عربيا) أى أعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته (غير ذى عوج) أى بريئا عن التناقض وقيل أى غير مخالف لسائر الكتب كالتوراة والانجيل والزبور بالتوحيد وقال السدى أى غير مخلوق (لعلهم يتقون) أى لكى يتقوا بالقرآن عما نهاهم الله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا) فمثلا مفعول ثان لضرب ورجلا مفعول له الاول (فيه شركاء) أى سادات (متشاكسون) أى متخالفون سيئة أخلاقهم (ورجلا سلما لرجل) أى ورجلا خالصا لسيد واحد قرأ ابن كثير وأبو عمرو سالما بالالف وكسر اللام والباقون بفتح السين واللام بغير الالف وقرئ سلما بفتح السين وكسرها مع سكون اللام وقرئ ورجل سالم بالرفع على الابتداء أى وهناك رجل سالم لرجل (هل يستويان مثلا) أى صفة أى هل يستوى حالاهما وصفتاهما والمعنى اضرب يا أشرف الرسل لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون فى رجل مملوك قد اشترك فيه شركاء بينهم تنازع فكل واحد منهم يدعى أنه عبده فهم يتجاذبونه فى حوائجهم وهو متحير فى أمره فكلما أرضى أحدهم غضب الباقون واذا احتاج فى مهم اليهم فكل واحد منهم يرده الى الآخر فهو بقى متحيرا لا يعرف أيهم أولى بأن يطلب رضاه وأيهم يعينه فى حاجاته فهو بهذا السبب فى منتهى التعب العظيم وفى رجل آخر له مخدوم واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك السيد يعينه على حاجاته فان أطاعه عرف له وان أخطأ صفح عن خطئه فأى هذين العبدين أحسن حالا وأحمد شأنا وأقل تعبا وهذا مثل ضربه الله للكافر الذى يعبد آلهة شتى والمؤمن الذى يعبد الله وحده (الحمد لله) أى لما بطل القول باثبات الشركاء وثبت أنه لا اله الا الله الحق الواحد الاحد ثبت ان الحمد له لا لغيره (بل أكثرهم لا يعلمون) ان الحمد له تعالى لا لغيره وان المستحق للعبادة هو الله لا غيره ويقال لا يعلمون أمثال القرآن (انك ميت وانهم) أى كفار مكة (ميتون) أى انك واياهم وان كنتم احياء فى أعداد الموتى (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) أى تتكلمون أنتم ورؤساء الكفار بالحجج والمراد ان هؤلاء الاقوام وان لم يلتفتوا الى هذه الدلائل القاهرة بسبب استيلاء الحرص والحسد عليهم فى الدنيا فلا تبال يا أشرف الرسل بهم فانك ستموت

هدى الله) أى ذلك الخوف والخشية من العذاب ورجاء الرحمة هدى الله (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب) وهو الكافر يلقى فى النار مغلولا فلا يتهيأ له أن يتقى النار الا بوجهه ومعنى الآية أفمن هذه حاله كمن يدخل الجنة وقوله (غير ذى عوج) أى لبس واختلاف وتضاد ثم ضرب مثلا للموحد والمشرك فقال (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) أى متنازعون سيئة أخلاقهم فكل واحد يستخدمه بقدر نصيبه وهذا مثل المشرك الذى يعبد آلهة شتى (ورجلا سلما) أى خالصا (لرجل) وهو الذى يعبد الله وحده (هل يستويان مثلا) أى هل يستوى مثل الموحد ومثل المشرك (الحمد لله) وحده دون غيره من المعبودين (بل أكثرهم لا يعلمون) مفسر فى سورة النحل ثم ذكر انهم يموتون ويرجعون الى الله فيختصمون عنده فقال (انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) يعنى المؤمن والكافر والمظلوم والظالم

وهم سيموتون أيضا ثم تحشرون يوم القيامة وتختصمون عند الله تعالى والعادل الحق يحكم بينكم فيوصل الى كل واحد ما هو حقه وحينئذ يتميز الحق من الباطل (فمن أظلم ممن كذب على الله) أى لا أحد أظلم ممن أثبتوا لله ولدا وشركاء وكذب بتخفيف الذال (وكذب بالصدق) أى بالامر الذى هو نفس الصدق وهو ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من لا اله الا الله والقرآن وغير ذلك (اذ جاءه) أى فى أول مجىء ذلك الامر من غير تدبر فيه (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) أى لهؤلاء الذين افتروا على الله تعالى وسارعوا الى تكذيب الصدق من أول الامر (والذى جاء بالصدق) أى بعين الحق (وصدق به أولئك هم المتقون) أى المنعوتون بالتقوى والموصول عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى صدق بنفس الصدق هو أبو بكر وهذا القول مروى عن على بن أبى طالب وجماعة من المفسرين وقيل المراد من الموصول كل من جاء بالصدق وهم الانبياء والذى صدق به الاتباع ويؤيد هذا القول قراءة ابن مسعود رضى الله عنه والذى جاؤا بالصدق وصدقوا به وقرئ وصدق به بتخفيف الدال أى صدق الرسول بذلك الصدق الذى هو يعنى القرآن الناس ولم يكذبهم بأن أداه اليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل صار الرسول صادقا بسبب الصدق الذى هو القرآن لانه معجزة وهى تصديق من الله تعالى فيصير المدعى للرسالة صادقا بسبب تلك المعجزة وقرئ وصدق به على البناء للمفعول أى صدق الرسول بالقرآن (لهم ما يشاؤن عند ربهم) أى لهم كل ما يشاؤنه من جلب المنافع ودفع المضار فى الاخرة لا فى الجنة فقط لما أن بعض ما يشاؤنه من تكفير السيآت والامن من الفزع الاكبر وسائر أهوال القيامة انما يقع قبل دخول الجنة (ذلك) أى حصول ما يشاءونه (جزاء المحسنين) أى الذين أحسنوا أعمالهم (ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) أى أقبح أعمالهم دفعا لمضارهم (ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون) أى باحسانهم اعطاء لمنافعهم والمراد انهم اذا صدقوا الانبياء عليهم السلام فيما أتوا فان الله يكفر عنهم أسوأ أعمالهم وهو الكفر السابق على ذلك الايمان ويوصل اليهم أحسن أنواع الثواب وقوله تعالى ليكفر الله متعلق بقوله تعالى لهم ما يشاؤن باعتبار فحواه حيث كان اخبارا بما سيثبت لهم فيما سيأتى وهو فى معنى الوعد به كانه قيل وعدهم الله جميع ما يشاؤنه من زوال المضار وحصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد أسوأ الذى عملوا الخ (أليس الله بكاف عبده) وهو محمد صلى الله عليه وسلم كما قال السدى ويقال هو خالد بن الوليد مما يريدون به وقرأ حمزة والكسائى عباده وهم الانبياء عليهم السلام فان قومهم قصدوهم بسوء لقوله تعالى وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه ودخول همزة الانكار على كلمة النفى تفيد معنى اثبات الكفاية أى هو كاف عبده (ويخوفونك بالذين من دونه) تعالى وهم اللات والعزى ومناة أى ان قريشا يقولون لك يا محمد لا تشتمها ولا تعبها فتخبلك فأنزل الله تعالى هذه الآية وروى أنه صلى الله عليه وسلم بعث خالدا الى العزى ليكسرها فقال له سادنها لا تدركها أحذركها يا خالد ان لها شدة لا يقوم لها شئ فعمد خالد اليها فهشم أنفها فنزلت هذه الآية (ومن يضلل الله) عن دينه حتى غفل عن كفاية الله لعبده محمد وخوفه بما لا ينفع ولا يضر (فما له من هاد) أى مرشد الى دينه (ومن يهد الله) لدينه (فما له من مضل) عن دينه (أليس الله بعزيز) أى غالب على أمره (ذى انتقام) من أعدائه لاوليائه (ولئن سألتهم) أى كفار مكة (من خلق السموات والارض ليقولن الله) خالقهما لوضوح الدليل على تفرده تعالى بكونه خالقهما (قل) تبكيتا لهم (أفرأيتم ما تدعون من دون الله) أى اذا لم يكن خالق سوى الله تعالى وقد أقررتم بأن خالق العالم العلوى والسفلى هو الله تعالى فاخبرونى بأن ما تعبدون من غير الله وهى اللات والعزى ومناة (ان أرادنى الله بضر) أى بلاء (هل هن كاشفات ضره) أى رافعات بلائه تعالى عنى (أو أرادنى برحمة) أى بنفع (هل

(فمن أظلم ممن كذب على الله) فزعم أن له ولدا وشريكا (وكذب بالصدق) أى بالقرآن (اذ جاءه) على لسان الرسول (أليس فى جهنم مثوى) مقام ومنزل لهؤلاء (والذى جاء بالصدق) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم جاء بالقرآن (وصدق به) أبو بكر رضى الله عنه ثم المؤمنون بعده وقوله (أليس الله بكاف عبده) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم أن ينصره ويكفيه أمر من يعاديه (ويخوفونك بالذين من دونه) أى يخوفونك بأوثانهم يقولون انك تعيبها وانها لتصيبك بسوء ثم بين انهم مع عبادتهم الأوثان يقرون بان الخالق هو الله فقال (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله) أى من الأوثان (ان أرادنى الله بضر) أى بلاء وشدة هل يكشفن ذلك عنى (أو أرادنى برحمة) أى نعمة هل يمسكن ذلك عنى وهذا شأن انها لا تنفع ولا تدفع

هن

هن ممسكات رحمته) أى ما نعات لمستمعنى حتى تأمر ونى بعبادتها وتخوفونى معرتها وقوله تعالى أفرأيتم متسعد لاثنين أولهما ماتدعون والثانى الجملة الاستفهامية وقرأ أبو عمرو بتنوين كاشفات وممسكات ونصب ضره ورحمته وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما سألهم قالوا لا أى لا تكشف ولا تمسك فنزل قوله تعالى (قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) أى قل لهم إذا كان الامر كذلك كانت عبادة الله كافية وكان الاعتماد عليه كافيا فتثقتى فى جميع أمورى من اصابة الخير ودفع الشر بالله تعالى وبه تعالى يثق الواثقون لا على غيره أصلا لعلمهم بأن كل ماسواه تعالى تحت ملكوته تعالى (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) أى على حالتكم وهى الكفر والعناد وقرأ شعبة مكاناتكم بالجمع وهو مروى عن عاصم أيضا (انى عامل) على حالتى (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) أى يهلكه فى الدنيا (ويحل عليه عذاب مقيم) أى ومن ينزل عليه عذاب دائم هو عذاب النار ومن موصولة مفعول تعلمون والامر للتهديد أى أنتم تعتقدون فى أنفسكم أنكم فى نهاية القوة فاجتهدوا فى أنواع كيدكم فانى عامل فى تقرير دينى فسوف تعلمون ان الخزى فى الدنيا بالجوع والسيف والعذاب الدائم فى الآخرة يصيبنى أو يصيبكم (انا أنزلنا عليك الكتاب للناس) أى لنفع الناس ولاهتدائهم به (بالحق) أى مقرونا بالحق وهو المعجز الذى يدل على انه من عند الله (فمن اهتدى فلنفسه) أى فمن عمل بما فيه فنفعه يعود الى نفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) أى ومن لم يعمل بما فيه فضرر ضلاله يعود الى نفسه (وما أنت عليهم بوكيل) أى انك لست مأمورا بأن تجبرهم على الايمان والهدى وما وظيفتك الا البلاغ فالهداية والضلال لا يحصلان الا من الله تعالى ومن عرف هذه الدقيقة فقد عرف سر الله فى القدر ومن عرف سر الله فى القدر هانت عليه المصائب (الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها) أى الله يقبض الارواح من الابدان حين موت أجسادها بخلق الموت وازالة الحس بالكلية ويقبض الارواح التى لم تمت حين تنام بازالة الادراك وخلق الغفلة فى محل الادراك فتتعارف ماشاء الله ان تتعارف (فيمسك التى قضى عليها الموت) فلا يردها الى البدن وقرأ حمزة والكسائى قضى على البناء للمفعول ورفع الموت (ويرسل الاخرى) أى يزيل الحابس عن النائمة فتعود عند التيقظ كما كانت (الى أجل مسمى) وهو وقت النفخة الثانية فى الممسوكة ووقت الموت فى المرسلة فالجار والمجرور متعلق بكل من يمسك ويرسل قال ابن عباس وغيره من المفسرين ان أرواح الاحياء والاموات تلتقى فى المنام فتتعارف ماشاء الله فاذا أراد جميعها الرجوع الى الاجساد أمسك الله أرواح الاموات عنده وأرسل أرواح الاحياء الى أجسادها وقال على رضى الله عنه فما رأته نفس النائم وهى فى السماء قبل ارسالها الى جسدها فهى الرؤيا الصادقة وما رأته بعد ارسالها وقبل استقرارها فى جسدها فهى الرؤيا الكاذبة لانها من القاء الشيطان (ان فى ذلك) أى التوفى على الوجهين والامساك فى أحدهما والارسال فى الآخر (لآيات) عجيبة دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته (لقوم يتفكرون) فى كيفية تعلق الارواح بالابدان وقبضها عنها تارة بالكلية كما عند الموت وحبسها عن التصرف تارة أخرى كما عند النوم وازالة حبسها عنه حينا بعد حين الى انقضاء آجالها (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) أى ان الكفار قالوا نحن لا نعبد هذه الاصنام لاعتقادنا انها آلهة تضر وتنفع وانما نعبدها لاجل انها تماثيل لاشخاص كانوا عند الله من المقربين فنحن نعبدها لاجل أن يصير أولئك الاكابر شفعاء لنا عند الله تعالى فأجاب الله تعالى بقوله بل اتخذوا من دون الله تعالى شفعاء تشفع لهم عنده تعالى (قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون) أى قل لهم أيشفعون فى حال كونهم لا يملكون شيأ من الاشياء وفى حال كونهم لا يعقلونه (قل لله الشفاعة جميعا) أى ان هؤلاء الكفار اما أن يطمعوا فى تلك الشفاعة

(الله يتوفى الأنفس) أى يقبض الارواح (حين موتها) أى عند موتها (والتى لم تمت فى منامها) أى ويقبض روح التى لم تمت فى منامها (فيمسك التى قضى عليها الموت) يمسك أنفس الاموات عنده (ويرسل الأخرى) أى أنفس الاحياء اذا انتبهوا (الى أجل مسمى) وهو أجل الموت (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) يعنى الاوثان التى عبدوها لتشفع لهم (قل) لهم (أولو كانوا لا يملكوا شيأ) من الشفاعة (ولا يعقلون) أى انكم تعبدونهم لا تتركون عبادتهم (قل لله الشفاعة جميعا) فليس يشفع أحد الا باذنه

من هذه الاصنام أو من أولئك العلماء الذين جعلت هذه الاصنام تماثيل لهم فهذه الاصنام لاتملك شيئا ولا تعقله فكيف يعقل صدور الشفاعة عنها ولا يملك أحد من العلماء وغيرهم شيأ ولا يقدر أحد على الشفاعة الا باذن الله فيكون الشفيع فى الحقيقة هو الله لانه الذى يأذن فى الشفاعة فكان الاشتغال بعبادته أولى من الاشتغال بعبادة غيره (له ملك السموات والارض) أى له ملكهما ومافيهما من المخلوقات لايملك أحد ان يتكلم فى أمر من أموره بدون اذنه تعالى ورضاه (ثم اليه ترجعون) يوم القيامة فيفعل يومئذ مايريد (واذا ذكر الله وحده) دون الآلهة (اشمأزت) أى انقبضت (قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة) أى بالبعث بعد الموت حتى يظهر أثر ذلك الانقباض فى أديم الوجه (واذا ذكر الذين من دونه) أى فرادى أومع ذكر الله (اذاهم يستبشرون) حتى يظهر أثر ذلك السرور فى بشرة الوجه (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة) أى ياعالم ماغاب عن العباد وماعلموه (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين وعن أبى سلمة قال سألت عائشة رضى الله عنها بم كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته بالليل قالت كان يقول اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك لتهدى من تشاء الى صراط مستقيم (ولو أن للذين ظلموا مافى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة) أى لو ان لهؤلاء الكفار جميع مافى الدنيا من الاموال ومثله معه لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب الشديد يوم القيامة (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) أى ظهر لهم من فنون العقوبات مالم يكن فى حسابهم (وبدا لهم سيآت ما كسبوا) أى وظهر لهم سيآت كسبهم حين تعرض عليهم صحائفهم (وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن) أى أحاط بهم من كل الجوانب جزاء ما كانوا يستهزؤن به (فاذا مس الانسان) أى الكافر (ضر) أى فقر ومرض (دعانا) أى يفزعون الينا ويعتقدون ان دفع ذلك لا يكون الا منا (ثم اذا خولناه نعمة منا) أى اذا أعطيناه مالا أوعافية فى البدن تفضلا منا (قال انما أوتيته على علم) أى خبر علمه الله منى فان كانت النعمة سعة فى المال قال انما حصل هذا بكسبى وان كانت صحة قال انما حصلت هذه الصحة بسبب العلاج الفلانى (بل هى) أى النعمة (فتنة) أى اختبار أيشكر أم يكفر وذلك لان عند حصولها يجب الشكر وعند فواتها يجب الصبر ويختبر بها من أوتى النعمة (ولكن أكثرهم) أى هؤلاء القائلين هذا الكلام (لايعلمون) ان هذا التخويل انما كان لاجل الاختبار أى انا نتفضل على ذلك الانسان وهو يظن انه انما وجده بالاستحقاق (قد قالها الذين من قبلهم) أى قد قال الذين من قبل قومك ياأفضل الخلق مثل هذه المقالة وذلك مثل قارون وغيره (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أى فما دفع عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه شيأ من عذاب الله (فأصابهم سيآت ما كسبوا) أى بل أصابهم جزاء أعمالهم من العذاب (والذين ظلموا) بالعتو (من هؤلاء) أى من مشركى قومك (سيصيبهم سيآت ما كسبوا) أى عقوبات ما عملوا كما أصاب الامم (وماهم بمعجزين) أى هم لا يعجزوننى فى الدنيا والآخرة (أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى أقالوا ذلك ولم يعلموا ان الله يوسع الرزق لمن يشاء وان كان لاقوة له ويضيق الرزق لمن يشاء وان كان قويا شديد الحيلة وليس ذلك لاجل الطبائع والانجم لان الساعة التى ولد فيها السلطان قد ولد فيها أنواع الناس وأنواع الحيوانات وأنواع النباتات وحدوث هذه الاشياء الكثيرة فى الساعة الواحدة مع كونها مختلفة فى السعادة والشقاوة دليل على ان المؤثر فيه هو الله تعالى وحده دون الطوالع قال الشاعر

(واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة) كان المشركون اذا سمعوا لا اله الا الله وحده لاشريك له نفروا عن ذلك (واذا ذكر) الاوثان فرحوا ومعنى اشمأزت نفرت وقوله (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) فى الدنيا أنه نازل بهم فى الآخرة وقوله (قال انما أوتيته على علم) أى أعطيته على شرف وفضل وكنت علمت أنى سأعطى هذا باستحقاق (بل هى) أى تلك العطية (فتنة) من الله يبتلى بها العبد ليشكر أو يكفر (قد قالها الذين من قبلهم) يعنى قارون حين قال انما أوتيته على علم عندى

فلا السعد يقضي به المشترى * ولا النحس يقضي علينا زحل
ولكنه حكم رب السما * وقاضي القضاة تعالى وجل

(ان فى ذلك) أى البسط والتضييق (لآيات) دالة على ان الحوادث كلها من الله تعالى (لقوم يؤمنون) اذهم المستدلون بها على مدلولاتها (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم) أى أفرطوا فى الجناية عليها بالمعاصي وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى بسكون الياء وسقوطها فى الوصل والباقون يفتحها وكلهم يقفون باثبات الياء الا فى بعض روايات أبى بكر عن عاصم فانه يقف بغير ياء (لاتقنطوا من رحمة الله) لاتيأسوا من مغفرة الله وتفضله أى وأقلعوا عن ذنوبكم فانها قاطعة عن الخير مبعدة عن الكمال (ان الله يغفر الذنوب جميعا) أى بالتوبة اذا صحت توبته ومن مات قبل ان يتوب فهو موكول الى مشيئة الله تعالى فيه فان شاء غفر له وان شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته فالتوبة واجبة على كل واحد وخوف العقاب قائم (انه هو الغفور الرحيم) لمن تاب من الكفر وآمن بالله قيل ان هذه الآية نزلت فى أهل مكة فانهم قالوا يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس لم يغفر له وقد عبدنا وقتلنا فكيف نسلم وعن ابن عمر قال كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى ليس شئ من حسناتنا الا وهى مقبولة حتى نزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا ماهذا الذى يبطل أعمالنا فقيل لنا الكبائر والفواحش فكنا اذا رأينا من أصاب منها شيأ خفنا عليه ومن لم يصب منها شيأ رجوناله فأنزل الله تعالى قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله وأراد بالاسراف ارتكاب الكبائر (وأنيبوا الى ربكم) أى أقبلوا الى ربكم بالتوبة من الكفر (وأسلموا له) أى أطيعوا الله (من قبل أن يأتيكم العذاب) ان لم تتوبوا (ثم لاتنصرون) أى لاتمنعون من عذاب الله نزلت هذه الآية فى وحشى وأصحابه (واتبعوا أحسن ماأنزل اليكم من ربكم) وهو القرآن لقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا وقال الحسن معناه والتزموا طاعة الله واجتنبوا معصية الله فان الذى أنزل على ثلاثة أوجه ذكر القبيح ليتجنب عنه والادون لئلا يرغب فيه والاحسن ليتبع وليتقوى به (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون) بمجيئه لتتأهبوا له (أن تقول نفس) مفعول لاجله أى أنيبوا الخ كراهة أن تقول نفس (ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله) أى ياندامتا على تفريطى فى حق الله وأمره وطاعته (وان كنت لمن الساخرين) أى والحال انى كنت لمن المستهزئين بدين الله وأهله (أو تقول لو أن الله هدانى) أى بين لى الايمان (لكنت من المتقين) أى من الموحدين (أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة) أى رجعة الى دار الدنيا (فأكون من المحسنين) فى العقيدة والعمل فيقول الله تعالى ردا على ذلك (بلى قد جاءتك آياتى) أى وهى القرآن مرشدة لك (فكذبت بها واستكبرت) أى تكبرت عن الايمان بها (وكنت من الكافرين) فبين الله تعالى أن الحجة عليهم لله لاأن الحجة لهم على الله (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) بأن وصفوه بما لايليق بشأنه تعالى كاتخاذه تعالى الولد وكقولهم ان الله تعالى حرم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وبأن وصفوا الاصنام بالآلهة (وجوههم مسودة) سوادا مخالفا لسائر أنواع السواد وهو سواد يدل على الجهل بالله والكذب على الله (أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) أى منزل للمتكبرين من الايمان والطاعة (وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم) وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر عن عاصم بمفازاتهم بالجمع أى ينجى الله الذين بالغوا فى وقاية أنفسهم من غضبه تعالى من منزل المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذى هو الجنة وكما وقاهم الله فى الدنيا من المخالفات نجاهم فى الآخرة من العقوبات

(قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم) أى بارتكاب الكبائر والفواحش نزلت فى قوم من أهل مكة هموا بالاسلام ثم قالوا ان محمدا يقول ان من عبد الاوثان واتخذ مع الله آلهة وقتل النفس لايغفر له وقد فعلنا كل هذا فأعلم الله عز وجل أن من تاب وآمن غفر له كل ذنب فقال (لاتقنطوا من رحمة الله) الآية (وأنيبوا الى ربكم) أى ارجعوا اليه بالطاعة (وأسلموا) أى أطيعوا له (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) يعنى القرآن كقوله الله نزل أحسن الحديث وقوله (أن تقول نفس ياحسرتى) أى افعلوا ما أمرتكم به من الانابة واتباع القرآن خوف ان تصيروا الى حالة تقولون بها هذا القول وقوله (على مافرطت فى جنب الله) أى قصرت فى طاعة الله وسلوك طريقه (وان كنت لمن الساخرين) أى ما كنت الا من المستهزئين بدين الله وكتابه (وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم) أى بمنجاتهم من العذاب والمفازة يعنى وقوله الفوز

(لا يمسهم السوء) أى العذاب (ولا هم يحزنون) على فائت لانه لا يفوت لهم شئ أصلا وقيل المعنى ان النجاة فى القيامة حصلت بسبب فوزهم فى الدنيا بالطاعات والخيرات ثم فسرت تلك النجاة بقوله تعالى لا يمسهم السوء الخ (الله خالق كل شئ) من خير وشر وايمان وكفر بمباشرة الكاسب لأسبابها (وهو على كل شئ وكيل) أى ان الاشياء كلها موكولة اليه تعالى فهو القائم بحفظها وتدبيرها من غير منازع ولا مشارك فيتولى التصرف فيها كيفما يشاء (له مقاليد السموات والارض) أى له تعالى مفاتيحها لا يتمكن من التصرف فيها غيره وقيل سأل عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سألني عنها أحد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر سبحان الله وبحمده أستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير والمعنى ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهى مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين أصابه وقال قتادة ومقاتل له مفاتيح السموات والارض بالرزق والرحمة وقال الكلبي له خزائن المطر والنبات (والذين كفروا بآيات الله) أى الناطقة بكونه تعالى خالقا للاشياء كلها وكونه مالكا لمقاليد السموات والارض بأسرها (أولئك هم الخاسرون) خسرانا لا اخسار وراءه (قل) يا أشرف الخلق لاهل مكة حيث قالوا له أسلم ببعض آلهتنا ونؤمن بالهك (أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون) أى بعد مشاهدة الآيات الدالة على انفراده تعالى أعبد غيره تعالى بأمركم وغير الله منصوب بأعبد وتأمرونى اعتراض وقيل ان أعبد معمول لتأمرونى على اضمار أن المصدرية فلما حذفت بطل عملها وجاز تقديم معمول صلة ان على الموصول بأن المحذوفة والاصل أتأمرونى بأن أعبد غير الله ويؤيد هذا القول قراءة أعبد بالنصب وقرأ نافع تأمرونى بنون واحدة مخففة مع فتح الياء وهى نون الرفع كثرت للمناسبة وابن كثير بنون مشددة وفتح الياء وابن عامر بنونين ساكنة الياء والباقون بنون واحدة مشددة وسكون الياء (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك) من الرسل عليهم السلام (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) وهذه قضية شرطية والقضية الشرطية لا يلزم من صدقها صدق جزأيها كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ولم يلزم من هذا صدق ان فيهما آلهة وانهما قد فسدتا (بل الله فاعبد) وهذا رد لما أمروه صلى الله عليه وسلم به من الاسلام ببعض آلهتهم كانه صلى الله عليه وسلم قال انكم تأمروننى بأن لا أعبد الا غير الله وكانه تعالى قال فلا تعبد الا الله (وكن من الشاكرين) لله على ما هداك الى انه لا يجوز الا عبادة الاله القادر العليم الحكيم وعلى ما أرشدك الى انه يجب الاعراض عن عبادة كل ما سوى الله تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) أى وما عظموا الله حق تعظيمه أى تعظيما لائقا به تعالى بل أنزلوه عن قدره ومنزلته اذ زعموا ان له شركاء وانه لا يقدر على احياء الموتى والحال أن الارض جميعا مقدورته تعالى يوم القيامة والسموات مطويات بقدرته تعالى أو ما عرفوا الله حق معرفته حيث وصفوه بما لا يليق بشؤونه الجليلة حيث قالوا يد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير يطلب منا القرض الخ ومقصود هذه الآية اشارة الى أن المتولى لابقاء السموات والارض فى هذه الدار هو المتولى لتخريبهما يوم القيامة وذلك يدل على قدرته التامة على الايجاد والاعدام فاذا حاول تخريب الارض يزيلها فكانه يقبض قبضة صغيرة ويريد افناءها وذلك يدل على كمال الاستغناء وقرئ قبضته بالنصب على الظرف أى فى ملكه تعالى وقدرته وقرئ مطويات بالنصب على الحال والسموات معطوفة على الارض (سبحانه وتعالى عما يشركون) أى ان هذا القادر القاهر العظيم الذى حارت العقول فى وصف عظمته تنزه عن ان تجعل الاصنام شركاء له فى المعبودية وان

يكون

(له مقاليد السموات والارض) أى مفاتيح خزائنها وكل شئ فى السموات والارض الله فاتح بابه (قل أفغير الله) الآية هذا جواب للذين دعوه الى دين آبائه وقوله (والارض جميعا قبضته يوم القيامة) أى ملكه من غير منازع كما تقول هو فى قبضة فلان اذ ملك التصرف فيه وان لم يقبض عليه بيده (والسموات مطويات) كقوله يوم نطوى السماء (بيمينه) أى بقوته وقيل بقسمه لانه حلف أن يطويها

يكون تعالى عاجزا وعتابا الى شئ (ونفخ فى الصور) نفخة الموت (فصعق) أى مات (من فى السموات ومن فى الارض الامن شاء الله) قال كعب الاحبار هم اثناعشر جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وحملة العرش وهم ثمانية (ثم نفخ فيه) أى الصور بمقدار بعين سنة نفخة (أخرى) وهى نفخة البعث تمطر السماء كنطف الرجال (فاذاهم قيام) من قبورهم (ينظرون) أى يقلبون أبصارهم فى الجوانب كالمبهوتين وينظرون حال من ضمير قيام وقرئ قياما بالنصب على الحال من ضمير ينظرون فهو حينئذ خبر المبتدا (وأشرقت الارض بنور ربها) أى وأضاءت الارض الجديدة التى يوجدها الله فى ذلك الوقت لتحشر الناس فيها بعدل ربها (ووضع الكتاب) أى صحائف الاعمال وهى ديوان الحفظة فى أيدى العمال (وجيء بالنبيين والشهداء) أى الذين يشهدون على الأمم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومن الملائكة الحفظة (وقضى بينهم) أى بين العباد (بالحق) أى بالعدل (وهم لايظلمون) أى لاينقص من حسناتهم ولايزاد على سيآتهم (ووفيت كل نفس ماعملت) أى وفيت كل نفس برة وفاجرة جزاء ماعملته من خير وشر (وهو أعلم بما يفعلون) ولاحاجة به تعالى الى كتاب ولا الى شاهد ومع ذلك تشهد الكتب والشهود الزاما للحجة (وسيق الذين كفروا الى جهنم) بالعنف والدفع (زمرا) أى أفواجا متفرقة بعضها عقب بعض على حسب ترتب طبقاتهم فى الضلالة والشرارة (حتى اذا جاؤها) أى جهنم (فتحت أبوابها) أى طرقها لهم ولم تكن قبل ذلك مفتوحة (وقال لهم خزنتها) وهم الزبانية تقريعا وتوبيخا (ألم يأتكم رسل منكم) أى من جنسكم وقرئ نذر منكم (يتلون عليكم آيات ربكم) من القرآن وغيره (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أى لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار (قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) أى بلى قد أتونا وتلوا علينا وأنذرونا ولكن ثبتت علينا كلمة العذاب ومن وجبت عليه كلمة العذاب فكيف يمكنه الخلاص من العذاب (قيل ادخلوا) أى ثم ان الملائكة اذا سمعوا منهم هذا الكلام قالوا لهم ادخلوا (أبواب جهنم خالدين فيها) أى مقدرا خلودكم فيها (فبئس مثوى المتكبرين) أى على الانبياء جهنم أى انهم انما دخلوا النار لانهم تعظموا عن الايمان بالرسل ولم يقبلوا قولهم ولم يلتفتوا الى دلائلهم (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة) مساق اعزاز وتشريف للاسراع بهم الى دار الكرامة ولان بعضهم قالوا لاندخلها حتى يدخلها أحبائى وأصدقائى ولان بعضهم استغرقوا فى مشاهدة مواقف الجلال والجمال وهى مانعة لهم عن الرغبة فى الجنة وكلهم راكبون فتساق مراكبهم (زمرا) أى متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم فى الفضل وعلو الطبقة (حتى اذا جاؤها) أى الجنة (وفتحت أبوابها) الواو للحال أى وقد فتحت ابوابها قبل وصولهم اليها (وقال لهم خزنتها) على باب الجنان (سلام عليكم) من كل الآفات (طبتم) أى صلحتم لسكناها لانكم تطهرتم من دنس المعاصى وطهرتم من خبث الخطايا (فادخلوها خالدين) وجواب اذا محذوف تقديره اطمأنوا وسعدوا (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) فى قوله تعالى أن لاتخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون (وأورثنا الارض) أى أورثنا الله أرض الجنة بأن وفقنا للاتيان بأعمال أورثت الجنة (نتبوأ من الجنة حيث نشاء) أى ينزل كل واحد فى أى مكان أراده من جنته الواسعة فهو يتخير فى منازل قسمه فلا يختار أحد مكان غيره مع ان فى الجنة مقامات معنوية لاتمانع واردوها (فنعم أجر العاملين) الجنة وهذا من كلام الله تعالى (وترى الملائكة حافين من حول العرش) أى محدقين بالعرش أى كما ان دار ثواب المتقين هى الجنة فكذلك دار ثواب الملائكة هو جوانب العرش وأطرافه (يسبحون بحمد ربهم) فثوابهم هو عين ذلك التحميد والتسبيح وأعظم درجات الثواب استغراق قلوب العباد فى درجات التنزيه ومنازل التقديس (وقضى

(ونفخ فى الصور فصعق) أى مات (من فى السموات ومن فى الارض الامن شاء الله) قيل هم الشهداء وهم أحياء عند ربهم وقيل يعنى جبريل وميكائيل واسرافيل قيل وملك الموت وحملة العرش (ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون) أى ينتظرون أمر الله فيهم (وأشرقت الارض) أى ألبست الاشراق عرصات القيامة (بنور ربها) وهو نور يخلقه الله فى القيامة يلبسه وجه الارض (ووضع الكتاب) يعنى الكتب التى فيها أعمال بنى آدم (وجيء بالنبيين والشهداء) أى الذين يشهدون للرسل بالتبليغ (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا) أى جماعات وأفواج وقوله (طبتم) أى كنتم طيبين فى الدنيا وقوله (وأورثنا الارض) أى أرض الجنة (نتبوأ) نتخذ (منها) منازل (حيث نشاء فنعم أجر العاملين) أى ثواب المطيعين (وترى الملائكة حافين من حول العرش) أى محيطين به (يسبحون بحمد ربهم وقضى

بينهم بالحق) أي ان الملائكة على مراتب متفاوتة فلكل واحد منهم في درجات المعرفة وا محد ودلا يتجاوزه (وقيل الحمد لله رب العالمين) أي قال الملائكة الحمد لله رب العالمين على قضائه بينهما بالحق وهم ما حمدوه تعالى لاجل ذلك القضاء بل حمدوه تعالى بصفته تعالى الواجبة له وهي كونه تعالى ربا للعالمين فان من حمد المنعم لاجل أن انعامه وصل اليه فهو في الحقيقة ما حمد المنعم وانما حمد الانعام ويقال ان هذا من بقية شرح ثواب المؤمنين فيقال في التقرير كان حرفة المتقين في الجنة الاشتغال بهذا التحميد والتمجيد فكذلك حرفة الملائكة الاشتغال بالتحميد والتسبيح ثم ان جوانب العرش ملاصقة لجوانب الجنة فالمؤمنون والملائكة يصيرون متوافقين على الاستغراق في تحميد الله وتمجيده وتسبيحه فكان لك سببا لمزيد التذاذهم وقال تعالى وقضي بينهم أي بين البشر بالحق وقيل الحمد لله أي انهم يقدمون التسبيح فالتسبيح عبارة عن قرارهم بتنزيه الله تعالى عن كل مالا يليق به وهو صفات الجلال والتحميد عبارة عن اقرارهم بكونه تعالى موصوفا بصفات الاكرام ثم ان الله تعالى لم يبين ذلك القائل والمقصود من هذا الابهام التنبيه على ان خاتمة كلام العقلاء في الثناء على حضرة ذي الجلال والكبرياء ليس الا ان يقولوا الحمد لله رب العالمين

﴿سورة المؤمن وتسمى سورة الطول وسورة غافر مكية وهي خمس وثمانون آية وألف ومائة وتسع وتسعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم تنزيل الكتاب) أي هذه السورة المسماة بحم تنزيل الكتاب (من الله العزيز) أي الذي لا يوجد له مثل (العليم) بوجوه المصالح والمفاسد (غافر الذنب) أي غافر للذنوب الكبار قبل التوبة عن قال لا اله الا الله (وقابل التوب) لمن تاب من الشرك (شديد العقاب) لمن مات على الشرك (ذي الطول) أي ذي الفضل على من آمن به بترك العقاب المستحق وذي الغنى على من لم يؤمن به (لا اله الا هو) فيجب الاقبال الكلي على طاعته في أوامره ونواهيه (اليه المصير) أي مرجع من آمن به ومن لم يؤمن به (ما يجادل في آيات الله) بالجدال الباطل (الا الذين كفروا) بها وهو ان يقال في حق القرآن انه سحر أو انه شعر أو انه قول الكهنة أو انه أساطير الاولين أو انما يعلمه بشر أو أشباه ذلك مما كانوا يقولونه من الشبهات الباطلة قال صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القرآن كفر وقال لا تماروا في القرآن فان المراء فيه كفر (فلا يغررك تقلبهم في البلاد) أي لا ينبغي ان تغتر بأني أتركهم سالمين في أبدانهم وأموالهم يتصرفون في البلاد للتجارات وطلب المعاش واني سآخذهم كما فعلت باشكالهم من الأمم الماضية (كذبت قبلهم) أي قبل قومك (قوم نوح والاحزاب) أي الأمم المتفرقة (من بعدهم) أي من بعد قوم نوح كقوم عاد وثمود (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) أي وعزمت كل أمة من هؤلاء المكذبين أن يأخذوا رسولهم ليقتلوه ويهلكوه (وجادلوا بالباطل) أي خاصموا رسلهم بايراد الشبهات (ليدحضوا به الحق) أي ليزيلوا بايراد تلك الشبهات الصدق (فأخذتهم) بسبب ذلك (فكيف كان عقاب) أي عقابي اياهم أليس كان مهلكا مهيبا في السماع (وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) أي كما ثبتت حكمه تعالى بالتعذيب على أولئك الأمم المكذبة على رسلهم ثبت على الذين كفروا وتحزبوا بك عليك كونهم مستحقي أشد العقوبات التي هي عذاب النار فقوله تعالى انهم أصحاب النار في محل رفع بدل من قوله تعالى كلمت ربك أو في محل نصب بحذف لام التعليل أي لانهم ملازموا النار ابدا وقرأ نافع وابن عامر كلمات بالجمع (الذين يحملون العرش)

بينهم) أي [illegible]

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (حم) قضى ما هو كائن (تنزيل الكتاب) ابتداء وخبره (من الله العزيز العليم غافر الذنب) لمن قال لا اله الا الله (وقابل التوب) ممن قال لا اله الا الله (شديد العقاب) لمن لا يقول لا اله الا الله (ذي الطول) أي ذي الغنى والسعة (ما يجادل في آيات الله) أي في دفعها وابطالها (فلا يغررك تقلبهم) أي تصرفهم في (في البلاد) أي للتجارات يعني سلامتهم بعد كفرهم حتى انهم يتصرفون حيث شاؤا فان عاقبتهم الهلاك كعاقبة من كان قبلهم من الكفار وقوله (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم) يعني الذين تحزبوا على أنبيائهم بالمخالفة والعداوة كعاد وثمود (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) أي قصدت كل أمة رسولها ليتمكنوا منه ويقتلوه (وجادلوا بالباطل) بباطلهم (ليدحضوا) أي ليدفعوا (به الحق فأخذتهم) فعاقبتهم (فكيف كان عقاب) استفهام تقرير (وكذلك) أي ومثل ما ذكرنا (حقت كلمت ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) يعني قوله لأملأن جهنم منك وممن تبعك الآية ثم أخبر بفضل المؤمنين وأن الملائكة يستغفرون لهم فقال (الذين يحملون العرش)

العرش) وهم فى الدنيا أربعة وفى يوم القيامة ثمانية أرجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم (ومن حوله) وهم الكروبيون وهم سادات الملائكة (يسبحون بحمد ربهم) قال شهر بن حوشب وحملة العرش يوم القيامة ثمانية فأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على علمك وحلمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك اهـ ولا شك ان حملة العرش أشراف الملائكة وأكابرهم روى فى الحديث ان الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة (ويؤمنون به) وهذا تنبيه على أن الله تعالى لو كان حاضرا بالعرش لكان حملة العرش والحافون حوله يشاهدونه ولما كان ايمانهم بوجود الله موجبا للمدح لان الاقرار بوجود شئ حاضر معاين لا يوجب الثناء ألا ترى ان الاقرار بوجود الشمس وكونها مضيئة لا يوجب المدح فلما ذكر الله تعالى ايمانهم بالله على سبيل المدح والتعظيم علم انهم آمنوا به من غير أن يشاهدوه تعالى حاضرا هناك (ويستغفرون للذين آمنوا) شفقة على خلق الله وقد ثبت ان كمال السعادة مربوط بأمرين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ويجب أن يكون التعظيم لامر الله مقدما على الشفقة لخلق الله فالتسبيح مشعر بالتعظيم لله والدعاء للمؤمنين مشعر بالشفقة عليهم وقيل هذا الاستغفار فى مقابلة قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فلما صدر هذا منهم أولا تداركوه بالاستغفار لمن تكلموا فيهم وهو كالتنبيه لغيرهم على انه يجب على من تكلم فى أحد بشئ يكرهه ان يستغفر له وعلى من أذى غيره ان يجبره بايصال نفع اليه (ربنا) وهذا معمول لقول مضمر فى محل نصب على الحال من فاعل يستغفرون أى قائلين ربنا الخ وهذا دليل على ان السنة فى الدعاء أن يبدأ فيه بالثناء على الله تعالى ثم يدعو عقبه فان الملائكة لما عزموا على الدعاء للمؤمنين بدؤا بالثناء فقالوا ربنا (وسعت كل شئ رحمة وعلما) أى وسعت رحمتك وعلمك فكل موجود نال من رحمة الله نصيبا لان وجود الممكن بايجاده تعالى فذلك رحمة فلا موجود غير الله الا وقد وصل اليه نصيب من رحمة الله وعلمه تعالى محيط بجميع المعلومات التى لا نهاية لها من الكليات والجزئيات (فاغفر للذين تابوا) من الكفر وان أصروا على الفسق بأن تسقط العقاب عنهم (واتبعوا سبيلك) فى الشريعة (وقهم عذاب الجحيم) أى ادفع عنهم عذاب النار (ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم) اياه وقرئ جنة عدن (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) ومن معطوف على مفعول أدخل أى وأدخل معهم فى الجنة من آمن من هؤلاء الطوائف الثلاثة ليتم سرورهم قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول أين أبى أين زوجتى أين ولدى فيقال له انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول انى كنت أعمل لى ولهم فيقال أدخلوهم الجنة فاذا اجتمع بأهله فى الجنة كان أكمل فى سروره ولذته وقرئ ابن أبى عبلة صلح بضم اللام وقرأ عيسى وذريتهم بالافراد (انك أنت العزيز) أى القادر الذى لا يساويه أحد فى القدرة (الحكيم) أى الذى لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة (وقهم السيئات) أى ادفع عنهم العقوبات عند وقف القيامة وعند الحساب والسؤال أو صنهم فى الدنيا عن العقائد الفاسدة ولا عمال الفاسدة (ومن تق السيئات يومئذ) أى ومن تدفع عنه العقوبات أو من تصنه فى الدنيا عن المعاصى (فقد رحمته) أى عصمته وعظمته (وذلك) أى الرحمة (هو الفوز العظيم) حيث وجدوا باعمال منقطعة نعيما لا ينقطع وبأفعال حقيرة ملكا لا تصل العقول الى كنه عظمته (ان الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) أى ان الذين كفروا ينادون يوم القيامة لمقت الله اياكم فى الدنيا حين تدعون من جهة الانبياء الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أكبر من مقتكم لامارتها السوء أنفسكم

العرش ومن حوله) من الملائكة وقوله (ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما) أى وسعت رحمتك كل شئ وعلمت كل شئ (ان الذين كفروا ينادون) وهم فى النار وقد مقتوا أنفسهم حين وقعوا فى العذاب (لمقت الله) اياكم أمسكم فى الدنيا (أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون

[illegible] أكبر من مقتكم أنفسكم الامارة بالسوء الآن أو من مقت [illegible]

أنهم اذا شاهدوا القيامة والجنة والنار مقتوا أنفسهم على اصرارهم على تكذيب هذه الاشياء أو أن الاتباع يشتد مقتهم الآن للرؤساء الذين دعوهم الى الكفر فى الدنيا والرؤساء يشتد انكارهم للاتباع الآن أيضا واذ ظرف للمقت الاول وقيل يناديهم المتقون فى الآخرة من مكان بعيد وهم فى النار واذ تدعون تعليل لما بين الظرف والسبب والمعنى لمقت الله اياكم الآن أكبر من مقتكم أنفسكم الآن لما كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون (قالوا) أى الكفار (ربنا أمتنا اثنتين) أى اماتتين مرة بقبض أرواحنا ومرة بعد ما سألنا منكر ونكير فى القبور (وأحييتنا اثنتين) أى احياءتين مرة عند سؤال منكر ونكير فى القبور ومرة عند البعث وهذا أنسب بحالهم فان مقصودهم تعديد أوقات البلاء وهى أربعة الموتة الاولى والحياة فى القبر والموتة الثانية والحياة فى القيامة فهذه الاربعة أوقات المحنة فأما الحياة فى الدنيا فليست من أقسام أوقات البلاء فلهذا السبب لم يذكروها (فاعترفنا بذنوبنا) أى بشركنا وجحودنا بالبعث (فهل الى خروج من سبيل) أى فهل الى خروج من النار ورجوع الى الدنيا لنصلح أعمالنا من سبيل أى طريق فاجاب الله تعالى لهم بقوله (ذلكم) أى العذاب فى النار والمقت (بأنه) أى بسبب ان الشأن (اذا دعى الله وحده كفرتم) أى اذا عبد الله منفردا كفرتم بتوحيده (وان يشرك به تؤمنوا) أى ان يجعل له شريك تصدقوا بالاشراك ويقال ذلكم أى عدم سبيل خروج لكم انما وقع بسبب كفركم بتوحيد الله تعالى وايمانكم بالاشراك به (فالحكم لله العلى الكبير) فالله أعلى كل شئ وأكبر كل شئ بحسب القدرة والالهية وذلك حيث حكم عليكم بالعذاب السرمدى (هو الذى يريكم آياته) أى علامات وحدانيته وقدرته (وينزل لكم من السماء رزقا) أى سبب رزق وهو المطر فالله تعالى راعى مصالح أديان العباد باظهار الآيات وراعى مصالح أبدانهم بانزال الرزق من السماء فالآيات لحياة الاديان والارزاق لحياة الابدان وعند حصولهما يكمل الانعام وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون (وما يتذكر) أى وما يتعظ بتلك الآيات الباهرة (الا من ينيب) أى الا من يقبل على الله بالكلية ويعرض عن غير الله (فادعوا الله) أى فاعبدوا الله أيها المؤمنون (مخلصين له الدين) من الشرك ومن الالتفات الى غير الله (ولو كره الكافرون) اخلاص العبادة منكم (رفيع الدرجات) أى الله عظيم الصفات فهو تعالى أرفع الموجودات فى جميع صفات الجلال والكمال لانه واجب الوجود لذاته وهو أول وآخر لكل ما سواه وليس له أول وآخر وهو عالم بجميع الذوات والصفات والكليات والجزئيات وهو غنى عن كل ما سواه وهو واحد يمتنع أن يحصل له ضد وند وشريك ونظير وقرئ رفيع الدرجات بالنصب على المدح (ذو العرش) أى مالكه ومدبره وخالقه وهذان خبران آخران لهو (يلقى الروح من أمره) أى ينزل الوحى الجارى من القلوب منزلة الروح من الاجساد هو أمره تعالى (على من يشاء من عباده) وهم الانبياء (لينذر يوم التلاق) والفاعل يعود الى من يشاء وهو الملقى عليه وقرئ لتنذر على أن الفاعل هو الروح لانها قد تؤنث وهذا الفعل ينصب مفعولين محذوفين أى لينذر من يختاره الله الناس العذاب يوم القيامة أو ان المفعول الثانى هو يوم التلاق بدليل قراءة لينذر يوم التلاق على البناء للمفعول ورفع يوم وسمى يوم القيامة بيوم التلاق لان الارواح متلاقية للاجساد ولان الخلائق يتلاقون فيه فيقف بعضهم على حال بعض ولانه يلتقى فيه أهل السماء وأهل الارض ولان كل أحد يصل الى جزاء عمله ويلتقى فيه العابدون والمعبودون ويلتقى فيه الظالم والمظلوم (يوم هم بارزون) أى خارجون عن بواطن القبور وظاهرون لا يسترهم شئ من جبل وغيره وليس عليهم ثياب وتظهر أعمالهم

[illegible] أنهم كانوا [illegible] لمقتهم أنفسهم أيام أيسر [illegible] الدنيا ثم أحيوا للبعث (فاعترفنا بذنوبنا) أى أريتنا من الآيات ما أوجبت علينا الاقرار بذنوبنا (فهل الى خروج) من النار (من سبيل) فقيل لهم (ذلكم) العذاب (بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا) أى تصدقوا ذلك الشرك (فالحكم لله) أى فى انزال العذاب بكم لا يمنعه من ذلك مانع (هو الذى يريكم آياته) دلائل توحيده (وينزل لكم من السماء رزقا) أى بالمطر (وما يتذكر) أى يتعظ بآيات الله (الا من ينيب) أى يرجع الى الله بالايمان (فادعوا الله مخلصين له الدين) أى الطاعة (رفيع) أى رافع (الدرجات) لأهل الثواب فى الجنة (ذو العرش) أى مالكه وخالقه (يلقى الروح) أى الوحى الذى تحيى به القلوب من موت الكفر (من أمره) أى من قوله (على من يشاء من عباده) أى على من يختصه بالرسالة (لينذر) أى ليخوف الخلق (يوم التلاق) أى يوم يلتقى أهل الارض وأهل السماء فى يوم القيامة (يوم هم بارزون) أى خارجون

أعمالهم وتنكشف أسرارهم لايخفى على الله (منهم شئ) فيعلم مافعله كل واحد منهم فيجازى كلا منهم بحسبه ان خيرا فخير وان شرا فشر وينادى مناد (لمن الملك اليوم) فيجيبه أهل المحشر (لله الواحد القهار) أى الذى قهر الخلق بالموت فالمؤمنون يقولونه تلذذا بهذا الكلام حيث نالوا المنزلة الرفيعة والكفار يقولونه على وجه التحسر والندامة على مافاتهم فى الدنيا (اليوم تجزى كل نفس) برة أوفاجرة (بما كسبت) من خير أو شر (لاظلم اليوم) بنقص ثواب أو زيادة عذاب أى يقال لهم اذا أقروا بالملك يومئذ لله وحده اليوم تجزى الخ (ان الله سريع الحساب) اذ لايشغله شأن عن شأن فيحاسب الخلائق قاطبة فى أقرب زمان (وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر) فاذ بدل من يوم الآزفة أى وأنذرهم يوم القرب من العذاب ومشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم من أماكنها فتلتصق بحلوقهم من شدة الخوف (كاظمين) أى مغمومين يتردد الغيظ فى أجوافهم فلا يمكنهم أن ينطقوا ويبينوا خوفهم (ماللظالمين من حميم) أى قريب مشفق (ولا شفيع يطاع) أى ولا شفيع مقبول شفاعته (يعلم خائنة الاعين) أى استراق النظر الى مالايحل (وما تخفى الصدور) أى مضمرات القلوب (والله يقضى بالحق) علم الله ان الله لايحكم الا بالحق فى كل مادق وجل كان خوف المذنب من الله فى الغاية القصوى (والذين يدعون من دونه لايقضون بشئ) أى والذين يعبدونهم من دون الله تعالى من الاوثان لايصنعون شيأ من الشفاعة يوم القيامة ولا يأمرون بخير فى الدنيا فان الكفار انما عولوا فى دفع العقاب عن أنفسهم على شفاعة هذه الاصنام فلذلك بين الله تعالى انه لافائدة فيها البتة بهذه الآية وقرأ نافع وهشام تدعون بتاء الخطاب (ان الله هو السميع البصير) أى يسمع من الكفار ثناءهم على الاصنام ويبصر سجودهم لهم ولا يسمع منهم ثناءهم على الله ولا يبصر خضوعهم وتواضعهم له (أولم يسيروا فى الارض) أى أغفلوا ولم يسيروا فى أقطار الارض فيعتبروا بمن قبلهم (فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) من الامم المكذبة لرسلهم (كانوا هم) أى الذين مضوا من الكفار (أشد منهم) أى من هؤلاء الحاضرين من الكفار (قوة) أى قدرة على التصرفات وقرأ ابن عامر وحده منكم بكاف (وآثارا فى الارض) أى قصورا للسكنى وحصونا للقتال ومصانع للمياه (فأخذهم الله بذنوبهم) أى أهلكهم الله بسبب تكذيبهم الرسل بضروب الهلاك (وما كان لهم من الله من واق) أى يجدوا من يمنعهم من الله ومن يخلصهم من عذاب الله وقرأ ابن كثير بالياء فى الوقف (ذلك) العذاب فى الدنيا (بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أى بالاحكام الظاهرة وبالمعجزات الباهرة (فكفروا) بذلك (فأخذهم الله) أخذا وبيلا (انه قوى) بأخذه (شديد العقاب) لمن عاقبه (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) وهى معجزاته (وسلطان مبين) أى حجة مبينة (الى فرعون) ملك مصر (وهامان) وزير فرعون (وقارون) ابن عم موسى (فقالوا) لموسى فى اظهره من المعجزات هذا (ساحر) وفيما ادعاه من رسالة رب العالمين هذا (كذاب فلما جاءهم بالحق) أى بتلك المعجزات الباهرة (من عندنا قالوا) أى فرعون وأتباعه (اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) أى لاتقتلوا نساءهم للخدمة وهذا القتل غير القتل الذى وقع فى وقت ولادة موسى عليه السلام لان فرعون قد كف عن قتل الولدان بعد ولادة موسى فلما بعث الله موسى أعاد القتل على بنى اسرائيل لئلا يتقووا على دين موسى فيتقوى بهم زعما منه أن القتل يمنع الناس من الايمان وظنا منهم أن موسى هو الذى حكم المنجمون والكهنة بزوال ملكهم على يده (وما كيد الكافرين الا فى ضلال) أى بطلان لان الله تعالى شغلهم عن ذلك القتل بما أنزل اليهم من أنواع العذاب كالضفادع والقمل والدم والطوفان الى أن خرجوا من مصر فأغرقهم الله

من قبورهم (لايخفى على الله) من أعمالهم وأحوالهم (شئ) يقول الله فى ذلك اليوم (لمن الملك اليوم) ثم يجيب نفسه (لله الواحد القهار وأنذرهم يوم الآزفة) أى خوفهم بيوم القيامة والآزفة القريبة (اذ القلوب لدى الحناجر) وذلك أن القلوب ترتفع من الفزع الى الحناجر (كاظمين) أى ممتلئين غما وحزنا وخوفا (ما للظالمين) أى للكافرين (من حميم) أى من قريب (ولا شفيع يطاع) فيشفع فيهم (يعلم خائنة الأعين) خيانة الاعين مسارقتها النظر الى ما لايحل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) أى بعلاماتنا التى تدل على صحة نبوته (وسلطان مبين) أى وحجة ظاهرة (فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) وذلك ان فرعون أمر باعادة القتل على الذكور من أولاد بنى اسرائيل لما أتاه موسى ليصدهم بذلك عن متابعة موسى (وما كيد فرعون) أى مكره وسوء صنيعه (الا فى ضلال) أى زوال وبطلان وذهاب

تعالى ولان الناس لايمتنعون من الايمان وان فعل بهم مثل هذا (وقال فرعون ذرونى أقتل موسى) وغرض فرعون من هذا الكلام اخفاء خوفه لان أحدا ما منع فرعون من قتل موسى وقد كان فرعون استيقن أن موسى نبى وان ماجاء به آيات باهرة وماهو بسحر ولكن كان يخاف ان هم بقتله أن يعاجل بالهلاك ويخاف من انه لو حاول قتله لظهرت منه معجزات قاهرة تمنعه من قتله فيفتضح وكان من دهائه وو قاحته قال هذا تموبها لقومه انه انما امتنع من قتله رعاية لقلوبهم ومما ظنوا أن موسى كان محقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه ايها ما انهم هم الكافرون له عن قتله ولولاهم لقتله وما كان الذى يكفه الا مافى نفسه من الفزع الهائل (وليدع ربه) الذى يزعم انه أرسله الى حتى يخلصه منى وهذا على سبيل الاستهزاء فى اظهار عدم المبالاة بدعائه (انى أخاف) ان لم أقتله (أن يبدل دينكم) الذى أنتم عليه من عبادة فرعون والاصنام (أو أن يظهر فى الارض الفساد) من قتل أبنائكم واستخدام نسائكم وقرأ نافع وأبو عمرو وان يظهر بالواو الجامعة بين أمرين وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر عن عاصم أو يظهر بفتح الياء والهاء ورفع الفساد فالقرا آت السبعية أربعة ثنتان مع أو وهما نصب الفساد ورفعه وثنتان مع الواو كذلك وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء أى يتتابع (وقال موسى) لقومه حين سمع مايقوله اللعين من حديث قتله (انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) وموسى عليه السلام لم يأت فى دفع شر فرعون الا بأن استعاذ بالله واعتمد على فضل الله فصانه الله عن كل بلية وأوصله الى كل أمنية والمسلم اذا قال عند القراءة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فالله تعالى يصون دينه واخلاصه عن وساوس شياطين الجن فكذلك اذا قال المسلم أعوذ بالله عند توجه الآفات والمخافات فالله يصونه عن كل الآفات والمخافات من شياطين الانس (وقال رجل مؤمن من آل فرعون) وكان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا أو غريبا موحدا واسمه حزقيل أو شمعان (يكتم ايمانه) من فرعون وملئه خوفا على نفسه مائة سنة (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله) أى أتقصدون قتل رجل لاجل أن يقول ربى الله وحده من غير تأمل فى أمره (وقد جاءكم بالبينات) أى بالمعجزات الظاهرات (من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه) أى وان كان هذا الرجل كاذبا كان ضرر كذبه عائدا عليه فاتركوه (وان يك صادقا) وقد كذبتموه (يصبكم بعض الذى يعدكم) من العذاب فى الدنيا فكان الاولى على كلا التقديرين ابقاءه حيا والحاصل أن المقصود بيان أنه لاحاجة الى قتله بل يكفيكم أن تعرضوا عنه وان تمنعوه عن اظهار دينه (ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب) وهذا كلام ذو وجهين أى لو كان موسى مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى الى الاحكام ولما قواه بعلامات النبوة وان كان كذلك أهلكه الله فلاحاجة لكم الى قتله وهذا اشارة الى علو شأن موسى على طريق الرمز والى التعريض لفرعون بأن الله لا يهديه منهاج النجاة لانه مسرف فى عزمه على قتل موسى كذاب فى جراءته على ادعاء الالهية والله تعالى لا يهدى من هذا شأنه بل يهدم أمره ولما أقام مؤمن من آل فرعون أنواع الدلائل على أنه لا يجوز الاقدام على قتل موسى خوفهم فى ذلك بعذاب الله فقال (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض) أى عالين الناس فى أرض مصر فلا يقاومكم أحد فى هذا الوجه (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) أى فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لعذاب الله بقتل موسى فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه أحد ولما قال ذلك المؤمن هذا الكلام (قال فرعون ما أريكم الا ما أرى) أى لا أشير اليكم برأى سوى ما ذكرته أنه يجب قتله حسما لمادة الفتنة ولا أسر عنكم غير ما أظهره ولقد كذب فرعون حيث كان مضمرا للخوف الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه لما استشار أحدا أبدا (وما أهديكم الا سبيل الرشاد) أى ما أدعوكم بهذا الرأى الا الى طريق الصواب والصلاح وقرئ بتشديد الشين للمبالغة (وقال الذى آمن)

(وقال فرعون) لملئه (ذرونى أقتل موسى وليدع ربه) الذى أرسله الينا فيمنعه (انى أخاف أن يبدل دينكم) الذى أنتم عليه ويبطله (وأن يظهر فى الارض الفساد) أى يفسد عليكم دينكم ان لم يبطله ولما توعده بالقتل (قال موسى انى عذت بربى وربكم) الاية وقوله (يصبكم بعض الذى يعدكم) قيل كل الذى يعدكم (ياقوم لكم الملك اليوم) هذا قول مؤمن من آل فرعون لهم أعلمهم أن لهم الملك (ظاهرين) غالبين على بنى اسرائيل فى أرض مصر ثم أعلمهم أن عذاب الله لا يدفعه دافع فقال (فمن ينصرنا من بأس الله) أى يمنعنا من عذابه (ان جاءنا قال فرعون) حين منع من قتله (ما أريكم) أى من الرأى والنصيحة (الا ما أرى) لنفسى (وقال الذى آمن) يعنى مؤمن آل فرعون

راد الهذا الكلام على فرعون مخاطبا لقومه (ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب) أى مثل أيام الأمم الماضية المتفرقة فكل أمة كان لها يوم معين فى البلاء (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) كقوم لوط أى مثل جزاء دأبهم من الكفر وايذاء الرسل والحاصل ان حزقيل خوفهم بهلاك معجل فى الدنيا (وما الله يريد ظلما للعباد) أى ان تدمير الله أولئك الاحزاب كان عدلا منه تعالى لانهم استوجبوه بسبب تكذيبهم للانبياء فتلك العلة قائمة ههنا فوجب حصول الحكم ههنا (و ياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد) أى يوم القيامة فان أهل النار ينادون أهل الجنة وأهل الجنة ينادون أهل النار وينا ديهم أصحاب الاعراف وينادى بعض الظالمين بعضا بالويل والثبور فيقولون ياويلنا و ينادى باللعنة عليهم و ينادى بالسعادة والشقاوة ألا ان فلان بن فلان سعد سعادة لايشقى بعدها أبدا وفلان بن فلان شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وقرأ ابن عباس يوم التناد بتشديد الدال أى يوم فرار بعضهم من بعض (يوم تولون مدبرين) أى منصرفين عن الموقف لانهم اذا سمعوا زفير النار ندوا هاربين فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فبينما هم يموج بعضهم فى بعض اذ سمعوا مناديا أقبلوا الى الحساب فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه (مالكم من الله من عاصم) أى مالكم مانع من عذاب الله والجملة حال أخرى من ضمير تولون (ومن يضلل الله) عن دينه (فماله من هاد) أى مرشد (ولقد جاءكم يوسف) بن يعقوب عليهما السلام (من قبل) أى من قبل موسى فان وفاة يوسف قبل مولد موسى بأربع وستين سنة وفرعون أدرك يوسف بن يعقوب وكان عمره أربعمائة سنة وأربعين سنة وقيل ان يوسف هذا هو يوسف بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب أرسله الله تعالى الى القبط فأقام فيهم عشرين سنة نبيا وهذا من تمام وعظ حزقيل (بالبينات) أى بالمعجزات الواضحة (فما زلتم فى شك مما جاءكم به) يوسف من الدين (حتى اذا هلك) أى مات يوسف (قلتم لن يبعث الله من بعده) أى من بعد موت يوسف (رسولا) وهذا تكذيب لرسالة من هو بعده مضموما الى تكذيب رسالته (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) أى مثل هذا الاضلال يضل الله من هو متغال فى عصيانه شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الانهماك فى التقليد (الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان) أى حجة (أتاهم) من الله (كبر مقتا) أى أعظم بغضا والوقف على مرتاب صالح وعلى أتاهم كاف وهذا اذا جعل الذين بدلا من من فهو فى محل نصب أو بدلا من مسرف فهو فى محل رفع وعلى هذا فهذا من كلام الرجل المؤمن أيضا وان جعل الذين مبتدأ خبره كبر كان الوقف على مرتاب تاما ولا يوقف على أتاهم لتأخر الخبر عنه وعلى هذا فهذا ابتداء كلام الله تعالى وفاعل كبر ضمير يعود الى من على الاحتمال الاول والى الجدال على الاحتمال الثانى أى كبر من ذكر أو كبر جدالهم بغير حجة بل بالبناء على التقليد أو بالبناء على الشكوك الخبيثة مقتا (عند الله وعند الذين آمنوا) فمقت الله اظهار خزيهم واحلال العذاب بهم ومقت المؤمنين لهم كراهتهم أشد الكراهة (كذلك) أى مثل ذلك الطبع (يطبع الله على كل قلب متكبر) عن الايمان (جبار) عن قبول الحق قرأ ابن عامر وأبو عمرو وقتيبة عن الكسائى بتنوين قلب والباقون بغير تنوين على الاضافة و يشهد لهذه القراءة قراءة عبد الله على قلب كل متكبر (وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا) أى بناء عاليا (لعلى أبلغ الأسباب) أى أصعد الطرق (أسباب السموات) أى طرقها الموصلة اليها (فأطلع) أى أنظر (الى اله موسى) وقرأ حفص عن عاصم أطلع بالنصب على أنه جواب الامر أو منصوب على التوهم كما قاله أبو حيان لان خبر لعل قد يجيء مقرونا بأن أو على أنه جواب الترجى والباقون بالرفع عطفا على أبلغ والمقصود أنه لما عرف كل أحد ان هذا الطريق ممتنع كان الوصول الى معرفة وجود الله بطريق الحس ممتنعا فحينئذ لا سبيل الى

(ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب) ثم فسر ذلك فقال (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود) خوفهم ان أقاموا على كفرهم بمثل حال هؤلاء حين عذبوا ثم خوفهم بيوم القيامة وهو قوله (انى أخاف عليكم يوم التناد) وذلك أنه يكثر النداء فى ذلك اليوم ينادى بالسعادة والشقاوة وينادى فيدعى كل أناس بامامهم (يوم تولون مدبرين) أى منصرفين عن موقف الحساب الى النار (مالكم من الله من عاصم) أى مانع يمنعكم (ولقد جاءكم يوسف من قبل) أى من قبل موسى (بالبينات) أى بالآيات المعجزات (كذلك) أى مثل ذلك الضلال (يضل الله من هو مسرف) أى مشرك (مرتاب) أى شاك فيما أتى به الأنبياء (الذين يجادلون فى آيات الله) فى ابطالها ودفعها (بغير سلطان) أى حجة (أتاهم كبر) ذلك الجدال (مقتا) أى بغضا (وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا) أى قصرا طويلا (لعلى أبلغ الأسباب) أى أبواب السموات وأطرافها التى توصل اليها

معرفة الاله الذي يثبته موسى (واني لأظنه كاذبا) فيما يدعيه من الرسالة (وكذلك) أي مثل ذلك التزيين (زين لفرعون سوء عمله) فانهمك فيه انهماكا لا يكف عنه بحال (وصد عن السبيل) وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالبناء للمفعول أي صرف فرعون عن الحق والباقون بالبناء للفاعل أي منع فرعون الناس عن الطريق الموصلة الى الله وقرئ وصد بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليه وقرئ وصد بالرفع على أنه معطوف على سوء عمله وقرئ وصدوا أي هو وقومه (وما كيد فرعون الا في تباب) أي وما صنع فرعون في ابطال آيات موسى الا في هلاك (وقال الذي آمن) وهو حزقيل (ياقوم اتبعون) فيما دعوتكم اليه (أهدكم سبيل الرشاد) أي أدلكم على سبيل يؤدي سالكه الى الخير وفي هذا تصريح بأن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الضلال (ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) أي منفعة قليلة لسرعة زوالها فهي كمتاع البيت لا يبقى (وان الآخرة هي دار القرار) أي الثبات فلا تحول عنها (من عمل سيئة) في الدنيا (فلا يجزى) في الآخرة (الا مثلها) أي الا ما يقابلها في الاستحقاق فالكافر يعتقد في كفره كونه طاعة فكان عقابه في النار مؤبدا لانه على عزم أن يبقى مصرا على ذلك الاعتقاد أبدا بخلاف الفاسق فان عقابه منقطع فانه يعتقد في فسقه كونه خيانة فيكون على عزم ان لا يبقى مصرا عليه (ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك) الذين عملوا ذلك (يدخلون الجنة) فالآتي بالايمان والمواظب على التوحيد مدة ثمانين سنة قد أتى بأعظم الصالحات وبأحسن الطاعات فوجب ان يدخل الجنة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة يدخلون بالبناء للمفعول (يرزقون فيها) أي الجنة (بغير حساب) أي بلا هندار في الكثرة والسعة (ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة) أي أي شيء من المصالح في أني أدعوكم الى الايمان الذي يوجب النجاة شفقة عليكم واعترافا بحقكم (وتدعونني الى النار) أي وأي شيء تدعونني الى الكفر الذي يوجب الهلاك في النار (تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم) أي ولا أشرك بالله ما ليس بإله وما ليس بإله كيف يعقل جعله شريكا للاله (وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) أي الى الايمان بالاله العالم فانه وان كان قادرا على التعذيب لا يغالب لكنه غفار يغفر كفر سبعين سنة بايمان ساعة واحدة (لا جرم أنما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) أي حق ان الذي تدعونني الى عبادته من الاوثان ليس له دعوة في الدنيا الى نفسه لانها جمادات والجمادات لا تدعو أحدا الى عبادة نفسها أصلا وان الله تعالى اذا قلبها حيوانا في الآخرة تتبرأ من عابديها (وأن مردنا الى الله) بالموت فأي عاقل يجوز له عقله أن يشتغل بعبادة الاشياء الباطلة وان يعرض عن عبادة الاله الذي لابد وان يكون مرجعنا اليه (وأن المسرفين) في معصية الله كالاشراك وسفك الدماء (هم أصحاب النار) أي ملازموها (فستذكرون ما أقول لكم) من النصائح وقت الموت ووقت مشاهدة الاهوال في القيامة (وأفوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد) قيل لما قال ذلك المؤمن هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم الى الجبل فطلبوه ولم يقدروا عليه لانه قد عول في دفع مكرهم على الله (فوقاه الله سيآت ما مكروا) أي شدائد مكرهم قيل نجا مع موسى عليه السلام وقيل انه لما فر منهم الى جبل أرسل فرعون خلفه ألفا ليقتلوه فأكلت السباع بعضهم ورجع بعضهم هاربا فقتل فرعون من رجع عقوبة على عدم قتله لذلك الرجل المؤمن (وحاق بآل فرعون سوء العذاب) أي أحاط بفرعون وقومه شدة العذاب وهو القتل والغرق والنار كما قال تعالى (النار يعرضون عليها) باحراقهم بها (غدوا وعشيا) أي تعرض أرواحهم في البرزخ على النار من حين موتهم الى قيام الساعة ولا يوقف على سوء العذاب ان جعل النار بدلا منه وان جعل خبر مبتدأ محذوف فالوقف على سوء العذاب حسن وكذا ان قرئ النار منصوبا على الاختصاص أو نحوه وان جعل النار مبتدأ وخبره ما

(واني لأظنه كاذبا) في ادعائه الها آخر دوني (وكذلك) أي ومثل ما وصفنا (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) أي ومنع عن الايمان (وما كيد فرعون الا في تباب) أي خسار يريد أنه خسر بكيده ولم ينفعه ذلك (وقال الذي آمن) من قوم فرعون (ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد) أي طريق الصواب (ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) أي منفعة ينتفعون بها مدة ولا تبقى وقوله (وأشرك به ما ليس لي به علم) أي أشرك بالله شريكا لا علم لي أنه شريك له (لا جرم) أي حقا (انما تدعونني اليه ليس له دعوة) أي اجابة دعوة يعني لا يستجيب لاحد (في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا) أي مرجعنا (الى الله فستذكرون) أي اذا عاينتم العذاب (ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله) وذلك أنهم توعدوه بمخالفته دينهم (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) وذلك أنهم يعرضون على النار صباحا ومساء يقال لهم هذه منازلكم اذا بعثتم

بعده فالوقف على العذاب تام (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) قرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم بفتح الهمزة وكسر الخاء أي ويوم القيامة يقول الله لخزنة جهنم أدخلوا آل فرعون في أشد العذاب والباقون بهمزة الوصل وضم الخاء والمعنى ويوم القيامة يقال لهؤلاء الكفار أدخلوا يا آل فرعون أشد العذاب وهو عذاب جهنم (واذ يتحاجون في النار) أي واذكر يا أشرف الخلق لقومك وقت تخاصم بعضهم بعضا في النار (فيقول الضعفاء) أي السفلة من الكفار (للذين استكبروا) أي للقادة الذين تعظموا عن الايمان (انا كنا لكم تبعا) أي أتباعا في دينكم (فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار) أي فهل تقدرون على أن تدفعوا عنا جزأ من العذاب والمقصود من هذا الكلام المبالغة في تخجيل أولئك الرؤساء وايلام قلوبهم (قال الذين استكبروا) وهم القادة للسفلة (انا كل فيها) أي نحن وأنتم واقعون في هذا العذاب فلو قدرت على ازالة العذاب عنكم لدفعته عن أنفسنا فكل مبتدأ وفيها خبره والجملة خبر ان وقرئ كلا بالنصب على التأكيد لاسم ان أي ان كلنا واقعون في النار ثم يقولون (ان الله قد حكم بين العباد) أي يوصل الى كل أحد مقدار حقه من النعيم أو من العذاب فلا معقب لحكمه فعند ذلك يحصل اليأس للاتباع من المتبوعين فيرجعون الى خزنة جهنم (وقال الذين في النار) من الضعفاء والمستكبرين اذا اشتدت عليهم النار وقل صبرهم (لخزنة جهنم) أي للملائكة الموكلين بعذاب أهل النار (ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب) أي يخفف عنا شيأ من العذاب في وقت من الاوقات (قالوا) أي الخزنة (أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) أي ألم تنتبهوا عن هذا ولم تكن تأتيكم رسلكم في الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء الكفر والمعاصي (قالوا بلى) أي أتونا بها فكذبناهم (قالوا) أي الخزنة استهزاء بهم واظهارا لخيبتهم (فادعوا) أي اذا كان الامر كذلك فادعوا أنتم فانا لا نجترئ على الدعاء ولا نشفع الا بالاذن في الشفاعة والا لمن كان مؤمنا (وما دعاء الكافرين الا في ضلال) أي ضياع وهذا من كلام الله اخبار النبيه فالوقف على ادعوا تام أو من كلام الخزنة كما قاله الرازي وأبو السعود قال تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا) بالرسل (في الحياة الدنيا) بانتقام الكفرة (ويوم يقوم الاشهاد) أي يوم يقوم كل من يشهد بأعمال العباد يوم القيامة من ملك ونبي ومؤمن بالحجة والاعتذار (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) من الكفر وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر لا تنفع بالتاء الفوقية والباقون بالياء التحتية (ولهم اللعنة) أي الاهانة (ولهم سوء الدار) وهو العقاب الشديد (ولقد آتينا موسى الهدى) أي التوراة والمعجزات (وأورثنا بني اسرائيل الكتاب) أي وتركنا عليهم من بعد موسى التوراة (هدى وذكرى لاولي الالباب) أي لاجل الهداية من الضلالة ولاجل التذكرة لذوي العقول السليمة فكتب أنبياء الله مشتملة على هذين القسمين بعضها دلائل في أنفسها وبعضها مذكرات لما ورد في الكتب الالهية المتقدمة (فاصبر) يا أكرم الرسل على أذى اليهود والنصارى والمشركين (ان وعد الله حق) فالله ناصرك ومنجز وعده في حقك (واستغفر لذنبك) أي تب من ترك الاولى والافضل في بعض الاحايين فانه تعالى كافيك في نصرة دينك واظهاره على الدين كله (وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) أي ودم على التسبيح ملتبسا بحمده تعالى والمراد منه الامر بالمواظبة على ذكر الله باللسان وبأن لا يغفل القلب عنه (ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه) وجملة ان في صدورهم الخ خبر لان وجملة ما هم ببالغيه صفة لكبر أي ان الذين يجحدون بآيات الله بغير برهان أتاهم في ذلك من الله تعالى ما في قلوبهم الا تكبر عن الحق ما هم ببالغي كبره أي الذين يناصبون الجدال معك بغير حجة انما يحملهم على هذا الجدال الباطل كبر في صدورهم وذلك

(وقال الذين في النار) الى قوله (فادعوا) أي فادعوا أنتم اذا فانا لن ندعو الله لكم (وما دعاء الكافرين الا في ضلال) أي هلاك وبطلان لانه لا ينفعهم (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا) أي بظهور حجتهم والانتصار ممن عاداهم بالعذاب في الدنيا والآخرة (ويوم يقوم الاشهاد) أي الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم (فاصبر) يا محمد (ان وعد الله) في نصرتك واهلاك أعدائك (حق وسبح بحمد ربك) أي صل بالشكر منك لربك (بالعشي والابكار) يعني طرفي النهار وقوله (ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه) أي تكبر وطمع أن يعلوا على محمد وما هم ببالغي ذلك

الكبر هو أنهم لو سلموا نبوتك لزمهم أن يكونوا تحت تصرفك لان النبوة تحتها كل رئاسة وملك وهم لا يرضون أن يكونوا فى خدمتك وانما هم يريدون أن تكون تحت يدهم ولا يصلون الى هذا المراد بل لابد وان يصيروا تحت أمرك ونهيك (فاستعذ بالله) أى فالتجئ اليه تعالى من كيد من يجادلك (انه هو السميع) لاقوالهم (البصير) بأعمالهم (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) أى فالذى قدر على ابتداء خلق السموات والارض مع عظمها قادر على اعادة الانسان الذى خلقه أولا (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أى ان هذا البرهان مع قوته صار بحيث لا يعرفه من ينكرون الحشر والنشر فظهر أن هؤلاء يجادلون فى آيات الله بغير حجة بل بمجرد الحسد والكبر (وما يستوى الاعمى والبصير) أى لا يستوى الجاهل المقلد المستدل (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء) أى ولا يستوى الآتى بالاعمال الصالحة والآتى بالاعمال الفاسدة (قليلا ما تتذكرون) أى ان المجادلين وان كانوا يعلمون أن العلم خير من الجهل وان العمل الصالح خير من العمل الفاسد الا أنهم ما يتعظون اتعاظا قليلا من أمثال القرآن فان الحسد يعمى قلوبهم فيعتقدون فى الجهل والتقليد أنه محض المعرفة وفى الحسد والكبر أنه محض الطاعة وقرأ عاصم وحمزة والكسائى تتذكرون على الخطاب والباقون بالغيبة (ان الساعة لآتية لا ريب فيها) أى لا شك فى مجيئها باجماع الرسل على الوعد بوقوعها (ولكن أكثر الناس) وهم الذين ينكرون البعث (لا يؤمنون) بمجيء الساعة (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) أى اعبدونى أثبكم وأغفر لكم (ان الذين يستكبرون عن عبادته سيدخلون جهنم داخرين) أى أذلاء ويقال ان الدعاء هو السؤال أى ادعونى أقبل اليكم فالدعاء اعتراف بالعبودية والذلة فكأنه قيل ان تارك الدعاء انما تركه لاجل أن يستكبر عن اظهار العبودية وكل من دعا الله وفى قلبه ذرة من الاعتماد على ماله وجاهه واجتهاده وأقاربه وأصدقائه فهو فى الحقيقة ما دعا الله الا باللسان أما قلبه فهو معول فى تحصيل ذلك المطلوب على غير الله فهذا ما دعا الله فى الحقيقة فى وقت أما اذا دعا فى وقت لا يبقى فى القلب التفات الى غير الله فانه تحصل الاستجابة وانقطاع القلب بالكلية عما سوى الله لا يحصل الا عند القرب من الموت فان الانسان قاطع فى ذلك الوقت بأنه لا ينفعه شئ سوى فضل الله تعالى وقرأ ابن كثير وشعبة سيدخلون على صيغة المبنى للمفعول (الله الذى جعل لكم الليل) باردا مظلما (لتسكنوا فيه) أى لتستريحوا فيه بالنوم وبالعبادة (والنهار مبصرا) أى مضيأ وهذا اعلام بوجود الاله القادر فان الاشتغال بالدعاء لابد وأن يكون مسبوقا بحصول المعرفة وبان من أنعم قبل السؤال بهذه النعم العالية فكيف لا ينعم بالاشياء القليلة بعد السؤال (ان الله لذو فضل على الناس) كافة باختلاف الليل والنهار وما يحتويان عليه من المنافع (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) اما لكونه حريصا على الدنيا محبا المال والجاه فاذا فاته وقع فى كفران هذه النعم العظيمة أولانها ما دامت واستمرت نسيها الانسان أو لاعتقاده ان هذه النعم ليست من الله تعالى بأن يعتقد ان هذه الافلاك واجبة الدوران لذواتها (ذلكم الله ربكم) أى ذلكم المعلوم المميز بالافعال الخاصة التى لا يشاركه فيها أحد هو الله ربكم (خالق كل شئ لا اله الا هو) وهذه أخبار أربعة عن اسم الاشارة وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا (فأنى تؤفكون) أى فمن أى وجه تصرفون عن عبادته تعالى الى عبادة غيره ولم تعدلوا عن هذه الدلائل ومن أين تكذبون على الله بجعلكم له شركاء (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) أى مثل الصرف البعيد عن مناهج العقلاء يصرف الذين كانوا ينكرون آيات الله تعالى (الله الذى جعل لكم الارض قرارا) أى منزلا فى حال الحياة وبعد الممات (والسماء بناء) اى مثل القبة المضروبة على الارض من غير عماد (وصوركم) أى أحدث

(فاستعذ بالله) أى فامتنع بالله من شرهم (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) أى أعظم فى القدرة من اعادة الناس للبعث (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) أى اعبدونى أثبكم وأغفر لكم وقوله (داخرين) أى صاغرين وقوله (كذلك يؤفك) يصرف أى كما صرفتم عن الحق مع قيام الدلائل يصرف عن الحق (الذين كانوا بآيات الله يجحدون) وقوله

صورتكم على غير نظام واحد (فأحسن صوركم) ولم يخلق الله تعالى حيوانا أحسن صورة من الانسان (ورزقكم من الطيبات) أى اللذائذ لا كرزق الدواب (ذلكم الله ربكم) أى ذلكم الذى نعت بالنعوت الجليلة هو الله المحسن اليكم (فتبارك الله) أى ثبت الله مع كثرة الخيرات (رب العالمين) أى مالكهم (هو الحى) أى المنفرد بالحياة الذاتية (لا اله الا هو) فلا موجود يدانيه فى ذاته وصفاته وأفعاله (فادعوه) أى اعبدوه (مخلصين له الدين) أى الطاعة من الشرك (الحمد لله رب العالمين) قال الفراء هو خبره وفيه اضمار الامر أى فادعوه واحمدوه وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل بعدها الحمد لله رب العالمين أى ولما كان تعالى موصوفا بصفات الجلال والعزة استحق لذاته أن يقال له الحمد لله رب العالمين (قل) لاهل مكة يا أكرم الرسل حين قالوا لك ارجع الى دين آبائك (انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) أى الذين تعبدون من الاوثان (لما جاءنى البينات) أى الدلائل (من ربى) وهى ان اله العالم قد ثبت كونه موصوفا بصفات الجلال العظمة (وأمرت أن أسلم لرب العالمين) أى أن أنقاد له وأخلص توحيدى له (هو الذى خلقكم من تراب) فكل انسان مخلوق من منى وهو مخلوق من الدم وهو يتولد من الاغذية وهى منتهية الى النباتية والنبات انما يكون من التراب والماء (ثم من نطفة ثم من علقة) أى دم عبيط (ثم يخرجكم) من بطون أمهاتكم (طفلا ثم) يبقيكم (لتبلغوا أشدكم) أى كمالكم فى القوة والعقل (ثم لتكونوا شيوخا) وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام وحفص بضم الشين والباقون بكسرها وقرئ شيخا (ومنكم من يتوفى من قبل) أى من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الاشد أو قبله أو قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا يفعل ذلك لتعيشوا (ولتبلغوا أجلا مسمى) وهو وقت الموت (ولعلكم تعقلون) أى ولكن تعقلوا ما فى هذه الاحوال العجيبة من أنواع العبر وأقسام الدلائل فان دلائل وجود الله تعالى وقدرته اما من دلائل الآفاق وهى الليل والنهار والارض والسماء أو من دلائل الانفس وهى التصوير وحسن الصورة ورزق الطيبات أو من عمر الانسان وهو على ثلاث مراتب كونه طفلا وهو فى التزايد شيأ فشيأ أو بلوغه كمال الذات وظهوره فى النقص (هو الذى يحيي ويميت) فكما ان الانتقال من صفة الى صفة أخرى يدل على الاله القادر كذلك الانتقال من الحياة الى الموت وبالعكس يدل على الاله القادر (فاذا قضى أمرا) أى أراد أى أمر كان (فانما يقول له كن فيكون) فعبر الله عن نفاذ قدرته فى الكائنات من غير معارض بما اذا قال كن فيكون (ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله) أى انظر الى هؤلاء المجادلين فى آيته تعالى الواضحة الموجبة للايمان بها (أنى يصرفون) أى كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعى الى الاقبال عليها (الذين كذبوا بالكتاب) أى بالقرآن (وبما أرسلنا به رسلنا) من سائر الكتب (فسوف يعلمون اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل) والوقف هنا تام أو كاف كما قاله أبو عمرو واذ بمعنى اذا وهو ظرف يعلمون والسلاسل عطف على الاغلال والمعنى فسوف يعلمون وقت ان يكون الاغلال والسلاسل فى أعناقهم (يسحبون فى الحميم) أى وهم يجرون بتلك السلاسل فى الماء المسخن بنار جهنم وقرئ والسلاسل يسحبون بنصب السلاسل على أنه مفعول مقدم ليسحبون بفتح الياء وقرئ والسلاسل بالجر على اضمار الباء كما يدل عليه القراءة به (ثم فى النار يسجرون) أى يحرقون (ثم قيل لهم) بعد ان يعذبوا بأنواع العذاب (أينما كنتم تشركون من دون الله) أى مع الله (قالوا ضلوا عنا) أى غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا نستشفع بهم (بل لم نكن ندعو من قبل شيأ) أى بل لم نكن نعبد من قبل هذه الاعادة شيأ يضر ولا ينفع ولا يبصر ولا يسمع وهذا اعتراف بأن عبادتهم الاصنام كانت باطلة أو يقال بل لم نكن نعبد من قبل هذا الوقت شيأ من دون الله وهذا انكار لعبادة الصنم (كذلك) أى مثل ذلك الاضلال (يضل الله الكافرين) عن طريق الجنة

(ولتبلغوا أجلا مسمى) أى وقتا محدودا لا تجاوزونه (ولعلكم تعقلون) أى ولكى تعقلوا أن الذى فعل ذلك لا اله غيره (ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله) أى فى دفعها وابطالها (أنى يصرفون) أى عن الحق (يسحبون) أى يجرون (فى الحميم ثم فى النار يسجرون) أى يصيرون وقودا للنار (ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله) يعنى الاصنام (قالوا ضلوا عنا) أى زالوا وبطلوا فلا نراهم (بل لم نكن ندعو من قبل شيأ) أى ضاعت عبادتنا فلم نكن نصنع شيأ (كذلك) أى كما أضلهم الله (يضل الله الكافرين)

(ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) أى ذلكم العذاب بما كنتم
تظهرون فى الدنيا من السرور بالمعصية وعبادة الاصنام وبكثرة المال والاتباع والصحة (ادخلوا أبواب
جهنم) أى السبعة المقسومة لكم (خالدين فيها) أى لايخرجون منها ولايموتون فيها (فبئس مثوى
المتكبرين) عن الحق جهنم (فاصبر) على ايذائهم وايحاشهم بتلك المجادلات (ان وعد الله) بالنصرة
لك وبانزال العذاب على أعدائك (حق) أى كائن بلاشك (فاما نرينك بعض الذى نعدهم) أى فان
نرك بعض الذى نعد أولئك الكفار من أنواع العذاب فذلك هو المطلوب (أو نتوفينك) قبل انزال
العذاب عليهم (فالينا يرجعون) يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام ويجوز ان يكون هذا جوابا
للشرطين فالمعنى ان نعذبهم فى حياتك أولم نعذبهم فيها فانا نعذبهم فى الآخرة أشد العذاب (ولقد أرسلنا
رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن
الله) أى أنت يا أشرف الرسل كالرسل من قبلك وقد ذكرنا حال بعضهم لك ولم نذكر حال الباقين
وليس فيهم أحد أعطاه الله معجزات الا وقد جادله قومه فيها وكذبوه فيها وجرى عليهم من الهم مثل
ماجرى عليك وصبروا وكان قومهم يقترحون عليهم اظهار المعجزة الزائدة على قدر الحاجة على سبيل
التعنت ثم ان كان الصلاح فى اظهارها اظهرناها والا لم نظهرها ولم يكن ذلك قادحا فى نبوتهم فكذلك
الحال فى اقتراح قومك عليك المعجزات الزائدة (فاذا جاء أمر الله) أى جاء حكم الله بنزول العذاب
على الامم الماضية (قضى بالحق) أى نفذ حكم الله بالعدل (وخسر هنالك المبطلون) أى وهلك فى وقت
مجىء العذاب من يقترحون المعجزات الزائدة على قدر الحاجة على سبيل التعنت (الله الذى جعل لكم
الانعام) أى الابل كما قاله الزجاج (لتركبوا منها) أى الابل (ومنها) أى من لحوم الابل (تأكلون
ولكم فيها منافع) كألبانها وأوبارها وجلودها (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) بحمل أثقالكم من
بلد الى بلد (وعليها) أى الابل بالهودج فى البر (وعلى الفلك) أى السفن فى البحر (تحملون)
وتسافرون (ويريكم آياته) أى دلائله الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته (فأى آيات الله تنكرون)
أى ليس فى شىء من هذه الدلائل ما يمكن انكاره لانها كلها ظاهرة باهرة (أفلم يسيروا فى الارض)
أى أقعدوا فلم يسيروا فى أقطار الارض (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الامم الماضية
المتكبرين (كانوا أكثر منهم) أى من أهل مكة فى العدد يعرف فى الاخبار (وأشد قوة) بالبدن
(وآثارا فى الارض) فقد بقيت بعدهم بحصون عظيمة مثل الاهرام الموجودة بمصر (فما أغنى عنهم
ما كانوا يكسبون) أى فلم ينفعهم الذى كانوا يكسبونه أو فأى شىء نفعهم مكسوبهم (فلما جاءتهم
رسلهم بالبينات) أى بالمعجزات (فرحوا بما عندهم من العلم) أى علم عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة
أو علمهم بأمور الدنيا وهو علمهم بالطبائع والصنائع ويقال أى استهزاء الكفار بالبينات وبما جاء
الرسل به من علم الوحى اذلم يأخذوه بالقبول (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أى دار بالكافرين
جزاء استهزائهم بالرسل (فلما رأوا بأسنا) أى شدة عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به
مشركين) أى بالاصنام الذى كنا مشركين بها مع الله تعالى لانا علمنا انها لا تدفع عنا شيأ من عذاب
الله (فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) أى فلم يصح أن ينفعهم ايمانهم عند رؤية عذابنا لعدم قبوله
حينئذ (سنة الله التى قد خلت فى عباده) أى سن الله ذلك المذكور من التعذيب عند التكذيب
ومن رد الايمان عند معاينة العذاب أى ان عدم قبول الايمان حال البأس سنة الله مطردة فى كل الامم
ويجوز ان يكون سنة منصوبا على التحذير أى احذروا سيرة الله فى المكذبين التى قد مضت على عباده
(وخسر هنالك) أى فى تلك المواضع (الكافرون) بالله تعالى

ذلكم) أى العذاب الذى
نزل بكم (بما كنتم
تفرحون) بالباطل
وتبطرون (فاما نرينك
بعض الذى نعدهم) من
العذاب فى حياتك (أو
نتوفينك) قبل أن ننزل بهم
ذلك (فالينا يرجعون)
وقوله (فاذا جاء أمر الله)
أى بعذاب الأمم المكذبة
(قضى بالحق وخسر هنالك
المبطلون) أى وتبين
خسران أصحاب الباطل
(ولكم فيها منافع) أى من
الصوف والوبر والدر
والنسل (ولتبلغوا عليها
حاجة فى صدوركم) أى من
حمل أثقالكم الى البلاد
وقوله (فلما جاءتهم رسلهم
بالبينات فرحوا) رضوا
(بما عندهم من العلم)
وقالوا نحن أعلم منهم لن
نبعث ولن نعذب قوله
(سنة الله) أى سن الله هذه
السنة فى الأمم كلها أن لن
ينفعهم الايمان اذا رأوا
العذاب (وخسر هنالك
الكافرون) أى تبين لهم
الخسران

﴿سورة السجدة وتسمى سورة فصلت وسورة حم السجدة وسورة المصابيح﴾
﴿مكية وهي أربع وخمسون آية وسبعمائة وتسعون كلمة﴾
﴿وثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون حرفاً﴾
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم) أي هذا حم (تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته) أي جعلت آيات الكتاب تفاصيل في معادن مختلفة فبعضها في ذات الله وصفاته وفي عجائب أفعاله وبعضها في أحوال التكاليف وبعضها في الوعد والوعيد ودرجات أهل الجنة ودركات أهل النار وبعضها في المواعظ والنصائح وبعضها في تهذيب الاخلاق وبعضها في قصص الاولين (قرآناً عربياً) نصب على الاختصاص والمدح أو على الحالية من كتاب أو من آياته (لقوم يعلمون) أي كائناً لقوم عرب فاللام متعلقة بمحذوف صفة ثانية لقرآناً (بشيراً) للمطيعين بالثواب (ونذيراً) للمجرمين بالعقاب وقرأ زيد بن علي برفع الاسمين (فأعرض أكثرهم) عن تدبر هذا الكتاب مع كونه بلغتهم (فهم لا يسمعون) سماع طاعة ولا يلتفتون اليه فكون الكتاب نازلاً من عند الرحمن الرحيم يدل على اشتماله على أفضل المنافع وأجل المطالب وكونه قرآناً عربياً يدل على انه في غاية الكشف والبيان وكونه بشيراً ونذيراً يدل على ان الاحتياج الى فهم ما فيه من أهم المهمات واعراضهم عنه يدل على انه لامهدي الا من هداه الله ولا ضال الا من أضله الله (وقالوا) أي كفار مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعوته اياهم الى الايمان والعمل بما في القرآن (قلوبنا في أكنة) أي أغطية (مما تدعونا اليه) من التوحيد (وفي آذاننا وقر) أي صمم (ومن بيننا وبينك حجاب) أي ستر غليظ يمنعنا عن مواصلتنا اياك (فاعمل) أي استمر على دينك وهو التوحيد (اننا عاملون) أي مستمرون على ديننا وهو الاشراك (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي) أي قل يا أشرف الخلق اني لا أقدر على ان أحملكم على الايمان فهرا فاني بشر مثلكم ولا امتياز بيني وبينكم الا بمجرد ان الله تعالى أوحى الي دونكم فانا أبلغ هذا الوحي اليكم فان شرفكم الله قبلتموه وان خذلكم رددتموه وذلك لا يتعلق بنبوتي ورسالتي وذلك الوحي يرجع الى أمرين العلم والعمل فالعلم رئيسه معرفة ان الله واحد وهو المراد من قوله تعالى (أنما الهكم اله واحد) واذا كان الحق ذلك التوحيد وجب علينا ان نعترف به وهو المراد من قوله تعالى (فاستقيموا اليه) أي استقيموا في أفعالكم متوجهين الى الاله الواحد ثم أمر الله تعالى بوظيفة العمل ورئيسه الاستغفار فلهذا السبب قال (واستغفروه) لاجل الخوف من وقوع التقصير في العمل المأتي به (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون) فالله تعالى أثبت الويل لمن كان موصوفاً بصفات ثلاثة الشرك والامتناع من الزكاة وانكار القيامة فان أعظم الطاعات التعظيم لامر الله وأفضل أنواعه الاقرار بكون الله واحداً واذا كان التوحيد أعظم الطاعات كان الشرك أخسها لانه ضد التوحيد ولما كان أفضل أنواع المعاملة مع الخلق اظهار الشفقة عليهم كان الامتناع من الزكاة أخس الاعمال لانه ضد الشفقة على خلق الله ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسر لا يؤتون الزكاة بقوله أي لا يقولون لا اله الا الله فالمراد بزكاة الانفس والمعنى لا يطهرون أنفسهم من لوث الشرك بقولهم لا اله الا الله وقال الحسن وقتادة أي لا يعتقدون اعطاء الزكاة واجباً وقال مجاهد لا يزكون أعمالهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع قيل نزلت هذه الآية في المرضى والزمنى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كأحسن ما كانوا يعملونه ويقال يكتب ثواب أعمالهم بعد الهرم أو الموت الى يوم القيامة غير منقوص وقيل لا يمنون بذلك الاجر (قل) يا أشرف الخلق (أئنكم) يا أهل

﴿تفسير سورة فصلت﴾
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
(حم تنزيل) ابتداء وخبره (كتاب فصلت) بينت (آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون) أي لمن يعلم ذلك ممن يعلم العربية (وقالوا قلوبنا في أكنة) أي أغطية (وفي آذاننا وقر) أي صمم يعني نحن في ترك القبول منك بمنزلة من لا يفقه ولا يسمع (ومن بيننا وبينك حجاب) أي خلاف في الدين فلا نجتمع معك ولا نوافقك (فاعمل) على دينك (اننا عاملون) على ديننا وقوله (فاستقيموا اليه) أي وجهوا اليه وجوهكم بالطاعة (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) أي لا يؤمنون بوجوبها فلا يؤتونها

مكة (لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين) أي لتكفرون بالعظيم الشأن الذي حكم بأن الارض ستوجد في مقدار يومين (وتجعلون له أندادا) أي نظراء والحال انه لا يمكن له نظير واحد أي ان الاله الموصوف بالقدرة على خلق هذه الاشياء العظيمة في هذه المدة الصغيرة كيف يليق بالعقل جعل الخشب المنجور والحجر المنحوت شريكا له في المعبودية (ذلك رب العالمين) أي ذلك العظيم الشأن الذي علمت من صفته أنه خالق جميع الموجودات فكيف أثبتم له أندادا من الخشب والحجر (وجعل فيها رواسي) وهو عطف على خلق الارض أي وخلق في الارض جبالا ثوابت (من فوقها) أي كائنة من فوق الارض ليرى الانسان بعينه وليتفكر ان الجبال أثقال على أثقال وكلها مفتقرة الى ممسك وحافظ وما ذاك الحافظ المدبر الا الله تعالى ولو جعل في الارض رواسي من تحتها لاوهم ذلك ان تلك الاساطين التحتانية هي التي أمسكت هذه الارض الثقيلة عن النزول (وبارك فيها) أي الارض بشق الانهار وخلق الاشجار والثمار وأصناف الحيوانات وكل ما يحتاج اليه من الخيرات (وقدر فيها أقواتها) أي بأن يوجد لاهل الارض من الانواع المختلفة أقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة وقرئ وقسم فيها أقواتها (في أربعة أيام) أي مع اليومين الاولين اللذين خلق فيهما الارض (سواء للسائلين) قرئ سواء بالحركات الثلاثة النصب على مصدر مؤكد لمضمر هو صفة لاربعة أي استوت الاربعة استواء لا يزيد ولا ينقص والجر على الوصف أي مساويات غير مختلفة في المقادير والرفع على تقدير هي سواء ولمن قرأه بالرفع ان يقف على أربعة أيام وقوله تعالى للسائلين اما متعلق بسواء أي مستويات لمن سأل الرزق ولمن لم يسأل أو متعلق بقدر كما قاله الزجاج أي وقدر فيها أقواتها في تتمة أربعة أيام لاجل الطالبين للاقوات المحتاجين اليها أو متعلق بمحذوف والتقدير هذا الحصر بيان للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها في كم يوم خلقت الارض وما فيها (ثم استوى الى السماء) أي ثم قصد الى خلق السماء أي ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السماء بعد خلق الارض وما فيهما من غير صارف يصرفه عن ذلك (وهي دخان) أي أمر ظلماني أو دخان مرتفع من الماء (فقال لها) أي للسماء (وللارض ائتيا) الى الوجود والحصول أي كونا على وجه معين وفي وقت مقدر لكل منكما وهذا عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا (طوعا أو كرها) أي طائعتين أو كارهتين أي شئتما ذلك أو أبيتما (قالتا أتينا طائعين) أي أتينا أمرك منقادين لا على الكره وهذا تمثيل لكمال تأثرهما بالذات العلية عن القدرة الربانية وقرأ ابن عباس وابن جبير ومجاهد آتيا قالتا آتينا بالمد في الفعلين أي وافقا على مرادي منكما قالتا توافقنا على ذلك أو أعطيا الطاعة من أنفسكما من أمر كما قالتا أعطينا الطاعة ويقال ان الله تعالى قال للسماء والارض بعدما فرغ منهما أعطيا ما فيكما أو جيئا بما خلقت فيكما من المنافع والمصالح وأخرجاها للخلق أي قال لهما افعلا ما أمرتكما طوعا والا ألجأتكما الى ذلك حتى تفعلاه (فقضاهن سبع سموات في يومين) أي أتم السماء حال كونها سبع سموات في يومين ذكر أهل الاثر ان الله تعالى خلق الارض في يوم الاحد والاثنين وخلق سائر ما في الارض في يوم الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات وما فيها في يوم الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وان الذي خلق أولا هو الدخان الذي هو أصل السماء ثم بعده الارض غير مدحوة ثم خلقت السماء مبسوطة متفاصلة طباقا بعضها فوق بعض ثم دحيت الارض وخلق ما فيهما من الارزاق وغيرها (وأوحى في كل سماء أمرها) قال مقاتل أمر في كل سماء بما أراد وقال قتادة والسدي خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهم خلق في كل سماء ما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله تعالى ويقال ولله تعالى على أهل كل سماء تكليف خاص فمن

الملائكة

(قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين) أي يوم الاحد والاثنين (وبارك فيها) أي بما خلق فيها من المنافع (وقدر فيها أقواتها) أرزاق أهلها وما يصلح لمعاشهم من البحار والأنهار والأشجار والدواب (في أربعة أيام) أي في تتمة أربعة أيام وهو يوم الثلاثاء والأربعاء فصارت الجملة أربعة أيام خلق الارض وما فيها من سبب الأقوات والمنافع والتجارات ثم أمرها في أربعة أيام (سواء) أي استوت استواء وسواء (للسائلين) عن ذلك أي من سأل في كم خلقت السموات والارض فيقال في أربعة أيام (ثم استوى) قصد وعمد (الى) خلقت (السماء وهي دخان) أي بخار مرتفع من الماء (فقال لها وللارض ائتيا) بما خلقت فيكما من المنافع وأخرجاها لمصالح خلقي وقال للسموات اطلعي شمسك وقمرك ونجومك وقال للارض أخرجي ماءك وثمارك (طوعا) أي طائعة أو كارهة ففعلتا ما أمرهما طوعا وهو قوله (قالتا أتينا طائعين فقضاهن) أي صنعهن وأحكمهن (سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها) أي أوحى في أهل

الملائكة من هو في القيام من أول خلق العالم الى قيام القيامة ومنهم ركوع لا ينتصبون ومنهم سجود لا يرفعون وذلك الامر مختص بأهل السماء (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) وهي النيرات التي خلقها في السموات وخص كل واحد بضوء معين وطبيعة معينة وسر معين لا يعلمها الا الله تعالى (وحفظا) أي وحفظناها من الشياطين الذين يسترقون السمع وقيل ان حفظا مفعول له على المعنى كأنه قيل وخلقنا المصابيح زينة وحفظا فبعض النجوم زينة السماء لا يتحرك وبعضها يهتدى بها في ظلمات البر والبحر وبعضها رجوم للشياطين (ذلك) أي هذه التفاصيل (تقدير العزيز العليم) لانها لا تمكن الا بقدرة كاملة وعلم محيط (فان أعرضوا) عن قبول هذه الحجة القاهرة وأصروا على التقليد (فقل) لهم (أنذرتكم صاعقة) أي خوفتكم عذابا هائلا كأنه نار معها رعد شديد (مثل صاعقة عاد وثمود) وقرأ ابن الزبير والنخعي والسلمي وابن محيصن صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من صيحة العذاب روى أن أبا جهل قال في ملأ من قريش التبس علينا أمر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والسحر والكهانة فكلمه ثم أتانا ببيان عن أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والسحر والكهانة وعلمت من ذلك علما وما يخفى على فأتاه فقال يا محمد أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فلم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرئاسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان كنت أردت الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن من أي بنات قريش شئت وان كنت تريد المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول الله ساكت فلما فرغ عتبة قال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى قوله تعالى صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه صلى الله عليه وسلم وناشده بالرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا لا نرى عتبة الا قد صبأ فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا أنك قد صبأت فغضب عتبة وأقسم لا يكلم محمدا أبدا وقال والله لقد كلمته فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة ولما بلغ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود أمسكت بفيه وناشدته بالرحم ولقد علمت أن محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب وانما خص هاتين القبيلتين لان قريشا كانوا يمرون على بلادهم (اذ جاءتهم الرسل) حال من صاعقة عاد أو ظرف منها منصوب بها لانها بمعنى عذاب فالمعنى صعقة عاد وثمود وقت مجيء رسلهم اليهم (من بين أيديهم ومن خلفهم) أي أتوهم من جميع جوانبهم وأتوهم بجميع وجوه الحيل فلم يروا منهم الا الاعراض أي جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم أي جاءهم هود وصالح داعيين لهم الى الايمان بهما وبجميع الرسل فكأن جميع الرسل قد جاؤهم وخاطبوهم بقوله تعالى (أن لا تعبدوا الا الله) فان مفسرة بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة أي بانه لا تعبدوا أي بان الحديث قولهم لهم لا تعبدوا الا الله أو مصدرية والجملة بعدها صلتها وصلت بالنهي كما توصل بالامر أي جاؤهم بكونهم نهوهم عن الشرك ويجوز أن تكون ان نافية على هذا الوجه أي جاؤهم بامرهم بالتوحيد ونفي الشرك (قالوا) أي عاد وثمود مخاطبين لهود وصالح (لو شاء ربنا) أي ارسال الرسل الى البشر (لانزل ملائكة) أي لارسلهم بطريق الانزال (فانا بما أرسلتم به كافرون) اي فاذا أنتم بشر ولستم بملائكة فأنتم لستم برسل واذا لم تكونوا من الرسل لم يلزمنا قبول قولكم وقوله تعالى بما أرسلتم به حكاية لكلامهم على سبيل الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون (فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق) أي فأما قوم هود فتعظموا في الارض على أهلها بغير استحقاق للتعظم (وقالوا) لهود لما هددهم بالعذاب (من أشد منا قوة) أي نحن نقدر على دفع العذاب عن أنفسنا بفضل قوتنا وذلك لان أطولهم كما قال ابن عباس كان مائة ذراع وأقصرهم كان ستين ذراعا فقال الله تعالى ردا عليهم (أولم يروا) أي ألم ينظروا ولم يعلموا لما جليا

كل سماء بما أراد من الامر والنهي وقوله (وحفظا) أي حفظناها من استماع الشياطين حفظا (فان اعرضوا) عن الايمان بعد هذا البيان (فقل أنذرتكم) أي خوفتكم (صاعقة) أي مهلكة تنزل بكم كما نزلت بمن قبلكم (اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم) أي أتت الرسل آباءهم ومن كان قبلهم (ومن خلفهم) ومن بعد الرسل الذين أرسلوا الى آبائهم جاءتهم الرسل انفسهم وقوله (ريحا صرصرا) أي لها صوت شديد

(أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) أي قدرة يقدر على اهلاكهم (وكانوا بآياتنا يجحدون) أي انهم كانوا يعرفون أن الآيات المنزلة على الرسل حق ولكنهم أنكروها كما ينكر المودع الوديعة (فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أي باردا شديدا يحرق ببرده كما تحرق النار بحرها أو ريحا يصوت في هبوبه وعن ابن عباس ان الله تعالى ما أرسل على عاد من الريح الا قدر خاتمي والمراد انه مع قلته أهلك الكل وذلك دليل على كمال قدرته تعالى (في أيام نحسات) أي مشومات روي أن الايام كانت آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء قال ابن عباس وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو نحسات بسكون الحاء والباقون بكسرها (لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) بسبب انهم استكبروا فقابل الله ذلك الاستكبار بايصال الذل اليهم وقرئ لتذيقهم بالتاء على اسناد الاذاقة الى الريح أو الى الايام (ولعذاب الآخرة أخزى) أي أشد اهانة مما كان لهم في الدنيا (وهم لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) أي وأما قوم صالح فبينا لهم طريق الخير والشر فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد وقرأ الجمهور برفع ثمود ممنوعا من الصرف وقرئ بالنصب بفعل يفسره ما بعده وقرأه الاعمش وابن وثاب منونا في الحالين والرفع أفصح لوقوع ثمود بعد حرف الابتداء وقرئ ثمود بضم الثاء (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) أي داهية العذاب الذي يهينهم بشدته (بما كانوا يكسبون) من اختيار الضلالة وهي شركهم وتكذيبهم صالحا وعقرهم الناقة (ونجينا الذين آمنوا) من الفريقين (وكانوا يتقون) الاعمال التي أتى بها قوم عاد وثمود (ويوم يحشر أعداء الله الى النار) أي واذكر يا أشرف الخلق لقريش المعاندين لك حال الكفار في القيامة يوم يجمع بكره الكفار الاولون والآخرون الى موقف الحساب والتعبير عنه بالنار للاعلام بانها آخر حشرهم أو لان حسابهم يكون على شفيرها ويحشر بالبناء للمفعول وأعداء بالرفع على قراءة الجمهور وقرأ نافع نحشر بنون العظمة وضم الشين ونصب أعداء وقرئ ويحشر بالبناء للفاعل ونصب أعداء وقرئ بكسر الشين مع البناء للفاعل في الحالين (فهم يوزعون) أي يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا (حتى اذا ما جاؤها) أي حتى اذا حضروا موقف الحساب (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) في الدنيا من فنون الكفر والمعاصي بان ينطقها الله تعالى كانطاق اللسان فتشهد وقال ابن عباس المراد من شهادة الجلود شهادة الفروج (وقالوا لجلودهم) أي لاعضائهم أو لفروجهم (لم شهدتم علينا) وكنا نحابس عنكم بالجدال وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أول ما يتكلم من الآدمي فخذه وكفه اه وذلك لان مقدمة الزنا انما تحصل بالكف ونهاية الامر انما تحصل بالفخذ (قالوا) أي الجلود (أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) أي نطقنا الله الذي أنطق كل ناطق وأقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح وما كتمناها فان القادر على انشائكم وانطاقكم في المرة الاولى حال ما كنتم في الدنيا وعلى اعادتكم بعد الموت احياء قادر على انطاقكم في المرة الثانية وهي حال القيامة فكيف يستبعد منه انطاق الاعضاء (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) أي وما كنتم تستترون بنحو الحيطان في الدنيا عند الاقدام على الافعال القبيحة مخافة أن تشهد عليكم جوارحكم بذلك لانكم غير عالمين بشهادتها عليكم ولانكم منكرون للبعث والجزاء ولكن استتاركم لاجل انكم ظننتم أن الله لا يعلم الاعمال التي أقدمتم عليها من القبائح المخفية فلا يظهرها في الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم) أي فاسم الاشارة مبتدأ وظنكم خبر والموصول نعت أو بدل وأرداكم حال أي ذلكم الظن المذكور ظنكم

(في أيام نحسات) أي مشومات عليهم (وأما ثمود فهديناهم) أي دعوناهم ودللناهم (فاستحبوا العمى على الهدى) أي فاختاروا الكفر على الايمان (فأخذتهم صاعقة) أي مهلكة (العذاب الهون) أي ذي الهون وهو الهوان أي العذاب الذي يهينهم وقوله (وهو خلقكم أول مرة) ابتداء واخبار عن الله تعالى وليس من كلام الجلود (وما كنتم تستترون) أي من (أن يشهد عليكم سمعكم) يعني لم تكونوا تخافون أن تشهد عليكم جوارحكم فتستتروا منها (ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) أي ظننتم أن ما تخفون لا يعلم الله ذلك ولا يطلع عليه وذلك الظن منكم بربكم (أرداكم) أهلككم

الذى ظننتم بربكم مهلكا اياكم ويجوز أن يكون ظنكم والموصول وجملة أرداكم اخبارا (فأصبحتم من الخاسرين) أى فصرتم بسبب ذلك الظن المردى من الهالكين بالعقوبة قال أهل التحقيق الظن قسمان حسن وفاسد فالظن الحسن أن يظن بالله تعالى الرحمة والفضل والاحسان قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى والظن الفاسد أن يظن ان الله تعالى يعزب عن علمه بعض هذه الاحوال وقال قتادة الظن نوعان ظن منج وظن مرد فالمنجى هو المحكى بقوله تعالى انى ظننت أنى ملاق حسابيه والمردى هو المحكى بقوله تعالى ذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) أى فان أمسكوا عن الاستغاثة لاجل فرج ينتظرونه لم يجدوا ذلك الفرج وتكون النار محل اقامة أبدية لهم (وان يستعتبوا فما هم من المعتبين) أى وان طلبوا الرجوع الى ما يحبونه جزعا مما هم فيه لم يعطوه ولم يجابوا اليه وقرئ وان يستعتبوا بصيغة المفعول فما هم من المعتبين بصيغة اسم الفاعل أى وان يطلبوا الى أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون اذ لا سبيل لهم الى ذلك (وقيضنا لهم قرناء) أى بعثنا لهم شركاء من الشياطين يلازمونهم (فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى فزينوا لهم أمر الآخرة بأن لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار وأمر الدنيا بأنها قديمة باقية لا تفنى ولا صانع الا الطبائع والأفلاك و يقال فزينوا لهم ما مضى من أعمالهم الخبيثة وما بقى من أعمالهم الخبيثة وهو ما يزعمون انهم يعملونه (وحق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين) أى وثبت عليهم كلمة العذاب حال كونهم كائنين فى جملة أمم من المتقدمين من الجن والانس لانهم كانوا هالكين بالعقوبة (وقال الذين كفروا) أى كفار مكة أبو جهل وأصحابه عند قراءة النبى صلى الله عليه وسلم (لا تسمعوا لهذا القرآن) لانه مقلب القلوب وكل من استمع له صبا اليه (والغوا فيه) أى تشاغلوا عند قراءته برفع الاصوات بالخرافات والاشعار الفاسدة والكلمات الباطلة حتى تخلطوا على القارئ (لعلكم تغلبون) أى لكى تغلبوا محمدا على قراءته فيسكت فهددهم الله بالعذاب الشديد بقوله (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا) فى الدنيا بالحرمان وفنون الهوان (ولنجزينهم) فى الآخرة (أسوأ الذى كانوا يعملون) أى سيآت أعمالهم بحسب تفاوت السيآت فى الاثم ولا يجازيهم على محاسن أعمالهم كاغاثة الملهوفين وصلة الارحام وقرى الاضياف لانها محبطة بالكفر وفى هذا تهديد شديد لمن يصدر عنه عند سماعه ما يشوش على القارئ و يخلط عليه القراءة وتعريض بمن لا يكون عند كلام الله خاضعا خاشعا (ذلك) أى جزاء أقبح أعمالهم (جزاء أعداء الله) أى جزاء معد لهم (النار) عطف بيان (لهم فيها دار الخلد) أى لهم فى دركات النار دار معينة وهى دار العذاب الخالد لهم (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون) وجزاء منصوب بجزاء فان المصدر ينصب بمثله أى جزاء بسبب ما كانوا يلغون فى قراءة آياتنا وانما سمى اللغو جحودا لانهم لما علموا ان القرآن بالغ الى حد الاعجاز خافوا من انه لو سمعه الناس لآمنوا به فاستخرجوا تلك الطريقة الفاسدة (وقال الذين كفروا) وهم متقلبون فى عذاب النار (ربنا أرنا اللذين أضلانا) عن الحق (من الجن والانس) أى الشياطين و رؤساء الانس وقال على بن أبى طالب أى من ابليس وقابيل لان الكفر سنة ابليس والقتل بغير حق سنة قابيل وقرأ ابن كثير والسوسى وابن عامر وشعبة بسكون الراء من أرنا أى أعطناهما واختلس الدورى كسر الراء وشدد ابن كثير النون من اللذين (نجعلهما تحت أقدامنا) أى ندسهما ليكونا وقاية بيننا و بين النار فتخف عنا حرارتها نوع خفة (ليكونا من الاسفلين) أى ليكونا ممن هو أذل منا مكانا وأشد منا عذابا كما جعلانا فى الدنيا تحت أمرهما (ان الذين قالوا ربنا الله) قولا مقرونا باليقين التام والمعرفة الحقيقية (ثم استقاموا) أى ثبتوا على الاعمال الصالحة (تتنزل

(فان يصبروا) فى جهنم (فالنار مثوى لهم) أى مقامهم لا يخرجون منها (وان يستعتبوا) أى يطلبوا الصلح (فما هم من المعتبين) أى ممن يصالح و يرضى (وقيضنا لهم) أى سببنا لهم (قرناء) من الشياطين (فزينوا لهم ما بين أيديهم) من أمر الدنيا حتى آثروه (وما خلفهم) من أمر الآخرة فدعوهم الى التكذيب به وأن لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب (وحق عليهم القول فى أمم) أى مع أمم بالخسران والهلاك وقوله (والغوا فيه) أى عارضوه بكلام لا يفهم من المكاء والصفير و باطل الكلام (لعلكم تغلبون) أى تغلبونه على قراءته فيترك القراءة وقوله (أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس) يعنون ابليس وقابيل لانهما أول من سن الضلالة من الجن والانس (نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا) فى الدرك الاسفل من النار (ان الذين قالوا ربنا الله) وحدوه (ثم استقاموا) أى على التوحيد فلم يشركوا به شيأ (تتنزل

عليهم الملائكة) عند الموت وفى القبر وعند البعث بالبشرى (ألا تخافوا) وأن مفسرة أو مخففة من الثقيلة ولا ناهية أى بأنه لا تخافوا على ما أمامكم أو مصدرية ولا اما ناهية أو نافية وقرئ لا تخافوا على أنه حال من الملائكة أى يقولون لا تخافوا (ولا تحزنوا) على ما تركتم من خلفكم فالله تعالى أخبر أن الملائكة يخبرون فى أول الأمر بأنه لا خوف عليكم بسبب ما تستقبلونه من أحوال القيامة ثم يخبرون بأنه لا حزن عليكم بسبب ما فاتكم من أحوال الدنيا فان المستقبل فى كل ساعة يصير أقرب حصولا والماضى فى كل حالة أبعد حصولا ولهذا قال الشاعر

فلا زال ما نهواه أقرب من غد * ولا زال ما نخشاه أبعد من أمس

وعند حصول هذين الامرين فقد زالت المضار والمتاعب بالكلية ثم بعد الفراغ من ذلك الاخبار يبشرون بحصول المنافع لان دفع المضرة أولى بالرعاية من جلب المصلحة وذلك قوله تعالى (وأبشروا) أى املؤا صدوركم سرورا (بالجنة التى كنتم توعدون) فى الدنيا على ألسنة الرسل (نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) أى نحن أقرب الاقرباء اليكم فنوقظكم من المنام ونحملكم على الصلاة والصيام ونبعدكم عن الآثام فى الحياة الدنيا وندفع عنكم المضرات ونجلب لكم المسرات فى الآخرة بالشفاعة حيث يتعادى الكفرة وقرناؤهم (ولكم فيها) أى الآخرة (ما تشتهى أنفسكم) من اللذائذ لا نكم منعتموها فى الدنيا من الشهوات (ولكم فيها) أى الآخرة (ما تدعون) أى تطلبون (نزلا) حال من ما تدعون أى حال كون هذا رزقا مهيأ كما يهيأ للضيف مستقر لكم (من غفور رحيم) قال العارفون هذه الآية تدل على ان هذه الاشياء جارية مجرى المهيأ للضيف والكريم جل وعلا اذا أعطى النزل فلا بد وان يبعث الخلع النفيسة بعدها وتلك الخلع ليست الا السعادات الحاصلة عند رؤيته تعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله) أى لا أحد أحسن من جهة القول ممن دعا الى طاعة الله (وعمل صالحا) أى والحال انه قد عمل صالحا فى نفسه وللدعوة الى الله مراتب الاولى دعوة الانبياء بالمعجزات وبالحجج وبالسيف والثانية دعوة العلماء الى الله تعالى بالبراهين فهم نواب الانبياء فى العلم أما الملوك فهم نواب الانبياء فى القدرة الثالثة دعوة المجاهدين الى الله تعالى بالسيف الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم دعاة الى طاعة الله تعالى (وقال اننى من المسلمين) أى ابتهاجا بأنه منهم فيكون هذا الرجل موصوفا بخصال أربعة الاولى الاقرار باللسان وهو الدعوة الى الله باقامة الدلائل اليقينية والثانية الاعمال الصالحة بالجوارح والثالثة الاعتقاد الحق بالقلب وهاتان داخلتان فى قوله تعالى وعمل صالحا والرابعة الاشتغال باقامة الحجة على دين الله تعالى والموصوف بهذه الخصال الاربعة أفضل الناس وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن أبى عبلة انى بنون واحدة (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) أى لا تستوى الدعوة الى الدين الحق والصبر على جهالة الكفار ولا قولهم قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه ولا تسمعوا لهذا القرآن (ادفع بالتى هى أحسن) أى ادفع جهالهم بالطريق التى هى أحسن الطرق (فاذا الذى بينك و بينه عداوة كأنه ولى حميم) واذا التى هى للمفاجأة ظرف مكان لمعنى التشبيه والموصول مبتدأ والجملة بعده خبره واذا معمولة لمعنى التشبيه والظرف يتقدم على عامله المعنوى أى فالذى بينك و بينه عداوة مشبه فى المحبة للصديق فى الدين القريب فى النسب الذى لم تسبق منه عداوة اذا صبرت على سوء أخلاقهم مرة بعد أخرى والمعنى فاذا قابلت أفعال أعدائك القبيحة بالافعال الحسنة ولم تقابل سفاهتهم بالغضب والايحاش استحيوا من تلك الاخلاق المذمومة وتركوا تلك الافعال القبيحة وانقلبوا من العداوة الى المحبة قيل نزلت هذه الآية فى أبى سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وصار وليا مصافيا له صلى الله عليه وسلم (وما يلقاها الا الذين صبروا) أى وما يعطى هذه

الخصلة

عليهم الملائكة) أى عند الموت (ألا تخافوا) ذنوبكم (ولا تحزنوا) عليها فان الله يغفرها لكم (نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) أى أنصاركم وأحباؤكم وهم قرناؤهم الذين كانوا معهم فى الدنيا من الحفظة يقولون لهم لن نفارقكم فى القيامة حتى ندخلكم الجنة (ولكم فيها ما تدعون) تتمنون وتسألون (نزلا) أى جعل الله ذلك رزقا لهم مهنأ (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله) الآية قيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه دعا الى الله وقيل انها نزلت فى المؤذنين (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) لا زائدة (ادفع السيئة (بالتى هى أحسن) كالغضب يدفع بالصبر والجهل بالحلم والاساءة بالعفو (فاذا الذى بينك و بينه عداوة) يصير لك (كأنه ولى حميم) أى صديق قريب اذا فعلت ذلك (وما يلقاها) أى وما يلقى هذه الخصلة (الا الذين صبروا) على كظم الغيظ واحتمال الاذى

الخصلة التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين شأنهم الصبر على تحمل المكاره وتجرع الشدائد (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) أي وما يوفق على هذه الخصلة أي التي هي دفع السيئة بالحسنة الا ذو حظ عظيم من ثواب الآخرة أو من الخلق الحسن (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) أي وان يوسوس لك الشيطان بترك ما أمرت به بأن صرفك صارف عما شرعت من الدفع بالتي هي أحسن فاستجر بالله من شره يدفعه عنك (انه هو السميع العليم) لقولك وأفعالك (ومن آياته) الدالة على وجود الله وقدرته (الليل والنهار والشمس والقمر) كل منها مخلوق له تعالى مسخر لامره تعالى (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) لانهما عبدان مخلوقان مثلكم (واسجدوا لله الذي خلقهن) أي الاربعة (ان كنتم اياه تعبدون) أي ان كنتم تريدون بعبادة الشمس والقمر عبادة الله فلا تعبدوهما فان عبادة الله في ترك عبادتهما فان الذين يعبدونهما يقولون نحن أذل من أن يحصل لنا أهلية عبودية الله تعالى ولكنا عبيد للشمس والقمر وهما عبدان لله (فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار) أي فان استكبروا عن قبول قولك يا محمد في النهي عن السجود للشمس والقمر فدعهم وشأنهم فان لله عبادا يعبدونه من الملائكة أي والله لا يعدم عابدا له أبدا بل يكون من خلقه من يعبده على الدوام (وهم لا يسأمون) أي لا يملون عن عبادة الله تعالى ولا يفترون وموضع السجود عند قوله تعالى اياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن حكاه الرافعي عن أبي حنيفة وأحد لذكر السجود قبله وعند قوله تعالى لا يسأمون وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشري عن أبي حنيفة لان الكلام انما يتم عنده وعند الشافعي عند قوله تعالى اياه تعبدون لكن قال الشربيني والصحيح عند الشافعي عند قوله تعالى لا يسأمون (ومن آياته) الدالة على قدرته تعالى ووحدانيته (أنك) أيها الانسان (ترى الارض خاشعة) أي منكسرة ميتة (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) أي تحركت بالنبات (وربت) أي انتفخت ثم تصدعت عن النبت وقرئ ربأت أي ارتفعت (ان الذي أحياها لمحيي الموتى) أي ان القادر على احياء الارض بعد موتها هو القادر على احياء هذه الاجساد بعد موتها (انه على كل شئ قدير) أي انه تعالى قادر على الممكنات فوجب أن يكون قادرا على اعادة التركيب والحياة والقدرة والعقل الى تلك الاجزاء المتفرقة (ان الذين يلحدون في آياتنا) أي يميلون عن الحق في أدلتنا (لا يخفون علينا) في وقت من الاوقات وقرأ حمزة بفتح الياء والحاء (أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة) أي الذين يميلون عن الاستقامة في آياتنا بالطعن والتأويل الباطل فيلقون في النار خير أم الذين يؤمنون بآياتنا يأتون آمنين من العذاب يوم القيامة (اعملوا) يا أهل مكة (ما شئتم) من الاعمال المؤدية الى الالقاء في النار والاتيان آمنا (انه بما تعملون بصير) فيجازيكم بحسب أعمالكم وفي ذلك تهديد (ان الذين كفروا بالذكر) أي بالقرآن (لما جاءهم) لهم في الآخرة نار جهنم أو يجازون بكفرهم (وانه) أي القرآن (لكتاب عزيز) أي غالب عديم النظير لانه بقوة حجته غلب على كل ما سواه ولان الاولين والآخرين عجزوا عن معارضته (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أي لا تكذبه الكتب المتقدمة عليه كالتوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب ولا يجيء كتاب من بعده يكذبه (تنزيل من حكيم) في أمره (حميد) في أفعاله (ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك) أي ما تقول لك كفار قومك الا مثل ما قد قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة (ان ربك لذو مغفرة) للمحقين

الشيطان (فاستعذ بالله) من شره وامض على حلمك (ومن آياته) أي علاماته التي تدل على أنه واحد (الليل والنهار والشمس والقمر) الآية (فان استكبروا) يعني الكفار عن السجود لله (فالذين عند ربك) وهم الملائكة (يسبحون له) يصلون له (بالليل والنهار وهم لا يسأمون) أي لا يملون (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة) أي مغبرة لا نبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) يعني تحركت بالنبات (وربت) أي وانتفخت وعلت ثم تصدعت عن النبات (ان الذين يلحدون في آياتنا) أي يميلون الكلام فيها على غير جهته بأن ينسبوها الى الكذب والسحر (لا يخفون علينا) بل نعلمهم ونجازيهم بذلك (ان الذين كفروا بالذكر) أي بالقرآن (لما جاءهم وانه لكتاب عزيز) أي منيع من الشيطان والباطل (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أي الكتب التي تقدمت لا تبطله ولا يأتي بعده كتاب يبطله وقيل انه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه (ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك) أي ان أكذبك قومك فقد كذب الذين من قبلك

(ولو عقاب أليم) للمعاندين فتوض هذا الأمر الى الله واشتغل بما أمرت به وهو التبليغ والدعوة الى الله تعالى (ولو جعلناه) أى هذا الذكر (قرآنا أعجميا لقالوا) أى كفار مكة (لولا فصلت آياته) أى لم لا بينت آياته بلسان نفهمه (أأعجمي وعربى) أى أكلام أعجمى ورسول أو مرسل اليه عربى والمعنى انا لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم أن يقولوا كيف أرسلت الكلام العجمى الى القوم العرب ويصح لهم أن يقولوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه أى من هذا الكلام وفى آذاننا وقر منه لا نفهمه ولا نحيط بمعناه ولما أنزلنا هذا الكتاب بلغة العرب وأنتم من أهل هذه اللغة فكيف يمكنكم ادعاء أن قلوبكم فى أكنة منها وفى آذانكم وقر منها وقرئ أعجمى على الاخبار بأن القرآن أعجمى والمتكلم والمخاطب عربى ويجوز أن يراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب (قل هو) أى القرآن (للذين آمنوا هدى) لانه دليل على الخيرات ويرشد الى كل السعادات (وشفاء) لانه اذا أمكنهم الاهتداء فقد حصل لهم الهدى فذلك الهدى شفاء لهم من مرض الكفر والجهل (والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر) أى والذين لا يؤمنون هو حال كونه كائنا فى آذانهم صمم فوقر خبر للضمير المقدر والجملة خبر الموصول وفى آذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا من وقر (وهو) أى القرآن (عليهم عمى) قرأ الجمهور على صيغة المصدر وقرأ ابن عباس عم على صيغة النعت (أولئك) الموصوفون بالصمم عن الحق والعمى عن الآيات الظاهرة (ينادون من مكان بعيد) أى هم مثل البهيمة التى لا تفهم الا النداء وقيل هم كمن ينادون من مكان بعيد لم يسمعوا وان سمعوا لم يفهموا (ولقد آتينا موسى الكتاب) أى التوراة (فاختلف فيه) فقبله بعضهم ورده الآخرون فكذلك آتيناك هذا الكتاب فقبله بعضهم وهم أصحابك ورده آخرون وهم الذين يقولون قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى لولا عدة سبقت بتأخير العذاب فى حق أمتك المكذبة الى يوم القيامة (لقضى بينهم) أى بين المكذبين والمصدقين بالعذاب الواقع بالمكذبين فى الدنيا (وانهم) أى كفار قومك (لفى شك منه) أى من كتابك (مريب) أى موقع فى شك ظاهر فلا ينبغى أن يستعظم استيحاشك من قولهم قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) أى خفف يا أكرم الرسل على نفسك اعراضهم فانهم ان آمنوا فنفع ايمانهم يعود عليهم وان كفروا فضرر كفرهم يعود اليهم (وما ربك بظلام للعبيد) وهو يوصل الى كل أحد ما يليق بعمله من الجزاء فى يوم القيامة (اليه) أى الى ربك (يرد علم الساعة) أى لا يعلم وقت الساعة بعينه الا الله وكما أن هذا العلم ليس الا عند الله فكذلك العلم بحدوث الحوادث المستقبلة فى أوقاتها المعينة ليس الا عند الله تعالى ثم ذكر الله تعالى من أمثلة هذا الباب مثالين بقوله (وما تخرج من ثمرات من أكمامها) أى أوعيتها (وما تحمل من أنثى ولا تضع) حملها (الا بعلمه) أى الا ملابسا بعلمه المحيط أما أصحاب الكشف فهو من الهام الله تعالى وأما أصحاب علم الرمل وعلم التعبير فلا يمكنهم الجزم فى شئ من المطالب البتة وانما غايتهم ادعاء ظن ضعيف وما نافية ومن فى ثمرات وفى أنثى زائدة للاستغراق وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم من ثمرات بالجمع والباقون من ثمرة بالافراد (ويوم يناديهم) أى يوم ينادى الله المشركين (أين شركائى) بحسب اعتقادكم (قالوا) أى يقولون متبرئين من اثبات الشريك لله تعالى (آذناك) أى أخبرناك وأسمعناك (ما منا من شهيد) أى ليس أحد منا يشهد بأن لك شريكا (وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل) أى غابت عنهم آلهتهم التى كانوا يعبدونها فى الدنيا ولا يبصرونها فى ساعة التوبيخ وظهر لهم عدم نفعها حالئذ (وظنوا ما لهم من محيص)

(قل هو) أى القرآن (للذين آمنوا هدى) أى من الضلالة (وشفاء) من الجهل (والذين لا يؤمنون) فى ترك قبوله بمنزلة من (فى آذانهم وقر وهو) أى القرآن (عليهم عمى) لانهم لا يفقهونه (أولئك ينادون من مكان بعيد) أى كأنهم لقلة استماعهم وانتفاعهم ينادون الى الايمان بالقرآن من حيث لا يسمعون لبعد المسافة (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) أى بالتصديق والتكذيب والايمان به والكفر كما فعل قومك (ولولا كلمة سبقت من ربك) فى تأخير العذاب عن قومك (لقضى بينهم) أى لفرغ من هلاكهم (وانهم لفى شك منه) أى من القرآن (مريب اليه يرد علم الساعة) لانه لا يعلمه الا الله (وما تخرج من ثمرة من أكمامها) أى أوعيتها (ويوم يناديهم أين شركائى) الذين كنتم تزعمون (قالوا آذناك) أى أعلمناك (ما منا من شهيد) أى شاهد أن لك شريكا لما عاينوا القيامة تبرؤا من معبوديهم (وضل عنهم) أى زال وبطل (ما كانوا يدعون من قبل) أى يعبدون قبل يوم القيامة (وظنوا) علموا (ما لهم من محيص) أى مهرب

أى أيقنوا أنه ليس لهم مهرب من لنار (لا يسأم الانسان من دعاء الخير) أى من طلب السعة فى أسباب المعيشة (وان مسه الشر فيؤس قنوط) أى أصابته ضيقة فهو مبالغ فى قطع الرجاء من فضل الله ومن رحمته حتى تظهر آثاره فى الاحوال الظاهرة (ولئن أذقناه) أى الانسان (رحمة منا من بعد ضراء مسته) أى من بعد شدة أصابته (ليقولن هذا لى) أى هذه الخيرات انما حصلت لى بسبب استحقاقى لما حصل عندى من الفضائل وأعمال القربة من الله (وما أظن الساعة قائمة) أى ان الانسان يكون شديد الرغبة فى الدنيا عظيم النفرة عن الآخرة فاذا آل الامر الى الآخرة يقول وما أظن الساعة تقوم (ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده) أى فى الآخرة (للحسنى) أى للحالة الحسنى من الكرامة وقوله ان لى الخ جواب القسم لسبقه الشرط (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) أى فلنظهرن لهم أن الامر على عكس ما تصوروه (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) أى شديد (واذا أنعمنا على الانسان أعرض) عن التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله (ونأى بجانبه) أى تباعد عن الشكر بكليته تعظما (واذا مسه الشر) أى أصابه فقر (فذو دعاء عريض) أى أقبل على دوام الدعاء وأخذ فى التضرع (قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد) أى قل لهم يا أشرف الخلق اخبرونى ان كان هذا القرآن من الله ثم كفرتم به من أضل منكم فان حالكم فى معاداة شديدة مع محمد صلى الله عليه وسلم وأنكم كلما سمعتم هذا القرآن أعرضتم عنه وما تأملتم فيه وبالغتم فى النفرة عنه حتى قلتم قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) أى سنرى أهل مكة علامات وحدانيتنا وقدرتنا فى أطراف الارض من خراب مساكن الامم الماضية كعاد وثمود وسنريهم ذلك فى أنفسهم من الامراض والمصائب وغير ذلك (حتى يتبين لهم أنه الحق) أى ان هذا القرآن هو الحق المنزل من الله (أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد) وبربك فاعل والباء مزيدة وأنه بدل منه أى أولم يكفهم ان ربك على كل شئ شهيد ولم يغنهم اخباره للامم الماضية (ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم) أى ان أهل مكة فى شك عظيم من البعث والقيامة (ألا انه بكل شئ محيط) أى ان الله عالم بجميع المعلومات التى لا نهاية لها فيعلم بواطن هؤلاء الكفار وظواهرهم ويجازى كل أحد على فعله بحسب ما يليق به ان خيرا فخير وان شرا فشر

﴿سورة شورى وتسمى سورة حم عسق وسورة حم سق مكية وهى ثلاث وخمسون آية وثمانمائة وستة وثمانون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم عسق) اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقرأ ابن عباس وابن مسعود حم سق وهما خبران لمبتدا محذوف (كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) أى مثل ما فى هذه السورة من المعانى أوحى الله القادر على ما لا نهاية له العالم بجميع المعلومات الغنى عن جميع الحاجات اليك فى سائر السور والى من قبلك من الرسل فى كتبهم وقرأ ابن كثير يوحى بالبناء للمفعول ويروى أيضا عن أبى عمرو على أن كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضمير عائد عليه واسم الجلالة

أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى) أى يقول لست أوقن بالبعث وعذاب الساعة وان كان الأمر على ذلك ان لى عند الله لثوابا (واذا أنعمنا على الانسان) الآية يقول اذا كان الكافر فى نعمة تباعد عن ذكر الله واذا مسته الحاجة أكثر الدعاء (قل أرأيتم ان كان) القرآن (من عند الله ثم كفرتم به من أضل) منكم لا سكم (فى شقاق بعيد) أى خلاف بعيد عن الحق لكفرهم بالقرآن (سنريهم آياتنا فى الآفاق) أى ما يفتح الله على محمد من البلدان (وفى أنفسهم) أى فتح مكة (حتى يتبين لهم) أن القرآن حق أى صدق منزل من الله (أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد) وهو يشهد لمحمد ولكتابه بالصدق (ألا انهم فى مرية) أى شك (من لقاء ربهم) أى من البعث والمصير اليه (ألا انه بكل شئ محيط) عالم

﴿تفسير سورة الشورى﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم عسق) حاء حكم الله ميم محمد عين علمه سين سناؤه قاف قدرته أقسم الله عز وجل بها (كذلك يوحى اليك) ما من نبى صاحب كتاب الا وقد أوحى اليه حم عسق فهو معنى قوله كذلك يوحى اليك (والى الذين من قبلك)

المشركين اتخذ الله ولدا (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) أي ينزهون الله عن السوء (ويستغفرون لمن في الارض) من المؤمنين (والذين اتخذوا من دونه أولياء) يعني آلهة (الله حفيظ عليهم) أي يحفظ أعمالهم ليجازيهم بها (وما أنت عليهم بوكيل) أي لم نوكل عليهم وما عليك الا البلاغ (وكذلك) أي وهكذا (أوحينا اليك قرآنا عربيا) أي بلفظ العرب (لتنذر أم القرى) أي أهل مكة (ومن حولها) أي سائر الناس (وتنذر يوم الجمع) يعني وتخوفهم بيوم القيامة الذي يجمع فيه الخلق (لا ريب فيه) كما يرتاب الكافرون (فريق في الجنة وفريق في السعير) اخبار عن اختلاف حال الناس في ذلك اليوم (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) أي لجعل الفريقين فريقا واحدا (ولكن يدخل من يشاء في رحمته) بين انه انما يدخل الجنة من شاء فهو فضل منه (والظالمون) الكافرون (ما لهم من ولي ولا نصير) أي ناصر

مرفوع بما دل عليه يوحي أي الموحي الله وقرأ أبو حيوة والأعمش وابان نوحي بنون العظمة فاسم الجلالة مبتدأ وعلى هاتين القراءتين فالوقف على من قبلك كاف بخلاف قراءة الجمهور فلا يوقف عليه (له ما في السموات وما في الارض) فكل من كان موجودا في السموات فهو عبد الله فوجب أن يكون الله منزها عن الكون في المكان والجهة والعرش والكرسي (وهو العلي العظيم) أي هو المتعالي عن مشابهة الممكنات ومناسبة المحدثات العظيم بالقدرة وكمال الالهية فهو تعالى أعلى كل شئ وأعظم كل شئ (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) أي يتشققن من هيبة الله تعالى وعظمته ويبتدئ التشقق من جهتهن الفوقانية قرأ أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر تكاد بالتاء ينفطرن بنون ساكنة بعد الياء وابن كثير وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم تكاد بالتاء يتفطرن بالتاء المفتوحة بعد الياء ونافع والكسائي يكاد بالياء يتفطرن بالتاء ومن قرأ تكاد بالتاء الفوقية يجوز الوجهين في ينفطرن ومن قرأ يكاد بالياء التحتية لا يقرأ يتفطرن الا بالتاء الفوقية (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) أي والملائكة ينزهون الله تعالى عما لا يليق به ملتبسين بوصفه تعالى بكونه مفيضا لكل الخيرات (ويستغفرون لمن في الارض) أي يطلبون تجاوز الذنوب عن المؤمنين وتأخير العقوبة عن الكافرين والفاسقين طمعا في ايمانهم وتوبتهم ويطلبون الرزق لهم وحيث لم يذكر الله تعالى عن الملائكة استغفارهم لانفسهم علمنا انهم مبرؤون عن كل الذنوب (ألا ان الله هو الغفور الرحيم) فان الله تعالى يعطي المغفرة التي طلبوها ويزيدها على ما طلبوه رحمة كاملة (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أي أربابا يعبدونهم من الاصنام (الله حفيظ عليهم) أي رقيب على أعمالهم فيجازيهم عليها (وما أنت عليهم بوكيل) أي ما أنت يا أشرف الرسل بموكول اليك أمرهم ولا قسرهم على الايمان انما أنت منذر فقط (وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها) أي كما أوحينا اليك أنك لست حفيظا عليهم ولست وكيلا عليهم فكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتكون نذيرا لاهل أم القرى ولمن حولها من سائر الناس (وتنذر يوم الجمع) أي يوم القيامة فيجتمع فيه أهل السموات مع أهل الارض (لا ريب فيه) والوقف هنا كاف (فريق في الجنة وفريق في السعير) أي بعد جمعهم في الموقف ففريق مبتدأ خبره الظرف بعده وقرئ بالنصب على الحالية وتنذر يوم جمعهم متفرقين في داري الثواب والعقاب (ولو شاء الله لجعلهم) في الدنيا (أمة واحدة) أي على دين واحد وهو اما الاسلام أو الكفر ولكن الله جعل البعض مؤمنا والبعض كافرا وهو معنى قوله تعالى (ولكن يدخل من يشاء في رحمته) أي يدخل الله في رحمته من يشاء ان يدخله فيها ويدخل في عذابه من يشاء ان يدخله فيه (والظالمون) أي الكافرون (ما لهم من ولي) أي قريب ينفعهم (ولا نصير) أي مانع يمنعهم من عذاب الله تعالى (أم اتخذوا من دونه أولياء) أي بل اتخذوا متجاوزين الله أولياء من الاصنام وغيرها هيهات (فالله هو الولي وهو يحيي الموتى) أي ان أرادوا وليا بحق فالله هو الولي بحق لا ولي سواه لانه يحيي الموتى (وهو على كل شئ قدير) فهو حقيق بأن يتخذوه وليا دون من لا يقدر على شئ (وما اختلفتم فيه من شئ) أي وما خالفكم الكفار فيه من أمور الدين فاختلفتم أنتم وهم (فحكمه) راجع (الى الله) وهو اثابة المحقين ومعاقبة المبطلين (ذلكم الله ربي) أي ذلكم الحاكم بينكم هو الله الذي (عليه توكلت) في دفع كيد الاعداء وفي طلب كل خير (واليه أنيب) أي واليه تعالى أرجع في كل المهمات لا الى أحد سواه (فاطر السموات والارض) بالرفع خبر خامس لذلكم أو مبتدأ خبره ما بعده وقرئ بالجر على انه

يمنعهم من العذاب (أم اتخذوا) أي بل اتخذوا (من دونه أولياء فالله هو الولي) بدل لما اتخذوه من دونه (وما اختلفتم فيه من شئ) أي من أمر الدين (فحكمه الى الله) لا اليكم وقد حكم أن الدين هو الاسلام لا غيره وقوله

(جعل لكم من أنفسكم أزواجا) يعني حلائل (ومن الانعام أزواجا) أي خلق الذكر والانثى (يذرؤكم فيه) أي يكثركم بجعله لكم حلائل لانهن سبب النسل وفيه بمعنى به (ليس كمثله شئ) الكاف زائدة أي

ليس مثله شئ (شرع) أي بين وأظهر (لكم من الدين ما وصى به) أي أمر به (نوحا) ثم بين ذلك فقال (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) والله تعالى بعث الأنبياء كلهم باقامة الدين وترك الفرقة (كبر) أي عظم وشق (على المشركين ماتدعوهم اليه) من التوحيد وترك الاوثان (الله يجتبي اليه من يشاء) أي يصطفي من يشاء لدينه فيهديه اليه (وماتفرقوا الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم) أي ما تفرق أهل الكتاب الا عن علم بأن الفرقة ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك للبغي (ولولا كلمة سبقت من ربك) في تأخيرهم الى الساعة (لقضي بينهم) أي لجوزوا بأعمالهم (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) يعني هذه الأمة أوتوا الكتاب بعد اليهود والنصارى (لفي شك منه مريب) يعني كفار هذه الأمة ومشركيها (فلذلك فادع) أي الى ذلك يعني الى اقامة الدين فادع الناس (واستقم كما أمرت) أي اثبت على الدين الذي أمرت به (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) أي بجميع كتب الله المنزلة (وأمرت لأعدل بينكم) أي لاسوي بينكم في الايمان بكتبكم وقيل لاعدل بينكم في القضية وقوله (لاحجة) أي لاخصومة (بيننا وبينكم) هذا منسوخ بآية القتال

بدل من الضمير أو وصف لاسم الجلالة المجرور بالى (جعل لكم من أنفسكم) أي من جنسكم من الناس (أزواجا) أي نساء (ومن الانعام أزواجا) أي وجعل للانعام من جنسها أصنافا ذكرا وأنثى (يذرؤكم فيه) أي يكثركم بسبب هذا الجعل لان الناس والانعام يتوالدون به (ليس كمثله شئ) أي ليس كذاته تعالى ذوات وليس كصفاته تعالى صفات (وهو السميع البصير) للمسموعات والمرئيات (له مقاليد السموات والارض) أي له تعالى مفاتيح الرزق من السموات والارض وهي الامطار والنباتات (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يوسعه لمن يشاء ويقتر (انه بكل شئ عليم) فيفعل كل مايفعل على ماينبغي ان يفعل عليه (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين) أي اختار الله لكم ياأمة محمد من الدين ماوصى به نوحا ومحمدا وابراهيم وموسى وعيسى فهم أكابر الانبياء وأصحاب الشرائع العظيمة وأن تفسيرية بمعنى أي أو مصدرية في محل نصب بدل من الموصول أو في محل جر بدل من الدين أو في محل رفع خبر مبتدا مضمر تقديره هو ان أقيموا دين الاسلام (ولا تتفرقوا فيه) أي لاتختلفوا في أصل الدين الذي لاتختلف فيه الشرائع وهو التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج والتقرب الى الله بصالح العمل والصدق والوفاء بالعهد وأداء الامانة وصلة الرحم وتحريم الكفر والقتل والزنا والاذية للخلق والاعتداء على الحيوان واقتحام الدناآت ومايعود بخرم المروآت فهذا كله لم يختلف على ألسنة الانبياء (كبر على المشركين ماتدعوهم اليه) أي شق عليهم ماتدعوهم اليه من اقامة دين الله تعالى (الله يجتبي اليه من يشاء) أي الله يقرب الى ماتدعوهم اليه من يشاء وهو من ولد في الاسلام ويموت عليه (ويهدي اليه من ينيب) أي ويرشد اليه من يميل اليه من أهل الكفر (وماتفرقوا) أي المشركون في الدين الذي دعوا اليه (الا من بعد ماجاءهم العلم) بحقيقته (بغيا بينهم) أي حسدا منهم وطلبا للرئاسة فصار ذلك سببا لوقوع الاختلاف (ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضي بينهم) أي ولولا عدة ثبتت في الازل من ربك بتأخير عذاب هذه الأمة الى وقت معلوم هو يوم القيامة لاوقع القضاء بينهم من هلاكهم بالاستئصال في الدنيا (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب) أي وان أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين كانوا في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أعطوا كتابهم الذي هو التوراة والانجيل من بعد المختلفين في الحق لفي شك من كتابهم موقع في قلق النفس لايؤمنون به حق الايمان (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم) أي فلاجل ماحدث من الاختلافات الكثيرة في الدين فادع الناس كافة الى الاتفاق على الملة الاسلامية واستقم عليها وعلى الدعوة اليها كما أمرك الله تعالى ولاتتبع أهواءهم المختلفة الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) أي وقل ياأكرم الرسل آمنت بما أنزل الله على الانبياء من كتاب صح أن الله أنزله وهو الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض (وأمرت لأعدل بينكم) أي وأمرت بأن أعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم وتحاكمتم الي وأسوي بين أكابركم وأصاغركم فيما يتعلق بحكم الله تعالى (الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير) أي ان اله الكل واحد وكل واحد مخصوص بعمل نفسه لاخصومة بيننا وبينكم في الدين لان الحق قد ظهر ولم يبق للمخاصمة محل ولا لاخصومة محل سوى العناد وبعده

لاجدال فان الله يجمع بين الكل يوم القيامة ويجازيه على عمله لان مرجع الكل اليه تعالى فيظهر هنالك حالنا وحالكم (والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم) أى والذين يخاصمون في دين الله من بعدما استجاب الناس لذلك الدين ودخلوا فيه حجتهم باطلة عند ربهم وتلك المخاصمة هي ان اليهود قالوا ألستم تقولون ان الاخذ بالمتفق عليه أولى من الاخذ بالمختلف فيه فنبوة موسى وحقيقة التوراة معلومة بالاتفاق ونبوة محمد ليست متفقا عليها فحينئذ وجب الاخذ باليهودية فبين الله تعالى ان هذه الحجة فاسدة وذلك لان اليهود أطبقوا على انه انما وجب الايمان بموسى عليه السلام لاجل ظهور المعجزات على وفق قوله عليه السلام وقد ظهرت المعجزات على وفق قول محمد صلى الله عليه وسلم واليهود شاهدوا تلك المعجزات فان كان ظهور المعجزة يدل على صدق صاحبها وجب الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان كان لا يدل على صدقه وجب ان لا يقروا بنبوة موسى عليه السلام والاقرار بنبوة موسى مع الانكار نبوة محمد مع استوائهما في ظهور المعجزات باطل لانه متناقض (وعليهم غضب) لمكابرتهم الحق بعد ظهوره (ولهم عذاب شديد) في الآخرة (الله الذى أنزل الكتاب) أى القرآن وسائر الكتب المنزلة قبلك (بالحق) أى بالصدق (والميزان) أى الشرع الذى يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس (ومايدريك لعل الساعة قريب) أى أى شئ يجعلك عالما بأن الساعة التى يخبر بمجيئها الكتاب شئ قريب فوجب على العاقل ان يجتهد في النظر ويترك طريقة أهل التقليد ولما كان الرسول يهددهم بنزول القيامة قالوا على سبيل السخرية متى تقوم القيامة وليتها قامت فيظهر لنا ان الحق ما نحن عليه أو ما عليه محمد وأصحابه فدفع الله ذلك فقال (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) استعجال انكار واستهزاء (والذين آمنوا مشفقون منها) أى خائفون من قيامها وأهوالها لعلمهم ان التوبة تمتنع عندها (ويعلمون انها الحق) أى الكائنة بلاشك (ألا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد) أى ان الذين يدخلهم الشك في وقوع الساعة فيجادلون فيها لفي ضلال بعيد عن الصواب لان استيفاء حق المظلوم من الظالم واجب في العدل فلو لم تحصل القيامة لزم اسناد الظلم الى الله تعالى وهذا محال فكان انكار القيامة ضلالا بعيدا (الله لطيف بعباده) أى كثير الاحسان بهم بالحياة والعقل ودفع أكثر البليات عنهم واعطاء ما لابد منه من الرزق وتأخير العذاب عمن يستحقون العذاب (يرزق من يشاء) كيفما يشاء (وهو القوى) أى القادر على ما يشاء (العزيز) أى الذى لا يغالب فلا يقدر أحد ان يمنعه عن شئ يريده (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه) أى من كان يريد بأعماله ثواب الآخرة نزد له ثوابه بالتضعيف الى ما نشاء ونزد له في تسهيل سبيل الطاعات ونعطه من الدنيا ما كتبناه له (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب) أى كان يريد بأعماله متاع الدنيا نعطه بعض ما يطلبه حسب ما قسمناه له وماله في الآخرة ثواب لانه عمل للدنيا (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) أى الكفار مكة شياطينهم الذين زينوا لهم مالم يأمر الله تعالى به من الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا فانها على ضد دين الله (ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق بتأخير الجزاء الى يوم القيامة (لقضى بينهم) أى بين الكافرين والمؤمنين

(والذين يحاجون في الله) أى يخاصمون في دين الله نبيه (من بعد ما استجيب له) أى أجيب النبي الى الدين فأسلموا ودخلوا في دينه (حجتهم داحضة عند ربهم) أى باطلة زائلة لانهم يخاصمون صادقا في قوله قد ظهرت معجزته (الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان) أى العدل والمعنى ان الله تعالى أمر ان يقتدى بكتابه في أوامره ونواهيه وأن يعامل بالنصفة والسوية وآلة ذلك الميزان ثم قال (وما يدريك لعل الساعة قريب) أى فاعمل بالكتاب والعدل فلعل الساعة قد قربت منك وأنت لا تدرى (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) أى ظنا منهم أنها غير كائنة (والذين آمنوا مشفقون) أى خائفون (منها) لانهم يعلمون أنهم مبعوثون ومحاسبون (ألا ان الذين يمارون) أى تدخلهم المرية والشك (في الساعة لفي ضلال بعيد) لانهم لو فكروا لعلموا أن الذى أبداهم أولا قادر على اعادتهم (الله لطيف بعباده) حفى بارّ بهم برهم وفاجرهم حيث لم يقتلهم جوعا بمعاصيهم (من كان يريد حرث الآخرة) أى من أراد بعمله حرث الآخرة (نزد له في حرثه) أى كسبه بالتضعيف بالواحد عشرا (ومن كان يريد حرث الدنيا) أى يريد بعمله الدنيا (نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب) يقول من آثر دنياه على آخرته لم نجعل له نصيبا في الآخرة (أم لهم شركاء) أى بل لهم آلهة (شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق بأن القضاء يوم القيامة والجزاء فيه (لقضى بينهم) في الدنيا

(ترى الظالمين) أى المشركين يوم القيامة (مشفقين) أى خائفين (مما كسبوا) اى من جزائه (وهو واقع بهم) لامحالة وقوله (قل لاأسألكم عليه) أى على تبليغ الرسالة (أجرا الا المودة فى القربى) أى الاأن تحفظوا قرابتى ولاتؤذونى وتصلوا رحمى وذلك أنه لم يكن حى من قريش الا وللنبى صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة فكأنه يقول اذالم تؤمنوا بى فاحفظوا قرابتى ولا تؤذونى فيهم وقيل معناه الا أن تتوددوا الى الله بما يقربكم منه وقوله الاالمودة فى القربى استثناء ليس من الاول (ومن يقترف) يعمل (حسنة نزدله فيها حسنا) أى نضاعفها له (أم يقولون) أى بل يقولون يعنى أهل مكة (افترى على الله كذبا) أى تقول القرآن من نفسه (فان يشأ الله يختم على قلبك) أى يربط على قلبك بالصبر على أذاهم ثم ابتدأ فقال (ويمح الله الباطل) أى الشرك (ويحق الحق بكلماته) أى بما أنزله من كتابه على لسان نبيه وهو القرآن (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) أى اذا رجع العبد عن معصية الله الى طاعته قبل منه ذلك الرجوع وعفا عنه ما سلف وهو قوله (ويعفوا عن [السيا]ت) وقوله (ويستجيب الذين آمنوا) أى يجيبهم الى ما يسألون

فى الدنيا (وان الظالمين) أى الذين اختاروا ما لم يأذن به الله (لهم عذاب أليم) وقرأ بعضهم وأن بفتح الهمزة عطفا على كلمة الفصل أى ولولا الوعد بأن الفصل بينهم يكون يوم القيامة وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا (ترى الظالمين) يوم القيامة (مشفقين مما كسبوا) أى خائفين خوفا شديدا من جزاء ما عملوا فى الدنيا من السيآت (وهو) جزاؤه (واقع بهم) يوم القيامة فلا ينفعهم الحذر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات) أى مستقرون فى أطيب بقاع الجنات (لهم مايشاؤن عند ربهم) أى ما يشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم فان كل الاشياء حاضرة عنده مهيأة (ذلك) أى جزاء الايمان والعمل الصالح (هو الفضل الكبير) أى فان الثواب غير واجب على الله وانما يحصل بطريق الفضل من الله تعالى لا بطريق الاستحقاق (ذلك) أى الفضل الكبير (الذى يبشر الله) فى الدنيا (عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين والباقون بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين (قل لاأسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى) أى قل يا أشرف الخلق لاهل مكة لاأسألكم أجرا قط على التبليغ ببشارة ونذارة ولكن أسألكم المودة متمكنة فى أهل القرابة وحب آل محمد واجب قال الشافعى رضى الله عنه

يارا كبا قف بالمحصب من منى * واهتف بساكن خيفها والناهض
سحرا اذا فاض الحجيج الى منى * فيضا كملتطم الفرات الفائض
ان كان رفضا حب آل محمد * فليشهد الثقلان أنى رافضى

(ومن يقترف حسنة نزدله فيها حسنا) أى ومن يكتسب أى حسنة كانت كالمودة للقربى نزدله فى تلك الحسنة تضعيف ثوابها وقرئ يزد بالياء أى يزد الله وقرئ حسنى (ان الله غفور شكور) أى انه تعالى يحسن الى المطيعين فى ايصال الثواب اليهم وفى التفضل عليه بزيادة أنواع كثيرة على ذلك الثواب (أم يقولون افترى على الله كذبا) أى بل أيقولون اختلق محمد على الله كذبا بدعوى النبوة وتلاوة القرآن فاغتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال الله تعالى (فان يشأ الله يختم على قلبك ويمحوالله الباطل ويحق الحق بكلماته) أى لو كان القرآن افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنك وان يشأ ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث تواتر الوحى حينا فحينا تبين أنه من عند الله ومن عادة الله ابطال الباطل وتقرير الحق بوحيه فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه (انه عليم بذات الصدور) فيجرى عليها أحكامها اللائقة بها من المحو والاثبات (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) وروى جابر ان أعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انى أستغفرك وأتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له على ياهذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين فتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال ياأمير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته (ويعفو عن السيآت) فتارة يعفو عن الذنوب بواسطة قبول التوبة وتارة يعفو ابتداء من غير توبة (ويعلم ما تفعلون) من خير وشر فيجازى التائب ويتجاوز عن غير التائب وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم على المخاطبة والباقون بالياء على المغايبة (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى يجيب الله دعاءهم

(ويزيدهم) على ماطلبوه بالدعاء (من فضله) وقال عطاء عن ابن عباس والمعنى ويثيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله سوى ثواب أعمالهم تفضلا منه (والكافرون لهم عذاب شديد) بدل ماللمؤمنين من الثواب والفضل المزيد (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض) أى ولوسوى الله لرزق بين الكل لامتنع كون البعض خادما للبعض ولوصار الامر كذلك لخرب العالم وتعطلت المصالح وقال ابن عباس ولو وسع الله المال على عباده لطلبوا منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس (ولكن ينزل بقدر) أى بتقدير (مايشاء) أن ينزله وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون (انه بعباده خبير بصير) أى انه عالم أحوال الناس وبعواقب أمورهم فيقدر أرزاقهم على وفق مصالحهم (وهو الذى ينزل الغيث) أى المطر الذى يغيثهم من الجدب (من بعد ماقنطوا) أى من بعد يأسهم من نزوله وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزل بتشديد الزاى وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش بكسر نون قنطوا (وينشر رحمته) أى منافع الغيث ومايحصل به من الخصب (وهو الولى الحميد) أى وهو الذى يتولى عباده باحسانه المحمود على مايوصل للخلق من أقسام الرحمة (ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة) وما معطوف على السموات أى وخلق مانشر الله فيهما من حى (وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) أى وهو تعالى على جمع العقلاء للمحاسبة فى أى وقت يشاء قدير (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) أى فهى بسبب معاصيكم التى اكتسبتموها فما متضمنة لمعنى الشرط ولذلك جاءت الفاء فى جوابها وقرأ نافع وابن عامر بما كسبت بغير فاء فما بمعنى الذى وبما كسبت خبره والمعنى والذى أصابكم من الاحوال المكروهة وقع بما كسبت أيديكم (ويعفو عن كثير) من الذنوب فان الذنوب قسمان قسم يعجل العقوبة عليه فى الدنيا بالمصائب وقسم يعفو عنه وهو أكثر (وما أنتم بمعجزين فى الارض) أى بفائتين ماقضى عليكم من المصائب وان هربتم من أقطارها كل مهرب (ومالكم من دون الله من ولى) يحميكم منها (ولا نصير) يدفعها عنكم (ومن آياته الجوار) أى السفن الجارية (فى البحر كالأعلام) أى كالجبال وقرأ نافع وأبو عمرو بالياء وصلا وابن كثير وهشام بها وقفا والباقون بحذفها للتخفيف (ان يشأ يسكن الريح) التى تجرى بها السفن وقرأ نافع وحده الرياح على الجمع (فيظللن رواكد على ظهره) أى يصرن ثوابت على ظهر البحر أى غير جاريات (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) فان كان المؤمن فى البلاء كان من الصابرين وان كان فى النعماء كان من الشاكرين فلا يكون من الغافلين عن دلائل معرفة الله البتة (أو يوبقهن بما كسبوا) والمعنى أنه تعالى ان شاء ابتلى المسافرين فى البحر باحدى بليتين اما أن يسكن الريح فتقف الجوارى على متن البحر واما أن يرسل الرياح عاصفة فيهلكن بسبب الاغراق بعصفتهم (ويعف عن كثير) أى ان يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم وقرأ الاخفش ويعفو بالواو وقرأ بعض أهل المدينة بالنصب باضمار أن بعد الواو (ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا مالهم من محيص) وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف والباقون بالنصب عطف على علة مقدرة تقديره لينتقم منهم وليعلم الخ وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى وان يشأ يجمع بين ثلاثة أمور اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير قوم وعلى هذا فلا يوقف على كثير بخلاف القراءتين الاوليين فالوقف عليه تام فمعنى الآية وليعلم الذين ينازعون فى آياتنا على وجه التكذيب أن لامخلص لهم اذا وقفت السفن واذا عصفت الرياح فيصير ذلك سببا لاعترافهم بأن الاله النافع الضار ليس الا الله (فما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا) أى فما أعطيتم مما تتنافسون فيه من أثاث فهو ماتتمتعون به مدة

(ولو بسط الله الرزق لعباده) أى وسع عليهم الرزق (لبغوا فى الارض) أى لطغوا وعصوا (ولكن ينزل بقدر مايشاء فيجعل واحدا فقيرا وآخر غنيا (انه بعباده خبير بصير وهو الذى ينزل الغيث) أى المطر (من بعد ما قنطوا) أى يئس العباد من نزوله (وينشر رحمته) أى يبسط مطره (ومن آياته) أى دلائل قدرته وتوحيده (خلق السموات والارض ومابث) أى فرق ونشر (فيهما من دابة وهو على جمعهم) للحشر (اذا يشاء قدير وما أصابكم من مصيبة) أى بلية وشدة (فبما كسبت أيديكم) أى من الاجرام أى فهى جزاء ما اكتسبتم (ويعفو عن كثير) فلا يجزى عليه (وما أنتم بمعجزين فى الارض) هربا ان هربتم لم تعجزوا الله فى أخذكم (ومن آياته الجوار) أى السفن التى تجرى (فى البحر كالاعلام) أى كالجبال فى العظم (ان يشأ يسكن الريح فيظللن) فيصرن (رواكد) أى ثوابت (على ظهره) أى على ظهر البحر لاتجرى (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) أى لكل مؤمن (أو يوبقهن) أى يهلكهن يعنى أهلها (بما كسبوا) أى من الذنوب (ويعف عن كثير) فلا يعاقب عليها (ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا) أى فى رفعها وابطالها (مالهم من محيص) أى مهرب من عذاب الله (فما أوتيتم من شئ) أى من أثاث الدنيا (فمتاع الحياة الدنيا) حياتكم

حياتكم (وما عند الله) من الثواب (خير) مما عندكم (وأبقى) زمانا (للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) وعن على رضي الله عنه أنه تصدق أبو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت هذه الآية (والذين يجتنبون كبائر الاثم) كالغيبة والنميمة (والفواحش) كالقتل والزنا والسرقة وقرأ حمزة والكسائي كبير الاثم بالافراد والموصول معطوف على للذين آمنوا وكذا ما بعده (واذا ما غضبوا هم يغفرون) واذا منصوبة بيغفرون ويغفرون خبرهم والجملة بأسرها عطف على يجتنبون والتقدير والذين يجتنبون وهم يغفرون عطف اسمية على فعلية (والذين استجابوا لربهم) أي أجابوا لربهم بالتوحيد والطاعة (وأقاموا الصلاة) أي أدوا الصلوات الخمس بشروطها وهيآتها (وأمرهم شورى بينهم) أي اذا أرادوا أمرا تشاوروا فيما بينهم فيه ثم عملوا به ولا يعجلون فى أمورهم (ومما رزقناهم) أى أعطيناهم من المال (ينفقون) أى فى سبيل الخير (والذين اذا أصابهم البغى) أى المظلمة (هم ينتصرون) أى ينتصفون بالقصاص لا بالمكابرة وكانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم السفهاء (وجزاء سيئة سيئة مثلها) أى جزاء جناية مثل تلك الجناية (فمن عفى) على المسيء اليه (وأصلح) بينه وبين خصمه بترك المكافأة (فأجره على الله انه لا يحب الظالمين) أى البادئين بالسيئة والمتعدين فى الانتقام واعلم أن العفو على قسمين أحدهما أن يصير العفو سببا لتسكين الفتنة ورجوعه عن جنايته فآيات العفو محمولة على هذا القسم وثانيهما أن يصير العفو سببا لمزيد جراءة الجانى ولقوة غضبه فآية الانتقام محمولة على هذا (ولمن انتصر) أى سعى فى نصر نفسه بطاقته وانتصف بالقصاص (بعد ظلمه) أى بعد ظلم الظالم اياه وقرئ بعد ما ظلم (فأولئك) أى المنتصرون (ما عليهم من سبيل) أى من مأثم وعقاب لانهم فعلوا ما أبيح لهم (انما السبيل) أى المأثم (على الذين يظلمون الناس) أى يبدؤن بالظلم أو يجاوزون فى الانتقام (ويبغون فى الارض بغير الحق) أى يتكبرون فى الارض بلا حق (أولئك لهم عذاب أليم) بسبب ظلمهم وتطاولهم (ولمن صبر) على الاذى بأن لا يقتص (وغفر) لمن ظلمه وفوض أمره الى الله تعالى (ان ذلك) أى الصبر والتجاوز (لمن عزم الامور) أى من مطلوبات الله تعالى فى الامور قيل نزل قوله تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم الى قوله تعالى لمن عزم الامور فى شأن أبى بكر الصديق وعمرو بن عزية الانصارى فى تنازع بينهما فشتم الانصارى أبا بكر الصديق فأنزل الله تعالى فى شأنهما هذه الآيات (ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده) أى من أضله الله تعالى عن هذه الاشياء فليس له هاد يهديه من بعد اضلال الله اياه (وترى الظالمين) أى المشركين يوم القيامة (لما رأوا العذاب) أى حين يرونه (يقولون هل الى مرد من سبيل) أى هل الى رجوع الى الدنيا من حيلة (وتراهم) فى ذلك اليوم (يعرضون عليها) أى النار والخطاب فى الموضعين لكل من تتأتى منه الرؤية (خاشعين من الذل) أى حال كونهم حقيرين بسبب ما لحقهم من الذل (ينظرون من طرف خفى) أى يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كما ينظر المقتول الى السيف (وقال الذين آمنوا) على سبيل التعيير للكافرين (ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم) باستغراقها فى العذاب (وأهليهم) بمفارقتهم لهم (يوم القيامة) ظرف القول وصيغة الماضى للدلالة على التحقق أى يقولون يوم القيامة اذا رأوهم على تلك الصفة (ألا ان الظالمين) أى المشركين (فى عذاب مقيم) أى دائم وهذا من كلام الله تصديقا للمؤمنين ومن تتمة كلامهم (وما كان لهم) أى المشركين (من أولياء ينصرونهم) برفع العذاب عنهم (من دون الله) حسبما كانوا يرجون ذلك فى الدنيا (ومن يضلل الله) عن دينه (فما له من سبيل) أى دين

أى يتمتع به فى هذه الدار (وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا) قيل أنزلت فى أبى بكر رضى الله عنه حين أنفق جميع ماله وتصدق به فلامه الناس (والذين يجتنبون) عطف على قوله للذين آمنوا (كبائر الاثم والفواحش) يعنى الشرك وموجبات الحدود (واذا ما غضبوا هم يغفرون) أى يتجاوزون ويحلمون (والذين استجابوا لربهم) أى أجابوه بالايمان والطاعة (وأمرهم شورى بينهم) أى لا ينفردون برأيهم بل يشاورون (والذين اذا أصابهم البغى) أى الظلم (هم ينتصرون) أى ينتقمون ممن ظلمهم ثم بين حد الانتصار فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) أى انه يجازى السوء بمثله فيقتص من الجانى بقدر جنايته (فمن عفا) أى ترك الانتقام (وأصلح) بالعفو بين الظالم والمظلوم (فأجره على الله) أى ان الله يأجره على ذلك (انه لا يحب الظالمين) أى الذين يبدؤن بالظلم (ولمن انتصر بعد ظلمه) أى بعد ان ظلم (فأولئك ما عليهم من سبيل ولمن صبر) أى على الاذى (وغفر) أى ولم يكافئ (ان ذلك) أى الصبر والغفران (لمن عزم الامور) لانه يوجب الثواب فهو اتم عزم (وتراهم يعرضون عليها) أى على النار (خاشعين من الذل) أى متواضعين متذللين (ينظرون) الى النار (من طرف خفى) أى مسارقة

(استجيبوا لربكم) أي بالايمان والطاعة (من قبل أن يأتي يوم لامرد له من الله) أي ان الله اذا أتى به لم يرده (مالكم من ملجا يومئذ) أي مهرب من العذاب (ومالكم من نكير) أي انكار على ما ينزل بكم من العذاب أي لا تقدرون أن تنكروه فتغيروه وقوله (أو يزوجهم ذكرانا واناثا) أي يجعل مايهب له من الولد بعضه ذكورا وبعضه اناثا (ويجعل من يشاء عقيما) لايولد له (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا) أي بأن يوحي اليه في منامه (أو من وراء حجاب) كما كلم موسى (أو يرسل رسولا) أي ملكا (فيوحي باذنه ما يشاء) أي فيكلمه عنه بما يشاء (وكذلك) أي وكما أوحينا الى سائر الرسل (أوحينا اليك روحا) أي ما يحيى به الخلق أي يهتدون به وهو القرآن (من أمرنا) أي فعلنا في الوحي (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان) قبل الوحي ويعني بالايمان شرائعه ومعالمه (ولكن جعلناه) أي جعلنا الكتاب (نورا) وقوله (وانك لتهدي) بوحينا اليك (الى صراط مستقيم)

(استجيبوا لربكم) اذ دعاكم الى الايمان على لسان نبيه (من قبل أن يأتي يوم لامرد له من الله) وقوله من الله اما صلة لامرد أي لا يرده الله بعد ما حكم به واما صلة ليأتي أي من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده (مالكم من ملجا) ينفع في التخلص من العذاب (يومئذ) أي في ذلك اليوم (ومالكم من نكير) أي لا تقدرون أن تنكروا شيأ مما اقترفتموه من الاعمال لانه مدون في صحائف أعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم (فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا) أي فان لم يقبل هؤلاء هذا الامر فانا لم نرسلك لتقهرهم على امتثال ما أرسلناك به (ان عليك الا البلاغ) لما أرسلناك به وقد فعلت (وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة) أي نعمة من الصحة والغنى والامن (فرح بها) وأعجب بها غير شاكر لها (وان تصبهم سيئة) أي بلاء من مرض وفقر وخوف (بما قدمت أيديهم) أي بما عملوه من المعاصي (فان الانسان كفور) أي فيظهر منه الكفر ونسيان النعمة وذكر البلية من غير تأمل اسبابها (لله ملك السموات والارض) فيتصرف فيهما وما فيهما كيفما يشاء ويقسم النعمة والبلية حسبما يريده (يخلق ما يشاء) كيف يشاء (يهب لمن يشاء اناثا) من الاولاد (ويهب لمن يشاء الذكور) منهم (أو يزوجهم ذكرانا واناثا) أي يخلطهم ذكرانا واناثا (ويجعل من يشاء عقيما) أي بلا ولد (انه عليم) بما خلق (قدير) على ما يشاء ان يخلقه (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء) أي وما صح لفرد من أفراد البشر أن يكلمه الله الا على أحد ثلاثة أوجه اما أن الله يلهمه في قلبه لا بواسطة شخص آخر ولا بسمع عين كلام الله كما في أم موسى وكما في رؤية ابراهيم عليه السلام في المنام بذبح ولده واما أن الله يوصل اليه الوحي لا بواسطة شخص آخر ولكنه سمع عين كلام الله من غير رؤية ذاته تعالى كما وقع لموسى عليه السلام واما أن الله يوصل اليه الوحي بواسطة شخص آخر وهو جبريل وهذا هو الذي يجري بينه وبين الانبياء في أكثر الاوقات من الكلام روي أن اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ألا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لم ينظر موسى الى الله تعالى فنزلت هذه الآية وقرأ نافع برفع يرسل باضمار مبتدا أي أو هو يرسل أو بالعطف على ما يتعلق به من وراء اذا لتقدير أو يسمع من وراء حجاب ووحيا في موضع الحال عطف عليه ذلك المقدر المعطوف عليه أو يرسل والتقدير الا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسل رسول وكذلك فيوحي فسكنت ياؤه وأما على قراءة الجمهور بنصب يرسل و يوحي فهو معطوف على المضمر الذي يتعلق به من وراء حجاب وهذا الفعل المقدر معطوف على وحيا والمعنى الا بوحي أو اسماع للكلام من وراء حجاب أو ارسال رسول و يقال التقدير وما كان لبشر أن يكلمه الله الا ان يوحي اليه وحيا أو يسمع اسماعا من وراء حجاب أو يرسل رسولا (انه علي) عن صفات المخلوقين (حكيم) يجري أفعاله على موجب الحكمة فيتكلم تارة بغير واسطة على سبيل الالهام وثانيا باسماع الكلام وثالثا بتوسيط الملائكة الكرام (وكذلك) أي مثل ذلك الايحاء (أوحينا اليك روحا من أمرنا) أي حال كون الروح وهو القرآن بعض ما نوحيه اليك لان الموحى اليه لا ينحصر في القرآن وسمى القرآن روحا لانه يفيد الحياة من موت الجهل والكفر (ما كنت تدري) قبل الوحي (ما الكتاب ولا الايمان) أي أي شئ هو القرآن والايمان بتفصيل ما في القرآن من الأمور التي لا تهتدي اليها العقول (ولكن جعلناه) أي الروح الذي أوحيناه اليك (نورا نهدي به من نشاء) هدايته (من عبادنا) وهو الذي يصرف اختياره الى جهة الاهتداء به (وانك لتهدي) بذلك النور من تشاء هدايته (الى صراط مستقيم) أي دين حق وقرئ لتهدي بالبناء للمفعول أي ليهديك الله وقرئ

لتدعو (صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض) أى فالذى تجوز عبادته هو الذى يملك السموات والارض (ألا الى الله تصير الأمور) أى أمور الخلائق فى الآخرة فلا حاكم سواه فيجازى كلا منهم بما يستحقه من ثواب أو عقاب

﴿سورة الزخرف مكية وهى تسع وثمانون آية وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة حرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم والكتاب المبين) أى والكتاب المبين لطريق الهدى من طريق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج اليه فى أبواب الديانة (انا جعلناه) أى انا صيرنا الكتاب (قرآنا عربيا) أى بلغة العرب (لعلكم تعقلون) أى لكى تفهموه وتعرفوا حق النعمة فى ذلك (وانه) أى الكتاب (فى أم الكتاب) أى مثبت فى أصل الكتب السماوية وهو اللوح المحفوظ وقرأ حمزة والكسائى بكسر همزة أم الكتاب (لدينا) أى محفوظ عندنا من التغيير (لعلى) أى رفيع الشان (حكيم) أى محكم فى أبواب البلاغة والفصاحة (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) أى أنترككم فنبعد عنكم المواعظ ابعادا وهذا استفهام على سبيل الانكار (أن كنتم قوما مسرفين) وقرأ حمزة والكسائى ونافع بكسر الهمزة على انها شرطية لقصد تجهيل المخاطب والباقون بالفتح على التعليل أى انا لا نترك هذا الانذار بسبب كونكم منهمكين فى الاسراف وهذا الكلام يحتمل الرحمة والمبالغة فى التغليظ فالمعنى على الاول انا لا نترككم مع سوء اختياركم بل نذكركم الى ان ترجعوا الى الطريق الحق وعلى الثانى أتظنون ان تتركوا مع ما تريدون كلا بل نلزمكم العمل وندعوكم الى الدين ونؤاخذكم متى أخللتم بالواجب وأقدمتم على القبيح قال قتادة لو ان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله رحمته كرره عليهم ودعاهم اليه عشرين سنه (وكم أرسلنا من نبى) قبلك يا أكرم الرسل (فى الاولين) أى فى الامم الماضية (وما يأتيهم) أى والحال انه ما يأتى الاولين (من نبى الا كانوا به يستهزؤن) أى ان عادة الامم مع الانبياء الذين يدعونهم الى الدين الحق هو التكذيب فلا ينبغى ان تتأذى من قومك بسبب اقدامهم على التكذيب لان المصيبة اذا عمت خفت (فأهلكنا أشد منهم بطشا) أى فتسبب عن الاستهزاء بالرسل انا أهلكنا أشد قوة من أهل مكة الذين يستهزؤن بك (ومضى مثل الاولين) أى سبق فى القرآن مرارا ذكر صفة الاولين فى الاهلاك (ولئن سألتهم) أى كفار مكة (من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) فهم مقرون بان خالقهن ومالكهن هو الله ذو العزة فى سلطانه والعلم فى تدبيره ومع هذا الاقرار يعبدون معه تعالى غيره وينكرون قدرته على البعث (الذى جعل لكم الارض مهدا) أى فراشا ثابتة ولو شاء لجعلها متحركة فلا يمكن الانتفاع بها فى الزراعة والابنية وقرأ الكوفيون مهدا والباقون مهادا وهذا الموصول ابتداء الكلام من الله تعالى دال على نفسه بذكر مصنوعاته أى هو الذى الخ (وجعل لكم فيها) أى الارض (سبلا) تسلكونها فى أسفاركم (لعلكم تهتدون) أى لكى تهتدوا بسلوكها الى مقاصدكم ولتهتدوا بالتفكر فيها الى التوحيد والدين الحق (والذى نزل من السماء ماء بقدر) حتى يكون معاشا لكم ولأنعامكم لا كما نزل على قوم نوح حتى أغرقهم (فأنشرنا به بلدة ميتا) أى وأحيينا بذلك الماء مكانا خاليا من النبات (كذلك تخرجون) أى مثل اخراج النبات من الارض تخرجون من قبوركم أحياء فهذا الدليل كما يدل على قدرته تعالى وحكمته كذلك يدل على قدرته على البعث والقيامة (والذى خلق الأزواج) أى أصناف المخلوقات (كلها) وقيل كل ما سوى الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار والقدام والخلف والماضى والمستقبل

﴿تفسير سورة الزخرف﴾
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
(حم والكتاب المبين) أى الذى أبان الهدى وما تحتاج اليه الامة (انا جعلناه) أى بيناه (قرآنا عربيا) أى بلغة العرب (لعلكم تعقلون) أى تعرفون أحكامه ومعانيه (وانه) يعنى القرآن (فى أم الكتاب) يعنى اللوح المحفوظ (لدينا لعلى حكيم) يريد أنه مثبت عند الله فى اللوح المحفوظ بهذه الصفة (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) أى أفنمسك عن انزاله ونتركه من أجل انكم لا تؤمنون به وهو قوله (أن كنتم) أى لأن كنتم (قوما مسرفين) أى مشركين مجاوزين أمر الله قال قتادة والله لو أن هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الامة لهلكوا (فأهلكنا أشد منهم) أى من قومك (بطشا) أى قوة (ومضى مثل الاولين) أى سنتهم فى العقوبة (والذى نزل من السماء ماء بقدر) أى بمقدار معلوم عند الله (فأنشرنا به) أى فأحيينا بذلك الماء (بلدة ميتا كذلك تخرجون) أى من قبوركم أحياء (والذى خلق الازواج) أى الاصناف وقوله

(وما كنا له مقرنين) أى مطيقين (وجعلوا له من عباده جزأ) يعنى الذين جعلوا الملائكة بنات الله (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم) أى أخلصكم وخصكم (بالبنين) كقوله أفأصفاكم ربكم بالبنين الآية (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) أى بما وصفه به من اتخاذ البنات (أومن ينشأ فى الحلية) أى نسبوا اليه من ينشأ فى الحلية يعنى البنات (وهو فى الخصام غير مبين) وذلك أن المرأة لا تكاد تقوم بحجة فى الخصومة (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) أى حكموا أنهم اناث حين قالوا انهم بنات الله (أشهدوا) أى أحضروا (خلقهم) حين خلقوا (ستكتب شهادتهم) على الملائكة أنهم بنات الله (و يسألون) عنها (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) يعنى الملائكة وذلك انهم قالوا لو لم يرض بعبادتنا اياها لعجل عقوبتنا (ما لهم بذلك من علم) أى ما لهم بقولهم الملائكة بنات الله من علم (ان هم الا يخرصون) أى يكذبون

والقوات والصفات والصيف والشتاء والربيع والخريف (وجعل لكم من الفلك والانعام) أى الابل (ما تركبون) أى ما تركبونه (لتستووا على ظهوره) أى لتستعلوا على ظهور ما تركبونه من الفلك والانعام (ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم) أى ركبتم (عليه) بأن تعرفوا ان الله تعالى خالق البحر والرياح والسفن والابل وتعرفوا ان ذلك نعمة عظيمة من الله تعالى وتشتغلوا بالشكر للنعم التى لا نهاية لها (وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) أى ليس لنا من القوة ان نضبط هذه الدابة والفلك (وانا الى ربنا لمنقلبون) أى راجعون من الدنيا الى دار البقاء كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله تعالى لمنقلبون وروى ان الحسن بن على رضى الله عنهما رأى رجلا ركب دابة فقال سبحان الذى سخر لنا هذا فقال له ما بهذا أمرت أمرت أن تقول الحمد لله الذى هدانا للاسلام الحمد لله الذى من علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم والحمد لله الذى جعلنا من خير أمة أخرجت للناس ثم تقول سبحان الذى سخر لنا هذا وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا سافر وركب راحلته كبر ثلاثا ثم يقول سبحان الذى سخر لنا هذا ثم قال اللهم انى أسألك فى سفرى هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هوّن علينا السفر واطو عنا بعد الارض اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة على الأهل اللهم اصحبنا فى سفرنا واخلفنا فى أهلنا وكان اذا رجع الى أهله يقول آيبون تائبون لربنا حامدون (وجعلوا له من عباده جزأ) أى أثبتوا أى بنو مليح له تعالى ولدا هو عبد من عباده (ان الانسان لكفور مبين) أى لمبالغ فى الكفر ظاهر الكفر (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين) أى بل اتخذ من خلقه أخس الصنفين واختار لكم أفضلهما (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم) أى واذا أخبر أحد بنى مليح بالبنت التى جعلها للرحمن شبها صار وجهه أسود من أحزان ما أخبر به والحال انه مغموم أفيرضون لله ما لا يرضون لأنفسهم وقرئ مسود ومسواد واسم ظل اما ضمير يعود الى أحد وجملة وجهه مسود من المبتدا والخبر خبرها واما وجهه فمسود خبر مبتدا مقدر أى هو مسود فتقع هذه الجملة موقع خبر ظل (أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين) أى أوجعلوا من عادته ان تربى فى الزينة من الذهب والفضة ولدا لله فالتى تربى فى الزينة تكون ناقصة الذات اذ لولا نقصانها فى ذاتها لما احتاجت فى تكميل نفسها الى الزينة والحال انها اذا احتاجت الى المخاصمة عجزت عن اقامة الحجة لضعف لسانها وقلة عقلها وبلادة طبعها وهى النساء فكيف يليق ان يكن بنات الله تعالى وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم بضم الياء وفتح النون و الباقون بفتح الياء وسكون النون (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) أى حكموا بان الملائكة أكرم العباد على الله أنقصهم رأيا وأخسهم صنفا فالقول بان الملائكة اناث كفر وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر عند الرحمن أى وحكموا بان الملائكة الذين يكونون عند الرحمن لا عند هؤلاء الكفار اناث فكيف عرفوا كونهم اناثا (أشهدوا خلقهم) أى أحضروا خلق الله تعالى اياهم فشاهدوهم اناثا حتى يحكموا بانوثتهم وقرأ نافع أأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وسكون الشين وأدخل قالون بينهما ألفا أى أأحضروا خلقهم أى حين خلقهم (ستكتب شهادتهم) فى ديوان أعمالهم وهى قولهم ان لله جزأ وان له بنات وانها الملائكة (ويسئلون) عنها يوم القيامة (وقالوا) أى بنو مليح (لو شاء الرحمن ما عبدناهم) أى لو شاء الله عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم فاما فعلنا من عبادتنا اياهم حق مرضى عنده تعالى (ما لهم بذلك) أى القول (من علم ان هم الا يخرصون) أى ما هم الا يكذبون فى ذلك القول وهو قولهم الملائكة بنات الله وان الله قد شاء

منا

(أم آتيناهم كتابا من قبله) أى من قبل القرآن فيه عبادة غير الله (فهم به مستمسكون) أى متمسكون بذلك الكتاب ثم بين أنهم
اتبعوا ضلالة آبائهم فقال (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة) أى على دين (قل أولو جئتكم بأهدى) بدين
أهدى (مما وجدتم عليه آباءكم) أتتبعونه (قالوا) يعنى الامم للرسل (انا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم) بالعقوبة (واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون) أى برىء (وجعلها كلمة) أى كلمة التوحيد (باقية فى عقبه) أى فى عقب ابراهيم لا يزال من ولده من يوحد الله (لعلهم يرجعون) أى لكى يرجعوا بها أولاده من الكفر الى الايمان (بل متعت هؤلاء وآباءهم) أى فى الدنيا ولم أهلكهم (حتى جاءهم الحق) أى القرآن (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من) احدى (القريتين) مكة والطائف (عظيم) يعنون الوليد بن المغيرة من أهل مكة وعروة بن مسعود الثقفى من الطائف قال الله (أهم يقسمون رحمة ربك) أى نبوته وكرامته فيجعلونها لمن يشاؤن (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) فجعلنا بعضهم غنيا وبعضهم فقيرا (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) بالمال (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) أى ليسخر
الاغنياء بأموالهم الفقراء ويتخذ وهم خدما ويكون بعضهم لبعض سبب معاش (. . .) بما أرصدنا لهم به لكى نستمد به القسمة
كذلك اصطفينا للرسالة من نشاء ثم بين ان الآخرة أفضل من الدنيا فقال

منا عبادتنا اياهم بمشيئة الارتضاء (أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون) أى هل وجدوا ذلك الباطل فى كتاب منزل قبل القرآن حتى جاز لهم أن يتمسكوا به (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) أى لم يأتوا بحجة عقلية ونقلية بل اعترفوا بتقليد آبائهم الجهلة وقالوا انا وجدنا آباءنا على حالة عظيمة تقصد وانا مهتدون على أعمالهم (وكذلك) أى والامر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتمسكهم بالتقليد (ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها) أى ما أرسلنا نبيا مخوفا من قبلك الى أهل قرية الا قال من يحبون الشهوات والملاهى ويبغضون تحمل المشاق فى طلب الحق قولا مثل قول قومك (انا وجدنا آباءنا على أمة) أى على طريقة تستحق ان تقصد (وانا على آثارهم) أى أعمالهم (مقتدون قل) يا أشرف الرسل لقومك قال أبو السعود صيغة لامر أمر ماض متعلق بالنذير السابق حكاه الله لنبيه على تقدير فقلنا له قل لأنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويدل على ذلك انه قرأ ابن عامر وحفص قال بصيغة الماضى أى قال كل نذير لأممهم (أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) أى أتقتدون بآبائكم ولو جئتكم بدين أوضح فى الدلالة من دين آبائكم (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) أى قال كل أمة لنذيرها انا ثابتون على دين آبائنا وان جئتنا بما هو أصوب فانا بما أرسلت به منكرون وان كان ما جئتنا به أوضح مما كنا عليه (فانتقمنا منهم) بالاستئصال (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) بالرسل من الامم الماضية فلا تكترث بتكذيب قومك (واذ قال ابراهيم لابيه) آزر (وقومه) المكبين على التقليد (اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى) أى اننى براء من آلهة تعبدونها غير الذى خلقنى وبراء مصدر نعت به مبالغة وقرأ الزعفرانى وابن المنادى بضم الباء وقرأ الاعمش انى برىء بنون واحدة وبصيغة اسم الفاعل (فانه سيهدين) أى يثبتنى على الهداية والسين للتأكيد وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار (وجعلها كلمة باقية فى عقبه) أى وجعل ابراهيم كلمة التوحيد التى تكلم بها كلمة باقية فى ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيده فقوله عليه السلام اننى براء مما تعبدون جار مجرى لا اله وقوله الا الذى فطرنى جار مجرى الا الله فكان مجموع قوله اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى جاريا مجرى قوله لا اله الا الله وعلى هذا لا يوقف على قوله مما تعبدون ويقرىء كلمة وفى عقبه بسكون اللام وسكون القاف (لعلهم يرجعون) أى لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم (بل متعت هؤلاء) أى بل متعت منهم أهل مكة (وآباءهم) بطول العمر وسعة الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم الحق) أى القرآن (ورسول مبين) أى ظاهر الرسالة ويوضحها بما معه من الآيات والمعجزات فكذبوا به وسموه ساحرا وسموا ما جاء به سحرا ولذا قال تعالى (ولما جاءهم الحق) أى القرآن (قالوا هذا سحر) أى خيال (وانا به كافرون) فكفروا بالقرآن واستحقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين) أى من احدى القريتين مكة والطائف (عظيم) فى المال والجاه فالذى بمكة هو الوليد بن المغيرة والذى بالطائف هو عروة بن مسعود الثقفى (أهم يقسمون رحمة ربك) أى نبوة ربك لمن شاؤا (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض) فى الرزق (درجات) أى متفاوتة (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) أى نحن أوقعنا هذا التفاوت بين العباد فى القوة والضعف والعلم والجهل و... والشهرة والخمول ...

بينهم فى كل هذه الاحوال لم يخدم أحد احدا وحينئذ يفضى ذلك الى فساد نظام الدنيا وخراب العالم ثم ان أحدا من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا فى أحوال الدنيا مع دناءتها فكيف يمكنهم الاعتراض على حكمنا فى تخصيص بعض العباد بمنصب النبوة فكما فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا (ورحمة ربك) من النبوة وسعادة الدارين (خير مما يجمعون) من الاموال فالعظيم من حاز لنبوة لا من حاز الاموال الكثيرة (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون) أى ولولا ان يرغب الناس فى الكفر اذا رأوا أهل الكفر فى سعة من الرزق لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه لاعطينا الكافرين أكثر الاسباب المفيدة للتنعم ولجعلنا سقف بيوتهم من فضة ومصاعد من فضة يرتقون عليها وأبواب بيوتهم من فضة وسررا من فضة ينامون عليها (وزخرفا) أى زينة من كل شئ فى كل شئ وهو معطوف على سقفا ويجوز ان يكون معطوفا على محل فضة أى جعلنا بعض هذه الاشياء فضة وبعضها ذهبا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو سقفا بفتح السين وسكون القاف والباقون بضمهما وقرئ معاريج (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بتشديد الميم فهو بمعنى الا وان نافية كما فى قراءة أبى وما ذلك أى وما كل ذكر الاشياء يتمتع به فى الحياة الدنيا والباقون بالتخفيف فما زائدة وان مخففة من الثقيلة واللام فارقة أى وانه كل ذلك لمتاع الحياة وقرئ بكسر اللام وهى تعليل وما موصولة قد حذف عائدها أى للذى هو متاع الحياة (والآخرة) أى ما فيها من فنون النعم (عند ربك للمتقين) أى عن الكفر والمعاصى فان العظيم هو العظيم فى الآخرة لا فى الدنيا (ومن يعش عن ذكر الرحمن) بضم الشين أى ومن يعرض عن القرآن وقرئ يعش بفتح الشين أى يعم وبالكسر أى يميل وقرئ يعشو على ان من موصولة غير مضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرف ان القرآن حق وهو يتجاهل (نقيض له) أى نضم اليه (شيطانا فهو) أى الشيطان (له قرين) فى الدنيا وفى النار روى ان الكافر اذا بعث يوم القيامة من قبره أخذ شيطانه بيده فلم يفارقه حتى يصيرهما الله الى النار وقرئ يقيض بالياء والفاعل يعود الى الرحمن ومن قرأ يعشو فحقه ان يرفع يقيض (وانهم ليصدونهم عن السبيل) أى وان الشياطين ليصرفون قرناءهم عن سبيل الحق (ويحسبون انهم مهتدون) أى والحال ان الكفار المعرضون عن القرآن يعتقدون انهم على هدى (حتى اذا جاءنا) أى جاءنا كل واحد من العاشين مع قرينه الشيطان يوم القيامة فى سلسلة واحدة وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر جاآنا على صيغة التثنية أى جاءنا العاشى والشيطان (قال) أى العاشى مخاطبا لشيطانه (ياليت بينى وبينك بعد المشرقين) أى ليت حصل بينى وبينك فى الدنيا مثل بعد ما بين المشرق والمغرب (فبئس القرين) أنت فكثرة المال والجاه توجب كمال النقصان والحرمان فى الدين والدنيا فظهر ان قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم كلام فاسد (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون) وفاعل ينفع اما انكم ومدخولها واذ ظلمتم اما بدل من اليوم والمعنى ولن ينفعكم اليوم اذ تبين الآن عندكم وعند الناس جميعا انكم ظلمتم أنفسكم فى الدنيا بالاشراك بالله كونكم مشتركين فى العذاب بمعنى لن يحصل لكم التشفى بكون قرنائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا واما مضمر يعود الى التمنى واذ ظلمتم تعليل لنفى النفع وكذلك أنكم بفتح الهمزة ويؤيد هذا الاحتمال قراءة ابن عامر فى رواية انكم بكسر الهمزة والمعنى ولن ينفعكم يوم القيامة تمنيكم لمباعدتهم لاجل ظلمكم أنفسكم فى الدنيا باتباعكم اياهم فى الكفر والمعاصى لان حقكم ان تشتركوا أنتم وقرناؤكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه فى الدنيا

(ورحمة ربك) يعنى الجنة (خير مما يجمعون) فى الدنيا ثم ذكر قلة خطر الدنيا عنده فقال (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) أى مجتمعين على الكفر (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج) أى مراقى (عليها يظهرون) أى يعلون ويصعدون (ولبيوتهم أبوابا وسررا) من فضة (عليها يتكئون وزخرفا) أى ومن زخرف وهو الذهب (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) تمتع به فيها ثم يزول (والآخرة) الجنة (عند ربك للمتقين ومن يعش) أى يعرض (عن ذكر الرحمن نقيض) أى نسبب (له شيطانا فهو له قرين) أى لا يفارقه (وانهم) يعنى الشياطين (ليصدونهم) يمنعونهم يعنى الكافرين (عن السبيل ويحسبون) ويحسب الكافرون (أنهم مهتدون حتى اذا جاءنا) يعنى الكافر (قال) لقرينه (ياليت بينى وبينك بعد المشرقين) أى بعد ما بين المشرق والمغرب (فبئس القرين) أنت ثم لا يفارقه حتى يصير الى النار قال الله تعالى (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) أى أشركتم فى الدنيا (انكم فى العذاب مشتركون) اشتراككم فى

(أفأنت تسمع الصم أوتهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين) أى أفأنت وحدك من غير ارادتنا تسمع الصم الحق أوتهدى العمى حتى يبصروا الحق وتهدى من تمرنوا فى الضلال الى الهدى أى انهم بلغوا فى النفرة عن دينك الى حيث اذا أسمعتهم القرآن كانوا كالصم واذا أريتهم المعجزات كانوا كالعميين فان صممهم وعماهم كانا بسبب كونهم فى كفر بين (فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون) أى فان قبضناك قبل نزول النقمة بهم فانا منتقمون منهم بعد موتك فى الدنيا والآخرة (أونرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون) أى أونرينك فى حياتك ماوعدناهم من الذل والقتل فلا يعوقنا عائق لانا قادرون على عذابهم قبل موتك و بعده (فاستمسك بالذى أوحى اليك) بان تعتقد انه حق و بان تعمل بموجبه وقرئ أوحى بالبناء للفاعل وهو الله تعالى (انك على صراط مستقيم) لايميل عنه الا ضال فى الدين (وانه لذكر لك ولقومك) أى وان الذى أوحى اليك لموجب شرفا عظيم لك ولقريش حيث يقال ان هذا الكتاب أنزله الله تعالى على رجل منهم (وسوف تسألون) هل أديتم شكر انعامنا عليكم بهذا الذكر الجليل (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) أى واسأل مؤمنى أهل التوراة والانجيل هل جاءت عبادة الاوثان فى ملة من مللهم بأمر نا فانهم يخبرونك عن كتب الرسل فاذا سألتهم فكأنك سألت الانبياء فماجاءت الرسل الا بالتوحيد فلم يسألهم النبى صلى الله عليه وسلم لانه كان موقنا بذلك واذا كان التوحيد متفقا عليه بين الرسل وجب ان لايجعلوه سببا لبغض محمد صلى الله عليه وسلم (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) وهى المعجزات التى كانت مع موسى عليه السلام (الى فرعون وملئه) أى قومه (فقال انى رسول رب العالمين) اليكم فقالوا ائتنا بآية (فلما جاءهم بآياتنا اذاهم منها يضحكون) أى استهزؤا بها أول مارأوها ولم يتأملوا فيها (ومانريهم من آية الا هى أكبر من أختها) أى الا وهى أعظم من الآية التى كانت قبلها فى زعم الناظر (وأخذناهم بالعذاب) أى بأنواع العذاب كالدم والقمل والضفادع والبرد الكبار منها بالنار وموت الابكار (لعلهم يرجعون) أى لكى يرجعوا عن كفرهم الى الايمان (وقالوا) لموسى لما رأوا العذاب (ياأيه الساحر) أى العالم الماهر يوقرونه عليه السلام بذلك القول لاستعظامهم علم السحر (ادع لنا ربك) ليكشف عنا العذاب (بماعهد عندك) أى بالذى عهد لك وكان عهده لموسى ان آمنوا كشفنا عنهم العذاب (اننا لمهتدون) أى لمؤمنون بك و بما جئت به (فلما كشفنا عنهم العذاب) بدعوته عليه السلام (اذاهم ينكثون) عهدهم فى كل مرة من مرات العذاب أى فكانوا يتوبون فى كل واحدة من العذاب فاذا انكشف عنهم نقضوا العهد بالايمان (ونادى فرعون فى قومه) أى فيما بينهم بعد ان كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمنوا (قال ياقوم أليس لى ملك مصر) أربعين فرسخا فى أربعين فرسخا قال مجاهد هى الاسكندرية (وهذه الانهار) التى فصلت من النيل ومعظمها أربعة أنهر نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس (تجرى من تحتى) أى من تحت قصرى (أفلا تبصرى) ذلك فقد احتج فرعون على فضيلة نفسه بكثرة أمواله وقوة جاهه (أم أنا خير من هذا الذى هو مهين) أى بل أنا خير من موسى الذى هو فقير ضعيف الحال لانه يتعاطى أموره بنفسه (ولا يكاد يبين) أى يظهر حجته التى تدل على صدقه فيما يدعى (فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب) أى فهلا ألقى على موسى من عند مرسله مقاليد الملك ان كان صادقا فى دعواه لان عادة القوم جرت بانهم اذا جعلوا رجلا رئيسا لهم أسوروه بسوار من ذهب وطوقوا من ذهب فطلب فرعون من موسى مثل هذه الحالة وقرأ حفص أسورة وا لباقون

منتقمون) بعد موتك (أونرينك) فى حياتك (الذى وعدناهم) من العذاب (وانه) يعنى القرآن (لذكر) أى لشرف (لك ولقومك) اذ نزل بلغتهم ونزل عليك وأنت منهم (وسوف تسألون) عن شكر ما جعلنا لكم من الذكر والشرف (واسأل من أرسلنا) أى أمم من أرسلنا (من قبلك من رسلنا) يعنى أهل الكتابين هل فى كتاب أحد الامر بعبادة غير الله ومعنى هذا السؤال التقرير لعبدة الاوثان أنهم على الباطل (وما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها) أى قرينتها وصاحبتها التى كانت قبلها (وأخذناهم بالعذاب) أى بالسنين والجراد والطوفان (لعلهم يرجعون) عن كفرهم (وقالوا يا أيه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك) خصبوه بما تقدم عندهم من التسمية بالسحر وقوله بما عهد عندك أى فيمن آمن به من كشف العذاب عنه (اننا لمهتدون) أى مؤمنون (فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون) أى ينقضون عهدهم وقوله (وهذه

الانهار تجرى من تحتى) أى بأمرى وقيل من تحت قصورى (أم أنا) أى بل أنا (خير من هذا الذى هو مهين) أى حقير ضعيف يعنى موسى (ولا يكاد يبين) أى يفصح بكلامه لعيه (فلولا) أى فهلا (ألقى عليه أسورة من ذهب) أى حلى بأسورة الذهب ان كان رئيسا مطاعا

أساورة وقرئ ألقي عليه أسورة وأساورة على البناء للفاعل وهو الله تعالى (أو جاء معه الملائكة مقترنين) أي أو هلا جاء الملائكة ماشين مع موسى فيدلون على صحة نبوته (فاستخف قومه) أي فطلب فرعون من قومه الخفة في الاتيان بما كان يأمرهم به (فأطاعوه) فيه (انهم كانوا قوما فاسقين) حيث سارعوا الى طاعة ذلك الجاهل الفاسق (فلما آسفونا انتقمنا منهم) أي فلما أغضبوا نبينا موسى ومالوا الى ارادة عقابنا بالافراط في العصيان عاقبناهم (فأغرقناهم أجمعين) في البحر (فجعلناهم سلفا) أي متقدمين ليتعظ بهم كفار أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام والباقون بفتحهما (ومثلا للآخرين) أي عظة لمن بقي بعدهم وقصة عجيبة لهم (ولما ضرب ابن مريم مثلا) أي لما جعل عيسى مشابها للاصنام في كونه معبودا (اذا قومك) قريش (منه) أي من ذلك المثل (يصدون) أي يضحكون وترتفع أصواتهم فرحا بما سمعوا من ابن الزبعرى لظنهم ان محمدا صار مغلوبا بهذا الجدال روي انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال عبد الله بن الزبعرى هذا خاصة لنا ولآلهتنا أو لجميع الامم فقال صلى الله عليه وسلم هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال عبد الله خصمتك ورب الكعبة أليس النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فاذا كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم فسكت النبي صلى الله عليه وسلم وفرح القوم وضجوا فنزلت هذه الآية وعبد الله هذا صحابي مشهور وهذه القصة كانت قبل اسلامه وقرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبو بكر عن عاصم بضم الصاد وهي قراءة علي بن أبي طالب والباقون بكسرها وهو قراءة ابن عباس (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) أي ان جاز لعيسى الدخول في النار مع النصارى يجوز لنا الدخول في النار مع آلهتنا وأنت تزعم ان آلهتنا ليست خيرا من عيسى فاذا كان هو من حصب جهنم كان أمر آلهتنا أهون وقيل ان الكفار لما سمعوا ان النصارى يعبدون عيسى قالوا نحن أهدى من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة وقولهم أآلهتنا خير أم هو تفضيل لآلهتهم على عيسى وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما حكى ان النصارى عبدوا المسيح قالوا ان محمدا يدعونا الى عبادة نفسه وآباؤنا قالوا يجب عبادة هذه الاصنام فحينئذ عبادة الاصنام أولى لان آباءنا متطابقون عليه وأما محمد فانه متهم في أمرنا بعبادته فمعنى أآلهتنا خير أم هو أي أعبادة الاصنام خير أم عبادة محمد والوقف على أم هو تام (ما ضربوه لك الا جدلا) أي ما ضربوا لك هذا المثل الا لاجل الغلبة في القول لا لطلب الفرق بين الحق والباطل (بل هم قوم خصمون) أي شداد الخصومة مجبولون على اللجاج فان قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله لا يتناول عيسى والملائكة لان كلمة ما لا تتناول العقلاء البتة ولان النصوص الدالة على تعظيم عيسى والملائكة أخص من هذا القول والخاص مقدم على العام (ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل) أي ما عيسى الا عبد كسائر العبيد شرفناه بالنبوة والاقدار على الخوارق وليس هو باله وصيرناه عبرة عجيبة حيث خلقناه من غير أب ليعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون) أي ولو نشاء لجعلنا من رجالكم ملائكة مستقرين في الارض بطريق التوليد من غير واسطة نساء يخلفونكم كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى بلا فحل فهذا أمر سهل علينا مع انه أعجب من حال عيسى الذي تستغربونه فانه واسطة أمر شأن لام الولادة (وانه لعلم للساعة) أي وان عيسى لشرط من اشراط الساعة والمعنى وان نزول عيسى من السماء علامة على قرب الساعة وقرأ ابن عباس لعلم بفتح العين واللام أي علامة وقرئ للعلم وقرأ أبي لذكر في الحديث ان عيسى ينزل على ثنية في الارض المقدسة

والطوق والسوار من الذهب كان من علامة الرئاسة عندهم (أو جاء معه الملائكة مقترنين) أي متتابعين يشهدون له (فاستخف قومه) أي وجد قومه القبط جهالا (فلما آسفونا) أي أغضبونا بكفرهم (انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا) أي متقدمين في الهلاك ليتعظ بهم من بعدهم (ومثلا للآخرين) أي عبرة لمن يجيء بعدهم (ولما ضرب ابن مريم مثلا) نزلت هذه الآية حين خاصمه الكفار لما نزل قوله انكم وما تعبدون من دون الله الآية قالوا رضينا أن تكون آلهتنا بمنزلة عيسى بن مريم فجعلوا عيسى مثلا لآلهتهم فقال ولما ضرب ابن مريم مثلا (اذ قومك) المؤمنون (منه يصدون) أي يضجوا وذلك أن المسلمين ضجوا بهذا حتى نزل قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وذكر الله تعالى في هذه السورة تلك القصة وهو قوله (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) يعنون عيسى (ما ضربوه لك الا جدلا) أي الا ارادة للمجادلة (بل هم قوم خصمون) أي مجادلون بالباطل ثم بين حال عيسى فقال (ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل) أي آية تدل على قدرة الله (ولو نشاء لجعلنا منكم) أي بدلكم (ملائكة في الارض يخلفون) أي بان نهلككم ونأتي بهم بدلا منكم يكونون خلفا منكم (وانه) أي وان عيسى (لعلم للساعة) يقال

يقال لها أفيق وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به (فلا تمترن بها) أي فلا تشكن في وقوع الساعة (واتبعون) أي واتبعوا هداي أو رسولي (هذا) أي الذي أدعوكم اليه (صراط مستقيم) أي موصل الى الحق (ولا يصدنكم الشيطان) عن اتباعي (انه لكم عدو مبين) أي انه قد بانت عداوته لكم لاجل انه هو الذي أخرج أباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور (ولما جاء عيسى) الى بني اسرائيل (بالبينات) أي بالمعجزات وبالشرائع واضحات (قال قد جئتكم بالحكمة) أي بأصول الدين لاعلمكم اياها (ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه) وهي فروع الدين فان قوم موسى قد اختلفوا في أشياء من أحكام التكليف واتفقوا على أشياء فجاء عيسى ليبين لهم الحق في المسائل الخلافية أما اختلافهم في الاشياء التي لا حاجة بهم الى معرفتها فلا يجب على الرسول بيانها (فاتقوا الله) في الاعراض عن دينه (وأطيعون) فيما أبلغه اليكم من التكاليف (ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه) بالشرائع واعتقدوا وحدانيته تعالى أي التوحيد والتعبد بالشرائع (هذا صراط مستقيم) لا يضل سالكه (فاختلف الاحزاب من بينهم) أي فاختلف الطوائف في عيسى بعد رفعه الى السماء اختلافا ناشئا منهم فقال اليعقوبية هو الله وقال النسطورية هو ابن الله وقال الملكانية هو شريك الله وقال المرقوسية هو ثالث ثلاثة وقال اليهود هو ابن زنا (فويل) أي شدة عذاب (للذين ظلموا) من هؤلاء المختلفين في الدين وضعوا القول في غير موضعه (من عذاب يوم أليم) هو يوم القيامة (هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) فان تأتيهم بدل من الساعة أي ما ينتظر الناس الا اتيان الساعة فجأة غافلين عنه مشتغلين بأمور [illegible] (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) أي المتحابون في الدنيا بعضهم [illegible] الساعة الا الموحدين الذين يتحاب بعضهم بعضا على التقوى فان مودتهم لا تصير عداوة [illegible] حصلت بينهم محبة في الدنيا ان كانت تلك المحبة لاجل [illegible] لا تبقى في القيامة بل تنقلب هذه المحبة الدنيوية بغضة في القيامة وان كان حصول المحبة في [illegible] في محبة الله وفي طاعته كانت هذه المحبة دائمة في القيامة [illegible]
ويقول الله لهم (ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) أي مخلصين لنا بالعبادة وقد روي في هذا الحديث [illegible] عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فيرفع الخلائق رؤسهم فيقولون نحن عباد الله [illegible] آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فينكس الكفار رؤسهم [illegible] لثانية الذين آمنوا وكانوا يتقون فينكس أهل الكبائر رؤسهم [illegible] رؤسهم قد زال عنهم الخوف والحزن كما وعدهم الله [illegible] للمدح وعلى هذا الا يوقف على تحزنون [illegible] يقال لهم (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون) أي تكرمون [illegible]
(يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب) أي [illegible] من ذهب وكيزان من ذهب (وفيها) أي الجنة (ما تشتهيه الانفس) [illegible] والملموسة جزاء لهم [illegible] من الشهوات في الدنيا [illegible] ما يحملوه من منع [illegible]

أي بنزوله يعلم قيام الساعة (فلا تمترن بها) أي لا تشكوا فيها (ولما جاء عيسى) بني اسرائيل (بالبينات) أي الآيات التي يعجز عنها المخلوقون (قال قد جئتكم بالحكمة) يعني الانجيل (ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه) [illegible] (هذا صراط) [illegible] (فويل يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) وهم المؤمنون وقوله (تحبرون) أي تكرمون وتسرون (يطاف عليهم بصحاف) أي قصاع (وأكواب) وهي الاواني [illegible] (وفيها ما تشتهيه الانفس) [illegible] (الاعين) [illegible]

على الموصول والباقون بحذفه وقرئ وتلذه بالهاء (وأنتم فيها) أى الجنة (خالدون وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون) أى أعطيتموها جزاء على عملكم الصالح فى الدنيا (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) فلا تنفد أبدا (ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون) خبران وفى عذاب متعلقة به (لا يفتر عنهم) أى لا ينقص العذاب عنهم (وهم فيه) أى العذاب (مبلسون) أى آيسون من النجاة وقرأ عبد الله وهم فيها أى فى جهنم وهذه جملة حالية (وما ظلمناهم) بعذابهم (ولكن كانوا هم الظالمين) لاقبالهم أنفسهم للعذاب الخالد بقصدهم عدم الانفكاك عن الكفر ما بقوا فى الدنيا فالظالمين خبر كان وقرأ عبد الله وأبو زيد الطالمون على أنه خبرهم والجملة خبر كان (ونادوا) خازن النار (يا مالك) قرأ ابن مسعود يا مال بحذف الكاف وهذا دليل على أنهم بلغوا فى الضعف الى حيث لا يمكنهم أن يذكروا من الكلمة الا بعضها (ليقض علينا ربك) والمعنى سل ربك أن يميتنا لنستريح من العذاب وهذا تمنى للموت لشدة عذابهم (قال) أى مالك بعد أربعين سنة كما قاله عبد الله بن عمر وقيل الضمير يعود الى الله (انكم ماكثون) فى العذاب أبدا لاخلاص لكم منه بموت ولا بغيره قال الله تعالى مقررا لجواب مالك ومبينا السبب مكثهم (لقد جئناكم بالحق) أى بالدين الحق فى الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب (ولكن أكثركم للحق كارهون) أى ينفرون عنه و يبغضونه (أم أبرموا أمرا فانا مبرمون) أى أأتقن مشركو مكة أمرا فى كيدهم برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فانا متقنون كيدنا حقيقة وكانوا يتشاورون فى أموره صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم) أى بل أيحسبون أنا لا نسمع ما حدثوا به أنفسهم أو غيرهم فى مكان خال وما تكلموا به فيما بينهم (بلى ورسلنا لديهم يكتبون) أى بلى نسمعهما ونطلع عليهما والحال ان رسلنا وهم الحفظة الذين يلازمونهم أينما كانوا يكتبون عليهم كل ما صدر عنهم من الافعال والاقوال (قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) لذلك الولد فان السلطان اذا كان له ولد يجب على عبده أن يخدمه كما يجب عليه أن يخدم السلطان والمعنى ان قام الدليل على ثبوت الولد له تعالى كنت مقرا بوجوب خدمته لكن لم يوجد الدليل على ثبوته بل الدليل القاطع قائم على عدمه فكيف أقر بوجوده قال بعضهم ان كلمة ان ههنا نافية والتقدير ما كان للرحمن ولد فأنا أول المقرين من أهل مكة بأن ليس لله ولد وأنا أول الموحدين منهم أن لا شريك له تعالى وقرأ حمزة والكسائى ولد بضم الواو واسكان اللام والباقون بفتحهما (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) من أن له ولدا (فذرهم) أى فاتركهم فى ذلك الباطل حيث لم يذعنوا للحق بعد ما سمعوا هذا البرهان الجلى (يخوضوا) أى يفعلوا فى أباطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) أى حتى يصلوا الى اليوم الذى يوعدون فيه بالعذاب وهو يوم القيامة (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) أى وهو الذى هو معبود فى السماء ومعبود فى الارض (وهو الحكيم العليم) فكونه بليغ الحكمة فى تدبير خلقه و بالغا فى العلم بمصالحهم ينافى حصول الولد له (وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما) أى دام الذى له ملكها وكثرت خيراته فعيسى ليس ولد الله تعالى لانه حدث بعد ان لم يكن ثم انه مات ولانه محتاج الى الطعام فالذى هذا صفته كيف يكون ولدا لمن كان خالقا للسموات والارض وما بينهما ولا مجانسة بين عيسى والباقى الغنى عن كل شئ فامتنع كونه ولدا له تعالى (وعنده علم الساعة) أى علم وقت قيامها ومن كان كاملا فى الذات والعلم والقدرة امتنع أن يكون له ولد عاجز وعديم العلم على أحوال العالم بالحد الذى وصفه النصارى (واليه ترجعون) وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الالتفات من الغيبة الى الخطاب للتهديد وقرئ تحشرون بالتاء

(لا يفترعنهم) أى لا يخفف عنهم العذاب (وهم فيه مبلسون) أى ساكتون سكوت يأس (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك) أى ليمتنا فنستريح (قال انكم ماكثون) أى مقيمون فى العذاب (أم أبرموا) أى أحكموا (أمرا) فى المكر بالرسول صلى الله عليه وسلم (فانا مبرمون) أى محكمون أمرا فى مجازاتهم (قل ان كان للرحمن) الآية معناها ان كنتم تزعمون أن للرحمن ولدا (فأنا أول العابدين) أى الموحدين لان من عبد الله واعترف بأنه الهه فقد دفع أن يكون له ولد وقيل يعنى فأنا أول العابدين أى الآبقين من هذا القول (وهو الذى فى السماء اله) يعبد (وفى الارض اله) يعبد أى هو المعبود فيهما (وهو الحكيم) فى تدبير خلقه (العليم) بصلاحهم

(ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق) أي ان الملائكة وعيسى وعزيرا الذين كانوا يعبدهم الكفار من دون الله لا يشفعون الا لمن شهد بالحق (وهم يعلمون) بقلوبهم ما يشهدون به بألسنتهم روى أن النضر بن الحرث ونفرا معه قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن نعبد الملائكة فهم أحق بالشفاعة من محمد فأنزل الله هذه الآية ويقال ان كل معبود من دون الله لا يملكون الشفاعة الا من شهد أنه لا اله الا الله وهم الملائكة وعيسى وعزير فان لهم شفاعة عند الله وهم يعلمون ان الله خالقهم وانهم عباده (ولئن سألتهم) أي الكفار الذين ادعوا الشريك لله (من خلقهم) أي العابدين والمعبودين معا (ليقولن الله فأنى يؤفكون) أي فكيف يصرفون عن عبادته تعالى الى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقا له تعالى ولم يكذبون على الله حيث قالوا ان الله أمرنا بعبادة الاصنام (وقيله) قرأ الاكثرون بالنصب على المصدر أي قال النبي قوله أو عطف على سرهم أو على محل الساعة وقرأ عاصم وحمزة بالجر عطف على الساعة أو أن الواو للقسم وقرأ الاعرج وأبو قلابة ومجاهد والحسن بالرفع عطف على علم الساعة أو مبتدأ وخبره ما بعده (يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) بك وبرسولك قال تعالى (فاصفح عنهم) أي فأعرض عنهم بغير التبليغ وبالدعاء عليهم بالعذاب (وقل سلام) أي شأني الآن متاركة بسلامتكم مني وسلامتي منكم فهذا ابتداء منهم (فسوف يعلمون) ما فعل بهم وقرأ نافع وابن عامر بتاء الخطاب على الالتفات لزيادة التهديد والتقريع والباقون بالياء كناية عن قوم لا يؤمنون وهذه الآية غير منسوخة لان الامر لا يفيد الفعل الا مرة واحدة فاذا أتى به مرة واحدة فقد سقطت دلالة اللفظ فأي حاجة فيه الى التزام النسخ

﴿سورة الدخان مكية وهي تسع وخمسون آية وثلثمائة وست﴾

﴿وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وأحد وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم والكتاب المبين) يجوز أن يكون المراد بالكتاب ههنا الكتب المتقدمة التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه وأن يكون المراد به اللوح المحفوظ وان يكون المراد به القرآن وهذا يدل على وجوب تعظيم القرآن (انا أنزلناه) أي القرآن (في ليلة مباركة) قال الاكثرون انها ليلة القدر وقال عكرمة وطائفة آخرون انها ليلة البراءة وهي ليلة النصف من شعبان ونقل محمد بن جرير الطبري عن قتادة انه قال نزلت صحف ابراهيم في أول ليلة من رمضان والتوراة لست ليال منه والزبور لثنتي عشرة مضت منه والانجيل لثمان عشرة مضت منه والقرآن لاربع وعشرين مضت من رمضان والليلة المباركة هي ليلة القدر وقد قيل انه تعالى أنزل كلية القرآن من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا في ليلة مباركة ثم نزل في كل وقت ما يحتاج اليه المكلف وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسرافيل صاحب سماء الدنيا ونسخة المصائب الى ملك الموت (انا كنا منذرين) أي مخوفين بالقرآن (فيها) أي ليلة مباركة (يفرق) أي يظهر للملائكة الموكلين بالتصرف في عالم (كل أمر حكيم) أي مبرم لا يحصل فيه تغيير ولا نقص الا بد من وقوعه في تلك السنة وقال الرازي معنى الحكيم ذو حكمة وذلك لان تخصيص الله تعالى كل أحد بحالة معينة من العمر والرزق والاجل والسعادة والشقاوة يدل على حكمة بالغة لله تعالى فلما كانت تلك الافعال والاقضية دالة على حكمة فاعلها وصفت بكونها حكيمة وقرئ يفرق بالتشديد وقرئ يفرق على البناء للفاعل ونصب كل

(ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) يعني الاوثان لا يشفعون لعابديها (الا من شهد بالحق) الا عيسى وعزيرا والملائكة فهم لشفاعة في المؤمنين لا في الكفار وهم يشهدون بالحق أي بالوحدانية لله (وهم يعلمون) حقيقة ما شهدوا به (وقيله) يعني ونسمع قول محمد صلى الله عليه وسلم شاكيا الى ربه وهو راجع الى قوله انا لا نسمع سرهم ونجواهم (فاصفح عنهم) أي أعرض عنهم وهذا قبل أن نؤمر بقتالهم (وقل سلام) أي سلامة لنا منكم (فسوف تعلمون) تهديد لهم

﴿تفسير سورة الدخان﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم والكتاب المبين انا أنزلناه) يعني القرآن (في ليلة مباركة) قيل هي ليلة القدر في رمضان أنزل الله القرآن فيها من أم الكتاب الى سماء الدنيا ثم أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم نجوما وقيل ليلة النصف من شعبان (انا كنا منذرين) أي محذرين عبادنا العقوبة بانزال الكتاب (فيها يفرق كل أمر حكيم) أي محكم من رزق العباد وآجالهم وذلك انه يدبر في تلك الليلة أمر السنة

(أمرا من عندنا) معناه يفرق كل أمر حكيم فرقا من عندنا فوضع الأمر موضع الفرق لأنه أمر (انا كنا مرسلين) محمدا صلى الله عليه وسلم الى قومه (رحمة) اى للرحمة وقوله (ان كنتم موقنين) أى ان أيقنتم بأنه رب السموات والارض فأيقنوا أن محمدا رسوله لانه أرسله (بل هم فى شك) أى من البعث والنشر (يلعبون) أى مشتغلين بالدنيا (فارتقب) أى فانتظر (يوم تأتى السماء بدخان مبين) وذلك حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه بالقحط فمنع القطر وأجدبت الارض واغبرت الآفاق وصار بين السماء والارض كالدخان (يغشى الناس) أى ذلك الدخان وهم يقولون (هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) أى مصدقون نبيك قال الله تعالى (أنى لهم الذكرى) أى من أين لهم التذكر والاتعاظ (و) حالهم انهم (قد جاءهم رسول مبين) أى يبين لهم أحكام الدين يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (ثم تولوا عنه) أى أعرضوا عنه (وقالوا معلم) أى انه معلم يعلمه ما يأتى به بشر

والفارق هو الله تعالى وقرأ زيد بن على نفرق بالنون (أمرا من عندنا) حال من فاعل أنزلناه أو من مفعوله أى فى حال كون القرآن أمرا من عندنا بما يجب ان يفعل أو من أمر حكيم أو مفعول له وناصبه اما أنزلناه واما منذرين واما يفرق أى أو مصدر من معنى يفرق أى فرقا كائنا من عندنا (انا كنا مرسلين) أى انا انما فعلنا ذلك الانذار لاجل انا كنا مرسلين الانبياء (رحمة من ربك) مفعول له أى لاجل افاضة رحمتنا على العباد والمعنى انا أنزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاقتضاء رحمتنا السابقة ارسالهم أو بدل من أمرا فيجىء فيه رحمة ما تقدم من الاوجه فى أمرا (انه هو السميع العليم) فان المحتاجين للرحمة اما أن يذكروا حاجاتهم بألسنتهم واما أن لا يذكروها فان ذكروها فانه تعالى سميع لكلامهم وان لم يذكروها فهو تعالى عالم بحاجاتهم (رب السموات والارض وما بينهما) قرأ عاصم وحمزة والكسائى بالجر بدل من ربك أو بيان عليه والباقون بالرفع عطف بيان على قوله السميع العليم أو خبر آخر أو استئناف على اضمار مبتدا (ان كنتم موقنين) أى ان كنتم تريدون اليقين فاعرفوا ان الامر كما قلنا (لا اله الا هو يحيى ويميت) وهذا تنبيه على تمام دلائل التوحيد (ربكم ورب آبائكم الاولين) بالرفع بدل أو بيان أو النعت لرب السموات وقرأ ابن محيصن وابن أبى اسحق وأبو حيوة والحسن بالجر على البدل أو البيان أو النعت لرب السموات وقرأ الانطاكى بالنصب على المدح (بل هم فى شك) أى ليسوا على يقين فى اقرارهم بأن للسموات والارض ربا وخالقا هو الله تعالى وانما يقولونه تقليدا لآبائهم من غير علم فهم فى شك (يلعبون) فى دينهم بما يظهر لهم من غير حجة (فارتقب) أى انتظر يا أكرم الرسل عذابهم (يوم تأتى السماء بدخان مبين) وهو ما أصابهم من شدة الجوع فانهم لظلمة أبصارهم كأنهم يرون دخانا بين السماء والارض فالمراد بالدخان هنا على ما قاله ابن عباس فى بعض الروايات وابن مسعود ومقاتل ومجاهد واختاره الفراء والزجاج هو ما أصاب قريشا من الجوع بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم فانه لما كذبه قومه بمكة دعا عليهم فقال اللهم اجعل سنيهم كسنى يوسف فارتفع المطر وأجدبت الارض وأصابت قريشا شدة المجاعة حتى أكلوا العظام والكلاب والجيف فكان الرجل يرى بينه وبين السماء كالدخان لما به من الجوع ونقل عن على وابن عباس وابن عمر وأبى هريرة وزيد بن على والحسن ان المراد بالدخان هنا دخان يظهر فى العالم فى آخر الزمان يكون علامة على قرب الساعة يملأ ما بين المشرق والمغرب وما بين السماء والارض يمكث أربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كالزكام واما الكافر فيصير كالسكران فيملأ جوفه ويخرج من منخريه وأذنيه ودبره وتكون الارض كلها كبيت أوقدت فيها النار وقال عبد الرحمن الاعرج ان المراد بالدخان هو الغبار الذى ظهر يوم فتح مكة من ازدحام جنود الاسلام حتى حجب الابصار عن رؤية السماء (يغشى الناس) أى يشملهم وهو فى محل جر صفة لدخان (هذا عذاب أليم) فان قلنا لتقدير يقولون هذا عذاب أليم (ربنا اكشف عنا العذاب) فالعذاب هو القحط الشديد وان قلنا لتقدير يقولون ربنا اكشف عنا العذاب فالعذاب هو الدخان المهلك الذى يدخل فى أسماع الكفرة حتى يصير رأسهم كالرأس الحنيذ (انا مؤمنون) بمحمد وبالقرآن والمراد منه الوعد بالايمان ان كشف عنهم العذاب (أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) أى كيف يتعظون بهذه الحالة والحال انهم قد شاهدوا ما ظهر على رسول الله من المعجزات القاهرة وهى أعظم موجبات الاتعاظ ثم لم يلتفتوا اليه وقالوا ان محمدا يتعلم هذه الكلمات من جبر غلام عامر بن الحضرمى وهو فتى نصرانى أو غلام لحويطب بن عبد العزى قد أسلم وقالوا ان الجن يلقون على محمد هذه

الـكامات حال مايعرض له الغشى وما مثلهم الا كمثل الـكلب اذا جاع ضغا واذا شبع طغى (انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون) أى انا نـكشف العذاب عنكم كشفا قليلا أو زمانا قليلا بدعاء محمد صلى الله عليه وسلم انكم تعودون فى الحال الى ما كنتم عليه من الشرك والمعنى انهم لايفون بعهدهم وانهم فى حال العجز يتضرعون الى الله تعالى فاذا زال الخوف عادوا الى الـكفر والتقليد لمذاهب الاسلاف (يوم نبطش البطشة الـكبرى انا منتقمون) ويوم منصوب بما دل عليه منتقمون لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها أى يوم نأخذ بشدة أخذا قويا بايصال الآلام المتتابعة ننتقم انا منتقمون وهو يوم بدر كما قاله ابن مسعود ومجاهد ومقاتل وأبو العالية وروى عكرمة عن ابن عباس هو يوم القيامة وقرأ الحسن البصرى وأبو جعفر المدنى نبطش بضم الطاء وقرئ نبطش بضم النون فان لله أمر الملائكة بأن يعاقبهم العقوبة العظمى (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون) أى ولقد عاملنا قوم فرعون قبل هؤلاء العرب معاملة المختبر ببعث الرسول اليهم (وجاءهم رسول كريم) على ربه وهو موسى عليه السلام اذ اختصه بالنبوة واسماع الكلام (أن أدوا الىّ عباد الله) أى بأن الحديث أرسلوا بنى اسرائيل معى (انى لـكم رسول) من الله (أمين) أى قد ائتمنى الله تعالى على وحيه ورسالته وصدقنى بالمعجزات القاهرة (وأن لا تعلوا على الله) أى وبأن الشأن لا تتكبروا على الله باهانة وحيه ورسوله (انى آتيكم بسلطان مبين) أى آتيكم من جهة الله تعالى بحجة واضحة يعترف بصحتها كل عاقل (وانى عذت بربى وربكم أن ترجمون) أى وانى اعتصمت بربى وربكم من ان تقتلون قيل لما قال موسى وان لا تعلوا على الله توعدوه بالقتل (وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون) أى ان لم تصدقونى ولم تؤمنوا بالله لاجل ما أتيتكم به من الحجة فخلوا سبيلى لا لى ولا على (فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون) أى انهم كفروا ولم يؤمنوا فدعا موسى ربه بأن هؤلاء قوم مشركون ا كتسبوا الهلاك على أنفسهم فعل بهم يارب ما يليق بهم وقرأ ابن أبى اسحق وعيسى والحسن بكسر الهمزة على اضمار القول عند البصريين وعلى اجراء دعا مجرى القول عند الـكوفيين (فقال ربه (أسر بعبادى ليلا) أى سر ليلا ببنى اسرائيل قرأ نافع وابن كثير بالوصل والباقون بالقطع (انكم متبعون) أى يتبعكم فرعون وجنوده بعد ما علموا بخروجكم ويصير ذلك سببا لهلاكهم (واترك البحر رهوا) أى اجعل البحر طرقا واسعة حتى يدخله القبط فيغرقوا كما قال تعالى (انهم جند مغرقون) فى البحر وقرئ بفتح الهمزة أى لانهم وانما أخبره الله تعالى بذلك حتى يبقى فارغ القلب عن شرهم (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة) بفتح النون أى فأغرقهم الله وتركوا أمورا كثيرة من بساتين ومياه ظاهرة فى البساتين وحروث ومنازل محسنة ومجالس مزينة وأمور يتمتعون بها كالملابس والمراكب (كانوا فيها) أى فى هذه الاشياء (فاكهين) بالالف أى طيبين الانفس معجبين وقرأ الحسن وأبو رجاء فكهين بدون الالف أى مستهزئين بنعمة الله تعالى (كذلك) أى مثل ذلك السلب سلبناهذه الاشياء منهم (وأورثناها) أى تلك الاشياء (قوما آخرين) أى جعلناها من بعدهم ميراثا لبنى اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والارض) روى أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال مامن عبد الا وله فى السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله فاذا مات فقداه وبكيا عليه

(انا كاشفوا العذاب قليلا) يعنى نكشف عنكم عذاب الجوع فى الدنيا ثم تعودون فى العذاب وهو قوله (انكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى) يعنى يوم القيامة وقيل هو يوم بدر (ولقد فتنا) أى بلونا (قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) على الله يعنى موسى (أن أدوا الىّ عباد الله) أى سلموهم الى ولا تعذبوهم يعنى بنى اسرائيل كما قال فارسل معنا بنى اسرائيل الآية (انى لكم رسول أمين) على وحى الله (وان لا تعلوا على الله) أى لا تعصوه ولا تخالفوا أمره (انى آتيكم بسلطان مبين) أى بحجة واضحة تدل على انى نبى (وانى عذت بربى وربكم أن ترجمون) أى تقتلون وذلك انهم توعدوه بالقتل (وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون) أى لا تكونوا على ولا لى وخلوا عنى (فدعا ربه أن) أى بأن (هؤلاء) أى يارب هؤلاء (قوم مجرمون) أى مشركون فقال الله له (فأسر بعبادى) أى بنى اسرائيل (ليلا انكم متبعون) أى يتبعكم فرعون وقومه (واترك البحر رهوا) أى خلفه وراءك ساكنا غير مضطرب وذلك ان الماء وقف له كالطود العظيم حتى جاوز البحر (انهم جند مغرقون) أى نغرقهم فى ذلك البحر الذى يجاوزونه رهوا (كم تركوا) أى بعد الا كهم (من جنات وعيون) الآية مفسرة فى سورة الشعراء (كذلك) أى الامر كما وصفنا (وأورثناها) أى أعطيناها (قوما آخرين) يعنى بنى اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والارض) لأنهم كانوا كفارا والمؤمن يبكى عليه مصعد عمله من السماء ومصلاه من الارض

وروي في الاخبار ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه أي ولم يبك السماء والارض على فرعون وقومه لانهم لم يكونوا يعملون على الارض عملا صالحا ولم يصعد لهم الى السماء كلام طيب ولا عمل صالح (وما كانوا منظرين) أي لما جاء وقت هلاكهم لم يمهلوا الى وقت آخر لتوبة وتدارك تقصير (ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون) أي من العذاب الشديد الصادر من فرعون وهو قتل الابناء واستخدام النساء والاتعاب في الاعمال الشاقة وقرئ من عذاب المهين أي وهو فرعون لانه كان عظيم السعي في اهانة المحقين وقرأ ابن عباس من فرعون بمعنى الاستفهام والمعنى هل تعرفونه من هو في عتوه وشيطنته (انه كان عاليا من المسرفين) أي كان عالي الدرجة في طبقة المسرفين أو يقال انه كان متكبرا مسرفا فانه مع حقارته ادعى الالهية فقوله من المسرفين حال من الضمير في عاليا أو خبر ثان لكان (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) أي ولقد اخترنا بني اسرائيل على العالمين جميعا عالمين بكونهم مستحقين لان يختاروا ويرجحوا على غيرهم لكثرة الانبياء فيهم ويقال ولقد اخترناهم على عالمي زمانهم مع علمنا بأنهم قد يزيغون في بعض الاوقات وصدر عنهم الفرطات في بعض الاحوال (وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين) أي وأعطينا بني اسرائيل ما فيه نعمة ظاهرة من الآيات التي لم يظهر الله مثلها على أحد سواهم مثل فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغيرها فانه تعالى لما كان يبلو بالمحنة فقد يبلو بالنعمة أيضا اختبارا ظاهرا ليتميز الصديق عن الزنديق (ان هؤلاء) أي ان كفار قريش (ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى) أي ما نهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية (وما نحن بمنشرين) أي بمحيين بعد الموت (فأتوا بآبائنا) أي فيجادلوا له أيها القائلون بانا نبعث بعد الموت أحياء من مات من آبائنا بأن تسألوا ربكم ذلك حتى يصير دليلا عندنا على صدق دعواكم في البعث (ان كنتم صادقين) فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر انه حق قال تعالى مقتصرا على الوعيد (أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم) أي قبل قوم تبع كمدين وأصحاب الايكة والرس وثمود وعاد وسمي تبعا لكثرة تبعه واسمه اسعد بن ملكيكرب وكنيته أبو كرب وهو نبي كما قاله ابن عباس أو رجل صالح كما قالته عائشة وكان قومه كافرين أراد خراب المدينة فلما أخبر انها مهاجر نبي اسمه أحمد انصرف عنها وقال شعرا أودعه عند أهلها فكانوا يتوارثونه كابرا عن كابر الى أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فدفعوه اليه وكان من اليوم الذي مات فيه تبع الى اليوم الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم ألف سنة لا يزيد ولا ينقص ويقال كان الكتاب والشعر عند أبي أيوب خالد بن زيد وفيه

شهدت على أحمد انه * رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم

(أهلكناهم انهم كانوا مجرمين) فأهلكناهم مستأنف لبيان عاقبة أمرهم وانهم تعليل لاهلاكهم أي ان أولئك الكفار أهلكوا بسبب اجرامهم مع انهم كانوا أقوى من هؤلاء أفلا يخافون من هلاكهم وهم شركاء لأولئك في الاجرام (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين) أي لاهين ولو لم يحصل البعث والجزاء لكان هذا الخلق عبثا لان الله تعالى خلق نوع الانسان ثم كلفهم بالايمان والطاعة فاقتضى ذلك أن يتميز المطيع من العاصي فيتعلق فضله تعالى واحسانه للمطيع ويتعلق عدله وعقابه للعاصي فلابد من البعث لتجزى كل نفس بما كسبت وقرأ عمرو بن عبيد وما بينهن وقرأ الجمهور بينهما باعتبار النوعين (ما خلقناهما) وما بينهما (الا بالحق) أي الا بسبب الحق الذي هو الايمان والطاعة والبعث والجزاء (ولكن أكثرهم) أي أهل مكة (لا يعلمون) انا خلقنا ذلك

(وما كانوا منظرين) أي مؤخرين حين أخذناهم بالعذاب (ولقد نجينا بني اسرائيل) أي اهلاك فرعون وقومه (من العذاب المهين) يعني قتل الأبناء واستخدام النساء (من فرعون انه كان عاليا من المسرفين) أي مستكبرا متعظما من الكافرين المتجاوزين حدهم (ولقد اخترناهم) أي بني اسرائيل (على علم) منا بهم (على العالمين) أي عالمي زمانهم (وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين) أي نعمة ظاهرة من فلق البحر وانزال المن والسلوى (ان هؤلاء) يعني مشركي مكة (ليقولون ان هي الا موتتنا الأولى) أي ليس الا الموت ولا نشر لنا بعده وهو قوله (وما نحن بمنشرين فأتوا بآبائنا) الذين ماتوا (ان كنتم صادقين) انا نبعث بعد الموت (أهم خير) أي أقوى وأشد (أم قوم تبع) الحميري (والذين من قبلهم) أي الكفار (انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين) أي ونحن نلعب في خلقهما أي انا خلقناهما لأمر عظيم وهو قوله (ما خلقناهما الا بالحق) أي لاقامة الحق واظهاره من توحيد الله والزام طاعته

(ان يوم الفصل) وهو يوم القيامة يفصل الله فيه بين العباد (ميقاتهم) الذى وقتنا العذابهم (أجمعين يوم لايغنى مولى عن مولى شيأ) أى قريب عن قريب (ولاهم ينصرون) أى يمنعون من عذاب الله (الامن رحم الله) أى لكن من رحم الله فانه ينصر (ان شجرة الزقوم طعام الاثيم) أى صاحب الاثم وهو أبو جهل (كالمهل) أى كالذائب من الفضة والنحاس فى الحرارة (تغلى فى البطون) أى فى بطون آكليه (كغلى الحميم) وهو الماء الحار (خذوه) يعنى الأثيم (فاعتلوه) أى سوقوه سوقا بالعنف (الى سواء الجحيم) أى وسطه (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) كما قال صب من فوق رؤسهم الحميم ويقال له (ذق انك أنت العزيز الكريم) أى بزعمك وعلى قولك وذلك انه قال مابين جبليها أعز ولاأكرم منى (ان هذا) الذى ترون من العذاب (ما كنتم به تمترون) أى تشكون (ان المتقين فى مقام أمين) أمنوا فيه الغير (يلبسون من سندس) وهو مارق من الديباج (واستبرق) وهو ماغلظ منه (متقابلين) أى متواجهين (كذلك) أى كما وصفنا (وزوجناهم بحور) وهى النساء النقيات البياض (عين) واسعة الأعين (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين) أى من الموت (لايذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى) أى سوى الموتة التى ذاقوها فى الدنيا (فانما يسرناه) أى سهلنا يعنى القرآن (بلسانك لعلهم يتذكرون) أى يتعظون

بسبب اقامة الحق عليهم (ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين) أى ان يوم تمييز المحق من المبطل وقت موعد الناس أجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم خبرها أى ان ميعادهم جزاؤهم البر والفاجر فى يوم فصل الله بين عباده (يوم لايغنى مولى عن مولى شيأ) أى لاينفع قريب عن قريب شيأ (ولاهم ينصرون) أى يمنعون من العذاب (الامن رحم الله) أى الا المؤمنين فانهم يمنعون من العذاب أو فانهم يؤذن لهم فى الشفاعة فيشفعون فى بعضهم وتشفع لهم الملائكة والانبياء (انه هو العزيز الرحيم) أى ان الله هو الغالب بتعذيب الكافرين الرحيم بالمؤمنين (ان شجرة الزقوم طعام الاثيم) أى الكثير الآثام وهو الكافر (كالمهل) وهو دردى الزيت وعكر القطران ومذاب النحاس وسائر الفلزات (يغلى فى البطون كغلى الحميم) وقرأ حفص وابن كثير يغلى بالياء التحتية فهو حال من طعام أو الزقوم والباقون بالتاء الفوقية فهو خبر ثالث لان أى تغلى الشجرة فى البطون غليانا كغلى الماء الشديد الحرارة يقول الله للزبانية (خذوه) أى الاثيم (فاعتلوه) أى جروه بعنف وقودوه (الى سواء الجحيم) أى الى وسط النار العظيمة وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بضم التاء (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) أى صبوا على رأسه عذابا شديدا يشبه الماء الحار بعد ما يضرب رأسه بمقامع الحديد فقد شبه العذاب بالمائع ثم خيل له بالصب و يقال له على سبيل الاستهزاء (ذق) يا أباجهل (انك أنت العزيز الكريم) وقرأ الكسائى أنك بفتح الهمزة على معنى العلة أى لانك أو على تقدير مضاف أى ذق عذابا نك أنت المتعزز فى قومك المتكرم عليهم روى ان أباجهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم مابين جبليها أى مكة أعز ولاأكرم منى فوالله ماتستطيع أنت ولا ربك ان تفعلا بى شيأ (ان هذا) العذاب (ما كنتم به تمترون) أى تشكون فى الدنيا (ان المتقين فى مقام أمين) أى مكان مأمون من الزوال والآفات وقرأ نافع وابن عامر مقام بضم الميم أى موضع الاقامة (فى جنات وعيون) أى أنهار الخمر والماء واللبن والعسل (يلبسون من سندس واستبرق) والسندس مارق من الحرير والاستبرق ماثخن منه (متقابلين) فى المجالس ليستأنس بعضهم ببعض (كذلك) أى أثبناهم مثل ذلك أو هكذا مقام المؤمنين فى الجنة (وزوجناهم بحور عين) أى قرناهم فى الجنة بجوار بيض حسان الوجوه وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مهور الحور العين قبضات التمر وفلق الخبز وعن أبى قرصافة سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول اخراج القمامة من المسجد مهور الحور العين وعن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال كنس المساجد مهور الحور العين (يدعون فيها بكل فاكهة) أى يأمرون الخدم فى الجنة باحضار مايشتهونه ويتناولون فيها بألوان كل فاكهة (آمنين) من التخم والامراض (لايذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) أى لايذوقون فى الجنة الموت الا الذوق الحاصل بسبب تذكر الموتة الاولى التى فى الدنيا بعد حياتهم فيها أو يقال لكن الموتة الاولى قد ذاقوها (ووقاهم عذاب الجحيم) أى وقى الله المتقين فى أول الامر من عذاب الجحيم ورفع الله العذاب عن عصاة المؤمنين بعد دخولهم النار وقرئ ووقاهم بتشديد القاف (فضلا من ربك) أى تفضل ربك بذلك الثواب تفضلا وقرئ فضل بالرفع أى ذلك فضل (ذلك هو الفوز العظيم) لان التفضل أعلى من درجات الثواب المستحق فان الملك العظيم اذا أعطى الاجير أجرته ثم خلع على انسان آخر تحت خلعة أعلى كان من أعطاه تلك الاجرة (فانما يسرناه بلسانك) أى انما أنزلنا الكتاب المبين بلغتك (لعلهم يتذكرون)

أى لكى يتعظون به (فارتقب انهم مرتقبون) أى فانتظر هلاكهم انهم منتظرون هلاكك

﴿ سورة الجاثية مكية وهى سبع وثلاثون آية وأربعمائة وثمان وثمانون كلمة وألفان ومائة وأحد وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم) أى هذه السورة مسماة بحم (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) أى تنزيل هذا الكتاب واقع من الله العزيز فى ملكه الحكيم فى أمره وقضائه (ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين) لانه حصل فى ذوات السموات والارض أحوال دالة على وجود الله تعالى مثل مقاديرها وكيفياتها وحركاتها ولان الشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار موجودة فى السموات والارض وهى دلالات على وجود الاله القادر الفاعل المختار (وفى خلقكم) من نطفة ثم من علقة متقلبة فى أطوار مختلفة الى تمام الخلق (وما يبث) أى وفيما ينشره (من دابة آيات لقوم يوقنون) فان الاجسام متساوية فاختصاص كل واحد من الاعضاء لا بدوان يكون بتخصيص القادر المختار وكذا انتقاله من حال الى حال آخر (واختلاف الليل والنهار) أى وفى تعاقبهما وتفاوتهما طولا وقصرا (وما أنزل الله من السماء من رزق) أى وفيما أنزله من السحاب من مطر (فأحيى به الارض بعد موتها) أى بعد يبوستها (وتصريف الرياح) أى وفى تقليبها من جهة الى أخرى ومن حال الى حال (آيات لقوم يعقلون) وقرأ حمزة والكسائى آيات لقوم فى الموضعين بالنصب بالكسرة معطوف على آيات الاول الذى هو اسم ان والباقون بالرفع على انه مبتدأ وخبره الظرف المقدم وقرئ آية بالتوحيد وقرأ حمزة والكسائى وتصريف الريح بالتوحيد وحاصل ما ذكرها من الدلائل ستة على ثلاث فواصل الاولى للمؤمنين الثانية يوقنون الثالثة يعقلون وسبب هذا الترتيب انه قيل ان كنتم من المؤمنين فافهموا هذه الدلائل وان كنتم لستم من المؤمنين بل أنتم من طلاب اليقين فافهموا هذه الدلائل وان كنتم لستم من المؤمنين ولا من الموقنين فكونوا من العاقلين فاجتهدوا فى معرفة هذه الدلائل وأبدى بعض المفسرين معنى لطيفا فقال ان المنصفين اذا نظروا فى السموات والارض وانه لا بد لهما من صانع آمنوا واذا نظروا فى خلق أنفسهم ونحوها ازدادوا ايمانا فأيقنوا فاذا نظروا فى سائر الحوادث عقلوا (تلك) أى الآيات المذكورة (آيات الله) أى حججه الدالة على وحدانيته (نتلوها) أى نقصها (عليك بالحق) أى ان صحتها معلومة بالدلائل العقلية وهذا من أعظم الدلائل على الترغيب فى تقرير المباحث العقلية (فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون) أى ان من لم ينتفع بهذه الآيات فلا شئ بعدها يجوز ان ينتفع به وقرأ ابن عامر وشعبة والكسائى بتاء الخطاب مناسبة لقوله تعالى وفى خلقكم (ويل لكل أفاك) أى كذاب (أثيم) أى مبالغ فى اقتراف الآثام وهو نضر بن الحرث (يسمع آيات الله) أى القرآن (تتلى عليه ثم يصر) أى يقيم على كفره اقامة بقوة (مستكبرا) عن الايمان بآيات الله معجبا بما عنده كان النضر يشترى من أحاديث العجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن (كأن لم يسمعها) أى حال كونه مثل غير السامع (فبشره بعذاب أليم) على اصراره واستكباره (واذا علم من آياتنا شيأ اتخذها هزوا) أى انه اذا سمع كلاما وعلم انه من آياتنا بادر الى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على الاستهزاء بما سمعه فقط (أولئك) أى كل أفاك أثيم (لهم عذاب مهين) أى ذو اهانة (من ورائهم) أى قدامهم بعد الموت (جهنم) فانهم متوجهون الى ما أعد لهم أو من خلفهم جهنم لانهم مقبلون على الدنيا معرضون عما أعد لهم (ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيأ ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) أى ولا ينفعهم ما ملكوه فى الدنيا ولا أصنامهم التى عبدوها (ولهم عذاب عظيم) أى بالغ الى أقصى الغايات

(فارتقب انهم مرتقبون) أى فانتظر النصر والفتح انهم منتظرون قهرك وهلاكك

﴿ تفسير سورة الجاثية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان فى السموات والأرض) أى فى خلقهما (لآيات) أى لدلالات على قدرة الله وتوحيده وقوله (فبأى حديث بعد الله) أى بعد حديث الله وكتابه (وآياته يؤمنون ويل لكل أفاك) كذاب (أثيم) أى صاحب اثم (يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر) أى يقيم على كفره (مستكبرا) أى متعظما عن الايمان (واذا علم من آياتنا شيأ اتخذها هزوا) أى استهزاء بها (من ورائهم) أمامهم (جهنم ولا يغنى عنهم ما كسبوا) من الأموال (شيأ)

فى كونه ضررا (هـذا) أى القرآن (هدى) أى فى غاية الكمال فى الهداية (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم) وقرأ ابن كثير وحفص بالرفع أى لهم عـذاب أليم من تجرع ماء صديد والباقون بالجر أى لهم عذاب من عـذاب شديد الايلام (الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره) أى باذنه وأنتم راكبوها لجريان السفن على وجه البحر لا يحصل الا بسبب ثلاثة أشياء أحدها الرياح التى توافق المراد وثانيها الماء وثالثها خشبة طافية لا تغوص فى الماء وهـذه الثلاثة لا يقدر عليها أحـد من البشر فلا بد من موجد قادر عليها وهو الله تعالى (ولتبتغوا من فضـله) اما بسبب التجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان أو باستخراج اللحم الطرى (ولعلكم تشكرون) أى ولكى تشكروا نعمته تعالى (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه) أى وسخر الله لكم الشمس والقمر والنجوم والسحاب والشجر والدواب والجبال والبحار كائنة منـه تعالى وحاصلة من عنده فانه تعالى موجدها بقدرته وحكمته ثم سخرها لخلقه وقرأ مسلمة بن محارب منه على أنه فاعل سخر أو على انه خبر مبتدا محذوف أى ذلك منه وقرئ منه على انه مفعول له (ان فى ذلك) أى فيما ذكر (لآيات) كثيرة (لقوم يتفكرون) فى بدائع صنع الله تعالى فانهم يطلعون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها ويوفقون لشكرها (قل للذين آمنوا) اغفروا للكفار (يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) أى لا يرجون ثواب الله ولا يخافون عقابه ولا يخشون مثل عقاب الامم الخالية كما قاله ابن عباس وهـذا محمول على ترك المنازعة فى المحقرات وعلى التجاوز عما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية والافعال الموحشة وقال المهدوى والنحاس ومقاتل شتم رجل من كفار قريش عمر بن الخطاب بمكة قبل الهجرة فأراد أن يبطش به فأمره الله بالعفو والتجاوز وأنزل هـذه الآية (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) أى لكى يجازى الله يوم القيامة قوما يعملون الخير وقيل ليجزى الله الكفار بما كانوا يكسبون من الاثم والمعنى لا تكافئوهم أنتم حتى نكافئهم نحن وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى لنجزى بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما أى وليجزى الجزاء قوما (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) أى ان العمل الصالح يعود بالنفع العظيم على فاعله والعمل الردئ يعود بالضرر على فاعله وهذا ترغيب منـه تعالى فى العمل الصالح وزجر عن العمل الباطل (ثم الى ربكم ترجعون) فيجازيكم على أعمالكم خيرا كان أو شرا (ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب) أى التوراة (والحكم) أى معرفة أحكام الله تعالى وفصل الحكومات بين الناس (والنبوة) حيث كثر الله فيهم الانبياء (ورزقناهم من الطيبات) فانه تعالى وسع عليهم فى الدنيا فأورثهم أموال قوم فرعون وديارهم ثم أنزل عليهم المن والسلوى (وفضلناهم على العالمين) حيث آتيناهم ما لم نؤت من عداهم من فلق البحر واظلال الغمام ونظائرهما (وآتيناهم بينات من الامر) أى أدلة على أمور الدنيا وعلى أمور الدين (فما اختلفوا) فى الامر (الا من بعد ما جاءهم العلم) ومجىء العلم لهم كان بمعرفة النبى صلى الله عليه وسلم (بغيا بينهم) أى حسدا منهم (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين بالجزاء (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) أى ثم اخترناك على طريقة واضحة من أمر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل ولا تتبع ما لا حجة عليه من أهواء الجهال وأديانهم المبنية على الاهواء قيل ان رؤساء قريش قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ارجع الى ملة آبائك فهم كانوا أفضل منك وأسن فأنزل الله تعالى هذه الآية (انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا) أى انك لو ملت الى أديانهم لصرت مستحقا للعذاب فهم لا يقدرون على دفع عذاب الله عنك (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض) أى ان الكافرين يتولى بعضهم بعضا

(هذا) أى هـذا القرآن (هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم) أى من عـذاب موجع وقوله (جميعا منه) أى كل ذلك منه تفضل واحسان (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) نزلت قبل الأمر بالقتال يقول قل لهم يصفحوا عن المشركين الذين لا يخافون وقائع الله وعقوبته (ليجزى قوما) أى ليجزيهم (بما كانوا يكسبون) أى من سوء أعمالهم وقوله (ورزقناهم من الطيبات) يعنى المن والسلوى (وآتيناهم بينات من الامر) أى أحكام التوراة وبيان أمر النبى صلى الله عليه وسلم (فما اختلفوا) فى نبوته (الا من بعد ما جاءهم العلم) يعنى ما عهدوه من شأنه (بغيا بينهم) أى حسدا منهم له (ثم جعلناك على شريعة) أى مذهب وملة (من الامر) أى من الدين (فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) أى مراد الكافرين (انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا) أى لن يدفعوا عنك عـذاب الله ان اتبعت أهواءهم

(هذا) اشارة الى القرآن (بصائر) أى معالم (للناس) أى فى الحدود والاحكام يبصرون بها (أم حسب الذين اجترحوا) أى اكتسبوا (السيآت) أى الكفر والمعاصى (أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم) أى مستويا حياتهم وموتهم يعنى ان المؤمن مؤمن حيا وميتا والكافر كافر حيا وميتا فلا يستويان (ساءما يحكمون) أى بئس مايقضون اذ حسبوا انهم كالمؤمنين نزلت هذه الآية حين قال المشركون لئن كان ماتقولون حقا لنفضلن عليكم فى الآخرة كما فضلنا عليكم فى الدنيا (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) يعنى الكافر اتخذ دينه مايهواه فلا يهوى شيأ الاركبه (وأضله الله على علم) أى على ماسبق فى علمه قبل ان يخلقه أنه ضال و باقى الاية مفسر فى سورة البقرة فى أولها (وقالوا) يعنى منكرى البعث (ماهى الاحيوتنا الدنيا) أى ما الحياة لاهذه الحياة فى دارالدنيا (نموت) نحن (ونحيا) أى أولادنا

فى الدنيا أمافى الآخرة فلاولى لهم ينفعهم فى ايصال الثواب وازالة العقاب (والله ولى المتقين) أى والله ناصر المهتدين (هذا) أى القرآن (بصائر للناس) فان مافيه من معالم الدين بمنزلة البصائر فى القلوب (وهدى) من ورطة الضلالة (ورحمة) عظيمة (لقوم يوقنون) أى يطلبون اليقين (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى أظن هؤلاء المكتسبون للسيئات ان نصيرهم فى الحكم والاعتبار وهم على مساوى الاحوال أمثال المؤمنين وهم فى محاسن الاعمال (سواء محياهم ومماتهم) وقرأ حمزة والكسائى وحفص بنصب سواء فهو حال من الضمير المستتر فى كالذين ومحياهم ومماتهم مرتفعان على الفاعلية والمعنى أحسب الكفاران نجعل المؤمنين كائنين مثلهم حال كون الكل مستويا محياهم ومماتهم كلا لايستوون فى شئ منهما فان هؤلاء فى شرف الايمان والطاعة فى المحيا وفى رضوان الله تعالى فى الممات وأولئك فى ذل الكفر والمعاصى فى المحيا وفى العذاب الخالد فى الممات وقرئ محياهم ومماتهم بالنصب على انهما ظرفان أى حال كون كل الفريقين مستويين فى محياهم ومماتهم وقيل انهما بدلان من الضمير المنصوب فى نجعلهم فيصير التقدير أن نجعل محياهم ومماتهم سواء وقرأ الباقون برفع سواء على انه خبر ومحياهم مبتدأ والجملة فى حكم المفرد فى محل النصب هو بدل من المفعول الثانى وهو الكاف (ساء مايحكمون) قال الكلبى ان عتبة وشيبة والوليد بن عتبة بارزوا يوم بدر عليا وحمزة وعبيدة بن الحرث فقتلوا أولئك وقالوا للمؤمنين والله ماأنتم على شئ ولو كان ماتقولون حقا لكان حالنا أفضل من حالكم فى الآخرة كما ان أفضل حالامنكم فى الدنيا فأنكر الله عليهم هذا الكلام وأنزل الله هذه الآية (وخلق الله السموات والارض بالحق) أى لاجل اظهار الحق (ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون) بنقص ثواب أو بزيادة عقاب والمعنى ان المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لايتم الا اذا حصل البعث والقيامة وحصل التفاوت فى الدرجات والدركات بين المحقين والمبطلين وقوله ولتجزى معطوف على بالحق لان معنى الباء هنا للتعليل أو معطوف على علة محذوفة والتقدير خلقها بالحق ليدل بها على قدرته ولتجزى الخ وجوز ابن عطية أن تكون هذه اللام لام الصيرورة أى وصار الامر من حيث اهتدى بها قوم وضل بها آخرون ولاوقف على قوله تعالى بالحق وعند أبى حاتم فالوقف عليه تام بجعل لام لتجزى لام قسم (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) أى أنظرت يا أشرف الخلق فرأيت من ترك متابعة الهدى وأقبل متابعة الهوى فكان يعبد الهوى فذلك من العجب وقرئ آلهته هواه لانه كلما مال طبعه الى شئ اتبعه فكأن اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها روى عن أبى رجاء العطاردى انه أدرك الجاهلية وهو ثقة مات سنة خمس ومائة وعمره مائة وعشرون سنة قال كنا نعبد الحجر فاذا وجدنا حجرا أحسن منه ألقيناه وأخذنا الآخر فاذا لم نجد حجرا جمعنا حشوة من تراب فحلبنا عليها ثم طفنا بها (وأضله الله على علم) وهذا اما حال من الفاعل أى عالما بأن جوهر روحه لايقبل الصلاح أو من المفعول والمعنى وأضله وهو عالم بالحق (وختم على سمعه وقلبه) فلايقبل المواعظ ولايتفكر فى النذر (وجعل على بصره غشاوة) أى غطاء مانعا عن الاعتبار وقرأ حمزة والكسائى غشوة بفتح الغين وسكون الشين والأعمش وابن مصرف بكسر الغين والباقون غشاوة بكسر الغين وابن مسعود والاعمش أيضا بفتحها وعبدالله بضمها (فمن يهديه من بعد الله) أى من بعد اضلال الله اياه وهذه الجملة مفعول ثان لرأيت (أفلا تذكرون) أى ألا تلاحظون فلاتذكرون وقرئ تتذكرون بالتاءين على الأصل (وقالوا) من غاية ضلالهم (ماهى الاحياتنا الدنيا) أى ما الحياة الا الحياة التى نحن فيها (نموت ونحيا) أى يصيبنا الموت

والحياة

والحياة في الدنيا وليس وراء ذلك حياة (ومايهلكنا الا الدهر) أي الامر ومر الزمان والمعنى أن تولد الاشخاص انما كان بسبب حركات الافلاك الموجبة لامتزاجات الطبائع واذا وقعت تلك الامتزاجات على وجه خاص حصلت الحياة واذا وقعت على وجه آخر حصل الموت فالموجب للحياة والموت تأثيرات الطبائع وحركات الافلاك ولا حاجة في هذا الباب الى اثبات الفاعل المختار فهذه الطائفة جمعوا بين انكار الاله والقيامة (ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) أي مالهم باقتصار الحياة على مافي الدنيا واستناد الحياة والموت الى الدهر مستند الى نقل أو عقل صحيح ماهم الا قوم أمرهم الظن والتقليد (واذا تتلى عليهم آياتنا) الدالة على قدرتنا (بينات) أي مبينات لما يخالف معتقدهم (ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) في أنا نبعث بعد الموت وحجتهم بالنصب خبر كان والا أن قالوا اسمها فالمعنى ما كان متمسكالهم على انكار البعث شيء من الاشياء الا هذا القول الباطل وهو قولهم لو صح ذلك البعث فأتوا بآبائنا الذين ماتوا ليشهدوا لنا بصحة البعث وقرئ برفع حجتهم على أنه اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شيأ من الاشياء الا هذا القول الباطل (قل الله يحييكم) ابتداء (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من أنكم تحيون وتموتون بحكم الدهر (ثم يجمعكم) احياء بعد الموت (الى يوم القيامة) للجزاء (لاريب فيه) أي في جمعكم فان من قدر على البدء قدر على الاعادة (ولكن أكثر الناس) وهم القائلون ماذكر (لايعلمون) ان دلالة حدوث الانسان وغيره تدل على وجود الاله الحكيم وان الله تعالى لما كان قادرا على الايجاد ابتداء وجب أن يكون قادرا على الاعادة ثانيا (ولله ملك السموات والارض) أي لله التصرف فيها كما أراد وله القدرة على جميع الممكنات فيلزم كونه تعالى قادرا على الاحياء في المرة الثانية (ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) أي وقت ملك يوم قيام الساعة يومئذ يظهر غبن المبطلين لان الحياة والعقل والصحة كلها رأس المال والتصرف فيها لطلب سعادة الآخرة يجري مجرى تصرف التاجر في رأس المال لطلب الربح والكفار قد أتعبوا أنفسهم في هذه التصرفات وما وجدوا منها الا الحرمان فكان ذلك في الحقيقة نهاية الخسران (وترى) أيها المخاطب (كل أمة) أي كل أهل دين (جاثية) أي مجتمعين لايخالطهم غيرهم وهو حال وقرئ جاذية أي جالسة على اطراف الاصابع فالوقف هنا حسن كالوقف على كتابها (كل أمة تدعى الى كتابها) أي الى قراءة صحائف أعمالها والعامة على رفع كل على الابتداء وقرأ يعقوب كل بالنصب على البدل من كل الاولى وتدعى حال أو صفة وعلى هذا فلا وقف على جاثية ويقال لهم حالة الدعاء (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) من خير أو شر (هذا كتابنا) أي كتب الملائكة الذي أمرناهم بكتبه (ينطق عليكم بالحق) خبران أي شهد عليكم بما عملتم من غير زيادة ونقصان (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أي انا كنا نأمر الملائكة باثبات أعمالكم في الكتابة وورد في الحديث أن الملك اذا صعد بالعمل يؤمر بالمقابلة على ما في اللوح (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم) في ذلك اليوم (ربهم في رحمته) أي في جنته (ذلك) أي الادخال في رحمته (هو الفوز المبين) أي الظاهر لخلوص الجنة من الاكدار (وأما الذين كفروا) فيقال لهم بطريق التوبيخ (ألم تكن آياتي تتلى عليكم) أي ألم تأتكم رسلي في الدنيا فلم تكن آياتي تقرأ عليكم (فاستكبرتم) عن الايمان بتلك الآيات (وكنتم قوما مجرمين) أي مذنبين باصرار الكفر (واذا قيل) لكم أي وكنتم اذا قيل لكم أيها الكفار من أي قائل كان (ان وعد الله) بالثواب والعقاب (حق) أي واقع بلا شك وقرأ الأعرج وعمرو بن فائد بفتح الهمزة على اجراء القول مجرى الظن (والساعة لاريب فيها) وقرأ حمزة بالنصب عطف على وعد الله أي وان الساعة آتية لاشك في وقوعها والباقون بالرفع على

(ومايهلكنا الا الدهر) أي ما يفنينا الا مر الزمان (ومالهم بذلك) الذي يقولون (من علم ان هم الا يظنون) أي ماهم الا ظانين مايقولون (واذا تتلى عليهم آياتنا) أي أدلتنا في قدرتنا على البعث (بينات) أي واضحات (ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) انا نبعث بعد الموت وقوله (ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه) أي في ذلك اليوم (وترى كل أمة) أي أهل دين (جاثية) أي مجتمعة للحساب وقيل جالسة على الركب من هول ذلك اليوم (هذا كتابنا ينطق) يعني ديوان الحفظة (انا كنا نستنسخ) أي نأمر بنسخ (ما كنتم تعملون

الابتداء والمعنى وقيل والساعة لاريب فيها قال الاخفش والرفع أجود في المعنى وأكثر في كلام العرب اذا جاء بعد خبر ان لانه كلام مستقل بنفسه بعد مجيء الكلام الاول بتمامه (قلتم ماندرى ما الساعة) أى أى شئ هى نكارا لها (ان نظن الاظنا) أى ماتقول فى أمر الساعة كما قلتم الا الظن لامكانه (وما نحن بمستيقنين) بقيام الساعة والقوم كانوا فى أمر البعث فرقتين فرقة جازمة بنفيه وهم المذكورون فى قوله تعالى ان هى الا حياتنا الدنيا وفرقة كانت تشك وتتحير فيه لكثرة ما سمعوه من الرسل عليهم الصلاة والسلام ولكثرة ما سمعوه من دلائل القول بصحته وهم المذكورون فى هذه الآية (وبدا لهم سيآت ما عملوا) أى ظهر لهم فى الآخرة سيآت أعمالهم فى الدنيا فتصورت لهم بصورة هائلة فيعرفوا مقدار جزائها (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أى أحاط بهم عقوبة استهزائهم بالرسل (وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أى قيل لهم اليوم نترككم فى العذاب كما تركتم الاقرار بهذا اليوم والعدة للقائه (ومأواكم النار) أى ومستقركم نار جهنم (ومالكم من ناصرين) أى ومالكم أحد يخلصكم منها (ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا) أى ذلكم العذاب العظيم بسبب استهزائكم بآيات الله وغروركم بما فى الحياة الدنيا وحسبانكم أن لا حياة سواها (فاليوم لا يخرجون منها) أى من النار وقرأ حمزة والكسائى بفتح الياء وضم الراء والباقون بضم الياء وفتح الراء (ولاهم يستعتبون) أى ولا يطلب منهم أن يرضوا ربهم بالتوبة لفوات أوانه (فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) أى فاحمدوا الله الذى هو خالق كل العالمين من الاجسام والارواح والذوات والصفات فان هذه الربوبية توجب الحمد على كل أحد من المخلوقين وقرأ العامة رب فى الثلاثة بالجر وقرئ بالرفع على المدح باضمار هو (وله الكبرياء فى السموات والارض) وهذا اشارة الى أن التكبير لا بد وان يكون بعد التحميد واشارة الى وجوب كون الحامدين أن يعرفوا أنه تعالى أكبر من حمد الحامدين وان عطاياه أجل من شكر الشاكرين وان الكبرياء له تعالى لا لغيره تعالى (وهو العزيز الحكيم) أى هو الذى يغلب كل شئ الذى يضع الاشياء فى مواضعها

﴿سورة الاحقاف مكية الاقل أرأيتم ان كان من عند الله الآية والاثلاث آيات من قوله تعالى ووصينا الانسان الى قوله تعالى فيقول ماهذا الا أساطير الاولين وهى أربع وثلاثون آية وستمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز) أى القوى بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) أى المتقن للامور (ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) أى الا لأجل الفضل والرحمة والاحسان (وأجل مسمى) أى والا لأجل مسمى أى الا لوقت معين لافناء الدنيا فان اله العالم ما خلق هذا العالم ليبقى مخلدا سرمدا بل انما خلقه ليكون دار العمل فيقع الجزاء فى الدار الآخرة ولو لم توجد القيامة لتعطل استيفاء حقوق المظلومين من الظالمين ولتعطل توفية الثواب على المطيعين وتوفية العقاب على الكافرين (والذين كفروا عما أنذروا) أى خوفوا به من يوم القيامة (معرضون) فلا يؤمنون به ولا يستعدون له (قل) توبيخا لهم (أرأيتم ما تدعون من دون الله) أى اخبرونى ما تعبدون من الاوثان وقرئ أرأيتكم (أرونى ماذا خلقوا من الارض) أى اخبرونى أى شئ خلقته الاوثان مما فى الارض (أم لهم شرك) فأم بمعنى الهمزة أى ألهم شركة مع الله تعالى (فى السموات) أى فى خلقها أو ملكها (ائتونى بكتاب من قبل هذا) أى كتاب دال على صحة دينكم كائن من قبل هذا القرآن الناطق بالتوحيد وابطال الشرك (أو أثارة من علم) أى أو بمنقولة عن الانبياء من علم سوى ماجاء فى

وقيل اليوم ننساكم) أى نترككم فى العذاب كما تركتم الايمان والعمل ليومكم هذا وقوله (ولاهم يستعتبون) أى لا يلتمس منهم عمل ولا طاعة (وله الكبرياء) العظمة فى السموات والارض) أى انه يعظم بالعبادة فى السموات والارض (وهو العزيز الحكيم)

﴿تفسير سورة الاحقاف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) أى المحق ولاقامة الحق (وأجل مسمى) يعنى عند انقضاء ذلك الاجل (والذين كفروا عما أنذروا معرضون) أعرضوا بعد ما قامت عليهم الحجة بخلق السموات والارض ثم طالبهم بالدليل على عبادة الاوثان فقال (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك فى السموات) أى مشاركة مع الله فى خلقها لذلك أشركتموهم فى عبادته (ائتونى بكتاب من قبل هذا) أى من قبل القرآن فيه بيان ما تقولون (أو أثارة من علم) أى رواية عن الانبياء أنهم أمروا بعبادة غير الله فاما قامت عليهم الحجة بجعلهم أضل الخلق فقال

الكتب وقرأ علي وابن عباس وزيد بن علي وعكرمة أثرة دون ألف وقرأ الكسائي أثرة بضم الهمزة وكسرها مع سكون الثاء وقتادة والسلمي بفتح فسكون أي أو ائتوني بخبر واحد يشهد بصحة قولكم (ان كنتم صادقين) في دعواكم (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة) أي لا امرأ أبعد عن الحق وأقرب الى الجهل ممن يعبد الاصنام وهي اذا دعيت لا تصح منها الاجابة لا في الحال ولا بعده الى يوم القيامة وانما جعل غاية لانه قيل ان الله تعالى يحييها يوم القيامة وتقع بينها وبين من يعبدها مخاطبة (وهم عن دعائهم غافلون) أي والاصنام عن دعاء من يعبدهم لا يسمعون (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) أي واذا قامت القيامة وحشر الناس كانت هذه الاصنام تعادي هؤلاء العابدين (وكانوا بعبادتهم كافرين) أي وكانت الاصنام مكذبين بكونهم معبودين يقولون انهم انما عبدوا في الحقيقة أهواءهم لانها الآمرة لهم بالاشراك (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) أي واذا يتلى على كفار أهل مكة القرآن واضحا قالوا من غير تأمل في شأن القرآن حين جاءهم هذا المتلو خيال ظاهر بطلانه (أم يقولون افتراه) أي بل أيقولون افترى محمد القرآن من عند نفسه (قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيأ) أي قل لهم يا أشرف الخلق ان اختلقت القرآن من تلقاء نفسي كما تقولون فان الله تعالى يعاجلني بالعقوبة حينئذ وأنتم لا تقدرون على دفعه عني معاجلته اياي بالعقوبة فكيف أجترئ على هذه الفرية وأعرض نفسي للعقوبة (هو أعلم بما تفيضون فيه) أي عالم بما تتكلمون فيه من التكذيب بالقرآن وتسميته سحرا تارة وفرية تارة أخرى (كفى به شهيدا بيني وبينكم) أي كفى بالله شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم الكذب والانكار أو كفى بالقرآن شهيدا بيني وبينكم وقد شهد بصدقي وبعجزكم عن معارضة شئ منه (وهو الغفور) لمن رجع عن الكفر (الرحيم) بعباده فلم يعاجلكم بالعقوبة مع عظم ما ارتكبتموه من الذنوب (قل ما كنت بدعا من الرسل) أي قل يا أكرم الرسل لهم لست أول رسول فلا ينبغي أن تنكروا اخباري بأني رسول الله اليكم مع ان صفتي كصفة من سبق من الرسل ولا أن تنكروا دعائي لكم الى التوحيد ونهيي لكم عن عبادة الاصنام فان كل الرسل انما بعثوا بهذا الطريق وقرأ عكرمة وأبو حيوة وابن أبي عبلة بدعا بفتح الدال وقرأ أبو حيوة ومجاهد بفتح الباء وكسر الدال (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) أي ما أدري ما يفعل بي أأموت أم أقتل كما قتل الانبياء قبلي ولا أدري ما يفعل بكم أيها المكذبون أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم أم يفعل بكم ما فعل بسائر الأمم المكذبين قبلكم (ان أتبع الا ما يوحى الي) أي ما أفعل الا اتباع ما يوحى الي وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب وقال ابن عباس في رواية الكلبي لما اشتد البلاء بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بمكة رأى في المنام أنه يهاجر الى أرض ذات نخل وشجر وماء فقصها على أصحابه فاستبشروا بذلك ورأوا ان ذلك فرج مما هم فيه من أذى المشركين ثم انهم مكثوا برهة من الدهر لا يرون أثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما رأينا الذي قلت ومتى تهاجر الى الارض التي رأيتها في المنام فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى وما أدري ما يفعل بي ولا بكم وهو شيء رأيته في المنام وانا لا أتبع الا ما أوحاه الله الي اه وقرأ ابن أبي عبلة وزيد بن علي ما نفعل مبنيا للفاعل أي الله تعالى وقرئ ما يوحى على البناء للفاعل (وما أنا الا نذير مبين) أي انهم كانوا يطالبونه صلى الله عليه وسلم بالمعجزات العجيبة وبالاخبار عن الغيوب فقال تعالى قل وانما أنذركم عقاب الله على حسب ما يوحى الي من الله تعالى وليس القادر على الاعمال الخارجة عن قدرة البشر والعالم بالغيوب الا الله (قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم) أي قل يا أشرف الخلق

(ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة) أي أبدا (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) أي عادوا معبوديهم لانهم بسببها وقعوا في الهلكة وجحد المعبودون عبادتهم وهو قوله (وكانوا بعبادتهم كافرين) كقوله تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون وقوله (قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيأ) أي ان عذبني على افترائي فلا تملكوا دفعه واذا كنتم كذلك لم أفتر على الله من أجلكم (هو أعلم بما تفيضون فيه) أي تخوضون فيه من الافك (وهو الغفور) لمن تاب (الرحيم) به (قل ما كنت بدعا) أي بديعا (من الرسل) أي لست بأول مرسل فتنكروا نبوتي (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) أي الى أي شيء يصير أمري معكم أتقتلونني أم تخرجونني وقوله ولا بكم أي أتعذبون بالخسف أم بالحجارة والمعنى لا أدري الى ماذا يصير أمري وأمركم في الدنيا (قل أرأيتم ان كان) القرآن (من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل) هو عبد الله بن سلام (على مثله) أي على مثل ما شهد عليه القرآن من تصديق محمد صلى الله عليه وسلم (فآمن) ذلك الرجل (واستكبرتم) أي عن الايمان

لليهود اخبروني يامعشر اليهود ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل هو عبدالله بن سلام على صفة القرآن من كونه من عند الله وكونه معجز الخلق عن معارضته فآمن هذا الشاهد بالقرآن وتكبرتم يامعشر اليهود عن الايمان به ألستم كنتم ظالمين أنفسكم (ان الله لايهدي القوم الظالمين) روى أنس انه لما سمع عبدالله بن سلام بمجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه فنظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق انه هو النبي المنتظر فقال له اني سائلك عن ثلاث لايعلمهن الا نبي ماأول اشراط الساعة وماأول طعام يأكله أهل الجنة وماينزع الولد الى أبيه أو أمه فقال صلى الله عليه وسلم اماأول شراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب وأماأول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزع له واذا سبق ماء المرأة نزع لها فقال أشهد انك لرسول الله حقا ثم قال يارسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أي رجل عبدالله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا فقال أرأيتم ان أسلم عبدالله فقالوا أعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبدالله فقال أشهد أن لااله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا اشرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت أخاف يارسول الله قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على الارض انه من أهل الجنة الا لعبدالله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله (وقال الذين كفروا) بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع (للذين آمنوا) أي لاجل اسلام من أسلم وهم جهينة ومزينة وأسلم وغفار (لوكان خيرا ماسبقونا اليه) أي ان الكفار لما سمعوا ان جماعة آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبوا جماعة من المؤمنين الحضرين وقالوا لهم زعما منهم ان الرئاسة الدينية مماينال بأسباب دنيوية لوكان هذا الدين خيرا لماسبقنا اليه أولئك الاراذل فان أكثرهم فقراء وموال ورعاة (واذلم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم) أي واذلم يهتدوا بالقرآن وظهر عنادهم فسيقولون هذا القرآن كذب قديم ولم يكتفوا بنفي خيريته (ومن قبله كتاب موسى) أي قالوا ذلك والحال انه كان كتاب موسى من قبل القرآن أي كيف يصح كون القرآن افكا قديما وقد رجعوا الى حكم كتاب موسى وقرئ ومن قبله كتاب موسى أي وآتينا من قبل محمد التوراة (اماما) أي قدوة يقتدى به في دين الله تعالى وشرائعه (ورحمة) من الله تعالى لمن آمن به وعمل بمافيه (وهذا) أي القرآن (كتاب مصدق) لكتاب موسى في ان محمدا رسول الله (لسانا عربيا) حال من كتاب وقيل مفعول لمصدق على حذف مضاف أي مصدق ذالسان عربي وهو النبي صلى الله عليه وسلم (لينذر الذين ظلموا) أي لينذر ذلك الكتاب مشركي مكة وقرأ نافع وابن عامر بالتاء لخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (وبشرى للمحسنين) أي المؤمنين بأن لهم الجنة وهو في محل نصب معطوف على محل لينذر لانه مفعول له أو في محل رفع معطوف على مصدق أو كتاب ولايوقف على ظلموا امااذا جعل مبتدا وخبره للمحسنين فالوقف على ظلموا كاف (ان الذين قالوا ربنا الله) وحده (ثم استقاموا) على أداء فرائض الله تعالى واجتناب معاصيه (فلاخوف عليهم) من لحوق مكروه (ولاهم يحزنون) من فوات محبوب أي ان الذين جمعوا بين التوحيد والاستقامة في أمور الدين فهم يوم القيامة آمنون من الاهوال وزائل عنهم خوف العقاب أما خوف الجلال والهيبة فلايزول عن العبد البتة (أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) في الدنيا (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) وقرأ عاصم وحمزة والكسائي احسانا وهو قراءة ابن عباس أي أمرناه بأن يوصل اليهما احسانا وهو ضد الاساءة والباقون حسنا بضم فسكون

(وقال الذين كفروا) من اليهود (لوكان) دين محمد صلى الله عليه وسلم (خيراما سبقونا اليه) يعنون عبد الله بن سلام وأصحابه (واذ لم يهتدوا به) أي بالقرآن كما اهتدى به أهل الايمان (فسيقولون هذا افك قديم) كما قالوا أساطير الاولين (ومن قبله) أي ومن قبل القرآن (كتاب موسى) يعني التوراة (اماما ورحمة وهذا كتاب) يعني القرآن (مصدق) أي مصدق لما بين يديه لما تقدمه من الكتب (لسانا عربيا) نصب على الحال وقوله

أي أمرناه بأن يوصل إليهما فعلا حسنا وهو ضد القبيح أي فعلا ذا حسن وقرئ بضم الحاء والسين وقرأ عيسى والسلمي بفتحهما نزلت هذه الآية في عبد الرحمن وفي أبيه وأمه وهما أبو بكر الصديق وأم رومان وقالت عائشة نزلت في خلال بن قلال (حملته أمه) في بطنها (كرها) أي على مشقة (ووضعته كرها) أي في مشقة قرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر وابن ذكوان بضم الكاف والباقون بالفتح (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) أي ومدة حمله ورضاعه ثلاثون شهرا فإن أقل مدة الحمل ستة أشهر وإن مدة إتمام الرضاع أربعة وعشرون شهرا ولما كان الرضاع يليه الفصال لأنه يتم به سمي فصالا (حتى إذا بلغ أشده) وقرئ إذا استوى وبلغ أشده (وبلغ أربعين سنة) والأصح أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق وأبيه عثمان بن عامر وأمه أم الخير سلمى بنت صخر وذلك أن أبا بكر صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبي ابن عشرين سنة في تجارة إلى الشام فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة أكرمه الله تعالى بالنبوة واختصه بالرسالة فآمن به أبو بكر الصديق وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ثم أسلم أبواه وأسلم ابنه عبد الرحمن ثم ابنه محمد كلهم أدركوا النبي ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله أسلم هو وأبواه وأولاده وبناته كلهم إلا أبو بكر ووالده أبو قحافة وأمه سلمى بنت صخر فلما بلغ أبو بكر أربعين سنة دعا ربه و(قال رب أوزعني) أي ألهمني ووفقني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت) بها (علي وعلى والدي) وهي نعمة الدين قال الذين قالوا إن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق إن أبا بكر أسلم والداه ولم يتفق لأحد من الصحابة والمهاجرين إسلام الأبوين إلا له (وأن أعمل صالحا ترضاه) قال ابن عباس فأجاب الله دعاء أبي بكر فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله ولم يترك شيأ من الخير إلا أعانه الله عليه (وأصلح لي في ذريتي) أي واجعل الصلاح راسخا في ذريتي قال ابن عباس لم يبق لأبي بكر ولد من الذكور والإناث إلا وقد آمنوا (إني تبت إليك) عما يشغلني عن ذكرك (وإني من المسلمين) الذين أخلصوا لك أنفسهم (أولئك) أي أهل هذا القول (الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا) من الطاعات فالمباح حسن لا يثاب عليه (ونتجاوز عن سيئاتهم) وقرأ الأخوان وحفص الفعلين بفتح النون والباقون بياء مضمومة ببنائهما للمفعول ورفع أحسن وقرأ الحسن والأعمش وعيسى بياء مفتوحة فيهما والفاعل الله تعالى (في أصحاب الجنة) أي كائنين في جملتهم (وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) أي وعدهم الله وعدا صادقا في الدنيا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم (والذي قال لوالديه) عند دعوتهما له إلى الإيمان (أف لكما) أي قذرا لكما وقرئ أف بفتح الفاء وكسرها بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين لكن القراآت السبعية ثلاثة كسر الفاء مع التنوين وتركه وفتحها من غير تنوين وهو صوت إذا صوت الإنسان به علم أنه متضجر كما إذا قال حس علم أنه متوجع واللام في لكما لبيان المؤفف له معناه هذا التأفيف لأجلكما خاصة دون غيركما (أتعدانني أن أخرج) أي أن أبعث من القبر وقرأ هشام بإدغام النون الأولى في الثانية وقرأ بعضهم بفتح النون كأنه استثقل اجتماع النونين والكسرين والياء ففتح الأولى تحريا للتخفيف وقرئ أن أخرج بفتح الهمزة وضم الراء (وقد خلت القرون من قبلي) أي وقد مضت الأمم من قبلي ولم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) أي والداه يدعوان الله أو يستغيثان بالله من كفره وإنكاره للبعث قائلين له (ويلك) وهو دعاء بالهلاك والمراد به التحريض على الإيمان (آمن) أي صدق بالبعث (إن وعد الله) بالبعث بعد الموت (حق) أي كائن وقرئ أن بفتح الهمزة أي آمن بأن وعد الله حق (فيقول) مكذبا لهما (ما هذا إلا أساطير الأولين) أي ما هذا الذي تسميانه وعد الله إلا أكاذيب الأولين التي كتبوها في كتبهم من غير أن يكون لها حقيقة (أولئك الذين حق عليهم القول) أي ثبتت عليهم كلمة العذاب (في أمم

أقل الحمل ستة أشهر والفصال الفطام ويكون ذلك بعد حولين (حتى إذا بلغ أشده) أي غاية شبابه وهي ثلاث وثلاثون سنة (وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني) الآية نزلت في أبي بكر رضي الله عنه وذلك أنه لما بلغ أربعين سنة آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وآمن أبواه فذلك قوله (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي) أي بالإيمان (وأصلح لي في ذريتي) بأن تجعلهم مؤمنين فاستجاب الله في أولاده فأسلموا ولم يكن أحد من الصحابة أسلم هو وأبواه وبنوه وبناته إلا أبو بكر (والذي قال لوالديه) نزلت في كافر عاق قال لوالديه (أف لكما أتعدانني أن أخرج) من قبري حيا (وقد خلت القرون من قبلي) فلم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) يعني والديه يستغيثان الله على ابن ولدهما ويقولان له (ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا) الذي تدعونني إليه (إلا أساطير الأولين أولئك الذين) أي من كان بهذه الصفة فهم الذين (حق عليهم القول) أي وجب عليهم العذاب (في أمم) كافرة

قد خلت) أي مرت أمم قد مضت (من قبلهم من الجن والانس) أي من كفارهم (انهم كانوا خاسرين) أي قد ضيعوا أعمارهم في الضلال قال ابن عباس والسدي نزلت قوله تعالى والذي قال الى آخره في عبد الله بن أبي وقيل في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل اسلامه كان أبواه يدعوانه الى الاسلام فابى وقال أف لكما فلما أسلم وحسن اسلامه وصار من أفاضل المسلمين فالذين قالوا والمراد بقوله تعالى والذي قال لوالديه أف كل عاق لوالديه فاجر لربه قالوا ان الوعيد في قوله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول الآية مخصص بهم فاسم الاشارة عائد الى القائلين هذه المقالات الباطلة أما من قال المراد بنزول الآية سيدنا عبد الرحمن ابن سيدنا أبي بكر فيقولون ان اسم الاشارة عائد الى القرون التي قبله فالمراد أجداده والوعيد عليهم كان له جدان ماتا في الجاهلية جدعان وعثمان ابنا عمرو (ولكل درجات مما عملوا) أي ولكل واحد من الفريقين درجات من الايمان والطاعة والكفر والطاعة قال ابن زيد درج أهل الجنة يذهب علوا ودرج أهل النار ينزل هبوطا (وليوفيهم أعمالهم) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام وعاصم بالياء التحتية أي وجازاهم الله بذلك ليوفيهم أجزية أعمالهم والباقون بالنون أي ونجازيهم لنوفيهم جزاء أعمالهم (وهم لا يظلمون) بنقص ثواب الاولين وزيادة عقاب الآخرين قدر الله جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) أي يعذبون بالنار فيقال لهم (أذهبتم) قرأ ابن كثير بهمزة ومدة وابن عامر بهمزتين بلا مد وهشام بهمزتين ومد بينهما والباقون بهمزة محققة (طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) أي قد أخذتم ما قدر لكم من الراحات في الدنيا وتمتعتم باللذات واتبعتم الشهوات فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم في الدنيا شيء منها في الآخرة (فاليوم تجزون عذاب الهون) أي بالعذاب الشديد وقرئ عذاب الهوان (بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) أي بسبب استكباركم بغير استحقاق لذلك أو بسبب خروجكم عن طاعة الله تعالى فالترفع ذنب القلب والفسق ذنب الجوارح (واذكر) يا أكرم الرسل لكفار مكة (أخا عاد) هود بن عبد الله بن رباح (اذ أنذر قومه) بدل اشتمال أي وقت حذرهم عقاب الله ان لم يؤمنوا (بالاحقاف) أي نازلين على رمال مشرفة على البحر في أرض الشحر من بلاد اليمن وقال ابن عباس هو واد بين عمان ومهرة (وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) أي وقد مضت الرسل من قبل هود ومن بعده (أن لا تعبدوا الا الله) وهذا تفسير للانذار وانما كان هذا انذارا لان النهي عن الشيء تخويف من مضرته أي صورة انذار هود ان قال لا تعبدوا الخ فان مخففة من الثقيلة وان التصويرية مقدرة معها ولا ناهية (اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) أي هائل بسبب شرككم (قالوا أجئتنا) يا هود (لتأفكنا عن آلهتنا) أي لتصرفنا عن عبادة آلهتنا (فأتنا بما تعدنا) من معاجلة العذاب على الشرك (ان كنت من الصادقين) في وعدك بنزول العذاب بنا (قال) لهم هود (انما العلم عند الله) أي لا علم لي بوقت عذابكم انما علم وقت اتيان العذاب عند الله تعالى (وأبلغكم ما أرسلت به) من التحذير عن العذاب وأما العلم بوقته فما أوحاه الله الي وأما الاتيان بالعذاب فليس بمقدوري بل هو من مقدورات الله تعالى وقرأ أبو عمرو بسكون الباء (ولكني أراكم قوما تجهلون) حيث تصرون على طلب العذاب فان لم يظهر لكم كوني صادقا لم يظهر لكم كوني كاذبا [illegible] على طلب العذاب جهل عظيم (فلما رأوه) أي رأوا ما يوعدون به (عارضا) أي سحابا [illegible] بدل من الضمير لعائد الى ما في بما تعدنا (مستقبل أوديتهم) أي سائرا الى [illegible] (قالوا هذا عارض ممطرنا) أي هذا الذي نراه سحاب يأتينا بالمطر قال هود وليس الامر كذلك (بل هو ما استعجلتم به) من العذاب (ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها) أي تهلك

من المؤمنين والكافرين (درجات) أي منازل ومراتب في الثواب والعقاب (مما عملوا ويوم يعرض الذين كفروا على النار) فيقال لهم (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) ولذلك أنهم يفعلون ما يشتهون لا يتوقون الحرام ولا يجتنبون المآثم (فاليوم تجزون عذاب الهون) أي الهوان الآية (واذكر أخا عاد) يعني هودا (اذ أنذر قومه بالاحقاف) [illegible] (وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) أي قد أنذروا بالذنب [illegible] عبدوا غيرا قبل انذار هود وبعده (قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا) أي [illegible] (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) قال انما العلم عند الله) هو يعلم متى يأتيكم العذاب (وأبلغكم ما أرسلت به) ولكني أراكم قوما تجهلون) باستعجالكم حين أدلكم على الرشاد وأنتم معرضون (فلما رأوه) أي السحاب (عارضا [illegible]

[illegible] طرح عليه [illegible] الله (بل هو ما استعجلتم به) من العذاب (تدمر) أي تهلك (كل شيء) مرت به من الرجال والدواب

كل شئ من الناس والحيوان والنبات بقدرة الله تعالى لا جل تعذيبكم وروى ان هود الما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع فكانت الريح التي تصيبهم ريحا لينة هادئة باردة والريح التي تصيب قوم عاد ترفعهم من الارض وتطير بهم الى السماء وتضربهم على الارض وروى انهم رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم يطير به الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وأحال الله عليهم الرمال فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفتها الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر (فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم) أى فصاروا بعد الهلاك لا ترى الا آثار مساكنهم وقرأ حمزة وعاصم يرى بضم الياء التحتية ورفع مساكنهم والباقون لا ترى بفتح تاء الخطاب ونصب مساكنهم أى لا ترى أنت أيها المخاطب وقرأ الجحدرى والاعمش وابن أبي اسحق والسلمى وأبو رجاء بضم التاء الفوقية ورفع مساكنهم (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء الهائل (نجزى القوم المجرمين) وهذا تخويف لكفار مكة (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) أى ولقد قررنا عادا في أمر عظيم لم نقرركم يا أهل مكة فيه من قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال ومع ذلك ما نجوا من عقاب الله فكيف يكون حالكم (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ) أى وأعطيناهم سمعا فما استعملوه في سماع الدلائل وأبصارا فما استعملوها في تأمل العبر وأفئدة فما استعملوها في طلب معرفة الله تعالى بل صرفوا كل هذه القوى الى طلب الدنيا ولذاتها فما دفع عنهم هذه القوى شيأ من عذاب الله تعالى (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) أى لاجل انهم كانوا ينكرون دلائل الله تعالى (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أى ونزل بهم العذاب الذى كانوا يطلبونه بطريق الاستهزاء (ولقد أهلكنا ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) كحجر ثمود وعاد وأرض سدوم وسبأ ومدين والايكة وقوم لوط وفرعون وأصحاب الرس (وصرفنا الآيات) أى كررناها لهم (لعلهم يرجعون) أى لكى يرجعوا عن الكفر والمعاصى (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) أى فهلا خلصهم من العذاب الاصنام التى اتخذوها آلهة حال كونها متقربا بها الى الله تعالى (بل ضلوا عنهم) أى بل غابوا عنهم فتبين عجز آلهتهم لهم أمر مجيء (وذلك افكهم وما كانوا يفترون) وذلك أى امتناع نصرهم أثر كذبهم الذى هو اتخاذهم الاصنام آلهة وأثر افترائهم الكذب على الله تعالى في اثبات الشركاء له تعالى وقرأ ابن عباس افكهم بفتح الهمزة والكاف والفاء وقرأ عكرمة والصباح أفكهم على صيغة الماضى أى وذلك الاتخاذ الذى هو صيانة آلهتهم عنهم ثمرته صرفهم عن الحق وقرأ أبو عياض وعكرمة أيضا فكهم بتشديد الفاء وابن الزبير وابن عباس أيضا آفكهم بمد الهمزة أى جعلهم آفكين وقرأ ابن عباس أيضا آفكهم على صيغة اسم الفاعل بمعنى صارفهم (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن) أى واذكر لقومك وقت صرفنا اليك جماعة كائنة من جن نصيبين في الجزيرة وهى بين الشام والعراق (يستمعون القرآن فلما حضروه) أى القرآن أو الرسول (قالوا) أى قال بعضهم لبعض (أنصتوا) أى اسكتوا لاستماعه روى أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لامر حدث فنهض سبعة نفر من أشراف جن نصيبين منهم زوبعة فسافروا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادى نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلى فاستمعوا لقراءته وذلك عند رجوعه من الطائف وذلك في السنة الحادية عشرة من النبوة (فلما قضى) أى فرغ عن تلاوة القرآن وقرأ أبو مجلز وحبيب بن عبيد قضى بالبناء للفاعل أى أتم الرسول قراءته (ولوا) أى رجعوا (الى قومهم منذرين) وروى محمد بن جرير الطبرى عن ابن عباس أن أولئك الجن كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى

(فأصبحوا لا ترى) أشخاصهم (الا مساكنهم) لان الريح أهلكتهم وفرقتهم وبقيت مساكنهم خالية (ولقد مكناهم فيما) من القوة والعمر والمال (فيما ان مكناكم فيه) أى في الذى ما مكناكم فيه (ولقد أهلكنا ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) كحجر ثمود وقرى قوم لوط (وصرفنا الآيات) أى بينا الدلالات (لعلهم يرجعون) يعنى الامم المهلكة (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) يعنى الاوثان التي اتخذوها آلهة يتقربون بها الى الله (بل ضلوا عنهم) أى بطلوا عند نزول العذاب (وذلك افكهم) ... [illegible]

عليه وسلم رسلا الى قومهم (قالوا) عند رجوعهم الى قومهم (ياقومنا انا سمعنا كتابا) أى قرآنا يقرأ (أنزل من بعد موسى) روى عن عطاء والحسن انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا وعن ابن عباس أن الجن ما سمعت أمر عيسى عليه السلام (مصدقا لما بين يديه) أى لما قبله من كتب الانبياء (يهدى الى الحق) من العقائد (والى طريق مستقيم) أى موصل الى المقصود وهى الاعمال الصالحة (ياقومنا أجيبوا داعى الله) محمدا صلى الله عليه وسلم أو كتابه (وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم) أى يغفر الله بعض ذنوبكم وهو حق الله تعالى وحق الحربيين فهو يغفر بمجرد اسلام الظالم ولا يتوقف على الاستحلال من المظلوم الحربى أما مظالم العباد غير الحربيين فلا تغفر الا برضا أصحابها وهذه الآية تدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن كما كان مبعوثا الى الانس قال مقاتل ولم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله صلى الله عليه وسلم (ويجركم من عذاب أليم) أى ويمنعكم الله من عذاب أليم معد للكفرة قال ابن عباس فاستجاب لهم من قومهم نحو سبعين رجلا من الجن فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافوه فى البطحاء فقرأ عليهم القرآن وأمرهم ونهاهم (ومن لا يجب داعى الله) محمدا أو من يبلغ عنه (فليس بمعجز) له تعالى (فى الارض) بهرب وان هرب كل مهرب من أقطارها أو دخل فى أعماقها (وليس له من دونه) أى من غير الله (أولياء) أى أنصار يدفعون عنه العذاب بالاستشفاع له أو الافتداء به (أولئك) أى من لا يجيبون داعى الله (فى ضلال مبين) أى ظاهر وهذا آخر كلام الجن الذين سمعوا القرآن (أولم يروا) أى ألم يتفكر كفار مكة ولم يعلموا علما جازما (أن الله الذى خلق السموات والارض) ابتداء من غير مثال (ولم يعى) أى لم يتعب (بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى) وانما جاز ادخال الباء على خبر ان لانه فى تأويل خبر ليس فكأنه قيل أليس الله بقادر ولذلك أجيب عنه بقوله تعالى (بلى) هو قادر على احياء الموتى (انه على كل شئ قدير) فان تعلق الروح بالجسد أمر ممكن اذ لو لم يكن ممكنا فى نفسه لما وقع أولا والله تعالى قادر على جميع الممكنات فوجب كونه تعالى قادرا على اعادة الروح الى الجسد (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) أى يوم يعذبون بالنار يقال لهم (أليس هذا) أى العذاب (بالحق) أى بالعدل (قالوا بلى وربنا) انه الحق أكدوا جوابهم بالقسم كأنهم يطمعون فى الخلاص من العذاب بالاعتراف بحقية عذاب النار كما فى الدنيا وانى لهم ذلك (قال) الله لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أى بسبب كفركم فى الدنيا (فاصبر) أى اذا كان عاقبة أمر الكفار ما ذكر فاصبر على أذى قومك (كما صبر أولو العزم من الرسل) أى كما صبر أصحاب الشرائع الذين اجتهدوا فى تقريرها وصبروا على تحمل مشاق معاداة الطاعنين فيها وهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقد ذكرهم الله على التعيين فى قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وفى قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك الآية (ولا تستعجل لهم) أى لكفار مكة بالعذاب فانه نازل بهم لا محالة (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار) أى وعند نزول العذاب بهم فى الآخرة يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبونها ساعة من نهار لطول مدة العذاب وطول ما عاينوه من شدة العذاب والمعنى أنهم اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم فى الدنيا والبرزخ كأنه ساعة يسيرة من النهار أو كأنه لم يكن (بلاغ) أى هذا الذى وعظتم به كفاية فى الموعظة أو هذا القرآن كفاية فيها وقرأ زيد بن على والحسن وعيسى بلاغا نصبا اما على المصدر أى بلغ أيها الرسول بلاغا كما يؤيده قراءة أبى مجلز بلغ أمرا واما على النعت لساعة وقرأ الحسن أيضا بلاغ بالجر على أنه وصف لنهار على حذف مضاف أى ذى بلاغ أى أجل (فهل يهلك الا القوم الفاسقون) أى فلا يهلك بالعذاب الا الخارجون عن الاتعاظ

(ولم يعى بخلقهن) أى لم يضعف عن ابدائهن (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) أى ذوالرأى والجد وكلهم أولو العزم الا يونس وقيل هم أصحاب الشرائع نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم منهم (ولا تستعجل) العذاب (لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون) من العذاب فى الآخرة (لم يلبثوا) فى الدنيا (الا ساعة من نهار) أى لطول ما عاينوا نسوا قدر مكثهم فى الدنيا (بلاغ) أى هذا القرآن بلاغ يعنى تبليغ من الله اليكم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم (فهل يهلك الا القوم الفاسقون) أى لا يهلك مع رحمة الله وتفضله الا القوم الكافرون

...به والعمل من بينهم وقرأ ابن محيصن ويهلك بضم الياء وكسر اللام وبفتحهما وقرأ زيد بن ثابت يهلك بفتح الياء وكسر اللام وهو الفاعل لله وبنصب القوم الفاسقين ونهلك بنون العظمة ونصب القوم ووصفه قال ابن عباس اذا عسر على المرأة ولدها تكتب هاتين الآيتين والكلمتين في صحفة ثم تغسل وتسقى منها وهي بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله العظيم الحليم الكريم سبحان الله رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ الآية والله أعلم

﴿سورة القتال وتسمى سورة محمد وسورة الذين كفروا مكية وهي تسع وثلاثون آية وخمسمائة وتسع وثلاثون كلمة وألفان وثلاثمائة وتسعة وأربعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الذين كفروا) من قريش (وصدوا عن سبيل الله) أي أعرضوا عن الاسلام ومنعوا عقولهم من اتباع الدليل كالمطعمين الجيش يوم بدر منهم أبو جهل والحرث ابنا هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ومنبه وغيرهم (أضل أعمالهم) أي أبطل الله أعمالهم فلم يبق لهم عمل بر لانها لم تكن لله ولا بأمره انما فعلوها من عند أنفسهم (والذين آمنوا) بالله ورسوله واليوم الآخر (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (وآمنوا بما نزل على محمد) أي بجميع الاشياء الواردة في كلام الله ورسوله (وهو الحق من ربهم) أي الحق النازل من ربهم (كفر عنهم سيآتهم) أي ستر الله أعمالهم السيئة بالايمان والعمل الصالح (وأصلح بالهم) أي حالهم ونياتهم وذلك حيث يأتي المؤمن بسيئة ثم يتنبه ويندم ويقف بين يدي ربه معترفا بذنبه مستحقر النفسه فصار الذنب شرط الندم والثواب ليس على السيئة وانما هو على الندم (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) أي ذلك اضلال الاعمال وتكفير السيآت واصلاح البال كائن بسبب أن الكفار اتبعوا الشيطان وبسبب ان المؤمنين اتبعوا أمر الله وقوله من ربهم اما متعلق باتبعوا الاخير أي من فضل ربهم أو من هدايته أو متعلق بالامرين جميعا أي اتبع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق من حكم ربهم (كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) أي مثل هذا البيان يبين الله للناس أحوالهم العجيبة باحباط الاعمال للكفر ويغفر الذنوب بالايمان والفعلان قد يتحدان صورة وحقيقة وأحدهما يورث ابطال الاعمال والآخر يورث تكفير السيآت بسبب ان أحدهما يكون فيه اتباع الباطل والآخر يكون فيه اتباع الحق كاطعام الطعام وقد يختلفان في الظاهر والباطن كمن يؤمن ظاهرا وهو يسر الكفر ومن يكفر ظاهرا بالاكراه وقلبه مطمئن بالايمان فابطال الاعمال لمن أظهر الايمان بسبب ان اتباع الباطل من جانبه فكأنه تعالى قال الكفر والايمان مثلان يثبت فيهما حكمان وقد علم سبب ثبوت الحكم وهو اتباع الحق والباطل فكل أمر اتبع فيه الحق كان مقبولا مثابا عليه وكل أمر اتبع فيه الباطل كان مردودا معاقبا عليه فصار هذا عاما في الامثال (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) أي فاذا لقيتم الكفار في المحاربة يوم بدر فاضربوا أعناقهم أي فاقتلوهم بأي طريق أمكنكم (حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق) أي حتى اذا أضعفتموهم بالجراح فاستوثقوا الاسرى (فاما منا بعد واما فداء) أي فاما تمنون مناعليهم بارسالهم من غير فداء بعد أسرهم وشد وثاقهم واما تفدون فداء بمال أو أسرى مسلمين (حتى تضع الحرب أوزارها) أي حتى تضع أهل الحرب آلات الحرب أي حتى تنقرض الحرب بالكلية بحيث لا يبقى في الدنيا حزب من أحزاب الكفر يحارب حزبا من أحزاب الاسلام (ذلك) أي ذلك المذكور واجب (ولو يشاء الله لانتصر منهم) أي لانتقم من الكفار من غير قتالكم ببعض أسباب الهلكة كالخسف (ولكن ليبلو بعضكم ببعض) أي ولكن لم يشأ ذلك بل يكلفكم بالقتال ليحصل لكم شرف باختياره اياكم لهذا الامر

أي ومنعوا الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (أضل أعمالهم) أي أحبطها فلا يرون في الآخرة لها جزاء وقوله (كفر عنهم سيئاتهم) أي سترها وغفرها لهم (وأصلح بالهم) أي أمرهم وحالهم (ذلك) يعني الاضلال والتكفير لاتباع الكافرين الشيطان واتباع المؤمنين الحق وهو القرآن (كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) أي كالبيان الذي ذكر يبين الله للناس أمثال سيآت الكافرين وحسنات المؤمنين (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) يعني فاضربوا رقابهم أي فاقتلوهم (حتى اذا أثخنتموهم) أي أكثرتم فيهم القتل (فشدوا الوثاق) أي وثاق الاسارى حتى لا يفلتوا منكم (فاما منا بعد) أي بعد ان تأسروهم يعني امننتم عليهم فأطلقتموهم واما ان تفادوهم بمال (حتى تضع الحرب أوزارها) أي يضع أهلها آلة الحرب من السلاح وغيره ويدخلوا في الاسلام أو الذمة (ذلك) أي افعلوا ذلك الذي ذكرت (ولو يشاء الله لانتصر منهم) أي أهلكهم بغير قتال (ولكن ليبلو بعضكم ببعض) أي يمحص المؤمنين بالقتال في الجهاد ويمحق الكافرين

ويختبركم بالكفار فتجاهدوهم لاستحقاق العظيم وليختبرهم بكم ليعاجلهم ببعض العذاب على أيديكم كى يرتدع بعضهم عن الكفر (والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم) قرأ أبو عمرو وحفص قتلوا مبنيا للمجهول أى والذين استشهدوا فى طاعة الله يوم بدر فلن يضيع الله أعمالهم أى لاتخافوا القتل فان من يقتل فى سبيل الله له من الاجر مالا يمنع المقاتل من القتال بل يحثه عليه وقرأ الباقون قاتلوا أى جاهدوا لاعلاء دين الله سواء قتلوا أولم يقتلوا (سيهديهم) فى الدنيا الى أرشد الامور ان لم يقتلوا وفى الآخرة الى طريق الجنة من غير وقفة من قبورهم الى موضع حبورهم (ويصلح بالهم) أى حالهم فى الدنيا والآخرة بان يقبل الله أعمالهم ويرضى خصماءهم يوم القيامة (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) أى اذا دخلوها يقال لهم تفرقوا الى منازلكم فهم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة اذا تصرفوا الى منازلهم وقال ابن عباس أى طيبها لهم (يأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) أى ان تنصروا دين الله وحزب الله (ينصركم) على أعدائكم (ويثبت أقدامكم) أى يثبتكم فى مواضع الحرب وعلى محجة الاسلام (والذين كفروا فتعسا لهم) أى فألزمهم الله هلاكا وعثارهم واجب لان آلهتهم جمادات لاقدرة لها على النصرة (وأضل أعمالهم) أى أبطل نفقاتهم يوم بدر (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله) أى ذلك الهلاك وابطال الاعمال بسبب انهم كرهوا القرآن لما فيه من بيان التوحيد وبيان أمر الآخرة (فأحبط أعمالهم) أى فأبطل الله حسناتهم فلو عملوها مع الايمان لاثيبوا عليها (أفلم يسيروا فى الارض) أى أقعد كفار مكة فى أماكنهم ولم يسافروا فى الارض (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الامم المكذبة (دمر الله عليهم) أى أهلك الله ما يختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم (وللكافرين أمثالها) أى ولقوم محمد أمثال تلك العاقبة فأهلكوا بأيدى أمثالهم الذى كانوا لا يرضون بمجالستهم وأسروا بأيدى من كانوا يستضعفونهم وذاقوا الألم من الهلاك بسبب عام (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا) أى ثبوت هلاك أمة محمد كالامم السالفة بسبب ان الله تعالى ناصر المؤمنين على أعدائهم وقرئ ولى الذين الخ (وأن الكافرين لامولى لهم) أى وان الكافرين اتخذوا آلهة لاتنفع ولا تضر وتركوا الله فلا ناصر لهم (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار) فالانهار يتبعها الاشجار والاشجار يتبعها الثمار والماء سبب حياة العالم والمؤمنون ينظرون اليه وينتفعون به (والذين كفروا يتمتعون) أى ينتفعون فى الدنيا بمتاعها (ويأكلون كما تأكل الانعام) فلا يهمهم الا الأكل والملاذ ولا يستدلون بالمأكولات على خالقها ولا يعلمون عاقبة أمرهم كالانعام فانها لاتعلم انها كلما كانت أسمن كانت أقرب الى الذبح (والنار مثوى لهم) فيتقلبون فى النار ويتضررون بها (وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم) أى وكم من أهل قرية كذبوا رسلهم أهلكناهم وهم أشد قوة من أهل قريتك الذين كانوا سببا لخروجك من بينهم (فلا ناصر لهم) من اهلاكنا كذلك نفعل بأهل مكة فاصبر كما صبر رسل أولئك (أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم) أى أليس الامر كما ذكر فمن كان مستقرا على حجة ظاهرة من مالك أمره وهو القرآن وسائر الحجج العقلية كمن زين له سوء عمله ورآه حسنا واتبعوا أهواءهم الزائغة وانهمكوا فى فنون الضلالات (مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار) ومثل مبتدأ وخبره فيها أنهار وهو عين المبتدا لان اشتمال الجنة على أنهار من كذا وكذا صفة لها وقيل ان مثل زائدة وقيل والخبر مقدر والتقدير وفيما نقص عليكم مثل الجنة وعلى هذا فالوقف على المتقون كاف والجملة بعده مفسرة للمثل (من ماء غير آسن)

(ويصلح بالهم) أى أمر معاشهم (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) أى بين لهم مساكنهم فيها وعرفهم منازلهم فيها (يأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) أى رسوله ودينه (ينصركم ويثبت أقدامكم) يعنى فى مواطن القتال (والذين كفروا فتعسا لهم) أى سقوطا وهلاكا (وأضل أعمالهم) أى أبطلها لانها كانت للشياطين ثم توعدهم فقال (أفلم يسيروا فى الارض) الى قوله (وللكافرين أمثالها) أى أمثال تلك العاقبة التى كانت لمن قبلهم (ذلك) أى ذلك النصر للمؤمنين والاهلاك للكافرين (بأن الله مولى الذين آمنوا) أى وليهم وناصرهم (وأن الكافرين لامولى لهم) لاولى لهم ينصرهم من الله (والذين كفروا يتمتعون) أى فى الدنيا (ويأكلون كما تأكل الانعام) أى ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم ثم يصيرون الى النار (وكأين) أى وكم (من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك) يعنى مكة أخرجك أهلها (أهلكناهم) أى بتكذيبهم الرسل (فلا ناصر لهم أفمن كان على بينة من ربه) وهو النبى والمؤمنون (كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم) وهو أبو جهل والكفار (مثل) أى صفة (الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن) أى غير متغير الرائحة

أى غير متغير ريحه وطعمه حتى فى البطون وقرأ ابن كثير بقصر الهمزة والباقون بمدها (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) فلا يعود حامضا ولا قارصا ولا ما يكره من الطعوم فلو أرادوا تغيره من أصل خلقته لشهوة اشتهوها تغير (وأنهار من خمر لذة للشاربين) بأسرهم فليس فيها كراهة الطعم طعم وهى لمجرد الالتذاذ فقط (وأنهار من عسل مصفى) من شمع وغير مروى عن كعب الاحبار انه قال نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان وجيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر (ولهم فيها من كل الثمرات) أى ولاهل الجنة فى الجنة زوجان من كل الثمرات (ومغفرة من ربهم) أى ولهم فيها رفع تكليف عنهم فيأكلون ويشربون من غير حساب ولا عقاب ورفع قبيح ومكروه فلا يحتاجون الى غائط ولا يمرضون بسبب تناول المأكولات والمشروبات بخلاف الدنيا فان للأكل توابع ولوازم لابد منها (كمن هو خالد فى النار) أى أمن هو خالد فى هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد فى النار كما نطق به قوله تعالى والنار مثوى لهم (وسقوا ماء حميما) أى حارا (فقطع أمعاءهم) أى مباعرهم لحدة تكون فى ذلك الماء من فرط الحرارة وقوله تعالى على بينة فى مقابلة زين له سوء عمله وقوله تعالى من ربه فى مقابلة واتبعوا أهواءهم والجنة فى مقابلة النار والثمار فى الجنة فى مقابلة الزقوم فى النار والماء الحميم فى مقابلة الانهار وقطع الامعاء فى مقابلة المغفرة لان المغفرة التى فى الجنة على أحد الوجوه هى تعرية أكل الثمرات عما يلزمه من قضاء الحاجة والامراض كانه تعالى قال للمؤمن أكل وشرب لا يجتمع فى جوفهم فيؤذيهم ويحوجهم الى قضاء حاجة وللكافر ماء حميم ففى أول ما يصل الى جوفهم يقطع مصارينهم ويشتهون خروجه من جوفهم فخرجت المصارين من أدبارهم ثم الوجه فى توحيد الضمير العائد الى من وجمعه أن يقال المسند الى من اذا كان متصلا فرعاية اللفظ أولى لانه المسموع واذا كان مع انفصال فرعاية المعنى أولى لانه لا يسمع بل يبقى فى ذهن السامع فالحمل فى الانفصال على المعنى وهو جمع الضمير أولى وحمل الاتصال على اللفظ وهو افراد الضمير أولى (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا) أى ومن الخالدين فى النار قوم يستمعون الى خطبتك يوم الجمعة فاذا خرجوا من المسجد قالوا للعلماء من الصحابة منهم ابن مسعود وابن عباس استهزاء بما قال النبى صلى الله عليه وسلم أى شئ قال محمد على المنبر الساعة الماضية القريبة منا أى لا نعمل بقوله لانه قول ساقط لا يعتد به وقرأ البزى بخلاف عنه بقصر الهمزة (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم) أى أولئك التاركون اتباع الحق هم الذين أمات الله قلوبهم فلم تفهم فعند ذلك اتبعوا أهواءهم فى الباطل (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) أى والذين اهتدوا بالايمان زادهم الله تعالى على الاهتداء هدى حتى ارتقوا من درجة المهتدين الى درجة الهادين وخلق الله فيهم كمال التقوى فلا يخافون معها لومة لائم ويتنزه العارفون عما يشغل أسرارهم عن الحق ويتنائون اليه (فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) وأن تأتيهم بدل اشتمال من الساعة وأنى خبر مقدم وذكراهم مبتدأ مؤخر والمعنى انهم لا يتذكرون بذكر أهوال الأمم الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة وعظائم الاهوال فيها فما ينتظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة فجأة اذ قد جاء علاماتها فلم يرفعوا لها رأسا ولم يعدوها من مبادى اتيانها فيكون اتيانها بطريق المفاجأة لا محالة فمن أين لهم التذكر والتوبة اذا جاءتهم الساعة فجأة أى لا ينفعهم الذكرى اذ لا تقبل التوبة ولا يحسب الايمان حينئذ وقرئ ان تأتهم على أن ان شرط مستأنف جزاؤه فأنى لهم الخ والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر أماراتها كرسالة محمد صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر ونحوهما فكيف لهم اتعاظهم اذا جاءتهم (فاعلم أنه لا اله الا الله) أى اذا علمت أن مدار

(وأنهار من خمر لذة للشاربين) أى لذيذة (ومنهم من يستمع اليك) يعنى المنافقين (حتى اذا خرجوا من عندك) كانوا يستمعون خطبة النبى صلى الله عليه وسلم فاذا خرجوا سألوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء واعلاما انهم لم يلتفتوا الى ما قال يقولون (ماذا قال آنفا) أى الآن وقوله (وآتاهم تقواهم) أى ثواب تقواهم ويجوز أن يكون المعنى وألهمهم تقواهم يعنى وفقهم لها (فهل ينظرون) يريد ينتظرون (الا الساعة) أى القيامة (أن تأتيهم بغتة) أى هم فى الحقيقة كذلك لانه ليس الامر الا أن تقوم الساعة عليهم بغتة (فقد جاء أشراطها) أى علاماتها من بعث محمد صلى الله عليه وسلم وغيره (فأنى لهم اذا جاءتهم) الساعة (ذكراهم) أى فمن أين لهم أن يتذكروا ويتوبوا بعد مجىء الساعة (فاعلم أنه لا اله الا الله) أى فاثبت على ذلك من علمك

السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الاشراك والعصيان فاثبت على العلم بالوحدانية وتكميل النفس بموجبه (واستغفر لذنبك) وهو ترك الافضل أو ضرب اليهودي زيد بن السمين (وللمؤمنين والمؤمنات) وللنبي صلى الله عليه وسلم ثلاث حالات حال مع الله وحال مع نفسه وحال مع غيره والمعنى فوحد الله واطلب العصمة من الله لنفسك واطلب الغفران من الله للمؤمنين والمؤمنات ومعنى طلب الغفران طلب عدم الافضاح ولذلك قد يكون بالعصمة من القبيح كما كان للنبي صلى الله عليه وسلم وقد يكون بالستر على القبيح بعد وجوده كما هو في حق المؤمنين والمؤمنات (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) أي يعلم أحوالكم في الدنيا وموطن اقامتكم في الآخرة اما في الجنة أو في النار (ويقول الذين آمنوا) اذا تأخر عنهم التكليف خوفا من أن لا يؤهلوا للعبادة (لولا نزلت سورة) أي هلا نزلت سورة فيها تكاليف بمحن المؤمن والمنافق (فاذا أنزلت سورة محكمة) أي لم تنسخ (وذكر فيها القتال) أي وذكر فيها الامر بالقتال فانه أشق تكليف وقرئ وذكر فيها القتال على بناء الفعل للفاعل وهو الله تعالى وعلى نصب القتال (رأيت الذين في قلوبهم مرض) أي نفاق (ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت) اى تشخص أبصارهم نحوك عند ذكرك القتال شخوصا مثل شخوص من أصابته غشية الموت من كراهية قتالهم مع العدو (فأولى لهم) أي قاربهم مايهلكهم أو فالهلاك لهم وهذا تهديد لهم من عذاب الله تعالى أو يقال فالموت أولى لهم فان الموت خير من الحياة التي ليست في طاعة الله ورسوله (طاعة وقول معروف) أي طاعة مخلصة وقول حسن خير لهم وقيل هذا حكاية لقولهم ويدل عليه قراءة أبي يقولون طاعة وقول معروف أي يقول المنافقون أمرنا طاعة وكلام حسن لمحمد عليه الصلاة والسلام (فاذا عزم الامر) أي فاذا جد الامر خالفوا موعدهم وتأخروا عنه (فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) أي فلو صدقوا الله تعالى في ايمانهم واتباعهم الرسول لكان الصدق خيرا لهم أو فلو صدقوا الله في ذلك القول وأطاعوا الله ورسوله لكان الصدق خيرا لهم وقيل ان جملة فلو صدقوا الله الخ جواب اذا مثل قولك اذا حضرني طعام فلو جئتني لاطعمتك (فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم) أي ان كنتم تتركون القتال وتعرضون عنه وتقولون ان في القتال افسادا وقطع الارحام لكون الكفار أقاربنا فلا يقع منكم الا ذلك حيث تقاتلون على أدنى شئ كما هو عادة العرب وهذه الآية اشارة الى فساد قولهم كيف نقاتل والقتال افساد والعرب من ذوي أرحامنا فقال تعالى ان أعرضتم عن القتال فلا يقع منكم الا الفساد في الارض فانكم تقتلون من تقدرون عليه وتنهبونه والقتال واقع بينكم أليس قتلكم البنات افسادا وقطعا للرحم فلا يصح تعللكم بذلك مع انه خلاف ما أمر الله به وهذا القتال مع الكفار طاعة وقيل ان توليتم من الولاية والمعنى فلعلكم يامعشر المنافقين تمنون ان صرتم أمراء على الناس وصاروا بامركم أفسدتم في الارض بالقتل والمعاصي وقطعتم الارحام باظهار الكفر ويؤكد هذا القول قراءة من قرأ وليتم على البناء للمفعول أي وان جعلتم ولاة ظلمة تم باخذ الرشا ونحوه وقراءة علي رضي الله عنه توليتم والمعنى ان تولاكم ولاة ظلمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وقرئ تقطعوا بحذف احدى التاءين من التقطع فانتصاب أرحامكم حينئذ على نزع الجار أي في أرحامكم وقرئ وتقطعوا من القطع (أولئك الذين لعنهم الله) أي أبعدهم الله عن الخير (فأصمهم) فلا يسمعون الكلام المستبين (وأعمى أبصارهم) فلا يتبعون الصراط المستقيم فمن حيث انهم استمعوا الكلام العلمي ولم يفهموه فهم صم وعند الامر بالعمل تركوه وعللوا بكونه افسادا وقطعا للرحم وهم كانوا يتعاطونه عند النهي عنه فتركوا اتباع النبي الذي يأمرهم بالاصلاح وصلة الارحام ولو دعاهم من يأمر بالافساد وقطيعة الرحم لاتبعوه فهم عمي

(افلا

(والله يعلم متقلبكم) متصرفكم في أعمالكم وأشغالكم وقيل متقلبكم في الاصلاب الى الارحام (ومثواكم) أي مرجعكم في الدنيا والآخرة (ويقول الذين آمنوا) حرصا منهم على الوحي اذا استبطأوه (لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة) أي غير منسوخة (وذكر فيها القتال) أي فرض فيها القتال (رأيت الذين في قلوبهم مرض) يعني المنافقين (ينظرون اليك) شزرا (نظر المغشى عليه من الموت) أي كنظر من وقع في سكرات الموت كراهة منهم للقتال (فأولى لهم طاعة وقول معروف) أي لو أطاعوا وقالوا لك قولا حسنا كان ذلك أولى (فاذا عزم الامر) أي وجب الامر ولزم فرض القتال (فلو صدقوا الله) في الايمان والطاعة (لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم) أي لعلكم اذا اعرضتم عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أن تعودوا الى أمر الجاهلية فيقتل بعضكم بعضا وهو قوله (أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم) أي بالبغي والظلم والقتل

(أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) أي أفلا يتدبرون القرآن لكونهم مبعودين منه ومن كل خير أم على قلوب أقفال فيتدبرون ولا يفهمون فلا تدخل معانيه في قلوبهم (ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوّل لهم) أي ان الذين رجعوا الى الكفر من بعدما ظهرت لهم الدلائل وسمعها وهم جماعة منعهم حب الرياسة عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم الشيطان زين لهم الرجوع الى دينهم وسهل لهم اقتراف الكبائر وقرئ سوّل مبنيا للمفعول على حذف المضاف أي كيد الشيطان زين لهم (وأملى لهم) أي وعد الشيطان لهم في الآمال فيقول لهم ان في آجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم الى آخر أعماركم وقيل أمهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرأ أبو عمرو وأملي لهم على البناء للمفعول أي أمهلوا ومد في أعمارهم والباقون على البناء للفاعل والفاعل اما الشيطان فان الله قدر على لسانه ويده ذلك التزيين أو الله تعالى كما تقدم وقرئ وأملي لهم على صيغة المتكلم فالمعنى ان الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم (ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) أي ذلك الارتداد بسبب ان المنافقين قالوا سرا لليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم بانه من عند الله تعالى حسدا وطمعا في نزوله عليهم (سنطيعكم في بعض الامر) كالقعود عن الجهاد والموافقة في الخروج معكم عن الديار ان أخرجتم منها ولا نطيعكم في اظهار الكفر قبل قتالكم واخراجكم من دياركم وهذا عبارة عما حكي عنهم بقوله تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين كان المنافقون يوادونهم (والله يعلم اسرارهم) قرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر الهمزة أي اخفاءهم لما يقولونه والباقون بفتحها أي جميع أسرارهم (فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) أي فكيف يصنعون اذا قبضتهم الملائكة في حال انهم يضربون وجوههم وظهورهم بمقامع من حديد فانهم يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيل وقرأ الاعمش توفاهم على أنه اما ماض أو مضارع حذف احدى تاءيه (ذلك) أي الضرب (بانهم اتبعوا ما أسخط الله) من الكفر والمعاصي (وكرهوا رضوانه) من الايمان والطاعة أي تضرب وجوههم لانهم أقبلوا على سخط الله كانكار الرسول وأدبارهم لانهم تولوا عما فيه رضا الله كالاقرار بالرسول وبدين الاسلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى أحد على معصية الا تضرب الملائكة وجهه ودبره (فأحبط أعمالهم) أي فابطل الله حسناتهم يقال نزلت الآيات من قوله تعالى ان الذين ارتدوا على أدبارهم الى ههنا في شأن المنافقين الذين رجعوا من المدينة الى مكة مرتدين عن دينهم ويقال نزلت في شأن الحكم بن أبي العاص المنافق وأصحابه الذين شاوروا فيما بينهم والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة في أمر الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ان ولينا أمر هذه الامة نفعل كذا وكذا ولا يستمعون الى خطبته صلى الله عليه وسلم حتى قالوا بعد ذلك لعبد الله بن مسعود ماذا قال محمد الآن على المنبر استهزاء منهم (أم حسب الذين في قلوبهم مرض) أي نفاق (أن لن يخرج الله أضغانهم) أي أحسب المنافقون أنه لن يعلم الله أسرارهم أم حسبوا أنه لن يظهر الله أحقادهم على المؤمنين لرسوله وللمؤمنين فتبقى أمورهم مستورة فأم استفهامية والمعنى ان ذلك الاظهار مما لا يكاد يدخل تحت الشك (ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم) أي ولو أردنا لعرفناكهم تعريفا معه المعرفة فتعرفهم بعلامتهم القبيحة وعن أنس رضي الله عنه قال ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شئ من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم

(أفلا يتدبرون القرآن) أي يتعظوا بمواعظه (أم على قلوب أقفالها) فليس تفهمها (ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعدما تبين لهم الهدى) يعني كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وهم يعرفونه (الشيطان سوّل لهم) أي زين لهم (وأملى لهم) يعني أطال لهم الامل (ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) يعني المشركين (سنطيعكم في بعض الامر) في التظاهر على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم (فكيف) تكون حالهم (اذا توفتهم الملائكة أم حسب الذين في قلوبهم مرض) وهم المنافقون (أن لن يخرج الله أضغانهم) أي لن يظهر الله أحقادهم على النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (ولو نشاء لاريناكهم) يعني لعرفناكهم (فلعرفتهم بسيماهم) أي بعلامتهم

الناس فتلمسوا ذات ليلة وأصبحوا وعلى كل واحد منهم مكتوب هذا منافق (ولتعرفنهم في لحن القول) أي والله انك يا محمد لتعرفن المنافقين في وجه خفي من القول فيفهمه النبي عليه الصلاة والسلام ولا يفهمه غيره ولكن لم يظهره الى أن أذن الله تعالى له في اظهار أمرهم وفي المنع من الصلاة على جنائزهم والقيام على قبورهم (والله يعلم أعمالكم) فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وبيان لكون حالهم على خلاف حال المنافقين فكان المنافق قول بلا عمل والمؤمن عمل ولا يقول به وكان المؤمن يعمل الصالحات ويتكلم في السيآت مستغفرا وكان المنافق يتكلم في الصالحات ويعمل السيء والله تعالى يسمع الاقوال الفارغة من المنافقين ويعلم الاعمال الصالحة منكم ولا يضيع (ولنبلونكم) بالامر بالجهاد والتكاليف الشاقة (حتى نعلم المجاهدين منكم) أي حتى نعلم المقدمين على الجهاد (والصابرين) على مشاق الجهاد أي الذين لا يولون الادبار (ونبلو أخباركم) أي ونظهر أخباركم من حسن أعمالكم وقبحها وقرأ شعبة في الافعال الثلاثة بالياء التحتية مسندا لضمير راجع الى الله وقرئ ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو (ان الذين كفروا) من أهل الكتاب قريظة والنضير أو من كفار قريش (وصدوا عن سبيل الله) أي أعرضوا عن دين الله وصرفوا الناس عن طاعة الله (وشاقوا الرسول) أي خالفوه وعادوه (من بعد ما تبين لهم الهدى) وهو بعث محمد في التوراة وما ظهر على يديه من المعجزات وما نزل عليه من الآيات (لن يضروا الله شيأ) تنزه الله تعالى عن أن يتضرر بكفر كافر وفسق فاسق (وسيحبط أعمالهم) أي مكايدهم في القتال وفي ابطال دين الله تعالى فيكون النصر للمؤمنين (يا أيها الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (أطيعوا الله) فيما أمركم من الفرائض والصدقة (وأطيعوا الرسول) فيما أمركم من الجهاد والسنة (ولا تبطلوا أعمالكم) بالكفر والنفاق والعجب والرياء والسمعة والمن والاذى (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) أي ان الله لا يغفر الشرك ويغفر غيره ان شاء (فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون) أي اذا علمتم وجوب الجهاد فلا تضعفوا بالقتال مع العدو ولا تدعوا الكفار الى الصلح وأنتم الاعلون أي الغالبون وهذه جملة حالية فتدعوا اما معطوف على المجزوم أو جواب النهي منصوب باضمار أن وقرأ حمزة وشعبة السلم بكسر السين (والله معكم) وهذا ارشاد يمنع المكلف من الاعجاب بنفسه وذلك لان الله تعالى لما قال وأنتم الاعلون كان ذلك سبب الافتخار فقال تعالى والله معكم أي ليس ذلك العلو على الكفار من أنفسكم بل من الله تعالى وأيضا لما كان المؤمنون يرون ضعف أنفسهم وقلتهم وشوكة الكفار وكثرتهم قال تعالى وأنتم الاعلون ولما كان الامر بما يقع في نفس بعضهم انهم كيف يكون لهم الغلبة فقال تعالى والله معكم أي والله ناصركم فلا يبقى لكم شك في ان الغلبة لكم (ولن يتركم أعمالكم) أي ولن يضيعها والمعنى ان الله ينصركم ومع ذلك لا ينقص من أعمالكم شيأ أي فكأن النصرة جعلت بكم ومنكم فكأنكم مستقلون في ذلك النصرة فيعطيكم أجوركم بالتمام (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) أي ان الاشتغال بالدنيا أعمال ضائعة ومشغلة عن طاعة الله تعالى (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم) أي يعطكم ثواب ايمانكم وتقواكم وثواب كل أعمالكم (ولا يسألكم أموالكم) أي ولا يطلب منكم اخراج أموالكم كلها بحيث يخل الاخراج بمعاشكم بل يطلب منكم انفاق القليل من الاموال في طاعته تعالى ليرجع ثوابه اليكم (ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم) أي لو طلب الله جميع أموالكم وألح عليكم في الطلب لما تعطونها وأخرج الله أو الطلب أو البخل أحقادكم كيف وأنتم تبخلون باليسير

(ولتعرفنهم في لحن القول) أي في معنى كلامهم اذا تكلموا بمسمعك (ولنبلونكم) يريد بالجهاد (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) أي العلم الذي يقع به الجزاء (ونبلو أخباركم) أي ونكشف ما تسرون (ان الذين كفروا وصدوا) الآية يعني المطعمين من أصحاب بدر وقوله (ولا تبطلوا أعمالكم) أي بالمن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعمالكم وقوله (وتدعوا الى السلم) أي لا تدعوهم ولا تتركوا قتالهم حتى يسلموا لانكم الأعلون فلا ضعف بكم فتدعوا الى الصلح (والله معكم) بالنصرة (ولن يتركم أعمالكم) أي ولن ينقصكم شيأ من ثوابكم وقوله (ولا يسألكم أموالكم) أي لا يسألكم محمد صلى الله عليه وسلم أموالكم أجرا على تبليغ الرسالة (ان يسألكموها فيحفكم) أي يجهدكم بالمسألة (تبخلوا ويخرج أضغانكم) أي ويظهر عداوتكم لان في مسألة المال ظهور العداوة والحقد

فكيف لا تبخلون بالكثير ومن نوزع في حبيبه ظهرت طويته التي كان يسرها وقرئ ونخرج بنون العظمة وقرئ ويخرج بالياء والتاء وفاعله أضغانكم أي ويخرج بسبب البخل الضغائن فيفضي الى قتال الطالبين وهم النبي وأصحابه (ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله) أي أنتم الذين تطلبون لتنفقوا في طاعة الله من الزكاة ونفقة الغزو وغيرهما (فمنكم من يبخل) أي فمنكم ناس يبخلون ومنكم من يجود (ومن يبخل) بالانفاق في طاعة الله (فانما يبخل عن نفسه) أي فانما يمسك الثواب عن نفسه فان من يبخل وهو مريض باجرة الطبيب وبثمن الدواء فلا يبخل الا على نفسه (والله الغني) فلا يحتاج الى مالكم (وأنتم الفقراء) فلا تقولوا نحن أغنياء عن القتال ودفع حاجة الفقراء فانهم لاغنى لهم عن ذلك لانهم لولا القتال لقتلهم الكفار ولولا دفع حاجة الفقراء لقصدوهم بسوء وكيف لا يكونون فقراء وهم يوم القيامة موقوفون مسؤلون (وان تتولوا) أي وان تعرضوا عن الايمان والتقوى (يستبدل قوما غيركم) أي يخلق الله قوما آخرين بدلكم (ثم لا يكونوا أمثالكم) في التولي عن الايمان والتقوى بل يكونون راغبين فيهما روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية فقالوا يارسول الله من هؤلاء فضرب صلى الله عليه وسلم بيده على كتف سلمان الفارسي ثم قال هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا لتناوله الرجال من الفرس وحكي عن أبي موسى الاشعري أنه لما نزلت هذه الآية فرح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هي أحب الي من الدنيا والله أعلم

﴿ سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية وخمسمائة وستون كلمة ﴾
﴿ وألفان وأربعمائة وثمانية وثلاثون حرفا ﴾

وسبب نزول هذه السورة أنه صلى الله عليه وسلم في السنة السادسة خرج بألف وأربعمائة من أصحابه قاصدين مكة للاعتمار فأحرموا بالعمرة من ذي الحليفة وساق صلى الله عليه وسلم سبعين بدنة هديا للحرم وساق القوم سبعمائة فلما وصلوا الحديبية وهي قرية بينها وبين مكة مرحلة منعه المشركون من دخول مكة وصالحوه على أن يأتي في العام القابل ويدخلها ويقيم فيها ثلاثة أيام فتحلل هو وأصحابه هناك بالحلق وذبح ما ساقوه من الهدي ثم رجعوا فغلبهم الحزن وأراد الله اذهاب الحزن عنهم فأنزل الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم هذه السورة وهو سائر ليلا في رجوعه وهو بكراع الغميم وهو واد أمام عسفان بين مكة والمدينة فبشر بفتح مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه عند انصرافه من الحديبية وقال صلى الله عليه وسلم نزلت علي آية هي أحب الي من الدنيا جميعها فلما تلاها قال المسلمون هنيئا مريئا لك يارسول الله لقد بين الله لك ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله تعالى عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا عظيما

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(انا فتحنا لك فتحا مبينا) أي ظاهر الأمر فارقا بين الحق والباطل أي ان الله فتح مكة عنوة وصلحا وفتح الاسلام بالحجة والبرهان والسيف والسنان فان أسفل مكة فتحها له عنوة وأعلاها فتحه الزبير صلحا ودخل النبي صلى الله عليه وسلم من جهته رضي الله عنه فصار الحكم له صلى الله عليه وسلم (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) أي لكي يغفر الله لك ما سلف من ترك الافضل قبل الوحي وما يكون بعد الوحي الى الموت (ويتم نعمته عليك) باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وباخلاء مكة عن معانديك وباستجابة دعائك في طلب الفتح وبقبول شفاعتك في الذنوب في الآخرة (ويهديك صراطا مستقيما) في تبليغ الرسالة واقامة علامات الرياسة فلا يبقى من يقدر على الاكراه على الكفر

(ها أنتم) يا (هؤلاء) انما (تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل) بالصدقة (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه) لان له ثواب ما أعطى واذا لم يعط لم يستحق الثواب (والله الغني) عن صدقاتكم (وأنتم الفقراء) اليها في الآخرة (وان تتولوا) عن الرسول (يستبدل قوما غيركم) أطوع له منكم وهم فارس (ثم لا يكونوا) في الطاعة (أمثالكم) بل يكونوا أطوع منكم وهذا الخطاب للعرب

﴿ تفسير سورة الفتح ﴾
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(انا فتحنا لك فتحا مبينا) أي حكمنا لك باظهار دينك والنصر على عدوك وقضينا لك أمر الدين (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك) ما عملت في الجاهلية (وما تأخر) مما لم تعمله وقيل ما تقدم من ذنبك يعني ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك وما تأخر من ذنوب أمتك (ويتم نعمته عليك) أي بالنبوة والحكمة (ويهديك صراطا مستقيما) أي يثبتك عليه

(وينصرك الله نصرا عزيزا) أي نصرا قليل النظير وهو أخذ بيت الله من الكفار المتمكنين فيه فإن فتح مكة كان سببا لتطهير بيت الله تعالى من رجس الاوثان وسببا لتطهير العباد من العصيان وبالفتح يحصل الحج ثم بالحج يحصل الغفران وقال الشعبي المراد من هذا الفتح صلح الحديبية لقد أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة مالم يصب في غزوة غيرها حيث بويع بيعة الرضوان وغفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وبلغ الهدى محله وأطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح المسلمون بظهور أهل الكتاب على المجوس وكان في فتح الحديبية آية عظيمة هي أنه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وشبع ولذلك قال صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية أعظم الفتوح (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين) أي الله وحده هو الذي أنزل الطمأنينة في يوم الحديبية وغيره في قلوب الراسخين في الايمان وهم أهل الحديبية بسبب ذكرهم الله تعالى تحقيقا النصر (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) أي ليزدادوا ايمانا بشرائع الدين مع ايمانهم بالله ورسوله وليزدادوا ايمانا بالفروع مع ايمانهم بالاصول فانهم آمنوا بأن محمدا رسول الله وان الله واحد والحشر كائن وآمنوا بأن كل ما يأمر الله به واجب وبأن كل مايقوله النبي صلى الله عليه وسلم صدق وهو الذي قد قال لهم لا بد من أن تدخلوا مكة وتطوفوا بالبيت (ولله جنود السموات والارض) من الملائكة والاسباب كالصاعقة والزلازل فكان تعالى قادرا على اهلاك عدوه بجنوده ولكن لم يفعل ذلك بل أنزل على المؤمنين ثبات قلوبهم ويقينها مع الله ورسوله ليكون اهلاك أعدائهم بأيديهم فيكون لهم الثواب (وكان الله عليما) بجميع الامور (حكيما) في تدبيره تعالى (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) لايخرجون منها (ويكفر عنهم سيآتهم) أي يغطيها ولا يظهرها (وكان ذلك) أي المذكور من الادخال والتكفير (عند الله فوزا عظيما) والظرف حال من فوزا أي كائنا في علم الله تعالى فجاء عبد الله بن أبي بن سلول حين سمع بكرامة الله للمؤمنين فقال يارسول الله والله مانحن الا كهيئتهم فمالنا عند الله فأنزل الله تعالى قوله (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء) أي ظن الامر السوء فانهم ظنوا ان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين خرجوا الى الحديبية لا يرجعون الى المدينة وان المشركين يستأصلونهم والتعذيب مذكور لكونه مقصودا للمؤمنين كأن الله تعالى يقول بسبب ازدياد كم في الايمان يدخلكم الله جنات في الآخرة ويعذب الكافرين والمنافقين بأيديكم في الدنيا ويكون تعذيبهم بايصال الله الهموم اليهم بسبب علو كلمة المسلمين وبتسليط النبي وأصحابه عليهم قتلا وأسرا واسترقاقا (عليهم دائرة السوء) أي عليهم دائرة الفساد فيحيط بهم بحيث لاخروج لهم منه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم السين والباقون بالفتح (وغضب الله عليهم) وهذا اشارة الى ان الذي نزل بهم يكون على وجه التعذيب فان من كان به بلاء قد يكون مصابا على وجه الامتحان ليصير مثابا وقد يكون مصابا على وجه التعذيب (ولعنهم) أي طردهم من كل خير فان المغضوب عليه قد يقنع الغاضب بالعتب والشتم أو الضرب ولا يقتضي غضبه الى ابعاد المغضوب عليه من جنابه ولا الى طرده من بابه وقد يفضي غضبه الى ذلك لكون الغضب شديدا (وأعد لهم) في الآخرة (جهنم وساءت) أي جهنم (مصيرا) أي مرجعا (ولله جنود السموات والارض) فانزالهم قد يكون للرحمة وقد يكون للعذاب (وكان الله عزيزا) أي شديدا انتقمة الكافرين والمنافقين (حكيما) بكرامة المؤمنين المخلصين بايمانهم (انا أرسلناك شاهدا) أي بشهدا ان لا اله الا الله وأن دينه هو الحق وأحق أن يتبع (ومبشرا) لمن يوافقك في تلك الشهادة (ونذيرا) لمن يخالفك فيها (لتؤمنوا بالله ورسوله) لان كون النبي مرسلا

(وينصرك الله نصرا عزيزا) أي ذا عز لايقع معه ذل (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين) يعني اليقين والطمأنينة (ليزدادوا ايمانا) بشرائع الدين (مع ايمانهم) أي تصديقهم بالله ورسوله وقوله (الظانين بالله ظن السوء) أي يظنون أن لن ينصر الله محمدا والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) أي الذل والعذاب أي عليهم يدور الهلاك والخزي (انا أرسلناك شاهدا) على أمتك يوم القيامة (ومبشرا) بالجنة من عمل خيرا (ونذيرا) أي منذرا بالنار من عمل سوأ وقوله

من

من الله يستلزم ان يؤمن المكلف بالله وبالرسل (وتعزروه) أي تنصروه بتقوية دينه ورسوله وقرئ شاذا تعززوه بزاءين مع الفوقانية وقرئ بضم التاء وسكون العين وبفتح التاء وضم الزاي وكسرها وهاتان مع الراء (وتوقروه) أي تعظموه لان الله يعظمكم بالبشارة وقرئ بسكون الواو (وتسبحوه بكرة وأصيلا) أي تنزهوه عن السوء في الدوام مخافة عقابه الشديد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء على الغيبة في الافعال الاربعة والباقون بالتاء على الخطاب والكنايات الثلاثة راجعة الى الله تعالى لتكون على وتيرة واحدة ويصح رجوعها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحينئذ ان معنى يسبحونه ينزهونه صلى الله عليه وسلم عن كل وصمة باخلاف وعده بدخول مكة والطواف بالبيت الحرام ونحو ذلك ويصح ان يكون أمرهم بالتنزيه في أوقات يذكرون فيها الفحشاء والمنكر (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) أي ان الذين بايعوا نبي الله على ان لا يفروا من قتال قريش تحت شجرة السمرة في الحديبية وهم مقدار ألف وخمسمائة رجل كأنهم يبايعون الله والمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما الان من بايع النبي على ان لا يفر من موضع القتال الى ان يقتل أو أن يفتح الله لهم وان كان يقصد ببيعته رضا الرسول ظاهرا لكن انما يقصد بها حقيقة رضا الرحمن فان المقصود توثيق العهد بمراعاة أوامره ونواهيه وهذا يسمى بيعة الرضوان لقول الله تعالى في شأن هذه البيعة لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك الآية وقرئ انما يبايعون لله أي لاجله (يد الله فوق أيديهم) أي نعمة الله عليهم في الهداية فوق احسانهم الى الله وهو ما صنعوا من البيعة أو نصرة الله تعالى اياهم أعلى من نصرتهم اياه ويقال حفظ الله اياهم على البيعة أقوى من وضع يد ثالث على أيدي المتبايعين لحفظ أيديهما الى ان يتم العقد فان كل واحد من المتبايعين مد يده الى صاحبه في البيع والشراء وبينهما ثالث متوسط يضع يده على يديهما فيحفظ يديهما الى ان يتم العقد (فمن نكث فانما ينكث على نفسه) أي فمن نقض عهده فانما يعود ضرر نقضه على نفسه لانه فوت على نفسه الاحسان الجزيل في مقابلة العمل القليل فقد خسر أو يقال من بايعك أيها النبي اذا نكث لا يكون نكثه عائدا اليك لان البيعة مع الله ولا عائدا الى الله لانه لا يتضرر بشيء فضرره لا يعود الا اليه (ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) أي ومن وفى بعهده بالله بالصدق فسوف يعطيه جنة فلم ينقض منهم أحد حتى ماتوا على بيعة الرضوان الا رجل منهم يقال له جد بن قيس وكان منافقا اختبأ يومئذ تحت ابط بعيره ولم يدخل في بيعتهم فأماته الله على نفاقه وقرأ حفص بضم هاء عليه وتفخيمه والباقون بالكسر والترقيق وقرأ أبو عمرو والكوفيون بالياء التحتية والباقون بالنون (سيقول لك المخلفون) من غزوة الحديبية (من الاعراب) أي من بني غفار وأسلم وأشجع وديل وقوم من مزينة وجهينة فانهم امتنعوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لظنهم انه يهزم فانهم قالوا أهل مكة يقاتلون في باب المدينة فيكف يذهب الى قوم قد غزوه في قعر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه في أحد وكيف يكون حالهم اذا دخل عدوهم بلادهم وأحاطوا بهم فأوحى الله اليه صلى الله عليه وسلم بأنهم سيقولون (شغلتنا أموالنا وأهلونا) أي النساء والذراري عن الخروج معك الى الحديبية وعن اجابتك في هذه العمرة فانا لو تركناهم لضاعوا لانه لم يكن لنا من يقوم بمصالحهم وأنت قد نهيت عن ضياع المال وعن التفريط في العيال (فاستغفر لنا) الله يا رسول الله لتأخرنا عنك الى غزوة الحديبية فكذبهم الله تعالى في الاعتذار والاستغفار قوله (يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل) لهم يا أكرم الخلق عند اعتذارهم (فمن يملك لكم من الله شيئا ان أراد بكم ضرا) أي فمن يمنعكم من قضاء الله على شيء من النفع ان أراد بكم ما يضركم من هلاك الاهل والمال حتى تتخلفوا عن الخروج الى الحديبية

(وتعزروه) اى تنصروه (وتوقروه) أي وتعظموه (ان الذين يبايعونك) بالحديبية (انما يبايعون الله) أي أخذك عليهم البيعة عقد لله عز وجل عليهم (يد الله فوق أيديهم) أي نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا من البيعة (فمن نكث) أي نقض البيعة (فانما ينكث على نفسه) أي فانما يضر نفسه بذلك النكث (سيقول لك المخلفون من الاعراب) الآية لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير الى مكة عام الحديبية استنفر من حول المدينة من الاعراب حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب فتثاقلوا عنه وخافوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم فانزل الله سيقول لك المخلفون أى الذين خلفهم الله عن صحبتك اذا انصرفت اليهم فعاتبتهم عن التخلف (شغلتنا) عن الخروج معك (أموالنا وأهلونا) أى ليس لنا من يقوم فيها اذا خرجنا (فاستغفر لنا) أى لتركنا الخروج معك ثم كذبهم الله فى ذلك العذر فقال (يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم) الآية وقوله

بحفظهما وقرأ حمزة والكسائي بضم الضاد والباقون بفتحها (أو أراد بكم نفعا) أي ...
مشيئة الله على شيء من الضر ان أراد بكم ما ينفعكم من حفظ أموالكم وأهليكم فأي حاجة الى الاعتذار
عن الخروج لاجل حفظهما (بل كان الله بما تعملون خبيرا) أي ليس الامر كما تقولون فانكم
أظهرتم انكم تعتقدون أنهم بالتخلف مسيئون حتى استغفرتم بل كان الله عالما بأن ما في قلوبكم
ليس حاجة في ذلك الاستغفار لانكم تعتقدون انكم بالتخلف محسنون وليس تخلفكم لخوف
ضياع المال والاهل (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا) بل ظننتم أن
لا يرجع من الحديبية الى المدينة أبدا محمد وأصحابه لان المشركين يستأصلهم بالمرة فخشيتم ان خرجتم
معهم ان يصيبكم ما أصابهم فلاجل ذلك تخلفتم لما في قلوبكم من عظمة المشركين وحقارة المؤمنين
حتى حملكم ذلك على انكم قلتم ماهم في قريش الا أكلة رأس (وزين ذلك) أي الظن (في قلوبكم)
فمن ذلك تخلفتم وقلتم مالا ينبغي وقرئ زين بالبناء للفاعل واسناده الى الله تعالى أو الى الشيطان أي
فزين الشيطان ظنكم عندكم حتى قطعتم به (وظننتم ظن السوء) كظن أن لا ينصر الله نبيه وظن
ان الرسول كاذب في قوله وان الله يخلف وعده وان محمدا غير رسول (وكنتم قوما بورا) أي هلكى
عند الله تعالى بهذا الظن (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا) أي ومن لم يصدق
بالله ورسوله فهو من الكافرين وانا اعتدنا لهم نارا شديدة في التوقد (ولله ملك السموات والارض)
ومافيهما يتصرف في الكل كيفما يشاء ومن عظم ملكه يكون أجره في غاية العظم وعذابه في غاية
الالم (يغفر لمن يشاء) ان يغفر له من المبايعين بيعة الرضوان وغيرهم (ويعذب من يشاء) أن يعذبه
من الظانين ظن السوء وغيرهم وفي هذا حسم لاطماعهم الفارغة في استغفار النبي صلى الله عليه وسلم لهم
(وكان الله غفورا رحيما) أي مبالغ المغفرة والرحمة لمن يشاء من المؤمنين (سيقول المخلفون اذا انطلقتم
الى مغانم لتأخذوها) أي سيقول المتأخرون عن غزوة الحديبية عند انطلاقكم الى مغانم خيبر
لتغتنموها (ذرونا) أي اتركونا (نتبعكم) الى خيبر وقد أوضح الله كذبهم بهذا حيث يقولون من
تلقاء أنفسهم دعونا نشهد معكم قتال أهل خيبر فاذا كان أموالهم وأهلوهم شغلتهم يوم دعوتكم اياهم
الى أهل مكة فما بالهم لا يشتغلون بذلك يوم أخذ الغنيمة (يريدون أن يبدلوا كلام الله) وقرأ حمزة
والكسائي كلم الله بفتح الكاف وكسر اللام أي يريدون أن يغيروا وعد الله الذي وعده لاهل
الحديبية فان الله وعد أهل الحديبية فتح خيبر وان غنيمتها لهم خاصة من غاب منهم ومن حضر ولم يغب
عنها منهم غير جابر بن عبد الله فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم من حضر فالله تعالى جعل
غنائم خيبر لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم أهل مكة حيث رجعوا من الحديبية على صلح من
غير قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيأ وقيل والمعنى يريدون ان يبدلوا كلام الله وهو قوله تعالى وغضب
الله عليهم وذلك لانهم لو اتبعوكم لكانوا في حكم بيعة أهل الرضوان الموعودين بالغنيمة فيكونون
من الذين رضي الله عنهم فلا يكونون من الذين غضب الله عليهم فيلزم تبديل كلام الله (قل) يا أشرف
الخلق لهم اقناطا لهم (لن تتبعونا) أي لا تتبعونا في الخروج الى خيبر (كذلكم) أي مثل هذا
القول الصادر مني (قال الله من قبل) أي من قبل مرجعنا اليكم أي حكم الله عند انصرافنا من الحديبية
بأن لا تتبعونا وبأن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم منها نصيب (فسيقولون) للمؤمنين
عند سماع هذا النهي ليس ذلك النهي حكم الله (بل تحسدوننا) على أن نشارككم في الغنائم فقلتم
ان الله حكم تخصيص أهل الحديبية بغنائم خيبر و بمنعنا منها (بل كانوا لا يفقهون الا قليلا) أي
لا يفهمون الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ولا يفهمون من قولك لا تخرجوا الى خيبر الا ظاهر

(بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا) وذلك أنهم قالوا ان محمدا وأصحابه أكلة رأس وانهم لا يرجعون من هذا الوجه أبدا فقال الله تعالى (وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا) أي هالكين عند الله بهذا الظن (سيقول المخلفون) يعني هؤلاء (اذا انطلقتم الى مغانم) يعني غنائم خيبر دون غيرهم (ذرونا نتبعكم) الى خيبر فنشهد معكم (يريدون أن يبدلوا كلام الله) أي يغيروا وعد الله الذي وعد أهل الحديبية وذلك أن الله تعالى حكم لهم بغنائم خيبر دون غيرهم (قل لن تتبعونا) الى خيبر (كذلكم قال الله من قبل) أي من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية دون غيرهم (فسيقولون بل تحسدوننا) أن نصيب معكم من الغنائم

الهدى ولم يفهموا من حكمه فلما وعلى مراده لم زغالوا بالحسد فان حب الدنيا ليس من شيمة العالم العاقل (قل) يا أشرف الرسل (للمخلفين من الأعراب) أى أهل غلظ الا كباد ديل وأشجع وقوم من مزينة وجهينة (ستدعون الى قوم أولى بأس شديد) أى الى قتال قوم أصحاب سلاح من آلة الحديد وقوة شديدة فى القتال وهم بنو حنيفة هم تابعوا مسيلمة الكذاب وغزاهم أبو بكر وقال رافع ابن خديج كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعانا أبو بكر الى قتال بنى حنيفة فعلمنا أنهم هم أوهم هوازن وثقيف غزاهم النبى صلى الله عليه وسلم فان النبى صلى الله عليه وسلم دعا المخلفين عام الحديبية الى الحرب فامتنعوا فقال ستدعون الى حرب قوم مساحين محار بين فهم أكثر بأسا ممن يكون على خلاف ذلك (تقاتلونهم أو يسلمون) أى ان أحد الامرين يقع اما المقاتلة أبدا أو الاسلام لا غير وقرئ أو يسلموا بالنصب باضمار أن على معنى تقاتلونهم الى أن يسلموا (فان تطيعوا) أى توافقوا الداعى على القتال (يؤتكم الله أجرا حسنا) أى يعطكم الله الغنيمة فى الدنيا والجنة فى الآخرة (وان تتولوا كما توليتم من قبل) أى وان تعرضوا عن اجابة الدعوة الى قتال المرتدين كمسيلمة أو المشركين كهوازن كما أعرضتم عن غزوة الحديبية من قبل هذا الوقت بناء على الظن الفاسد (يعذبكم عذابا أليما) لتضاعف جرمكم ثم جاء أهل الزمانة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله قد أوعد الله بعذاب أليم لمن يتخلف عن الغزو فكيف لنا ونحن لا نقدر على الخروج الى الغزو فأنزل الله فيهم قوله تعالى (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) أى ليس على من فى عضوه أو قوته خلل مأثم فى التخلف عن الغزو وكذا فقير لا يمكن من استصحاب ما يحتاج اليه من مصالح الجهاد وانما قدم الاعمى على الاعرج لان عذره مستمر لا يمكن الانتفاع به فى حراسة وغيرها ولا يعود بصيرا أما الاعرج فانه يمكن الانتفاع به فى الحراسة ونحوها وقد يقدر على القتال بالرمى وغيره وقدم الاعرج على المريض لان عذره أشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن قرب فالعذر فى محل الآلة أتم من الآفة فى القوة (ومن يطع الله ورسوله) فى الاوامر والنواهى من المعذورين وغيرهم (يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار) فطاعة الله تعالى فى طاعة رسوله وكلامه تعالى يسمع من رسوله (ومن يتول) عن الطاعة بقلبه (يعذبه عذابا أليما) وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون فيهما والباقون بالياء التحتية (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) روى انه صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث خراش بن أمية الخزاعى الى أهل مكة وحمله على جمله صلى الله عليه وسلم ليبلغ أشرافهم انه صلى الله عليه وسلم جاء معتمرا ولم يجئ محاربا فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعهم الاحابيش فخلوا سبيله فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فبعثه الى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه صلى الله عليه وسلم لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل أن يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله والمسلمين ان عثمان قد قتل فقال صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم أى نقاتلهم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا ووضع النبى صلى الله عليه وسلم شماله فى يمينه فقال هذه بيعة عثمان وقد علم بنور النبوة ان عثمان لم يقتل حتى بايع عنه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم خير أهل الارض وكانوا ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا وبعثوا بعثمان وجماعة من المسلمين وكانوا عشرة دخلوا مكة باذنه صلى الله عليه وسلم (فعلم) الله (ما فى قلوبهم) من الاخلاص عند مبايعتهم له صلى الله عليه وسلم كما علم ما فى

(قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم) أى الى قتال قوم (أولى بأس شديد) وهم فارس والروم وقيل بنوا حنيفة أصحاب اليمامة (تقاتلونهم أو يسلمون) يعنى أو هم يسلمون أصحاب مسيلمة الكذاب فتترك قتالهم (فان تطيعوا) أى من دعاكم الى قتالهم (يؤتكم الله أجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم) عام الحديبية يعنى نافقتم وتركتم الجهاد (يعذبكم عذابا أليما) ثم ذكر أهل العذر فى التخلف عن الجهاد فقال (ليس على الأعمى حرج) الاية ثم ذكر خبر من أخلص نيته فقال (لقد رضى الله عن المؤمنين) وكانوا ألفا وأربعمائة (اذ يبايعونك) بالحديبية على ان يناجزوا قريشا ولا يفروا (تحت الشجرة) يعنى سمرة كانت هنالك وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان (فعلم) أى علم الله (ما فى قلوبهم) أى من الاخلاص والوفاء

قلوب المنافقين من المرض وهذا معطوف على يبايعونك لان رضاه تعالى عنهم كان علمه بما
كان معه اعلم الله بصدقهم لاعند المبايعة فقط (فأنزل السكينة عليهم) وهذا معطوف على رضى الله
فأنزل الله عليهم سكون النفس بالربط على قلوبهم وقد جعل الله تعالى طاعة الله والرسول علامة
لادخال الله تعالى الجنة وبين ان تلك الطاعة وجدت من أهل بيعة الرضوان وأشار الى طاعة الله بقوله
لقد رضى الله عن المؤمنين والى طاعة الرسول بقوله اذ يبايعونك تحت الشجرة وأشار الى الموعود به
وهو ادخال الجنة بقوله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين لان الرضا يكون معه ادخال الجنة (وأثابهم
فتحا قريبا) أى وجزاهم على الطاعة فتح خيبر عقب انصرافهم من الحديبية فى ذى الحجة فأقام
صلى الله عليه وسلم بالمدينة بقيته وبعض المحرم ثم خرج الى خيبر فى بقية المحرم سنة سبع وقال السدى
هو فتح مكة وقرئ وآتاهم بالمد أى أعطاهم (ومغانم كثيرة) من خيبر وهى أرض ذات عقار وأموال
(يأخذونها) وقرأ الاعمش وطلحة ونافع بالتاء على طريق الالتفات الى الخطاب لتشريفهم فى
مقام الامتنان (وكان الله عزيزا) أى غالبا غنيا عن اعانتكم اياه (حكيما) حيث جعل هلاك أعدائه
على أيديكم ليثيبكم عليه فانه تعالى يذل من يشاء بعزته ويعز من يشاء بحكمته (وعدكم الله مغانم
كثيرة) من بلدان شتى لاتدخل تحت حصر فيما يأتى الى يوم القيامة (تأخذونها) والخطاب لاهل
الحديبية (فعجل لكم هذه) أى غنائم خيبر فليست كل الثواب بل الجزاء قدامكم (وكف أيدى
الناس عنكم) أى كف الله أيدى بنى أسد وغطفان وهم حلفاء أهل خيبر عنكم حيث جاؤا لنصرتهم
فقذف الله فى قلوبهم الرعب فنكصوا عن عيالكم لما خرجتم الى خيبر فان النبى صلى الله عليه وسلم
لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بنى أسد وغطفان ان يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم
بالمدينة فكف الله تعالى أيديهم بالقاء الرعب فى قلوبهم فنكصوا وقال قتادة كف أيدى يهود خيبر
عن المدينة بعد خروج النبى صلى الله عليه وسلم الى الحديبية أما كف أيدى أهل مكة بالحديبية
فمذكور بقوله تعالى وهو الذى كف أيديهم عنكم الخ (ولتكون آية للمؤمنين) وهذا معطوف
على مفهوم فعجل لكم هذه فاللام يدل على النفع كما أن على يدل على الضر أى فعجل الله هذه الغنائم
وفتح خيبر لتنفعكم ولتكون أمارة يعرف المؤمنون بها صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى وعده
اياهم عند رجوعه من الحديبية ما ذكر من المغانم وفتح مكة أى لتنفعكم فى الظاهر وتنفعكم فى الباطن
حيث يزداد يقينكم اذا رأيتم صدق الرسول فى أخباره عن الغيوب فيكمل اعتقادكم أى عجل
الله فتح خيبر ليكون ذلك الفتح وهو هزيمة أهل خيبر وسلامتكم عبرة للمؤمنين لانكم
كنتم ثمانية آلاف وان أهل خيبر كانوا سبعين ألفا وكف أيدى الناس عنكم وعن عيالكم
ليكون ذلك الكف علامة للمؤمنين فيعلموا ان الله يحرسهم فى مشهدهم ومغيبهم (ويهديكم
صراطا مستقيما) أى طريق التوكل عليه تعالى والثقة بفضله تعالى فى كل ما تأتون وما تذرون
(وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها) وقوله وأخرى اما مبتدأ ولم تقدروا صفته وقد أحاط
الله خبره أى وغنيمة أخرى لم تقدروا عليها قد أعدها الله لكم فأنتم وان لم تقدروا عليها
فى الحال فهى محبوسة عليكم لاتفوتكم وهى مغانم هوازن فى غزوة حنين واما معطوف على مغانم
كثيرة فكأنه تعالى قال وعدكم الله مغانم تأخذونها ومغانم لاتأخذونها أنتم ولاتقدرون عليها وانما
يأخذها من يجىء بعدكم من المؤمنين قد حفظها الله لهم لايجرى عليها هلاك الى ان يأخذها المسلمون
كاحاطة الحراس بالخزائن وهى غنائم فارس والروم (وكان الله على كل شئ قديرا) لان قدرته تعالى

(فأنزل السكينة عليهم) أى الطمأنينة وثلج اليقين بالنصر من الله لرسوله (وأثابهم فتحا قريبا) يعنى فتح خيبر (ومغانم كثيرة يأخذونها) يعنى عقار خيبر وأموالها (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) وهى الفتوح التى تفتح لهم الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) يعنى خيبر (وكف أيدى الناس عنكم) يريد لما خرجوا خلفوا عيالهم بالمدينة حفظ الله عليهم عيالهم وقد همت اليهود بهم فقذف الله فى قلوبهم الرعب فانصرفوا (ولتكون) هزيمتهم وسلامتكم (آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما) يعنى طريق التوكل والتفويض الى الله تعالى فى كل شئ (وأخرى) يعنى ومغانم أخرى (لم تقدروا عليها) يعنى فارس والروم (قد أحاط الله بها) أى علم الله أنه يفتحها لكم وقوله

(ولو قاتلكم الذين كفروا) يعني أهل مكة ولو قاتلوكم عام الحديبية (لولوا الادبار) أي لانهزموا عنكم ولنصرتم عليهم [illegible]
النصر لأوليائه (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة) من الله على المؤمنين بما وقع من

ذاتية لاتختص بشئ دون شئ (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار) أي ولو اجتمع بنو أسد وغطفان مع أهل خيبر كما زعموا وقاتلوكم لانهزموا ولا ينصرون بل اعا الغلبة واقعة للمسلمين فليس أمرهم أمرا اتفاقيا بل هو أمر الهي محتوم (ثم) بعد انهزامهم (لايجدون وليا) ينفع باللطف (ولا نصيرا) يدفع بالعنف بل الهلاك لاحق بهم بعد الانهزام (سنة الله التي قد خلت من قبل) أي سن الله غلبة أنبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم حين خرجوا على الانبياء (ولن تجد) أيها السامع (لسنة الله تبديلا) أي ان الله فاعل مختار يفعل مايشاء ويقدر على اهلاك أحبائه من الانبياء ولكن لايغير عادته (وهو الذي كف أيديهم) أي أيدي كفار مكة (عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة) أي في داخل الحرم وهو الحديبية غير ان كان فيها رمى بالحجارة بين الفريقين (من بعد أن أظفركم عليهم) أي ان غلبكم عليهم وذلك أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة ثم عاد وروى الترمذي وثابت عن أنس بن مالك أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم ليقتلوه فأخذهم سلمان فاستحياهم فنزلت هذه الآية (وكان الله بما تعملون بصيرا) وقرأ أبو عمرو بالياء التحتية أي بما يعمل الكفار والباقون بالتاء الفوقية أي بما تعملون أنتم فان الله يرى فيما تعملون من المصلحة وان كنتم لاترون ذلك (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام) أي عن وصولكم الى البيت الحرام عام الحديبية (والهدى) أي وصدوا الهدى الذي ساقه النبي وأصحابه وقرأ أبو عمرو في رواية بالجر عطفا على المسجد بحذف المضاف أي وعن نحر الهدى وقرئ بالرفع بفعل مقدر مبني للمجهول أي وصد الهدى وروى عن أبي عمرو وعاصم وغيرهما كسر الدال وتشديد الياء (معكوفا أن يبلغ محله) فقوله أن يبلغ اما في محل رفع على أنه نائب الفاعل أي ممنوعا بلوغ الهدى محل نحره المعتاد وهو منى واما في محل جر على اسقاط الجار أي ممنوعا من أن يبلغ منحره فان الكفار لم يتركوا المسلمين أن يبلغوا الهدى محله التي يعتاده الناس بذبحه فيه (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم) وقوله أن تطؤهم بدل من رجال ونساء وجواب لولا محذوف أي لولا اهلاك أناس مؤمنين في مكة كالوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ربيعة وأبي جندل غير معروفين لكم فأصابه اثم ايا كم من جهتهم من غير أن تعلموا أنهم مؤمنون مانع لما كف الله أيديكم عن كفار مكة ولسلطكم عليهم بالقتل عام الحديبية فانكم ان قتلتم المؤمنين لزمتكم الكفارة وهو دليل الاثم بتقصيركم في عدم تمييز المسلم من الكافر ولزمكم تعيير الكفار لكم بأنكم فعلتم باخوانكم مافعلتم باعدائكم (ليدخل الله في رحمته من يشاء) أي هم الذين كفروا والذين استحقوا التعجيل في اهلاكهم ولولا مؤمنون مختلطون بهم لعجل الله بهم ولكن كف الله أيديكم عنهم لكي يكرم الله المؤمنين بزيادة الخير والطاعة لله تعالى والمشركين بدخولهم في دين الاسلام أي ليخرج المؤمنون من مكة ويهاجروا الى المدينة وليؤمن من المشركين من علم الله أنه يؤمن في تلك السنة لانهم اذا شاهدوا رحمة الله في شأن طائفة من المؤمنين بأن منع الله من تعذيب أعداء الدين بعد الظفر بهم لاجل اختلاطهم بهم رغبوا في مثل هذا الدين (لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أي لو تميز المؤمنون عن الكفرة وخرجوا من عندهم لعذبنا كفار مكة بتسليط المؤمنين عليهم

صلح الحديبية فكفهم عن القتال بمكة وذكر حسن عاقبة ذلك في الآية الثانية وهو قوله (من بعد أن أظفركم عليهم) وذلك ان رجالا من قريش طافوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك العام ليصيبوا منه فأخذوا وأتي بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنهم وخلى سبيلهم فكان ذلك سبب الصلح بينهم (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام) أي منعوكم من زيارة البيت (والهدى) يعني ومنعوا الهدى (معكوفا) أي محبوسا (أن يبلغ محله) أي منحره وكانت سبعين بدنة (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) بمكة (لم تعلموهم ان تطؤهم) أي لولا أن تطؤهم في القتال لأنكم لم تعلموهم مؤمنين وهو قوله بغير علم (فتصيبكم منهم معرة) أي كفارة وعيب من الكافرين يقولون قتلوا أهل دينهم (ليدخل الله في رحمته) أي دينه الاسلام (من يشاء) من أهل مكة قبل أن يدخلوها (لو تزيلوا) أي لو تميز عنهم هؤلاء المؤمنون (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أي لأنزلنا بهم ما يكون عذابا لهم أليما بأيديكم

بقتلهم وبسبي ذراريهم (اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) [illegible]
لعذبناهم حين جعلوا فى قلوبهم التكبر تكبر الملة الجاهلية وهو منعهم رسول الله وأصحابه عن البيت
الذى الناس فيه سواء وقالوا ان المسلمين قتلوا أبناءنا واخوتنا ثم دخلوا علينا على أهاتنهم إيانا واللات
والعزى لايدخلون مكة فهذا تكبر الجاهلية التى دخلت فى قلوبهم (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى
المؤمنين) وهذا عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول والمؤمنين وسوء صنيع الكفرة.
روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشى وحويطب
بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على أن يعرضوا على النبى صلى الله عليه وسلم أن
يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام وعلى وضع الحرب عشر
سنين وقال البراء صالحوهم على ثلاثة أشياء على أن من أتاهم من المشركين الى المدينة مسلما
ردوهم اليهم ومن أتاهم من المسلمين الى مكة لم يردوه الى المدينة وعلى أن يدخل النبى صلى الله عليه
وسلم مكة من عام قابل ويقيم فيها ثلاثة أيام وعلى أن لا يدخلها بسلاح فقال صلى الله عليه وسلم لعلى
رضى الله عنه ا كتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا ا كتب باسمك اللهم ثم قال صلى
الله عليه وسلم ا كتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله
ما صددناك عن البيت وما قاتلناك ا كتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال صلى الله
عليه وسلم ا كتب ما يريدون فهم المؤمنون أن يبطشوا بهم وكان فى نفس المؤمنين أن لا يرجعوا
الا بأحد الثلاثة بالنحر فى المنحر وأبوا أن لا يكتبوا محمدا رسول الله وبسم الله فانزل الله السكينة عليهم
فلما سكن رسول الله صلى الله عليه وسلم سكن المؤمنون فلما فرغ من قضية الكتاب قال صلى الله
عليه وسلم لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا فما قام منهم أحد حتى قال ذلك ثلاث مرات لما حصل لهم من الغم
فقام صلى الله عليه وسلم ودخل على أم سلمة فذكر لها ما لقى من الناس من عدم امتثال أمره صلى الله
عليه وسلم فقالت له يا نبى الله اخرج ولا تكلم أحدا منهم حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج
ففعل ذلك فلما رأوا ذلك منه صلى الله عليه وسلم قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا (وألزمهم كلمة
التقوى) أى ألهم الله المؤمنين كلمة الشهادة وهى لا اله الا الله حتى لا يلتفتوا الى ما سوى الله تعالى (وكانوا
أحق بها) أى كانوا أحق بكلمة التوحيد فى علم الله تعالى (وأهلها) أى وكانوا متصفين بكلمة التقوى
فى الدنيا لان الله تعالى اختارهم لصحبة نبيه (وكان الله بكل شئ عليما) فيسوق كل شئ الى مستحقه
(لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) أى لقد جعل الله رؤيا رسوله صادقة ولم يجعلها أضغاث أحلام
وقوله بالحق اما صفة لمصدر محذوف أى صدقا ملتبسا بالحكمة البالغة وهى التمييز بين الراسخ فى
الايمان والمتزلزل فيه أو حال من الرؤيا أى ملتبسة بالصدق ليست من نوع أضغاث الاحلام حيث قال
النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه وقت خروجه الى الحديبية والله (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء
الله) تعالى (آمنين) من العدو فلا تخافون عدوكم من أن يخرجكم فى المستقبل (محلقين رؤسكم
ومقصرين) فقوله تعالى لتدخلن اشارة الى أداء الحج ومحلقين اشارة الى تمام الحج (لا تخافون)
من العدو وفيه أمنكم بعد خروجكم عن الاحرام لان الانسان اذا خرج عن الاحرام بالحلق لا يحرم
عليه القتال وكان عند أهل مكة يحرم قتال من أحرم ومن دخل الحرم أى رأى عام الحديبية
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا
رؤسهم وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم داخلوا مكة فى عامهم فلما خرجوا معه

[illegible] (المؤمنين) [illegible] وقال [illegible] لما الحوهم [illegible] من الحيثما أخذهم فيلجوا وتقاتلوا (وألزمهم كلمة التقوى) أى توحيد الله والايمان برسوله لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل يعنى بسم الله الرحمن الرحيم أبى المشركون أن يقبلوا هذا لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكتب كتاب الصلح بينهم فقالوا ا كتب باسمك اللهم فقال الله تعالى (وكانوا أحق بها وأهلها) يعنى المؤمنين لأن الله تعالى اختارها للايمان وكانوا أحق بكلمة التقوى من غيرهم (لقد صدق الله رسوله) الآية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه قبل خروجه عام الحديبية كانه وأصحابه يدخلون مكة محلقين مقصرين غير خائفين فلما خرج عام الحديبية كانوا قد وطنوا أنفسهم على دخول مكة لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صدوا عن البيت راب بعضهم ذلك فاخبر الله تعالى ان تلك الرؤيا صادقه وانهم يدخلونها ان شاء الله آمنين وقوله فعلم

صلى

[illegible] (فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) أي من دون دخولكم [illegible]
فتحا قريبا وهو صلح الحديبية ولم يكن فتح في الاسلام كان أعظم من ذلك لانه دخل في الاسلام في تلك السنتين مثل ما كان في الاسلام قبل ذلك أو أكثر وقيل يعني فتح خيبر (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) أي ليجعل دين الحق ظاهرا على سائر الاديان يعني عاليا عليها (وكفى بالله شهيدا) انك مرسل بالحق ثم حقق تلك الشهادة وبينها فقال (محمد رسول الله والذين معه) من المؤمنين (أشداء) أي غلاظ (على الكفار رحماء بينهم) أي متوادون متعاطفون (تراهم ركعا سجدا) في صلاتهم (يبتغون فضلا من الله) أن يدخلهم الجنة (ورضوانا) أي أن يرضى عنهم (سيماهم) أي علامتهم (في وجوههم من أثر السجود) يعني نورا وبياضا في وجوههم يوم القيامة يعرفون بذلك انهم سجدوا في دار الدنيا لله تعالى (ذلك مثلهم) أي صفة محمد وأصحابه (في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه) أي فراخه ونباته (فآزره) أي قواه واعانه أي قوى الشطأ الزرع كما قوى أمر محمد صلى الله عليه وسلم أصحابه والمعنى انهم يكونون قليلا ثم يكثرون وهذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم اذ خرج وحده فأيده بأصحابه كما قوى الطاقة من الزرع بما ينبت حولها (فاستغلظ) أي فغلظ وقوي (فاستوى) أي تم وتلاحق نباته وقام على سوقه جمع ساق (يعجب الزراع) بحسن نمائه واستوائه (ليغيظ بهم

صلى الله عليه وسلم وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك قال عبد الله بن أبي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت هذه الآية (فعلم مالم تعلموا) أي فعلم الله مالم تعلموا في الصلح في الحديبية من المصلحة المتجددة فان دخولكم في سنتكم سبب لهلاك المؤمنين والمؤمنات (فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) أي فجعل الله من قبل ذلك الدخول في مكة أو جعل الله في المنع عن الوصول الى مكة أو جعل الله لاجل صلح الحديبية فتحا سريعا وهو فتح خيبر فيقويكم به فانه كان سبب الاسلام ناس كثيرة تقوى بهم المسلمون فتكون تلك الكثرة سبب الهيبة الكفار ولمنعهم من قتال المسلمين حين رجعوا الى مكة في العام القابل (هو الذي أرسل رسوله بالهدى) أي بالقرآن (ودين الحق) أي وبدين الاسلام (ليظهره على الدين كله) أي ليعلي الله أو رسوله الدين الحق على كل الاديان بنسخ بعض الاحكام وباظهار بطلان الباطل و بتسليط المسلمين على أهل الباطل (وكفى بالله شهيدا) على نبوة رسوله باظهار المعجزات (محمد رسول الله) فمحمد خبر مبتدأ محذوف أي هو أي الرسول المرسل بذلك محمد ورسول الله عطف بيان أو هو مبتدأ ورسول الله نعت له مفيد للمدح والموصول بعده عطف عليه وخبره أشداء ورحماء وتراهم وعلى هذا فلا يحسن الوقف على رسول الله بل على بينهم بخلاف الاعراب الاول فالوقف على رسول الله حسن كما اذا جعل خبر المحمد (والذين معه) أي الذين قاموا معه يدعون الكفار الى دين الله (أشداء على الكفار رحماء بينهم) أي هم يظهرون الصلابة لمن خالف دينهم والرأفة لمن وافقهم في الدين فانهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تمس ثياب الكفار ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم ولا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه وقرئ أشداء ورحماء بالنصب على المدح أو على الحال فالخبر حينئذ قوله تعالى (تراهم ركعا سجدا) أي تشاهدهم أيها السامع حال كونهم راكعين ساجدين في الصلاة (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أي يطلبون من الله ثوابا ورضا التمييز ركوعهم وسجودهم عن ركوع الكفار وسجودهم وعن ركوع المرائين وسجودهم (سيماهم في وجوههم من أثر السجود) أي علامة سهرهم كائنة في وجوههم كائنة من أثر كثرة السجود بالليل ففي وجوههم خبر ومن أثر حال وقرئ سيمياؤهم بالياء بعد الميم و بالمد وقرئ من آثار السجود بعد الهمزة والثاء وقرئ من اثر السجود بكسر الهمزة قال صلى الله عليه وسلم من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار أي وهذا محقق لمن يعقل و يفرق بين الساهر في الشرب واللعب والساهر في الذكر واستفادة العلم (ذلك مثلهم في التوراة) فذلك مبتدأ ومثلهم خبره وفي التوراة حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة والوقف هنا تام أي ذلك المذكور من انهم أشداء على الكفار الى آخره صفتهم في التوراة (ومثلهم في الانجيل كزرع) ومثلهم مبتدأ وخبره كزرع فهذان مثلان كما ذهب اليه ابن عباس أي وصفتهم الكائنة في الانجيل كزرع (أخرج شطأه فآزره) أي مثل زرع أخرج فراخه فقوى الفراخ بكثافتها الزرع (فاستغلظ) أي فصار الزرع غليظا بعدما كان دقيقا (فاستوى على سوقه) أي فاستقام الزرع على قصبه (يعجب الزراع) وهذا مثل ضربه الله تعالى لاصحابه صلى الله عليه وسلم في الانجيل انهم قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا وافترقوا في أمرهم يوما فيوما بحيث أعجب الناس قيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر (ليغيظ بهم

الكفار) وقال بعضهم محمد رسول الله والذين معه أبو بكر الصديق فانه أول من آمن به [illegible]
الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا علي بن أبي طالب يبتغون فضلا
من الله بقية المبشرين بالجنة طلحة والزبير وسعد وسعيد وأبي عبيدة وعبد الرحمن سيماهم في وجوههم
سلمان وبلال وصهيب وأصحابهم كزرع محمد أخرج شطأه أبا بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان بالاسلام
فاستوى على سوقه علي بن أبي طالب أي استقام الاسلام بسيفه يعجب الزراع أي المؤمنين ليغيظ بهم
الكفار أي بقول عمر لاهل مكة بعدما أسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال أرحم أمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقضاهم علي وأفرضهم زيد
وأقرؤهم أبي وأعلمهم بالحرام والحلال معاذ بن جبل ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن
الجراح ويقال نزلت الآية من قوله تعالى والذين معه الى ههنا في مدحة أهل بيعة الرضوان وبعض
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المخلصين المطيعين لله وقوله تعالى ليغيظ تعليل لمحذوف دل عليه تشبيههم
بالزرع كأنه قيل انما قواهم الله تعالى وكثرهم ليغيظ بهم الكفار أو تعليل لوعد الله الذين آمنوا الخ
لان الكفار اذا سمعوا بعزة المؤمنين في الدنيا وبما أعد الله لهم في الآخرة غاظهم ذلك أشد غيظ أو تعليل
محذوف دل عليه قوله تعالى أشداء على الكفار الخ أي جعلهم الله تعالى بهذه الصفات الجليلة ليغيظ بهم
الكفار (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) وضمير منهم راجع للصحابة
فمن لبيان الجنس لانهم كلهم بتلك النعوت الجليلة أو للكفار فمن للتبعيض

﴿سورة الحجرات مدنية وهي ثمان عشرة آية وثلاثمائة وثلاث
وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وستة وسبعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) وقرأ العامة بضم التاء وفتح القاف وتشديد الدال
المكسورة أي لا تقدموا أنفسكم في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم أي لا تجعلوا لانفسكم تقدما في الرأي
عنده صلى الله عليه وسلم وذكر لفظ الله تعظيما للرسول واشعارا بأنه عند الله في منزلة عظيمة توجب
اجلاله وقرأ ابن عباس والضحاك لا تقدموا بالفتح في الاحرف الثلاثة وقرئ لا تقدموا بضم التاء
وكسر الدال أي لا تقدموا على شيء من أمور الدين بغير اذن الله ورسوله (واتقوا الله) في كل ما تأتون
وما تذرون من الاقوال والافعال (ان الله سميع) لاقوالكم (عليم) بافعالكم نزلت هذه الآية في
ثلاثة نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قتلوا رجلين من بني سليم في صلح النبي صلى الله عليه وسلم
بغير أمره فنهاهم الله تعالى وقال لا تقدموا بين يدي الله ورسوله أي لا تجترؤا على اتيان أمر من غير اذن
من له الاذن واتقوا الله في مخالفة الحكم المنهي عنه ان الله سميع لمقالة الرجلين عليم بما اقترفا وكان قولهم
لو كان هكذا لكان كذا (يا أيها الذين آمنوا) نزلت هذه الآيات في ثابت بن قيس بن شماس يرفع صوته
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم وفد بني تميم فنهاه الله عن ذلك فقال يا أيها الذين آمنوا
(لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) فان رفع الصوت دليل قلة الاحتشام وترك الاحترام (ولا
تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) أي لا تجهروا له كما تجهرون لاقرانكم بل اجعلوا كلمته عليا ولا
تكثروا الكلام عنده وقللوا غاية التقليل فلا تخاطبوه صلى الله عليه وسلم كما تخاطبون غيره (أن تحبط
أعمالكم) أي خشية حبوط أعمالكم فقوله تعالى لا ترفعوا الخ نهي عن زيادة صوتهم على صوت

[مغفرة وأجرا عظيما)
﴿تفسير سورة الحجرات﴾
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) أي لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة وقيل لا تذبحوا قبل ان يذبح النبي صلى الله عليه وسلم في الأضحى وقيل لا تصوموا قبل صومه نزلت في النهي عن الصوم يوم الشك والمعنى لا تسبقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يكون هو الذي يأمركم به (واتقوا الله) في مخالفة أمره (ان الله سميع) لأقوالكم (عليم) بأحوالكم (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان جهوري الصوت وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته فأمر بغض الصوت عند مخاطبته (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) أي لا تنزلوه منزلة بعضكم من بعض فتقولوا يا محمد ولكن خاطبوه بالنبوة والسكينة والاعظام (ان تحبط أعمالكم) كي لا تبطل حسناتكم

الرسول وقوله تعالى ولاتجهروا الخ نهى عن مساواة صوتهم لصوته (وأنتم لاتشعرون) بحبوط الاعمال (ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) أى يخفضونها عنده مراعاة للادب (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أى الذين امتحن الله قلوبهم ليعلم منها التقوى فان من يعظم واحدا من أبناء جنسه لكونه رسول مرسل يكون تعظيمه للمرسل أعظم وخوفه منه أقوى فالاختبار بالمحن والتكاليف الشاقة سبب لظهور التقوى و يقال أولئك الذين أخلص الله قلوبهم للتوحيد وصفاها من المعصية (لهم مغفرة وأجر عظيم) فيما جرى الكلام بين أبى بكر وعمر فى تأمير القعقاع بن معبد أو الاقرع بن حابس على وفد بنى تميم نزل قوله تعالى ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله الآية ولما رفعا أصواتهما فى تلك القضية نزل قوله تعالى ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم الآية ولما خفضا أصواتهما بعد ذلك نزل ان الذين يغضون أصواتهم الآية ولما دخل أعراب بنى تميم المسجد ونادوا النبى صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات أن اخرج الينا فان مدحنا زين وذمنا شين وكانوا سبعين رجلا قدموا الفداء ذرارى لهم وكان النبى صلى الله عليه وسلم نام للقائلة نزل (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) الآيتين وقال ابن عباس بعث النبى صلى الله عليه وسلم سرية الى قوم من بنى عنبر جماعة من خزاعة وأمر عليهم عيينة بن حصن الفزارى فسار اليهم فلما بلغهم انه خرج اليهم فروا وتركوا عيالهم وأموالهم فسبى ذراريهم وجاء بهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فجاؤا يفادوا ذراريهم فدخلوا المدينة عند القيلولة فنادوا النبى صلى الله عليه وسلم يامحمد اخرج الينا وكان نائما حتى أيقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يامحمد فادنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يأمرك أن تجعل بينك و بينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أترضون أن يكون بينى و بينكم شبرمة بن عمرو وهو على دينكم فقالوا نعم فقال شبرمة أنا لاأحكم وعمى عمرو شاهد وهو الاعور ابن بسامة فرضوا به فقال الاعور أرى ان تفادى نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم وأعتق نصفهم ولو صبر والأعتق جميعهم بغير فداء فأنزل الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات (أكثرهم لايعقلون) أى ان الذين يدعونك من خلف حجرات نسائك كلهم لايعقلون اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على سوء الادب فكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة ومناداتهم من خارج الحجرات اما بأنهم أتوها حجرة حجرة فنادوه صلى الله عليه وسلم من خارجها أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فنادى كل واحد على حجرة (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم) أى ولو ثبت صبرهم وانتظارهم الى الصلاة حتى تخرج اليهم لكان الصبر حسنا لهم وخيرا من استعجالهم ايقاظك فى الهاجرة ومالو قرعوا الباب بالاظافر كما كان يفعل غيرهم من الصحابة ولو راعوا حسن الأدب وتعظيم الرسول لزادهم فى الفضل فأطلق ذراريهم ونساءهم كلهم بلا فداء (والله غفور رحيم) لهؤلاء ان تابوا وأصلحوا (ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) نزلت هذه الآية فى الوليد بن عتبة أخى عثمان لأمه بعثه النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى المصطلق ليجىء بصدقاتهم وكان بينه و بينهم عداوة فى الجاهلية فلما سمعوا به تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انهم منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلى فغضب الرسول فأرادهو أن يغزوهم فنهاه الله عن ذلك فقال ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بخبر فتفحصوا

فلما نزلت هذه الآية خفض أبو بكر وعمر صوتهما فى كلما النبى صلى الله عليه وسلم الا كأخى السرار فأنزل الله تعالى (ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أى اختبرها فأخلصها للتقوى (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) نزلت فى وفد تميم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفاخروه فنادوا على الباب يامحمد اخرج الينا فان مدحنا زين وان ذمنا شين فقال الله (بل أكثرهم لايعقلون) أى انهم جهال اذ لو عقلوا لما فاخروا رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم) أى من ايذائهم اياك بالنداء على بابك (والله غفور رحيم) أى لمن تاب منهم (ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ) نزلت فى الوليد بن عقبة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا الى قوم كانت بينه و بينهم ترة فى الجاهلية فخاف أن يأتيهم وانصرف من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انهم منعوا الصدقة وقصدوا قتلى فذلك قوله ان جاءكم فاسق بنبأ (فتبينوا) أى فاعلموا صدقه من كذبه

وقرئ فتثبتوا أي قفوا حتى يتبين لكم ما جاء به من صدقه أو كذبه (أن تصيبوا قوماً بجهالة) أي حذراً أن تصيبوا قوماً بالقتل والسبي ملتبسين بجهالة حالهم (فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) أي فتصيروا بعد ظهور براءتهم عما نسب إليهم نادمين على ما فعلتم في حقهم في إصابتهم بالقتل وغيره (واعلموا أن فيكم رسول الله) هو مرشد لكم فارجعوا إليه واعتمدوا على قوله (لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم) أي لو يتبعكم رسول الله في كثير من الحوادث لوقعتم في شدة وهلاك وقد يوافق الناس و يفعل بمقتضى مصلحتهم تحقيقة لفائدة قوله تعالى وشاورهم في الامر (ولكن الله حبب إليكم الايمان) أي بينه وقربه إليكم وأدخله في قلوبكم (وزينه في قلوبكم) بالبرهان اليقيني بحيث لا تفارقونه ولا يخرج من قلوبكم (وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان) وهذه الثلاثة في مقابلة الايمان الكامل فانه يجمع التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان فالكفر هو التكذيب بالجنان والفسوق هو كذب اللسان كما قاله ابن عباس فقد قال تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ فسمى من كذب فاسقا والعصيان هو ترك الامر (أولئك هم الراشدون) أي الموافقون للرشد يأخذون ما يأتيهم الله و ينتهون عما ينهاهم (فضلا من الله ونعمة) مفعول من أجله منصوب بحبب وكره أو بالراشدون (والله عليم) بما في خزائن رحمته من الخير وكانت النعمة هو ما يدفع به حاجة العبد (حكيم) ينزل الخير بقدر ما يشاء على وفق الحكمة (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) قيل نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق وأصحابه وعبد الله بن رواحة المخلص وأصحابه وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حماراً ومر على ابن أبي وكان من الخزرج فبال الحمار فسد ابن أبي أنفه وقال إليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك وذلك قبل أن يسلم بالظاهر فقال ابن رواحة وكان من الاوس لبول حماره صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا من مسكك فكان بين قومهما وهما الاوس والخزرج ضرب بالايدي والنعال والسيف وعن قتادة نزلت في رجلين من الانصار كان بينهما مداراة في حق فقال أحدهما للآخر لآخذن حقي منك عنوة وطلب الآخر منه أن يحاكمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أن يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالايدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وعن سفيان عن السدي قال كانت امرأة من الانصار يقال لها أم زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شيء فرقي بها الى علية وحبسها فبلغ ذلك قومها فجاؤا وجاء قومه فاقتتلوا بالايدي والنعال فنزلت هذه الآية أي وان تقاتل فرقتان من المؤمنين فأصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى (فان بغت احداهما) أي ظلمت (على الأخرى) بأن أبت الاجابة الى حكم كتاب الله تعالى (فقاتلوا التي تبغي) أي تظلم (حتى تفيء الى أمر الله) أي حتى ترجع تلك الطائفة التي لم تقبل النصيحة الى الصلح وهو مأمور به (فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل) أي فان رجعت الى الصلح حذراً من قتالكم فاحكموا بينهما بعد تركهما القتال بالحق ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى أن يكون بينهما قتال في وقت آخر (وأقسطوا) أي واعدلوا في كل أمر (ان الله يحب المقسطين) أي العادلين في كل ما يأتون وما يذرون فيفضي الى أشرف درجة وأرفع منزلة (انما المؤمنون اخوة) في الدين (فأصلحوا بين أخويكم) وان لم تكن الفتنة عامة وان لم يكن الامر عظيما كالقتال بل لو كان بين رجلين من المسلمين أدنى اختلاف فاسعوا في الاصلاح وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم وأخوانكم (واتقوا الله) بالصون عن التشاجر فان من اتقى الله شغله تقواه عن الاشتغال بغيره قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم الناس من لسانه وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن من يأمن جاره

(أن تصيبوا) أي لئلا تصيبوا (قوما بجهالة) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أن يغزوهم حتى تبين له طاعتهم (واعلموا أن فيكم رسول الله) فلا تقولوا الباطل فان الله يخبره (لو يطيعكم في كثير من الامر) أي لو أطاع هذا المخبر الذي أخبره بما لا أصل له (لعنتم) أي لأثمتم ولهلكتم (ولكن الله حبب إليكم الايمان) فأنتم تطيعون الله ورسوله ولا تقعون في العنت يعني بهذا المؤمنين المخلصين ثم أثنى عليهم فقال (أولئك هم الراشدون فضلا من الله) أي الفضل من الله عليهم (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) نزلت في جمعين من الانصار وكان بينهما قتال بالايدي والنعال (فأصلحوا بينهما) أي بالدعاء الى حكم كتاب الله (فان بغت) أي تعدت (احداهما على الاخرى) وعدلت عن الحق (فقاتلوا الباغية (حتى تفيء) أي حتى ترجع الى أمر الله في كتابه (فان فاءت) أي رجعت (فأصلحوا بينهما) أي بحملهما على الانصاف (وأقسطوا) أي واعدلوا (ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة) في الدين والولاية (فأصلحوا بين أخويكم) إذا اختلفا واقتتلا (واتقوا الله) في اصلاح ذات البين

بوائقه

بواثقه (لعلكم ترحمون) على تقواكم (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم) أي رجال منكم (من قوم) آخرين منكم قال ابن عباس نزلت هذه الآية في ثابت بن قيس بن شماس حيث ذكر رجلا من الانصار بسوء ذكر أم رجل كانت في الجاهلية وقال الضحاك نزلت في وفد تميم كانوا يستهزؤن بفقراء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخبيب وابن فهيرة وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبي حذيفة لما رأوا من رثاثة حالهم ومعنى الآية لا تحتقروا اخوانكم ولا تستصغروهم (عسى أن يكونوا خيرا منهم) تعليل للنهي أي عسى أن يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين (ولا نساء من نساء) روى عن أنس ان هذه الآية نزلت في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عيرن أم سلمة بالقصر وروى عكرمة عن ابن عباس أنها نزلت في صفية بنت حيي بن أخطب قالت لها بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهودي فنهاهن الله عن ذلك وقال ولا نساء من نساء أي ولا تسخر نساء من المؤمنات من نساء منهن (عسى أن يكن) أي المسخور منهن (خيرا منهن) أي من الساخرات عند الله وأفضل نصيبا (ولا تلمزوا أنفسكم) أي ولا يعب بعضكم بعضا باشارة أو نحوها فصرتم عائبين من وجه معيبين من وجه (ولا تنابزوا بالالقاب) أي ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) أي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسق بعد دخولهم في الايمان واشتهارهم به ويقال هذا تمام للزجر ويصير التقدير بئس الفسوق بعد الايمان وبئس ان تسموا بالفاسق بسبب السخر واللمز والتنابز بعد ما سميتم مؤمنين (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) اي ومن يجعل ذلك عادة ولم يتركه ولم يتب عما مضى فهو ظالم (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) فيجب الاحتياط والتأمل في كل ظن حتى يعلم انه من أي نوع فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وظن الخير في الله تعالى ففي الحديث القدسي أنا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا وظن الخير في المؤمن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ظنوا بالمؤمن خيرا ومنه ما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وظن السوء بالمؤمن ومنه ما يباح كالظن في الامور المعاشية (ان بعض الظن اثم) أي ذنب يستحق العقوبة (ولا تجسسوا) أي ولا تبحثوا عن عورات المسلمين والمعنى ولا تتبعوا الظن ولا تجتهدوا في طلب اليقين في معايب الناس (ولا يغتب بعضكم بعضا) أي لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) وقرأ نافع بتشديد الياء وهو حال من اللحم او من الأخ فالاغتياب كأكل لحم الآدمي ميتا ولا يحل أكله الا للمضطر بقدر الحاجة فالمغتاب ان وجد لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب ففي هذه الآية نهي عن اغتياب المؤمن دون الكافر أما الفاسق فيجوز أن يذكر بما فيه عند الحاجة فمن نقص مسلما أو ثلم عرضه فهو كآكل لحمه حيا ومن اغتابه فهو كآكل لحمه ميتا لان الميت لا يعلم بأكل لحمه كما ان الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه (فكرهتموه) أي الاكل فالاستفهام في قوله تعالى أيحب للانكار فكأنه تعالى قال لا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه اذا وقرئ كرهتموه بغير فاء أي جبلتم على كراهته (واتقوا الله) بترك ما أمرتم باجتنابه وبالندم على ما صدر عنكم من قبل (ان الله تواب رحيم) ذكر الله تعالى في هذه الآية أمورا ثلاثة مرتبة فكأنه تعالى قال لا تقولوا في حق المؤمنين ما لم تعلموه فيهم بناء على الظن ثم اذا سئلتم عن المظنونات فلا تقولوا نحن نكشف أمورهم لنستيقنها قبل ذكرها ثم ان علمتم منها شيأ من غير تجسس فلا تقولوه ولا تفشوه عنهم ففي الاول نهي عن تكلم ما لم يعلم ثم نهي عن طلب علم عيب الناس ثم نهي عن ذكر ما علم منه روى ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب منه لهما طعاما فقال له انطلق الى أسامة بن زيد واطلب منه فضل طعام وادام ان كان

(لعلكم ترحمون) أي لكي ترحموا به (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم) الآية نهى الله المؤمنين والمؤمنات أن يسخر بعضهم من بعض (عسى أن يكونوا خيرا منهم) أي عسى أن يكون المسخور منه خيرا من الساخر ومعنى السخرية ههنا الازدراء والاحتقار (ولا تلمزوا أنفسكم) أي لا يعب بعضكم بعضا (ولا تنابزوا بالالقاب) وهو أن يدعى الرجل بلقب يكرهه نهى الله عن ذلك (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) يعني ان السخرية واللمز والتنابز فسوق بالمؤمن وبئس شين ذلك بعد الايمان (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم) وهو أن يظن السوء بأهل الخير ومن لا يعلم منه فسق (ولا تجسسوا) أي لا تطلبوا عورات المسلمين ولا تبحثوا عن معايبهم (ولا يغتب بعضكم بعضا) أي لا تذكروا أحدكم بشيء يكرهه وان كان فيه ذلك الشيء (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) يعني أن ذكرك أخاك على غيبته بسوء كأكل لحمه وهو ميت يعني لا يحس بذلك (فكرهتموه) أي

عنده فأتاه فقال ماعندي شيء فرجع سلمان اليهما فأخبرهما فقالا كان عند اسامة ولكن بخل فبعثا سلمان الى بعض الصحابة فلم يجد عندهم شيأ فلما رجع قالا لو بعثنا سلمان الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما فقالا ماتناولنا لحما في يومنا هذا فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتما سلمان واسامة فنزلت هذه الآية ثم قال تعالى (ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) أي من آدم وحواء ومن أب وأم فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب (وجعلناكم شعوبا وقبائل) وطبقات النسل التي عليها العرب سبعة الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة والعشيرة وكل واحد يدخل فيما قبله فالعشائر تحت الفصائل وهي تحت الافخاذ وهي تحت البطون وهي تحت العمائر وهي تحت القبائل وهي تحت الشعوب فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وعبد مناف فخذ وهاشم فصيلة والعباس عشيرة (لتعارفوا) أي ليعرف بعضكم بعضا بأصل الانسان فلا ينتسب أحد الى غير آبائه لا لتتفاخروا بالآباء والقبائل ولا لتدعوا التفاوت في الانساب (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) قال صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس قال كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى قال الرازي سمعت ان بعض الشرفاء في بلاد خراسان كان في النسب أقرب الناس الى علي رضي الله عنه غير انه كان فاسقا وكان هناك مولى أسود تقدم بالعلم والعمل ومال الناس الى التبرك به فاتفق انه خرج يوما من بيته يقصد المسجد فاتبعه خلق فلقيه الشريف سكران وكان الناس يطردون الشريف ويبعدونه عن طريقه فغلبهم وتعلق بأطراف الشيخ وقال له ياأسود الحوافر والشوافر يا كافر بن كافر أنا ابن رسول الله أذل وتجل وأذم وتكرم وأهان وتعان فهم الناس بضربه فقال الشيخ لاهذا محتمل منه لجده وضربه معدود بحده ولكن ياأيها الشريف بيضت باطني وسودت باطنك فيرى الناس بياض قلبي فوق سواد وجهي فحسنت وأخذت سيرة أبيك وأخذت سيرة أبي فرآني الخلق في سيرة أبيك ورأوك في سيرة أبي فظنوني ابن أبيك وظنوك ابن أبي فعملوا معك مايعمل مع أبي وعملوا معي مايعمل مع أبيك (ان الله عليم) بأنسابكم وبأعمالكم (خبير) ببواطن أحوالكم لاتخفى عليه أسراركم فاجعلوا التقوى عملكم وزيدوا في التقوى قال الزهري نزلت هذه الآية في أبي هند خاصة قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني بياضة أن يزوجوا أباهند امرأة منهم فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم نزوج بناتنا موالينا فأنزل الله تعالى هذه الآية قال ابن عباس لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة فأذن فقال عتاب بن أسيد بن أبي الفيض الحمد لله الذي قبض أبي حتى لايرى هذا اليوم وقال الحرث بن هشام ماوجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهل بن عمرو ان يرد الله شيأ يغيره وقال أبو سفيان أنا لا أقول شيأ أخاف أن يخبره به رب السموات فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما قالوا فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا فأنزل الله تعالى هذه الآية زجرا لهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازدراء بالفقراء فان مدار كمال النفوس وتفاوت الاشخاص هو التقوى (قالت الأعراب) أي أهل البادية (آمنا) نزلت هذه الآية في بني أسد أصابتهم سنة شديدة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاظهروا له الاسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر طالبين الصدقة وافسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها ونحن قد جئناك بالاطفال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان أطعمنا وأكرمنا يارسول الله فانا صدقنا بجميع ماجئت به فأنزل الله هذه الآية (قل) ياأشرف الخلق لهم (لم تؤمنوا) أي لم

كما كرهتم أكل لحمه ميتا فاكرهوا ذكره بسوء (ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) أي كلكم بنو أب واحد وأم واحدة ولا تفاضل بينكم في النسب (وجعلناكم شعوبا) وهي رؤس القبائل كربيعة ومضر (وقبائل) وهي دون الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر (لتعارفوا) أي ليعرف بعضكم بعضا في قرب النسب وبعده لا لتتفاخروا بها ثم أعلم أن أرفعهم عنده منزلة أتقاهم فقال (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) الآية (قالت الأعراب آمنا) نزلت في نفر من بني أسد قدموا المدينة في سنة جدبة بذراريهم وأظهروا كلمة الشهادة ولم يكونوا مؤمنين في السر فقال الله تعالى (قل لم تؤمنوا

تصدق قلوبكم لانكم لو آمنتم لم تمنوا على فلا تقولوا آمنا (ولكن) أسلمتم أى أظهرتم الانقياد واستسلمتم من السيف والسبى بل (قولوا أسلمنا) فان الاسلام انقياد ودخول فى السلم واظهار الشهادة وهذا قد حصل أما الايمان وهو التصديق المقارن للثقة وطمأنينة القلب لم يحصل لكم والا لما مننتم على ما ذكرتم (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) أى ولم يدخل حب الايمان فى قلوبكم الى هذا الوقت فلا يعد اقرار اللسان ايمانا الا بموافقة القلب (وان تطيعوا الله ورسوله) بالاخلاص وترك النفاق فى السر كما أطعتموهما فى العلانية (لا يلتكم من أعمالكم شيأ) أى لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيأ من النقص وقرأ الدورى عن أبى عمرو ولا يألتكم بهمزة ساكنة بعد الياء التحتية وأبدلها السوسى ألفا وقرأ الباقون بغير همز ولا ألف (ان الله غفور) لكم ما قد سلف ان تبتم (رحيم) بما أتيتم به من الطاعة بالتفضل عليكم (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) أى لم يشكوا فى ايمانهم (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) أى فى طاعة الله على تكثر أنواعها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد (أولئك هم الصادقون) أى أولئك الموصوفون بما ذكرهم الذين صدقوا فى دعوى الايمان لا غيرهم وروى انه لما نزلت هذه الآية جاؤا وحلفوا انهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى (قل) لهؤلاء الأعراب مبكتا لهم (أتعلمون الله بدينكم) أى أتخبرون الله بدينكم بقولكم آمنا (والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) فيعلم ما فى قلوب أهلهما [illegible] (والله بكل شئ عليم) فلا يخفى عليه شئ فالدين ينبغى أن يكون لله وأنتم أظهرتموه لنا لا لله فلا يقبل منكم ذلك (يمنون عليك أن أسلموا) أى يعدون اسلامهم من غير قتال منة عليك وهى النعمة التى لا يطلب معطيها ثوابا ممن أنعم اليه (قل) فى جواب قولهم هذا (لا تمنوا على اسلامكم) أى لا تعدوا الاسلام الذى عندكم منة على فان الله تعالى كذبهم فى قولهم آمنا ولم يصدقهم فى الاسلام فانهم انقادوا للحاجة وأخذ الصدقة (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان) أى بسبب ان هداكم للايمان حيث بين لكم الطريق المستقيم ودعاكم اليه فان ارسال الرسول بالآيات البينات هداية وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم أى فى زعمكم (ان كنتم صادقين) فى قولكم آمنا فالله هو المنان عليكم (ان الله يعلم غيب السموات والارض) فلا يخفى عليه أعمال قلوبكم الخفية (والله بصير بما تعملون) من ظاهر اسلامكم وقرأ ابن كثير بالياء التحتية على الغيبة نظرا لقوله تعالى يمنون والباقون بالتاء على الخطاب نظرا الى قوله تعالى لا تمنوا على اسلامكم

﴿سورة ق مكية وهى خمس وأربعون آية وثلاثمائة وخمس وتسعون كلمة وألف وأربعمائة وأربعة وتسعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ق) قال ابن عباس هو جبل أخضر محدق بالدنيا وخضرة السماء منه وهو قسم أقسم الله به قال الرازى المنقول عن ابن عباس ان ق اسم جبل وأما ان المراد فى هذا الموضع به ذلك فلا (والقرآن المجيد) أى العظيم لان القرآن عظيم الفائدة أو لانه كلام الله تعالى أو كثير الكرم لان كل من طلب مقصوده من القرآن وجده فانه مغنى كل من لاذ به وذى الشرف فان من علم معانيه وعمل بما فيه شرف عند الله تعالى وعند الناس (بل عجبوا) وهذا اضراب عن جواب القسم المحذوف أى ما آمن كفار مكة بمحمد والقرآن بل جعلوا كلا منهما عرضة للتعجب مع كونهما أقرب شئ الى التلقى بالقبول وانما عجبوا من ذلك لكون محمد من جنسهم لا من جنس الملائكة ولكون القرآن أخبر بالبعث بعد الموت وذلك

ولكن قولوا أسلمنا) أى لم تصدقوا الله ورسوله بقلوبكم ولكن أظهرتم الطاعة مخافة القتل والسبى (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله) ظاهرا وباطنا (لا يألتكم) أى لا ينقصكم (من) ثواب (أعمالكم شيأ) ثم بين حقيقة الايمان والمؤمن فقال (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله) الآية يعنى هؤلاء هم الذين صدقوا فى ايمانهم لا من أسلم خوف السيف ورجاء المنفعة فلما نزلت الآيتان أتت الأعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلفوا بالله انهم مؤمنون وعلم غير ذلك منهم فأنزل (قل أتعلمون الله بدينكم) أى أتعلمونه بما أنتم عليه وهو يعلم ذلك (يمنون عليك أن أسلموا) وذلك انهم كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم [illegible] بالعيال والاثقال [illegible] ولم نقاتلك كما قاتلك [illegible] فأعطنا فقال [illegible] تمنوا على اسلامكم [illegible] يمن عليكم أن [illegible] للايمان ان كنتم [illegible] انكم مؤمنون [illegible] ان صدقتم فى [illegible]

﴿تفسير سورة ق﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ق) قضى الله ما هو كائن (والقرآن المجيد) الكثير الخير (بل عجبوا) يعنى كفار مكة

قوله تعالى (أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب) أي عجبوا من ان جاءهم رسول من جنسهم يخوفهم بالنار بعد البعث فقال كفار مكة منهم أبي وأمية ابنا خلف ومنبه ونبيه ابنا الحجاج هذا أي كون المنذر منا وكون المنذر به هو البعث بعد الموت أمر يتعجب منه (أئذا متنا وكنا ترابا) أي أحين نموت ونصير ترابا نرمبها نبعث (ذلك رجع بعيد) أي ذلك الخبر برجوعنا الى ما كنا عليه بعد موتنا رجع بعيد من الاوهام والامكان وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي بكسر الميم متنا والباقون بالضم قال الله تعالى رد الاستبعادهم (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) أي ما تأكل الارض من لحومهم وعظامهم فلا تخفى علينا أجزاؤهم بسبب تشتتها في الارض أي ان الله تعالى عالم بجميع أجزاء كل واحد من الموتى لا يشتبه عليه جزء أحد على الآخر وقادر على الجمع والتأليف فليس الرجوع منه ببعيد وكما يعلم أجزاءهم يعلم أعمالهم فذلك قوله تعالى (وعندنا كتاب حفيظ) أي حافظ لاجزائهم وأعمالهم بحيث لا ننسى شيأ منها أي فالعلم عندي كما يكون في الكتاب أعلم جزأ جزأ وشيأ شيأ (بل كذبوا بالحق) أي بالنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة (لما جاءهم) أي حين جاءهم منذر هو محمد صلى الله عليه وسلم من غير تأمل وتفكر وقرئ لما جاءهم بكسر اللام على ان اللام للتوقيت أي وقت مجيء المنذر اياهم (فهم في أمر مريج) أي فهم في شأن المنذر في قول مختلف فانهم تارة يقولون انه ساحر وأخرى شاعر وأخرى كاهن وأخرى مجنون قال الرازي نقول كان الواجب أن ينتقلوا من الشك الى الظن بصدقه صلى الله عليه وسلم لعلمهم بأمانته واجتنابه الكذب طول عمره بينهم ومن الظن الى القطع بصدقه لظهور المعجزات القاهرات على يديه ولسانه فلما غيروا الترتيب حصل عليه المرج ووقع الدرك مع المرج (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم) أي أعموا فلم يشاهدوا السماء كل وقت وهي ظاهرة فوق رؤسهم غير غائبة عنهم (كيف بنيناها) أي رفعناها بغير عمد (وزيناها) بالكواكب (وما لها من فروج) أي والحال ليس لها فتوق وهذا اشارة الى وجه الدلالة فالانسان له أساس وهي العظام التي هي كالدعامة وله قوى وأنوار كالسمع والبصر فبناء السماء أرفع من أساس البدن وزينة السماء أكمل من زينة الانسان بلحم وشحم وليس للسماء فروج وللانسان مسام فتأليف السماء أشد ولا شك ان التأليف الاشد كالنسج الاصفق والتأليف الاضعف كالنسج الاسخف والاول أصعب عند الناس وأعجب فكيف يستبعدون الادون مع علمهم بوجود الاعلى من الله تعالى (والارض مددناها) أي بسطناها على الماء (وألقينا فيها رواسي) أي جبالا ثوابت أوتادا لها (وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) أي من كل لون حسن في المنظر وهذا اشارة الى دليل آخر يدفع قولهم ذلك رجع بعيد وهم قالوا الانسان اذا مات وفارقته القوى لا تعود اليه تلك القوى فنقول الارض أشد جمودا والله تعالى ينبت فيها أنواع النبات فكذلك الانسان تعود اليه الحياة وذكر الله في الارض ثلاثة أمور كما ذكر في السماء ثلاثة أمور فكل واحد في مقابلة واحد فالمد في مقابلة البناء واثبات الرواسي في الارض في مقابلة ركز الكواكب في السماء وشق الارض بالانبات في مقابلة سد الفروج اذا علمت هذا ففي الانسان أشياء موضوعة وأشياء مرفوعة وأشياء ثابتة كالانف والاذن وأشياء متحركة كالمقلة واللسان وأشياء مسدودة الفروج كدور الرأس وأشياء لها فروج كالمناخر والصماخ والفم فالقادر على هذه الاضداد في السبع الشداد غير عاجز عن خلق نظيرها في هذه الاجساد (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) أي خلقنا السماء والارض تبصيرا وتذكيرا لكل عبد مقبل الى الله راجع الى التفكر في بدائع صنائعه فان فيهما آيات مستمرة منصوبة على مرور الزمان وآيات متجددة مذكرة عند التناسي ونصب الاسمين على المفعول من أجله أو على الحال أي مبصرين ومذكرين وقرأ زيد بن علي تبصرة وذكر برفعهما أي هي تبصرة

(أن جاءهم منذر منهم) محمد صلى الله عليه وسلم وهم يعرفون نسبه وأمانته (فقال الكافرون هذا شئ عجيب) يعني هذا الانذار الذي أنذرتنا (أئذا متنا وكنا ترابا) نبعث وهذا استفهام انكار وجوابه محذوف ثم أنكروا ذلك أصلا فقالوا (ذلك) أي البعث (رجع بعيد) أي ردلا يكون قال الله تعالى (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) أي ما تأكل من لحومهم (وعندنا كتاب حفيظ) يعني اللوح المحفوظ من أن يندرس ويتغير فيه جميع الاشياء المقدرة (بل كذبوا بالحق) أي بالقرآن (لما جاءهم فهم في أمر مريج) ملتبس عليهم مرة يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ساحر ومرة شاعر ومرة معلم ثم دلهم على قدرته فقال (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) يعني شقوقا وقوله (من كل زوج بهيج) أي من كل لون حسن (تبصرة) أي فعلنا ذلك تبصرة وتذكيرا ودلالة على قدرتنا (لكل عبد منيب) أي يرجع الى الله ويتفكر في قدرته وقوله

وذكر أى عبرة وعظة (ونزلنا من السماء ماء مباركا) أى نافعا كثير الخير (فأنبتنا به) أى بذلك الماء (جنات) أى أشجارا كثيرة يقطف ثمارها والاصول باقية (وحب الحصيد) أى حب زرع يحصد كل عام (والنخل) وهو جنس مختلط من الزرع والشجر لان الثمر فاكهة وقوت بخلاف غيره فان بعض الثمار فاكهة ولا قوت فيه وأكثر الزرع قوت وأيضا ان من النباتات ما يبقى أصلها سنين ولا يحتاج الى عمل عامل وما لا يبقى أصلها ويحتاج كل سنة الى عمل عامل وما يبقى أصلها ويحتاج كل سنة الى عمل عامل (باسقات) أى طوالا أو حوامل وهى حال مقدرة وقرئ باصقات بالصاد لاجل القاف (لها طلع نضيد) أى لتلك النخل كفرى مجتمعة بعضها فوق بعض (رزقا للعباد) أى لنرزقهم وهذا علة لأنبتنا والحكمة فى تعليل الانبات بالرزق بعد تعليل الانبات الاول بالتبصرة والتذكير اشارة الى ان الواجب على العبد ان يكون انتفاعه بالنباتات من حيث الاستبصار والتذكر أقدم من تمتعه بها من حيث الرزق والحكمة فى اطلاق العباد فى الرزق وفى تقييدهم بكونهم منيبين فى التبصرة والتذكير لان الرزق حصل لكل أحد والتذكرة لا تكون الا لكل منيب فهو يأكل ذاكرا شاكرا للانعام ثم التبصرة بالخلق هو الاستدلال بان القادر على خلق السموات والارض قادر على خلق الخلق بعد الفناء والتذكرة بالبقاء بالرزق بعد الاعادة هو الاستدلال بان البقاء فى الدنيا يكون بالرزق وبان القادر على اخراج الارزاق من النجم والشجر قادر على أن يرزق العبد فى الجنة وان يبقيه فيها (وأحيينا به) أى بذلك الماء (بلدة ميتا) أى أرضا جدبة لا نماء فيها أصلا (كذلك الخروج) أى مثل خروج النبات من الارض بالماء خروجهم من القبور يوم القيامة بالمطر الذى كمنى الرجال ومثل تلك الحياة فى النبات بالاخراج حياتهم بالبعث من القبور على ما كانوا عليه فى الدنيا (كذبت قبلهم) أى قبل قومك (قوم نوح وأصحاب الرس) وهو بئر دون اليمامة وهم قوم شعيب وقيل هم قوم عيسى الذين جاءهم من أقصى المدينة رجل يسعى وقيل هم أصحاب الاخدود (وثمود وعاد وفرعون) وانما نص عليه لانه ليس فى قادة قومه كافر غيره لانه استخف قومه فأطاعوه فجعل الاعتبار له خاصة (واخوان لوط) وانما قال ههنا ذلك لان لوطا كان مرسلا الى طائفة من قوم ابراهيم معارف لوط (وأصحاب الايكة) أى الغيضة وهم قوم شعيب غير أهل مدين (وقوم تبع) وهو كان معتمدا بقومه (كل كذب الرسل) أى فالمذكورون كانوا منكرين للحشر وكل واحد منهم كذب جميع الرسل (فحق وعيد) أى ثبت وعيدى من نصرة الرسل عليهم واهلاكهم (أفعيينا بالخلق الاول) أى أقصدنا ايجاد الانسان وسائر الحيوان وايجاد السموات والارض فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الاعادة (بل هم فى لبس من خلق جديد) أى انهم غير منكرين لقدرتنا على اختراع الخلق من العدم بل هم فى شك فى اعادة الخلق الى الحياة بعد الموت لما فيه من مخالفة العادة (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) أى ما يخطر بباله (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) أى ونحن أقرب الى الانسان من العرق الذى يجرى فيه الدم ويصل الى كل جزء من أجزاء البدن بعلمنا بحاله وبنفوذ قدرتنا فيه يجرى فيه أمرنا كما يجرى الدم فى عروقه (اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد) فاذ منصوب بأقرب أى فالله أقرب الى الانسان من عرقه المخالط له فى وقت أخذ الملكين الحافظين منه قوله وفعله فاحدهما عن اليمين مقاعد وعن الشمال مقاعد وفى هذا اشارة الى ان المكلف غير متروك سدى ويقال وقت ما يتلقاه المتلقيان يكون عن يمينه وعن شماله قعيد فالمتلقيان على هذا الوجه هما الملكان اللذان يأخذ روحه من ملك الموت أحدهما يأخذ أرواح الصالحين ويبقيها الى السرور الى يوم النشور والآخر يأخذ ارواح الطالحين وينقلها الى الثبور الى يوم النشر من القبور أى فهذان الملكان ينزلان

(وحب الحصيد) يعنى ما يقتات من الحبوب (والنخل باسقات) أى طوال (لها طلع نضيد) أى متراكب (رزقا للعباد) أى أنبتنا هذه الأشياء للرزق (فأحيينا به) أى بذلك الماء (بلدة ميتا كذلك الخروج) يعنى من القبور وقوله (وقوم تبع) وهو ملك كان باليمن أسلم ودعا قومه الى الاسلام فكذبوه وقوله (وحق وعيد) أى وجب عليهم العذاب (أفعيينا بالخلق الأول) أى عجزنا عنه حتى نعيا بالاعادة (بل هم فى لبس) أى شك (من خلق جديد) يعنى البعث (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) أى يحدثه قلبه (ونحن أقرب اليه) أى بالعلم (من حبل الوريد) وهو عرق فى العنق (اذ يتلقى المتلقيان) يعنى الملكين الحافظين أى يتلقيان ويأخذان ما يعمله الانسان فيثبتانه (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أى قاعدان على جانبيه

(مايلفظ) أى يتكلم (من قول الالديه رقيب عتيد) أى حافظ حاضر (وجاءت سكرة الموت) أى غمرته وشدته (بالحق) أى من أمر الآخرة حتى يراه الانسان عيانا (ذلك ما كنت منه تحيد) أى تهرب وتروغ يعنى الموت (ونفخ فى الصور) يعنى نفخ البعث (ذلك يوم الوعيد) وهو الذى توعد الله به الكفار (وجاءت كل نفس) الى الحشر (معها سائق) من الملائكة يسوقها (وشهيد) أى شاهد عليها بعملها وهو الأيدى والأرجل فيقول الله تعالى (لقد كنت فى غفلة من هذا) أى من هذا اليوم (فكشفنا عنك غطاءك) أى جلينا عنك سترك حتى تعاينه (فبصرك اليوم حديد) أى فعلمك بما أنت فيه نافذ (وقال قرينه) يعنى الملك الموكل به (هذا مالدى عتيد) أى هذا الذى وكلتنى به قد أحضرته وأحضرت ديوان أعماله فيقول الله تعالى للملكين الموكلين بالانسان (ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد) أى ... معرض عن الحق (مناع للخير) أى الزكاة المفروضة وكل حق فى ماله (معتد) أى ظالم (مريب) أى شاك (قال قرينه) أى من الشياطين (ربنا ما أطغيته) أى ما أضللته (ولكن كان فى ضلال بعيد) أى انما طغى هو ... وانما دعوته فاستجاب لى كما قال فى الاخبار عن الشيطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فحينئذ يقول الله تعالى (لاتختصموا لدى) الموقف ... اليكم الوعيد) أى أنذرتكم بالعقوبة فى الدنيا على لسان الرسل (مايبدل القول لدى) أى لاتبديل لقولى ولاخلف لوعدى

الى الانسان وعنده ملكان كاتبان لاعماله قاعدان عن يمينه وشماله فوقت تلقيهما ايا هما يسألانهما عن أى النوعين كان هذا الانسان فان كان من الصالحين يأخذ روحه ملك السرور ويرجع الى الملك الآخر مسرورا وان كان من الطالحين يأخذها ملك العذاب ويرجع الى الآخر محزونا (مايلفظ من قول) أى مايرمى الانسان المكلف به من فيه من خير أو شر (الالديه رقيب عتيد) أى الالديه ملك يحفظ قوله ويكتبه وملك بهيء الكتابة ماأمر به من الخير أو الشر فكل من كاتب الحسنات وكاتب السيئات يقال له رقيب عتيد وقرىء مايلفظ على البناء للمفعول (وجاءت سكرة الموت بالحق) أى جاءت شدة الموت الذاهبة بالعقل بالموت كأن شدة الموت تحضر الموت كما قرىء وجاءت سكرة الحق بالموت أو يقال المراد من الحق هو الدين فالمعنى وأظهرت سكرة الموت الدين اذما من أحد فى تلك الحالة الاوهو يظهر الايمان لكنه لايقبل الامن سبق منه ذلك (ذلك ما كنت منه تحيد) أى ذلك الموت ما كنت تفر منه أيها السامع (ونفخ فى الصور) هى نفخة البعث فقوله تعالى وجاءت سكرة الموت اشارة الى الاماتة وقوله تعالى ونفخ فى الصور اشارة الى الاحياء والاعادة (ذلك يوم الوعيد) أى ذلك الزمان يوم وقوع الوعيد وهو العذاب الموعود (وجاءت) فى ذلك اليوم (كل نفس معها سائق) أى ملك يسوق البر الى الجنة والفاجر الى النار (وشهيد) أى كاتب فانه يشهد عليها بعملها ويقال (لقد كنت) أيها الشخص فى الدنيا (فى غفلة من هذا) أى اليوم فما من أحد الا وله غفلة ما عن الآخرة وقرىء كنت بكسر التاء باعتبار تأنيث النفس (فكشفنا عنك غطاءك) أى أزلنا عنك غفلتك (فبصرك اليوم حديد) أى نافذ وكان من قبل كليلا وقرىء بكسر الكاف فى المواضع الثلاثة (وقال قرينه هذا مالدى عتيد) أى قال الشيطان الذى زين له العصيان هذا العصيان هو الذى عندى معد لجهنم أو قال الملك الذى يكتب أعماله هذا الكتاب مكتوب عندى مهيأ للعرض قال تعالى خطابا للسائق والشهيد (ألقيا فى جهنم كل كفار) وقرأ الحسن ألقين بنون التوكيد خطاب لواحد من خزنة النار (عنيد مناع للخير معتد مريب) أى ألقيا فى جهنم كل كافر بالله معاند لآياته مانع الناس من اتباع رسول الله ومن الانفاق على من عنده ظالم بالايذاء وكثرة الهذاء شاك فى اليوم الآخر فلا يظن ان الساعة قائمة فكل كافر هو موصوف بهذه الصفات (الذى جعل مع الله الها آخر فألقياه فى العذاب الشديد) وقوله تعالى الذى مبتدأ يشبه الشرط فى العموم ولذا دخلت الفاء فى خبره ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف أى هو الذى جعل ويكون فألقياه تأكيد الالقيا الاول (قال قرينه ربنا ما أطغيته) أى ان الكافر حين يلقى فى النار يقول ربنا أطغانى شيطانى فيقول الشيطان متبرئا منه ربنا ما أضللته (ولكن كان فى ضلال بعيد) أى عن الحق وقال ابن عباس لما يقول الكافر يارب ان الملك زاد على فى الكتابة فكتب على مالم أقل ومالم أفعل وعجلنى بالكتابة حتى نسيت قال الملك الذى يكتب عليه سيئاته ربنا مازدت عليه وما كتبت الاماقال وعمل وما أعجلته بالكتابة ولكن كان فى ضلال طويل لايرجع عنه الى الحق (قال) تعالى خطابا للكافرين وقرنائهم (لاتختصموا لدى) أى فى موقف الحساب والجزاء (وقد قدمت اليكم بالوعيد) أى بالتهديد فى دار الكسب فى كتبى وعلى ألسنة رسلى حيث قلت لكم اذا اتبعتم الشيطان تدخلون النار وقد اتبعتموه (مايبدل القول لدى) أى مايغير الوعيد بتخليد الكافر فى النار ومجازاة العصاة على حسب استحقاقهم فى هذا

الموقف (وما أنا بظلام للعبيد) أي وما أنا بمعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم (يوم نقول لجهنم) وقرئ يقول بالياء (هل امتلأت) أي قد امتلأت كما وعدتك وهو استفهام تقرير والمراد الاخبار عن امتلاء جهنم (وتقول هل من مزيد) أي قد امتلأت فليس في مكان رجل واحد لم يمتلئ فهو استفهام انكار أي لما خاطب الله جهنم بصورة الاستفهام أجابته بصورة الاستفهام أيضا ومرادها الاقرار بامتلائها أو استفهام لطلب الزيادة فهو بمعنى الامر أي زدني يارب (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) أي قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي قربا حقيقيا بحيث يشاهدونها من الموقف أو قربت تقريب حصول لانها تنال بكلمة طيبة وحسنة (هذا) أي الجنة (ما توعدون) في الدنيا وقرأ ابن كثير بالياء على الغيبة (لكل أواب) أي مقبل الى الله وهذا بدل كل من المتقين (حفيظ) أي حافظ لامر الله في الخلوات (من خشي الرحمن بالغيب) حال من المفعول أي غائبا عن الخاشي ومن بدل من كل أو خبر مبتدا مضمر أي هم من خشي الخ والخشية من عظمة المخشي والخوف من ضعف الخاشي (وجاء بقلب منيب) أي برئ من الشرك يقول الله تعالى لهم (ادخلوها) أي الجنة (بسلام) أي بسلامة من عذاب الله تعالى أو بسلام على من فيها فلا تتركوا احسن عادتكم (ذلك يوم الخلود) أي ذلك الزمان يوم خلود أهل الجنة في الجنة (لهم ما يشاؤن فيها) من فنون المطالب (ولدينا مزيد) هو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من معالي الكرامات وقيل ان السحابة تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال تعالى ولدينا مزيد (وكم أهلكنا قبلهم) أي قبل قومك (من قرن هم أشد منهم) أي من قومك (بطشا) أي قوة (فنقبوا في البلاد) أي خرقوا فيها وجالوا في اكناف الارض كل مجال حذر الموت (هل من محيص) أي هل لهم مخلص من أمر الله تعالى (ان في ذلك) أي في اهلاكهم (لذكرى) أي لعظة (لمن كان له قلب) أي قلب واع سليم يتفكر في الامور كما ينبغي بذكائه (أو ألقى السمع) الى ما يتلى عليه من الوحي الدال على ما جرى عليهم (وهو شهيد) أي حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما) من أصناف المخلوقات (في ستة أيام) أولها يوم الاحد وآخرها يوم الجمعة (وما مسنا من لغوب) أي وما أصابنا من تعب قيل هذه الآية نزلت في اليهود حيث قالوا خلق الله السموات والارض في ستة أيام أولها الاحد وآخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فأنزل الله هذه الآية تكذيبا لهم (فاصبر على ما يقولون) من حديث التعب بالاستلقاء قال الرازي والاقرب والظاهر ان المراد بهذه الآية الرد على المشرك في انكار البعث والاستدلال بخلق السموات والارض وما بينهما في اثبات البعث وعلى هذا فالمعنى فاصبر على ما يقولون هذا شئ عجيب أي هذا الذي يقول محمد نبعث بعد الموت شئ عجيب (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود) أي نزه الله تعالى عن الشرك وعن العجز عن الممكن الذي هو البعث وذكرهم بعظمة الله تعالى في وقت اجتماعهم وهو قبل الطلوع وقبل الغروب وأول الليل أي عقب سجودك نزه ربك بالبرهان عند اجتماع القوم ليحصل لك العبادة بالسجود والهداية أدبار السجود ولا تسأم من

(وما أنا بظلام للعبيد) فأعاقبهم بغير جرم (يوم نقول لجهنم هل امتلأت) وهذا استفهام تحقيق وذلك أن الله تعالى وعدها أن يملأها فلما ملأها قال هل امتلأت (وتقول هل من مزيد) أي هل بقي في موضع لم يمتلئ أي قد امتلأت (وأزلفت الجنة) أي وأدنيت الجنة (للمتقين) حتى يرونها (غير بعيد) منهم ويقال لهم (هذا ما توعدون لكل أواب) أي رجاع الى الله بالطاعة (حفيظ) أي حافظ لامر الله (من خشي الرحمن بالغيب) أي خاف أمر الله ولم يره (وجاء بقلب منيب) أي مقبل الى طاعة الله يقال لهم (ادخلوها بسلام) أي بسلامة من العذاب (ذلك يوم الخلود) لاهل الجنة فيها (لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد) أي زيادة مما لم يخطر ببالهم وقيل هي الرؤية (وكم أهلكنا قبلهم) قبل أهل مكة (من قرن) أي جماعة من الناس (هم أشد منهم بطشا) أي قوة (فنقبوا في البلاد) أي طوفوا في البلاد وفتشوا فلم يروا محيصا من الموت (ان في ذلك) الذي ذكرت (لذكرى) أي لعظة وتذكيرا (لمن كان له قلب) أي عقل (أو ألقى السمع) أي استمع القرآن (وهو شهيد) أي حاضر القلب وقوله (وما مسنا من لغوب) أي وما أصابنا تعب واعياء وهذا رد على اليهود في قولهم ان الله استراح يوم السبت (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك) أي صل لله (قبل طلوع الشمس) يعني صلاة الفجر (وقبل الغروب) أي صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) يعني صلاتي العشاء (وأدبار السجود) يعني الركعتين قبل المغرب

تكذيبهم اياك وامتناعهم من استماع وعظك و يقال صل حامدا لربك الصلوات الخمس والنوافل بعد المكتوبات وشغل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ان عبادة الله وهداية الخلق فاذا هداهم ولم يهتدوا قيل له أقبل على شغلك الآخر وهو عبادة الله واجعل كلامك بدل الدعاء عليهم التسبيح لله والحمد له وقرأ نافع وابن كثير وحمزة ادبار بكسر الهمزة والباقون بالفتح (واستمع) لما يوحى اليك من أحوال القيامة (يوم يناد المناد من مكان قريب) بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء قيل يقف المنادى اسرافيل أو جبريل على صخرة بيت المقدس قال الشهاب والاصح ان المنادى جبريل والنافخ اسرافيل فيقول المنادى أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء (يوم يسمعون الصيحة بالحق) أى بالبعث فيوم بدل من يوم أول و بالحق اما حال من الواو أى يسمع الخلق كلهم نفخة البعث ملتبسين باليقين أو حال من لصيحة أى يسمعون النفخة الثانية ملتبسة بالخروج من القبور (ذلك) أى يوم النداء وسماع صيحة النفخ (يوم الخروج) من القبور (انا نحن نحيي ونميت) فى الدنيا من غير ان يشاركنا فى ذلك أحد (والينا المصير) أى الرجوع فى الآخرة للجزاء (يوم تشقق الارض عنهم سراعا) أى مسرعين فى خروجهم من الارض والتشقق يكون عند الخروج منها فسراعا حال من الضمير فى عنهم و يوم بدل من يوم الاول أو ظرف للمصير أو ظرف للخروج وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر تشقق بتشديد الشين والباقون بالتخفيف وقرئ تشقق على البناء للمفعول وقرئ تنشق (ذلك حشر علينا يسير) أى ذلك الاخراج بتشقيق الارض احياء وجمع هين علينا للحساب والجزاء فكيف ينكره منكر (نحن أعلم بما يقولون) من نفى البعث وتكذيب لآيات الناطقة بثبوت البعث (وما أنت عليهم بجبار) أى بمسلط ان تقسرهم على الايمان وانما أنت مذكر (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) وقرأ ورش باثبات الياء بعد الدال بالوصل وقوله تعالى فذكر اشارة الى ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل مأمور بالتذكير وقوله تعالى بالقرآن اشارة الى أنه أنزل عليه القرآن وقوله تعالى وعيد اشارة الى اليوم الآخر وضمير المتكلم فى قوله تعالى وعيد يدل على الوحدانية أى انما يقبل عظتك من يخاف عذابى فى الآخرة

﴿سورة الذاريات مكية ستون آية وثلاثمائة وستون كلمة وألف
وما تتان وتسعة وثمانون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والذاريات ذروا) أى والرياح التى تذرو التراب وغيره وتهب فى منازل القوم (فالحاملات وقرا) أى فالسحب الحاملة للمطر (فالجاريات يسرا) أى فالسفن الجارية فى البحر جريا ذا يسر (فالمقسمات أمرا) أى فالملائكة التى تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها وهذا التفسير هو ماروى عن على رضى الله عنه وقال الرازى والاقرب ان هذه الامور الاربعة صفات أربع للرياح فالذاريات هى الرياح التى تنشئ السحاب اولا والحاملات هى الرياح التى تحمل السحب التى هى بخار المياه التى اذا سحت جرت السيول العظيمة وهى أوقار أثقل من جبال والجاريات هى الرياح التى تجرى بالسحب بعد حمله الماء والمقسمات هى الرياح التى تفرق الامطار على الاقطار (انما توعدون لصادق) أى ان وعدكم بالبعث والحساب لوعد صادق (وان الدين) أى الحساب والجزاء (لواقع) أى لحاصل فالحساب يستوفى والعقاب يوفى (والسماء ذات الحبك) اى ذات الحسن أو ذات الزينة أو ذات الطرائق وهى مسير الكواكب و مسالك النظار (انكم)

المتمزقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء (من مكان قريب) أى من السماء وهو صخرة بيت المقدس وهى أقرب موضع من الارض الى السماء (يوم يسمعون الصيحة بالحق) يعنى نفخة البعث (ذلك يوم الخروج) من القبور (يوم تشقق الارض عنهم) فيخرجون (سراعا وما أنت عليهم بجبار) أى بمسلط تجبرهم على الاسلام وهذا قبل أن أمر بالقتال (فذكر) أى فعظ (بالقرآن من يخاف وعيد)

﴿تفسير سورة والذاريات﴾
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والذاريات ذروا) يعنى الرياح التى تذرو التراب (فالحاملات وقرا) وهى السحاب تحمل الماء (فالجاريات يسرا) أى السفن تجرى فى البحر بيسر (فالمقسمات أمرا) أى الملائكة تأتى بأمر مختلف من الخصب والجدب والموت والمطر والحوادث (انما توعدون) من الخير والشر والثواب والعقاب (لصادق) أقسم الله بهذه الاشياء على صدق وعده (وان الدين) أى الجزاء على الأعمال (لواقع) أى لكائن (والسماء ذات الحبك) أى الخلق الحسن (انكم) يا أهل مكة

يامعشر قريش (لفي قول مختلف) أي منعكس وانكم غير جازمين في اعتقادكم فانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك تعلم انك غير صادق في قولك وانما تجادل ونحن نعجز عن الجدل فكأنه تعالى قال لنبيه انك صادق ولست معاندا بل هم جازمون بانك صادق وانما يظهرون الجزم بأمر لشدة عنادهم فانعكس الامر عليهم (يؤفك عنه من أفك) قيل هذا مدح للمؤمنين أي يصرف عن القول المختلف من صرف عن ذلك القول ورشد الى القول المستوي وقيل ان هذا ذم أي يصرف عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم و لقرآن والحشر من قد صرف عن الهدى وهو الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام وأبيّ بن خلف وأمية بن خلف ومنبه ونبيه (قتل الخراصون) أي لعن الكذابون الذين لايجزمون بأمورهم أصحاب القول المختلف وهذا دعاء عليهم وقرئ قتل الخراصين بالبناء للفاعل أي قتل الله المقدرين مالاصحة له (الذين هم في غمرة) أي في جهالة بأمر الآخرة (ساهون) أي غافلون عما أمروا به (يسألون) أي بنو مخزوم بطريق الاستعجال استهزاء (أيان يوم الدين) أي متى يكون يوم الجزاء الذي نعذب فيه قال تعالى (يوم هم على النار يفتنون) أي يكون ذلك يوم هم يعرضون على النار ويحرقون بها ويجوز ان يكون يوم هم خبر المبتدأ محذوف وهو مبني على الفتح لاضافته الى مبني ويؤيده انه قرئ بالرفع أي هو يوم هم الخ وتقول لهم الزبانية (ذوقوا فتنتكم) أي حرقكم (هذا الذي كنتم به تستعجلون) بالقول بطريق الاستهزاء أو بالفعل وهو الاصرار على العناد واظهار الفساد وقوله تعالى هذا الآية داخل تحت القول المضمر وهو اما مبتدأ أو بدل من فتنتكم (ان المتقين في جنات وعيون) جارية في خلال الجنات (آخذين ما آتاهم ربهم) أي قابلين لما أعطاهم ربهم راضين به من الجنات والعيون (انهم كانوا قبل ذلك) أي قبل اعطاء الله الجنات لهم (محسنين) في الدنيا بالقول والفعل (كانوا قليلا من الليل مايهجعون) فما زائدة وهذا تفسير للاحسان أي كانوا ينامون في جزء قليل من الليل وقيل ما مصدرية ويهجعون بدل اشتمال من الواو أي كان هجوعهم من الليل قليلا أو فاعل لقليلا أي كانوا قليلا من الليل هجوعهم وقيل ما نافية وقليلا خبر كان وعلى هذا فالوقف عليه صالح كالوقف على يهجعون والمعنى كان عددهم قليلا لاينامون من الليل (وبالاسحار هم يستغفرون) أي هم مع قلة نومهم وكثرة صلاتهم يداومون على الاستغفار في الاسحار ويعدون أنفسهم مذنبين لوفور علمهم بالله تعالى (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) أي هم لايجمعون الاموال الا ويجعلونها ظرفا للحق فيرون في أموالهم حقا للذي يسأل العطاء من الناس وللمتعفف الذي يحسبه بعض الناس غنيا فلا يعطيه شيأ فهو الذي لا يسأل ولا يعطى أي هم أوجبوا على أنفسهم بمقتضى الكرم أن يصلوا بأموالهم الارحام والفقراء والمساكين (وفي الارض آيات للموقنين) أي وفي جهة السفل دلائل واضحة للموقنين على شؤنه تعالى فان الموقن لايغفل عن الله تعالى في حال ويرى في كل شئ آيات دالة على قدرته تعالى ووحدانيته أما الغافل فلا يتنبه الا بأمور كثيرة فيكون الكل له كآية واحدة (وفي أنفسكم) أي وفي أنفسكم آيات دالة لكم على وحدانية الله تعالى وقدرته اذ ليس في العالم شئ الا وفي الانفس له نظير (أفلا تبصرون) أي الا تنظرون الارض ومافيها والانفس ومافيها فلا تبصرون بعين البصيرة (وفي السماء رزقكم وماتوعدون) أي رزقكم ووعدكم بالجنة والنار مكتوبة مقدرة في السماء ويقال هذا الخطاب مع الكفار فكأنه تعالى قال وفي الارض آيات للموقنين كافية واما أنتم أيها الكافرون ففي أنفسكم آيات هي أظهر الآيات تنكرون بها الحب الرياسة وحطام الدنيا وفي السماء الارزاق فلو تأملتم حق التأمل لما تركتم الحق لاجل الرزق فانه واصل اليكم بكل طريق ولا اجتنبتم

(لفي قول مختلف) في أمر النبي صلى الله عليه وسلم (يؤفك) أي يصرف (عنه) أي عن الايمان به (من أفك) أي صرف عن الخير (قتل الخراصون) أي لعن الكذابون يعني المقتسمين (الذين هم في غمرة) أي غفلة (ساهون) أي لاهون (يسألون أيان يوم الدين) أي متى يوم الجزاء استهزاء منهم قال الله تعالى (يوم هم) أي يوم يقع الجزاء يوم هم (على النار يفتنون) أي يحرقون ويعذبون وتقول لهم الخزنة (ذوقوا فتنتكم) أي عذابكم (هذا الذي كنتم به تستعجلون) في الدنيا (ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم) من الثواب والكرامة (انهم كانوا قبل ذلك) أي قبل دخولهم الجنة (محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) أي كانوا ينامون قليلا من الليل (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) وهو الذي لا يسأل الناس ولا يكتسب (وفي الارض آيات) أي دلالات على قدرة الله ووحدانيته (للموقنين وفي أنفسكم) أيضا آيات من تركيب الخلق وعجائب ما في الآدمي من خلقه (أفلا تبصرون) ذلك (وفي السماء رزقكم) يعني المطر والثلج الذي هو سبب الرزق والنبات من الارض (وماتوعدون) ما ابتداء وخبره محذوف على تقدير وماتوعدون من البعث والثواب والعقاب حق ودل على

معلوم بالدليل كما ان كلامكم اذا تكلمتم معلوم لكم ضرورة انكم متكلمون ومثل رفع لانه صفة لحق ومن نصب أراد به لحق حقا مثل ما أنكم تنطقون (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين) بأن خدمهم بنفسه (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) أى سلموا سلاما (قال سلام) عليكم (قوم منكرون) أى أنتم قوم لا نعرفكم (فراغ) أى فعدل ومال (الى أهله) وقوله (فأوجس منهم خيفة) أى وقع فى نفسه الخوف منهم وقوله (فأقبلت امرأته فى صرة) أى أخذت تصيح بشدة (فصكت) أى لطمت (وجهها وقالت) أنا (عجوز عقيم) فكيف ألد (قالوا كذلك) أى كما أخبرناك (قال ربك) أى نخبرك عن الله لا عن أنفسنا (انه هو الحكيم العليم) يقدر أن يجعل العقيم ولودا فلما قالوا هذا علم ابراهيم أنهم رسل وأنهم ملائكة (قال فما خطبكم) أى شأنكم وفيم أرسلتم (قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعنون قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) يعنى السجيل (مسومة عند ربك للمسرفين) أى معلمة على كل حجر منها اسم من يهلك به (فأخرجنا من كان فيها) يعنى فى قرى قوم لوط (من المؤمنين)

الباطل اتقاء لما توعدون من العذاب النازل من السماء فأسباب الرزق من المطر والرياح والحر والبرد وغير ذلك مما هيأ الله تعالى به لمنافع العباد هى من جهة العلو (فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون) أى ان ما ذكر من أمر الرزق والوعد بالثواب والعقاب لحق مثل نطقكم فكما لا شك لكم فى انكم تنطقون ينبغى لكم أن لا تشكوا فى حقية ذلك وقرأ حمزة والكسائى وشعبة مثل بالرفع والباقون بالنصب لاضافته الى مبنى وهو انكم وما مزيدة (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين) أى ألم يأتك حديث ضيف ابراهيم الذين أكرمهم بخدمته لهم وبالعجل قال عثمان بن محصن كانوا أربعة من الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل أخرجه أبو نعيم (اذ دخلوا عليه) أى ابراهيم ظرف للحديث أو لما فى الضيف من معنى الفعل أو للمكرمين ان فسر بذلك المذكور (فقالوا سلاما) أى نسلم سلاما أو نبلغك سلاما (قال) أى ابراهيم (سلام) أى سلام عليكم أو جوابه سلام أو أمرى سلام بمعنى مسالمة لا تعلق بينى و بينكم لانى لا أعرفكم أو قولكم سلام يدل على السلامة وقرئ امر فوعين وقرأ حمزة والكسائى سلم بكسر السين وسكون اللام و بالنصب (قوم منكرون) قال ابراهيم ذلك فى نفسه كما قاله ابن عباس والمعنى هؤلاء قوم غرباء لا أعرفهم وانما أنكرهم ابراهيم عليه السلام لانهم ليسوا ممن عرف من الناس (فراغ الى أهله) أى ذهب ابراهيم الى أهله فى سرعة على خفية من ضيفه (فجاء بعجل سمين) أى فذبح فتى من أولاد البقر فحنذه فجاء به الى أضيافه (فقربه اليهم) بأن وضعه عندهم ليأكلوا فلم يأكلوا (قال) أى ابراهيم (ألا تأكلون) من الطعام (فأوجس منهم خيفة) أى فأضمر فى نفسه خيفة منهم لظن أنهم لصوص فلما علموا خوف ابراهيم (قالوا لا تخف) منا يا ابراهيم انا رسل ربك قيل مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه فعرفهم وأمن منهم (وبشروه بغلام عليم) أى يولد عليم فى صغره حليم فى كبره وهو اسحق أو اسمعيل كما قاله مجاهد (فأقبلت امرأته فى صرة) أى أقبلت سارة على أهلها صائحة لانها كانت فى خدمتهم فلما تكلموا مع زوجها بولادتها استحيت وأعرضت عنهم (فصكت وجهها) أى لطمته من الحياء كما جرت عادة النساء عند الاستحياء أو التعجب (وقالت عجوز عقيم) أى قالت سارة أنا عجوز عاقر فكيف ألد (قالوا كذلك قال ربك) أى قالت الملائكة حكم ربك فى الازل مثل ذلك القول الذى أخبرناك به يا سارة فلا تعجبين منه فكذلك منصوب بقال الثانية على المصدر (انه هو الحكيم العليم) فيكون قوله حقا وفعله متقنا اذ الحكيم هو الذى فعله كما ينبغى لعلمه مع قصد ذلك (قال) أى ابراهيم (فما خطبكم) أى فما أمركم العظيم الذى لاجله أرسلتم سوى البشارة فلعظمتكم لا ترسلون الا فى عظيم (أيها المرسلون) أتى ابراهيم عليه السلام بما هو من آداب المضيف حيث يقول لضيفه اذا استعجل فى الخروج ما هذه العجلة وما شغلك الذى يمنعنا من التشرف بالاجتماع بك ولا يسكت عند خروجهم لان سكوته يوهم استثقالهم (قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) أى كافرين من قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) أى لننزل عليهم من السماء حجارة من طين مطبوخ كالآجر بعد ما قلبنا قراهم قال السدى ومقاتل كانوا اربعمائة ألف فأدخل جبريل جناحه تحت الارض فاقتلع قراهم وكانت أربعة ورفعها حتى سمع أهل السماء أصواتهم ثم قلبها بأن جعل عاليها سافلها ثم أرسل عليهم الحجارة فتتبعت الحجارة مسافريهم وشذاذهم أى المنفردين عن الجماعة (مسومة عند ربك للمسرفين) أى مكتوبا على كل واحد من الحجارة اسم واحد من المجاوزين الحد فى الفجور وذلك انما يعلمه الله تعالى (فأخرجنا من كان فيها) أى فى قرى قوم لوط (من المؤمنين) بلوط لاهلاك الكافرين فان القرية ما دام

فيها المؤمن لم تهلك فيبركة المحسن ينجو المسيء (فما وجدنا فيها) أى فى تلك القرى (غير بيت واحد (من المسلمين) قال مجاهد كان الناجون لوطا وابنته وقال قتادة كانوا أهل بيته وقال سعيد بن جبير كانوا ثلاثة عشر (وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم) أى وتركنا فى قريات قوم لوط علامة للمنتفع بها قيل هى حجارة منضودة فى ديارهم وهى بين الشام والحجاز وقيل هى ماء أسود منتن خرج من أرضهم وقيل هى نفس القرى الخربة (وفى موسى) وهذا اما معطوف على فيها والمعنى وتركنا فى قصة موسى آية أو يقال وجعلنا فى قصة قوم لوط عبرة للخائفين حلول العذاب فلا يقتدون بفعلهم وجعلنا فى قصة موسى آية واما معطوف على قوله تعالى هل أتاك حديث ضيف ابراهيم وتقديره وفى موسى حديث وهذا مناسب اذ جمع الله كثيرا بين ذكر ابراهيم وذكر موسى عليهما السلام (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) أى ببرهان قاطع حاج به فرعون أو بمعجزة فارقة بين سحر الساحر وأمر المرسلين كاليد والعصا (فتولى بركنه) أى فأعرض فرعون عن الايمان به مع جنوده أو فتقوى فرعون بأقوى جنده وهو هامان فانه كان وزيره (وقال) فى شأن موسى هذا (ساحر) تأتيه الجن بسحره باختياره (أو مجنون) تقصده الجن من غير اختياره كأن فرعون نسب الخوارق العجيبة الى الجن وتردد فى أنها حصلت باختيار موسى أو بغيره (فأخذناه وجنوده) أخذ غضب وقهر (فنبذناهم فى اليم) أى فأغرقناهم فى البحر (وهو مليم) أى والحال ان فرعون آت بما يلام عليه من الطغيان (وفى عاد) اى وفى قوم هود حديث (اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) أى المهلك وقاطع النسل وهو الدبور (ما تذر من شئ أتت عليه الا جعلته كالرميم) أى ما تترك هذه الريح شيأ مرت عليه مقصودا وهو عاد وأبنيتهم وعروشهم الا جعلته مثل التراب أو مثل الشئ الهالك (وفى ثمود) أى وفى قوم صالح حديث (اذ قيل لهم) وقرأ هشام والكسائى باشمام القاف والباقون بكسرها (تمتعوا حتى حين) أى عيشوا وانتفعوا بالزروع والابنية وبلبن الناقة الى أواخر آجالكم (فعتوا عن أمر ربهم) أى جاوزوا الحد فى الاستكبار عن الامتثال بأمر الله تعالى فقتلوا ناقته وأرادوا قتل نبيه صالح عليه السلام (فأخذتهم الصاعقة) أى النار التى فيها الصوت الشديد التى حملتها الريح فأوصلتها الى مسامعهم وقرأ الكسائى الصعقة باسكان العين بعد الصاد بدون ألف بينهما وهى المرة من الصيحة المهلكة (وهم ينظرون) أى وهم يعاينون النار التى تنزل من السماء فيها رعد شديد ولا يقدرون على دفعها ويقال أتاهم العذاب بعد انذارهم بمجيئه ثلاثة أيام وهم ينتظرون مجيئه (فما استطاعوا من قيام) أى فعجزوا عن فرار من العذاب (وما كانوا منتصرين) أى ممتنعين من العذاب بأبدانهم وبغيرهم (وقوم نوح من قبل) وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى بالجر عطفا على وفى ثمود على معنى وفى قوم نوح عبرة لكم من قبل ثمود وعاد وغيرهم ويقويه قراءة عبد الله وفى قوم نوح والباقون بالنصب على تقدير وأهلكنا قوم نوح من قبل لان ما تقدم دل على الهلاك وقرأ أبو السماك وابن مقسم وأبو عمرو فى رواية الاصمعى بالرفع على الابتداء وخبر المبتدا اما مقدر أى أهلكناهم أو ما بعده وهو قوله تعالى (انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن الحدود فى الكفر والمعاصى (والسماء بنيناها بأيد) أى بقوة (وانا لموسعون) أى لقادرون ويحتمل أن يقال ان هذا اشارة الى المقصود الآخر وهو البعث للموتى من القبور كأنه تعالى يقول بنينا السماء وانا لقادرون على ان نخلق مثلها وقيل انا لموسعون الرزق على الخلق (والارض فرشناها) أى بسطناها على الماء ليستقروا عليها (فنعم الماهدون) أى فنعم الفارشون نحن (ومن كل شئ خلقنا زوجين) أى وخلقنا من كل جنس نوعين من الجوهر

فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) يعنى بيت لوط (وتركنا فيها) أى باهلاكهم (آية) أى علامة للخائفين تدل على أن الله أهلكهم (وفى موسى) عطف على قوله وفى الارض (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) أى بحجة واضحة (فتولى) أى فأعرض عن الايمان (بركنه) أى مع جنوده وما كان يتقوى به وقوله (وهو مليم) أى أتى ما يلام عليه (وفى عاد) أيضا آية (اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) وهى التى لا بركة فيها ولا تأتى بخير (ما تذر من شئ أتت عليه الا جعلته كالرميم) أى كالنبت الذى قد تحطم (وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) أى الى فناء أجالكم (فعتوا عن أمر ربهم) أى عصوه (فأخذتهم الصاعقة) أى العذاب المهلك (فما استطاعوا من قيام) أن يقوموا لعذاب الله (وما كانوا منتصرين) أى لم ينصرهم أحد علينا (وقوم نوح) أى وأهلكنا قوم نوح (من قبل) هؤلاء (والسماء بنيناها بأيد) أى بقوة (وانا لموسعون) أى لقادرون وقيل جاعلون بين السماء والارض سعة (والأرض فرشناها) أى مهدناها لكم (فنعم الماهدون) نحن (ومن كل شئ خلقنا زوجين) أى صنفين كالذكر والانثى والحلو والحامض والنور والظلمة

متضادين كالذكر والانثى أومتشابهين فان كل شئ له نظير كالعرش والكرسي واللوح والقلم (لعلكم تذكرون) أى لكي تتعظوا فيما خلقه الله فتعلمون ان خالق الازواج فرد لا كثرة فيه فتعبدونه وانه لايعجز عن حشر الاجساد والارواح (ففروا الى الله) أى اذا علمتم ان الله تعالى فرد لا نظير له وان هذه المذكورة شؤونه فاهربوا اليه بالطاعة كي تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه (انى لكم منه) أى من الله تعالى (نذير مبين) ففي الرسالة أمور ثلاثة المرسل والرسول والمرسل اليه فقوله تعالى لكم اشارة الى المرسل اليهم وقوله تعالى منه اشارة الى المرسل وقوله تعالى نذير بيان للرسول وقوله تعالى مبين اشارة الى ماتعرف به الرسالة لان كل حادث له سبب فلابد للرسول من علامة يعرف بها وهي اما البرهان أو المعجزة (ولاتجعلوا مع الله الها آخر) بل وحدوا الله فان التوحيد بين التعطيل والتشريك فالمعطل يقول لااله أصلا والمشرك يقول ان في الوجود آلهة فقوله تعالى ففروا الى الله أثبت وجود الله وقوله تعالى ولاتجعلوا مع الله الها آخر نفي الاكثر من الواحد فصح التوحيد بالآيتين ولهذا قال الله تعالى مرتين (انى لكم منه نذير مبين) أى لاأقول شيأ الا بدليل ظاهر فالرسول نذير من الله في المقامين عند الامر بالطاعة وعند النهي عن الشرك وذلك ليعلم ان العمل لاينفع الامع الايمان وانه لايفوز عند الله الا الجامع بينهما (كذلك) خبر مبتدا محذوف وقد فسر هذا الابهام بما بعده أى الشأن مثل ماذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا أومجنونا (ماأتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون) أى ماأتى الامم الاولين رسول من رسل الله الا وقد قالوا في حقه هو ساحر أو مجنون (أتواصوا به) وهذا استفهام للتعجيب والتوبيخ والانكار أى أتواصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه كأن بعضهم قال لبعض لاتقولوا الا هذا القول أى كيف اتفقوا على قول واحد كأنهم توافقوا عليه أى ماوقع منهم وصية بذلك لانهم لم يتلاقوا في زمان واحد (بل هم قوم طاغون) أى لم يكن ذلك عن التواطؤ وانما كان لمعنى جامع هو ان الكل استغنوا بالاموال فنسوا الله وجاوزوا الحد في العصيان فكذبوا رسلهم (فتول عنهم) أى فاعرض ياأشرف الخلق عن جدالهم بعد ماكررت عليهم الدعوة فأبوا الا العناد (فما أنت بملوم) أى لاتحزن فانك لست بملوم بسبب التقصير منك وانما هم الملومون بالاعراض والعناد (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) أى ولاتدع العظة فانها تزيد المؤمنين قوة في يقينهم (وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون) أى الا ليقروا بالعبودية طوعا أوكرها كما قاله ابن عباس أى فان الكافرين يقرون للعبودية وهو اظهار التذلل بالخلقة الدالة على وحدانية الله تعالى وانفراده بالخلق واستحقاق العبادة دون غيره فالخلق كلهم عابدون بهذا الاعتبار أو الا لآمرهم بالعبادة كما نقل عن على بن أبي طالب وهي التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فان هذين النوعين لم يخل شرع منهما واللام لام الحكمة والسبب شرعا وقال مجاهد الا ليعرفوني أى لانه تعالى لولم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عن ربه كنت كنزا مخفيا فأردت ان أعرف فخلقت الخلق لاعرف اه وعبر بالعبادة عن المعرفة لانها وسيلة الى المعرفة أى ان الله خالق الخلق مستعدين لمعرفته مع كونها مطلوبة منهم (ماأريد منهم من رزق وماأريد أن يطعمون) أى لست كالسادة في طلب العبادة بل هم الرابحون في عبادتهم والعبيد على قسمين قسم منهم يكون للعظمة كمماليك الملوك فالملك يطعمهم ويسقيهم ويعطيهم الاطراف من البلاد والطراف بعد التلاد وقسم منهم للانتفاع بهم في تحصيل الارزاق ولاصلاحها فليتفكروا في أنفسهم في كونهم مخلوقين للعبادة هل هم من نوع ان يطلب منهم تحصيل رزق أوهم ممن يطلب منهم اصلاح قوت كالطباخ والخوانى الذى يقرب الطعام وليسوا من هذا القسم بل هم عبيد من القسم الاول فينبغي أن لايتركوا التعظيم لأمر الله (ان الله هو

الرزاق

(لعلكم تذكرون) فتعلمون أن خالق الأزواج فرد (ففروا) من عذاب الله الى طاعته (كذلك) أى كما أخبرناك (ماأتى الذين من قبلهم) أى من قبل أهل مكة (من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به) أى أوصى بعضهم بعضا بالتكذيب والألف فيه للتوبيخ (بل هم قوم طاغون) أى عاصون (فتول) أعرض (عنهم فما أنت بملوم) لانك بلغت الرسالة (وذكر) أى ذكرهم بآيات (فان الذكرى تنفع المؤمنين وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون) أى لآمرهم بعبادتى وأدعوهم اليها وقيل أراد المؤمنين منهم وكذا هو في قراءة ابن عباس رضى الله عنهما وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون (ما أريد منهم من رزق) أى أن يرزقوا أنفسهم أو أحدا من عبادى (وماأريد أن يطعمون) لانى أنا الرزاق المطعم وقوله

الرزاق ذو القوة المتين) أى الثابت الذى لا يتزلزل فلا يطلب الرزق لغناه عبد من عباده فانه يرزقهم ولا يطلب منهم ان يعينوه على الارزاق لانه تعالى قوى وقرئ انى أنا الرزاق وقرأ ابن محيصن هو الرازق كما قرأ وفى السماء رازقكم وقرأ يحيى بن وثاب والاعمش المتين بالجر (فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم) بفتح الذال أى اذا عرفت حال الكفرة المتقدمين من عاد وثمود وقوم نوح فان لهؤلاء المكذبين من كفار مكة نصيبا وافرا من العذاب مثل نصيب نظرائهم من الامم السابقة (فلا يستعجلون) أى فلا يطلبوا منى ان أعجل فى المجيء بالعذاب فلا يأتى الاجل مالم يفرغ الرزق (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) أى فالشدة من العذاب لكفار مكة من أجل يومهم الذى يوعدون العذاب فيه وهو يوم بدر كما هو الاوفق لما تقدم أو يوم القيامة وهو الانسب بما فى أول السورة الآتية

﴿سورة الطور مكية تسع وأربعون آية وثمانمائة واثنتا عشرة كلمة وألف وخمسمائة حرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والطور) أى طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى واسمه زبير أقسم الله به (وكتاب مسطور فى رق منشور) أى كتاب مكتوب فى كاغد مبسوط غير مطوى وغير مختوم عليه وهو القرآن يقرؤه المؤمنون من المصاحف ويقرؤه الملائكة من اللوح المحفوظ أو هو التوراة المكتوبة فى الالواح التى أنزلت على موسى (والبيت المعمور) وهو اما الكعبة وهو بيت معمور بالناس الطائفين به العاكفين يعمره الله كل سنة بستمائة ألف فان عجز الناس عن ذلك أتمه الله بالملائكة أو الضراح وهو فى السماء بحيال الكعبة يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون اليه أبدا (والسقف المرفوع) فوق كل شيء وهو السماء وقيل العرش فانه سقف الجنة (والبحر المسجور) أى المملوء وهو بحر فوق السماء السابعة تحت عرش الرحمن يسمى بحر الحيوان يمطر العباد منه بعد النفخة الاولى أربعين صباحا فينبتون فى قبورهم ويقال هو بحر حار يصير نارا روى أن الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة نارا يسجر بها نار جهنم (ان عذاب ربك لواقع) أى لنازل بشدة على مستحقه يوم القيامة (ماله) أى العذاب (من دافع) عنه (يوم تمور السماء مورا) أى يوم تخرج السماء عن مكانها وتدور بأهلها دورانا كدوران الرحا وتموج الخلائق بعضهم فى بعض من الهول فيوم معمول لواقع أو لدافع أى ليس له دافع يوم تمور السماء (وتسير الجبال سيرا) أى تزول الجبال عن وجه الارض وتطير فى الهواء ثم تقع على الارض مفتتة كالرمل ثم تصير كالصوف المندوف ثم تطيرها الرياح فتصير هباء منثورا (فويل يومئذ للمكذبين الذين هم فى خوض يلعبون) أى اذا علم ان عذاب الله واقع وانه ليس له دافع فشدة عذاب اذا للمكذبين للرسل الذين هم يلهون فى أباطيل فأفعالهم مثل أفعال الخائض فى الماء فهو لا يدرى أين يضع رجله (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) ويوم اما ظرف لقول مقدر بعده أى يوم يدفعون اليها دفعا عنيفا يقال لهم (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) فى الدنيا وذلك ان خزنة جهنم يغلون أيديهم الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ثم يدفعون دفعا على وجوههم وزجا فى أقفيتهم ويقولون لهم توبيخا هذه النار الخ واما بدل من يومئذ والمعنى فويل يوم يقع العذاب للمكذبين وهو يوم يدعون أى المكذبون الى النار والعامة على فتح الدال وتشديد العين مضمومة وقرأ على والسلمى وأبو رجاء وزيد بن على بسكون الدال وفتح العين فيكون دعا حالا من الواو أى يوم ينادون مدعوعين بان يقال لهم هلموا الى نار جهنم فادخلوها وتقول لهم الخزنة هذه النار (أفسحر

(المتين) أى البالغ فى القوة (فان للذين ظلموا) يعنى أهل مكة (ذنوبا) أى نصيبا من العذاب (مثل ذنوب) أى نصيب (أصحابهم) الذين هلكوا (فلا يستعجلون) ان أخرتهم الى يوم القيامة (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) أى من يوم القيامة

﴿تفسير سورة والطور﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والطور) أقسم الله عز وجل بالجبل الذى كلم عليه موسى وهو جبل بمدين اسمه زبير (وكتاب مسطور) أى مكتوب (فى رق) وهو الجلد الذى يكتب فيه (منشور) أى مبسوط يعنى دواوين الحفظة التى أثبت فيها أعمال بنى آدم (والبيت المعمور) وهو بيت فى السماء بازاء الكعبة تزوره الملائكة (والسقف المرفوع) يعنى السماء (والبحر المسجور) أى المملوء (ان عذاب ربك لواقع) أى لنازل كائن (يوم تمور السماء مورا) أى تتحرك وتضطرب وتدور يعنى يوم القيامة (الذين هم فى خوض) باطل (يلعبون) يعنى تشاغلهم بكفرهم (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) أى يدفعون اليها دفعا عنيفا ويقال لهم (هذه النار التى كنتم بها تكذبون أفسحر

هذا أم أنتم لا تبصرون) أى أفهذا العذاب الذى ترونه سحر كما كنتم تقولون فى الدنيا للانبياء هم سحرة أم أنتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عمياعن الخبر أى هل فى المرئى شك أم هل فى بصركم خلل فالذى ترونه حق وقد كنتم تقولون انه ليس بحق (اصلوها) أى ادخلوا النار وقاسوا اشدائدها (فاصبروا أولا تصبروا) أى فافعلوا ماشئتم من الصبر على عذاب النار وعدمه (سواء عليكم) أى صبركم عليه وتركه سواء عليكم فى عدم النفع (انما تجزون ما كنتم تعملون) فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع بحسب الوعد كان الصبر وعدمه سواء فى عدم النفع (ان المتقين فى جنات ونعيم) دائم (فاكهين بما آتاهم ربهم) أى متلذذين بما أعطاهم ربهم وقرأ الحسن وغيره فكهين بغير ألف أى معجبين وقرئ فاكهون على انه خبران أى ذوو فاكهة كثيرة بسبب اعطاء ربهم اياهم تلك (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) عطف على ما آتاهم أى انهم ناعمون بامرين بما آتاهم ربهم و بأنه وقاهم أو عطف على فى جنات فالمعنى ان المتقين أدخلهم ربهم جنات ونعما ووقاهم عذاب الجحيم فيقول الله لهم (كلوا واشربوا هنيئا) أى بلا تعب فى تحصيل الطعام والشراب و بلا داء فى تناولهما و بلا خوف نفاد و بلا اثم (بما كنتم تعملون) فلا من عليكم فى هذا اليوم وانما منتى عليكم فى الدنيا اذ هديتكم ووفقتكم للاعمال الصالحة لان هذا انجاز الوعد (متكئين على سرر مصفوفة) حال من الضمير المستكن فى خبران أى كائنون فى جنات حال كونهم متكئين على نمارق على سرر موصولة بعضها الى بعض (وزوجناهم بحور عين) أى بنساء بيض عظام الاعين فقوله تعالى وزوجناهم عطف على خبران وهو اشارة الى ان المزوج هو الله تعالى فهو تعالى يتولى الطرفين يزوج عبيده بامائه ومن يكون كذلك لا يفعل الامافيه راحة العبيد والاماء فهو اشارة الى ان الحور العين فى الجنات مملوكات بملك اليمين لا بملك النكاح وانما عدى بالباء اشارة الى ان المنفعة فى التزويج هنا للرجال فقط فانما زوجوا للذتهم بالحور لا للذة الحور بهم وأيضا ان فى التزويج معنى الالصاق وفى الباء كذلك فكأن المعنى جعلناهم ملصقين بحور من غير عقد منهم وقرئ بحور عين على اضافة الموصوف الى صفته وقرئ بعيس عين (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم) والموصول مبتدأ خبره ألحقنا بهم وقرأ أبو عمرو وأتبعناهم ذرياتهم باسناد الفعل الى المتكلم المعظم نفسه و بقطع الهمزة والباقون واتبعتهم باسناد الفعل الى الذرية وبهمزة وصل وقرأ نافع ذريتهم بالافراد فى الاولى والجمع فى الثانية وقرأ ابن كثير والكوفيون بالافراد فيهما وأبو عمرو بالجمع فيهما مع النصب بالكسرة وابن عامر بالجمع فيهما والرفع فى الاولى والنصب بالكسرة فى الثانية والذرية هنا محمولة على الآباء والابناء معا أى ان المؤمن اذا كان عمله أكثر ألحق به من دونه فى العمل ابنا كان أو أبا بسبب الايمان كما هو منقول عن ابن عباس وغيره والله تعالى اتبع الولد الوالدين فى الايمان ولم يتبعه أباه فى الكفر بدليل ان من أسلم من الكفار حكم باسلام أولاده الصغار ومن ارتد من المسلمين لا يحكم بكفر ولده كما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال انه تعالى يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية فالآباء داخلون فى اسم الذرية ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو المحبة فان كان معها أخذ علم أو عمل كانت أجدر فتكون ذرية الافادة كذرية الولادة لقوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب (وما ألتناهم من عملهم من شئ) أى وما نقصنا شيأ من درجة الاعلى لاجل الحاق الادنى به وهذا ازالة وهم المتوهم ان ثواب الاعلى يوزع على من دونه وقرأ ابن كثير ألتناهم بكسر اللام والباقون بفتحها وقرأ ابن هرمز آلتناهم بمد الهمزة وقرئ لتناهم بكسر اللام ولتناهم بالفتح (كل امرئ بما كسب رهين) أى كل امرئ مرهون عند الله تعالى بعمله فان عمل صالحا فك نفسه والا أهلكها فالعمل بمنزلة الدين الثابت حيث ان العبد مطالب بذكر

هذا) الذى ترون (أم أنتم لا تبصرون) وهذا توبيخ لهم والمعنى تصدقون الآن عذاب الله وقوله (فاكهين بما آتاهم ربهم) أى معجبين به (والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم) يريد أن يلحق الأولاد بدرجة الآباء فى الجنة اذا كانوا أعلى مراتب وكذلك الآباء بدرجة الابناء لتقر بذلك أعينهم فيلحق بعضهم ببعض اذا اجتمعوا فى الايمان من غير ان ينقص من أجر من هو أحسن عملا شيأ بزيادته فى درجة الأنقص عملا وهو قوله (وما ألتناهم) أى وما نقصناهم (من عملهم من شئ كل امرئ بما كسب) أى عمل من شئ (رهين) أى مرهون يؤخذ به

العمل خيرا أوشرا ويقال كل امرئ بعمله كسبه ماهوفان أحسن فهي الجنة مؤبدا وان أساء فهي النار مؤبدا (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون) أى زدناهم على ما كان لهم وقتا بعد وقت بأنواع الفواكه وأنواع اللحمان مما يشتهون فكل واحد من أهل الجنة يعطى فى الجنة ما يشتهى وان لم يطلبه (يتنازعون فيها كأسا) أى يتعاطون فى الجنة هم وجلساؤهم بكمال الاشتياق أو يتجاذب بعضهم اناء الخمر من بعض فى شربها تجاذب ملاعبة لا تجاذب مخاصمة وهو المؤمن وزوجاته وخدمه (لا لغو فيها ولا تأثيم) أى لا كلمة لغو ولا اثم بسبب شربها أى بسبب زوال العقل ونهوض الغضب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالبناء على الفتح فى الاسمين والباقون بالرفع (ويطوف عليهم) بالكؤس وغيرها من التحف للخدمة (غلمان لهم) وهؤلاء الغلمان يخلقهم الله فى الجنة كالحور ولذلك لم يقل تعالى غلمانهم وانما قال غلمان لهم لئلا يظن انهم الذين كانوا يخدمونهم فى الدنيا فيخاف كل من خدم أحدا فى الدنيا أن يكون خادماله فى الجنة فيحزن بكونه لا يزال تابعا (كأنهم) فى بياضهم وشدة صفائهم (لؤلؤ مكنون) مخزون مصون من الحر والبرد (وأقبل بعضهم على بعض) فى الزيارة (يتساءلون) أى يسأل كل بعض منهم بعضا آخر عن أمر الدنيا وعن نعيم الجنة (قالوا) أى قال كل منهم (انا كنا قبل) أى قبل دخول الجنة (فى أهلنا مشفقين) أى خائفين على فوات الدنيا والخروج منها ومفارقة الاخوان فأخطأنا فى ذلك وقوله تعالى فى أهلنا متعلق بمحذوف حال من الضمير فى مشفقين أى حال كوننا بين أهلينا فى الدنيا أو بيان لقبل أى فى وقت اجتماعنا مع أهلنا (فمن الله علينا) بالمغفرة ودخول الجنة (ووقانا عذاب السموم) أى عذاب النار وقال ثعلب السموم شدة الحر أو شدة البرد فى النهار (انا كنا من قبل) أى من قبل هذه الرحمة أى فى الدنيا (ندعوه) أى نسأله الحفظ من العذاب ونعبده (انه هو البر) أى الصادق فى وعده لنا المحسن الينا (الرحيم) بعباده المؤمنين وقرأ نافع والكسائى بفتح همزة انه على تقدير كون اللام ملفوظا بها والباقون بكسرها استئنافا على معنى التعليل (فذكر) أى عظ يا أشرف الخلق (فما أنت بنعمة ربك) بالنبوة ورجاحة العقل (بكاهن ولا مجنون) أى ولا تتغير ولا تتبع أهواءهم لقولهم لك أنت كاهن تخبر بما فى الغد ومجنون (أم يقولون) أى بل أيقولون أى كفار مكة هو (شاعر) يقول الكلام من تلقاء نفسه (نتربص به ريب المنون) أى ننتظر بذلك الشاعر تقلبات الزمان ونزول الموت فانه ان كان شاعرا فصروف الزمان قد تضعف ذهنه فيتبين كساد شعره وقالوا أيضا نتربص موته فان أباه مات شابا ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه فلا نعارضه الآن مخافة أن يغلبنا بقوة شعره وجملة نتربص نعت لشاعر (قل) يا أشرف الخلق لهؤلاء الكفار (تربصوا) أى انتظروا موتى وهذا أمر تهديد (فانى معكم من المتربصين) أى فانى أتربص هلاككم وقد أهلكوا فى يوم بدر وفى غيره من الايام ويقال ان معنى هذه الآية انى أخاف الموت ولا تمناه لا لنفسى ولا لأحد وانما أنا نذير فتربصوا موتى وأنا متربصه ولا يسركم ذلك لعدم حصول ما تتمنون بعدى (أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون) أى أتأمرهم عقولهم بهذا المقال المتناقض فانهم قالوا فى حق الرسول هو كاهن مجنون شاعر فان الكاهن ذو دقة نظر فى الامور والمجنون مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق فكيف يجتمع أوصاف هؤلاء فى واحد بل هم قوم مجاوزون الحدود فى العناد لا يحومون حول السداد ولذلك يقولون أكاذيب خارجة عن دائرة المعقول وقرئ بل هم (أم يقولون تقوله) أى بل يقولون كذب محمد فى القرآن من عند نفسه وليس بشعر ولا كهانة ولا

لا لغو فيها ولا تأثيم) لا يجرى بينهم فيها باطل ولا اثم كما يجرى بين شربة الخمر فى الدنيا (ويطوف عليهم) بالخدمة (غلمان لهم كأنهم) من بياضهم وصفائهم (لؤلؤ مكنون) أى مخزون مصون (وأقبل بعضهم على بعض) فى الجنة (يتساءلون) أى عن أحوالهم كانت فى الدنيا (قالوا انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين) أى خائفين من عذاب الله (فمن الله علينا) أى بالجنة (ووقانا عذاب السموم) أى عذاب سموم جهنم وهو نارها وحرارتها (فذكر) أى فذكرهم يا محمد بالجنة والنار (فما أنت بنعمة ربك) أى برحمته واكرامه اياك بالنبوة (بكاهن) أى تخبر بما فى غد من غير وحى (ولا مجنون) أى كما يقولون (أم يقولون) أى بل يقولون هو (شاعر نتربص به ريب المنون) أى ننتظر به الموت فيهلك (قل تربصوا فانى معكم من المتربصين) أى حتى يأتى أمر الله فيكم (أم تأمرهم أحلامهم) أى عقولهم (بهذا) أى بترك قبول الحق من صاحب المعجزة (أم هم قوم طاغون) أى أم يكفرون طغيانا بعد ظهور الحق (أم يقولون تقوله) أى أتى بالقرآن من قبل نفسه ليس كما يقولون

جنون (بل لا يؤمنون) بالقرآن استكبارا (فليأتوا بحديث مثله) أى فليجيئوا بكلام مثل القرآن فى البلاغة وصحة المعانى والاخبار بالمغيبات من تلقاء أنفسهم فانهم مثل محمد فى البشرية والعربية (ان كانوا صادقين) فيما قالوا فان صدقهم فى ذلك يستلزم قدرتهم على الاتيان بمثله ففيهم الشعراء البلغاء والكهنة الاذكياء ومن يرتجل القصائد ويقص القصص (أم خلقوا من غير شيء) أى أوجدوا من غير خالق فلذلك ينكرون القول بالتوحيد لانتفاء الايجاد وينكرون الحشر لانتفاء الخالق الاول وقال ابن كيسان أم خلقوا لغير شيء من عبادة وجزاء خلقوا عبثا وتركوا سدى فلا اعادة وقيل أى من غير أب وأم فهم كالجماد لا يعقلون ولا يقيم الله عليهم حجة أليس قد خلقوا من نطفة وعلقة ومضغة (أم هم الخالقون) لانفسهم فلا يأتمرون لامر الله ولا يعبدون الله وهم لا يقولون ذلك فاذا أقروا ان ثم خالقا غيرهم فما الذى يمنعهم من الاقرار له بالعبادة ومن الاقرار بأنه قادر على البعث (أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون) فأم للاستفهام الانكارى بمعنى النفى أى ما خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون بأن الله واحد فاذا سئلوا من خلقكم ومن خالق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا والا لما أعرضوا عن عبادته أى لما لم ينشأ من ايقانهم بالله أثر وهو الاقبال على عبادته جعل ايقانهم كالعدم فنفى عنهم وفى هذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم أى انهم كما طعنوا فيك يا أشرف الخلق طعنوا فى خالقهم (أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون أم لهم سلم يستمعون فيه) وأم استفهام انكارى أى أعندهم خزائن رحمة الله حتى يرزقوا النبوة من شاؤا أو أعندهم خزائن علم الله بالغيب حتى يختاروا للنبوة من شاؤا أم هم الغالبون على الأمور يدبرونها كيف شاؤا أم لهم مصعد الى السماء يستمعون ما يوحى الى الملائكة من علم الغيب حتى يعلموا ان محمدا ليس برسول وان كلامه ليس بمرسل أى أنتم لستم بخزنة الله ولا بكتبة الخزانة المسلطين عليها ولا أنتم اجتمعتم بهم لانهم ملائكة ولا صعود لكم اليهم (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) أى اذا ادعوا الاستماع من الملائكة فليأت مدعى الاستماع بحجة واضحة تصدق دعواه (أم له البنات ولكم البنون) أى أتزعمون ان لله تعالى البنات ولكم البنون خاصة لتكونوا أقوى منه تعالى فتكذبوا رسوله وتردوا قوله من غير حجة فتكونوا آمنين من عذاب يأتيكم منه لضعفه وقوتكم (أم تسألهم أجرا) أى أجر الدنيا من مال أو غيره على تبليغ الرسالة (فهم من مغرم مثقلون) أى فهم لذلك الأجر من التزام غرامة محملون الثقل فلذلك لا يتبعونك (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) أى هل عندهم علم ما غاب عنهم فهم يكتبون ما غاب عنهم حتى يمكنهم منازعة محمد أى هل صاروا فى درجة محمد حتى استغنوا عنه وأعرضوا (أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون) والمعنى أتهديهم لوجه الله أم تسألهم أجرا فتثقلهم فيمتنعون عن الاتباع أم عندهم الغيب فلا يحتاجون اليك فيعرضون عنك أم ليس لهم شيء من هذين الأمرين بل يريدون العذاب بغتة من حيث لا يشعرون فالذين كفروا معذبون (أم لهم اله غير الله) يمنعهم من عذاب الله (سبحان الله عما يشركون) أى عن الذى يشركون من الولد ومن مثل الآلهة لانهم كانوا يقولون البنات لله وكانوا يقولون هو تعالى مثل ما يعبدونه (وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم) أى لو عذبنا كفار مكة بنزول قطع من السماء عليهم لم ينتهوا عن طغيانهم ولم يرجعوا عن عنادهم ولقالوا فى

بما يكون فى غد (أم هم المسيطرون) أى المسلطون الجبارون (أم لهم سلم) مرقى فى السماء (يستمعون فيه) ان الذى هم عليه حق (فليأت مستمعهم) أى ان ادعوا ذلك (بسلطان مبين) أى بحجة واضحة ثم سفه أحلامهم فى جعلهم البنات لله فقال (أم له البنات ولكم البنون أم تسألهم أجرا) أى على ما جئتهم به (فهم من مغرم) غرم (مثقلون) أى مجهودون والمعنى أن الحجة واجبة عليهم من كل جهة (أم عندهم الغيب) أى علم ما يؤول اليه أمر محمد صلى الله عليه وسلم (فهم يكتبون) أى يحكمون بأنه يموت فنستريح منه (أم يريدون كيدا) أى مكرا بك فى دار الندوة (فالذين كفروا هم المكيدون) المجزيون بكيدهم لان الله حفظه من مكرهم وقتلوا ببدر (وان يروا كسفا) قطعا (من السماء) أى السحاب (ساقطا يقولوا) لعنادهم وفرط شقاقهم (سحاب مركوم) بعضه على بعض وهذا جواب لقولهم فاسقط علينا كسفا من السماء أخبر الله عز وجل انه لو فعل ذلك لم يؤمنوا

هذا النازل اغاثة لمحمد هذا سحاب را كب بعضه على بعض يمطر نا ولم يصدقوا أنه قطعة نازلة للعذاب (فذرهم) أى اذا تبين أنهم لا يرجعون من الكفر فاتركهم على شر أحوالهم (حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون) أى يهلكون بالقتل يوم بدر وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون بضم الياء مبنيا للمفعول وباقى السبعة بفتحها مبنيا للفاعل وقرأ أبو عبد الرحمن بضم الياء وكسر العين (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيأ) أى يوم لا يدفع عنهم مكرهم فى مناصبتهم يوم بدر شيأ من الهلاك (ولا هم ينصرون) أى ولا يمنعون من القتل والأسر النازلين بهم فى ذلك اليوم (وان للذين ظلموا) أى ان هؤلاء الظلمة بعبادتهم الاوثان (عذابا دون ذلك) أى قبل ما لاقوه من القتل يوم بدر وهو القحط الذى أصابهم سبع سنين وقرئ دون ذلك قريبا (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن العذاب يلاقوه (واصبر لحكم ربك) بابقائك فيما بينهم مع مقاساة الأحزان (فانك بأعيننا) أى بمنظر منا وفى حفظنا (وسبح بحمد ربك حين تقوم) من موضعك أى حين تعزم على القيام وقد ورد فى الخبر ان من قال سبحان الله من قبل أن يقوم من مجلسه يكتب ذلك كفارة لما يكون قد صدر منه من اللغط واللغو فى ذلك المجلس (ومن الليل فسبحه) فان العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء (وادبار النجوم) أى وقت الصبح حين يذهب ضياؤها بضوء الشمس

﴿ سورة النجم مكية ثنتان وستون آية وثلاثمائة وستون كلمة وألف وأربعمائة وخمسة أحرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والنجم اذا هوى) أى والقرآن اذا نزل وهذا استدلال بمعجزة النبى صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه أو والنجوم التى هى ثابتة فى السماء للاهتداء اذا سقطت الى أسفل وفائدة تقييد القسم بالنجم بوقت هويه انه اذا كان فى وسط السماء لا يهتدى به السارى لانه لا يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال فاذا زال تبين بزواله جانب المغرب من المشرق والجنوب من الشمال (ما ضل صاحبكم) أى ما عدل سيدكم يا معشر قريش عن الطريق المستقيم أو ما جن مصاحبكم محمد (وما غوى) أى وما اعتقد باطلا قط بل هو رشيد مرشد دال على الله تعالى (وما ينطق عن الهوى) أى لم يتكلم بالقرآن عن هوى نفسه وعن رأيه أصلا (ان هو الا وحى يوحى) أى ما القرآن الا وحى من الله يوحى أى يجدد ايحاؤه اليه صلى الله عليه وسلم وقتا بعد وقت ويقال فى معنى هذه الآية ما جن محمد وما مسه الجن فليس بكاهن وليس بينه وبين الغواية تعلق فليس بشاعر وما قوله الا الوحى وليس بقول كاهن ولا شاعر (علمه شديد القوى) أى علم النبى الوحى ملك شديد القوة بالبدن وهو جبريل عليه السلام روى أنه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ما بعثت الى نبى قط أحب الى منك ألا أعلمك أسماء من أسماء الله عز وجل هن أحب أسمائه أن يدعى بهن قل يا نور السموات والارض يا جبار السموات والارض يا عماد السموات والارض يا بديع السموات والارض يا قيام السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام يا صريخ المستصرخين يا غياث المستغيثين يا منتهى العابدين ويا أرحم الراحمين فيزول بك كل حاجة (ذو مرة) أى قوة فى العقل (فاستوى) والفاء للسببية أى فاستقام جبريل على صورته الحقيقية التى خلقه الله تعالى عليها فرآه النبى صلى الله عليه وسلم وهو بحراء فخر مغشيا عليه دون الصورة التى كان يتمثل بها كلما هبط الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحى وذلك ان رسول الله أحب أن يراه فى صورته التى جبل عليها فان التشكل بشكله الذى فطر عليه يتسبب عن شدة قوته وقدرته على الخوارق (وهو

(فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون) أى يموتون ثم أخبر الله أنه يعجل لهم العذاب فى الدنيا فقال (وان للذين ظلموا) أى كفروا (عذابا دون ذلك) أى قبل موتهم وهو الجوع والقحط سبع سنين ثم أمره بالصبر فقال (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) أى بحيث نراك ونحفظك ونرعاك (وسبح بحمد ربك حين تقوم) أى من مجلسك قل سبحانك اللهم وبحمدك (ومن الليل فسبحه) أى صل له صلاتى العشاء (وأدبار النجوم) يعنى ركعتى الفجر

﴿ تفسير سورة والنجم ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والنجم اذا هوى) يعنى والثريا اذا سقطت وقيل القرآن اذا نزل متفرقا أى نجوما (ما ضل صاحبكم) محمد صلى الله عليه وسلم (وما غوى وما ينطق عن الهوى) أى ما الذى يأتيكم به مما قاله بهواه (ان هو) أى ما هو (الا وحى يوحى) اليه (علمه شديد القوى) يعنى جبريل عليه السلام (ذو مرة) أى قوة شديدة (فاستوى) جبريل فى صورته التى خلقه الله عز وجل عليها (وهو

بالافق الاعلى) أى والحال أن جبريل فى الجانب الشرقى فسد المشرق لعظمته وقال الرازى والظاهر أن المعنى ارتفع محمد بالمكان وهو بالمكان الاعلى رتبة فى رفعة القدر لا حقيقة فى الحصول فى المكان فانه صلى الله عليه وسلم بلغ الغاية وصار نبيا وهو واصل الى الافق الاعلى الفارق بين المنزلتين (ثم دنا) أى بعد ما مد جبريل جناحه وهو بالافق الاعلى عاد الى الصورة التى كان يعتاد النزول عليها وقرب من النبى صلى الله عليه وسلم (فتدلى) أى فنزل من الافق الاعلى الى النبى صلى الله عليه وسلم فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه حتى أفاق وسكن روعه صلى الله عليه وسلم ويقال دنا جبريل من النبى فبقى متدليا من الهواء واقفا بين السماء والارض فان التدلى هو التعلق من الهواء (فكان قاب قوسين أو أدنى) أى فكان مقدار ما بين جبريل والنبى مقدار قوسين بل أقرب من ذلك بنصف قوس (فأوحى الى عبده ما أوحى) أى فأوحى الله الى جبريل ما أوحى جبريل الى كل رسول فان جبريل أمين لم يخن فى شىء مما أوحى اليه (ما كذب الفؤاد ما رأى) أى صدق فؤاد محمد فيما رأى شيأ من صورة جبريل ومن الله تعالى ليلة المعراج ومن الآيات العجيبة الالهية أى ان قلبه صلى الله عليه وسلم لم يقل ان المرئى خيال لا حقيقة له ولم يقل انه جنى أو شيطان ويحتمل أن يقال لم يكذب جنس الفؤاد ما رأى صلى الله عليه وسلم ببصره بأن يقول كيف يرى الله وهو ليس فى مكان ولا جهة وليس على هيئة أو كيف يرى جبريل مع أنه ألطف من الهواء والهواء لا يرى فرؤية الله تعالى ورؤية جبريل على ما رآه محمد صلى الله عليه وسلم جائزة عند من له قلب فالفؤاد لا ينكر ذلك وان كانت النفس المتوهمة تنكره وقرأ هشام ما كذب بالتشديد أى ان ما رآه محمد بعينه صدقه بقلبه أى ما قال فؤاده لما رآه بصره لم أعرفك وما مفعول به موصولة والعائد محذوف وكذا قيل فى قراءة التخفيف وقيل فيه على اسقاط الخافض أى فيما رآه (أفتمارونه على ما يرى) أى أفتجادلونه يا معشر المشركين على ما قد رأى وقرأ الاخوان أفتمرونه بفتح التاء وسكون الميم أى أتنكرونه وقرأ عبد الله بن مسعود والشعبى بضم التاء وسكون الميم أى أفتجحدونه شاكا فيما رأى (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) أى وبالله لقد رأى محمد جبريل على صورته الحقيقية مرة أخرى عند شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش وهو موضع لا يتعداه ملك ولا روح من الارواح قال مقاتل وهى شجرة تحمل الحلى والحلل والثمار من جميع الالوان لو وضعت ورقة منها فى الارض لاضاءت لاهلها وهى شجرة طوبى (عندها جنة المأوى) أى الجنة التى يأوى اليها المتقون وأرواح الشهداء (اذ يغشى السدرة ما يغشى) واذ ظرف لرآه أى ولقد رآه عند السدرة وقت ما علاها ما علاها من فراش من ذهب أو من ملائكة يأتونها كأنهم طيور أو من أنوار الله تعالى لان النبى صلى الله عليه وسلم لما وصل اليها تجلى ربه لها وظهرت الانوار (ما زاغ البصر وما طغى) أى ما التفت محمد الى الجراد ولا الى غيره وما جاوز الى ما سوى الله تعالى أو ما مال محمد عن الانوار وما طلب شيأ غيرها بل اشتغل بمطالعتها مع أن فى ذلك العالم من العجائب ما يحير الناظر (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) أى والله لقد رأى من عجائب الملك والملكوت ما لا يحيط به العبارة (أفرأيتم

[illegible]
الافق الى المغرب (ثم دنا فتدلى) هذا من المقلوب أى ثم تدلى يعنى نزل من السماء فدنا من محمد صلى الله عليه وسلم (فكان) منه فى القرب على قدر (قاب قوسين أو أدنى) والمعنى انه بعد ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظمه وهاله ذلك رده الله الى صورة آدمى حين قرب من النبى صلى الله عليه وسلم للوحى وذلك قوله (فأوحى الى عبده) أى محمد (ما أوحى) الى جبريل عليه السلام (ما كذب الفؤاد ما رأى) لم يكذب قلب قلب محمد صلى الله عليه وسلم فيما رأى ليلة المعراج وذلك ان الله عز وجل جعل بصره فى فؤاده حتى رآه وحقق الله تلك الرؤية فقيل انها كانت رؤية حقيقة ولم تكن كذبا (أفتمارونه على ما يرى) أى أفتجادلونه فى انه رأى الله عز وجل (ولقد رآه) أى رأى ربه وقيل جبريل على صورته التى خلق عليها (نزلة أخرى) أى مرة أخرى (عند سدرة المنتهى) اليها ينتهى علم الخلق وما وراءها غيب لا يعلمه الا الله عز وجل (عندها جنة المأوى) هى جنة تصير اليها أرواح الشهداء (اذ يغشى السدرة ما يغشى) قيل يغشاها فراش من ذهب وقيل الملائكة أمثال الغربان (ما زاغ البصر وما طغى) هذا وصف أدب النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج يقول لم يمل بصره عما قصد له ولا جاوز ما أمر به (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) يعنى ما رأى من الآيات العظام تلك الليلة (أفرأيتم اللات

اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) أى ومناة المتأخرة الذليلة أى الوضيعة المقدار وذلك لان اللات كان وثنا على صورة آدمى وهو لثقيف بالطائف أو لقريش بنخلة والعزى صورتها صورة شجرة سمرة لغطفان ومناة صورتها صورة صخرة كانت لخزاعة وهذيل بقديد فالآدمى أشرف من النبات وهى أشرف من الجماد وهو متأخر فالمناة فى أخريات المراتب والمعنى لماذكر الله تعالى عظمة آياته فى ملكوته وهى أن رسول الله الى الرسل الذى يسد الآفاق ببعض أجنحته ويهلك المدائن بقوته لا يمكنه أن يتعدى السدرة فى مقام جلال الله وعزته قال أفرأيتم هذه الاصنام مع حقارتها شركاء الله مع ماتقدم ويقال أفتظنون أن عبادتكم اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة فى الدنيا تنفعكم فى الآخرة (ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى) أى كيف جعلتم لله تعالى بنات وقد اعترفتم فى أنفسكم أن البنات ناقصات والبنين كاملون والله كامل العظمة فكيف جعلتموه نقصا ونسبتم الى أنفسكم الكامل فنسبتكم البنات الى الله تعالى قسمة جائرة على طريقتكم حيث نسبتم الى أنفسكم الاعظم من الثقلين وأبغضتم البنات ونسبتموهن الى الاعظم وهو الله تعالى وكان على عادتكم أن تجعلوا الاعظم للعظيم والانقص للحقير فاذا أنتم خالفتم الفكر والعقل والعادة التى هى لكم (ان هى الأسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) أى ماهذه الاصنام المذكورات الا أسماء خالية عن المسميات وضعتموها أنتم وآباؤكم فانكم قلتم انها آلهة وليست بآلهة (ماأنزل الله بها من سلطان) أى ماأنزل الله بهذه الاسماء من حجة فوضع الاسم لايجوز الا بدليل نقلى أو عقلى (ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس) أى مايتبع الكافرون فى تسمية الاصنام آلهة الا توهم أن ماهم عليه حق والا مادونه مما تشتهيه أنفسهم الامارة بالسوء (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) أى البيان بالكتاب المنزل والمرسل أن الاصنام ليست بآلهة وان العبادة لاتصلح الا لله الواحد القهار (أم للانسان ماتمنى) أى أللانسان مااشتهاه من شفاعة الاصنام وغيرها أو هل له أن يعبد بالاشتهاء فيعبد مالا يستحق العبادة (فلله الآخرة والاولى) أى ان اختار الانسان معبودا على مااشتهاه فيعاقبه على فعله فى الدنيا والا فيعاقبه فى الآخرة (وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) أى وكثير من الملائكة مع علو منزلتهم لاتنفع شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله فى الشفاعة فيمن يشاء ويرضى وهو العابد الشاكر لا المعاند الكافر فاذا كان حال الملائكة فى باب الشفاعة كما ذكر فكيف تقبل شفاعة الجمادات (ان الذين لايؤمنون بالآخرة) أى بأحوال يوم القيامة (ليسمون الملائكة تسمية الانثى) ومناسبة هذه الآية لما قبلها هى انهم لما بين لهم أن أعظم أجناس الخلق لاشفاعة لهم الا بالاذن قالوا نحن لانعبد الاصنام لانها جمادات وانما نعبد الملائكة بعبادتها فانا على صورها ننصبها بين أيدينا ليذكرنا الشاهد الغائب فنعظم الملك الذى ثبت أنه مقرب عظيم الشأن فقال تعالى ردا عليهم كيف تعظمونهم وأنتم تسمونهم تسمية الاناث حيث قلتم الملائكة بنات الله (وما لهم به من علم) وهذه الجملة حال من فاعل ليسمون أى ليسمون الملائكة بالبنات والحال أنه لا علم لهم بما كانوا يقولون أصلا وقرئ بها أى بالتسمية أو بالملائكة (ان يتبعون الا الظن) فى ان الملائكة اناث (وان الظن لايغنى من الحق شيأ) أى لاينفع شيأ من العلم بحقيقة الشئ والظن يتبع فى الامور المصلحية والافعال العرفية أو الشرعية عند عدم الوصول الى اليقين ومدح من حاله لايعلم فالظن فيه معتبر والاخذ بظاهر حال العاقل واجب وأما فى

عن هذه الأوثان التى تعبدونها وتزعمون انها بنات الله وأنتم تختارون الذكران وذلك قوله تعالى (ألكم الذكر وله الأنثى تلك اذا قسمة ضيزى) جائرة ناقصة (ان هى) أى ماهذه الأوثان (الا أسماء) لاحقيقة لها (سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها) بعبادتها (من سلطان) أى حجة وبرهان (ان يتبعون) أى مايتبعون فى عبادتها وأنها شفعاء (الا الظن وماتهوى الأنفس) يعنى أن ذلك شئ ظنوه وأمر سولت لهم أنفسهم (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) أى البيان على لسان محمد صلى الله عليه وسلم (أم للانسان ماتمنى) أى أيظنون ان لهم ماتمنوا من شفاعة الأصنام وليس كما تمنوا بل (لله الآخرة والأولى) فلا يجرى فى الدارين الا مايريد (وكم من ملك فى السموات) هو أكرم على الله من هذه الأصنام (لاتغنى شفاعتهم) عن احد (شيأ الا من بعد ان يأذن الله) لهم فى ذلك (لمن يشاء ويرضى) كقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى (ان الذين لايؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى) أى يقولون انهم بنات الله (وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لايغنى من الحق شيأ) أى ظنهم لايدفع عنهم من العذاب شيأ

الاعتقاديات فلا يغني الظن شيأ من الحق فان المكلف يحتاج الى يقين يميز الحق من الباطل ليعتقد الحق ويميز الخير من الشر ليفعل الخير ففي الحق ينبغي أن يكون جازما والظان لا يكون جازما ويحتمل ان المراد من الحق هو الله تعالى والمعنى وان الظن لا يفيد شيأ من الله تعالى فان الاوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا) أي اترك مجادلة من أعرض عن القرآن المنطوي على علوم الاولين والآخرين المذكور لامور الآخرة قاصرا نظره الى الدنيا وهذه الآية غير منسوخة لان النبي صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه بأباطيلهم أمر بالجواب عنها بالمجادلة ثم لما لم ينفع أمر بالاعراض عنهم وعدم مقابلتهم بالبرهان أي وأمر بالاعراض عن المناظرة بشرط جواز المقاتلة (ذلك مبلغهم من العلم) أي ذلك الظن غاية ما يبلغون به من الادراك المنتظم للظن الفاسد (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) أي ان الله أعلم بمن لم يرجع الى الهدى أصلا وبمن يقبل الاهتداء في بعض الاحوال وقد علم الله أنه لا يؤمن بمجرد الدعاء أحد من المكلفين وانما ينفع فيهم أن يقع السيف والقتال فأعرض عن الجدال وأقبل على القتال (ولله ما في السموات وما في الارض) أي خلقا وملكا والوقف هنا تام عند أبي حاتم (ليجزي الذين أساؤا بما عملوا) أي بعقاب ما عملوا من الضلال (ويجزي الذين أحسنوا) أي اهتدوا (بالحسنى) أي بالمثوبة الحسنى التي هي الجنة وقوله تعالى ليجزي متعلق بقوله ضل واهتدى كأنه تعالى قال هو يعلم بمن ضل واهتدى ليجزي بهما أو متعلق بقوله تعالى فأعرض أي اعرض عنهم ليقع الجزاء (الذين يجتنبون كبائر الاثم) وهذا الموصول بدل من الموصول الثاني وقرأ حمزة والكسائي كبير الاثم (والفواحش) قيل الكبائر ما وعد الله عليه بالنار صريحا ظاهرا والفواحش ما أوجب الله عليه حدا في الدنيا (الا اللمم) وهو ما يقصده المؤمن ولا يحققه أو ما يأتي به المؤمن ويندم في الحال (ان ربك واسع المغفرة) حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر وهذا تنبيه على ان اخراج اللمم عن حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية (هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض واذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم) أي هو تعالى أعلم بأحوالكم يعلمها حين ابتدأ خلقكم من تراب فان كل أحد أصله من التراب فانه يصير غذاء ثم يصير دما ثم يصير نطفة وحين صوركم في الارحام وهذا تنبيه على كمال العلم والقدرة فان بطن الام في غاية الظلمة ومن علم بحال الجنين في بطن الام لا يخفى عليه ما ظهر من حال العباد (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) أي اذا كان الامر كذلك فلا تثنوا على أنفسكم بالطهارة عن المعاصي بالكلية على سبيل الاعجاب أو الرياء ولا تقولوا لمن لا تعرف حقيقته أنا خير منك ولا تقطعوا أيها المؤمنون بخلاصكم من العذاب فان الله أعلم بمن أطاع وأخلص العمل اما على سبيل الاعتراف بالنعمة فجائز وذلك بان اعتقد ان ما عمله من الاعمال الصالحة بتوفيق الله ولم يقصد بذلك الاعتراف المدح وهذا لم يكن من المزكين أنفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر (أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلا وأكدى) أي أفرأيت الذي أدبر عن الايمان وأعطى شيأ قليلا من المال المسمى وقطع العطاء قيل نزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة كان يجلس عند النبي صلى الله عليه وسلم وسمع وعظه وأثرت الحكمة فيه تأثيرا قويا فقال له رجل من المشركين لم تركت دين آبائك فقال أخشى عذاب الله فقال له لا تخف وأعطني كذا وأنا أتحمل عنك العذاب فتولى الوليد عن الوعظ وسماع الكلام من النبي صلى الله عليه وسلم وأعطاه الوليد بعض المشروط وبخل بالباقي فلا يفي بالعهد ولا يحصل بذلك حمل الوزر (أعنده علم الغيب فهو يرى) أي أعنده علم بالامور الغيبية فهو يعلم أن صاحبه يتحمل عنه

(فأعرض) يا محمد (عمن تولى عن ذكرنا) أي أعرض عن القرآن (ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم) يقول ذلك نهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة وقوله (الا اللمم) يعني صغار الذنوب كالنظرة والقبلة وقوله (اذ أنشأكم من الارض) يعني خلق أباكم من التراب (واذ أنتم أجنة) جمع جنين (فلا تزكوا أنفسكم) أي لا تمدحوها (هو أعلم بمن اتقى) أي عمل حسنة (أفرأيت الذي تولى) أي أعرض عن الايمان يعني الوليد بن المغيرة كان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين على ذلك فقال اني أخشى عذاب الله فضمن له ان هو أعطاه شيأ من ماله ورجع الى شركه ان يتحمل عنه عذاب الله فرجع الى الشرك وأعطى صاحبه الضامن بعض ما كان ضمن له ومنعه الباقي وذلك قوله (وأعطى قليلا وأكدى) أي قطع ذلك ومنعه (أعنده علم الغيب فهو يرى) أي ما غاب عنه من أمر الآخرة حتى علم أن غيره يحمل عنه العذاب

ذنوبه يوم القيامة (أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى) أى بل لم يخبر بالخبر الذى كان فى التوراة وفى صحف ابراهيم الذى بالغ فى الوفاء بما عاهد الله تعالى انه لا تحمل نفس حمل نفس أخرى أى انه لا يؤاخذ أحد بذنب غيره وعن ابن عباس قال كانوا قبل ابراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره فكان أهل المقتول اذا ظفروا بأبى القاتل أو ابنه أو أخيه أو عمه أو خاله قتلوه حتى نهاهم ابراهيم عن ذلك و بلغهم عن الله ان لا تزر وازرة وزر أخرى (وأن ليس للانسان الا ما سعى) أى وانه ليس للانسان يوم القيامة الا ما عمل فى الدنيا من خير وشر فان حسنة الغير لا تفيد نفعا وان المسىء لا يجد بسبب حسنة الغير ثوابا ولا يتحمل عنه أحد عقابا (وأن سعيه) أى عمله من خير وشر (سوف يرى) أى يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة فى ديوانه وميزانه (ثم يجزاه الجزاء الاوفى) أى ثم يجزى الانسان سعيه بالجزاء الاتم (وأن الى ربك المنتهى) أى المرجع بعد الموت وعند ذلك يجازى الرب الشكور ويجزى الكفور والقراءة المشهورة فتح الهمزة على العطف على ما فهذا فى الصحف أيضا وهو الحق فالمخاطب به موسى وابراهيم على التوزيع وقرئ بالكسر على الابتداء فالمخاطب بهذا اما عام وهو كل سامع فهو تهديد للمسىء وحث للمحسن أو خاص وهو النبى صلى الله عليه وسلم ففى هذا تسلية لقلبه كأنه تعالى قال لا تحزن فان المنتهى الى الله (وأنه هو أضحك وأبكى) فكل ما يعمله الانسان بخلقه حتى الضحك والبكاء قيل ان الله تعالى خص الانسان بالضحك والبكاء والقرد يضحك ولا يبكى والابل تبكى ولا تضحك (وأنه هو أمات وأحيا) أى خلق الموت والحياة فلا يقدر على الاماتة والاحياء غيره تعالى (وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى) أى تهراق فى رحم الانثى (وأن عليه) تعالى (النشأة الاخرى) أى نفخ الروح كما قال تعالى هنالك أنشأناه خلقا آخر أى نفخ الروح بعد خلق النطفة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والنشاءة بفتح الشين و بعدها ألف ممدودة قبل الهمزة (وأنه هو أغنى) أى أغنى الناس بلبن الام و بنفقة الاب فى صغره (وأقنى) أى وأعطاه الاموال بالكسب بعد كبره فكل ما دفع الله به الحاجة فهو اغناء وكل ما زاد عليه فهو اقناء (وأنه هو رب الشعرى) وهى نجم مضىء وتسمى الشعرى العبور وهى تطلع بعد الجوزاء فى شدة الحر وتسمى الشعرى اليمانية وكانت خزاعة تعبدها وتعتقد تأثيرها فى العالم وهى المرادة فى هذه الآية دون الشعرى الشامية المسماة بالشعرى الغميصاء وهى التى فى الذراع وهذا اشارة الى فساد قول قوم فان بعض الناس قال ان الفقر والغنى بكسب الانسان واجتهاده فمن كسب استغنى ومن كسل افتقر و بعضهم قال ان ذلك بالبخت وذلك بالنجوم فردهم الله تعالى بقوله هو تعالى محرك النجوم ورب معبودهم الشعرى العبور (وأنه أهلك عادا الاولى) وهى قوم هود وسميت أولى لتقدمها فى الزمان على عاد الثانية التى هى ثمود قوم صالح وقرأ نافع وأبو عمرو باسقاط نون التنوين لالتقاء الساكنين و بنقل حركة همزة أولى وحذفها الى اللام وقرأ قالون كذلك الا كن بقلب الواو همزة ساكنة وقرأ الباقون بكسر نون التنوين لالتقاء الساكنين وسكون اللام و بعدها همزة مضمومة (وثمود) عطف على عاد وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين للدال فى الوصل و سكون الدال فى الوقف والباقون بالتنوين فى الوصل و بالوقف على الالف (فما أبقى) أى فما أبقى من عاد وثمود أحدا (وقوم نوح من قبل) أى أهلكهم من قبل الفريقين (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) من الفريقين حيث يتدينون بالكفر ويتجاوزون فى المعاصى فانهم كانوا يؤذون نوحا عليه السلام و يضربونه حتى يغشى عليه و ينفرون الناس عنه ويحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه والبادئ أظلم ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها (والمؤتفكة أهوى) أى أسقط قريات لوط سدوم وصادوم وعمورا وصوائم الى الارض بعد ان رفعها الى السماء على جناح جبريل عليه

(أم لم ينبأ بما فى صحف موسى) أى أسفار التوراة (وابراهيم) أى وصحف ابراهيم (الذى وفى) أى أكمل ما أمر به وأتمه ثم بين ذلك فقال (ألا تزر وازرة وزر أخرى) أى تؤخذ نفس بإثم غيرها (وأن ليس للانسان الا ما سعى) أى عمل لآخرته (وأن سعيه) أى عمله (سوف يرى) يعنى فى ميزانه من خير وشر (ثم يجزاه) أى يجزى عليه (الجزاء الاوفى) أى الاتم (وان الى ربك المنتهى) المصير والمرجع (وانه هو أضحك) من شاء من خلقه (وأبكى) من شاء منهم (وأنه هو أمات) فى الدنيا (وأحيا) للبعث وقوله (اذا تمنى) أى تصب فى الرحم (وأن عليه النشأة الأخرى) أى الخلق الآخر بعد الموت (وأنه هو أغنى) بالمال (وأقنى) أى ارضى بما أعطى وقيل أقنى أى أعطى أصول الأموال وما يتخذ قنية (وانه هو رب الشعرى) وهو كوكب الجوزاء كان يعبد فى الجاهلية (وانه أهلك عادا الاولى) أى قوم هود (والمؤتفكة) يعنى قرى قوم لوطا (أهوى) أى اسقطها الى الارض بعد رفعها وقوله

السلام بأمره جبريل بذلك (فغشاها ماغشى) أي فكساها الله تعالى أمرا عظيما من فنون العذاب (فبأى آلاء ربك تتمارى) أي فتشكك فبأى أنعم ربك أيها الانسان أي بما عدالله تعالى من أنواع النعم وهو الخلق من النطفة ونفخ الروح فيه والاغناء والاقناء وذكران الكافرين أهلكهم قال فبأى آلاء ربك تتمارى فيصيبك مثل ما أصاب الذين تماروا من قبل (هذا نذير من النذر الاولى) أي هذا النبي رسول كالرسل قبله يرسل اليكم كما أرسلوا الى أقوامهم والله تعالى لما بين الوحدانية بقوله تعالى فبأى آلاء ربك تتمارى أشار الى اثبات رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى هذا نذير الخ ثم أشار الى القيامة بقوله (أزفت الآزفة) أي قربت الساعة التي يزداد كل يوم قربها فهي كائنة قريبة وازدادت في القرب (ليس لها من دون الله كاشفة) أي ليس للساعة نفس قادرة على اظهار وقتها الا الله تعالى (أفمن هذا الحديث تعجبون) أي أتعجبون انكارا من هذا القرآن أومن حديث حشر الاجساد بعد الفساد (وتضحكون) استهزاء من القرآن أو أتضحكون وقد سمعتم ان القيامة قريب (ولا تبكون) مما في القرآن من الزجر والتخويف وكان حقالكم ان تبكوا منه (وأنتم سامدون) أي معرضون أو مستكبرون (فاسجدوا لله واعبدوا) أي واذا كان الامر كذلك فاسجدوا لله الذي أنزل القرآن واعبدوه ولا تعبدوا غيره لان عبادة غيره تعالى ليست بعبادة

﴿سورة القمر وتسمى سورة اقتربت مكية وهي خمس وخمسون آية وثلاثمائة واثنتان وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

اقتربت الساعة) أي دنا قيام الساعة بخروج محمد صلى الله عليه وسلم (وانشق القمر) نصفين فهو من علامات قرب الساعة روى أنس بن مالك ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما (وان يروا آية) أي عظيمة (يعرضوا) عن الايمان بها (ويقولوا سحر مستمر) أي هذا سحر دائم يأتي به محمد على مر الزمان أو قوى لا يمكن ازالته وقيل أي مار يزول ولا يبقى وقيل أي شديد المرارة فلا نقدر ان نسيغه كما لا نسيغ المر وقرئ وان يروا على البناء للمفعول (وكذبوا) بالآية بكونها دالة على صدق الرسول (واتبعوا أهواءهم) أي فقالوا انه سحر القمر أو سحر أعيننا (وكل أمر) من الخير والشر (مستقر) فكل عامل يرى في الآخرة أثر عمله وقرئ مستقر بالجر صفة لامر فكل عطف على الساعة أي اقتربت الساعة وكل أمر مستقر (ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر) أي وبالله لقد جاءهم في القرآن كائنا من أخبار الامم الماضية المهلكين ما فيه ازدجار وقرئ مزجر بقلب تاء الافتعال زايا وادغامها فيه وقرأ زيد بن علي مزجر صيغة اسم الفاعل ذو زجر (حكمة بالغة) أي لا خلل فيها بدل من ما وقرئ بالنصب حالا منها (فما تغني النذر) وما نافية والمعنى ان الرسل لم يبعثوا ليلجئوا قومهم الى الحق وانما أرسلوا مبلغين واما

(الحديث) يعني القرآن (تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون) أي لاهون غافلون (فاسجدوا لله واعبدوا) معناه فاسجدوا لله الذي خلق السموات والارض ولا تسجدوا للاصنام التي ذكرت في هذه السورة

﴿تفسير سورة القمر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اقتربت الساعة) أي دنت القيامة (وانشق القمر) أي انفلق نصفين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن أهل مكة سألوه آية فاراهم القمر فلقتين حتى رأوا حراء بينهما فاخبر الله تعالى ان ذلك من علامات قرب الساعة (وان يروا) يعني أهل مكة (آية) تدل على صدق محمد (يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) أي ذاهب باطل يذهب وقيل محكم شديد وقوله (كل أمر مستقر) اى يستقر قرار تكذيبهم وقرار تصديق المؤمنين يعني عند ظهور الثواب والعقاب (ولقد جاءهم) أي جاء أهل مكة

استفهامية

(من الأنباء) أي أخبار هلاك الامم المكذبة (ما فيه مزدجر) أي متناهى ومنتهى (حكمة بالغة) أي ما أتاهم من أخبار من قبلهم حكمة بالغة تامة ليس فيها نقصان يعني القرآن وذلك ان تلك الأخبار قصت عليهم في القرآن (فما تغني النذر) جمع نذير أي فليست تغني عن التكذيب

استفهامية والمعنى انك يا أشرف الرسل أتيت بما عليك من الدعوى واظهار الآية عليها فكذبوك فأنذرتهم بما جرى على المكذبين فلم يفدهم انذارك فهذه حكمة بالغة فأى شئ من الامور النافعة غير هذا تحصله فلم يبق عليك شئ آخر (فتول عنهم) أى لا تناظرهم بالكلام وهذه الآية غير منسوخة (يوم يدع الداع الى شئ نكر خشعا أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر) ويوم منصوب بيخرجون وخشعا حال من فاعل يخرجون وكذا جملة كأنهم الخ وقرأ ابن كثير نكر بسكون الكاف والباقون بالضم وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى خاشعا بفتح الخاء وبالف بعدها والباقون بضم الخاء وفتح الشين مشددة وقرئ خاشعة بالتأنيث على الاصل وقرئ خشع أبصارهم على الابتداء والخبر والجملة حال والمعنى يخرج الناس من القبور حال كونهم مثل جراد منتشر فى كثرتهم واجتماع بعضهم على بعض يوم يدعو اسرافيل أو جبريل الى شئ فظيع تنكره النفوس وهو هول القيامة أذلة أبصارهم من شدة الهول (مهطعين الى الداع) أى مسرعين اليه مادى أعناقهم اليه (يقول الكافرون) فى ذلك اليوم (هذا يوم عسر) أى صعب شديد ثم شرع فى ذكر بعض الانباء الموجبة للازدجار فقال (كذبت قبلهم) أى قبل أهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) نوحا (وقالوا مجنون وازدجر) عطف على قالوا أى قالوا لنوح هو مجنون وزجروه عن مقالته بأنواع الأذية (فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر) أى بأنى غلبنى قومى بالقوة فانتقم لى منهم والعامة على فتح همزة أنى وقرأ الاعمش وابن أبى اسحق بالكسر أى فقال نوح يا الهى ان نفسى غلبتنى بحكم البشرية وقد أمرتنى بالدعاء عليهم فأهلكهم (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) أى بمطر منصب من السماء على الارض أربعين يوما وقرأ ابن عامر بتشديد التاء لكثرة الابواب (وفجرنا الارض عيونا) أى جعلنا الارض كلها كأنها عيون منفجرة (فالتقى الماء على أمر قد قدر) أى فار ماء الارض بقوة حتى ارتفع والتقى بماء السماء على حال قد قدرها الله تعالى كما شاء وقرئ الماآن بالتثنية وتحقيق الهمزة والماوان بقلب الهمزة واوا أى ماء السماء وماء الارض (وحملناه على ذات ألواح ودسر) أى وحملنا نوحا على سفينة ذات أخشاب عريضة ومسامير (تجرى بأعيننا) أى تسير السفينة محفوظة بحفظنا (جزاء لمن كان كفر) أى حملناه جزاء لنوح على صبره على كفرانهم لانه كان نعمة كفروها فان كل نبى نعمة على أمته وقرئ جزاء بكسر الجيم أى مجازاة وقرئ كفر بالبناء على الفاعل أى أغرقنا الكفار جزاء لهم (ولقد تركناها آية) أى ولقد جعلنا السفينة آية يعتبر بها من يقف على خبرها (فهل من مدكر) اى فهل معتبر يعتبر بما صنع الله بقوم نوح موجود فيترك المعصية ويختار الطاعة (فكيف كان عذابى) الذى عذبتهم به (ونذر) أى وكيف كان عاقبة انذارى (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أى وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بأن نزلناه على لغتهم للاتعاظ (فهل من مدكر) أى فهل من طالب علم فيعان عليه (كذبت عاد) هودا فاسمعوا (فكيف كان عذابى ونذر) أى انذاراتى لهم (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أى باردة وهو ريح الدبور (فى يوم نحس) أى شديد القباحة (مستمر) أى الى نفاد المراد وهو من يوم الاربعاء لثمان بقين من شوال الى غروب شمس الاربعاء آخره ومستمر وصف ليوم مضاف الى نحس

(فتول عنهم) وتم الكلام ثم قال (يوم يدع الداع الى شئ نكر) أى منكر وهو النار (خشعا) أى ذليلة (أبصارهم يخرجون من الاجداث) أى القبور (كأنهم جراد منتشر) كقوله كالفراش المبثوث (مهطعين) أى مقبلين ناظرين (الى الداع) أى الى من يدعوهم الى المحشر (يقول الكافرون هذا يوم عسر) أى شديد (كذبت قبلهم) أى قبل أهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) نوحا (وازدجر) أى وزجروه ونهى عن دعوته ومقالته (فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر) أى فانتقم لى منهم (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) أى سائل (وفجرنا الارض عيونا) أى فتحناها بعيون الماء (فالتقى الماء) أى ماء السماء وماء الارض (على أمر قد قدر) أى قد قضى عليهم فى أم الكتاب (وحملناه) يعنى نوحا (على ذات ألواح) وهى السفينة (ودسر) يعنى ما تسد به السفينة من المسامير والشرط (تجرى بأعيننا) أى بمرأى مناوحفظ (جزاء لمن كان كفر) يعنى نوحا أى فعلنا ذلك ثوابا له اذ كفر به وكذب (ولقد تركناها آية) أى تركنا تلك القصة علامة ليعتبر بها (فهل من مدكر) أى متعظ بها (فكيف كان عذابى) استفهام معناه التقرير (ونذر) أى انذارى (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أى سهلناه للحفظ فليس يحفظ كتاب من كتب الله ظاهرا الا القرآن (فهل من مدكر) أى متعظ بمواعظه (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أى شديدة ذات صوت (فى يوم نحس) أى شؤم (مستمر) يعنى دائم الشؤم

بسكون الحاء وقرئ بتنوين يوم وكسر حاء نحس ومن جعل نحسا اسم معنى أو مصدرا كان مستمر وصفا لنحس أي مستمر النحوسة (تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر) أي تقلع قوم هود من أماكنهم فيلقون أمواتا وهم جثث عظام طوال كأنهم نخل قطعت رؤسه منقلع عن مغارسه (فكيف كان عذابي ونذر) أي انظر كيف كان عذابي عليهم وكيف كان حال انذاراتي (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أي هيأناه للتذكر (فهل من مدكر) أي فهل من متعظ يتعظ بما صنع بقوم هود فيترك المعصية (كذبت ثمود) قوم صالح (بالنذر) أي بالانذارات (فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر) أي فقالوا أنتبع آدميا مثلنا واحدا من آحادنا لا من أشرافنا في دينه وأمره انا وقتئذ لفي خطأ بين وتعب (أألقي الذكر عليه من بيننا) أي أألقي الوحي على صالح وهل خص بالنبوة منفردا من بيننا وفينا من هو أكثر مالا وأحسن حالا (بل هو كذاب) في قوله (أشر) أي متكبر مرح (سيعلمون غدا من الكذاب الاشر) وقرأ ابن عامر وحمزة بتاء الخطاب وهو حكاية عن قول صالح عليه السلام لقومه أي ستعلمون وقت نزول العذاب بكم في الدنيا عن قريب من شديد الكذب المتكبر والباقون بياء الغيبة وهو حكاية لقوله تعالى لصالح عليه السلام وعدا له ووعيدا لقومه أي سيعلمون عن قريب وهو وقت نزول العذاب بهم في الدنيا من الذي حمله كذبه وبطره على الترفع أصالح هو أم من كذبه وقرئ الاشر أي الابلغ في الشرارة فقال الله لصالح (انا مرسلوا الناقة) أي انا مخرجو الناقة من الجبل المنبسط على الارض حسب ما سألوا (فتنة لهم) مفعول لاجله أي امتحانا لهم ليتميز حال من يثاب ممن يعذب فاخراج الناقة من الصخرة كان معجزة لصالح لانها تصديق له وبعده يتميز المصدق عن المكذب وارسالها اليهم ودورانها فيما بينهم وقسمة الماء كان فتنة (فارتقبهم) أي انتظرهم بالعذاب وتبصر ما يصنعون (واصطبر) على أذيتهم أي فان كانوا يؤذونك فلا تستعجل لهم العذاب (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) أي أخبرهم بأن ماء بئرهم مقسوم بين قوم صالح والناقة فيوم لهم ويوم لها (كل شرب محتضر) أي كل نصيب من الماء يحضره صاحبه في نوبته فبقوا على ذلك مدة ثم سئموا من ضيق الماء والمرعى عليهم وعلى مواشيهم فأجمعوا على قتلها (فنادوا صاحبهم) قدار بن سالف ويلقب بالاجهر بعد ما رماها مصدع بن دهر بسهم (فتعاطى فعقر) أي تناول قدار السيف فقتل الناقة به موافقة لهم (فكيف كان عذابي ونذر) أي انذاري لهم بالعذاب قبل نزوله (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) صيحة جبريل بالعذاب بعد ثلاثة أيام من قتلهم الناقة لانه كان في يوم الثلاثاء ونزول العذاب بالصيحة بهم كان يوم السبت (فكانوا كهشيم المحتظر) بكسر الظاء أي فصاروا كالشئ اليابس من الحطب والشوك لمن يعمل الحظيرة في اهلاكهم وقرئ بفتح الظاء أي فصاروا كالشئ الذي داسته الغنم في الحظيرة وهي زريبة الغنم تتخذ من دقاق الشجر وضعيف النبات تقيها عن الحر أو البرد (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أي هونا القرآن للعظة والحفظ والقراءة قال سعيد بن جبير ليس من كتب الله كتاب يقرأ كله ظاهرا أي بغير نظر الا القرآن وقال غيره ولم يكن هذا لبني اسرائيل ولم يكونوا يقرؤن التوراة الا نظرا غير موسى وهرون ويوشع بن نون وعزير صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (فهل من مدكر) أي فهل من طالب لحفظه فيعان عليه (كذبت قوم لوط بالنذر) أي بالامور المخوفة لهم على لسانه (انا أرسلنا عليهم حاصبا) أي عذابا بحجارة من سجيل عليها علامة كل واحد فالملائكة حركوا الريح فالريح رمت الحجارة عليهم (الا آل لوط) أي الا لوطا وابنتيه زاعورا وريا (نجيناهم بسحر) أي في آخر الليل وقيل عند السدس الاخير من الليل (نعمة من عندنا) مفعول له أي كان

(تنزع الناس) أي تقلعهم عن مواضعهم (كأنهم أعجاز نخل) أي أصول نخل (منقعر) أي منقلع ساقط شبهوا وقد كبتهم الريح على وجوههم بنخيل سقطت على الارض (كذبت ثمود بالنذر) جمع نذير وقوله (انا اذا لفي ضلال) أي ذهاب عن الصواب (وسعر) أي جنون (أألقي الذكر عليه من بيننا) أنكروا أن يكون مخصوصا بالوحي من بينهم (بل هو كذاب أشر) أي بطر يريد أن يتعظم علينا قال الله تعالى (سيعلمون غدا) أي عند نزول العذاب بهم (من الكذاب الأشر انا مرسلوا الناقة) أي مخرجوها من الهضبة كما سألوا (فتنة) أي محنة (لهم) لنختبرهم (فارتقبهم) أي انتظر ما هم صانعون (واصطبر ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) أي بين ثمود والناقة غبا لها يوم ولهم يوم (كل شرب) أي نصيب من الماء (محتضر) أي يحضره قوم يوما والناقة يوما (فنادوا صاحبهم) قدارا عاقر الناقة (فتعاطى) أي فتناول الناقة بالعقر (فعقر) ها وقوله (كهشيم المحتظر) وهو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشوك والشجر دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم وقوله (الا آل لوط) أي أتباعه على دينه من أهله وأمته (نجيناهم) من العذاب (بسحر) من الاسحار كقوله فأسر بأهلك الآية (نعمة من عندنا) عليهم بالانجاء ذلك

ذلك الانجاء فضلا منا كما ان ذلك الاهلاك كان عدلا منا (كذلك نجزى من شكر) أى كما أنعمنا على من آمن بالله تعالى وأطاعه بالانجاء ننعم عليهم يوم الحساب وقيل أى مثل ذلك الانجاء ننجى من آمن بالله من عذاب الدنيا ولا نهلكه بالهلاك العام وعلى هذا فهو وعد لامة محمد المؤمنين (ولقد أنذرهم بطشتنا) أى ولقد خوفهم لوط عذابنا الاكبر يوم القيامة لئلا يكون مقصرا فى التبليغ (فتماروا بالنذر) أى شكوا فى الانذارات وكذبوا لوطا (ولقد راودوه عن ضيفه) أى طلبوا من لوط المرة بعد المرة أن يخلى بينهم وبين أضيافه من الملائكة التى فى صورة شبان مرد للفاحشة (فطمسنا أعينهم) أى أذهبنا صورة أعينهم بالكلية حتى صارت وجوههم كالصفحة الملساء روى أنهم لما دخلوا داره عليه السلام عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى أخرجهم لوط عليه السلام (فذوقوا عذابى ونذر) أى فقلنا لهم على ألسنة الملائكة ذوقوا عذابى الذى هو طمس العين وثمرة انذارى وقال القرطبى والمراد من هذا الامر الخبر أى فأذقتهم عذابى الذى أنذرهم به لوط عليه السلام (ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر) أى ولقد أتاهم وقت الصبح أول جزء منه عذاب دائم فانهم لما أهلكوا انقلوا الى الجحيم فكان ما أتاهم عذاب لا يندفع بموتهم أى فقلع جبريل بلادهم فرفعها ثم قلبها وأمطر الله عليها حجارة من النار وخسفها وغمرها بالماء المنتن الذى لا يعيش به حيوان وقرئ بكرة غير منون على أن المراد بها أول نهار مخصوص (فذوقوا عذابى ونذر) أى فقلنا لهم ذوقوا عذابى وفائدة تخويفى وهى فنون هذا العذاب (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أى هونا القرآن للحفظ والكتابة (فهل من مدكر) أى فهل متعظ يتعظ بما صنع بقوم لوط فيترك المعصية (ولقد جاء آل فرعون النذر) أى ولقد جاء فرعون وهامان وقارون الانذار على لسان موسى وهرون (كذبوا بآياتنا كلها) السمعية والعقلية (فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر) أى أخذ غالب غير عاجز (أكفاركم خير من أولئكم) أى الذين يصرون على الكفر منكم يا أهل مكة خير فى القوة فلا تهلكون أم الذين أصروا عليه من أولئكم المذكورين قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون وآله وهم من يؤول اليهم خيره وشره (أم لكم براءة فى الزبر) أى هل حصل لكم براءة من غوائل الكفر والمعاصى فى الكتب السماوية تأمنون العذاب بسببها فلذلك تصرون على ما أنتم عليه (أم يقولون نحن جميع منتصر) أى بل أيقولون نحن كثير متفقون على من خالفنا قويون على من عادانا (سيهزم الجمع) أى يهزم جمعهم بأيسر أمر بوعد لا خلف فيه (ويولون الدبر) قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدرى أى جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها اهـ وقرئ سيهزم الجمع بالبناء للفاعل أى سيهزم الله تعالى الجمع (بل الساعة موعدهم) أى ليس ما وقع لهم فى بدر تمام عقوبتهم بل الساعة موعد أصل عذابهم وهذا من مقدماته (والساعة أدهى وأمر) والساعة أشد من أنواع عذاب الدنيا وآلم وأدوم (ان المجرمين) من الاولين والآخرين (فى ضلال وسعر) فى ضلال وجنون لا يعقلون ولا يهتدون (يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر) أى يوم يجرون على وجوههم الى النار يقال لهم قاسوا حر

(كذلك) أى كما جزينا لوطا وآله (نجزى من شكر) آمن بالله وأطاعه (ولقد أنذرهم) أى خوفهم لوط (بطشتنا) أى أخذنا اياهم بالعقوبة (فتماروا بالنذر) أى كذبوا بانذاره شكا منهم (ولقد راودوه عن ضيفه) أى سألوه أن يخلى بينهم وبين القوم الذين أتوه فى صورة الأضياف وكانوا ملائكة (فطمسنا أعينهم) أى أعميناها وصيرناها كسائر الوجه وقلنا لهم (ذوقوا عذابى ونذر ولقد صبحهم بكرة) أى جاءهم صباحا (عذاب مستقر) أى ثابت لانه أفضى بهم الى عذاب الآخرة (ولقد جاء آل فرعون النذر) أى الانذار على لسان موسى وهرون (كذبوا بآياتنا) التسع (كلها فأخذناهم) بالعذاب (أخذ عزيز) قوى (مقتدر) أى قادر لا يعجزه شئ ثم خاطب العرب فقال (أكفاركم خير من أولئكم) الذين ذكرنا قصتهم (أم لكم براءة) من العذاب (فى الزبر) أى الكتب تأمنون بها من العذاب (أم يقولون) يعنى كفار مكة (نحن جميع منتصر) أى جماعة منصورون (سيهزم الجمع) أى جمعهم (ويولون الدبر) أى ينهزمون فيرجعون على أدبارهم وكان هذا يوم بدر وقوله (بل الساعة موعدهم) للعذاب (والساعة أدهى) أى أشد (وأمر) أى أشد مرارة مما يلحقهم فى الدنيا (ان المجرمين فى ضلال) فى الدنيا (وسعر) أى ونار فى الآخرة (يوم يسحبون) أى يجرون (فى النار على وجوههم) ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) أى اصابة جهنم اياكم بالعذاب

(انا كل شئ خلقناه بقدر) أى كل ما خلقناه فبقدر ومكتوب فى اللوح المحفوظ وهذه الآيات كلها نزلت فى القدرية الذين يكذبون بالقدر (وما أمرنا لشئ اذا أردنا تكوينه (الا واحدة) أى كلمة واحدة وهى كن (كلمح بالبصر) أى فى السرعة كخطفة البصر (ولقد أهلكنا أشياعكم) أى أشباهكم فى الكفر من الامم الماضية (وكل شئ فعلوه فى الزبر) أى فى كتب الحفظة (وكل صغير وكبير) من أعمالهم (مستطر) أى مكتوب (ان المتقين فى جنات) روضات (ونهر) أى ضياء وسعة وقيل أراد أنهارا فوحد لوفاق الفواصل (فى مقعد صدق) أى فى مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم (عند مليك مقتدر) وهو الله تعالى وعند اشارة الى الرتبة والقربة من فضل الله تعالى ورحمته

﴿تفسير سورة الرحمن عز وجل﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الرحمن علم القرآن) أى علم نبيه القرآن ليس كما يقول المشركون انما يعلمه بشر وقيل معناه يسر القرآن لنبيه فعلمه هذه الأمة حتى حفظوه (خلق الانسان) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم (علمه البيان) يعنى القرآن الذى فيه بيان كل شئ وقيل خلق الانسان يعنى ابن آدم فعلمه النطق وفضله على سائر الحيوان (الشمس والقمر) يجريان (بحسبان) أى بحساب لا يجاوزانه (والنجم) كل نبت لا ينبت على ساق (والشجر يسجدان) أى يخضعان لله تعالى لما يريد منهما (والسماء رفعها) فوق الارض (ووضع الميزان) أى العدل والانصاف (ألا) أى لئلا (تطغوا) أى تجاوزوا القدر (فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط) أى بالعدل والانصاف (ولا تخسروا الميزان) أى لا تنقصوا الوزن (والارض وضعها للأنام) أى للجن والانس

جهنم وألمها (انا كل شئ خلقناه بقدر) أى انا خلقنا كل شئ ملتبسا بقدر معين والمعنى أن الله تعالى قدر الاشياء فى القدم وعلم أنها ستقع فى أوقات معلومة عنده تعالى وعلى صفات مخصوصة فهى تقع على حسب ما قدرها الله تعالى (وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر) أى وما أمرنا فى كل شئ أردنا ايجاده الا كلمة واحدة وهى كن كطرف البصر فى السرعة (ولقد أهلكنا أشياعكم) أى أشباهكم فى الكفر من الامم الماضية فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم (فهل من مدكر) أى متعظ يتعظ بما صنع بهم فيترك المعصية (وكل شئ فعلوه فى الزبر) أى وكل شئ فعله الاشياع فى الشرك بالله من المعاصى والجفاء بالانبياء مكتوب عليهم فى ديوان الحفظة (وكل صغير وكبير) من الاعمال (مستطر) أى مكتوب بتفاصيله فى اللوح المحفوظ (ان المتقين) من الكفر والمعاصى (فى جنات) أى رياض واسعة عظيمة الشأن (ونهر) أى عند أنهار وقرئ نهر بضم النون والهاء (فى مقعد صدق) أى فى مكان مرضى أو فى مجلس لا كذب فيه وقرئ مقاعد (عند مليك مقتدر) أى مقربين عند من له ملك عظيم قادر لا يعجزه شئ ولا شئ الا وهو تحت ملكوته والقربة من الملوك لذيذة كلما كان الملك أشد قدرة كان المتقرب منه أشد التذاذا والمراد من القرب قرب المنزلة والشأن لا قرب المعنى والمكان

﴿سورة الرحمن وتسمى عروس القرآن مكية وهى سبع وسبعون آية وثلاثمائة واحدى﴾
﴿وخمسون كلمة وألف وستمائة وستة وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الرحمن علم القرآن) أى علم الانسان القرآن فان الله بعث جبريل بالقرآن الى محمد صلى الله عليه وسلم وبعث محمدا الى أمته (خلق الانسان) أى أنشأه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة (علمه البيان) أى النطق فيمتاز الانسان به عن غيره من سائر الحيوانات وألهمه الله أسماء كل شئ وكل دابة تكون على وجه الارض (الشمس والقمر بحسبان) أى الشمس والقمر يجريان بحساب مقدر فى بروجهما بحيث ينتظم بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول وتعلم السنون والاوقات (والنجم) وهو كل نبت لا يقوم على الساق (والشجر) وهو ما يقوم على الساق (يسجدان) أى يخضعان لله تعالى ويخرجان من الارض ويثبتان عليها باذن الله تعالى فشبه الثبات فى المكان بالسجود لان الساجد يثبت (والسماء رفعها) فوق كل شئ (ووضع الميزان) أى وضع آلة الوزن فى الارض أو بين العدل (أن لا تطغوا فى الميزان) أى لئلا تتجاوزوا الانصاف فى الوزن وفى اعطاء المستحقين حقوقهم وقرئ لا تطغوا بدون أن على ارادة القول (وأقيموا الوزن بالقسط) أى بالعدل (ولا تخسروا الميزان) أى ولا تنقصوا الوزون فالطغيان فى الوزن أخذ الزائد والاخسار اعطاء الناقص والقسط التوسط بين الطرفين (والارض وضعها للانام) أى بسطها على الماء لمنافع الانس والجن

والجن (فيها) أي الارض (فاكهة) أي أنواع كثيرة مما تطيب به النفس (والنخل ذات الاكمام) وهي أوعية الثمر وهي جمع كم بكسر الكاف أوهي كل مايغطى من ليف وسعف وكفرى فانه مما ينتفع به كالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه وهي جمع كم بضم الكاف (والحب ذو العصف والريحان) قرأ ابن عامر بنصب الثلاثة بخلق مضمرا أي وخلق جميع الحبوب كالحنطة والارز ذا الاوراق وخلق الريحان المعروف الذي بزره ينفع في الادوية أو المشمومات وقرأ حمزة والكسائي برفع الحب وذو عطفا على فاكهة وجر الريحان عطفا على العصف أي وفيها الحب ذو الساق وذو الاوراق وقرأ الباقون برفع الثلاثة عطفا على فاكهة أي وفيها الحب ذو الاوراق الخارجة من جوانب الساق كأوراق السنبلة من أعلاها الى أسفلها وفيها مشمومات أو ريحان معروف ويجوز أن يراد عند رفع الريحان ونصبه حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والمعنى وذو السنبلة والثمر أو وخلق ذا الرزق وهو الثمر (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أي فبأي أفرد من افراد نعم ربكما أيها الجن والانس تنكران انها ليست من الله أبتلك النعم المذكورة هذه أم بغيرها ويسن لسامع القارئ لهذه السورة ان يجيبه كلما قرأ هذه الآية وهي مكررة في أحد وثلاثين موضعا بان يقول ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقر الجن على ذلك الجواب (خلق الانسان) أي آدم (من صلصال) أي من طين منتن يابس له صوت (كالفخار) أي كالخزف المشوي بالنار المجوف كالاناء في ان كلا منهما يسمع له صوت اذا نقر ليعلم هل فيه عيب أو لا (وخلق الجان) أي الجن نفسه (من مارج) أي من لهب صاف (من نار) لا دخان لها وهو بيان لمارج (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أيها الجن والانس أبما أفاض عليكما في حالات شتى لخلقتكما حتى صيركما خلاصة الكائنات أم بغيره (رب المشرقين ورب المغربين) أي الذي فعل ماذكر وهو رب مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما وقرأ ابن أبي عبلة رب بالجر بدلا أو بيانا لربكما (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أي أبما في ذلك من الفوائد العظيمة التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه أم بغيرذلك (مرج البحرين) أي أرسل الرحمن البحر الملح والبحر العذب (يلتقيان) أي يتماسان ولا يمتزجان (بينهما برزخ) أي حاجز من قدرة الله تعالى (لا يبغيان) أي لا يتجاوز كل واحد منهما ماحده الله تعالى ولا يغير كل واحد منهما طعم صاحبه (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فهلا اعتبرتم بأنواع الموجودات (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) فاللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره وقيل ان اللؤلؤ يتولد في ملتقى الملح والعذب ثم يدخل الصدف في المالح عند انعقاد الدر فيه فيثقل هنالك فلا يمكنه الدخول في العذب وقيل هما يخرجان من الملح في الموضع الذي يقع فيه العذب (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أبكثرة النعم من خلق المنافع في البحر واخراج الحلي العجيبة أم بغيرها (وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام) وقرأ حمزة وأبو بكر بكسر الشين أي وله تعالى السفن الرافعات الشراع في البحر كالجبال والباقون بالفتح أي المرفوعات القلع وقرأ ابن أبي عبلة بتشديد الشين وقرأ يعقوب الجواري باثبات الياء في الوقف وقرأ عبد الله والحسن الجوار برفع الراء ولا تثبت الياء في الرسم (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أي أبتلك النعم من خلق مواد السفن وأسباب لا يقدر على خلقها غيره تعالى أم بغيرها (كل من عليها) أي على الارض من الحيوانات والمركبات (فان) أي هالك لا محالة

(فيها فاكهة) أي أنواع الفاكهة (والنخل ذات الاكمام) يعني أوعية الثمار (والحب ذو العصف) يعني ورق الزرع وقيل هو التبن (والريحان) الرزق ثم خاطب الجن والانس فقال (فبأي آلاء ربكما) نعم ربكما من هذه الاشياء التي ذكرت (تكذبان) لانها كلها منعم بها عليكم في دلالتها اياكم على وحدانية الله ثم كرر في هذه السورة هذه الآية توكيدا وتذكيرا للنعمة (خلق الانسان من صلصال) أي طين يابس تسمع له صلصلة (كالفخار) وهو ماطبخ من الطين (وخلق الجان) أي أب الجن (من مارج) أي من لهب النار الخالص (رب المشرقين) أي مشرق الصيف ومشرق الشتاء (ورب المغربين) وكذلك المغربان (مرج البحرين) أي خلط البحر العذب والبحر المالح (يلتقيان) أي يجتمعان وذلك أن البحر المالح فيه عيون ماء عذب (بينهما برزخ) أي حاجز من قدرة الله تعالى (لا يبغيان) أي لا يختلطان فلا يجاوزان ماقدر الله لهما فلا الملح يختلط بالعذب ولا العذب بالملح (يخرج منهما) أي من أحدهما وهو الملح (اللؤلؤ) وهو الحب الذي يخرج من البحر (والمرجان) صغار اللؤلؤ (وله الجوار) أي السفن (المنشآت في لبحر) أي المرفوعات (كالاعلام) أي كالجبال في العظم (كل من عليها) أي على الارض من حيوان (فان) هالك

(و يبقى وجه ربك) أيها السامع أي ذاته عز وجل (ذو الجلال) أي العظمة التي لا يسعها عقل (والاكرام) أي الفضل التام فالجلال مرتب على فناء غير الله تعالى والاكرام مرتب على بقائه تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ألظوا بيا ذا الجلال والاكرام أي الزموا في الدعاء ذلك وروى انه صلى الله عليه وسلم مر برجل وهو يصلي ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك والعامة على ذو بالواو صفة لوجه وقرأ أبي وعبد الله ذي بالياء صفة لرب (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أي أبتلك النعم من دفع البلاء وابقاء ماهو مخلوق الى وقت فنائه أم بغيرها (يسأله من في السموات والارض) فيسأله كل أحد ما يحتاج اليه في دينه ودنياه فكل أحد عاجز عن تحصيل ما يحتاج اليه ويسأله كل أحد عن عاقبة أمره وعما فيه صلاحه وفساده فكل أحد جاهل بما عند الله من المعلومات فالوجه الاول اشارة الى كمال القدرة والوجه الثاني اشارة الى كمال العلم (كل يوم هو في شأن) أي كل وقت من الأوقات هو تعالى في شأن أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع من يشاء ويضع من يشاء كما هو مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ويقال يحتمل أن يكون هو عائدا الى يوم وكل يوم ظرف ليسأله أي يقع سؤالهم في كل يوم هو في شأن يتعلق بهم فيطلبون ما يحتاجون اليه أو يستخرجون أمره بما يفعلون فيه (فبأي آلاء ربكما تكذبان) مع مشاهدتكم لاحسانه تعالى أبتلك النعم أم بغيرها (سنفرغ لكم أيها الثقلان) أي سنقصد لحسابكم وجزائكم أيها الجن والانس أي سنتجرد لكم أمر الآخرة من الأخذ في الجزاء وايصال الثواب والعقاب اليكم بعد تدبيرنا لأمر الدنيا بالأمر والنهي والاماتة والاحياء والمنع والاعطاء وقرأ حمزة والكسائي سيفرغ بالياء على الغيبة وقرئ بالبناء للمفعول وقرئ سنفرغ اليكم وترسم ايه بغير ألف وقرأ أبو عمرو والكسائي بالالف في الوقف والباقون بتسكين الهاء وقرأ ابن عامر برفع الهاء في الوصل والباقون بالفتح (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم من التنبيه على ماسيلقونه يوم القيامة للتحذير عما يؤدي الى سوء الحساب أم بغيرها (يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا) أي ياجماعة الجن والانس ان قدرتم أن تخرجوا من أطراف السموات والارض وان تهربوا من قضائي وملكي فاخرجوا منها وخلصوا أنفسكم من عقابي (لا تنفذون الا بسلطان) أي ما تنفذون الا ومعكم سلطان الله أي فلا مهرب لكم ولا مخرج عن ملك الله تعالى وأينما توليتم فثم ملك الله وأينما تكونوا أتاكم حكم الله (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم من دفع البلاء وتأخير العذاب عن العصاة أم بغيرها (يرسل عليكما شواظ) أي لهب خالص لا دخان فيه (من نار ونحاس) أي دخان لا لهب معه يسوقانكما الى المحشر قرأ ابن كثير بكسر شين شواظ وقرأ ابن كثير وابن محيصن ومجاهد وأبو عمرو بجر نحاس عطفا على نار ولا بد في هذه القراءة من كسر الشين أو امالة نار وعلى هذا فالشواظ مركب من نار ومن دخان وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر وقرئ نحاس بكسر النون وقرئ نرسل بنون العظمة ونصب شواظا ونحاسا وقرئ نحس بضمتين جمع نحاس (فلا تنتصران) أي فلا ينتصر أحدكما بالآخر ولا أنتما بغيركما (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم من بيان عاقبة الكفر والمعاصي أم بغيرها (فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) أي فاذا انصدعت السماء وخربت يوم القيامة فصارت حمراء كالأديم المغربي وهو ما فيه حمرة مع السواد يكون الامر عسيرا في غاية العسر أو يلقى المرء فعله ويحاسب حسابه (فبأي آلاء ربكما تكذبان) مع عظم شأنها (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان)

(و يبقى وجه ربك) أي و يبقى ربك (ذو الجلال والاكرام) أي العظمة والاكرام لانبيائه وأوليائه (يسأله من في السموات والارض) من ملك وانس وجن الرزق والمغفرة وما يحتاجون اليه (كل يوم هو في شأن) من اظهار أفعاله واحداث ما يريد من احياء واماتة وخفض ورفع وقبض وبسط (سنفرغ لكم) أي سنقصد لحسابكم بعد الامهال (أيها الثقلان) يعني الجن والانس (يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا) أي تخرجوا (من أقطار السموات والارض) أي نواحيها هاربين من الموت (فانفذوا) أي فاخرجوا (لا تنفذون الا بسلطان) أي حيث ما كنتم شاهدتم حجة الله وسلطانا يدل على انه واحد (يرسل عليكما شواظ من نار) وهو اللهب الذي لا دخان له (ونحاس) وهو الدخان أي يرسل هذا مرة وهذا مرة وهو أن في يوم القيامة يحاط على الخلق بلسان من نار (فلا تنتصران) أي تمتنعان (فاذا انشقت السماء) أي انفرجت أبوابها لنزول الملائكة (فكانت وردة كالدهان) أي كلون الفرس الورد وهو يتغير ألوانا على فصول السنة وقوله كالدهان جمع دهن والدهن ألوان أي فشبه الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه) سؤال استفهام ولكن يسألون سؤال تقريع وتوبيخ

أي فالمذنب يوم اذ تنشق السماء وذلك أول مايخرجون من القبور و يحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم لا يسئل عن ذنبه انسي ولا جني لانهم يعرفون بسيماهم (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم من الاخبار بما يزجر عن الشر أم بغيرها (يعرف المجرمون بسيماهم) أي بسواد وجوههم وزرقة أعينهم (فيؤخذ بالنواصي والأقدام) أي يجمع نواصيهم وأقدامهم في سلسلة من وراء ظهورهم فيطرحون في النار (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أي تجحدون والوقف هنا تام (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون) وهذه اشارة الى قربها أي جهنم التي يكذب بها المشركون هذه قريبة غير بعيدة عنهم (يطوفون بينها وبين حميم آن) أي يترددون بين النار وماء حار قد انتهى حره فيحرقون بها فيستغيثون منها فيسعى بهم الى الحميم و يظهر لهم شيء مائع هو صديدهم المغلي فيظنونه ماء فيسقون منه و يصب فوق رؤسهم فاذا استغاثوا منه يسعى بهم الى النار وهكذا (فبأي آلاء ربكما تكذبان) مما أشرنا اليه من أول السورة فتستحقان العذاب وتحرمان الثواب (ولمن خاف مقام ربه جنتان) أي ولمن خاف المقام الذي يقوم هو فيه بين يدي ربه وهو مقام عبادته والمقام الذي اطلع الله على عباده فانتهى عن المعصية جنتان جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لان التكليف بهذين النوعين وقيل هي جنة جزاء وجنة أخرى زيادة على الجزاء (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها (ذواتا أفنان) أي صاحبتا أغصان فان الجنات ذوات أشجار والاشجار ذوات أغصان والاغصان ذوات أزهار وأثمار وهي لتنزه الناظر وتنكير أفنان للتعجب أي على الافنان أوراق عجيبة وثمار طيبة من غير سوق غلاظ فالجنة ذات فنن غير كائن على أصل وعرق بل هي واقفة في الجو وأهلها تحتها (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم من وصف الجنة أم بغيرها (فيهما عينان تجريان) أي في كل واحدة منهما عين جارية كيف يشاء صاحبها في الأعالي والأسافل (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم التي ذكرها أم بغيرها (فيهما من كل فاكهة زوجان) أي في كل واحدة من الجنتين نوعان من الفواكه معروف وغريب أو رطب و يابس وكلاهما حلو يستلذ به (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أي أبتلك النعم أم بغيرها (متكئين) حال من فاعل خاف الذي هو عامل للحال أو كان عامله وصاحبه ما ندل عليه فاكهة أي يتفكهون حال كونهم جالسين جلوس المتمكن المتربع (على فرش بطائنها) أي التي تلي الارض (من استبرق) أي ديباج ثخين وكذا ظهائرها بخلاف أهل الدنيا فلا يجعلون البطائن كالظواهر لان غرضهم اظهار الزينة والبطائن لا تظهر أما في الآخرة فالامر مبني على الاكرام والتنعيم فتكون البطائن كالظواهر (وجنى الجنتين دان) أي ثمر الجنتين قريب يناله القاعد والقائم في وقت واحد ومكان واحد فان العجائب كلها من خواص الجنة فكان أشجارها دائرة عليهم سائرة اليهم وهم ساكنون على خلاف ما كان في جنات الدنيا فان الانسان فيها متحرك ومطلوب به ساكن والولي قد تصير الدنيا له انموذجا من الجنة فانه يكون ساكنا في بيته ويأتيه الرزق متحركا اليه دائرا حواليه (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أبقدرته على ثني الأغصان وتقريب الثمار أم بغيرها (فيهن قاصرات الطرف) أي في الجنان نساء مانعات أعينهن من النظر الى غير بعلهن وللجنة اعتبارات ثلاثة فلاتصال أشجارها وعدم الاراضي الغامرة كأنها جنة واحدة ولاشتمالها على النوعين ما في الدنيا وما ليس فيها وما يعرف وما لا يعرف وما يقدر على وصفه وما لا يقدر ولذات جسمانية ولذات روحانية كأنها جنتان ولسعتها وكثرة أماكنها وأشجارها وأنهارها كأنها جنات كثيرة فالضمير هنا عائد الى الجنتين (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) أي لم يجامع الانسيات أحد من الانس ولا الجنيات أحد من الجن قبل أزواجهن والمشهور ان الحور العين لسن من نساء أهل الدنيا

(يعرف المجرمون بسيماهم) أي بعلامتهم وهي سواد الوجوه وزرقة العيون (فيؤخذ بالنواصي والاقدام) أي تضم نواصيهم الى أقدامهم ويلقون في النار والنواصي جمع الناصية وهو شعر الجبهة ثم يقال لهم (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن) وهو الذي قد انتهى في الحرارة والمعنى أنهم اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم الآني أي يطاف بهم مرة الحميم ومرة الى النار (ولمن خاف مقام ربه) أي قيامه بين يدي الله للحساب فترك المعصية (جنتان ذواتا أفنان) أي أغصان (فيهما عينان تجريان احداهما بالماء الزلال والاخرى بالخمر (فيهما من كل فاكهة زوجان) أي نوعان كلاهما حلو (متكئين على فرش) جمع فراش (بطائنها) أي ما بطن منها وهو ضد الظواهر من استبرق) وهو ما غلظ من الديباج (وجنا الجنتين) أي ثمرهما (دان) أي قريب يناله القاعد والقائم والنائم (فيهن قاصرات الطرف) أي حابسات الاعين على أزواجهن لا ينظرن الى غيرهم (لم يطمثهن) أي لم يجامعهن (انس قبلهم) أي قبل أزواجهن (ولا جان)

(كأنهن الياقوت) أى فى الصفا (والمرجان) فى البياض (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) أى ماجزاء من أحسن فى الدنيا بطاعة الله الا الاحسان اليه فى الآخرة بالجنة ونعيمها (ومن دونهما) أى وسوى الجنتين الاولتين (جنتان) أخريان (مدهامتان) أى سودان لشدة الخضرة (فيهما عينان نضاختان) أى فوارتان (فيهن) نساء (خيرات) فاضلات الاخلاق حسان الوجوه (حور) أى سود الاحداق (مقصورات) أى محبوسات (فى الخيام) من الدرر المجوفة (متكئين على رفرف) وهو مافضل من الفرش والبسط وقيل الوسائد (وعبقرى) يعنى الزرابى وهو جنس من الفرش والبسط والطنافس (حسان) ثم ختم السورة بما ينبغى أن يحمد به ويعظم فقال (تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام)

﴿تفسير سورة الواقعة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا وقعت الواقعة) أى جاءت القيامة (ليس لوقعتها) أى لمجيئها (كاذبة) أى كذب

وانما هن مخلوقات فى الجنة فان أكثر نساء أهل الدنيا مطموثات (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى بأى نوع من أنواع هذا الاحسان تنكران (كأنهن الياقوت والمرجان) أى مشبهات بالياقوت فى حمرة الوجنة و بالمرجان بمعنى صغار الدر فى بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر أنصع بياضا من كباره قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر فى الزجاجة البيضاء (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى أبما جعله مثالا لوصفهن أم بغيره (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) أى ماجزاء الاحسان فى العمل الا الاحسان فى الثواب فجزاء كل من أحسن الى غيره أن يحسن هو اليه أيضا (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبشئ من هذه النعم الجليلة أم بغيرها (ومن دونهما جنتان) أى ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان أخريان لمن دونهم من أصحاب اليمين (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبشئ مما تفضل به عليكم من الجنات أم بغيره (مدهامتان) أى سوداوان من شدة الخضرة من الرى وهذه صفة لجنتان (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبشئ من تلك النعم أم بغيرها (فيهما عينان نضاختان) أى فوارتان أى ماؤهما متحرك الى جهة فوق (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها (فيهما فاكهة ونخل ورمان) وأفردهما بالذكر مع دخولهما فى الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء فيحنث بأكل أحدهما من حلف لا يأكل فاكهة كما قاله الشافعى وأكثر العلماء خلافا لأبى حنيفة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها (فيهن خيرات حسان) أى فى الجنتين نساء فى باطنهن خير وفى ظاهرهن حسن روى الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله أخبرنى عن قوله تعالى خيرات حسان قال خيرات الأخلاق حسان الوجوه (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبنعمة الحور أم بغيرها (حور مقصورات) أى محبوسات على أزواجهن (فى الخيام) أى فى خيام الدر المجوف وهى فرسخ فى فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبهذه النعم أم بغيرها (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) أى لم يصبهن بالجماع قبل أزواجهن أحد (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبهذه النعم أم بغيرها (متكئين) حال مما دل عليه لم يطمثهن الخ فأزواجهن لم يطمثهن حال كونهم متكئين (على رفرف) أى رياض أو بسط (خضر) فالاخضر حصل فيه الالوان الثلاثة الابيض والاسود والاحمر فالابيض يفترق البصر والاسود يجمع البصر كالاحمر فلما اجتمع فى الاخضر الامور الثلاثة دفع بعضها أذى بعض ولما كان ميل النفس فى الدنيا الى الاخضر أكثر ذكره الله تعالى (وعبقرى حسان) فالثياب المعمولة عملا جيدا يسمونها عبقريات مبالغة فى حسنها كأنها ليست من عمل الانس لان العبقرى منسوب الى عبقر وهو موضع من مواضع الجن (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبشئ من هذه النعم أم بغيرها (تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام) أى تعالى اسمه الجليل وارتفع عما لا يليق بشأنه قرأ ابن عامر ذو الجلال بالواو والباقون ذى بالياء صفة لرب وهذا اشارة الى ان أتم النعم عند الله تعالى وأكمل اللذات ذكر الله تعالى

﴿سورة الواقعة مكية وهى سبع وتسعون آية وثلاثمائة وثمان وتسعون كلمة وألف وسبعمائة وثلاثة أحرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة) أى اذا قامت القيامة يعترف بها كل أحد و يبطل عناد المعاندين ولا يتمكن أحد من انكارها والعامل فى اذا ليس لوقعتها كاذبة فاللام بمعنى فى أى ليس كاذبة توجد فى

وقت وقوعها أو بمعنى عندى أى لا يكون عند وقوعها نفس تكذب فى نفيها وانما سميت القيامة واقعة لشدة صوتها يسمع القريب والبعيد (خافضة رافعة) أى هى خافضة للكافرين فى دركات النار والعذاب ورافعة للمؤمنين فى درجات الجنة والنعيم وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعة (اذا رجت الارض رجا) أى اذا زلزلت الارض زلزالا شديدا بحيث ينهدم مافوقها من بناء وجبل واذا متعلقة بخافضة رافعة أو بدل من اذا وقعت (و بست الجبال بسا) أى فتتت الجبال فتا (فكانت هباء منبثا) أى فصارت الجبال غبارا منتشرا (وكنتم أزواجا ثلاثة) أى وصرتم فى ذلك اليوم أيها الخلائق ثلاثة أصناف اثنان فى الجنة وواحد فى النار ثم بينهم الله تعالى بقوله (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة) أى فأهل الجنة الذين يعطون كتابهم بيمينهم أى شئ هم فى حالهم فهم فى غاية حسن الحال فى الكرامة والسرور (وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة) أى وأهل النار الذين يعطون كتابهم بشمالهم أى شئ هم فى حالهم فهم فى غاية سوء الحال وهم فى الهوان والعذاب (والسابقون السابقون) أى والسابقون الذين لا حساب عليهم هم الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت محاسنهم فهم يسبقون الخلق الى الجنة من غير حساب فالسابقون الى الخيرات فى الدنيا هم السابقون الى الجنة فى العقبى (أولئك) أى السابقون (المقربون) الى الله تعالى (فى جنات النعيم) فى أعلى عليين فلهم قرب عند الله كما يكون لجلساء الملوك فهم لا يكون بيدهم شغل ولا يرد عليهم أمر فيلتذون بالقرب ويتنعمون بالراحة بخلاف قرب الملائكة الذين هم للاشغال فهو قرب الخواص عند الملك فهم ليسوا فى نعيم وان كانوا فى لذة عظيمة ولا يزالون خائفين قائمين بباب الله يرد عليهم الامر ولا يرتفع عنهم التكليف (ثلة من الاولين وقليل من الآخرين) أى هم أى السابقون الى الايمان بالأنبياء عيانا المجتمعون عليهم جماعة كثيرة من الأمم السالفة من لدن آدم الى نبينا عليهم السلام وقليل من هذه الأمة أى ان الذين عاينوا جميع الانبياء وصدقوهم من الأمم الماضية أكثر ممن عاين النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به وهذا لا ينافى كون أمة محمد ثلثى أهل الجنة (على سرر موضونة) أى موصولة بالذهب والفضة منسوجة بالدر والياقوت ويقال أرضها من الذهب الممدود وقوائمها من الجواهر النفيسة (متكئين عليها) أى السرر (متقابلين) فلا ينظر بعضهم الى قفا بعض وهذا وصف لهم بحسن العشرة والآداب وتهذيب الاخلاق ويقال السابقون هم الذين أجسامهم أرواح نورانية جميع جهاتهم وجه (يطوف عليهم) أى يدور حولهم للخدمة (ولدان مخلدون) أى مبقون أبدا على شكل الولدان لا يكبرون ولا يلتحون (بأكواب) أى كيزان وهى أوان مستديرة الافواه بلا عرى ولا خراطيم (وأباريق) وهى أوان لها عرى وخراطيم (وكأس من معين) أى اناء خمر طاهرة تجرى من عيون (لا يصدعون عنها) أى لا يصيبهم صداع بسبب شربها (ولا ينزفون) قرأ عاصم وحمزة والكسائى بكسر الزاى أى لا ينفد شرابهم والباقون بفتحها أى لا يسكرون أى لا ينزف عقولهم (وفاكهة مما يتخيرون) أى مما يختارونه ويأخذون أفضله (ولحم طير مما يشتهون) وقرئ ولحوم طير وعن أبى الدرداء ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة طيرا مثل أعناق البخت تصطف على يد ولى الله فيقول أحدها ياولى الله رعيت فى مروج تحت العرش وشربت من عيون التسنيم فكل منى فلا يزلن يفتخرن بين يديه حتى يخطر على قلبه أكل أحدها فيخر بين يديه على ألوان مختلفة فيأكل منها ما أراد فاذا شبع تجمع عظام الطير فطار يرعى فى الجنة حيث شاء فقال عمر يانبى الله انها الناعمة قال آكلها أنعم منها (وحور عين) أى نساء شديدات بياض أجسادهن وشديدات سواد العيون مع سعتها وقرأ حمزة

(خافضة رافعة) أى تخفض أقواما الى النار وترفع آخرين الى الجنة (اذا رجت الارض رجا) أى حركت حركة شديدة (و بست الجبال بسا) أى فتتت فتا (فكانت هباء منبثا) أى غبارا مفرقا (وكنتم) يعنى فى ذلك اليوم (أزواجا) أى أصنافا (ثلاثة) ثم بين الاصناف فقال (فأصحاب الميمنة) وهم الذين يؤتون كتبهم بايمانهم وقيل الذين كانوا على يمين آدم عند اخراج الذرية من ظهره (ما أصحاب الميمنة) أى أى شئ هم على التعظيم لشأنهم (وأصحاب المشأمة) أى الشمال (ما أصحاب المشأمة) تفسير هذه الآية على الضد من التى قبلها (والسابقون) الى طاعة الله من أجل الله (السابقون) الى رحمة الله وجنته (أولئك المقربون) أى الى كرامة الله تعالى (ثلة من الاولين) يريد جماعة من الامم السابقة (وقليل من الآخرين) أى من هذه الامة يعنى من سابقى الامم وسابقى هذه الامة (على سرر موصونة) أى منسوجة بقضبان الذهب والجواهر وقوله (ولدان مخلدون) أى غلمان لا يموتون ولا يهرمون (بأكواب) أى بأقداح لا عرى لها (وأباريق) وهى التى لها عرى وخراطيم (وكأس) أى اناء (من معين) أى خمر جارية (لا يصدعون عنها) أى لا ينالهم الصداع عن شربها (ولا ينزفون) أى لا يسكرون (وفاكهة مما يتخيرون) أى يختارون (وحور) أى وجوار وغلمان شديدان سواد العين وبياضها (عين)

والكسائي بالجر عطف على جنات النعيم كأنه قيل هم في جنات وفاكهة ولحم طير ومصاحبة حور والباقون بالرفع عطفا على ولدان فلاهل الجنة حور مقصورات في حظائر معظمات ولهن جوار وخوادم وحور تطوف مع الولدان السقاة وقرئ وحورا عينا بالنصب أي ويعطون حورا عينا (كأمثال اللؤلؤ المكنون) أي المصون الذي لم تقع عليه الشمس والهواء وهذا اشارة الى غاية صفائهن (جزاء بما كانوا يعملون) أي يفعل بهم ذلك كله جزاء بأعمالهم (لا يسمعون فيها) أي الجنة (لغوا) أي شيأ لا ينفع (ولا تأثيما) أي شيأ منسوبا الى الاثم كالشتم (الا قيلا سلاما سلاما) أي لكن يقولون ويسمعون قولا سلاما سلاما أي يسلم بعضهم على بعض وتسلم الملائكة عليهم ويرسل الرب السلام اليهم وقرئ سلام سلام على الحكاية (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر) أي يتنعمون في شجر نبق (مخضود) أي غير ذي شوك وموقر من الحمل حتى لا يبين ساقه والله تعالى جعل مكان كل شوكة ثمرة فانها تنبت ثمرا على اثنين وسبعين لونا من الطعام ما فيها لون يشبه الآخر كما في الحديث (وطلح منضود) أي وفي موز متراكب أوراقه وثمره لا يرى له ساق من كثرة ثمره الذي أحلى من العسل وليس ثمر الجنة في غلاف كثمر الدنيا مثل الباقلا والجوز ونحوهما بل كله مأكول ومشروب ومشموم منظور اليه واعلم ان الاشجار يجمعها نوعان أوراق صغار وأوراق كبار فالسدر في غاية الصغر وشجر الموز في غاية الكبر فوقعت الاشارة الى الطرفين جامعة لجميع الاشجار نظرا الى أوراقها كما ذكر الله النخل والرمان عند ذكر الثمار لان بينهما غاية الخلاف فوقعت الاشارة اليهما جامعة لجميع الاشجار نظرا الى ثمارها وكذلك النخيل والاعناب فان النخل من أعظم الاشجار المثمرة والكرم من أصغر الاشجار المثمرة وبينهما أشجار فوقعت الاشارة اليهما جامعة لسائر الاشجار فان البليغ يذكر طرفي أمرين يتضمن ذكرهما الاشارة الى جميع ما بينهما كما يقال فلان ملك الشرق والغرب ويفهم منه انه ملك ما بينهما وكما يقال فلان أرضى الصغير والكبير ويفهم منه انه أرضى كل أحد (وظل ممدود) أي منبسط لا تزيله الشمس أبدا كظل ما بين الفجر وطلوع الشمس (وماء مسكوب) أي مصبوب من ساق العرش سائل يجري على الارض في غير أخدود ومثل الله حال السابقين بأقصى ما يتصور لاهل المدن وحال أصحاب اليمين بأكمل ما يتصور لاهل البوادي اعلاما بالتفاوت بين الحالين (وفاكهة كثيرة) بحسب الانواع والاجناس (لا مقطوعة) في وقت من الاوقات (ولا ممنوعة) عن متناوليها بوجه من الوجوه وقرئ وفاكهة بالرفع أي وهناك فاكهة الى آخره (وفرش مرفوعة) على الاسرة كما قاله علي أو نساء مرفوعات على الارائك ومرفوعات بالفضل والجمال ويدل على هذا التأويل قوله تعالى (انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا) روى النحاس أن أم سلمة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء فقال هن اللواتي قبضن في الدنيا عجائز شمطا عمشا رمصا جعلهن الله تعالى بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد في الاستواء وعن المسيب بن شريك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء هن عجائز الدنيا أنشأهن الله تعالى خلقا جديدا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فلما سمعت عائشة رضي الله عنها ذلك قالت واوجعاه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع (عربا) أي حسناء محسنة لكلامها متحببات الى أزواجها (أترابا) أي مستويات في السن على مقدار ثلاثة وثلاثين سنة (لاصحاب اليمين) أي على سنهم وفي هذا الاشارة الى الاتفاق لان أحد الزوجين اذا كان أكبر من الآخر فالشباب يعيره والجار والمجرور متعلق بأترابا كقولك هذا ترب لهذا أي مساوله في السن (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) أي هم أي أصحاب اليمين كثيرون من أوائل الامم قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومن أواخر الامم وهي أمة محمد صلى الله عليه وسلم (وأصحاب الشمال ما

اصحاب

ضخام العيون (كأمثال) أي كأشباه (اللؤلؤ المكنون) في صفاء بياضه والمكنون المستور في كنه وهو الصدف (لا يسمعون فيها) أي في الجنان (لغوا) أي كلاما فاحشا (ولا تأثيما) أي ولا ما يوقع في الاثم (الا قيلا سلاما سلاما) يريد يسلمون فيها من اللغو والاثم ثم ذكر منازل أصحاب الميمنة فقال (في سدر) وهو نوع من الشجر (مخضود) يعني مقطوع الشوك لا كسدر الدنيا (وطلح) وهو شجر الموز (منضود) أي نضد بالحمل من أوله الى آخره فليست له سوق بارزة (وظل ممدود) ثابت (وماء مسكوب) أي جار غير منقطع (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة) بالازمان (ولا ممنوعة) بالأثمان (وفرش مرفوعة) أي على السرر (انا أنشأناهن) أي خلقناهن يعني الحور العين (انشاء) أي خلقا من غير ولادة (فجعلناهن أبكارا) أي عذارى (عربا) أي متحببات الى الازواج عواشق لهم (أترابا) أي مستويات في السن (لاصحاب اليمين ثلة من الاولين) أي من الامم الماضية (وثلة من الآخرين) أي من هذه الامة ثم ذكر أصحاب الشمال فقال

أصحاب الشمال في سموم) أي في ريح متعفن يتحرك من جانب الى جانب فاذا شم الانسان منه يفسد قلبه بسبب العفونة ويقتل الانسان (وحميم) أي ماء حار وهذا اشارة بالادنى الى الاعلى فالهواء والماء أنفع الاشياء في الدنيا فهواؤهم الذي يهب عليهم سموم وماؤهم الذي يستغيثون به حميم فما ظنك بنارهم التي هي عندنا أحر وكيف حالهم مع أحر الاشياء (وظل من يحموم) أي من دخان جهنم أسود (لا بارد ولا كريم) أي لا بارد يطلب الظل لبرده ولا ذي كرامة قد أعد للجلوس فيه وحفظ عن القاذورات (انهم كانوا قبل ذلك) أي قبل سوء العذاب في الدنيا (مترفين) أي منعمين بأنواع النعم ولم يشكروها (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) أي كانوا في الدنيا يديمون على الذنب العظيم الذي هو الشرك (وكانوا يقولون) اذا كانوا في الدنيا (أئذا متنا وكنا) أي صرنا (ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الاولون) وهذه الآيات الثلاثة اشارة الى الاصول الثلاثة فقوله تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين يدل على ذمهم بانكار الرسل وعلى تكبرهم بغناهم وهم كانوا يقولون أبشرا منا واحدا نتبعه وقوله تعالى يصرون على الحنث العظيم اشارة الى الشرك ومخالفة التوحيد وقوله تعالى وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا الخ اشارة الى انكار الحشر وقرأ قالون وابن عامر بسكون الواو والباقون بفتحها أي أئنا أوآباؤنا مبعوثون أي أتبعث آباؤنا الاولون الذين قد فنيت عظامهم (قل) يا أشرف الخلق لمنكري البعث (ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم) أي انهم يساقون بعد البعث الى عرصة الحساب ويجمعون في وقت يوم معين عند الله تعالى وهو يوم القيامة (ثم انكم أيها الضالون) عن سبيل الله وهو التوحيد (المكذبون) أي المنكرون الحشر (لآكلون من شجر من زقوم) أي لآكلون شجرا هو الزقوم (فمالئون منها البطون) أي كل واحد منكم يملأ بطنه من تلك الشجر (فشاربون عليه) أي عقب ذلك الاكل بلا ريث (من الحميم) أي الماء الحار (فشاربون شرب الهيم) أي لا يكون شربكم منه شربا معتادا بل يكون مثل شرب الابل العطاش (هذا نزلهم يوم الدين) أي ليس هذا المذكور كل العذاب بل هذا أول ما يلقونه من العذاب وهو جزء منه واذا كان هذا ما يعد لهم أول قدومهم فما ظنك بما لهم بعد استقرارهم في النار (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) بالبعث (أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) أي هل تشكون في أن الله خلقكم أولا أم لا فان لم تشكوا في ذلك فهلا تصدقون أيضا بخلقكم ثانيا فان من خلقكم أولا من لا شيء لا يعجز أن يخلقكم ثانيا من أجزاء معلومة عنده فاخبروني أي شيء هو تصبون في أرحام النساء من المني ان كنتم تشكون وتقولون الخالق لا يكون الا من شيء وبعد الموت لا مني أفهذا المني أأنتم تخلقونه أم الله فان كنتم تعترفون بقدرة الله وارادته وعلمه فذلك يلزمكم القول بجواز البعث وصحته (نحن قدرنا بينكم الموت) أي وقتنا موت كل أحد بوقت معين وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال أي سوينا بينكم بالموت فتموتون كلكم (وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم) أي لا يغلبنا أحد على أن نذهبكم ونأتي مكانكم أشباهكم من الخلق أي وما نحن عاجزون عن خلق أمثالكم واعادتكم بعد تفرق أوصالكم (وننشئكم فيما لا تعلمون) أي انا قادرون على أن نخلقكم في صور لا تعلمونها في جنسكم ويقال أن نجعل أرواحكم يوم القيامة فيما لا تصدقون وهي النار وقال بعضهم أنجعل أرواحكم في حواصل طير تكون ببرهوت كأنها الزرازير كما أخرجه ابن أبي حاتم (ولقد علمتم النشأة الاولى) أي الخلق الاول في بطون الامهات وهو من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة (فلولا تذكرون) أي فهلا تتعظون بان من قدر على النشأة الاولى قدر

(في سموم) أي ريح حارة (وحميم وظل من يحموم) أي دخان شديد السواد (لا بارد) يعني لا بارد المنزل (ولا كريم) أي ولا كريم المنظر (انهم كانوا قبل ذلك) أي في الدنيا (مترفين) أي منعمين لا يتعبون في طاعة الله (وكانوا يصرون) أي يقيمون (على الحنث) أي الذنب (العظيم) وهو الشرك (وكانوا) ينكرون البعث (يقولون أئذا متنا) الآية فقال الله تعالى (قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم) وهو يوم القيامة ومعنى الى ميقات لميقات وقوله (شرب الهيم) وهي الابل العطاش (هذا نزلهم) أي ما أعد لهم من الرزق (يوم الدين) أي المجازاة (نحن خلقناكم) يعني ابتداء (فلولا) فهلا (تصدقون) أي بالخلق الثاني وهو البعث (أفرأيتم ما تمنون) أي تصبون في الارحام من المني (أأنتم تخلقونه) بشرا (أم نحن الخالقون نحن قدرنا) أي قضينا (بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل امثالكم) أي ان أردنا أن نخلق خلقا غيركم لم نسبق ولا فاتنا ذلك (وننشئكم) أي نخلقكم (فيما لا تعلمون) من الصور يعني نجعلكم قردة وخنازير والمعنى لسنا عاجزين عن : خلق أمثالكم بدلا منكم ومسخنا اياكم من صوركم الى غيرها (ولقد علمتم النشأة) الخلقة (الاولى) أي أقررتم بأن الله خلقكم في بطون أمهاتكم (فلولا تذكرون) أي اني قادر على اعادتكم

على النشأة الاخرى حتما وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الشين في النشأة وبألف بعدها فهمزة وقرأ حمزة والكسائي وحفص بتخفيف الذال في تذكرون والباقون بالتشديد وقرئ تذكرون من الثلاثي وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور (أفرأيتم ماتحرثون) اي اخبروني يا أهل مكة ماتبذرون من الحبوب (أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) أي أأنتم تنبتونه بل نحن المنبتون لا أنتم (لو نشاء لجعلناه حطاما) أي لجعلنا الزرع متكسرا يابسا بعد خضرته وقبل ظهور الحب أي ان قلتم نحن نلقي البذر في الارض وهو بنفسه يصير زرعا الا بفعلنا ولا بفعل غيرنا قال تعالى ولو سلم لكم هذا الباطل فانتم تقولون في سلامة الزرع عن الآفات فيفسد قبل اشتداد الحب فهل تدفعون الآفات عنه أو هذا الزرع بنفسه يدفعها عن نفسه كما تقولون انه بنفسه ينبت (فظلتم تفكهون) أي فصرتم تعجبون من يبسه بعد خضرته وقرئ فظلتم بكسر الظاء وفظللتم على الاصل بكسر اللام وقرئ تفكنون أي تتندمون على ما أنفقتم عليه قائلين (انا لمغرمون) أي انا لمعذبون بالجوع بهلاك الزرع أو انا لمكرهون بالغرامة وقرأ شعبة أئنا على الاستفهام (بل نحن محرومون) أي ممنوعون منفعة زروعنا (أفرأيتم الماء الذي تشربون) عذبا فراتا (أأنتم) يا أهل مكة (أنزلتموه) عليكم (من المزن) أي السحاب الثقيل بالماء (أم نحن المنزلون) أي بل نحن المنزلون عليكم لا أنتم (لو نشاء جعلناه) أي ذلك الماء (أجاجا) أي حارا أو مرا من شدة الملوحة (فلولا تشكرون) أي فهلا تشكرون على هذه النعمة التامة فان النعمة لا تتم الا عند الاكل والشرب وذلك لان الانسان اذا كان في البراري التي لا يوجد فيها الماء لا يأكل شيأ مخافة العطش (أفرأيتم النار التي تورون) أي تقدحونها عن كل عود غير العناب وهو الشجر الاحمر (أأنتم أنشأتم شجرتها) أي الشجرة التي تصلح لايقاد النار (أم نحن المنشؤن) أي بل نحن المنشؤن لها بقدرتنا لا أنتم (نحن جعلناها تذكرة) لنار جهنم فيجب على العاقل اذا رأى النار الموقدة أن يخشى عذاب الله أو تذكرة لصحة البعث لان من قدر على ايداع النار في الشجر الاخضر لا يعجز عن ايداع الحرارة الغريزية في بدن الميت (ومتاعا للمقوين) أي منفعة للذين ينزلون القوى وهي القفر البعيدة من العمران وهم الذين أوقدوا النار لانهم أحوج الى النار في الليل لتهرب السباع ويهتدي الضال (فسبح باسم ربك العظيم) ولا تقل لغير الله تعالى انه اله فان الاسم يتبع المعنى والحقيقة أي ان الكفار اعترفوا بان الامور من الله واذا طولبوا بالوحدانية قالوا نحن لا نشرك في المعنى وانما نتخذ أصناما آلهة في الاسم ونسميها آلهة والله هو الذي خلقها فنحن ننزهه تعالى في الحقيقة فقال تعالى فسبح باسم ربك العظيم أي فكما أنت أيها العاقل اعترفت بعدم اشتراك الله مع غيره في الحقيقة اعترف بعدم اشتراكهما في الاسم (فلا أقسم) قيل لا مزيدة مؤكدة وقيل الاصل فلانا أقسم فحذف المبتدأ وأشبع فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة من قرأ فلاقسم بلام التأكيد وقيل ان لا نافية رد لكلام يخالف المقسم عليه والتقدير والله لا صحة لقول الكفار أقسم (بمواقع النجوم) أي بمواضعها في السماء في منازلها وقرأ حمزة والكسائي بموقع النجوم بسكون الواو أي بموضع سقوطها عند غروبها (وانه) أي ان القسم بها (لقسم لو تعلمون عظيم) أي لو تعلمون عظمة القسم لعظمتم هذا القسم لكنكم ما عظمتموه لانكم لا تعلمون ولا وقف هنا لان القسم وقع على ما بعده (انه) أي ان الكلام الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم (لقرآن كريم) أي كثير النفع لاشتماله على اصلاح المعاش والمعاد (في كتاب مكنون) أي في كتاب محفوظ عن الباطل وهو المصحف الذي في أيدينا (لا يمسه الا المطهرون) أي لا يمس ذلك الكتاب الا المطهرون من الاحداث أي يحرم عليهم مسه بدون الطهارة وهذه الجملة صفة ثانية لكتاب

(أفرأيتم ماتحرثون) أي تقلبون من الارض وتلقون فيها من البذر (أأنتم تزرعونه) أي تنبتونه (أم نحن الزارعون) المنبتون (لو نشاء لجعلناه حطاما) أي نبتا يابسا لا حب فيه (فظلتم تفكهون) أي تعجبون وتندمون مما نزل بكم وما عملتم من الحرث وتقولون (انا لمغرمون) أي صار ما أنفقنا على الحرث غرما علينا (بل نحن محرومون) أي ممنوعون يريد منعنا رزقنا وقوله (أجاجا) أي ملحا لا يمكن شربه (أفرأيتم النار التي تورون) أي تقدحون (أأنتم أنشأتم) أي خلقتم (شجرتها) التي تخرج منها (نحن جعلناها تذكرة) يتذكر بها نار جهنم (ومتاعا) يعني منفعة (للمقوين) أي المسافرين (فسبح باسم ربك العظيم) أي برئ الله مما يقول المشركون (فلا أقسم) لا زائدة (بمواقع النجوم) أي بمساقطها ومغاربها وقيل أراد نجوم القرآن (انه لقرآن كريم) أي حسن عزيز (في كتاب مكنون) أي مصون عند الله (لا يمسه) باليد يعني المصحف (الا المطهرون) من الجنابات والاحداث

(فلولا) أي فهلا (اذا بلغت) الروح (الحلقوم وأنتم) يا أصحاب الميت (حينئذ تنظرون) اليه وهو في النزع (ونحن أقرب اليه منكم) يعني بالعلم والقدرة (ولكن لا تبصرون) لا تعلمون ذلك (فلولا ان كنتم غير مدينين) أي مملوكين ومجزيين (ترجعونها) أي تردون الروح الى الميت (ان كنتم صادقين) انكم غير مملوكين مدبرين وقوله ترجعونها جواب واحد لشيئين قوله اذا بلغت الحلقوم وقوله فلولا ان كنتم ثم ذكر مآل الخلق بعد الموت فقال (وأما ان كان من المقربين فروح) أي استراحة وبرد (وريحان) أي رزق حسن (وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) أي انك ترى منهم ما تحب من السلامة وقد علمت ما أعد لهم من الجزاء لانه قد بين ذلك في قوله في سدر مخضود الآيات (وأما ان كان من المكذبين الضالين) وهم أصحاب المشأمة (فنزل من حميم) يريد فلهم نزل أعد لهم من شراب جهنم (وتصلية جحيم) أي ادخال في النار (ان هذا) الذكر الذي ذكرت (لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم) أي فنزه الله عن السوء

فالخبر بمعنى النهي ويؤيد هذا قراءة عبد الله بن مسعود ما يمسه بما النافية وروى مالك وغيره أن كتاب عمرو بن حزم وهو من أهل الظاهر لا يمس القرآن الا طاهر وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تمس القرآن الا وأنت طاهر (تنزيل من رب العالمين) صفة ثالثة لقرآن أي منزل من الله تعالى وفي ذلك رد على قول من قال ان القرآن شعر أو سحر أو كهانة وفي هذا رد على الذين يقولون ان القرآن في كتاب ولا يمسه الا المطهرون وهم الملائكة ورد على الروافض الذين يقولون ان جبريل أنزل على علي فنزل على محمد فقال تعالى هو من الله ليس باختيار الملك وقرئ تنزيلا بالنصب حال من قرآن (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون) أي أفبهذا القرآن أنتم يا أهل مكة متهاونون به ويقال أفبهذا الكلام الذي تتحدثون به أنتم تلينونه لاصحابكم من شأن محمد والبعث والحساب والجنة والنار تعلمونهم خلافه (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) أي تجعلون معاشكم تكذيب محمد لانكم تخافون ان صدقتموه ومنعتم ضعفاءكم عن الكفر أن يفوت عليكم من كسبكم ما تربحونه بسببهم فتجعلون رزقكم أنكم تكذبون الرسل وقرئ وتجعلون شكركم انكم تكذبون أي تجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به (فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون) أي فلم لا تكذبون الرسل اذا بلغت الروح الحلقوم والحال انكم وقت النزع تشاهدون الامور وتعلمونها وهذا اشارة الى أن كل أحد يؤمن عند الموت لكن لم يقبل ايمان من لم يؤمن قبله (ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون) أي ونحن أقرب الى الميت من أهله الحاضرين عنده بعلمنا وقدرتنا ولكن لا تدركون ذلك لجهلكم بشؤننا (فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين) أي فلم لا تردون الروح الى الجسد عند بلوغها الحلقوم ان كنتم غير مجزيين وغير محاسبين ان كنتم صادقين في اعتقادكم أي انكم اذا كنتم لستم تحت قدرة أحد فلم لا ترجعون أنفسكم الى الدنيا مع أن ذلك مشتهى أنفسكم ومنى قلوبكم كما كنتم في الدنيا التي ليست دار جزاء (فأما ان كان من المقربين فروح) أي فاما ان كان المجزى من المقربين السابقين فله راحة وقرأ بعضهم بضم الراء أي فله حياة دائمة أو رحمة لانها كالحياة للمرحوم (وريحان) أي رزق عظيم أو زهرة فقد قيل ان أرواح أهل الجنة لا تخرج من الدنيا الا ويؤتى اليهم بريحان من الجنة يشمونه (وجنة نعيم) أي بستان ذات تنعم ليس فيها غيره (وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) أي ان مكانة النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى المقربين الذين هم في عليين كأصحاب الجنة بالنسبة الى أهل عليين فكأن الله تعالى قال هؤلاء الذين هم أهل الجنة وان كانوا دون الاولين لكن لا تنقطع بينك يا أشرف الخلق وبينهم المكالمة والتسليم بل هم يرونك ويصلون اليك وصول جليس الملك الى الملك والغائب الى أهله وولده وأما المقربون فهم يلازمونك ولا يفارقونك وان كنت أعلى مرتبة منهم (وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم) أي وأما ان كان المجزى من المنكرين للبعث الضالين عن سبيل الله فله ضيافة من ماء حار يشرب به بعد أكل الزقوم (وتصلية جحيم) أي وادخال في النار واحتراق بها (ان هذا) أي ما ذكر في هذه السورة (لهو حق اليقين) أي نهاية اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) لما بين الله تعالى الحق وامتنع الكفار قال لنبيه صلى الله عليه وسلم هذا هو حق فان امتنعوا فسبح ربك في نفسك وما عليك من قومك سواء صدقوك أو كذبوك

﴿سورة الحديد مدنية أو مكية تسع وعشرون آية وخمسمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وأربعمائة وستة وسبعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبح لله ما في السموات والارض) أي أبعد الخلق ذات الله تعالى من أن يكون محلا للامكان وصفاته من أن تكون متغيرة وأفعاله من أن تكون موقوفة على مادة ومثال (وهو العزيز الحكيم) أي وهو القادر الغالب الذي يفعل أفعاله على وفق الحكمة والصواب (له ملك السموات والارض) أي له التصرف فيهما وفيما فيهما من الموجودات (يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير) أي هو قادر على خلق الحياة والموت ومنفرد بايجادهما لا يمنعه تعالى عنهما مانع ولا يرده عنهما راد (هو الاول) أي ليس قبله شئ (والآخر) أي ليس بعده شئ فهو الباقي بعد فناء سائر الموجودات (والظاهر) بحسب الدلائل (والباطن) أي المحتجب عن الابصار وعن الحواس وعن ادراك حقيقة ذاته في الدنيا والآخرة (وهو بكل شئ عليم) لا يعزب عن علمه شئ من الظاهر والخفي (هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام) من أيام الدنيا تعليما للعباد في التأني للامور (ثم استوى على العرش) أي تصرف في ملكه تصرفا تاما (يعلم ما يلج في الارض) من المياه والكنوز والاموات (وما يخرج منها) من النبات والمياه والمعادن والاموات (وما ينزل من السماء) من الامطار والملائكة والمصائب والحر والبرد (وما يعرج فيها) من الحفظة والاعمال (وهو معكم أينما كنتم) بسبب القدرة والايجاد والتكوين وبسبب العلم فهو كونه تعالى عالما بظواهرنا وبواطننا لا بالمكان والجهة قال المحققون ما رأيت شيأ الا ورأيت الله قبله وقال المتوسطون ما رأيت شيأ الا ورأيت الله معه وقال الظاهريون ما رأيت شيأ الا ورأيت الله بعده (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم به (له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور) أي جميع الامور في الآخرة حيث لا مالك سواه وقرأ الاخوان وابن عامر بفتح التاء وكسر الجيم (يولج الليل في النهار) فيزيد النهار (ويولج النهار في الليل) فيزيد الليل (وهو عليم بذات الصدور) أي بمكنونات القلوب من نياتهم (آمنوا بالله ورسوله) وهذا خطاب مع من عرف الله فالمقصود من هذا الامر معرفة صفات الله أما معرفة وجود الصانع فحاصلة للكل (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) أي من الاموال التي في أيديكم التي جعلكم الله بمنزلة الوكلاء فيها تحفظونها لمن يأتون بعدكم فلا ينبغي لكم البخل بها فالصواب ان تصرفوها في الوجوه التي تنفعكم في المعاد (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا) أموالهم في طاعة الله (لهم) بسبب ذلك (أجر كبير) لا تبلغ عقولكم حقيقة كبره (ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم) أي أي شئ حصل لكم غير مؤمنين بالله والحال أن الرسول يدعوكم للايمان به والحال أن الله قد نصب الدلائل الموجبة لقبول دعوة الرسول في العقول فقد تطابقت دلائل النقل والعقل وسميت الدلائل المستلزمة وجوب القبول ميثاقا لانها أوكد من الحلف (ان كنتم مؤمنين) أي ان كنتم تؤمنون بشئ لاجل دليل فمالكم لا تؤمنون الآن فانه قد تطابقت الدلائل النقلية والعقلية وبلغت مبلغا لا يمكن الزيادة عليها وقرأ أبو عمرو وأخذ ميثاقكم بالبناء للمفعول وبرفع ميثاقكم أي مكن عقولكم من النظر في الادلة (هو الذي ينزل على عبده) محمد عليه الصلاة والسلام (آيات بينات) وهي القرآن (ليخرجكم) أي الله أو العبد بتلك الآيات (من الظلمات الى النور) أي من الكفر الى الايمان (وان الله بكم لرؤف رحيم) حيث يهديكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الادلة العقلية (ومالكم ألا تنفقوا

﴿تفسير سورة الحديد﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبح لله) الآية ذكر تفسيرها في قوله وان من شئ الا يسبح بحمده (هو الاول) قبل كل شئ بلا ابتداء (والآخر) بعد كل شئ بلا انتهاء (والظاهر) أي الغالب على كل شئ فكل شئ دونه (والباطن) العالم بكل شئ (يعلم ما يلج في الارض) أي يدخل فيها من مطر وغيره (وما يخرج منها) من نبات وشجر (وما ينزل من السماء) أي من رزق ومطر وملك وأمر (وما يعرج فيها) أي يصعد اليها من عمل (وهو معكم) بالعلم والقدرة (أينما كنتم آمنوا بالله ورسوله) أي صدقوا بأن الله واحد وأن محمدا عبده ورسوله (وأنفقوا مما) أي من المال الذي (جعلكم مستخلفين فيه) أي كان لغيركم فملككموه وقوله (وقد أخذ ميثاقكم) يعني حين أخرجكم من ظهر آدم بأن الله ربكم لا اله لكم سواه (ان كنتم مؤمنين) أي ان كنتم على أن تؤمنوا يوما من الايام (ومالكم ألا تنفقوا

فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) أى وأى شئ يحصل لكم يامعشر المؤمنين فى أن لاتنفقوا فيماهو قربة الى الله تعالى ماهوله فى الحقيقة والحال أنه لايبقى لكم شئ منها بل يبقى كله لله تعالى فانكم ستموتون فتورثون أى وذلك لان المال لابدمن خروجه عن اليد امابالموت واما بالانفاق فى طاعة الله فان خرج عن اليد بغير الانفاق فى طاعة الله استعقبه اللعن والعقاب وان خرج عنها بالانفاق فى مرضاة الله استعقبه المدح والثواب (لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) أى لايستوى منكم يامعشر المؤمنين عند الله فى الفضل من أنفق من قبل فتح مكة وقاتل أعداء الله ومن أنفق وقاتل من بعد فتح مكة وقوة الاسلام وقرئ قبل الفتح بغير من (أولئك) أى المنعوتون بذينك النعتين الجليلين (أعظم درجة) وأرفع منزلة عند الله (من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) وهذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فانه أول من آمن وأنفق فى سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا شديدا أشرف به على الهلاك قال عمر كنت قاعدا عند النبى صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر عليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال فنزل عليه صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام فقال مالى أرى أبا بكر عليه عباءة خللها فى صدره بخلال فقال أنفق ماله على قبل الفتح قال فان الله عزوجل يقول اقرئ عليه السلام وقل له أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر أأسخط على ربى انى عن ربى راض (وكلا وعد الله الحسنى) أى وكل واحد من الفريقين وعد الله المثوبة الحسنى وهى الجنة مع تفاوت الدرجات وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء أى وكل وعده الله الحسنى (والله بما تعملون خبير) فيوصل الثواب اليكم بحسب استحقاقكم له (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) أى من ذا الذى ينفق ماله فى طاعته تعالى بالصدق من قلبه رجاء أن يعوضه وقال بعض العلماء لا يكون القرض حسنا حتى يجمع أوصافا عشرة الاول أن يكون القرض من الحلال والثانى أن يكون من أكرم ماتملكه دون أن تنفق الردىء والثالث أن تتصدق بماتملكه وأنت تحتاج اليه بأن ترجو الحياة والرابع أن تصرف صدقتك الى الاحوج والخامس أن تكتم الصدقة ماأمكنك والسادس أن لاتتبعها منا ولا أذى والسابع أن تقصد بها وجه الله ولاترائى والثامن أن تستحقر ماتعطى وان كثر والتاسع أن يكون المعطى من أحب أموالك اليك والعاشر أن لاترى عز نفسك وذل الفقير بل ترى نفسك تحت دين الفقير وترى الفقير كأن الله تعالى أحال عليك رزقه الذى قبله منك (فيضاعفه له) أى فيعطيه الله أجره أضعافا وقرأ عاصم بالالف والنصب ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائى بالالف والرفع وابن كثير بالتشديد فى العين والرفع وابن عامر بالنصب فالرفع على العطف على يقرض أو على الاستئناف على تقدير مبتدا أى فهو يضاعفه والنصب على جواب الاستفهام بالفاء (وله أجر كريم) أى وللقرض ثواب حسن فى نفسه حقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون وان لم يضعف فكيف وقد ضعف اضعافا كثيرة الى أكثر من سبعمائة نزلت هذه الآية فى أبى دحداح (يوم) ظرف لقوله تعالى فيضاعفه أو للاستقرار العامل فى وله أجر أى استقر له أجر يوم (ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) وهذا النور هو ما يكون سببا للنجاة وانما قال تعالى بين أيديهم وبأيمانهم لان السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم فاذا مروا على الصراط يسعى معهم نور الايمان والاعمال المقبولة أمامهم ونور الانفاق فى جهة أيمانهم لان الانفاق يكون بالايمان ومراتب الانوار مختلفة على قدر الاعمال فمنهم من يضىء له نور كما بين عدن وصنعاء ومنهم من نوره مثل الجبل ومنهم من لايضىء له نوره الا موضع قدميه وأدناهم نورا من يكون نوره على ابهاميه ينطفئ مرة و يتقد أخرى وهذا القول منقول عن ابن مسعود وقتادة وغيرهما وقرأ سهل بن

فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) معناه أى شئ لكم فى ترك الانفاق فى طاعة الله وأنتم ميتون تاركون أموالكم ثم بين فضل السابقين فى الانفاق والجهاد فقال (لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح) يعنى فتح مكة (وقاتل) أى وجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أعداء الله (أولئك أعظم درجة) يعنى عند الله (من الذين أنفقوا من بعد) أى من بعد الفتح (وقاتلوا وكلا) يريد من الفريقين (وعد الله الحسنى) أى الجنة وقوله (من ذا الذى يقرض الله) سبق تفسيره فى سورة لبقرة (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) وهو يوم القيامة (يسعى نورهم) على الصراط (بين أيديهم وبأيمانهم) وتقول لهم الملائكة

شعيب وأبو حيوة وبإيمانهم بكسر الهمزة أي وبسبب إيمانهم حصل سعي ذلك النور (بشراكم اليوم جنات) أي تقول لهم الملائكة على الصراط بشارتكم العظيمة في هذا الوقت دخولكم جنات (تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) وهو حال من ضمير المخاطب المقدر (ذلك) أي ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة (هو الفوز العظيم) الذي لا غاية وراءه وقرئ ذلك الفوز العظيم بإسقاط كلمة هو (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا) لما رأوهم يسرع بهم الى الجنة ويوم بدل من يوم ترى أو كأن العامل فيه ذلك هو الفوز العظيم (انظرونا) أي انظروا الينا أي لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور أمامهم فيستضيئون به وقرأ حمزة أنظرونا بقطع الهمزة وكسر الظاء أي انتظرونا لنلحق بكم (نقتبس من نوركم) أي نستضئ بنوركم (قيل) أي قال لهم المؤمنون قول تنديم وتوبيخ (ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) أي ارجعوا الى الموقف حيث أعطينا النور فاطلبوا نورا هنالك وقيل ارجعوا الى دار الدنيا فالتمسوا هذه الانوار هنالك وقال أبو مسلم المراد من قول المؤمنين ارجعوا الخ منع المنافقين عن الاستضاءة لا أمر لهم بالرجوع أي تنحوا عنا فلا سبيل لكم الى وجدان هذا المطلوب البتة فيرجعون في طلب النور (فضرب بينهم) أي بني بين الفريقين (بسور) الباء زائدة أي حائط بين الجنة والنار كما قاله قتادة أو حجاب كما في سورة الاعراف كما قاله مجاهد وقال من قال ارجعوا الى دار الدنيا والمراد من ضرب السور هو امتناع العود الى الدنيا (له باب باطنه فيه الرحمة) أي لذلك السور باب في باطن ذلك السور الجنة التي فيها المؤمنون (وظاهره من قبله العذاب) أي وخارج السور من جهته النار فالمؤمنون يدخلون الجنة من باب ذلك السور والكافرون يبقون في العذاب (ينادونهم) أي ينادي المنافقون المؤمنين من وراء السور (ألم نكن معكم) في الدنيا على الغزوات والعبادات (قالوا بلى) أي يقول المؤمنون بلى قد كنتم معنا في الظاهر (ولكنكم فتنتم أنفسكم) أي أهلكتموها بكفر السر واستعملتموها في المعاصي والشهوات (وتربصتم) أي احتكرتم أنفسكم عن التوبة من النفاق وانتظرتم موت رسول الله وحوادث السوء على المؤمنين (وارتبتم) أي شككتم في نبوة محمد وفي البعث وفي وعيد الله (وغرتكم الاماني) أي الاباطيل وهي ما كانوا يتمنون من نزول الحوادث بالمؤمنين ومن انتكاس أمر الاسلام (حتى جاء أمر الله) أي حتى جاءكم وعد الله بالموت على غير التوبة من النفاق أي حتى أماتكم الله والقاكم في النار (وغركم بالله الغرور) بفتح الغين أي الشيطان لا لقائه اليكم ان لا خوف عليكم من محاسبة ومجازاة وقرأ سماك ابن حرب بضم الغين والمعنى وغركم عن طاعة الله سلامتكم من أباطيل الدنيا مع الاغترار بأمتعة الدنيا (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا) أي فاليوم لا يقبل منكم يا معشر المنافقين فداء ولا من الذين أظهروا الكفر وقرأ ابن عامر تؤخذ بالتأنيث (مأواكم النار) أي منزلكم النار (هي مولاكم) أي هي موضعكم الذي تصلون اليه (وبئس المصير) أي بئس المرجع هذه النار (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) قرأ نافع وحفص والمفضل عن عاصم بتخفيف الزاي والمعنى ألم يجئ وقت أن تخشع قلوب المؤمنين لذكرهم الله ولما نزل من القرآن وينقادوا لأوامره ونواهيه انقيادا تاما وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم بتشديد الزاي أي ولما نزله الله من القرآن وعن أبي عمرو ونزل مبنيا للمفعول وقرأ الحسن البصري ألم يئن بكسر الهمزة وسكون النون وقرأ

(فضرب بينهم) أي بين المؤمنين والمنافقين (بسور) وهو حاجز بين الجنة والنار وقيل هو سور الاعراف (له باب) أي في ذلك السور باب (باطنه فيه الرحمة) لان ذلك الباب يفضي الى الجنة (وظاهره من قبله العذاب) أي من قبل ذلك الظاهر العذاب وهو النار (ينادونهم) أي ينادي المنافقون المؤمنين (ألم نكن معكم) يعني في الدنيا نتاكحكم ونوازركم (قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم) يريد آثمتموها بالنفاق (وتربصتم) بمحمد الموت (وارتبتم) أي شككتم في الايمان (وغرتكم الاماني) أي ما كنتم تمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين (حتى جاء أمر الله) الموت (وغركم بالله) أي بحلمه عنكم وامهاله لكم (الغرور) يعني الشيطان (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) بدل (ولا من الذين كفروا) وهم المشركون (مأواكم) أي منزلكم (النار هي مولاكم) أي أولى بكم (وبئس المصير) هي (ألم يأن) أي ألم يحن (للذين آمنوا أن تخشع) أي ترق وتلين (قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) أي وهو القرآن وهذا حث من الله تعالى لقوم من الموحدين على الرقة والخشوع

الحسن

للمؤمنين ألم يأن وعن الاعمش قال ان الصحابة لما قدموا المدينة أصابوا لينا في العيش ورفاهية ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا بهذه الآية (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) أي هذا اما معطوف على تخشع فلا نافية أي ألم يأن وقت ان لا يكونوا كاليهود والنصارى من قبل ما نزل اليكم والمراد نهي المؤمنين عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب بعد أن وبخوا وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم واما مجزوم بلا الناهية ويدل على هذا الوجه قراءة من قرأ بالتاء على سبيل الالتفات (فطال عليهم الامد) أي طالت المدة بينهم وبين أنبيائهم وقيل أي طالت أعمارهم في الغفلة وقيل طال عليهم الزمان بطول الامل وقال ابن عباس أي مالوا الى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ الله وروي عن ابن كثير الامد بتشديد الدال أي الوقت الاطول فزالت عنهم الروعة التي كانت تأتيهم من الكتابين (فقست قلوبهم) للمواعظ بسبب الطول (وكثير منهم فاسقون) أي خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين من أجل فرط قسوتهم وهذا اشارة الى أن عدم الخشوع في أول الامر يفضي الى الفسق في آخر الامر (اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها) أي ان الله يلين القلوب بالخشوع الناشئ عن الذكر وتلاوة القرآن بعد قساوتها كما يحيي الله الارض بالغيث بعد يبوستها كذلك يحيي الله الموتى من القبور بالمطر (قد بينا لكم الآيات) الدالة على قدرتنا على احياء الموتى (لعلكم تعقلون) أي لكي تكمل عقولكم فتصدقوا بالبعث بعد الموت (ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم) وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر بتخفيف الصاد من التصديق أي ان الذين آمنوا من الرجال والنساء وتصدقوا صدقة واجبة أو تطوعا عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة يضاعف لهم الى ألف ألف الى ما شاء الله من الاضعاف وقرأ الباقون وحفص عن عاصم بتشديد الصاد من التصدق وقرأ أبي ان المتصدقين والمتصدقات والمعنى ان الذين أعطوا الصدقة من الرجال والنساء وعملوا الصالحات الخ لان اقراض الله من الاعمال الصالحة وهو تقديم الحسنات وقرأ ابن كثير وابن عامر يضعف لهم بتشديد العين والجار والمجرور نائب الفاعل (ولهم أجر كريم) أي ثواب حسن في الجنة (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) وهم الذين آمنوا بالرسل حين أتوهم ولم يكذبوهم ساعة قط مثل آل ياسين ومؤمن آل فرعون وأما في أمة محمد فهم ثمانية سبقوا اهل الارض في زمانهم الى الاسلام أبو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب ألحقه الله تعالى بهم لما عرف من صدق نيته كما قاله الضحاك ومقاتل ويقال الصديق هو الذي يحمل الامر على الاشق ولا ينزل الى الرخص ولا يميل الى التأويلات (والشهداء) وهذا اما معطوف على ما قبله ويجوز الوقف هنا وهم عدول الآخرة الذين تقبل شهادتهم وقال الضحاك هم التسعة الذين سميناهم رضي الله عنهم وقال مقاتل ومحمد بن جرير هم الذين استشهدوا في سبيل الله وقال الفراء والزجاج هم الانبياء فأولئك مبتدأ أول وهم مبتدأ ثان والصديقون خبرهم وهو مع خبره خبر الثاني وهو مع خبره خبر للاول أي أولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء بعلو الرتبة ورفعة المحل واما مبتدأ وخبره اما (عند ربهم) واما (لهم أجرهم ونورهم) وعلى هذا فالوقف على الصديقون تام والاظهر أن جملة لهم أجرهم من مبتدأ وخبر محلها رفع على أنه خبر ثان للموصول والضمير الاول للموصول والاخيران للصديقين والشهداء وهذه الجملة بيان لثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال أي للذين آمنوا مثل أجر الصديقين والشهداء ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال فالمماثلة بين تمام ما للاول من الاصل والاضعاف وبين ما للآخرين من الاصل بدون الاضعاف وقد حذف

(ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) يعني اليهود والنصارى (فطال عليهم الأمد) أي الزمان بينهم وبين أنبيائهم (فقست قلوبهم) أي لم تلن لذكر الله فنسوا ما عهد الله اليهم في كتابهم (وكثير منهم فاسقون) وهم الذين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (اعلموا أن الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات) معناه ان احياء الارض بعد موتها دليل على توحيد الله عز وجل وقدرته (ان المصدقين والمصدقات) يعني الذين يتصدقون و ينفقون أموالهم في سبيل الله تعالى (وأقرضوا الله قرضا حسنا) أي بالنفقة في سبيله (يضاعف لهم) يعني ما عملوا (ولهم أجر كريم) وهو الجنة (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) أي المبالغون في الصدق (والشهداء عند ربهم) يعني الأنبياء (لهم أجرهم ونورهم) يريد في ظلمة القبر وقيل هم جميع المؤمنين

اداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة و بلوغها حد الاتحاد ولما ذكر الله تعالى حال المؤمنين اتبعه بذكر حال الكافرين فقال (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا (أولئك) الموصوفون بتلك الصفة القبيحة (أصحاب الجحيم) بحيث لا يفارقونها أبدا ولما ذكر الله تعالى أحوال المؤمنين والكافرين ذكر ما يدل على حقارة الدنيا وكمال حال الآخرة (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب) وهو فعل الصبيان الذين يتعبون أنفسهم جدا ثم ان تلك المتاعب تنقضي من غير فائدة (ولهو) وهو فعل الشبان فبعد انقضائه لا يبقى الا التحزن لان العاقل يرى المال ذاهبا والعمر ذاهبا (وزينة) وهو دأب النسوان لان المطلوب من الزينة تحسين القبيح وتكميل الناقص (وتفاخر بينكم) كتفاخر الاقران يفتخر بعضهم على بعض بالنسب أو بالقوة أو بالقدرة أو بالعساكر وكلها ذاهبة (وتكاثر) أي مغالبة في الكثرة (في الاموال والاولاد) فالحياة الدنيا غير مذمومة وانما المذموم من صرف هذه الحياة الى طاعة الشيطان ومتابعة الهوى لا الى طاعة الله تعالى والمعنى اعلموا أن شغل البال بالحياة الدنيا دائر بين هذه الامور الخسة (كمثل غيث) أي صفة الدنيا في اعجابها كصفة مطر (أعجب الكفار نباته) أي أعجب الزراع النبات الحاصل بالمطر وسمي الزارع كافرا لانه يغطي البذر بتراب الارض (ثم يهيج) أي يجف النبات (فتراه مصفرا) بعد ما رأيته ناضرا وقرئ مصفارا (ثم يكون حطاما) أي ثم يصير النبات متكسرا (وفي الآخرة عذاب شديد) لمن كانت حياته بهذه الصفة (ومغفرة من الله ورضوان) لاوليائه وأهل طاعته والرضوان أعظم درجات الثواب (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) لمن أقبل عليها وأعرض بها عن طلب الآخرة قال سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور ان ألهتك عن طلب الآخرة فأما اذا دعتك الى طلب رضوان الله وطلب الآخرة فنعم المتاع ونعم الوسيلة (سابقوا الى مغفرة من ربكم) أي سارعوا الى سائر ما كلفتم به فان المسارعة الى ذلك تؤدي الى مغفرة (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) أي لو جعلت السموات السبع والارضون السبع وألزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة في عرض جميعها (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) أي هيئت الجنة للمؤمنين من جميع الأمم (ذلك) الموعود به من المغفرة والجنة (فضل الله) أي عطاؤه (يؤتيه من يشاء) ايتاءه اياه (والله ذو الفضل العظيم) وهذا تنبيه على عظم حال الجنة (ما أصاب من مصيبة في الارض) هي قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار وغلاء الاسعار وتتابع الجوع (ولا في أنفسكم) وهي الامراض والفقر وذهاب الاولاد واقامة الحدود على الانفس (الا في كتاب) أي مكتوب في اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) أي ان نخلق هذه المصائب والانفس والارض (ان ذلك) أي ان اثبات كل ذلك مع كثرته في الكتاب (على الله يسير) وان كان عسيرا على العباد (لكيلا تأسوا على ما فاتكم) أي أخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا حزنا زائدا على ما في أصل الجبلة على ما فاتكم من نعم الدنيا (ولا تفرحوا بما آتاكم) أي بما أعطاكم الله تعالى منها فان من علم ان الكل مقدر لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت وقرأ أبو عمرو أتاكم بقصر الهمزة أي بما جاءكم من الله وقرئ بما أوتيتم والمراد نفي الحزن المانع عن التسليم لامر الله تعالى ونفي الفرح الموجب للبطر والاختيال (والله لا يحب كل مختال فخور) أي كل متكبر بما أوتي فخور به عند الناس بطرا الى ما في يده من الدنيا (الذين يبخلون) باداء حق الله تعالى (ويأمرون الناس بالبخل) وذلك نتيجة فرحهم عند اصابة النعم والموصول صفة لكل مختال فخور وقيل هو مستأنف لا تعلق له بما قبله وهو مبتدأ خبره محذوف وهو بيان اصـ

[illegible] بعض (وتكاثر في الأموال والاولاد) مباهاة بكثرتهما ثم ضرب لها مثلا فقال (كمثل غيث أعجب الكفار) يعني الزراع (نباته) أي ما أنبته ذلك الغيث (ثم يهيج) أي ييبس (فتراه مصفرا) يعني بعد يبسه (ثم يكون حطاما) أي هشيما متفتتا كذلك الانسان يهرم ثم يموت و يبلى (وفي الآخرة عذاب شديد) يريد للكفار (ومغفرة من الله ورضوان) أي لأوليائه (سابقوا الى مغفرة) من ربكم تفسيرها في سورة آل عمران عند قوله وسارعوا الى مغفرة من ربكم الآية (ما أصاب من مصيبة في الارض) بالجدب (ولا في أنفسكم) أي بالمرض والموت والخسران (الا في كتاب) يعني اللوح المحفوظ (من قبل ان نبرأها) من القحط أي نخلق تلك المصيبة (ان ذلك على الله يسير) أي يعني خلقها في وقتها بعد أن كتبها في اللوح المحفوظ (لكيلا تأسوا على ما فاتكم) من الدنيا (ولا تفرحوا بما آتاكم) أي اعطاكم منها يعني

لكيلا تحزنوا حزنا يطغيكم ولا تبطروا بالفرح بعد ان علمتم ان ما يصيبكم من خير وشر فمكتوب لا يخطئكم اليهود
(والله لا يحب كل مختال) أي متكبر بما أوتي من الدنيا (فخور) أي فخور به على الناس (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) سبق

اليهود والنصارى الذين يبخلون ببيان صفة النبي التي في كتبهم لئلا يؤمن به الناس فتذهب مآكلهم
في يأمرون الناس بالبخل به فلهم تهديد شديد (ومن يتول فان الله هو الغني الحميد) أي ومن يعرض عن
الانفاق فان الله غني عنه فلا يعود عليه ضرر ببخل البخيل حميد في ذلك الاعطاء مستحق للحمد حيث
فتح أبواب نعمته وقرأ نافع وابن عامر فان الله الغني بحذف لفظ هو (لقد أرسلنا رسلنا) أي الانبياء
الى الأمم (بالبينات) أي الدلائل القاهرة والمعجزات الظاهرة (وأنزلنا معهم الكتاب) أي أنزلنا اليهم
الكتاب وهو الذي يتوسل به الى فعل ماينبغي من الافعال النفسانية لان به يتميز الحق من الباطل
والحجة من الشبهة (والميزان) هو الذي يتوسل به الى فعل ماينبغي من الافعال البدنية وهو الذي يتميز به
العدل عن الظلم والزائد عن الناقص (ليقوم الناس بالقسط) أي ليتعاملوا فيما بينهم بالعدل (وأنزلنا الحديد
فيه بأس شديد) أي قوة شديدة وهو زاجر للخلق عما لا ينبغي والحاصل أن الكتاب اشارة الى
القوة النظرية والميزان اشارة الى القوة العملية والحديد اشارة الى دفع مالا ينبغي (ومنافع للناس)
أي لامتعتهم مثل السكاكين والفاس والمبرد وغير ذلك ومامن صنعة الا والحديد آلتها (وليعلم الله من
ينصره ورسله بالغيب) أي وليعلم الله من ينصر دينه ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح
في مجاهدة أعداء الدين حال كونه تعالى غائبا عنهم أي ينصرونه تعالى ولا يبصرونه (ان الله قوي) على
الامور قادر على اهلاك جميع أعدائه (عزيز) أي لا يمانع ولا يفتقر الى نصرة أحد بل وانما ليصلوا
بامتثال الامر في الجهاد الى الثواب (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب)
فما جاء بعدهما أحد بالنبوة الا وكان من أولادهما وكانت الكتب الاربعة في ذرية ابراهيم وهو من
ذرية نوح فانه الاب الثاني لجميع البشر (فمنهم) أي الذرية (مهتد) الى الحق (وكثير منهم فاسقون)
أي خارجون عن الطريق المستقيم (ثم قفينا على آثارهم) أي نوح وابراهيم ومن أرسلا اليهم
(برسلنا) أي أرسلنا بعضهم بعد بعض الى أن انتهى الى أيام عيسى عليه السلام (وقفينا بعيسى بن
مريم) أي جعلناه متأخرا عنهم في الزمان (وآتيناه الانجيل) أي أعطيناه الانجيل وقرأ الحسن بفتح
همزة انجيل تنبيها على كونه أعجميا وانه لا يلزم فيه مراعاة أبنية العرب (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه
على دينه (رأفة) أي لينا (ورحمة) أي شفقة أي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم وقرئ رآفة على وزن
فعالة (ورهبانية) وقرئ بضم الراء (ابتدعوها) أي أحدثوها من عند أنفسهم ونذروها أي وفقناهم
لاستحداث الرهبانية لينجوا من فتنة بولس اليهود وروى ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال
يا ابن مسعود أما علمت أن بني اسرائيل تفرقوا سبعين فرقة كلها في النار الا ثلاث فرق فرقة آمنت
بعيسى عليه السلام وقاتلوا أعداء الله في نصرته حتى قتلوا وفرقة لم يكن لها طاقة بالقتال فأمروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر وفرقة لم يكن لها طاقة بالامرين فلبسوا العباء وخرجوا الى القفار والفيافي
(ما كتبناها عليهم) أي لم نفرض الرهبانية عليهم وهذه الجملة صفة ثانية لرهبانية (الا ابتغاء رضوان
الله) أي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) أي فما حفظوا الرهبانية
حق حفظها لانهم أتوها لطلب الدنيا والرياء والسمعة (فآتينا الذين آمنوا) بمحمد (منهم) أي
الرهبان (أجرهم) وهم الذين لم يخالفوا دين عيسى بن مريم وهم أربعة وعشرون رجلا في أهل اليمن
جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ودخلوا في دينه أي لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق
من الرهبان الا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره فآمنوا

(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) أي بالدلالات الواضحة (وأنزلنا معهم الكتاب والميزان) أي بالعدل (ليقوم الناس بالقسط) أي ليتعامل الناس بينهم بالعدل (وأنزلنا الحديد) وذلك أن آدم نزل الى الارض بالعلاة يعني السندان والمطرقة وآلة الحدادين (فيه بأس شديد) أي قوة وشدة يمتنع بها ويحارب (ومنافع للناس) يعني يستعملونه في أدواتهم أي أرسلنا الرسل ومعهم هذه الاشياء ليتعامل الناس بالحق وقوله (وليعلم الله من ينصره) أي وليرى الله من ينصر دينه (ورسله بالغيب) أي في الدنيا وقوله (ورهبانية ابتدعوها) أي ابتدعوا من قبل أنفسهم رهبانية يعني الترهب في الصوامع (ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله) أي ما امرناهم بها لكنهم ابتغوا بتلك الرهبانية رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) أي قصروا في تلك الرهبانية حتى لم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم (فآتينا الذين آمنوا منهم) بالنبي صلى الله عليه وسلم (أجرهم

به صلى الله عليه وسلم وصدقوه (وكثير منهم) أى من الرهبان (فاسقون) أى تاركو تلك الطريقة ظاهرا و باطنا وهم الذين خالفوا دين عيسى فقال الله تعالى فى حق قوم عيسى (يا أيها الذين آمنوا) بعيسى و بالرسل المتقدمة (اتقوا الله) فيما نهاكم عنه (وآمنوا برسله) محمد عليه الصلاة والسلام (يؤتكم كفلين) أى نصيبين (من رحمته) لايمانكم أولا بعيسى عليه السلام وثانيا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام (ويجعل لكم) يوم القيامة (نورا تمشون به) على الصراط و بين الناس (ويغفر لكم) ما أسلفتم من الكفر والمعاصى (والله غفور رحيم) أى مبالغ المغفرة والرحمة (لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شئ من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) لانه قادر مختار يفعل بحسب الاختيار ولا زائدة كما يدل عليه قراءة ليعلم ولكى يعلم ولان يعلم وقوله تعالى وان الفضل عطف على أن لا يقدرون والمعنى انما بالغنا فى هذا البيان وأطنبنا فى الوعد والوعيد ليعلم أهل الكتاب انهم لا يقدرون على تخصيص فضل الله بقوم معينين ولا يمكنهم حصر الرسالة والنبوة فى قوم مخصوصين وان الفضل فى تصرف الله تعالى يعطيه من يشاء ولا اعتراض عليه فى ذلك أصلا والمقصود من هذه الآية أن يزيل الله عن قلوب بنى اسرائيل اعتقادهم بان النبوة مختصة بهم وغير حاصلة الا فى قومهم وقيل ان لفظة لا غير زائدة والضمير فى قوله تعالى أن لا يقدرون عائد الى الرسول وأصحابه وقوله تعالى وان الفضل الخ عطف على أن لا يعلم والمعنى انا فعلنا ذلك لئلا يعتقد أهل الكتاب وهم بنو اسرائيل أنه لا يقدر النبى والمؤمنون به على شئ من فضل الله الذى هو سعادة الدارين وليعتقدوا أن الفضل فى ملكه تعالى على ان عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فانهم اذا لم يعلموا انهم لا يقدرون عليه فقد علموا انهم يقدرون عليه (والله ذو الفضل العظيم) فان العظيم لا بد وأن يكون احسانه عظيما

﴿سورة المجادلة مدنية ثنتان وعشرون آية وأربعمائة وثلاث وسبعون كلمة وألف وسبعمائة﴾
﴿واثنان وسبعون حرفا وهذه السورة أول النصف الثانى من القرآن باعتبار عدد السور فهى﴾
﴿الثامنة والخمسون منها وأول العشر الاخير من القرآن باعتبار عدد أجزائه﴾
﴿وليس فيها آية الا وفيها ذكر الجلالة مرة أو مرتين أو ثلاثا﴾
﴿وجملة ما فيها من الجلالات خمس وثلاثون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها) أى قد أجاب الله دعاء المرأة التى تخاصمك أيها النبى فى شأن زوجها وتلك المجادلة انه صلى الله عليه وسلم كلما قال لها حرمت عليه قالت والله ما ذكر طلاقا بان أنزل الله حكم الظهار على ما يوافق مطلوبها (وتشتكى الى الله) بان قالت رافعة رأسها الى السماء أشكو الى الله فاقتى ووجدى وقالت ان لى صبية صغارا (والله يسمع تحاوركما) أى مراجعتكما فى الكلام (ان الله سميع بصير) أى يسمع كلام من يناديه و يبصر من يتضرع اليه روى أن خولة بنت ثعلبة بن مالك ابن الدخشم الانصارية كانت تحت أوس بن الصامت الانصارى رآها زوجها وهى ساجدة فى الصلاة وكانت حسنة الجسم فنظر الى عجيزتها فأعجبه أمرها فلما سلمت من الصلاة طلب وقاعها فأبت فغضب عليها وكان به لمم أى توقان الى النساء وقيل مس من الجن فأراد أن يأتيها على حال لا تؤتى عليها النساء

أى نصيبين (من رحمته) نصيبا بايمانكم بالاولين ونصيبا بايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وكتابه (ويجعل لكم نورا تمشون به) فى الآخرة على الصراط (ويغفر لكم) وعدهم الله هذه الأشياء كلها على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم قال (لئلا يعلم) أى ليعلم ولا زائدة (أهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (أن لا يقدرون على شئ من فضل الله) يريد أنهم لا يقدرون على شئ من فضل الله يعنى ان لم يؤمنوا لم يؤتهم الله شيأ مما ذكر (وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

﴿تفسير سورة المجادلة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قد سمع الله قول التى) الآية نزلت بسبب خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس ابن الصامت ظاهر منها وذلك أول ظهار فى الاسلام وكان الظهار من طلاق الجاهلية فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرت أن زوجها ظاهر منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت اشكوا الى الله فاقتى ووحدتى وصبية صغارا وجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قال لها حرمت عليه هتفت وشكت الى الله وقوله (والله يسمع تحاوركما) أى مخاطبتكما ومراجعتكما الكلام ثم ذم الظهار فقال

فأبت

فأبت عليه فغضب وقال ان خرجت من البيت قبل أن أفعل بك فأنت على كظهر أمي ثم ندم على ماقال وكان الظهار والايلاء من طلاق أهل الجاهلية فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان أوسا تزوجني وأنا شابة مرغوب فى فلما كبرسني وكثر ولدي جعلني كأمه وان لى صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الى جاعوا فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت يارسول الله والله ماذكر طلاقا وانه أبو ولدي وأحب الناس الى فقال حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتي ووجدي وكلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشكت الى الله وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم انى أشكو اليك فأنزل على لسان نبيك فرجي فبيناهي كذلك اذتربد وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية ثم انه صلى الله عليه وسلم أرسل الى زوجها وقال ماحملك على ماصنعت فقال الشيطان فهل من رخصة فقال نعم وقرأ عليه الاربع آيات وقال له هل تستطيع العتق فقال لا والله فقال هل تستطيع الصوم فقال لا والله لولا انى آكل فى اليوم مرة أومرتين لكل بصري واظننت أنى أموت فقال له هل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا فقال لا والله يارسول الله الا أن تعينني منك بصدقة فأعانه رسول الله بخمسة عشر صاعا وأخرج أوس من عنده مثله فتصدق به على ستين مسكينا (الذين يظاهرون منكم من نسائهم ماهن أمهاتهم) أى الذين يحرمون نساءهم على أنفسهم كتحريم الله عليهم ظهور أمهاتهم ليست نساؤهم أمهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب يظهرون بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف يظاهرون بفتح الياء وتشديد الظاء وألف وقرأ أبو العالية وعاصم وحسين يظاهرن بضم الياء وتخفيف الظاء وألف وكسر الهاء وفى قراءة أبي يتظاهرون وقرأ عاصم فى رواية المفضل أمهاتهم بالرفع وقرئ بامهاتهم وجملة ماهن أمهاتهم خبر المبتدا الذى هو الموصول (ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم) أى ما أمهاتهم فى الحرمة الا اللائى ولدنهم فلا تشبه بهن فى الحرمة الا من ألحقها الشرع بهن من المرضعات وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم (وانهم) أى المظاهرين (ليقولون منكرا من القول) عند الشرع وعند العقل والطبع (وزورا) أى كذبا والظهار حرام اتفاقا (وان الله لعفو غفور) اما من غير التوبة لمن شاء أو بعد التوبة اذ جعل الكفارة عليهم مخلصة لهم من هذا القول المنكر (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) اما بالسكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه أن يطلقها فيه كما قاله الشافعي واما باستباحة الوطء والملامسة والنظر اليها بالشهوة كما قاله أبو حنيفة واما بالعزم على جماعها كما قاله مالك (فتحرير رقبة) أى فالواجب اعتاق رقبة مؤمنة فلا تجزئ كافرة عند الشافعي وقال أبو حنيفة تجزئ أى رقبة كانت سواء كانت مؤمنة أو كافرة (من قبل أن يتماسا) أى ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بشئ من جهات الاستمتاعات فلا يباشر المظاهر امرأته ولا يتلذذ منها بشئ حتى يكفر فان وطئها قبل أن يكفر استغفر الله وأمسك عنها حتى يكفر كفارة واحدة (ذلكم) أى التغليظ فى الكفارة (توعظون به) أى تزجرون به عن اتيان ذلك المنكر كى تتركوه ولا تعاودوه (والله بما تعملون خبير) أى من التكفير وتركه (فمن لم يجد) أى رقبة (فصيام شهرين) أى فعليه صيام شهرين (متتابعين من قبل أن يتماسا) بجميع ضروب المسيس من لمس بيد وغيرها (فمن لم يستطع) أى الصيام (فاطعام ستين مسكينا) لكل مسكين مد من طعام بلده الذى يقتات منه حنطة أو شعيرا أو أرزا أو تمرا بمد النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعتبر مد حدث بعده وقال أبو حنيفة لكل مسكين نصف صاع من بر أو دقيق أو سويق أو صاع واحد من تمر او شعير ولا يجزئه

(الذين يظهرون منكم من نسائهم ماهن أمهاتهم) أي ما اللائي يجعلن من الزوجات كالامهات بالحقيقة (ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم) أى ما أمهاتهم الا الوالدات (وانهم ليقولون) بلفظ الظهار (منكرا من القول) يعنى مالا يعرف صحته (وزورا) أى كذبا فان المرأة لاتكون كالأم (وان الله لعفو غفور) عفا وغفر للمظاهر بجعل الكفارة عليه ثم ذكر حكم الظهار فقال (والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) الآية فى هذه الآية تقديم وتأخير تقديرها والذين يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبة لما قالوا ثم يعودون أى على المظاهر عتق رقبة لقوله لامرأته أنت على كظهر امى ثم يعود الى استباحة الوطء ولا تحل له قبل الكفارة وهو قوله (من قبل أن يتماسا) أى يجامعا (ذلكم توعظون به) أى ذلك التغليظ فى الكفارة وعظ لكم كى تنزجروا به عن الظهار فلا تظاهروا (فمن لم يجد) الرقبة لفقره (فصيام شهرين متتابعين) لو افطر فيما بين ذلك بطل التتابع ويجب عليه الاستئناف (فمن لم يستطع) ذلك لمرض أو لخوف مشقة عظيمة (فاطعام ستين مسكينا) لكل مسكين مد من غالب القوت

دون ذلك (ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله) أي ذلك البيان للاحكام لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرائعه ولا تستمروا على أحكام الجاهلية من جعل الظهار أقوى أنواع الطلاق (وتلك) أي هذه الاحكام المذكورة (حدود الله) التي لا يجوز مجاوزتها (وللكافرين) أي لمن جحد هذه الاحكام وكذب بها (عذاب أليم) فان عجز عن جميع خصال الكفارة لم تسقط عنه بل هي باقية في ذمته الى أن يقدر على شيء منها ولا ينبغي للمرأة ان تدعه يقربها حتى يكفر فان تهاون بالتكفير حال الامام بينه وبينها وأجبره على التكفير وان كان الاجبار بالضرب ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لان ترك التكفير اضرار بالمرأة وامتناع من ايفاء حقها (ان الذين يحادون الله ورسوله) أي يعادونهما وذلك بالمحاربة مع أولياء الله أو بالصد عن دين الله وتكذيبه (كبتوا) أي اذلوا (كما كبت الذين من قبلهم) أي كما اخزى كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم الصلاة والسلام (وقد أنزلنا آيات بينات) أي والحال انا قد أنزلنا آيات واضحات في شأن من خالف الله ورسوله ممن قبلهم من الامم من اهلاكهم (وللكافرين) بتلك الآيات (عذاب مهين) أي يذهب بعزهم وكبرهم (يوم يبعثهم الله جميعا) أي مجتمعين في حال واحدة (فينبئهم بما عملوا) تخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم الذي يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤس الاشهاد (أحصاه الله) أي أحاط الله بجميع أحوال تلك الاعمال من الكمية والكيفية والزمان والمكان (ونسوه) أي والحال أنهم قد نسوا أعمالهم لانهم تهاونوا بها حيث فعلوها ولم يبالوا بها لجراءتهم على المعاصي (والله على كل شيء شهيد) لا يغيب عنه أمر من الامور قط (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض) أي ألم تعلم علما يقينيا أنه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما أو بالجزئية منهما (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم) أي ما يوجد من متناجين ثلاثة الا الله رابعهم ولا متناجين خمسة الا الله سادسهم (ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا) أي من الاماكن ولو كانوا تحت الارض قال ابن عباس نزلت هذه الآية في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان ابن أمية كانوا يوما يتحدثون فقال أحدهم هل يعلم الله ما نقول وقال الثاني يعلم البعض دون البعض وقال الثالث ان كان يعلم البعض فيعلم الكل وفي مصحف عبد الله ما يكون من نجوى ثلاثة الا الله رابعهم ولا أربعة الا الله خامسهم ولا خمسة الا الله سادسهم ولا أقل من ذلك ولا أكثر الا الله معهم اذا أخذوا في التناجي أي فالله تعالى عالم بكلامهم وضميرهم وسرهم وعلنهم فكأنه تعالى حاضر معهم ومشاهد لهم قرأ ابن أبي عبلة ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون وقرأ الحسن والاعمش وابن أبي اسحق وأبو حيوة ويعقوب ولا أكثر بالرفع اما معطوف على محل نجوى أو هو مبتدأ عطفه على مبتدأ وهو أدنى وجملة الا هو معهم خبره وقرئ ولا أكبر بالباء المنقطة من تحت (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة) أي يحاسب على ذلك ويجازي على قدر الاستحقاق وقرأ بعضهم ينبئهم بسكون النون (ان الله بكل شيء عليم) وهذا تحذير من المعاصي وترغيب في الطاعات (ألم تر) أي ألم تنظر يا أشرف الخلق (الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم) أي بما هو اثم في نفسه كالكذب (والعدوان) للمؤمنين (ومعصيت الرسول) أي مخالفته نزلت في اليهود كانوا يتناجون فيما بينهم ويوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما يحزنهم فلما أكثروا ذلك شكى المؤمنون ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن لا يتناجوا دون المؤمنين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا الى مناجاتهم

أمر به (وتلك حدود الله) يعني ما وصف في الظهار والكفارة (وللكافرين) أي لمن لا يصدق بها (عذاب أليم ان الذين يحادون الله) أي يخالفون الله (ورسوله كبتوا) أي اذلوا وأخزوا (كما كبت الذين من قبلهم) ممن خالف الله ورسوله (وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين) بها (عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا) أي يخبرهم بذلك ليعلموا وجوب الحجة عليهم (أحصاه الله) أي علمه الله وأحاط بعدده (ونسوه) هم وقوله (ما يكون من نجوى ثلاثة) أي من مناجاة ثلاثة وان شئت قلت من متناجين ثلاثة (الا هو رابعهم) أي بالعلم يسمع نجواهم وقوله (ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى) نزلت في المنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون الى المؤمنين ليوقعوا في قلوبهم ريبة وتهمة ويظنوا أن ذلك لشيء مما يهمهم فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن ذلك فعادوا لما نهوا عنه فانزل الله تعالى ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى (ثم يعودون لما) أي الى ما (نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) أي يوصي بعضهم بعضا سرا بالظلم والاثم وترك طاعة الرسول

مناجاتهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وقرأ حمزة وحده ينتجون أي ويخص اليهود المنافقين بمناجاتهم وقرئ والعدوان بكسر العين وقرئ ومعصيات الرسول (وإذا جاؤك) يا أشرف الخلق (حيوك بما لم يحيك به الله) أي انهم كانوا يجيؤن الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون في تحيتهم إياك السام عليك يا محمد وهم يوهمون أنهم يقولون السلام عليك فيرد النبي عليهم وعليكم والسام بلغتهم الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويا أيها الرسول ويا أيها النبي (ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) أي ويقولون فيما بينهم إذا خرجوا من عند رسول الله ان محمدا لو كان رسولا فلم لا يعذبنا الله بما نقول لنبيه على هذا الاستخفاف وقيل انهم قالوا ان محمدا يرد علينا ويقول وعليكم السام فلو كان نبيا كما يزعم لكان دعاؤه علينا مستجابا ولمتنا وهذا موضع تعجب منهم فانهم كانوا أهل الكتاب يعلمون أن الانبياء عليهم السلام كانوا يغضبون فلا يعاجل من يغضبهم بالعذاب فأنزل الله فيهم (حسبهم جهنم) عذابا (يصلونها) أي يدخلونها (فبئس المصير) جهنم أي ان تقديم العذاب انما يكون بحسب المشيئة والمصلحة فاذا لم تقتض المشيئة والمصلحة تقديم العذاب في الدنيا فعذاب جهنم يوم القيامة كافيهم في الردع عما هم عليه (يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم) فيما بينكم (فلا تتناجوا بالاثم) وهو ما يقبح (والعدوان) وهو ما يؤدي الى ظلم الغير (ومعصيت الرسول) وهو ما يكون خلافا عليه وقرئ فلا تنتجوا وفلا تناجوا بحذف احدى التاءين (وتناجوا بالبر) وهو الذي يضاد العدوان (والتقوى) وهو ما يتقى به من النار من فعل الطاعات وترك المعاصي (واتقوا الله الذي اليه تحشرون) أي اتقوا الله في ان تتناجوا دون المؤمنين الذي تجمعون بقهر اليه تعالى يوم القيامة أي الى مكان المحاسبة والمجازاة (انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا) أي انما النجوى السابقة وهي نجوى المنافقين مع اليهود ممتدة من الشيطان أي ان الشيطان يأمرهم بأن يقدموا على تلك النجوى التي هي سبب لحزن المؤمنين وذلك لان المؤمنين اذا رأوهم متناجين قالوا ما نراهم الا وقد بلغهم عن أقربائنا واخواننا الذين خرجوا الى الغزوات انهم قتلوا وهزموا ويقع ذلك في قلوبهم ويحزنون له وقرأ نافع ليحزن بضم الياء وكسر الزاي فحينئذ ففاعله ضمير يعود على الشيطان أي ليحزن الشيطان المؤمنين بتوهمهم ان النجوى في نكبة أصابتهم (وليس بضارهم شيأ الا باذن الله) أي وليس مناجاة المنافقين بضار المؤمنين شيأ من الضرر الا بمشيئة الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فان من توكل عليه لا يخيب أمله ولا يبطل سعيه (يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا) أي اذا قيل لكم ليتوسع بعضكم عن بعض فتوسعوا (يفسح الله لكم) في كل ما تريدون التوسع فيه من المكان والرزق والصدر والقبر والجنة وهذه الآية تدل على ان كل من وسع على عباد الله أبواب الخير والراحة وسع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة والمراد من هذا التوسيع ايصال الخير الى المسلم وادخال السرور في قلبه وقرأ الحسن وداود بن أبي هند تفاسحوا وقرأ عاصم في المجالس بصيغة الجمع لان لكل جالس موضع جلوس على حدة والباقون في المجلس بالتوحيد على ان المراد به الجنس وقرئ في المجلس بفتح اللام قيل نزلت هذه الآية في نفر من أهل بدر منهم ثابت بن قيس بن شماس جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي جالسا في صفة صفية يوم الجمعة فلم يجدوا مكانا يجلسون فيه فقاموا على رأس المجلس فقال النبي صلى الله عليه وسلم لمن لم يكن من أهل بدر يا فلان قم ويا فلان قم من مكانك ليجلس فيه من كان من أهل بدر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكرم أهل بدر من المهاجرين

وذلك انهم قالوا لو كان نبيا لعذبنا بهذا قال الله تعالى حسبهم جهنم الآية ثم نهى المؤمنين عن مثل ذلك فقال (يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم) الآية وقوله (انما النجوى من الشيطان) أي النجوى بالاثم والعدوان مما زين لهم الشيطان (ليحزن الذين آمنوا وليس) الشيطان (بضارهم شيأ الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أي اليه فليكلوا أمورهم (يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس يفسح الله لكم) أي توسعوا في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فافسحوا أي وسعوا المجلس يفسح الله لكم أي يوسعه عليكم نزلت في قوم كانوا يبكرون الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأخذون مجالسهم بالقرب منه فاذا دخل غيرهم ضنوا بمجالسهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يكرم أهل بيته فدخلوا يوما وقاموا بين يديه فلم يجدوا عنده مجلسا ولم يقم لهم احد من هؤلاء الذين أخذوا مجالسهم وكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فانزل الله هذه الآية وأمرهم أن يوسعوا في المجلس لمن أراد النبي صلى الله عليه وسلم

والانصار فعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية فيمن أقامه من المجلس فأنزل الله فيهم هذه الآية يوم الجمعة وروى عن ابن عباس انه قال نزلت هذه الآية في ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه دخل المسجد وقد أخذ القوم مجالسهم وكان يريد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للوقر الذي كان في أذنيه فوسعوا له حتى قرب منه صلى الله عليه وسلم ثم ضايقه بعضهم وجرى بينه وبينهم كلام ووصف للرسول محبة القرب منه ليسمع منه وان فلانا لم يفسح له فأمر القوم بأن يوسعوا ولا يقوم أحد لأحد فنزلت هذه الآية * مسئلة اذا أمر انسان انسانا أن يبكر الى الجامع فيأخذ له مكانا يقعد فيه لا يكره فاذا جاء الآمر يقوم من الموضع أما اذا أرسل سجادة لتفرش له في المسجد حتى يحضر هو فيجلس عليها فذلك حرام لما فيه من تحجير المسجد بلا فائدة (واذا قيل انشزوا فانشزوا) أي واذا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لاخوانكم فارتفعوا وقوموا الى الموضع الذي تؤمرون به وقرئ نشزوا بكسر الشين وبضمها (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) أي يرفع الله المؤمنين منكم أيها المأمورون بالتفسح والعالمين منهم خاصة درجات بامتثال أوامره تعالى وأوامر رسوله والموصول الثاني معطوف على الموصول الاول اما من عطف الخاص على العام أو من عطف الصفات ودرجات مفعول ثان كأنه قيل يرفع الله المؤمنين العلماء درجات وقال ابن عباس تم الكلام عند قوله تعالى منكم وينتصب الذين أوتوا بفعل مضمر أي ويخص الذين أوتوا العلم بدرجات أو يرفعهم الى درجات قال ابن مسعود مدح الله العلماء في هذه الآية والمعنى ان الله تعالى يرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات في دينهم اذا فعلوا بما أمروا به (والله بما تعملون خبير) وهذا تهديد لمن لم يمتثل بالامر وقرئ يعملون بالياء التحتية (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) أي اذا أردتم مناجاة الرسول في بعض شؤونكم المهمة الداعية الى مناجاته صلى الله عليه وسلم فتصدقوا قبل المناجاة وفائدة هذا التقديم تعظيم مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الانسان اذا وجد الشئ مع المشقة استعظمه وان وجده بالسهولة استحقره ونفع كثير من الفقراء بتلك الصدقة المقدمة على المناجاة وتمييز محب الآخرة عن محب الدنيا بتلك الصدقة فان المال محك الدواعي وقال أبو مسلم ان المنافقين كانوا يمتنعون من بذل الصدقات وان قوما من المنافقين تركوا النفاق وآمنوا ظاهرا وباطنا ايمانا حقيقيا فأراد الله تعالى أن يميزهم عن المنافقين فأمر بتقديم الصدقة على النجوى ليتميز هؤلاء الذين آمنوا ايمانا حقيقيا عمن بقي على نفاقه الاصلي وهذا التكليف كان مقدرا بغاية مخصوصة فوجب انتهاؤه عند الانتهاء الى الغاية المخصوصة فلا يكون هذا منسوخا وقيل نزلت هذه الآية في أهل الميسرة فانهم من كانوا يكثرون المناجاة مع رسول صلى الله عليه وسلم دون الفقراء حتى تأذى بذلك النبي صلى الله عليه وسلم والفقراء فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بالصدقة قبل أن يتناجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم بدرهم على الفقراء بكل كلمة (ذلك) أي التصدق (خير لكم) في دينكم من الامساك (وأطهر) لذنوبكم ولقلوبكم من حب المال لان الصدقة طهرة (فان لم تجدوا) ما تتصدقون به يا أهل الفقر فتكلموا مع رسول الله عما شئتم بغير التصدق (فان الله غفور رحيم) أي فان من لم يجد ما يتصدق به كان معفوا عنه (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) أي أخفتم تقديم الصدقات لما يعدكم الشيطان به من الفقر وبخلتم يا أهل الميسرة (فاذ لم تفعلوا) ما أمرتم به من اعطاء الصدقات (وتاب الله عليكم) بأن أرخص لكم في أن لا تفعلوه (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله) أي فلا تفرطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات أي اذا كنتم راجعين الى الله تعالى وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأطعتم الله ورسوله في سائر الاوامر فقد كفاكم هذا التكليف (والله خبير بما تعملون) ظاهرا

(واذا قيل انشزوا فانشزوا) أي واذا قيل لكم قوموا الى صلاة أو جهاد أو عمل خير فانهضوا (يرفع الله الذين آمنوا منكم) أي بطاعة الرسول (والذين أوتوا العلم درجات) أي في الجنة (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم) أي امام مناجاتكم (صدقة) نزلت حين غلب أهل الجدة الفقراء على مجالسة الرسول الله صلى الله عليه وسلم وكره الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك فأمرهم الله بالصدقة عند المناجاة ووضع ذلك عن الفقراء فقال (فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) ثم نسخ الله ذلك بقوله (أأشفقتم) أي أبخلتم وخفتم بالصدقة الفقر (فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم) أي عاد عليكم بالتخفيف (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي المفروضة وقوله

وبالمنافق هو محيط بأعمالكم ونياتكم (ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) أى ألم تنظر يا أشرف الخلق الى المنافقين الذين اتخذوا اليهود أولياء (ماهم منكم ولا منهم) أى ليس المنافقون منكم أيها المسلمون فى السر ولا من اليهود فى العلانية لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك (ويحلفون على الكذب) أي ويقولون والله انا لمسلمون أو انا لايشتمون الله ورسوله ولا يكيدون المسلمين يروى ان عبد الله بن نبتل المنافق كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرته اذ قال يدخل عليكم اليوم رجل ينظر بعينى شيطان فدخل رجل عيناه زرقاوان وهو عبد الله بن نبتل فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم تسبنى أنت وأصحابك فحلف بالله مافعل فانطلق وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ماسبوه فأنزل الله هذه الآية قيل نزلت فى شأن عبد الله بن أبى وأصحابه بولايتهم مع اليهود (وهم يعلمون) انهم كاذبون فى حلفهم فيمينهم يمين غموس لاعذر لهم فيها (أعد الله لهم) أى للمنافقين بسبب ذلك (عذابا شديدا) أى متفاقما لاطاقة لهم به فى القبر (انهم ساء ما كانوا يعملون) فى نفاقهم فيما مضى من الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء العمل وأصروا عليه (اتخذوا أيمانهم) أى حلفهم الكاذبة (جنة) أى سترة عن دمائهم وأموالهم وقرأ الحسن ايمانهم بكسر الهمزة أى اتخذوا اظهار ايمانهم لاهل الاسلام وقاية عن ظهور نفاقهم وكيدهم للمسلمين وسترة عن ان يقتلهم المسلمون فلما أمنوا من القتل اشتغلوا بصد الناس عن الدخول فى الاسلام بالقاء الشبهات فى القلوب وتقبيح حال الاسلام وذلك قوله تعالى (فصدوا عن سبيل الله) أى صرفوا الناس فى السر عن دين الله (فلهم عذاب مهين) أى يهانون به فى الآخرة (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ) أى لن تدفع عنهم كثرة أموالهم ولا كثرة أولادهم من عذاب الله شيأ من الدفع (أولئك أصحاب النار) أى ملاقوها (هم فيها خالدون) أى لايخرجون منها أبدا روى ان واحدا منهم قال لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا فنزلت هذه الآية (يوم يبعثهم الله جميعا) قيل هو ظرف لقوله تعالى لهم عذاب مهين (فيحلفون له) أى بين يدى الله ما كنا كافرين ولا منافقين (كما يحلفون لكم) فى الدنيا (ويحسبون) فى الآخرة (أنهم) بتلك الايمان الفاجرة (على شئ) من جلب منفعة أو دفع مضرة كما كانوا عليه فى الدنيا (ألا انهم هم الكاذبون) عند الله فى حلفهم أى انهم اشدة توغلهم فى النفاق ظنوا يوم القيامة انه يمكنهم ترويج كذبهم بالايمان الكاذبة على علام الغيوب فكان هذا الحلف الذميم يبقى معهم أبدا (استحوذ عليهم الشيطان) أى غلب على أمور المنافقين الشيطان (فأنساهم ذكر الله) فلا يذكرونه بقلوبهم ولا بألسنتهم (أولئك) أى المنافقون (حزب الشيطان) أى جنده (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) أى المغبونون بذهاب الدنيا والآخرة (ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الاذلين) أى ان الذين يخالفون الله ورسوله فى الدين أولئك فى جملة الكفار الخلص أو مع الاسلفين فى النار وهم المنافقون (كتب الله) أى أثبت الله فى اللوح المحفوظ وقال (لأغلبن أنا ورسلى) محمد عليه الصلاة والسلام بالحجة والسيف على فارس والروم واليهود والمنافقين (ان الله قوى) على نصر أنبيائه (عزيز) بنقمة أعدائه لايغلب عليه فى مراده قال مقاتل ان المسلمين قالوا انا لنرجوا أن يظهرنا الله على فارس والروم فقال عبد الله بن أبى بن سلول لهم أتظنون ان فارسا والروم كبعض القرى التى غلبتموهم فيكون لكم فتح فارس والروم كلا والله انهم أكثر جمعا وعدة فأنزل الله تعالى هذه الآية ثم نزلت الآية فى حاطب بن أبى بلتعة رجل من أهل اليمن الذى كتب كتابا الى أهل مكة بسر النبى صلى الله عليه وسلم فانه أخبر أهل مكة بمسير النبى اليهم لما أراد فتح مكة وكان هو بدريا قال الله تعالى (لاتجد)

(ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) يعنى المنافقين تولوا اليهود وناصحوهم ونقلوا اليهم أسرار المؤمنين (ماهم منكم) أيها المؤمنون (ولا منهم) يعنى من اليهود (ويحلفون على الكذب) يريد يحلفون أنهم لايخونون المؤمنين (وهم يعلمون) أنهم لكاذبون فى حلفهم (اتخذوا أيمانهم) الكاذبة (جنة) أى يستجنون بها من القتل وقوله (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) كاذبين ما كانوا مشركين (كما يحلفون لكم) كاذبين (ويحسبون انهم على شئ) من نفاقهم بأنونكم بوجه ويأتون الكفار بوجه ويظنون أنهم يسلمون فيما بينهم وبينكم (ألا انهم هم الكاذبون استحوذ) يعنى استولى (عليهم الشيطان) وقوله (ان الذين يحادون الله ورسوله) أى يخالفونهما (أولئك فى الأذلين) أى المغلوبين (كتب الله) أى قضى الله (لأغلبن أنا ورسلى) اما بالظفر والقهر واما بظهور الحجة (لاتجد)

يا أشرف الخلق (قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) أي يناصحون من خالف الله ورسوله في الدين بإرادة الخير لهم دينا ودنيا مع كفرهم ولا منع فيما عدا ذلك لان الامة أجمعت على جواز مخالتهم ومعاملتهم والمعنى لا يجتمع الايمان مع وداد أعداء الله فان من أحب أحدا امتنع ان يحب مع ذلك عدوه (ولو كانوا) أي من خالف الله ورسوله (آباءهم) أي آباء المتحابين (أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) أي جماعتهم من قوم شتى قال سعيد نزلت هذه الآية في شأن أبي عبيدة حين قتلوا أباه يوم بدر وعن عمر بن الخطاب قال لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته روى نطيس عن ابن عباس وروى غيره عن جماعة ان هذه الآية نزلت في جماعة من الصحابة فان أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد وعمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وأبا بكر دعا ابنه للبراز يوم بدر فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقعود وقال متعنا بنفسك يا أبا بكر أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري وروى أنه صك أباه أبا قحافة صكة أسقطت أسنانه حين سمعه يسب النبي صلى الله عليه وسلم ومصعب بن عمير قتل أخاه أبا عزيز بن عبيد بن عمير يوم أحد ومحمد بن مسلمة الانصاري قتل أخاه من الرضاع كعب بن الاشرف اليهودي رأس بني النضير وعليا وحمزة وعبيدة بن الحرث قتلوا يوم بدر بني عمهم عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة وقد أخبر الله تعالى ان هؤلاء لم يوادوا أقاربهم وعشائرهم غضبا لله تعالى ولدينه (أولئك) أي الذين لا يوادون الكفار (كتب) أي أثبت الله (في قلوبهم الايمان) وشرح الله صدورهم بالالطاف وروى المفضل عن عاصم كتب على البناء للمفعول (وأيدهم بروح منه) أي قواهم بنور القلب من عند الله تعالى وقيل بنصر من الله على عدوهم وسمي تلك النصرة روحا لان بها يحيا أمرهم كما قاله ابن عباس والحسن وقال السدي الضمير في قوله منه عائد الى الايمان والمعنى أعانهم بروح من الايمان وسمي روحا لحياة القلوب به (ويدخلهم) في الآخرة (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) أبد الآبدين (رضي الله عنهم ورضوا عنه) ونعمة الرضوان هي أعظم النعم وأجل المراتب (أولئك حزب الله) أي جنده (ألا ان حزب الله هم المفلحون) أي الفائزون بسعادة الدارين الناجون من العذاب والسخط

﴿سورة الحشر وتسمى سورة النضير مدنية أربع وعشرون آية وسبعمائة وخمس وأربعون كلمة وألف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) نزلت هذه الآية الى قوله تعالى والله على كل شئ قدير في بني النضير وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يكونوا عليه ولا له فلما غزا بدرا وظهر على المشركين قالوا هو النبي المنعوت في التوراة بالنصر فلما غزا أحدا وهزم المسلمون ارتابوا ونكثوا العهد فخرج كعب بن الاشرف في أربعين راكبا من اليهود الى مكة وحالفوا أبا سفيان وأصحابه أربعين رجلا عند الكعبة على قتاله صلى الله عليه وسلم ثم رجع كعب وأصحابه الى المدينة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصاري بقتل كعب بن الاشرف فقتله غيلة ثم صبحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أحب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب فبعث اليهم خفية عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه وقالوا لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولننصرنكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم فحصنوا الازقة فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب في قلوبهم وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة أبيات

قوما يؤمنون بالله) الآية أخبر الله تعالى في هذه الآية أن المؤمن لا يوالي الكافر ولو كان أباه أو أخاه أو قريبه وذلك أن المؤمنين عادوا آباءهم الكفار وعشائرهم وأقاربهم فمدحهم الله تعالى على ذلك وقال (أولئك كتب في قلوبهم الايمان) أي أثبته (وأيدهم بروح منه) أي بنور الايمان وقيل بالقرآن ثم وعدهم الادخال في الجنة فقال (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون)
﴿تفسير سورة الحشر﴾
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
(سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم

على بعير ما شاؤا من متاعهم وللنبي ما بقي فجلوا الى الشام الى أريحا وأذرعات الا أهل بيتين منهم آل أبى الحقيق وآل حيى بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة فذلك قوله تعالى (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) هم بنو النضير من اليهود (من ديارهم) أى م..ا كنهم بالمدينة (لاول الحشر) أى عند أول اخراج الجمع من مكان الى مكان وهم أول من أخرجوا من جزيرة العرب الى الشام لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك وأما آخر حشرهم فهو اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام (ما ظننتم) أيها المسلمون (أن يخرجوا) من ديارهم بهذا الذل لعزتهم وقوتهم (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) أى من عذاب الله أى كانت حصونهم منيعة فظنوا أنها تمنعهم من رسول الله وحصونهم امامبتدأ وما نعتهم خبر مقدم والجملة خبر أن واما فاعل لمانعتهم وهى خبر أن (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) أى فأتى أمر الله اليهود باذلالهم من حيث لم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف على يد أخيه غيلة وقرئ فآتاهم الله بمد الهمزة أى فأعطاهم الله الهلاك وقيل الضمير للمؤمنين أى فآتاهم نصر الله من حيث لم يرجوا وهو اخراج بنى النضير من قرية يقال لها زهرة الى الشام وكان بين زهرة والمدينة ميلان (وقذف فى قلوبهم الرعب) أى أثبت فى قلوبهم الخوف من محمد وأصحابه وكانوا قبل ذلك لا يخافون (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين) أى يهدمون بعض بيوتهم بأيديهم من داخل الحصون ليسدوا بالخشب والحجارة أفواه الازقة ولئلا يبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض آلاتها مما يقبل النقل ويهدم المؤمنون بعض بيوت بنى النضير من خارج توسيعا لمحال القتال ونكاية لهم ومنعا لتحصنهم بها وقرأ أبو عمرو وحده يخربون بفتح الخاء وتشديد الراء وقال الاخراب ترك الموضع خرابا والتخريب الهدم وبنو النضير خربوا وما أخربوا (فاعتبروا يا أولى الابصار) أى فاتعظوا بحالهم ولا تعتمدوا على شئ غير الله تعالى كما اعتمد هؤلاء على حصونهم وعلى قوتهم وعلى المنافقين فليس للزاهد أن يعتمد على زهده فان زهده لا يكون أكثر من زهد بلعام وليس للعالم أن يعتمد على علمه انظر الى ابن الراوندى مع كثرة ممارسته كيف صار فلا ينبغى لاحد أن يعتمد الا على فضل الله ورحمته (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) أى ولولا ان قضى الله على بنى النضير الخروج عن أوطانهم على الوجه الفظيع (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل والسبى كما فعل باخوانهم بنى قريظة من اليهود (ولهم فى الآخرة عذاب النار) وهذا استئناف غير متعلق بجواب لولا أى ولهم على كل حال سواء أجلوا أم لا عذاب النار فى الآخرة (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) أى ذلك المذكور من العذابين بسبب انهم خالفوا الله ورسوله فى الدين (ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) أى ومن يخالف الله يعاقبه الله فى الدنيا والآخرة فان الله شديد العقاب وقرئ ومن يشاقق الله كما فى الانفال روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل ببنى النضير وقد تحصنوا بحصونهم أمر أصحابه بقطع نخيلهم واحراقها قال بنو النضير يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فى الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فكان فى أنفس المؤمنين شئ من قولهم وخشوا

[illegible] أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنى بنى النضير (من ديارهم) أى مساكنهم بالمدينة وذلك [illegible]
[illegible] بين رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف سيدهم فقتل غيلة وحاصر بنى النضير [illegible]
على أن يخرجوا الى الشام فخرجوا وتركوا رباعهم وضياعهم وقوله (لأول الحشر) كانوا أول قوم حشروا الى الشام من اليهود من جزيرة العرب وقيل انه كان أول حشر الى الشام والحشر الثانى حشر القيامة والشام أرض المحشر (ما ظننتم) أيها المؤمنون (أن يخرجوا) لعدتهم ومنعتهم (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) وذلك أنهم كانوا أهل حلقة وحصون فظنوا أنها تحفظهم من ظهور المسلمين عليهم (فأتاهم الله) أى أمر الله (من حيث لم يحتسبوا) أى من جهة المؤمنين وما كانوا يحسبون أنهم يغلبونهم ويظهرون عليهم (وقذف فى قلوبهم الرعب) أى ألقى فى قلوبهم الخوف بقتل سيدهم (يخربون بيوتهم بأيديهم) وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم صالحهم على أن لهم ما أقلت الابل فكانوا ينظرون الى الخشبة والشئ فى منازلهم مما يستحسنونه فيقلعونه وينتزعونه ويهدمون البيوت لاجله وذلك اخراجهم بأيديهم ويخرب المؤمنون باقيها فهو قوله (وأيدى المؤمنين) وأضاف الاخراب الى أيدى المؤمنين اليهم لانهم عرضوا منازلهم للخراب بنقض العهد (فاعتبروا) أى فاتعظوا (يا أولى الابصار) أى يا ذوى العقول ولا تفعلوا فعل بنى النضير فينزل بكم مثل ما نزل بهم (ولولا أن كتب الله) أى قضى الله (عليهم الجلاء) أى الخروج عن الوطن (لعذبهم فى الدنيا) أى بالسبى والقتل كما فعل بقريظة .

[illegible]

شتم تركتم وذلك أنهم لما تحصنوا بحصونهم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقطع نخيلهم واحراقها فجزعوا من ذلك وقالوا من أين لنا [illegible]

تقطع الاشجار المثمرة واختلف المسلمون في ذلك فنهم من قطع غيظا لهم ومنهم من ترك القطع وقالوا هو مالنا أفاء الله علينا به فأخبر الله

ان كل ذلك من القطع والترك باذنه (وليخزى الفاسقين) أي وليذل اليهود وليغيظهم (وما أفاء

أن يكون ذلك فسادا واختلفوا في ذلك فقال بعضهم لاتقطعوا فانه مما أفاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فأنزل الله تعالى قوله (ماقطعتم من لينة) أي أي شئ قطعتم أيها المسلمون من نخلة (أو تركتموها قائمة على أصولها) كما كانت (فباذن الله) أي فذاك القطع والترك باباحة الله تعالى ليعز المؤمنين (وليخزى الفاسقين) أي انما جوز الله ذلك القطع ليسر المؤمنين ويزداد غيظ الكفار اليهود ويتضاعف تلهفهم بسبب نفاذ حكم أعدائهم في أعز أموالهم وقرئ قوما على أصلها وقرئ أيضا قائما على أصوله ذهابا الى لفظ ما (وما أفاء الله على رسوله منهم) أي مارده الله لرسوله من يهود بني النضير فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دونكم (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) أي لانكم ما أحوجتم الى تحصيل ذلك خيلا ولا ركابا (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) من أعدائهم وقد سلط الله النبي صلى الله عليه وسلم على هؤلاء اليهود من غير ان تقاسوا أيها المسلمون شدائد الحروب فلاحق لكم في أموالهم (والله على كل شئ قدير) فيفعل مايشاء نزلت هذه الآية في بني النضير وقراهم وليس للمسلمين يومئذ كثير خيل ولا ركاب وانما كانوا في زهرة على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا ولم يركب الا رسول الله وكان راكب جمل فلما كانت المقاتلة قليلة أجراه الله تعالى مجرى مالم يحصل فيه المقاتلة أصلا فخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الاموال ثم روى انه صلى الله عليه وسلم قسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم أبو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق ومعنى الآية ان الصحابة طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقسم الفئ بينهم كما قسم الغنيمة بينهم فذكر الله الفرق بينهما وهو ان الغنيمة ما تعبتم أنفسكم في تحصيلها وأوجفتم عليها الخيل والركاب والفئ ماليس في تحصيله تعب فكان الامر فيه مفوضا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) كقريظة والنضير وفدك وخيبر وعرينة وينبع والصفراء (فلله وللرسول ولذي القربى) وهم بنو هاشم وبنو المطلب (واليتامى والمساكين وابن السبيل) قيل يصرف سهم الله الى عمارة الكعبة والمساجد ويصرف سهم رسول الله بعد وفاته وهو أربعة أسهم الى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الانهار وبناء القناطر يقدم الاهم فالاهم أو الى المجاهدين المرصدين للقتال في الثغور لانهم قائمون مقام رسول الله في رباط الثغور (كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم) أي جعل الله الفئ على من ذكر لاجل أن لايكون الفئ شيأ يتداوله الاغنياء بينهم لايخرجونه الى الفقراء وقرأ هشام تكون بالتأنيث على خلاف عنه دولة بالرفع أي كيلا يقع دور في يد الاغنياء وقرأ علي بن أبي طالب والسلمي بفتح الدال فقيل الضم والفتح بمعنى وقيل الدولة بالفتح من الملك بضم الميم والدولة بالضم

الله) رد الله (على رسوله) ورجع اليه (منهم) من النضير من الاموال (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) أي ما حملتم خيلكم ولا ابلكم على الوجيف اليه وهو السير السريع والمعنى لم تركبوا اليه خيلا ولا ابلا ولا قطعتم اليه مشقة فهو خالص لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل فيه ما أحب وليس كالغنيمة التي تكون للغانمين وهذا معنى قوله (ولكن الله يسلط رسله) الآية (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) أي من أموال أهل القرى الكافرة (فلله وللرسول) الآية وكان الفئ يخمس خمسة أخماس فكانت أربعة أخماسه لرسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فيها مايشاء والخمس الباقي في المذكورين في هذه الآية فأما اليوم فما كان للنبي صلى الله عليه وسلم من الفئ يصرف الى أهل الثغور والمترصدين للقتال في أحد قولي الشافعي

والفئ كل مارجع الى المسلمين من أيدي الكفار عفوا من غير قتال مثل مال الصلح والجزية والخراج أو هربوا فتركوا ديارهم وأموالهم مثل فعل بني النضير وقوله (كيلا يكون) يعني الفئ (دولة) أي متداولا (بين الاغنياء) أي الرؤساء والاقوياء (منكم

(وما آتاكم الرسول) أي أعطاكم الرسول من الفيء (فخذوه وما نهاكم عنه) أي عن أخذه (فانتهوا) وقوله (للفقراء المهاجرين) [illegible]
خمس الفيء للذين هاجروا الى المدينة وتركوا ديارهم وأموالهم حبالله ورسوله ونصر الدينه وهو قوله (وينصرون الله) أي دينه (ورسوله
أولئك هم الصادقون) في ايمانهم (والذين تبوؤا الدار) أي نزلوا المدينة (والايمان) أي وقبلوا الايمان (من قبلهم) أي من
قبل المهاجرين وهم الانصار (يحبون من هاجر اليهم) يعني من المسلمين (ولا يجدون في صدورهم

بالضم من الملك بكسر الميم (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فانه واجب الطاعة لانه لا ينطق عن الهوى وهذا يوجب ان كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أمر من الله تعالى وان كانت الآية خاصة في الفيء فجميع أوامره صلى الله عليه وسلم ونواهيه داخلة فيها (واتقوا الله) في مخالفته صلى الله عليه وسلم (ان الله شديد العقاب) فيعاقب من يخالف أمره ونهيه (للفقراء) بدل من لذي القربى وما عطف عليه كأنه قيل أعني بأولئك الاربعة هؤلاء الفقراء (المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) حيث ان كفار مكة أحوجوهم الى الخروج منها وكانوا مائة رجل (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أي خرجوا منها طالبين منه تعالى رزقا في الدنيا ومرضات في الآخرة (وينصرون الله ورسوله) بأنفسهم وأموالهم فان خروجهم من بين الكفار مهاجرين الى المدينة نصرة (أولئك هم الصادقون) في دينهم لانهم هجروا اللذات الدنيا وتحملوا اشدائدها لاجل الدين وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من دوركم وأموالكم وأقسم لكم من الغنائم وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم وأقسم الغنيمة بين الفقراء المهاجرين خاصة دونكم فقالت الانصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ولا نشاركهم في الغنيمة فأثنى الله عليهم فقال (والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم) أي والذين هيؤا الدار الهجرة والايمان وتمكنوا فيهما أشد تمكن من قبل مجيء المهاجرين اليهم (يحبون من هاجر اليهم) من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لمحبتهم الايمان (ولا يجدون في صدورهم) أي في قلوبهم (حاجة) أي حزازة وحسدا (مما أوتوا) أي مما أعطى المهاجرين من الفيء وغيره دونهم (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) أي ويقدمون المهاجرين على أنفسهم في كل شيء من أسباب المعاش ولو كان فيهم فقر وحاجة الى ما يقدمون به غيرهم حتى ان من كان عنده امرأتان كان ينزل عن احداهما ويزوجها واحداً منهم روى عن أبي هريرة أن رجلا بات به ضيف ولم يكن عنده الا قوته وقوت صبيانه فقال لامرأته نومي الصبية وأطفئي السراج وقربي للضيف ما عندك فنزلت هذه الآية (ومن يوق شح نفسه) أي ومن يوق بتوفيق الله تعالى حرص نفسه على المال حتى يخالفها في حب المال وبغض الانفاق (فأولئك هم المفلحون) أي الظافرون بما أرادوا قال ابن زيد من لم يأخذ شيأ نهاه الله عن أخذه ولم يمنع شيأ أمر الله باعطائه فقد وقى شح نفسه وقرئ يوق بالتشديد وشح بكسر الشين (والذين جاؤا من بعدهم) أي من بعد هجرة المهاجرين ومن بعد قوة ايمان الانصار (يقولون) أي يدعون لهم (ربنا اغفر لنا) ذنوبنا (ولاخواننا في الدين) (الذين سبقونا بالايمان) وهو جميع من تقدمهم من المسلمين لا خصوص المهاجرين والانصار (ولا تجعل في قلوبنا غلا) أي حقدا وقرئ غمرا (للذين آمنوا) أيا كانوا (ربنا انك رؤف رحيم) فينبغي للمؤمن ان يذكر السابقين بالدعاء والرحمة فمن لم يكن كذلك بل ذكرهم بسوء كان خارجا من جملة أقسام المؤمنين بحسب نص هذه الآية (ألم تر الى الذين نافقوا) وهم عبد الله بن أبي وعبد الله بن نبتل

حاجة) أي غيظا وحسدا (مما أوتوا) أي مما أعطى المهاجرون من الفيء وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني النضير بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الا ثلاثة نفر لهم حاجة فطابت أنفس الانصار بذلك وهو قوله (ويؤثرون على أنفسهم) أي يختارون اخوانهم المهاجرين بالمال على أنفسهم (ولو كان بهم خصاصة) أي فاقة وحاجة الى المال (ومن يوق شح نفسه) أي من حفظ من الحرص المهلك على المال وهو حرص يحمله على الحسد وامساك المال عن الحقوق (فأولئك هم المفلحون والذين جاؤا) أي والذين يجيؤن (من بعدهم) يريد من بعد المهاجرين والانصار الى يوم القيامة (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) يعني
المهاجرين والانصار (ولا تجعل في قلوبنا غلا) أي حقدا (للذين آمنوا) الآية فمن ترحم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن
في قلبه غل لهم فهو من أهل هذه الآية ومن شتم واحدا منهم ولم يترحم عليه لم يكن له حظ في الفيء وكان خارجا عن جملة أقسام المؤمنين وهم
ثلاثة المهاجرون والانصار والذين جاؤا من بعدهم بهذه الصفة التي ذكرها الله (ألم تر الى الذين نافقوا) الآية وذلك أن المنافقين دسوا
الى بني النضير لما حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم محمد كنا معكم وان أخرجكم خرجنا معكم

ورفاعة بن زيد فانهم كانوا من الانصار ولكنهم نافقوا فى دينهم (يقولون) فى السر (لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) وهم اليهود من بنى قريظة والنضير فهم مشتركون فى الكفر وفى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم (لئن أخرجتم) من المدينة (لنخرجن معكم) ونذهبن فى صحبتكم أينما ذهبتم (ولا نطيع فيكم) أى فى شأنكم (أحدا) يمنعنا من الخروج معكم (أبدا) أى وان طال الزمان وقيل لا نعين عليكم أحدا من أهل المدينة (وان قوتلتم) من أى مقاتل كان (لننصرنكم) على عدوكم (والله يشهد انهم لكاذبون) فى تلك المقالات الثلاثة المؤكدة بالأيمان الفاجرة (لئن أخرجوا) أى اليهود من المدينة (لايخرجون) أى المنافقون (معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم) وكان الامر كذلك وفى هذا دليل على صحة النبوة واعجاز القرآن حيث أخبر عما سيقع فوقع الامر كما أخبر (ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لاينصرون) أى ولئن خرج المنافقون لقصد نصر اليهود لينهزمن المنافقون ثم يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو لئن جاء المنافقون الى اليهود لنصرهم لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين (لانتم أشد رهبة فى صدورهم من الله) أى ان خوف المنافقين واليهود فى السر من المؤمنين أشد من خوفهم من الله الذى يظهرونه للمؤمنين وكانوا يظهرون لهم خوفا شديدا من الله والمعنى أنهم لا يقدرون على مقابلتكم لانكم أشد مرهوبية فى صدورهم وهم يظهرون خوفهم من الله (ذلك) أى كون خوفهم من المخلوق أشد من خوفهم من الخالق (بأنهم قوم لا يفقهون) أى بسبب أنهم قوم لا يعلمون عظمة الله فيخشوه حق خشيته (لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر) أى لا يقدر اليهود والمنافقون على مقاتلتكم مجتمعين فى موطن الا اذا كانوا فى قرى محصنة بالخنادق والدروب أو الا اذا كان بينكم و بينهم حائط وذلك بسبب ان الله ألقى فى قلوبهم الرعب وان نصرة الله معكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو جدار بكسر الجيم وفتح الدال بالامالة فى جدار كما هو قراءة أبى عمرو و بالصلة فى بينهم بحيث يتولد منها واو كما هو قراءة ابن كثير والباقون جدر بضم الجيم والدال (بأسهم بينهم شديد) أى قتالهم فيما بينهم شديد اذا قاتلوا قومهم (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) أى تحسبهم فى صورتهم مجتمعين على المحبة متفقين على أمر واحد والحال أن قلوبهم مختلفة لان كل أحد منهم على مذهب آخر و بينهم عداوة شديدة (ذلك) أى تشتت قلوبهم (بأنهم قوم لا يعقلون) أن تشتيت قلوبهم مما يوهن قواهم اذ لو عقلوا لاجتمعوا على الحق ولم يتفرقوا فى العقائد والمقاصد (كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم) أى صفة بنى قريظة فى نقض العهد كصفة الذين من قبلهم بسنتين وهم بنو النضير ذاقوا عقوبة أمرهم من نقض العهد (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم كمثل الشيطان) أى ومثل المنافقين فى اغرائهم اياهم على القتال وخذلانهم كمثل الابيض مع برصيصا العابد فالابيض هو صاحب الأنبياء والاولياء وهو الذى تصدى للنبى صلى الله عليه وسلم وجاءه فى صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحى فدفعه جبريل الى أقصى أرض الهند (اذ قال) أى الشيطان الذى يقال له الابيض (للانسان) أى العابد الذى يقال له برصيصا (اكفر) بالله (فلما كفر) بالله خذله و (قال انى برىء منك) أى ليس بينى و بينك محبة أصلا وقرئ أنا برىء منك روى عطاء وغيره عن ابن عباس قال كان راهب يقال له برصيصا تعبد فى صومعة له سبعين سنة لم يعص الله تعالى فيها طرفة عين وان ابليس أعياه فى أمره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين فقال الابيض لابليس أنا أكفيك أمره فانطلق

وذلك قوله (لا ...)
انهم لكاذبون) ويقال فى الثانية وذكر أنهم ان نصروهم انهزموا ولم ينتصروا وهو قوله تعالى (ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لاينصرون لانتم) أيها المؤمنون (أشد رهبة فى صدورهم) يعنى صدور المنافقين (من الله) أى فى صدور المنافقين يقول أنتم أهيب فى صدورهم من الله لانهم يخفون منكم موافقة اليهود خوفا منكم ولا يخافون الله فيتركون ذلك (لا يقاتلونكم جميعا) يعنى اليهود (الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر) أى لما ألقى الله فى قلوبهم من الرعب لا يقاتلونكم الا متحصنين بالقرى والجدران ولا يبرزون لقتالكم (بأسهم بينهم شديد) أى خلافهم بينهم عظيم (تحسبهم جميعا) أى مجتمعين متفقين (وقلوبهم شتى) أى مختلفة متفرقة (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) عن الله أمره (كمثل الذين من قبلهم) يعنى المشركين يقول هم فى تركهم الايمان وغفلتهم عن الله كالذين من قبلهم (قريبا ذاقوا وبال أمرهم) يعنى أهل بدر ذاقوا العذاب عدة قليلة من قبل ماحل بالنضير من الجلاء والنفى وكان ذلك بعد مرجعه من أحد وقوله (كمثل الشيطان) يعنى أن المنافقين فى نصرتهم اليهود كمثل الشيطان (اذ قال للانسان اكفر) يعنى عابدا فى بنى اسرائيل فتنه الشيطان حتى كفر ثم خذله كذلك المنافقون منوا بنى النضير نصرهم ثم خذلوهم وتبرؤا منهم

فتنزيا

فتزيا بزي الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل عن صلاته الا في كل عشرة أيام مرة ولا يفطر في كل عشرة أيام الا مرة فأقبل الابيض يصلي في أصل صومعة برصيصا فلم يلتفت اليه برصيصا أربعين يوما فلما رأى برصيصا شدة اجتهاد الابيض في العبادة قال له ما حاجتك قال حاجتي أن تأذن لي ان أرتفع اليك فأذن له فارتفع اليه في صومعته فأقام حولا يتعبد فلا يفطر الا في كل أربعين يوما مرة ولا ينفتل من صلاته الا كذلك فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا ان عندي دعوات أعلمكها تدعو بهن فهن خير مما أنت فيه يشفي الله تعالى بها المريض ويعافي بها المبتلى والمجنون قال برصيصا اني أكره هذه المنزلة واني أخاف ان يشغلني الناس عن عبادة ربي فلم يزل به الابيض حتى علمه الدعوات ثم انطلق حتى أتى ابليس فقال والله قد أهلكت الرجل فانطلق الابيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاءه في صورة رجل مطبب فقال لاهله ان لصاحبكم جنونا أفأعالجه قالوا نعم فقال اني لا أقوى على جنيته ولكن سأرشدكم الى من يدعو الله تعالى فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الذي اذا دعا به أجيب فانطلقوا اليه فسألوه الدعاء فدعا له فذهب عنه الشيطان فكان الابيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو لهم فيعافون ثم تعرض الابيض لبنت ملك من ملوك بني اسرائيل وكان لها ثلاثة اخوة وكان ملك بني اسرائيل عمهم حينئذ ثم جاء الابيض اليهم في صورة رجل مطبب فقال أفأعالجها قالوا نعم قال ان الذي عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم الى رجل تثقون به تتركونها عنده اذا جاءها شيطانها دعا لها حتى تعلموا انها قد عوفيت فتأخذونها منه صحيحة قالوا ومن هو قال هو برصيصا فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فأبى فبنوا صومعة ألصقوها بصومعة برصيصا ووضعوا تلك البنت في صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه أختنا أمانة عندك ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا من صلاته عاين تلك البنت وما هي عليه من الجمال فوقعت في قلبه فجاءها الشيطان فخنقها فكانت تكشف عن نفسها وتتعرض لبرصيصا فجاءه الشيطان وقال ويحك واقعها فلم تجد مثلها وستتوب بعد ذلك فلم يزل الشيطان به حتى واقعها فلم يزل على ذلك حتى حملت البنت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك برصيصا فهل لك أن تقتلها وتتوب فقتلها فدفنها ليلا جانب الجبل فجاء الشيطان وقتئذ فأخذ بطرف ازارها فبقي خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته وأقبل على صلاته اذ جاء اخوتها الذين يتعهدونها فلما لم يجدوها قالوا يا برصيصا ما فعلت أختنا قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه فصدقوه وانصرفوا فلما أمسوا مكروبين جاء الشيطان الى أكبرهم في منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل بأختك كذا وكذا وانه دفنها في موضع كذا وكذا فقال في نفسه هذا حلم من عمل الشيطان فتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث ففعل الشيطان بأوسطهم مثل ذلك فقال مثل قول أكبرهم ولم يخبر بذلك الحلم أحدا ففعل بأصغرهم مثل ذلك فقال لاخويه والله لقد رأيت كذا وكذا فقال الاوسط أنا والله رأيت مثل ذلك وقال الاكبر أنا والله رأيت مثله فانطلقوا الى برصيصا وقالوا له ما فعلت بأختنا فقال أليس قد أعلمتكم بحالها فكأنكم قد اتهمتموني فقالوا والله لا نتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان فقال ويحكم انها مدفونة في موضع كذا وكذا وان طرف ازارها خارج من التراب فانطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوا في النوم فذهبوا الى برصيصا ومعهم غلمانهم بالفؤوس والمساحي فهدموا صومعة برصيصا وأنزلوه منها وكتفوه ثم أتوا به الى الملك فأقر على نفسه فأمر الملك فقتله وصلبه على خشبة ولما صلب أتاه الابيض فقال يا برصيصا أتعرفني قال لا قال أنا صاحبك الذي علمتك الدعوات فأستجيب لك فلم يزل الابيض يعيره قال برصيصا له فكيف أصنع قال تطيعني في خصلة واحدة حتى أنجيك مما أنت فيه من العذاب وأخرجك من مكانك قال وما هي قال تسجد لي قال أفعل فسجد له فقال يا برصيصا

هـذا الذى أردت منك قد صارت عاقبة أمرك الى أن كفرت بربك انى برىء منك (انى أخاف الله رب العالمين) وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو انى بفتح الياء (فكان عاقبتهما) أى الشيطان والراهب (أنهما فى النار خالدين فيها) وعاقبتهما بالنصب خبر كان مقدم وقرئ شاذا بالرفع وقرأ ابن مسعود خالدان فيها على انه خبر ان وفى النار لغو (وذلك) أى الخلود فى النار (جزاء الظالمين) أى المشركين (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) فى كل ما تأتون وما تذرون (ولتنظر نفس) برة أو فاجرة (ماقدمت لغد) أى ما تريدان تحصله ليوم القيامة فتفعله (واتقوا الله) باداء الواجبات وترك المعاصى (ان الله خبير بما تعملون) من الخير والشر فلا تعملون عملا الا كان بمرأى منه تعالى ومسمع فاستحيوا منه تعالى (ولا تكونوا) يامعشر المؤمنين (كالذين نسوا الله) أى نسوا حق الله كالمنافقين واليهود فان المنافقين تركوا طاعة الله فى السر واليهود تركوا طاعة الله فى السر والعلانية (فأنساهم أنفسهم) أى فجعلهم الله ناسين حق أنفسهم حتى لم يعملوا لانفسهم ما ينفعهم عنده تعالى (أولئك هم الفاسقون) أى الكاملون فى الفسوق أى الخروج عن دائرة الطاعة (لا يستوى أصحاب النار) الذين نسوا الله تعالى (وأصحاب الجنة) الذين اتقوا الله تعالى لا فى الدنيا ولا فى الآخرة بوجه من الوجوه واحتج بهذه الآية أصحابنا على أن المسلم لا يقتل بالذمى (أصحاب الجنة هم الفائزون) بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) أى لو جعلنا فى الجبل على قساوته عقلا كما جعلنا العقل فيكم ثم أنزلنا عليه هذا القرآن المنطوى على فنون القوارع لخشع وتشقق خشية من الله وخوفا أن لا يؤدى حقه فى تعظيم القرآن وأنتم أيها المعترفون باعجازه لا ترغبون فى وعده ولا ترهبون من وعيده (وتلك الامثال نضربها للناس) أى نبينها لهم فى القرآن (لعلهم يتفكرون) أى لكى يتأملوا مواعظ القرآن فانه لا عذر فى ترك التدبر فانه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه ولرأيتها ذليلة متشققة من خشية الله (هو الله الذى لا اله الا هو) وحده (عالم الغيب والشهادة) أى عالم ما غاب عن العباد وما شاهدوه وقال ابن عباس عالم السر والعلانية وقال سهل عالم بالآخرة والدنيا وقيل عالم ما غاب عن الوجود وهو المعدوم وعالم الموجود (هو الرحمن الرحيم) أى هو العاطف على العباد البر والفاجر بالرزق لهم المنعم على المؤمنين خاصة بالمغفرة ودخول الجنة (هو الله الذى لا اله الا هو) أى لا معبود بحق الا هو وحده (الملك) أى المتصرف بالامر والنهى فى جميع خلقه (القدوس) أى البليغ فى النزاهة فى الذات والصفات والافعال والاحكام والاسماء قال الحسن أى الذى كثرت بركاته (السلام) أى الذى لا يطرأ عليه شئ من العيوب فى الزمان المستقبل (المؤمن) أى واهب الامن (المهيمن) أى الحافظ لكل شئ (العزيز) أى الذى لا يوجد له نظير أو الغالب (الجبار) أى الملك العظيم كما قاله ابن عباس أو مصلح أحوال العباد أو الذى يقهرهم على ما أراد (المتكبر) بربوبيته كما قاله ابن عباس أو المتعظم عن كل سوء كما قاله قتادة أو الذى تعظم عن ظلم العباد (سبحان الله عما يشركون) أى تنزيها له تعالى عما يشركون به (هو الله الخالق) أى المقدر لما يوجده فيرجع الى تعلق الارادة التنجيزى القديم (البارئ) أى المبرز للاعيان من العدم الى الوجود فيرجع لتأثير القدرة الحادث فى خصوص الاعيان (المصور) أى مصور الأشياء على هيآت مختلفة كما يريد تعالى فالتصوير آخر والتقدير أولا والبرء بينهما وقرأ على بن أبى طالب والحسن بفتح الواو وبالنصب مفعول للبارئ (له الاسماء الحسنى) أى له تعالى الاسماء الدالة على معانى الصفات الحسنة (يسبح له ما فى السموات والارض) أى ينطق ما فيهما بتنزهه تعالى عن جميع النقائص تنزها ظاهرا (وهو العزيز الحكيم) الجامع للكمالات كافة فانها

(فكان عاقبتهما) يعنى عاقبة الشيطان والكافر (أنهما فى النار) الآية (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) يريد باداء فرائضه واجتناب معاصيه (ولتنظر نفس ماقدمت لغد) أى ليوم القيامة من طاعة وعمل صالح وقوله (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) أى تركوا طاعة الله وأمره (فأنساهم أنفسهم) يعنى حظ أنفسهم يعنى حظ أنفسهم أن يقدموا لها خيرا (لو أنزلنا هذا القرآن) الآية أخبر الله تعالى أن من شأن القرآن وعظمته أنه لو جعل فى الجبل تمييز كما جعل فى الانسان وأنزل عليه القرآن لخشع وتصدع أى تشقق من خشية الله (هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة) أى السر والعلانية وقوله (الملك) أى ذو الملك (القدوس) يعنى الطاهر عما لا يليق به (السلام) أى ذو السلامة من الآفات والنقائص (المؤمن) أى المصدق رسله بخلق المعجزة لهم وقيل الذى أمن خلقه من ظلمه (المهيمن) أى الشهيد (العزيز) أى القوى (الجبار) أى الذى جبر الخلق على ما أراد من أمره (المتكبر) عما لا يليق به

راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم

﴿سورة الممتحنة وتسمى سورة براءة والمبعثرة والفاضحة مدنية ثلاث
عشرة آية وثلاثمائة وثمان وأربعون كلمة وألف
وخمسمائة وعشرة أحرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى) فى الدين (وعدوكم) فى القتل وهم كفار مكة (أولياء تلقون اليهم بالمودّة) أى توصلون المودة بينكم وبينهم روى ان حاطب بن أبى بلتعة كتب الى أهل مكة كتابا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يغزوكم فخذوا حذركم ثم أرسله مع سارة مولاة أبى عمرو بن صيفى فأتاها حاطب وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها ذلك الكتاب الى أهل مكة فخرجت سائرة فأطلع الله رسوله على ذلك فبعث عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ موضع بينه وبين المدينة اثنا عشر ميلا فان فيها ظعينة معها كتاب حاطب الى أهل مكة فخذوه منها واتركوها فان أبت فاضربوا عنقها فادركوها ثمة وسألوا عن ذلك فانكرت وحلفت مامعها كتاب فسل على سيفه وقال والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجته من عقاص شعرها فخلوا سبيلها فجاؤا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال له هل تعرف هذا الكتاب قال نعم قال ما حملك على هذا قال ان لى بمكة أهلا ومالا فأردت أن أتقرب منهم وقد علمت ان الله تعالى ينزل بأسه عليهم وان كتابى لا يغنى عنهم شيأ وان الله ناصرك عليهم فصدقه وقبل عذره فقال عمر دعنى يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا ومايدريك يا عمر لعل الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم فنزلت هذه الآية وروى ان سارة عاشت الى خلافة عمر وأسلمت وحسن اسلامها (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) أى وحالهم انهم كفروا بما جاءكم من الدين الحق وقرئ لما جاءكم أى كفروا لاجل ما جاءكم من الرسول والقرآن أى جعلوا ما هو سبب الايمان سببا للكفر (يخرجون الرسول واياكم) من مكة الى المدينة (أن تؤمنوا بالله ربكم) وهذا تعليل للاخراج أى يخرجوكم لايمانكم بالله (ان كنتم خرجتم) من مكة الى المدينة (جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى) وهذا مرتبط بلا تتخذوا أى لا تتولوا أعدائى ان كنتم أوليائى (تسرون اليهم بالمودّة) أى بالنصيحة وهذه الجملة بدل من تلقون اليهم بدل بعض لان القاء المحبة يكون سرا وجهرا (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) أى والحال انى أعلم منكم بما أخفيتم فى صدوركم وما أظهرتم بألسنتكم فأى فائدة لكم فى اسرار النصيحة وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان فى علمى (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) أى ومن يفعل اسرار النصيحة للكفار فقد أخطأ طريق الصواب هذا كله معاتبة لحاطب وهذا يدل على فضله وصدق ايمانه فان المعاتبة لا تكون الا من محب لحبيب كما قال القائل من الوافر

اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقى العتاب

(ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء) أى ان يغلب عليكم أهل مكة تظهروا ما فى قلوبهم من غاية العداوة (ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) أى يمدوا اليكم أيديهم بالضرب والقتل وألسنتهم بالشتم

فى حاطب بن أبى بلتعة كتب لمشركى مكة ينذرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الخروج اليهم (تلقون اليهم بالمودة) أى تلقون أخبار النبى صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التى بينكم وبينهم (وقد كفروا) أى وحالهم أنهم كافرون (بما جاءكم من الحق) أى دين الاسلام والقرآن (يخرجون الرسول واياكم) أيها المؤمنون من مكة (أن تؤمنوا) أى لان آمنتم (بالله ربكم ان كنتم خرجتم) من مكة (جهادا) أى للجهاد (فى سبيلى وابتغاء مرضاتى) وجواب هذا الشرط متقدم وهو قوله لا تتخذوا عدوّى أى لا تتخذوهم أولياء ان كنتم تبتغون مرضاتى وقوله (تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) وذلك أن الله تعالى أطلع نبيه على مكاتبة حاطب المشركين حتى استرد الكتاب ممن دفعه اليه ليوصله اليهم (ومن يفعله منكم) أى الاسرار اليهم (فقد ضل سواء السبيل) أى أخطأ طريق الدين ثم أعلم أنه ليس ينفعهم ذلك عند المشركين فقال (ان يثقفوكم) أى يلقوكم ويظفروا بكم (يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم) بالضرب والقتل (وألسنتهم بالسوء) أى بالشتم

والطعن (وودّوا لو تكفرون) أي وتمنوا كفركم بعد ايمانكم فحينئذ لا ينفعكم القاء المودة اليهم (لن تنفعكم أرحامكم) أي قراباتكم (ولا أولادكم) الذين تتقربون الى المشركين لاجلهم (يوم القيامة يفصل بينكم) والظرف ان علق بيفصل فالوقف على أولادكم وقف بيان أو وقف تام عند أبي حاتم والوقف على بينكم تام وان علق بتنفعكم فالوقف على يوم القيامة وهو وقف صالح وقرأ ابن عامر يفصل بضم الياء وفتح الفاء وتشديد الصاد مع فتحها ونائب الفاعل ظرف مبني على الفتح وحمزة والكسائي كذلك الا انهما يكسران الصاد أي يفرق الله بينكم و بين أقاربكم وأولادكم فيدخل أهل الايمان الجنة وأهل الكفر النار وعاصم بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد والباقون وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم الياء وسكون الفاء وفتح الصاد وروى أن ابن كثير قرأ أيضا بالبناء للمفعول كعاصم وقرئ نفصل ونفصل بالنون (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه ولم يقل تعالى خبير مع انه أبلغ في العلم لان البصير أظهر من خبير في العلم لانه تعالى يجعل عملهم كالمحسوس بحس البصر (قد كانت لكم اسوة حسنة) أي قدوة حسنة (في ابراهيم) أي في جميع أحواله من قول وفعل (والذين معه) من أصحابه المؤمنين وقرأ عاصم أسوة بضم الهمزة في الموضعين والباقون بكسرها (اذ قالوا) بدل اشتمال من ابراهيم والذين معه (لقومهم) أي لقرابتهم الكفار مع انهم أكثر من عدوكم وأقوى وقد كان من آمن بابراهيم أقل منكم وأضعف (انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله) أي انا متبرؤن من قرابتكم ايانا ومن معبودكم من الأوثان (كفرنا بكم) أي أنكرنا دينكم فلا نعتد بشأنكم وبآلهتكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة) أي ظهر بيننا وبينكم العداوة وهي المباينة في الافعال (والبغضاء) وهي المباينة بالقلوب (أبدا) أي على الدوام (حتى تؤمنوا بالله وحده) وتتركوا الشرك فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة أمر الله تعالى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتدوا بسيدنا ابراهيم ومن معه من الانبياء والاولياء (الا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك) أي فليس لكم الاقتداء بابراهيم في ذلك لانه انما استغفر لابيه لاجل موعدة وعدها اياه لانه ظن أنه أسلم فلما مات على الكفر تبرأ منه وأنتم لا تظنون اسلام الكفار الذين اتخذتموهم أولياء (وما أملك لك من الله من شيء) وهذا حال من فاعل لأستغفرن أي لأستغفرن لك والحال اني لا أدفع عنك شيأ من عذاب الله ان أشركت به أي وما علي الا بذل الوسع في الاستغفار فوعده الاستغفار رجاء الاسلام وقال ابن عباس كان من دعاء ابراهيم وأصحابه (ربنا عليك توكلنا) أي في جميع أمورنا (واليك أنبنا) أي رجعنا بالتوبة عن المعصية وأقبلنا الى طاعتك (واليك المصير) اذ المصير ليس الا الى حضرتك (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) أي مفتونين بهم قال ابن عباس لا تسلط علينا أعداءنا فيظنوا انهم على الحق وقال مجاهد لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما أصابهم ذلك (واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم) أي أنت الذي تغلب في ملكك الحكيم في صنعك (لقد كان لكم) يا أمة محمد (فيهم) أي في ابراهيم والذين معه (أسوة حسنة) قال ابن عباس كانوا يبغضون من خالف الله ويحبون من أحب الله وهذا هو الحث على الائتساء بابراهيم وقومه (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أي لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة وقوله لمن الخ بدل من لكم بدل بعض من كل (ومن يتول) أي يعرض عن الائتساء بهم ويمل الى مودة الكفار (فان الله هو الغني) عنه وعن سائر خلقه (الحميد) أي المحمود في فعاله قال مقاتل لما أمر الله تعالى المؤمنين بعداوة الكفار شددوا في عداوة آبائهم

وأبنائهم

يناصحون المشركين لا ينفعونهم شيأ في القيامة فقال (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم) المشركون (يوم القيامة يفصل بينكم) فيدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار ثم أمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بأصحاب ابراهيم فقال (قد كانت لكم أسوة) أي ائتمام واقتداء وطريقة (حسنة في ابراهيم والذين معه) من أصحابه اذ تبرؤا من قومهم الكفار وعادوهم وقالوا لهم (كفرنا بكم) أي أنكرناكم وقطعنا صحبتكم وقوله (الا قول ابراهيم لابيه) أي كانت لكم أسوة فيهم فيما خلا هذا فانه لا يجوز الاستغفار للمشركين ثم أخبر أنهم قالوا يعني قوم ابراهيم (ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) أي لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم على حق فيفتتنوا بذلك (لقد كان لكم فيهم) أي في ابراهيم والذين معه (أسوة حسنة) تقتدون بهم فتفعلون من البراءة عن الكفار كما فعلوا وتقولون كما قالوا مما أخبر عنهم ثم بين أن هذا الاقتداء بهم (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ومن يتول) عن الحق ووالى الكفار (فان الله هو الغني الحميد)

وأبنائهم وجميع أقاربهم فأنزل الله تعالى قوله تعالى (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) أي من كفار مكة (مودة) أي صلة بمخالطتهم مع أهل الاسلام (والله قدير) أي مبالغ في القدرة فيقدر على تسهيل أسباب المودة (والله غفور رحيم) بهم اذا تابوا وأسلموا ورجعوا الى حضرة الله تعالى فتزوج النبي صلى الله عليه وسلم عام فتح مكة أم حبيبة بنت أبي سفيان فلانت عند ذلك عريكة أبي سفيان واسترخت شكيمته في العداوة وكانت هي قد أسلمت وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش الى الحبشة فتنصر وراودها على النصرانية فأبت وصبرت على دينها ومات زوجها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي فخطبها عليه وساق عنه اليها أربعمائة دينار وبلغ ذلك أباها فقال ذلك الفحل لا يقدع أنفه والمراد بقوله تعالى الذين عاديتم منهم نفر من قريش آمنوا بعد فتح مكة منهم أبو سفيان بن حرب وأبو سفيان بن الحرث والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) أي لاجل دينكم (ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) أي تصلوهم وهو بدل من الذين لم يقاتلوكم (وتقسطوا اليهم) أي تقضوا اليهم بالصلة وغيرها (ان الله يحب المقسطين) أي أهل البر والتواصل عن عبد الله بن الزبير ان هذه الآية نزلت في أسماء بنت أبي بكر فان أمها قتيلة بنت عبد العزى وهي مشركة قدمت عليها بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت هذه الآية فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وقيل نزلت في خزاعة قوم هلال بن عويمر وخزيمة وبني مدلج فانهم صالحوا النبي قبل عام الحديبية على أن لا يقاتلوه ولا يخرجوه من مكة ولا يعينوا أحدا على اخراجه وقيل نزلت في قوم من بني هاشم أخرجوا يوم بدر كرها وهذه الآية تدل على جواز الاحسان بين المشركين والمسلمين وان كانت المناصرة منقطعة (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين) أي لاجل دينكم (وأخرجوكم من دياركم) وهم عتاة أهل مكة (وظاهروا على اخراجكم) أي عاونوا عليه من سائر أهل مكة (أن تولوهم) أي ان تناصروهم وهذا بدل اشتمال من الذين قاتلوكم (ومن يتولهم) أي ومن يحبهم ويناصرهم (فأولئك هم الظالمون) لانفسهم بأقبالها للعذاب لوضعهم المحبة في موضع العداوة (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات) أي المقرات بالله (مهاجرات) من مكة من بين الكفار (فامتحنوهن) أي فاختبروهن بما يغلب على ظنكم بالتحليف وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للممتحنة بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة من أرض الى أرض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ولرسوله (الله أعلم بايمانهن) أي بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما تفرد الله بعلمه (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار) أي فان ظننتموهن بعد الامتحان مؤمنات بالعلائم فلا تردوهن الى أزواجهن المشركين (لا هن حل لهم) أي ليست المؤمنات حلالا لازواجهن الكفار وهذا بيان لزوال النكاح الاول (ولا هم يحلون لهن) أي وليس الكفار حلا للمؤمنات وهذا بيان لامتناع النكاح الجديد (وآتوهم ما أنفقوا) أي وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور فان المهر في نظير أصل العشرة ودوامها وقد فوتها المهاجرة فلا يجمع على الرجل خسارتان الزوجية والمالية وذلك ان الصلح عام الحديبية كان على ان من جاءكم من أهل مكة يرد اليهم ومن أتى مكة منكم لم يرد اليكم وكتبوا بذلك العهد كتابا وختموه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية وأقبل زوجها مسافر المخزومي فقال يا محمد اردد على امرأتي فانك قد شرطت لنا شرطا ان ترد علينا من

(عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) أي من مشركي مكة (مودة) يعني بأن يوليهم الدين فيصيروا لكم أولياء وإخوانا ثم فعل ذلك بعد فتح مكة وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان فلان أبو سفيان للمؤمنين وترك ما كان عليه من العداوة ثم رخص في صلة الذين لم يقاتلوهم من الكفار فقال (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) أي لا ينهاكم الله عن بر هؤلاء (وتقسطوا اليهم) أي تعدلوا فيهم بالاحسان ثم ذكر أنه انما نهاهم عن أن يتولوا مشركي مكة الذين قاتلوهم فقال (انما ينهاكم الله) الآية (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات) نزلت هذه الآية بعد صلح الحديبية وكان الصلح قد وقع على أن يرد الى أهل مكة من جاء من المؤمنين منهم فأنزل الله في النساء اذا جئن مهاجرات أن يمتحن وهو قوله (فامتحنوهن) وهو أن تستحلف ما خرجت بغضا لزوجها ولا عشقا لرجل من المسلمين وما خرجت الا رغبة في الاسلام فاذا حلفت لم ترد الى الكفار وهو قوله (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار) لان المسلمة لا تحل للكافر وقوله (وآتوهم) يعني أزواجهم الكفار (ما أنفقوا) عليهن من المهر

[illegible]

أتاك منا وهذه طية الكتاب لم تجف فنزلت هذه الآية لبيان ان الشرط انما كان فى الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق ثم تزوجها عمر رضى الله عنه وأخرج الطبرانى عن عبد الله ان هذه الآية نزلت فى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وعن الزهرى كانت هربت من زوجها عمرو بن العاص ومعها أخواها عمارة والوليد فحبسها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد أخويها وأخرج ابن أبى حاتم عن يزيد بن أبى حبيب انها نزلت فى أمية بنت بشر امرأة أبى حسان ابن الدحداحة وعن مقاتل انها نزلت فى سعيدة امرأة صيفى بن الواهب (ولاجناح عليكم) يامعشر المؤمنين (أن تنكحوهن) بعد الاستبراء (اذا آتيتموهن أجورهن) أى اذا التزمتم مهورهن فالمهر المدفوع للكفار لا يقوم مقام المهر الذى يجب على المسلم اذا تزوجهن اذ المهر أجر البضع قال ابن عباس أيما امرأة أسلمت وزوجها كافر فقد انقطع ما بينها وبين زوجها من عصمة ولا عدة عليها من زوجها الكافر وجاز لها ان تتزوج اذا استبرأت (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) أى لا تأخذوا بعقود الكافرات غير أهل الكتاب قال ابن عباس أيما امرأة كفرت بالله فقد انقطع ما بينها وبين زوجها المؤمن من العصمة وقرئ فى السبعة تمسكوا بضم التاء وسكون الميم وبفتح الميم وتشديد السين وقرئ تمسكوا بفتح التاء والميم وتشديد السين (واسألوا ما أنفقتم) أى اطلبوا أيها المؤمنون من أهل مكة ما أنفقتم على أزواجكم من مهورهن ان دخلن فى دينهم (وليسألوا ما أنفقوا) أى وليطلبوا منكم ما أنفقوا على أزواجهم من المهور ان دخلن فى دينكم (ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم) روى انه لما نزلت هذه الآية أدى المؤمنون مهور المؤمنات المهاجرات الى أزواجهن المشركين وأبى المشركون ان يؤدوا شيأ من مهور الكوافر الى أزواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى (وان فاتكم شئ من أزواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا) أى وان انفلت منكم أحد من أزواجكم ورجع الى الكفار الذين ليس بينكم وبينهم عهد فغنمتم من العدو فأعطوا الذين ذهبت أزواجهم الى الكفار من الغنيمة قبل الخمس مثل ما أنفقوا عليهن من مهر المهاجرة التى تزوجتموها ولا تعطوه زوجها الكافر (واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون) وجميع من ارتدت من نساء المؤمنين ست نسوة أخت أم سلمة فاطمة بنت أبى أمية وأم كلثوم بنت جرول وهما تحت عمر بن الخطاب وأم الحكم بنت أبى سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهرى وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان من بنى مخزوم وعبدة بنت عبد العزى كانت تحت عمرو بن عبدود وهند بنت أبى جهل كانت تحت هاشم بن العاص فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهر نسائهم من الغنيمة (ياأيها النبى اذا جاءك المؤمنات) أى نساء أهل مكة بعد فتح مكة (يبايعنك) أى قاصدات المشارطة (على أن لا يشركن بالله شيأ) من الاشراك (ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن) وقرئ ولا يقتلن بتشديد التاء (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) كانت المرأة تلتقط المولود من الزنا فتقول لزوجها هو ولدى منك كنى عن هذا بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها لان بطنها الذى تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها (ولا يعصينك فى معروف) أى فيما تأمرهن به من معروف وهو ما عرف حسنه من جهة الشرع وهذا تنبيه على نفى جواز طاعة مخلوق فى معصية الخالق وذلك كترك النوح وجز الشعر ونتفه وحلق الرأس وخمش الوجه وشق الجيوب وتمزيق الثياب وان لا يخلون مع رجل غير محرم وان لا يسافرن مع غير ذى محرم (فبايعهن) أى فشارطهن على ذلك (واستغفر لهن الله) فيما سلف منهن

(ولاجناح عليكم أن [illegible]) الاسلام أبطل تلك الزوجية (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) (أى لا تمسكوا بنكاحهن فان العصمة لا تبقى بين المشركة والمؤمن والمعنى ان لحقت بالمشركين واحدة من نسائكم فلا تمسكوا بنكاحها (واسألوا ما أنفقتم) عليهن من المهر ممن يتزوجهن من الكفار (وليسألوا) يعنى المشركين (ما أنفقوا) يعنى من المهر فلما نزلت هذه الآية أدى المؤمنون ما أمروا به من نفقات المشركين على نسائهم وأبى المشركون ذلك فأنزل الله تعالى (وان فاتكم شئ من أزواجكم الى الكفار) أى ان لحقت واحدة من نسائكم مرتدة بالكفار (فعاقبتم) فغزوتموهم بريد وكانت العقبى لكم (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم) الى الكفار (مثل ما أنفقوا) عليهن من الغنائم ثم أنزل فى بيعة النساء (ياأيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيأ ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) أى لا يأتين بولد ينسبنه الى الزوج فان ذلك بهتان وفرية (ولا يعصينك فى معروف) أى فيما يوافق طاعة الله (فبايعهن) أمره أن يبايعهن على الشرائط التى ذكرها فى هذه الآية ثم نهى المؤمنين عن موالاة اليهود فقال

منهن في الجاهلية (ان الله غفور رحيم) أي بليغ المغفرة والرحمة روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بيعة الرجال يوم فتح مكة جلس على الصفا ومعه عمر أسفل منه فجعل يبايع النساء وكانت جملتهن اذ ذاك أربعمائة وسبعا وخمسين امرأة ولم يصافح في البيعة امرأة وانما بايعهن بالكلام وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بايع النساء دعا بقدح من ماء فغمس يده فيه فغمسن أيديهن فيه وكانت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها لما صنعت بحمزة يوم أحد فقال النبي صلى الله عليه وسلم أبايعكن على ان لا تشركن بالله شيأ فرفعت هند رأسها وقالت لقد عبدنا الاصنام وانك لتأخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على الرجال تبايع الرجال على الاسلام والجهاد فقط ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم ولا تسرقن قالت هند ان أبا سفيان رجل شحيح واني أصبت من ماله هنات فما أدري أتحل لي أم لا فقال أبو سفيان ما أصبت من شئ فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فلما قال ولا تزنين فقالت أوتزني الحرة فلما قال ولا تقتلن أولادهن قالت ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا وكان ابنها حنظلة قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ولا يأتين ببهتان الخ قالت والله ان البهتان لقبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ولما قال ولا تعصينني في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا ان نعصيك في شئ فاقر النسوة بما أخذ عليهن من البيعة (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) أي لا تحبوا اليهود فانهم قوم غضب الله عليهم روى ان جماعة من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين لحاجتهم اليهم من اصابة ثمارهم فنهوا عن ذلك بهذه الاية (قد يئسوا من الآخرة) أي قد حرموا من ثواب الآخرة (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) أي كما حرم من ذلك الذين ماتوا منهم وقال أبو اسحق يئس اليهود الذين عاندوا النبي صلى الله عليه وسلم كما يئس الكفار الذين لا يؤمنون بالبعث من موتاهم

﴿سورة الصف مدنية أربع عشرة آية ومائتان واحدى وعشرون كلمة
وتسعمائة وستة وعشرون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبح لله ما في السموات وما في الارض) أي شهد له تعالى بالربوبية والوحدانية وغيرهما من الصفات السنية جميع ما في السموات والارض (وهو العزيز) أي الذي يغلب على غيره (الحكيم) أي الذي يضع الاشياء في أتقن مواضعها (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) روى ان المسلمين قالوا لو علمنا أحب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا ولما نزل الجهاد كرهوه فنزلت هذه الآية أي لم تعدون ما لا توفون وقيل انها نزلت فيمن يتمدح كاذبا حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهذا أي لم تتكلمون بما لا تعملون (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) قال الزجاج أي كبر قولكم ما لا تفعلون بغضا عند الله (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله) أي في طاعته تعالى (صفا) في القتال قرأ زيد بن علي يقاتلون بفتح التاء وقرئ يقتلون أي يصفون وصفا حال من فاعل يقاتلون أي صافين أنفسهم أو مصفوفين (كأنهم بنيان مرصوص) أي مشبهين ببنيان ألصق بعضه على بعض حتى صار شيأ واحدا (واذ قال موسى لقومه) أي واذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال وقت قول موسى لبني اسرائيل يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا بأمره (يا قوم لم تؤذونني) أي بالمخالفة فيما أمرتكم به (وقد تعلمون أني رسول الله

(يا أيها الذين آمنوا [illegible] قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة) أن يكون لهم فيها ثواب (كما يئس الكفار) يريد الذين لا يوقنون بالبعث (من أصحاب القبور) أن يبعثوا وقيل كما يئس الكفار الذين في القبور من أن يكون لهم في الآخرة خير

﴿تفسير سورة الصف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبح لله) الآية (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) كان المؤمنون يقولون لو علمنا أحب الاعمال الى الله لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فأخبروا بذلك في قوله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا الآية واعلموا أن أحب الاعمال الى الله الجهاد فلم يفوا بما قالوا وانهزموا يوم أحد فعيروا بهذه الآية وقوله (كبر مقتا عند الله) أي عظم ذلك في البغض (أن تقولوا ما لا تفعلون) (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) أي لاصق بعضه ببعض لا يزولون عن أماكنهم (واذ قال) أي اذكر يا محمد لقومك قصة موسى اذ قال (موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني) وذلك حين رموه بالادرة (وقد تعلمون أني رسول الله اليكم) والرسول يعظم ولا يؤذى

اليكم) لارشدكم الى خير الدنيا والآخرة وقضية علمكم بذلك موجبة للتعظيم والمسارعة الى الطاعة (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) أى لما مالوا عن الحق وكذبوا موسى زاد الله زيغ قلوبهم حتى صرفها عن قبول الحق وقال مقاتل أى لما عدلوا عن الحق بأبدانهم أمال الله قلوبهم عن الحق جزاء ما عملوا (والله لا يهدى القوم الفاسقين) أى لا يهدى من سبق فى علمه تعالى انه خارج عن مناهج الحق مصر على الغواية (واذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى) أى مصدقا لما قبلى (من التوراة) ومن كتب الله ومن أنبيائه جميعا (ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وشعبة بفتح الياء على الاصل وهو الاختيار عند الخليل وسيبويه فى كل موضع تذهب فيه الياء لالتقاء الساكنين والباقون بالسكون وهو حذف الياء من اللفظ لالتقاء الساكنين وهما الياء والسين كما قاله المبرد وأبو على (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) أى فلما جاء عيسى بنى اسرائيل بالمعجزات الظاهرة قالوا هذا المأتى به سحر بين وقرأ حمزة والكسائى ساحر بفتح السين مع الالف ويقال فلما جاءهم أحمد بالتى تبين أن الذى أتى به من عند الله قالوا هذا الآتى بالبينات ساحر بين (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام) أى أى الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذى فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله من نسبة الولد اليه ووصف أنبيائه بالسحرة (والله لا يهدى القوم الظالمين) أى لا يوفقهم الله للطاعة عقوبة لهم (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم) أى يريدون رد رسالة الرسول ليبطلوا دين الله بقولهم ان الرسول ساحر وليبطلوا كتاب الله بقولهم انه سحر (والله متم نوره) بالاضافة وتركه أى والله مبلغ نوره الى غايته بنشره فى الآفاق (ولو كره الكافرون) أى ولو كره المشركون واليهود والنصارى اتمام النور وعن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم أبطأ عليه الوحى أربعين يوما فقال كعب بن الاشرف يامعشر اليهود أبشروا فقد أطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه وما كان ليتم أمره فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية واتصل الوحى بعدها (هو الذى أرسل رسوله) وقرئ نبيه أى محمدا صلى الله عليه وسلم (بالهدى) أى بالقرآن (ودين الحق ليظهره على الدين كله) أى ليعليه على جميع الاديان المخالفة له (ولو كره المشركون) اعلاءه عليها (ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) وهى التجارة بين أهل الايمان وحضرة الله تعالى وقرأ ابن عامر بفتح النون وتشديد الجيم قال مقاتل نزلت هذه الآية فى عثمان ابن مظعون وذلك أنه قال لرسول الله لو أذنت لى فطلقت خولة وترهبت واختصيت وحرمت اللحم ولا أنام الليل أبدا ولا أفطر نهارا أبدا فقال صلى الله عليه وسلم ان من سنتى النكاح ولا رهبانية فى الاسلام انما رهبانية أمتى الجهاد فى سبيل الله وخصاء أمتى الصوم ولا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ومن سنتى أنام وأقوم وأفطر وأصوم فمن رغب عن سنتى فليس منى فقال عثمان والله لوددت يارسول الله ان أعلم أى التجارات أحب الى الله فأتجر فيها فنزلت (تؤمنون بالله ورسوله) وهذا استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل فقال تعالى تؤمنون أى تدومون على الايمان (وتجاهدون فى سبيل الله) أى فى طاعته (بأموالكم وأنفسكم) أى بنفقة أموالكم وبخروج أنفسكم والجهاد بعد هذين الوجهين ثلاثة جهاد فيما بينه وبين نفسه وهو قهر النفس ومنعها عن اللذات والشهوات وجهاد فيما بينه وبين الخلق وهو أن يدع الطمع منهم ويشفق عليهم ويرحمهم وجهاد فيما بينه وبين الدنيا وهو أن يتخذها زاد المعاد فيكون الجهاد على خمسة أوجه وقرئ آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر (ذلكم) أى الذى أمرتم به من الايمان والجهاد (خير لكم) من أن تتبعوا

(فلما زاغوا) يعنى عدلوا عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) أى أضلهم الله وصرف قلوبهم عن الحق (والله لا يهدى القوم الفاسقين) يعنى من سبق فى علمه انه فاسق وقوله

اهواءكم

أهواءكم (ان كنتم تعلمون) أى ان كنتم تنتفعون بما علمتم فهو خير لكم (يغفر لكم ذنوبكم) وهذا جواب قوله تؤمنون الخ لما فيه معنى الامر وهو بمنزلة الثمن الذى يدفعه المشترى وقوله يغفر لكم الخ بمنزلة المبيع الذى يأخذه المشترى من البائع فى مقابلة الثمن المدفوع له (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن) وهى قصبة الجنان والساكن الطيبة قصر من لؤلؤة فى الجنة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا فى كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام فى كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة فيعطى الله تعالى المؤمن من القوة فى غداة واحدة ما يأتى على ذلك كله (ذلك) أى الجزاء الذى هو المغفرة وادخال الجنات (الفوز العظيم) أى الذى لا فوز وراءه (وأخرى) وهو اما مرفوع أى ولكم تجارة أخرى فى العاجل مع ثواب الآجل أو منصوب بفعل مضمر اما من نوع الاشتغال أى وتحبون خصلة أخرى فى الدنيا مع ثواب الآخرة أو من نوع معطوف على الجواب أى ويعطكم نعمة أخرى أو مخفوض عطفا على تجارة (تحبونها) أى تشتهون أن تكون لكم (نصر من الله) بمحمد على كفار قريش (وفتح قريب) أى عاجل وهو فتح مكة وقرئ نصرا من الله وفتحا قريبا وقوله نصر من الله الخ مفسر لاخرى وهو ربح للتجارة (وبشر المؤمنين) عطف على تؤمنون لانه فى معنى الامر كأنه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر المؤمنين يا رسول الله بذلك (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو أنصارا منونا ولله جارا ومجرورا والباقون أنصار الله مضافا للجلالة وقرأ ابن مسعود كونوا أنتم أنصار الله (كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله) والتشبيه باعتبار المعنى أى كونوا أنصار دين الله كما كان الحواريون أنصاره حين قال لهم عيسى من أنصارى الى الله أى من أعوانى مع الله على أعدائه أو المعنى قل لهم كونوا أنصار دين الله كما قال عيسى لاصفيائه وهم أول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا (فآمنت طائفة من بنى اسرائيل) بعيسى بن مريم (وكفرت طائفة) وهم الذين أضلهم بولس أى لما رفع عيسى الى السماء تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالت كان عيسى الله فارتفع وفرقة قالت كان ابن الله فرفعه اليه وفرقة قالت كان عبد الله ورسوله فرفعه اليه فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على الفرقة المؤمنة حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الفرقة الكافرة فذلك قوله تعالى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم) أى فأعنا الذين لم يخالفوا دين عيسى على الذين خالفوه (فأصبحوا ظاهرين) أى فصاروا غالبين على أهل الاديان بالحجة

﴿سورة الجمعة مدنية احدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة﴾

﴿وثمانية وأربعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يسبح لله) أى يذكر الله بالتنزيه (ما فى السموات وما فى الارض) أى ما فى جهة العلو والسفل من الخلق (الملك) فكلهم تحت تصرفه وفى قبضة قدرته (القدوس) أى المنزه عما يخطر ببال أوليائه كما نقل عن الغزالى وقيل أى المبارك أو الطاهر بلا ولد ولا شريك (العزيز) أى الغالب فى ملكه بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) أى الذى يضع الاشياء مواضعها وقد قرئت هذه الصفات الاربع بالرفع على المدح (هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم) أى هو الذى أرسل الى العرب رسولا من جملتهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم فهو من جنسهم قال ابن عباس المراد بالاميين الذين ليس لهم كتاب

(وأخرى تحبونها) أى ولكم أخرى تحبونها فى العاجل مع ثواب الآجل ثم بين ما هى فقال (نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) أى أعوانا بالسيف على أعدائه (كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى الى الله) أى مع الله (قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بنى اسرائيل) بعيسى (وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا) قويناهم (على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) أى غالبين

﴿تفسير سورة الجمعة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يسبح لله) الآية (هو الذى بعث فى الاميين) يعنى العرب (رسولا منهم) يريد محمدا صلى الله عليه وسلم

ولا نبي بعث فيهم (يتلوا عليهم آياته) التى تبين رسالته وتظهر نبوته مع كونه أميا مثلهم لم تعهد منه قراءة ولا تعلم وكونه بهذه الصفة أبعد من توهم الاستعانة بالكتابة على ما أتى به من الوحي ولتكون حاله مشابهة لحال أمته الذين بعث فيهم (ويزكيهم) أى يطهرهم من خبث الشرك وخبث الاقوال والافعال (ويعلمهم الكتاب) أى آيات القرآن (والحكمة) أى وجه التمسك بها وقيل الكتاب هو الآيات نصا والحكمة ما أودع فيها من المعانى (وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) أى والحال انهم كانوا من قبل مجيء محمد اليهم بالقرآن لفي ضلال ظاهر لانهم كانوا عبدة الاصنام (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) وآخرين معطوف على الاميين ولما يلحقوا صفة لآخرين أى وبعثه الى غير العرب من أى طائفة كانت لم يلحقوا بالعرب الاول وهم كل من دخل فى الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة ويجوز أن يكون معطوفا على الضمير المنصوب فى ويعلمهم أى ويعلم آخرين من الاميين لم يلحقوا بهم وهم كل من يعلم شريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى آخر الزمان فرسول الله معلمهم بالقوة أى فى المعنى والحكم لانه أصل الخير والفضل (وهو العزيز الحكيم) حيث جعل فى كل واحد من البشر أثر الفقر اليه وجعل فى كل مخلوق ما يشهد بوحدانيته (ذلك) أى تفضيل رسول الله على غيره والحاق أبناء العجم الذين آمنوا وشاهدوا الرسول بقريش فى درجة الفضل (فضل الله) وهو ما لم يكن مستحقا (يؤتيه من يشاء) وهم رسول الله والاميون والآخرون (والله ذو الفضل العظيم) على جميع خلقه فى الدنيا بتعليم الكتاب والحكمة وفى الآخرة بتفخيم الجزاء على الاعمال (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) أى صفة الذين أمروا بأن يعملوا بما فى التوراة ثم لم يعملوا بما أمروا فيها كصفة الحمار يحمل كتبا كبارا فى عدم انتفاعه بها وقال أهل المعانى هذا المثل مثل من يفهم معانى القرآن ولم يعمل به وأعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) أى بئس صفة القوم الذين كذبوا بالتوراة حين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدى القوم الظالمين) لأنفسهم بتكذيب الانبياء (قل يا أيها الذين هادوا) أى الذين تهودوا وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه (ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت) أى ان قلتم انكم أحباء الله من دون محمد وأصحابه فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم سريعا من دار البلية الى دار الكرامة التى أعدها الله لاحبابه وقوله تعالى فتمنوا الموت جواب الشرط والعامة بضم الواو وقرأ ابن السميقيع وابن يعمر وابن أبى اسحق بكسرها وقرأ ابن السميقيع أيضا بفتحها للتخفيف (ان كنتم صادقين) فى زعمكم فتمنوا الموت فان من أيقن بانه من أهل الجنة أحب ان يتخلص اليها وطريقها الموت (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) أى ويأبون التمنى للموت بسبب ما عملوا من الكفر وتحريف الآيات الموجب لدخول النار (والله عليم بالظالمين) أى بظلم الظالمين من تحريف الآيات وعنادهم لها (قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم) أى ان الموت الذى تخافون من ان تتمنوه بلسانكم بسبب ما قدمتموه من تحريف الآيات وغيره ملاقيكم البتة والفاء فى فانه لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وقرأ زيد بن على انه بدون فاء وفى قراءة ابن مسعود تفرون منه ملاقيكم من غير فانه (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) فالله تعالى عالم بما غيبتم عن الخلق من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وبما أسررتم فى أنفسكم من تكذيبكم رسالته (فينبئكم بما كنتم تعملون) اما عيانا مقرونا بملائكم يوم القيامة وبالجزاء ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر (يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله) أى اذا نودى لوقت الصلاة من يوم الجمعة فاذهبوا الى الخطبة والصلاة (وذروا البيع) أى أتركوا المعاملة (ذلكم) أى الذهاب الى ذكر الله وترك المعاملة

(وآخرين) أى وفى آخرين (منهم لما يلحقوا بهم) وهم التابعون وجميع من يدخل فى الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كل من شاهده والى كل من كان بعده من العرب والعجم (مثل الذين حملوا التوراة) أى كلفوا العمل بها (ثم لم يحملوها) أى لم يعملوا بها (كمثل الحمار يحمل أسفارا) أى كتبا يعنى اليهود شبههم فى قلة انتفاعهم بما فى أيديهم من التوراة اذ لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم بالحمار يحمل كتبا ثم قال (بئس مثل القوم) الآية (قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله) الآية مفسرة عند قوله قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة الآية (قل ان الموت الذى تفرون منه) وذلك أنهم علموا أن عاقبتهم النار بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فكرهوا الموت قال الله تعالى (فانه ملاقيكم) أى لا بد لكم منه يلقاكم وتلقونه (يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله) أى فاعملوا الى المشى اليه (وذروا البيع) أى اتركوه

(خير لكم) فى الآخرة من التكسب فى ذلك الوقت (ان كنتم تعلمون) أى ان كنتم أهل العلم فأنتم ترون ذلك خيرا (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله) أى اذا أديت الصلاة فاخرجوا من المسجد ان شئتم لاقامة مصالحكم واطلبوا الرزق ان شئتم فهذه رخصة بعد النهى بقوله تعالى وذروا البيع وعن عراك بن مالك انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد قال اللهم أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتنى فارزقنى من فضلك وأنت خير الرازقين (واذكروا الله كثيرا) على كل حال بالقلب واللسان قال مجاهد لا يكون من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكره قائما وقاعدا ومضطجعا وعن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا أتيتم السوق فقولوا لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير فان من قالها كتب الله له ألف ألف حسنة وحط عنه ألف ألف خطيئة ورفع له ألف ألف درجة (لعلكم تفلحون) أى كى تفوزوا بخير الدارين أى لما جعل يوم الجمعة يوم شكر واظهار سرور وتعظيم نعمة احتيج فيه الى الاجتماع الذى به تقع شهرته فجمعت الجماعات له واحتيج فيه الى الخطبة تذكيرا بالنعمة وهى ما أنعم الله تعالى به عليهم من نعمة الوجود والعقل وغير ذلك مما لا يحصى ولما كان مدار التعظيم انما هو على الصلاة جعلت الصلاة لهذا اليوم وسط النهار ليتم الاجتماع ولم تجز هذه الصلاة الا فى مسجد واحد ليكون أدعى الى الاجتماع (واذا رأوا تجارة أو لهوا) وهو الطبل أى واذا سمعوا صوتا يدل على قدوم التجارة (انفضوا اليها) أى تفرقوا الى التجارة وقرئ اليهما (وتركوك قائما) على المنبر تخطب قال مقاتل ان دحية بن خليفة الكلبى قبل ان يسلم أقبل بتجارة من الشام وكان معه من أنواع التجارة وكان يتلقاه أهل المدينة بالطبل والصفق وكان ذلك فى يوم الجمعة والنبى صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب فخرج الناس اليه وترك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يبق الا اثنا عشر رجلا أو أقل كثمانية أو أكثر كاربعين فقال صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة ونزلت هذه الآية وكان من الذين معه أبو بكر وعمر قال قتادة فعلوا ذلك ثلاث مرات وقال مقاتل بن حبان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الجمعة قبل الخطبة كالعيدين فلما خرج الناس لقدوم دحية بتجارة وظنوا انه ليس فى ترك الخطبة شئ من الاثم أنزل الله تعالى هذه الآية فقدم النبى صلى الله عليه وسلم الخطبة وأخر الصلاة (قل) يا أشرف الخلق للمؤمنين زجرا لهم عن العود لمثل ذلك الفعل (ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة) أى ما عند الله من ثواب الثبات مع النبى صلى الله عليه وسلم خير من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم (والله خير الرازقين) أى أفضل المعطين فمنه اطلبوا الرزق

﴿سورة المنافقون مدنية احدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة﴾

﴿وستة وسبعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا جاءك المنافقون) أى اذا حضر مجلسك منافقوا أهل المدينة عبد الله ابن أبى ومعتب بن قشير وجد بن قيس وكانوا بنى عم (قالوا نشهد انك لرسول الله) وقولهم نشهد يبنى المنافق عن أنفسهم روى زيد بن أرقم قال كنت مع عمى فسمعت عبد الله بن أبى بن سلول يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لعمى فذكر ذلك عمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل رسولا الى عبد الله بن أبى وأصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبنى وأصابنى هم لم يصبنى مثله فجلست فى بيتى فأنزل الله عز وجل اذا

بعد النداء (فاذا قضيت الصلاة) أى فرغ منها (فانتشروا فى الارض) أمر اباحة (وابتغوا من فضل الله) يريد الرزق (واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها) أى تفرقوا عنك الى التجارة وكان صلى الله عليه وسلم فى خطبته يوم الجمعة فقدمت عير وضرب لقدومها الطبل وكان ذلك فى زمن غلاء بالمدينة فتفرق الناس عن النبى صلى الله عليه وسلم للتجارة وصوت الطبل ولم يبق معه الا اثنا عشر رجلا وقوله (وتركوك قائما) أى فى الخطبة (قل ما عند الله) للمؤمنين (خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) أى فاياه فاسألوا ولا تنفضوا عن الرسول لطلب الرزق

﴿تفسير سورة المنافقين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله

[illegible]

يستترون بها من القتل يعنى قوله يحلفون بالله انهم لمنكم وقوله يحلفون بالله ما قالوا (فصدوا عن سبيل الله وماهم منكم) أى منعوا الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (انهم ساء ما كانوا يعملون) أى بئس العمل عملهم (ذلك بأنهم آمنوا) فى الظاهر (ثم كفروا) بالاعتقاد (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) أى فى طولها واستواء خلقها وكان عبد الله بن أبى جسيما فصيحا صحيحا اذا تكلم تسمع النبى صلى الله عليه وسلم قوله وهو قوله (وان يقولوا تسمع لقولهم) ثم اعلم انهم فى ترك التفهم بمنزلة الخشب فقال (كأنهم خشب مسندة) أى ممالة الى الجدار (يحسبون) من جبنهم وسوء ظنهم (كل صيحة عليهم) أى ان نادى مناد فى العسكر أو ارتفع صوت ظنوا أنهم يرادون بذلك لما فى قلوبهم من الرعب (هم العدو) وان كانوا معك (فاحذرهم) ولا تأمنهم (قاتلهم الله) أى لعنهم الله (أنى يؤفكون) أى من أين يصرفون عن الحق بالباطل (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) وذلك أنه لما نزلت هذه الآيات قيل لعبد الله بن أبى لقد أنزلت فيك آى شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لك فلوى رأسه وأعرض بوجهه اظهارا للكراهة (ورأيتهم يصدون) أى يعرضون عما دعوا اليه (وهم مستكبرون) أى لا يستغفرون ثم أخبر أن استغفار الرسول لا ينفعهم شيأ لفسقهم وكفرهم فقال (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم

جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الى قوله هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا الى قوله ليخرجن الاعز منها الاذل فأرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الله قد صدقك (والله يعلم انك لرسوله) سواء أشهد المنافقون بذلك أم لا وهذه جملة معترضة بين قولهم نشهد انك لرسول الله و بين قوله تعالى والله يشهد الخ لاماطة توهم توجه التكذيب الى منطوق كلامهم (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) من اخبارهم عن أنفسهم انهم يشهدون فان ضمير قلوبهم على غير تلك الشهادة (اتخذوا أيمانهم) الكاذبة (جنة) أى سترة عما خافوا على أنفسهم من القتل وقرأ الحسن بكسر همزة ايمانهم (فصدوا عن سبيل الله) أى أعرضوا بأنفسهم عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله وقيل منعوا الضعفة عن اتباع رسول الله فى السر وعن الانفاق فى سبيل الله (انهم ساء ما كانوا يعملون) حيث آثروا الكفر على الايمان وأظهروا خلاف ما أضمروا (ذلك) أى سوء أعمالهم (بأنهم آمنوا) فى الظاهر وشابهوا المسلمين فى نطق كلمة الشهادة وفى الافعال (ثم كفروا) أى ثم ظهر كفرهم بعد ذلك بقولهم ان كان ما يقول محمد حقا فنحن حمير بقولهم فى غزوة تبوك أيطمع هذا الرجل ان تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات (فطبع على قلوبهم) لسوء أفعالهم وقصدهم الاعراض عن الحق وقرئ على البناء للفاعل وقرئ فطبع الله أى تركهم الله فى أنفسهم الجاهلة وأهوائهم الباطلة (فهم لا يفقهون) شيأ فلا يميزون صوابا من خطأ ولا حقا من باطل (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) لضخامتها ولصباحة وجوههم فهم أشباح وقوالب ليس وراءها ألباب وحقائق (وان يقولوا تسمع لقولهم) لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم وحلاوة كلامهم وقرئ يسمع على البناء للمفعول (كأنهم خشب مسندة) أى مشبهين بأخشاب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم أشباحا خالية عن العلم والخير (يحسبون كل صيحة عليهم) أى واقعة عليهم والوقف هنا تام فقوله عليهم مفعول ثان قال مقاتل اذا نادى مناد فى العسكر أو انفلتت دابة أو نشدت ضالة مثلا ظنوا انهم يرادون بذلك لما فى قلوبهم من الرعب وذلك لانهم على وجل من ان يهتك الله أستارهم ويكشف أسرارهم (هم العدو) أى هم الكاملون فى العداوة (فاحذرهم) ان تأمنهم على السر ولا تلتفت الى ظاهرهم فان أعدى الاعادى العدو المكاشر الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى (قاتلهم الله) أى أهلكهم الله فان أصل المعنى أحلهم الله محل من قاتله عدو قاهر يهلكه لان الله تعالى قاهر لكل معاند فاذا قاتلهم أهلكهم (أنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن الحق الى الكفر والضلال (واذا قيل لهم تعالوا) الى رسول الله وتوبوا من الكفر والنفاق (يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) أى حركوها اعراضا واباء روى انه لما نزل القرآن فى فضيحة المنافقين أتاهم عشائرهم من المؤمنين وقالوا لهم ويلكم افتضحتم بالنفاق وأهلكتم أنفسكم فأتوا رسول الله وتوبوا اليه من النفاق واسألوه ان يستغفر لكم فأبوا ذلك فنزلت هذه الآية (ورأيتهم يصدون) أى يعرضون عن الاعتذار (وهم مستكبرون) عن استغفار الرسول لهم (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) أى استغفارك لهم وعدمه سواء

والسبعة

والسبعة بهمزة قطع مفتوحة من غير مد ووصلها قوم على حذف حرف الاستفهام لان أم المعادلة تدل عليه وقرئ شاذا أاستغفرت بهمزة ثم ألف (لن يغفر الله لهم) لرسوخهم فى الكفر (ان الله لا يهدى القوم الفاسقين) أى الذين سبق ذكرهم وهم الكافرون والمنافقون والمستكبرون (هم الذين يقولون) والقائل عبدالله بن أبى لاصحابه المؤمنين الانصار فى غزوة تبوك (لا تنفقوا على من عند رسول الله) وهم فقراء المهاجرين (حتى ينفضوا) أى لاجل أن يتفرقوا عنه وقرئ حتى ينفضوا بضم الياء وسكون النون أى لاجل ان تفنى أزوادهم (ولله خزائن السموات والارض) أى مفاتيح الرزق يعطى من يشاء ويمنع من يشاء (ولكن المنافقين لا يفقهون) ان الله يرزقهم وان أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون (يقولون) فى تبوك (لئن رجعنا) من غزوة بنى المصطلق (الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل) قال المفسرون اختلف أجير عمر وهو جهجاه بن سعيد مع أجير عبدالله بن أبى وهو سنان الجهنى فى بعض الغزوات فأسمع أجير عمر عبدالله بن أبى المكروه واشتد عليه لسانه فغضب عبدالله وعنده رهط من قومه فقال أما والله لئن رجعنا من غزوتنا هذه الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وأراد عبدالله بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله والمؤمنين ثم أقبل على قومه فقال لو أمسكتم النفقة عن هؤلاء المهاجرين لاوشكوا ان يتحولوا عن دياركم وبلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فنزلت هذه الآية وسبب غزوة بنى المصطلق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان بنى المصطلق وهم حى من هذيل يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن أبى ضرار وهو أبو جويرية زوج النبى صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فوقع القتال فهزم الله بنى المصطلق وكان سبيهم سبعمائة فلما أخذ النبى جويرية من السبى لنفسه أعتقها وتزوجها فقال المسلمون صار بنو المصطلق أصهار رسول الله فأطلقوا ما بأيديهم من السبى اكراما لرسول الله ولهذا قالت عائشة رضى الله عنها وما أعظم امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جويرية ولقد أعتق بتزويج رسول الله لها مائة أهل بيت من بنى المصطلق اهـ واسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به فرد الله عليهم ذلك بقوله تعالى (ولله العزة) أى القوة (ولرسوله وللمؤمنين) فعزة الله قهره لاعدائه وعزة رسوله اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله اياهم على أعدائهم (ولكن المنافقين لا يعلمون) ان الله معز أوليائه ومذل أعدائه ولو علموه ما قالوا مقالتهم روى ان عبدالله بن أبى لما أراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبدالله بن عبدالله بن أبى وكان مخلصا وقال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لاضربن عنقك فلما رأى منه الجد قال أشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) أى لا يشغلكم الاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن فرائض الله تعالى نحو الصلاة والزكاة والحج (ومن يفعل ذلك) أى ومن ألهاه ماله وولده عن طاعة الله تعالى (فأولئك هم الخاسرون) أى فى تجارتهم حيث باعوا الشريف الباقى بالخسيس الفانى (وأنفقوا مما رزقناكم) أى بعض ما أعطيناكم (من قبل ان يأتى أحدكم الموت) أى مقدمات الموت (فيقول) عند تيقنه بحلول الموت (رب لولا أخرتنى الى أجل قريب) أى هلا أمهلتنى الى أمد قصير بقدر ما أستدرك فيه ما فاتنى (فأصدق) من مالى بتشديد الصاد والدال وقرأ أبى فأتصدق على الاصل (وأكن من الصالحين) أى من الحاجين عن ابن عباس قال من كان له مال يبلغه

وذلك ان عبدالله بن أبى قال لقومه وذويه لا تنفقوا على أصحاب محمد حتى ينفضوا أى يتفرقوا (ولله خزائن السموات والارض) أى انه يرزق الخلق كلهم وهو يرزق المؤمنين والمنافقين جميعا (يقولون لئن رجعنا الى المدينة) يعنى عبد الله بن أبى وكان قد خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة بنى المصطلق فجرى بينه وبين واحد من المسلمين جدال وأفرط عليه المؤمن فقال ابن أبى لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يعنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى (ولله العزة) أى القدرة والغلبة (ولرسوله) أى بعلو كلمته واظهار دينه (وللمؤمنين) بنصر الله اياهم على من ناوأهم (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم) أى لا تشغلكم (أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) يعنى الصلوات الخمس (ومن يفعل ذلك) أى يشتغل بشئ عن الصلاة (فأولئك هم الخاسرون وأنفقوا مما رزقناكم) أى أدوا الزكاة (من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى) أى هلا أخرتنى (الى أجل قريب) يسأل الرجعة وما قصر أحد فى الزكاة والحج الا سأل الرجعة عند الموت وهو قوله (فأصدق) أى أتصدق وأزكى (وأكن من الصالحين) أى أحج قال الله تعالى

حيح يتصدق به أو يحج عليه فيه زكاة فلم يفعل الا سأل الله الرجعة عند الموت وقرأ أبو عمرو وأكون بالنصب عطفا على لفظ جواب التمني والباقون وأكن بالجزم عطفا على محله وقرئ وأكون بالرفع أي وأنا أكون (ولن يؤخر الله نفسا) أي عن الموت (اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) فمجازلكم عليه وقرأ شعبة بالياء التحتية

﴿سورة التغابن مدنية أو مكية ثماني عشرة آية ومائتان واحدى وأربعون﴾

﴿كلمة وألف وسبعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يسبح لله ما في السموات وما في الارض) أي ينزهه تعالى جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيها مستمرا (له الملك) فهو متصرف في ملكه (وله الحمد) على أهل السموات والارض (وهو على كل شيء) من أمر الدنيا والآخرة (قدير) لان نسبة الكل الى قدرته تعالى سواء (هو الذي خلقكم فمنكم كافر) أي فبعضكم مختار للكفر كاسب له (ومنكم مؤمن) أي وبعض منكم مختار للايمان كاسب له وقال عطاء والزجاج أي فمنكم جاحد بأنه تعالى خلقه وهو من أهل الطبائع والدهرية ومنكم مصدق بأنه تعالى خلقه والمعنى انه تعالى تفضل عليكم بأصل النعم التي هي الخلق فانظروا النظر الصحيح وكونوا بأجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم ذلك بل تفرقتم فرقا فمنكم كافر ومنكم مؤمن (والله بما تعملون بصير) من الكفر والايمان فيجازيكم على ذلك (خلق السموات والارض بالحق) أي بالارادة القديمة على وفق الحكمة (وصوركم) في الارحام (فأحسن صوركم) فمن نظر في قد الانسان ومناسبته بين أعضائه فقد علم ان صورته أحسن صورة وقد وجد فيه القوى الدالة على وحدانية الله تعالى وربوبيته دلالة مخصوصة لحسن هذه الصورة (واليه المصير) أي المرجع (يعلم ما في السموات والارض) من الامور الكلية والجزئية والاحوال الجلية والخفية (ويعلم ما تسرون وما تعلنون) أي ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور (والله عليم بذات الصدور) أي بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس (ألم يأتكم) أيها الكفرة (نبأ الذين كفروا من قبل) أي من قبلكم كقوم نوح ومن بعدهم (فذاقوا) من غير مهلة (وبال أمرهم) أي شدة أمرهم في الدنيا (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم ذلك) أي العذاب في الدنيا والآخرة (بأنه) أي الشأن (كانت) أي القصة (تأتيهم رسلهم بالبينات) أي بالحجج الظاهرات فانكروا أن يكون الرسول بشرا ولم ينكروا أن يكون معبودهم حجرا (فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا) بالرسل (وتولوا) أي أعرضوا عن الايمان (واستغنى الله) أي أظهر الله تعالى غناه عن ايمانهم وطاعتهم حيث أهلكهم ولم يلجئهم الى ذلك (والله غني) عن عبادتهم من الازل (حميد) أي مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده أحد (زعم الذين كفروا) من أهل مكة (أن لن يبعثوا) أي انهم لن يبعثوا بعد موتهم أبدا (قل) يا أشرف الخلق لهم (بلى) تبعثون (وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم) أي لتحاسبن ولتجزون على أعمالكم (وذلك) أي البعث والجزاء (على الله يسير) لثبوت قدرته التامة فلا يصرفه صارف (فآمنوا بالله ورسوله) أي اذا كان الامر كذلك فآمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم (والنور الذي أنزلنا) وهو القرآن فانه يهتدى به في الشبهات كما يهتدى بالنور في الظلمات وذلك لئلا ينزل بكم ما نزل بالكفار الماضية من العقوبة (والله بما تعملون خبير) فمجازيكم عليه (يوم يجمعكم ليوم الجمع) أي لاجل ما في يوم القيامة من الحساب والجزاء وسمي بالجمع لان الله تعالى يجمع فيه الاولين

(ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون)

﴿تفسير سورة التغابن﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير هو الذي خلقكم) أي في بطون الأمهات (فمنكم كافر ومنكم مؤمن) أي خلقكم كافرين ومؤمنين وقوله (فأحسن صوركم) أي خلقكم أحسن الحيوان (ألم يأتكم) يا أهل مكة (نبأ الذين كفروا من قبل) أي خبر الامم الكافرة قبلكم (فذاقوا وبال أمرهم) أي ذاقوا في الدنيا العقوبة بكفرهم (ولهم في الآخرة عذاب أليم ذلك) أي ذلك الذي نزل بهم (بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا) استبعدوا ان يكون الداعي الى الحق بشرا والمراد بالبشر ههنا الجمع ولذلك قال يهدوننا (فكفروا وتولوا) عن الايمان (واستغنى الله) عن ايمانهم (والله غني) عن خلقه (حميد) في أفعاله وقوله

والآخرين من أهل السموات وأهل الأرض و يوم ظرف لتنبؤن وقرئ نجمعكم بنون العظمة (ذلك يوم التغابن) أي يوم ظهور غبن كل كافر بترك الايمان وغبن كل مؤمن بتقصيره في الاحسان وفي الحديث مامن عبد يدخل الجنة الأأرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا ومامن عبد يدخل النار الأأرى مقعده من الجنة لوأحسن ليزداد حسرة (ومن يؤمن بالله) مع ماجاءت به الرسل من الحشر والنشر والجنة والنار وغير ذلك (و يعمل صالحا) الى أن يموت في ايمانه (يكفر) أي الله (عنه سيا آته و يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك) أي تكفير السيا آت وادخال الجنات (الفوز العظيم) الذي لافوز وراءه وقرأ نافع وابن عامر نكفر عنه وندخله بالنون فيهما (والذين كفروا) بوحدانية الله و بقدرته (وكذبوا بآياتنا) أي بالقرآن (أولئك أصحاب النار خالدين فيها و بئس المصير) النار (ما أصاب) أحدا (من مصيبة) دينية أودنيوية في بدن وأهل ومال (الا باذن الله) أي بتقديره وارادته ومن مصيبة فاعل بزيادة من قيل وسبب نزول هذه الآية ان الكفار قالوا لوكان ماعليه المسلمون حقا لصانهم الله تعالى عن المصائب في الدنيا (ومن يؤمن بالله) بأن يرى المصيبة من الله (يهد قلبه) عند المصيبة للتسليم لامر الله فيسترجع وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول ورفع قلبه وقرئ بنصبه على نهج سفه نفسه وقرئ يهدأ بالهمزة على وزن يقطع و يخضع أي يسكن فيسلم لقضاء الله تعالى و يصبر على المصيبة (والله بكل شئ عليم) فيعلم اطمئنان القلب عند المصيبة (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أي هونوا المصائب على أنفسكم واتبعوا الاوامر الصادرة من الله تعالى ومن الرسول فبادعا كم اليه (فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين) أي فان أعرضتم عن اجابة الرسول فيمادعاكم اليه فلا بأس عليه اذ ماعليه الا التبليغ الظاهر وقد فعل ذلك (الله لا اله الا هو) أي الله المستحق للعبودية لامستحقا للعبودية يصح أن يوجد الا هو وجملة لا اله الا هو خبر لاسم الجلالة (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) في كل باب لانه لامقصود الا هو فان المؤمن لايعتمد الا عليه ولا يتقوى الا به (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم) قال عطاء بن يسار نزلت هذه الآية في عوف بن مالك الاشجعي كان ذا أهل وولد فأراد أن يغزو فبكوا اليه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فرق عليهم وأقام في البلد وترك الغزو وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية فقال هؤلاء رجال من أهل مكة أسلموا وأرادوا أن يأتوا المدينة فنعهم أزواجهم وأولادهم وقالوا لهم صبرنا على اسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم فأطاعوهم وتركوا الهجرة فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا المهاجرين الاولين قد تفقهوا في الدين هموا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم وان لحقوا بهم في دار الهجرة لم ينفقوا عليهم ولم يصيبوهم بخير فنزل قوله تعالى وان تعفوا عن ذنوبهم وتصفحوا بترك التثريب والتعيير وتغفروا باخفائها بعد ماهاجروا من مكة الى المدينة فان الله يعاملكم بمثل ماعملتم وهذه العداوة انما هي للكفر والنهي عن الاسلام فانهم من الكفار أما أزواجهم وأولادهم المؤمنون فلا يكونون عدوا لهم (انما أموالكم وأولادكم فتنة) أي بلاء وشغل عن الآخرة اذ منعوكم عن الهجرة والجهاد فلا تطيعوهم في معصية الله تعالى (والله عنده أجر عظيم) لمن آثر محبة الله تعالى وطاعته على محبة الاموال والاولاد (فاتقوا الله مااستطعتم) أي ابذلوا في تقوى الله غاية طاقتكم وهذا مثل قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فانه لايراد به الاتقاء فيما لايستطيعونه

من مصيبة الا باذن الله) أي بعلمه وارادته (ومن يؤمن بالله) أي يصدق بأنه لاتصيبه مصيبة الا باذن الله (يهد قلبه) أي يجعله مهديا حتى يشكر عند النعمة و يصبر عند الشدة (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) نزلت في قوم آمنوا وأرادوا الهجرة فثبطهم أهلهم وأولادهم وقالوا لانصبر على مفارقتكم فأخبر الله تعالى أنهم أعداء لهم بحملهم اياهم على المعصية وترك الطاعة (فاحذروهم) أن تقبلوا منهم ولا تطيعوهم ثم اذا هاجر هذا الذي ثبطه أهله عن الهجرة رأى الناس قد تعلموا القرآن وتفقهوا في الدين فيهم أن يعاقب أهله فقال الله تعالى (وان تعفوا وتصفحوا) عنهم (وتغفروا فان الله غفور رحيم انما أموالكم وأولادكم فتنة) أي بلاء واختبار للمرء في كسب الحرام فمن كسب الحرام لأجل الأولاد ومنع ماله عن الحقوق فهو مفتون بالمال والولد (والله عنده أجر عظيم) أي لمن صبر عن الحرام وأنفق المال في حقه

(فاتقوا الله مااستطعتم) يعني ماأمكنكم الجهاد والهجرة ولا يفتننكم الميل الى الأموال والأولاد عن ذلك وهذه الآية ناسخة لقوله اتقوا الله حق تقاته وقوله

(واسمعوا) أى ما [illegible]
بخلها وحرصها جبلى يتفق المال (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بالخير (ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم) وفى قراءة يضعفه
بالتشديد بالواحدة الى عشر الى سبعمائة وأ كثر وهو التصدق عن طيب قلب (و يغفر لكم) مايشاء (والله شكور) مجازعلى الطاعة
(حليم) فى العقاب عن المعصية (عالم الغيب) السر (والشهادة) العلانية (العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه

فوق الطاقة (واسمعوا) مواعظه (وأطيعوا) أوامره (وأنفقوا) ممارزقكم فى الوجوه التى أمركم (خيرا لأنفسكم) أى وأتوا خيرا لأنفسكم (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) أى من يكفه الله بخل نفسه فيفعل فى ماله جميع ماأمر به مطمئنا اليه حتى ترتفع عن قلبه الاخطار فأولئك هم الفائزون بكل مرام (ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم) أى ان تنفقوا فى طاعة الله تعالى من حلال بطيب نفس متقربين اليه يجزكم بالضعف الى ألف ألف الى ماشاء الله من الاضعاف وقرئ يضعفه بتشديد العين (و يغفر لكم) مافرط منكم من بعض الذنوب ببركة الانفاق (والله شكور) يشكر اليسير و يجزى الجزيل من صدقاتكم (حليم) لايعجل بالعقوبة على من يمن بصدقته أو يمتنع من التصدق (عالم الغيب والشهادة) لايخفى عليه شئ من الخشية والمن (العزيز) أى الذى لا يعجزه شئ (الحكيم) أى الذى لايلحقه الخطأ فى التدبير فالعزيز يدل على القدرة والحكيم يدل على الحكمة

﴿ سورة الطلاق مدنية ثنتا عشرة آية ومائتان وتسع وأربعون كلمة وألف ومائة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ياأيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) أى اذا أردتم تطليق النساء فطلقوهن مستقبلات لزمان عدتهن وهو الطهر (وأحصوا العدة) أى احفظوا القرء للعدة لتعرفوا زمان الرجعة والنفقة والسكنى وحل النكاح لاخت المطلقة مثلا ونحو ذلك من الفوائد (واتقوا الله ربكم) فى الاضرار بهن (لاتخرجوهن من بيوتهن) أى من مساكنهن عند الفراق الى أن تنقضى عدتهن (ولايخرجن) ولو باذن منكم لان فى العدة حقا لله تعالى فلا يسقط بتراضيهما (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) أى الا فى حال كونهن آتيات بزنا ظاهر أو مشهود عليه بأربعة شهود فيخرجن لاقامة الحد عليهن ثم يردون الى منزلهن كما قاله ابن مسعود أو الا فى حال أن يبذون على الازواج أو على أهلهم فيحل لهم حينئذ اخراجهن لسوء خلقهن كما قاله ابن عباس و يؤيده قراءة الا أن يفحشن عليكم وقال ابن عمر الفاحشة خروجهن قبل انقضاء العدة وقرأ ابن كثير وأبو بكر مبينة بفتح الياء التحتية والباقون بكسرها (وتلك) أى الاحكام (حدود الله) وهى الموانع عن المجاوزة (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) أى ومن يتجاوز الحدود فقد ضر نفسه لانه وضعها فى غير موضعها (لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) أى فانك لاتدرى أيها المتعدى عاقبة الامر لعل الله يحدث فى قلبك بعد ذلك التعدى أمرا يقتضى الرجعة بأن يبدل الله بغض المرأة محبة و بالاعراض عنها اقبالا اليها فان العدة اذا لم تكن مضبوطة أو انتقلت المرأة من منزل زوجها أشكل أمر الرجعة (فاذا بلغن أجلهن) أى قاربن انقضاء أجل العدة وأنتم بالخيار (فأمسكوهن بمعروف) أى ان شئتم فراجعوهن بحسن معاشرة وانفاق لائق (أو

﴿ تفسير سورة الطلاق ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ياأيها النبى اذا طلقتم النساء) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون داخلون فى الخطاب ومعنى قوله اذا طلقتم النساء أى اذا أردتم طلاق النساء (فطلقوهن لعدتهن) أى لطهرهن الذى يحصينه من عدتهن وهذا سنة الطلاق فلا تطلقوهن لحيضهن الذى لايعتددن به من زمان العدة (وأحصوا العدة) أى عدوا أقراءها واحفظوها لتعلموا وقت الرجعة ان أردتم ان تراجعوهن وذلك أن الرجعة انما تجوز فى زمان العدة (واتقوا الله ربكم) أى أطيعوه فيما يأمركم به و ينهاكم عنه (لاتخرجوهن من بيوتهن) حتى تنقضى عدتهن (ولايخرجن) من البيوت فى زمان العدة (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) وهى الزنا فيخرجن حينئذ لاقامة الحد عليهن (وتلك

حدود الله) يعنى ماذكر من طلاق السنة (ومن يتعد حدود الله) أى ماحد الله له فى الطلاق وغيره (فقد ظلم نفسه لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك) أى بعد الطلاق (أمرا) أى مراجعة وهذا يدل على كراهة التطليق ثلاثا بمرة واحدة لان احداث الرجعة لاتكون بعد الثلاث (فاذا بلغن أجلهن) أى قاربن انقضاء العدة (فأمسكوهن) أى برجعة تراجعوهن بها (بمعروف) وهو أن لا يريد بالرجعة ضرارها (أو فارقوهن

فارقوهن بمعروف) أى وان شئتم فاتركوهن من غير مراجعة بإيفاء الحق واتقاء الضرار وهو أن يراجعها فى آخر العدة ثم يطلقها تطويلا للعدة وتعذيبا لها (وأشهدوا) يا أيها الازواج (ذوى عدل منكم) عند التطليق وعند الرجعة قطعا للنزاع فهذا الاشهاد مندوب اليه عند أبى حنيفة وهو عند الشافعى واجب فى الرجعة مندوب اليه فى الفرقة (وأقيموا الشهادة لله) أى أدوا الشهادة التى تحملتموها عند الحكام يا أيها الشهود لوجه الله تعالى (ذلكم) أى الاشهاد واقامة الشهادة (يوعظ به) أى يؤمر به (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) يقال نزلت الآيات من أول السورة الى ههنا فى شأن النبى صلى الله عليه وسلم حين طلق حفصة وفى ستة نفر من أصحابه طلقوا نساءهم غير طواهر فنهاهم الله عن ذلك لانه لغير السنة (ومن يتق الله) أى يصبر على المصيبة (يجعل له مخرجا) من الشدة وقرأ النبى صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة نزلت هذه الآية فى عوف ابن مالك الاشجعى أسر العدو ابنا له يسمى سالما فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أسر ابنى وشكا اليه الفاقة فقال صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبروا كثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل ذلك فبينما هو فى بيته اذ أتاه ابنه سالم ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فذلك قوله تعالى (ويرزقه من حيث لا يحتسب) أى من وجه لا يخطر بباله (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى ومن يثق بالله فيما ناله فهو كافيه فى جميع أموره (ان الله بالغ أمره) وقرأ حفص بالاضافة أى منفذ أمره والباقون بالتنوين ونصب أمره أى يبلغ مراده فى جميع خلقه وقرئ برفع أمره أى نافذ تدبيره وقرأ المفضل بالغا أمره على ان قوله قد جعل الله خبران وبالغا حال من اسم الجلالة (قد جعل الله لكل شئ) من الشدة والرخاء (قدرا) أى أجلا ينتهى اليه وروى ان معاذ بن جبل قال يارسول الله قد عرفنا عدة التى تحيض فما عدة التى لم تحض فنزل (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم) لكبرهن وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين (ان ارتبتم) أى ان أشكل عليكم حكمهن فى العدة أو ان جهلتم بمقدار عدتهن (فعدتهن ثلاثة أشهر) فقام رجل فقال يارسول الله فما عدة الصغيرة التى لم تحض فنزل (واللائى لم يحضن) لصغرهن هن بمنزلة الكبيرة التى قد يئست وهذه معطوفة على واللائى يئسن عطف المفردات فقام رجل آخر وقال وما عدة الحوامل يارسول الله فنزل (وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن) أى والحبالى منتهى عدتهن وأجل انقطاع ما بينهن وبين الازواج وضع الحمل سواء كن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن لخبر سبيعة بنت الحرث انها وضعت حملها بعد وفاة زوجها بخمسة عشر يوما فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتزوج فاباحة النكاح قبل مضى أربعة أشهر وعشر دليل على ان عدة الحامل تنقضى بوضع الحمل فى جميع الاحوال والحمل اسم لجميع ما فى بطنهن ولا تنقضى العدة بوضع بعض حملهن وقرئ أحمالهن (ومن يتق الله) فى شأن أحكامه (يجعل له من أمره يسرا) أى ييسر الله عليه فى أمره ويوفقه للعمل الصالح وقال عطاء يسهل الله عليه أمر الدنيا والآخرة (ذلك) أى الذى ذكر من الاحكام (أمر الله) أى فرائضه (أنزله اليكم) أى بينه لكم فى القرآن (ومن يتق الله) بطاعته ويعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (يكفر عنه

...ارقوهن بمعروف) أى اتركوهن حتى تنقضى عدتهن فتبين (ولا تضاروهن) أى براجعتهن (وأشهدوا ذوى عدل منكم) ... أو الفراق (ومن يتق الله) أى يطيعه فيما يأمره وينهاه (يجعل له مخرجا) من الشدة الى الرخاء ومن الحرام الى الحلال ومن النار الى الجنة يعنى من صبر على الضيق واتقى الحرام جعل الله له مخرجا أى من الضيق (ويرزقه من حيث لا يحتسب) ويروى أن هذا نزل فى عوف بن مالك الاشجعى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان العدو أسروا ابنى وشكا اليه الفاقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبروا كثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل الرجل ذلك فبينما هو فى بيته اذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو وأصاب ابلا لهم وغنما فساقها الى أبيه (ومن يتوكل على الله) فوثق به وسكن قلبه اليه (فهو حسبه) كافيه (ان الله بالغ أمره) أى يبلغ أمره فيما يريد وينفذه (قد جعل الله لكل شئ قدرا) أى ميقاتا وأجلا (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم) يعنى القواعد من النساء اللائى قعدن عن الحيض (ان ارتبتم) أى شككتم فى حكمهن يعنى لم تعلموا عدتهن وذلك أنهم سألوا فقالوا قد عرفنا عدة التى تحيض فما عدة التى لا تحيض والتى لم تحض بعد فبين الله ذلك فقال (فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن) يعنى الصغار (وأولات الاحمال) أى ذوات الحمل من النساء (أجلهن) أى عدتهن (أن يضعن حملهن) فاذا وضعت الحامل انقضت عدتها مطلقة كانت أو متوفى عنها زوجها (ومن يتق الله) أى بطاعته فى أوامره ونواهيه (يجعل له من أمره يسرا) أى أتاه باليسر فى أموره (ذلك) يعنى ما ذكر من أحكام العدة (أمر الله أنزله اليكم) الآية

سيا ّته) من الصلاة الى الصلاة ومن الجمعة الى الجمعة فان الحسنات يذهبن السيا ّت (ويعظم له أجرا) فى الآخرة بالمضاعفة (أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم) أى أسكنوا المعتدات مسكنا من بعض مكان سكنا كم على قدر طاقتكم ووجدكم بضم الواو باتفاق القراء السبعة وقرئ بفتح الواو وكسرها (ولا تضاروهن) فى السكنى والنفقة (لتضيقوا عليهن) بهما حتى تلجئوهن الى الخروج من المسكن أو الى ان تفتدى الرجعية نفسها منكم (وان كن أولات حمل) أى وان كن المطلقات حبالى (فأنفقوا) أيها الازواج (عليهن حتى يضعن حملهن) فيخرجن من العدة وهذا بيان حكم المطلقة البائنة أما الحوامل المتوفى عنهن أزواجهن فلا نفقة لهن وأما الرجعية فانها تستحق النفقة وان لم تكن حاملا ومذهب مالك والشافعى انه ليس للمبتوتة الا السكنى ولا نفقة لها الا ان تكون حاملا وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها بت طلاقها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وأما عند الحنفية فلكل مطلقة حق النفقة والسكنى لان عمر قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى شأن المطلقة لها النفقة والسكنى ولان ذلك جزاء الاحتباس وهو مشترك بين المبتوتة وغيرها ولو كان جزاء الحمل لوجب فى ماله اذا كان له مال ولم يقولوا به ونحن معشر الشافعية نقول ان الحامل قد يتوهم انها لا نفقة لها لطول مدة الحمل فأثبت لها النفقة ليعلم ان غيرها بطريق الاولى (فان أرضعن لكم) أولادكم منهن بعد انقضاء علقة النكاح (فآتوهن أجورهن) على ذلك الارضاع ولا يجوز عند أبى حنيفة وأصحابه للرجل استئجار امرأته للرضاع اذا كان الولد منها مالم تبن ويجوز عند الشافعى مطلقا وفى هذه الآية دليل على ان حق الرضاع والنفقة على الازواج فى حق الاولاد وحق الامساك والتربية على الزوجات وفيها دليل على ان اللبن ملك لها (وائتمروا بينكم بمعروف) أى تشاوروا بتراضى الاب والام ولا يكن من الاب مماكسة ولا من الام معاسرة ولا من الرجل تقصير فى حق المرأة ونفقتها ولا من المرأة فى حق الولد ورضاعه (وان تعاسرتم) كأن أبى الزوج ان يعطى المرأة أجرة رضاعها وأبت الام أن ترضع الولد مجانا (فسترضع له أخرى) أى فسترضع الولد لوالده امرأة أخرى فليس له اكراهها على ارضاعه بل يستأجر الاب للصبى مرضعا غير أمه (لينفق) على المرضعات المطلقات وعلى خلافها (ذو سعة من سعته) أى ذو غنا على قدر غناه (ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) أى ومن ضيق عليه معيشته فلينفق على الزوجة والولد الصغير على قدر ما أعطاه الله من المال وان قل (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) أى الا بقدر ما أعطاها من الرزق جل أو قل فانه تعالى لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغنى (سيجعل الله بعد عسر يسرا) أى بعد ضيق سعة وبعد شدة رخاء عاجلا أو آجلا (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله) أى وكم من أهل قرية أبوا عن قبول أمر ربهم وعن اجابة أمر رسله (فحاسبناها حسابا شديدا) أى فحاسبناهم فى الآخرة على أعمالها بالمناقشة فى كل نقير وقطمير (وعذبناها عذابا نكرا) أى وعذبناهم عذابا عظيما وهو عذاب نار جهنم (فذاقت وبال أمرها) أى فذاقوا عقوبة كفرهم (وكان عاقبة أمرها خسرا) أى وكان عاقبة عتوها هلاكا بعذاب الدنيا وعذاب النار (أعد الله لهم) فى الآخرة (عذابا شديدا) لونا بعد لون (فاتقوا الله) عن ان تكفروا به وبرسوله (يا أولى الالباب) أى يا ذوى العقول من الناس (الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا رسولا) والوقف على ذكرا تام ان نصب رسولا

لا تؤذوهن (لتضيقوا عليهن) مساكنهن فيحتجن الى الخروج (وان كن) يعنى المطلقات (أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان أرضعن لكم) أولادكم منهن (فآتوهن أجورهن) أى على ارضاعهن (وائتمروا بينكم بمعروف) يقول وليقبل بعضكم من بعض اذا أمره بمعروف (وان تعاسرتم) أى تضايقتم ولم تتوافقوا على ارضاع الأم (فسترضع) الصبى (له) أى لوالده مرضعة (أخرى) سوى الأم ولا تكره على الارضاع (لينفق ذو سعة من سعته) أمر أهل السعة أن يوسعوا على نسائهم المرضعات أولادهن (ومن قدر عليه رزقه) أى كان رزقه بمقدار القوت (فلينفق مما آتيه الله) أى على قدر ذلك (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) أى اعطاها (سيجعل الله بعد عسر يسرا) أعلم الله المؤمنين أنهم وان كانوا فى حالة ضيقة سيوسرهم ويفتح عليهم وكان الغالب فى ذلك الوقت عليهم الفقر والفاقة ثم فتح الله عليهم وجاءهم باليسر (وكأين) أى وكم (من قرية عتت عن أمر ربها ورسله) يعنى عتا أهلها عما أمر الله به ورسله (فحاسبناها) أى فى الآخرة (حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا) أى فظيعا يعنى عذاب النار (فذاقت وبال أمرها) يعنى ثقل عاقبة أمرها (وكان عاقبة أمرها خسرا) خسارا وهلاكا وقوله (قد أنزل الله اليكم ذكرا) يعنى القرآن (رسولا) أى وأرسل رسولا بالاغراء

بالاغراء أي عليكم رسولا أو بفعل مقدر أي وأرسل رسولا فحينئذ فالذكر هو القرآن والرسول هو النبي صلى الله عليه وسلم ولا وقف على ذكرا ان جعل رسولا بدلا منه فحينئذ فالذكر الرسول هو جبريل عليه السلام سمي بالذكر لانه مذكور في السموات أو في الامم أو لشرفه ويؤيده قراءة رسول بالرفع أي هو رسول (يتلوا عليكم آيات الله) أي القرآن (مبينات) وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بكسر الياء لان الآيات تبين الاحكام من الامر والنهي والحلال والحرام والباقون بالفتح لان الله تعالى أوضح الآيات وبين انها من عنده (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور) أي من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة الشبهة الى نور الحجة ومن ظلمة الجهل الى نور العلم وقوله تعالى ليخرج اما متعلق بأنزل والضمير فيه راجع الى اسم الجلالة أو بيتلو والضمير فيه راجع للرسول (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) فيما بينه وبين ربه (يدخله) في الآخرة (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون (قد أحسن الله له رزقا) قال الزجاج أي قد رزقه الله الجنة التي لا ينقطع نعيمها وقيل قد رزقه الله طاعة في الدنيا وثوابا في الآخرة وجملة قد أحسن الله الخ حال ثانية من مفعول يدخله (الله الذي خلق سبع سموات) بعضها فوق بعض مثل القبة (ومن الارض مثلهن) أي في العدد لكنها منبسطة والعامة بنصب مثلهن عطفا على سبع سموات وقرأ عاصم في رواية برفعه على الابتداء وخبره من الارض روى البخاري وغيره ان كعبا حلف بالذي فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين انا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر من فيها (يتنزل الامر بينهن) أي ينفذ تصرفه فيهن ويجري قضاؤه بينهن قال عطاء أي يتنزل الوحي الى الخلق في كل أرض وفي كل سماء وقال مقاتل يتنزل الوحي من السماء العليا الى الارض السفلى وقال مجاهد يتنزل الامر بينهن بحياة بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك ذاك مثلا وقرئ ينزل الامر بينهن (لتعلموا أن الله على كل شئ قدير) أي لكي تعلموا اذا تفكرتم في خلق السموات والارض ان من بلغت قدرته هذا المبلغ الذي لا يمكن ان يكون لغيره كانت قدرته ذاتية لا يعجزه شئ عما أراده وقوله تعالى لتعلموا متعلق بخلق أو بيتنزل وقرئ ليعلموا بالياء (وأن الله قد أحاط بكل شئ) من الكليات والجزئيات (علما) لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء فتبارك الله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿سورة التحريم وتسمى سورة النبي صلى الله عليه وسلم مدنية ثنتا عشرة آية ومائتان وتسع وأربعون كلمة وألف وستون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) أي لم تمتنع عن الانتفاع بما أحل الله تعالى لك من ملك اليمين أو من العسل روي أنه صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي فقد حرمت مارية على نفسي وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدي أمر أمتي فأخبرت بذلك عائشة وكانتا متصادقتين فطلق حفصة واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية وروي أن عمر قال

(يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات) أي ظلمات الكفر (الى النور) أي نور [illegible] أحسن الله له رزقا) أي رزق الجنة التي لا ينقطع نعيمها وقوله (يتنزل الأمر بينهن) يعني أن في كل سماء وكل أرض خلقا من خلقه وأمرا نافذا من أمره (لتعلموا) معناه أعلمكم ذلك وبينه لتعلموا قدرته (أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما) أي أنه علم كل شئ

﴿تفسير سورة التحريم﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) روي أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على حفصة في يوم نوبتها فخرجت هي لبعض شأنها فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مارية وأدخلها بيت حفصة وواقعها فلما رجعت حفصة علمت بذلك فغضبت وبكت وقالت أمالي حرمة عندك وحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسكتي فهي حرام علي أبتغي بذلك رضاك وحلف أن لا يقربها وبشرها بأن الخليفة من بعده أبوها وأبو عائشة وقال لها لا تخبري أحدا بما أسررت اليك من أمر الجارية وأمر الخليفة من بعدي فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندها أخبرت عائشة بذلك وقالت قد أراحنا الله من مارية فان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمها على نفسه وقصت عليها القصة فأنزل الله تعالى لم تحرم ما أحل الله لك يعني الجارية

لها لو كان فى آل الخطاب خيرلما كان رسول الله طلقك فنزل جبريل عليه السلام وقال له صلى الله عليه وسلم راجعها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك فى الجنة وهذا قول الحسن ومجاهد وقتادة والشعبي ومسروق ورواية ثابت عن أنس ورواية البزار من حديث ابن عباس ورواية الطبرانى من حديث أبى هريرة ورواية الضياء من حديث عمر والذى فى الصحيحين أن الذى حرمه النبي صلى الله عليه وسلم على نفسه هو شرب العسل فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم شرب عسلا فى بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وهو صمغ حلوله رائحة كريهة فحرم العسل على نفسه فنزلت هذه الآية (تبتغى) أى تطلب بتحريم مارية أو العسل (مرضات أزواجك) عائشة وحفصة (والله غفور) قد غفر لك هذه الزلة (رحيم) قد رحمك فى تلك اليمين وقد نقل جماعة من المفسرين أن النبي صلى الله عليه وسلم حلف أن لا يطأ جاريته فذكر الله له ما أوجب من كفارة اليمين وأيضا ان أبا حنيفة يرى تحريم الحلال يمينا فى كل شيء فاذا حرم شخص طعاما فقد حلف على أكله أو أمة فعلى وطئها أو زوجة فعلى الايلاء منها اذا لم يكن له نية وان نوى الظهار فظهار وان نوى الطلاق فطلاق بائن وان نوى عددا كأن نوى ثنتين أو ثلاثا فكما نوى وان قال كل حلال على حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعى يمينا ولكن سببا فى الكفارة فى النساء فقط وان نوى الطلاق فهو رجعى عنده (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أى أوجب الله عليكم كفارة ككفارة أيمانكم أو قد بين الله لكم تحليل أيمانكم بالكفارة فاذا كفر الحالف صار كمن لم يحلف وقرئ كفارة أيمانكم (والله مولاكم) أى حافظكم وناصركم (وهو العليم) بما يصلحكم (الحكيم) أى المتقن فى أفعاله وأحكامه فلا يأمركم ولا ينهاكم الا بما تقتضيه الحكمة (واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا) أى واذكر اذ أخبر النبي حفصة فى السر بكلام استكتمها ذلك قال ابن عباس لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم الغيرة فى وجه حفصة أراد أن يترضاها فاسر اليها بشيئين تحريم مارية على نفسه والبشارة بأن الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم فى أبى بكر وأبيها عمر (فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه) قرأ الجمهور بتشديد الراء أى فلما أخبرت حفصة بسر النبي صلى الله عليه وسلم عائشة ظنا منها أنه لا حرج عليها فى ذلك وأطلع الله نبيه على ما أخبرت حفصة عائشة بين النبي لحفصة بعض ما قالت لعائشة من خلافة أبى بكر وعمر وعاتبها على ذلك خوفا من أن ينتشر فى الناس فربما ثار حسد بعض المنافقين وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لها ويلك ألم أقل لك اكتمى على قالت والذى بعثك بالحق نبيا ما ملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله تعالى بها أبى وقرأ الكسائى بالتخفيف أى جازى على ذلك البعض بأن طلق حفصة مجازاة على بعض ما فعلت (وأعرض عن بعض) أى وسكت عن بعض من تحريم مارية القبطية على نفسه ولم يلم حفصة على ذكر ذلك حياء وحسن عشرة (فلما نبأها به) أى فلما أخبر النبي حفصة بما قالت لعائشة (قالت) أى حفصة (من أنبأك هذا) أى من أخبرك بأنى أفشيت السر لعائشة وقد ظنت أن عائشة هى التى أخبرته (قال) أى النبي صلى الله عليه وسلم (نبأنى العليم الخبير) بقولك لعائشة وبقولى لك (ان تتوبا) ياحفصة وياعائشة من ايذائكما رسول الله صلى الله عليه وسلم (الى الله) تاب الله عليكما (فقد صغت قلوبكما) أى فقد وجد منكما ما يوجب التوبة اذ قد مالت قلوبهما عن الحق وأحبت الى ما كرهه النبي صلى الله عليه وسلم وهو اجتنابه جاريته وقرئ فقد زاغت (وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) أى وان تتعاونا أنتما على النبي صلى الله عليه وسلم بالايذاء لم يضره ذلك التعاون منكما فان الله ناصره وجبريل رئيس

(تبتغى) أى بتحريمها أمره أن يكفر عن يمينه فقال (قد فرض الله لكم) أى بين لكم (تحلة أيمانكم) أى ما يستحل به المحلوف عليه من الكفارة يعنى فى سورة المائدة وقوله (واذ أسر النبي الى بعض أزواجه) يعنى حفصة (حديثا) يعنى تحريم الجارية وأمر الخليفة (فلما نبأت به) أى أخبرت به عائشة (وأظهره الله عليه) أى أطلع نبيه على افشاء ذلك السر (عرف بعضه) أى أخبر حفصة ببعض ما قالت لعائشة (وأعرض عن بعض) فلم يعرفها اياه على وجه التكرم والاغضاء (فلما نبأها به) أى أخبر حفصة بما فعلت (قالت من أنبأك هذا) أى من أخبرك بما فعلت (قال نبأنى العليم الخبير ان تتوبا الى الله) يعنى عائشة وحفصة (فقد صغت قلوبكما) أى عدلت وزاغت عن الحق وذلك انهما أحبتا ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجتناب جاريته (وان تظاهرا) أى تعاونا على أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان الله هو مولاه) أى وليه وحافظه فلا يضره تظاهركما عليه وقوله (وصالح المؤمنين) قيل أبو بكر وعمر وهو تفسير النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى

الكروبين

الكروبيين وأبو بكر وعمر كما أخرجه الطبراني عن ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وبه قال عكرمة ومقاتل (والملائكة بعد ذلك) أي بعد نصر من ذكر (ظهير) أي أعوان له صلى الله عليه وسلم فقوله جبريل عطف على محل اسم ان قبل دخولها وكذا وصالح المؤمنين فولاه خبر عن الكل فيقدر بعد كل واحد منهما ويجوز أن يكون الكلام تم عند قوله تعالى مولاه ويكون جبريل مبتدأ وما بعده عطف عليه وظهير خبر الجميع وقرأ الكوفيون تظاهرا بتخفيف الظاء واسقاط احدى التاءين والباقون بتشديدها وقرئ على الاصل أي بالتاءين وقرئ تظهرا (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح الباء وتشديد الدال والباقون وهم أهل الكوفة بسكونها وقال ابن عرفة وعسى هنا للتخويف لا للوجوب وجملة عسى واسمها وخبرها جواب الشرط أي ان طلقكن فعسى ربه أن يبدله (مسلمات) أي مقرات بالالسن (مؤمنات) أي مصدقات بالقلوب بتوحيد الله تعالى (قانتات) أي مطيعات لله ولازواجهن وقيل قائمات بالليل للصلاة (تائبات) من الذنوب (عابدات) أي كثيرات العبادات متذللات لامر الرسول عليه السلام (سائحات) أي صائمات كما قاله ابن عباس أو مهاجرات كما قاله الحسن وقرئ سيحات (ثيبات وأبكارا) فالثيب تمدح من جهة أنها أكثر تجربة وعقلا وأسرع حبلا غالبا والبكر تمدح من جهة أنها أطهر وأطيب وأكثر مداعبة غالبا وسميت الثيب ثيبا لانها ثابت أي رجعت الى بيت أبويها وسميت العذراء بكرا لانها على أول حالتها التي خلقت بها (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) أي علموا أنفسكم ونساءكم وأولادكم الخير وأدبوهم بأن تأمروهم بالخير وتنهوهم عن الشر تقوهم بذلك نارا وقرئ وأهلوكم عطفا على واو قوا فيكون أنفسكم عبارة عن أنفس الكل أي قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم نارا (وقودها الناس والحجارة) أي حطبها الكفار وحجارة الكبريت وقرئ وقودها بضم الواو (عليها) أي النار (ملائكة) تسعة عشر وهم الزبانية (غلاظ) أي غلاظ القلوب لا يرحمون اذا استرحموا خلقوا من الغضب وحبب اليهم عذاب الخلق كما حبب لبني آدم أكل الطعام والشراب (شداد) أي شداد الخلق أقوياء على الافعال الشديدة (لا يعصون الله ما أمرهم) بدل اشتمال من الله أي لا يعصون أمره أو منصوب على نزع الخافض أي فيما أمرهم به من عذاب أهل النار (ويفعلون ما يؤمرون) أي يؤدون ما يؤمرون به من غير توان ويقولون للكفار عند ادخالهم النار (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) اذ الاعتذار هو التوبة وهي غير مقبولة بعد الدخول في النار فلا ينفعكم الاعتذار (انما تجزون ما كنتم تعملون) أي جزاء أعمالكم أي انما أعمالكم السيئة ألزمتكم العذاب (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) أي بالغة في النصح بأن يتوبوا عن القبائح نادمين عليها غاية الندامة لا يعودون اليها وقرأ شعبة بضم النون وهو مصدر أي ذات نصوح أو تنصح نصوحا أو توبوا لينصح أنفسكم والباقون بفتحها فهو صفة مشبهة (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم) أي ان يغفر لكم ذنوبكم بالتوبة (ويدخلكم) في الآخرة (جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي) ظرف ليدخلكم (والذين آمنوا معه) أي صاحبوه في وصف الايمان والموصول اما معطوف على النبي واما مبتدأ خبره جملة قوله تعالى (نورهم يسعى بين أيديهم) عند المشي على الصراط (وبأيمانهم) أي ويسعى عن أيمانهم عند الحساب لانهم يؤتون الكتاب بأيمانهم وفيه نور (يقولون) عند اطفاء نور المنافقين خائفين من أن يطفأ نورهم (ربنا أتمم لنا نورنا) أي ابق لنا نورنا (واغفر لنا انك على كل شئ قدير) وقيل الذين يمرون على الصراط حبوا وزحفا هم الذين يقولون ربنا أتمم لنا نورنا (يا أيها النبي جاهد الكفار) بالسيف والسنان (والمنافقين) بالحجة واللسان (واغلظ عليهم) أي واشدد على كلا

(والملائكة بعد ذلك ظهير) أي الملائكة له بعد هؤلاء أعوان (عسى ربه ان طلقكن) الآية هذا اخبار عن قدرة الله عز وجل على أن يبدله لو طلق أزواجه خيرا منهن تخويف لنسائه وقوله (قانتات) أي مطيعات (سائحات) أي صائمات (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) أي حذروا أنفسكم وأهليكم بما يقرب من الله وجنبوا أنفسكم وأهليكم المعاصي (وقودها الناس والحجارة) أي توقد بهذين الجنسين (عليها ملائكة غلاظ) الآية يعني خزنة جهنم وقوله (توبة نصوحا) هي التوبة التي تنصح صاحبها حتى لا يعود الى ما تاب منه ونصوحا معناه بالغة في النصح وقوله (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه) أي لا يفضحهم ولا يهلكهم (نورهم) على الصراط (يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا) اذا طفئ نور المنافقين دعوا الله وسألوه أن يتم لهم النور ثم ضرب الله مثلا للنساء الصالحات والطالحات فقال

[illegible]

الفريقين فيما يجاهدهما من القتال والمحاجة (ومأواهم جهنم وبئس المصير) مصيرهم (ضرب الله مثلا للذين كفروا) أى جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفار (امرأة نوح) والهة (وامرأة لوط) واعلة (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما) بالكفر كما قاله عكرمة والضحاك وعن ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط وعن ابن عباس كانت امرأة نوح تقول للناس انه مجنون واذا آمن به أحد أخبرت الجبابرة من قومه وكانت امرأة لوط تخبر بأضيافه (فلم يغنيا عنهما من الله شيأ) أى فلم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما عند الله تعالى عن زوجتيهما لما عصتا من عذاب الله شيأ وذلك تنبيه على ان العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة (وقيل ادخلا النار مع الداخلين) أى وتقول لهما خزنة النار ادخلا النار مع الداخلين فى النار (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون) أى جعل الله حالها مثلا لحال المؤمنين فى ان وصلة الكفرة لا تضر مع الايمان واسمها آسية بنت مزاحم آمنت حين سمعت قصة القاء موسى عصاه وتلقف العصا فعذبها فرعون عذابا شديدا بسبب الايمان فانه أوتدها بأربعة أوتاد واستقبل بها الشمس وألقى عليها صخرة عظيمة فقالت رب نجني من فرعون فرقى بروحها الى الجنة فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه (اذ قالت) ظرف لمثلا (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) أى رب ابن لى بيتا قريبا من رحمتك (ونجني من فرعون) أى من نفسه الخبيثة (وعمله) السيء وهو شركه أو جماعه كما قاله ابن عباس (ونجني من القوم الظالمين) أى من القبط التابعين له فى الظلم (ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها) من الفواحش فانها قذفت بالزنا (فنفخنا فيه) أى فى فرجها كما قاله البقاعي وقرىء فيها أى فى مريم وقال الرازى وقوله تعالى فيه أى فى عيسى ومن قرأ فيها أى فى نفس عيسى (من روحنا) أى من روح خلقناه بلا توسط أصل والمعنى أوصلنا الى فرجها الريح الخارج من نفس جبريل لما نفخ فى جيب قميصها فوصل اليه فحملت بعيسى (وصدقت بكلمات ربها) أى بالصحف المنزلة على ادريس وغيره وقال مقاتل أى بعيسى ويدل عليه قراءة الحسن بكلمة ربها بالافراد وقرىء بكلمة الله (وكتبه) وقرأ أبو عمرو وحفص بصيغة الجمع أى بالكتب الاربعة والباقون وكتابه بالافراد أى وبكتابه المنزل عليه وهو الانجيل وقوله تعالى وصدقت بالتخفيف والتشديد على ان مريم جعلت الكلمات والكتب صادقة بمعنى وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه (وكانت من القانتين) أى من القوم المطيعين لله فى الشدة والرخاء وقال عطاء من المصلين وهم رهطها لانهم أهل بيت صالحين لانها من أعقاب هرون أخى موسى وضرب هذه الامثال مشتمل على فوائد منها التنبيه على الثواب العظيم والعذاب الاليم ومنها العلم بأن صلاح الغير لا ينفع المفسد وفساد الغير لا يضر المصلح ومنها ان الرجل وان كان فى غاية الصلاح فلا يأمن المرأة ولا يأمن نفسه ومنها العلم بأن احصان المرأة مفيد غاية الافادة ومنها التنبيه على ان التضرع بالصدق فى حضرة الله تعالى وسيلة الى الخلاص من العقاب والى الثواب بغير حساب وان الرجوع الى الحضرة الازلية لازم فى كل باب

﴿ سورة الملك وتسمى الواقية والمنجية لانها تقى وتنجي قارئها من عذاب القبر وعن ابن عباس انه كان يسميها المجادلة لانها تجادل عن قارئها فى القبر وتدعى فى التوراة المانعة مكية ثلاثون آية وثلاثمائة وخمس وثلاثون كلمة وألف وثلاثمائة وثلاثة عشر حرفا ﴾

(ضرب الله مثلا) [illegible] لوط دلت على أضيافه (فلم يغنيا) يعني نوحا ولوطا (عنهما من الله شيأ) أى من عذاب الله من شيء وهذا تخويف لحفصة وعائشة واخبار أن الانبياء لا يغنون عمن عمل بالمعاصى وقطع لطمع من ركب المعصية ورجا أن ينفعه صلاح غيره وقوله (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) قيل ان فرعون لما تبين له اسلامها وتدها على الارض بأربعة أوتاد على يديها ورجليها فقالت وهي تعذب رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة (ونجني من فرعون وعمله) أى تعذيبه اياى وفى هذا بيان انها لم تمل الى معصية مع شدة ما قاست من العذاب وكذا فليكن صوالح النساء وأمر عائشة وحفصة أن تكونا كآسية هذه وكمريم بنت عمران وهو قوله ومريم وهو عطف على قوله امرأة فرعون (التى أحصنت فرجها) أى عفت وحفظت فرجها (فنفخنا فيه) أى فى جيب درعها (من روحنا) وتفسير هذه قد سبق فى سورة الانبياء (وصدقت بكلمات ربها وكتبه) أى آمنت بما أنزل الله على الانبياء (وكانت من القانتين) أى من القوم المطيعين لله تعالى يعنى أنها أطاعت فدخلت فى جملة المطيعين لله من الرجال والنساء

﴿ تفسير سورة الملك ﴾ (بسم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(تبارك الذي بيده الملك) أي تنزه الذي في قدرته سائر الكائنات عن أن يكون جسما أو في مكان أو غير ذلك من صفات الحوادث (وهو على كل شئ) من الاشياء (قدير) يتصرف فيه حسب ما تقتضيه مشيئته يعز من يشاء ويذل من يشاء ويحيي ويميت ويغني ويفقر ويعطي ويمنع (الذي خلق الموت والحياة) فالموت صفة وجودية مضادة للحياة والمراد به الموت الطارئ وبالحياة ماقبله ومابعده وروى الكلبي عن ابن عباس ان الله تعالى خلق الموت في صورة كبش أملح لا يمر بشئ ولا يجد رائحته شئ الامات وخلق الحياة في صورة فرس بلقاء فوق الحمار ودون البغل لاتمر بشئ ولا يجد رائحتها شئ الا حيي اه وهذا كلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير (ليبلوكم) وهو متعلق بخلق أي خلق موتكم وحياتكم ليعاملكم معاملة من يختبركم (أيكم أحسن عملا) أي أخلص عملا وأصوبه كما قاله الفضيل ابن عياض اه وقال قتادة أي أيكم أحسن عقلا أي أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا وأحسنكم فيما أمر الله به ونهى عنه نظرا وقال الحسن أيكم أزهد في الدنيا وأشد تركا لها وقال السدي أيكم أكثر للموت ذكرا وأحسن استعدادا وأشد خوفا وحذرا (وهو العزيز) أي الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل (الغفور) لمن تاب من أهل الاساءة (الذي خلق سبع سموات طباقا) أي مطابقة بعضها فوق بعض والسماء الدنيا محيطة بالارض احاطة قشر البيضة من جميع الجوانب والثانية محيطة بالسماء الدنيا وهكذا الى أن يكون العرش محيطا بالكل (ما ترى) أيها المخاطب (في خلق الرحمن) للسموات ولغيرها (من تفاوت) أي من عدم تناسب قرأ حمزة والكسائي من تفوت بتشديد الواو (فارجع البصر) أي رد بصرك الى السماء (هل ترى) فيها (من فطور) أي شقوق وعيون (ثم ارجع البصر كرتين) أي ارجع البصر الى السماء رجعة بعد رجعة وان كثرت (ينقلب اليك البصر خاسئا) أي بعيدا من اصابة ما التمسه من العيب (وهو حسير) أي كليل لكثرة المراجعة (ولقد زينا السماء الدنيا) أي القربى من الناس (بمصابيح) أي بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج (وجعلناها رجوما للشياطين) أي جعلنا للكواكب رجما لأعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من نار الكواكب اذا أرادوا استراق السمع (وأعتدنا لهم) في الآخرة (عذاب السعير) بعد الاحراق في الدنيا بالشهب (وللذين كفروا بربهم) من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) وقرئ بالنصب على انه عطف على عذاب السعير كما أن للذين عطف على لهم وهو عطف المفرد على المفرد وعلى هذا فالوقف على السعير جائز وان قرئ عذاب جهنم بالرفع كما هو قراءة الجمهور فالوقف على السعير تام (وبئس المصير) جهنم (اذا ألقوا) أي الكفار (فيها سمعوا لها) أي لجهنم (شهيقا) أي صوتا كصوت الحمار (وهي تفور) أي والحال ان جهنم تغلي بهم غليان المرجل بما فيه (تكاد تميز من الغيظ) أي تقرب جهنم تتفرق من شدة الغضب على الكفار وقرئ شاذا تتميز على الاصل (كلما ألقي فيها فوج) أي جماعة من الكفرة (سألهم خزنتها) بطريق التوبيخ والتقريع (ألم يأتكم نذير) يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا (قالوا) اعترافا منهم بعدل الله واقرارا بأن الله أزاح عللهم ببعثة الرسل (بلى قد جاءنا نذير فكذبنا) ذلك النذير في كونه نذيرا من جهة الله تعالى (وقلنا) في حق ماتلاه من الآيات (ما نزل الله) على أحد (من شئ) أي من كتاب (ان أنتم الا في ضلال كبير) أي ما أنتم أيها النذر في ادعاء انه تعالى نزل عليكم آيات الا في ضلال كبير أي بعيد عن الصواب ويجوز أن يكون الخطاب من كلام الخزنة للكفار والمعنى ما أنتم أيها الكفار الا في ضلال كبير في الدنيا وهو الشرك بالله وفي هلاك

ممن يشاء (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم) في الحياة (أيكم أحسن عملا) أي أطوع لله وأورع عن محارمه ثم يجازيكم بعد الموت (الذي خلق سبع سموات طباقا) أي بعضها فوق بعض (ما ترى في خلق الرحمن) أي في خلقه السماء (من تفاوت) أي اختلاف واضطراب بل هي مستوية مستقيمة (فارجع البصر) أي أعد فيها النظر (هل ترى من فطور) أي صدوع وشقوق (ثم ارجع البصر كرتين) أي مرتين (ينقلب) أي ينصرف ويرجع (اليك البصر خاسئا) أي صاغرا ذليلا (وهو حسير) أي وقد أعيا من قبل أن يرى في السماء خللا (ولقد زينا السماء الدنيا) أي التي تدنو منكم (بمصابيح) أي بكواكب (وجعلناها رجوما) أي مرامي (للشياطين) اذا استرقوا السمع (وأعتدنا لهم) في الآخرة (عذاب السعير) وقوله (اذا ألقوا فيها سمعوا لها) أي لجهنم (شهيقا) يعني صوتا كصوت الحمار (وهي تفور) أي تغلي (تكاد تميز) تتقطع (من الغيظ) غضبا على الكفار (كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها) أي سؤال توبيخ (ألم يأتكم نذير) أي رسول في الدنيا ينذركم عذاب الله فاعترفوا بتكذيب

الرسل ثم اعترفوا بجهلهم [illegible] (الرحمن) [illegible]

عظيم في العذاب (وقالوا) للخزنة (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) أي لو كنا نسمع الانذار سماع من كان طالبا للحق أو نعقله عقل من كان متفكرا لما كنا اليوم مع أهل الوقود في النار (فاعترفوا بذنبهم) أي أقروا بتكذيبهم الرسل و بكفرهم بآيات الله (فسحقا لأصحاب السعير) وهو منصوب اما على المفعول به أي ألزمهم الله سحقا أي بعدا من رحمته أو على المصدر والتقدير سحقهم الله سحقا أي باعدهم الله من رحمته مباعدة وقرأ الكسائي بضم الحاء (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) أي حال كونهم في الخلوة حيث لا يراهم الناس (لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر كبير) في الجنة (وأسروا) أيها الناس (قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور) أي عليم بالقلوب وأحوالها فاحذروا من المعاصي سرا كما تحترزون عنها جهرا فانه لا يتفاوت ذلك بالنسبة الى علم الله تعالى قال ابن عباس كانوا ينالون من رسول الله فيخبره جبريل فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فأنزل الله هذه الآية (ألا يعلم من خلق) أي ألا يعلم السر والجهر من أوجد جميع الاشياء فمن خلق شيأ لا بد وأن يكون عالما بمخلوقه (وهو اللطيف الخبير) أي والحال انه تعالى الفاعل للاشياء اللطيفة العالم ببواطن الامور (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا) أي لينة يسهل عليكم السلوك فيها (فامشوا في مناكبها) أي فاسلكوا في جوانبها (وكلوا من رزقه) أي كلوا مما خلقه الله رزقا لكم في الارض (واليه النشور) أي المرجع بعد البعث فبالغوا في شكر نعمه (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض) فان يخسف بدل اشتمال من من أي أتأمنون يا أهل مكة من قد أقررتم بأنه في السماء واعترفتم له بالقدرة على ما يشاء وهو متعال عن المكان أن يغور بكم الارض بعد ما جعلها لكم لينة (فاذا هي) أي الارض (تمور) أي تضطرب وتتقلب (أم أمنتم من في السماء) أي بل أأمنتم أيها المكذبون من تزعمون انه في السماء وهو منزه عن المكان (أن يرسل عليكم حاصبا) أي ريحا فيها حجارة (فستعلمون كيف نذير) أي فستعلمون عاقبة انذاري اياكم (ولقد كذب الذين من قبلهم) أي من قبل كفار مكة من كفار الامم السالفة (فكيف كان نكير) أي انكاري وتغييري عليكم أليس وجدوا العذاب حقا (أولم يروا) أي أغفلوا ولم ينظروا (الى الطير فوقهم صافات) أي باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها (ويقبضن) أي يضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا (ما يمسكهن) في الجو عند البسط والقبض (الا الرحمن) أي الواسع رحمته كل شيء وهذه الجملة مستأنفة فالوقف على يقبضن تام كالوقف هنا (انه بكل شيء بصير) فيكون الله رائيا لنفسه ولجميع الموجودات (أمن هذا الذي هو جند لكم) أي بل من هذا الحقير الذي هو في زعمكم جند لكم فأم بمعنى بل ومن اسم استفهام مبتدأ خبره اسم الاشارة وقرأ طلحة بتخفيف الميم هنا وتشديده ثم والمعنى أهذا الذي هو جند لكم أم الذي يرزقكم (ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا في غرور) أي ما الكافرون الا في غرور من الشيطان فهو يغرهم بأن العذاب لا ينزل بهم أعلم أن الكافرين كانوا يمتنعون عن الايمان ولا يلتفتون الى دعوة الرسول معتمدين على شيئين أحدهما اقوتهم بما لهم وجندهم وثانيهما اعتقادهم أن الاوثان توصل اليهم جميع الخيرات وتدفع عنهم جميع الآفات وقد أبطل الله عليهم الاول بقوله تعالى أم من هذا الذي هو جند لكم الآية ورد عليهم الثاني بقوله تعالى (أمن هذا الذي يرزقكم ان أمسك رزقه) أي بل من الذي يرزقكم من آلهتكم ان أمسك الله الرزق عنكم بل لو كان الرزق موجودا سهل التناول فوضع الآكل لقمة في فيه فأمسك الله تعالى عنه قوة الازدراد لعجز أهل السموات والارض عن أن يسوغوا تلك اللقمة (بل

وقوله (فسحقا لأصحاب السعير) أي أسحقهم الله سحقا يعني باعدهم من رحمته مباعدة (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) أي قبل معاينة العذاب وأحكام الآخرة وقوله (وأسروا قولكم أو اجهروا به) نزلت في المشركين الذين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم بألسنتهم فيخبره الله تعالى فقالوا فيما بينهم أسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى (ألا يعلم من خلق) أي ألا يعلم ما في صدوركم وما تسرون به من قولكم (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا) أي سهلا مسخرة (فامشوا في مناكبها) أي جوانبها (وكلوا من رزقه واليه النشور) أي اليه يبعث الخلق (أأمنتم من في السماء) قدرته وسلطانه وعرشه (أن يخسف بكم الارض) أي يغور بكم فيها (فاذا هي تمور) أي تتحرك بكم وترتفع فوقكم وقوله (فستعلمون) أي عند معاينة العذاب (كيف نذير) أي انذاري بالعذاب (ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير) أي انكاري اذا أهلكتهم

(أولم يروا الى الطير فوقهم صافات) أي باسطات أجنحتهن (ويقبضن) أي يضربن بها جنوبهن (ما يمسكهن) الجو في حال القبض والبسط (الا الرحمن) بقدرته (أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) أي يدفع عنكم عذابه وقوله (بل

لجوا فى عتو ونفور) أى بل تمادوا فى ابائهم عن الحق وشرادهم عن الايمان ثم ضرب الله مثلا للمشرك والموحد فقال (أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم) أى أفمن يمشى فى مكان غير مستو فيعثر كل ساعة ويخر على وجهه فى كل خطوة أهدى الى المقصد أم من يمشى معتدلا على طريق مستو لا عوج فيه ولا انحراف سالما من العثور والخرور (قل هو الذى أنشأكم) أى أوجدكم ايجادا بديعا (وجعل لكم السمع) لتسمعوا بها الآيات القرآنية (والابصار) لتنظروا بها الى الآيات التكوينية (والافئدة) لتتفكروا بها فيما تسمعونه من الآيات التنزيلية وفيما تشاهدونه من الآيات التكوينية (قليلا ما تشكرون) لان شكر نعمة الله تعالى هو أن يصرف تلك النعمة الى وجه رضاه وأنتم لما صرفتم السمع والبصر والعقل الى غير طلب مرضاته فأنتم ما شكرتم نعمته البتة (قل هو الذى ذرأكم) أى خلقكم وكثركم (فى الارض واليه تحشرون) فى الآخرة للجزاء (ويقولون) أى كفار مكة من فرط عنادهم (متى هذا الوعد) أى الحشر الموعود (ان كنتم صادقين) أى ان كنتم صادقين بما تخبرونه من مجىء الساعة والحشر فبينوا وقته (قل انما العلم) بوقت مجيئه (عند الله) لا يطلع عليه غيره (وانما أنا نذير مبين) أنذركم وقوع الموعود فان العلم بالوقوع غير العلم بوقت الوقوع فالعلم الاول كاف فى الانذار والعلم الثانى ليس الا لله (فلما رأوه) أى العذاب بعد الحشر (زلفة) أى ذا قرب (سيئت وجوه الذين كفروا) أى اسودت وجوههم وعلتها الكآبة وصارت كوجه من يقاد الى القتل (وقيل) أى قال لهم الخزنة توبيخا (هذا الذى كنتم به تدعون) أى تطلبونه فى الدنيا وتستعجلونه استهزاء أو هذا الذى كنتم تدعون انه باطل لا يأتيكم وقرأ الحسن وقتادة وأبو رجاء والضحاك ويعقوب وأبو زيد وأبو بكر وابن أبى عبلة ونافع فى رواية الاصمعى بسكون الدال من الدعاء وهى مؤيدة للقول بأن تدعون مثقلة من الدعاء فى قراءة العامة وقيل من الدعوى (قل أرأيتم) أى أخبرونى (ان أهلكنى الله) أى ان أماتنى الله (ومن معى) من المؤمنين (أو رحمنا) بتأخير آجالنا فأى راحة لكم فى ذلك وأى منفعة لكم فيه يروى أن كفار مكة كانوا يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك حين خوفهم النبى بعذاب الله (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) أى من الذى يجيركم من عذاب الله اذا نزل بكم أتظنون ان الاصنام تجيركم فاذا علمتم أن لا مجير لكم منه سواء متنا أو بقينا فهلا تمسكتم بما يخلصكم من العذاب وهو العلم بالتوحيد والنبوة والبعث (قل هو) أى الذى أدعوكم الى عبادته (الرحمن) أى معطى النعم كلها (آمنا به) ولم نكفر به كما كفرتم (وعليه توكلنا) لا على غيره كما فعلتم حيث توكلتم على رجالكم وأموالكم وهو لا يقبل دعاءكم لانكم أهل الكفر (فستعلمون) عند معاينة العذاب فى الآخرة (من هو فى ضلال مبين) أى ظاهر أنحن أم أنتم وقرأ الكسائى فسيعلمون بالياء التحتانية (قل أرأيتم) أى أخبرونى (ان أصبح ماؤكم غورا) أى ان صار ماؤكم ذاهبا فى الارض بالكلية أو بحيث لا تناله الدلاء (فمن يأتيكم بماء معين) أى ظاهر سهل المأخذ تراه العيون فلا بد لهم وان يقولوا الا يأتينا به الا الله فقل لهم حينئذ لم تجعلون من لا يقدر على شىء أصلا شريكا له فى المعبودية وكان ماؤهم من بئر زمزم وبئر ميمون ويستحب أن يقول القارىء عقب معين الله رب العالمين كما ورد فى الحديث

﴿سورة القلم وتسمى سورة ن مكية اثنتان وخمسون آية وثلاثمائة
كلمة وألف ومائتان وستة وخمسون حرفا﴾

لجوا) أى تمادوا (فى عتو) أى عصيان وضلال (ونفور) أى تباعد من الحق (أفمن يمشى مكبا (٣٩٦) على وجهه) يعنى الكافر يمشى يوم القيامة وهو يمشى على وجهه يقال كببت فلانا على وجهه فأكب يقول هذا أهدى (أمن يمشى سويا) وهو المؤمن مستقيما (على صراط مستقيم قل هو الذى أنشأكم) أى خلقكم (وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة قليلا ما تشكرون) أى لا تشكرون خالقكم وخالق هذه الاعضاء لكم اذ أشركتم به غيره (قل هو الذى ذرأكم) أى خلقكم (فى الارض واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) يعنى وعد الحشر (قل انما العلم) بوقوعه ومجيئه (عند الله وانما أنا نذير) أى مخوف (مبين) أى أبين لكم الشريعة (فلما رأوه) يعنى العذاب فى الآخرة (زلفة) أى قريبا (سيئت وجوه الذين كفروا) أى تبين فى وجوههم السوء وعلتها الكآبة (وقيل هذا) العذاب الذى كنتم به تدعون) أى تفتعلون من الدعاء أى تدعون الله به اذ تقولون اللهم ان كان هذا الآية (قل أرأيتم ان أهلكنى الله) أى عذبنى (ومن معى أو رحمنا) أى غفر لنا (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) يعنى نحن مع ايماننا خائفون أى نخاف عذابه ونرجو رحمته فمن يمنعكم من عذابه وأنتم كافرون (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا) أى غائرا يعنى ذاهبا فى الارض (فمن يأتيكم بماء معين) أى ظاهر تناله الايدى والدلاء ﴿تفسير سورة القلم﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ن) أقسم الله تعالى بالحوت الذي على ظهر الارض (والقلم) يعني القلم الذي خلقه الله تعالى تجري بالكائنات الى يوم القيامة (وما يسطرون) أي وما تكتب الملائكة (ما أنت بنعمة ربك) أي بانعامه عليك بالنبوة (بمجنون) يعني انك لا تكون مجنونا وقد أنعم الله عليك بالنبوة وهذا جواب لقولهم وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون (وان لك لأجرا غير ممنون) أي غير مقطوع ولا منقوص (وانك لعلى خلق عظيم) أي أنت على الخلق الذي أمرك الله به في القرآن (فستبصر) يا محمد (ويبصرون) يعني المشركين الذين رموه بالجنون (بأيكم المفتون) أي الفتنة بك أم بهم (فلا تطع المكذبين) أي فيما دعوك اليه من دينهم (ودوا لو تدهن فيدهنون) أي تلين لهم فيلينون لك (ولا تطع كل حلاف) أي كثير الحلف بالباطل يعني الوليد بن المغيرة (مهين) أي حقير (هماز) أي عياب (مشاء بنميم) أي ساع بين الناس بالنميمة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ن) أقسم الله بالنون وهي السمكة التي تحمل الارضين على ظهرها واسمها اليواش وهي في الماء تحت الارض السفلى وتحتها الثور واسمه يهموت وتحته الصخر وتحتها الثرى ولا يعلم ما تحته الا الله تعالى وهذا مروي عن ابن عباس وقيل انه تعالى أقسم بالحوت الذي احتبس يونس عليه السلام في بطنه وقيل انه تعالى أقسم بالحوت الذي لطخ سهم نمروذ بدمه والقول الثاني وهو مروي أيضا عن ابن عباس ان النون هو الدواة وعلى هذا أقسم الله تعالى بالدواة والقلم فان المنفعة بهما عظيمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة (والقلم) أقسم الله بالقلم وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والارض (وما يسطرون) أي وما يكتب الملائكة في صحفهم يكتبون فيها المقادير التي تنفع في العالم ينتسخون ذلك من اللوح المحفوظ (ما أنت) يا أكرم الخلق (بنعمة ربك بمجنون) أي أنت بريء من الجنون متلبسا بنعمة الله التي هي النبوة والرئاسة العامة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم غاب عن خديجة الى حراء فطلبته فلم تجده فاذا به وجهه متغير فقالت له ما لك فذكر نزول جبريل عليه السلام وانه قال له اقرأ باسم ربك قال صلى الله عليه وسلم ثم نزل بي الى قرار الارض فتوضأ ثم توضأت ثم صلى وصليت معه ركعتين وقال هكذا الصلاة يا محمد فلما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لخديجة ذهبت الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها فسألته فقال أرسلي الى محمد فأرسلته فأتاه فقال هل أمرك جبريل ان تدعو الى الله أحدا فقال لا فقال والله لئن بقيت الى دعوتك لا نصرنك نصرا عزيزا ثم مات قبل دعاء الرسول فلما دعا صلى الله عليه وسلم كفار قريش الى الله قالوا انه لمجنون فأقسم الله تعالى على انه ليس بمجنون (وان لك) يا أكرم الخلق على ما تحملت من أثقال الرسالة ومن ألوان الشدائد من جهة قومك (لأجرا غير ممنون) أي غير مقطوع (وانك لعلى خلق عظيم) كانت نفسه صلى الله عليه وسلم شديدة النفرة عن اللذات البدنية والسعادات الدنيوية بالطبع ومقتضى الفطرة عن عائشة قالت ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته الا قال لبيك وقال أنس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي في شيء فعلته لم فعلت ولا في شيء لم أفعله هلا فعلت (فستبصر ويبصرون) أي فستعلم يا محمد ويعلم المشركون يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل أو فسترى يا محمد ويرون في الدنيا انك تصير معظما في القلوب وانهم يصيرون ذليلين (بأيكم المفتون) والباء زائدة أي أيكم الذي فتن بالجنون أو بمعنى في أي في أي الفريقين المجنون أفي فرقة الاسلام أم في فرقة الكفار ويؤيده قراءة ابن أبي عبلة في أيكم وقيل ان المفتون مصدر جاء على مفعول والتقدير بأيكم الفتون أي الجنون (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) أي هو أعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله تعالى المؤدي الى سعادة الدارين (وهو أعلم بالمهتدين) أي وهو أعلم بالعقلاء وهم المهتدون الى سبيله الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل محذور (فلا تطع المكذبين) وهم رؤساء أهل مكة الذين دعوه صلى الله عليه وسلم الى دين آبائهم (ودوا لو تدهن فيدهنون) أي تمنوا ان تترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك وان يتركوا بعض ما لا ترضى به فتلين لهم ويلينون لك ولو مصدرية أي ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون اطمعهم في ادهانك (ولا تطع كل حلاف) أي كثير الحلف في الحق والباطل (مهين) أي ضعيف في دين الله حقير في التدبير والتمييز (هماز) أي عياب طعان (مشاء بنميم) أي نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه الافساد

بينهم (مناع للخير) أي بخيل بالمال أو مناع الناس من الدخول في دين الاسلام (معتد) أي ظلوم (أثيم) أي مبالغ في الاثم (عتل) أي شديد الخصومة أو واسع البطن (بعد ذلك) أي مع ذلك المثالب (زنيم) أي دعي ملصق بالقوم وليس منهم والظرف متعلق بزنيم قيل هو الوليد ادعاه المغيرة بعد ثماني عشرة سنة من ولادته ونسبه لنفسه بعد ان كان لا يعرف له أب ولما نزلت هذه الآية قال لامه ان محمدا وصفني بتسع صفات أعرفها غير التاسع منها فان لم تصدقيني الخبر ضربت عنقك فقالت له ان أباك أي المغيرة عنين خفت على المال فمكنت الراعي من نفسي وكان للوليد عشرة من البنين وكان يقول لهم ولاقاربه لئن تبع دين محمد أحد منكم لا أنفعه بشيء أبدا فمنعهم من الاسلام وكان ينفق في الحجة الواحدة عشرين ألفا وألفا ولا يعطي المسكين درهما واحدا وهذه الآية عند أكثر المفسرين نزلت في الوليد بن المغيرة وعند ابن عباس في أبي جهل وعند مجاهد في الاسود بن عبد يغوث وعند السدي في الاخنس بن شريق أصله من ثقيف وعداده في زهرة (أن كان) أي لاجل ان كان هذا الموصوف (ذا مال وبنين) وهذا اما متعلق بما قبله أي لا تطع كل حلاف الآية لكثرة ماله وأولاده أو بما دل عليه ما بعده أي انه كفر بآياتنا لان كان ذا مال وبنين وفي قراءة سبعية أأن بهمزتين مفتوحتين أي ألأن كان ذا مال وبنين تطيعه أو ألأن كان ذا مال وبنين يكفر ويستكبر وكان مال الوليد بن المغيرة نحو تسعة آلاف مثقال من فضة وبنوه عشرة (اذا تتلى عليه آياتنا) أي القرآن (قال أساطير الاولين) أي هي أحاديث الاولين في كذبهم (سنسمه على الخرطوم) أي سنجعل له في الآخرة علامة على أنفه يعرف بها أهل القيامة انه كان في عداوة الرسول وفي انكار الدين الحق كما قاله قتادة قال ابن عباس أي سنخطمه بالسيف فنجعل ذلك علامة باقية على أنفه ما عاش وروي انه قاتل يوم بدر فخطم بالسيف في القتال (انا بلوناهم) أي أهل مكة بالقحط بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم عليهم بعد يوم بدر بسبع سنين (كما بلونا أصحاب الجنة) أي أهل البساتين كانت بصروان روي ان واحدا من ثقيف وكان مسلما كان يملك ضيعة فيها نخل وزرع بقرب صنعاء وكان يجعل من كل ما فيها عند الحصاد نصيبا وافرا للفقراء فلما مات ورثها منه بنوه وقالوا عيالنا كثير والمال قليل ولا يمكننا ان نعطي المساكين مثل ما كان يفعل أبونا فأحرق الله جنتهم وكانوا بعد عيسى بن مريم بزمن يسير (اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين) أي حين حلفوا بالله ليقطعن ثمر نخيلهم في وقت الصباح (ولا يستثنون) أي لا يقولون ان شاء الله أو ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يفعله أبوهم (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) أي فطرقها في الليل طارق من عذاب الله قال الكلبي أرسل الله عليها نارا من السماء فاحترقت وهم نائمون (فأصبحت كالصريم) أي فصارت البساتين بالاحتراق شبيهة بالبستان الذي صرمت ثماره بحيث لم يبق منها شيء أو صارت كالليل في اسودادها أو كالنهار في ابيضاضها من فرط اليبس (فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين) أي فنادى بعضهم بعضا عند طلوع الفجر أي اذهبوا الى الثمار والزروع والاعناب فاصرموها ان كنتم قاصدين للصرم ولا تخبروا المساكين (فانطلقوا) الى البساتين (وهم يتخافتون) أي والحال أنهم يتسارون فيما بينهم كلاما خفيا (أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) وان مفسرة أي لا تدخلوا مسكينا في البساتين وقرأ ابن مسعود بطرح أن على اضمار القول والمعنى يتخافتون يقولون

[illegible]ع للخير) أي بخيل بالمال عن الحقوق (معتد) أي مجاوز في الظلم الحد (أثيم) أي آثم (عتل) أي غليظ [illegible]
أي مع ما ذكر من أوصافه (زنيم) أي ملحق بقومه وليس منهم (أن كان) أي لان كان (ذا مال وبنين)
أي يكذب بالقرآن وهو قوله (اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) والمعنى أنه يجعل مجازاة نعمة الله عليه بالمال والبنين الكفر بآياتنا (سنسمه على الخرطوم) أي سنجعل على أنفه علامة باقية ما عاش خطم أنفه بالسيف يوم بدر (انا بلوناهم) أي امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع (كما بلونا أصحاب الجنة) أي كما امتحنا أصحاب البستان باحتراقها وذهاب قوتهم منها وكانوا قوما بناحية اليمن وكان لهم أب وله جنة كان يتصدق منها على المساكين فلما مات قال بنوه نحن جماعة وان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليقطعن ثمرها بسدفة من الليل كيلا يشعر بها المساكين فيأتونهم وهو قوله (اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون) أي لا يقولون ان شاء الله (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) أي أنزل الله عليها نارا فأحرقتها (فأصبحت كالصريم) أي كالليل المظلم سوداء (فتنادوا مصبحين) أي نادى بعضهم بعضا لما أصبحوا ليخرجوا الى الصرام وهو قوله (أن اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين) أي قاطعين الثمر (فانطلقوا) أي ذهبوا اليها (وهم يتخافتون) أي يتسارون الكلام بينهم (أن لا) بأن لا (يدخلنها اليوم عليكم مسكين

مخطئون طريقنا ليست هذه جنتنا ثم علموا أن هذه عقوبة من الله تعالى فقالوا (بل نحن محرومون) ثمر جنتنا لمنعنا المساكين (قال أوسطهم) أي أعدلهم وأفضلهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) أي هلا تستثنون ومعنى التسبيح هاهنا الاستثناء بان شاء الله لانه تعظيم لله وكل تعظيم لله فهو تسبيح له (قالوا سبحان ربنا) نزهوه عن أن يكون ظالما وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا (انا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أي يلوم بعضهم بعضا بما فعلوا من الهرب من المساكين ومنع حقهم (قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين) أي بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها) أي خيرا من هذه الجنة (انا الى ربنا راغبون كذلك العذاب) أي كما فعلنا بهم نفعل بمن خالف أمرنا ثم ذكر ما عند الله للمؤمنين فقال (ان للمتقين) الآية فلما نزلت قال بعض قريش ان كان ماتذكرون حقا فان لنا في الآخرة أكثر مما لكم فنزل (أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون أم لكم كتاب) نزل من عند الله (فيه) ما تقولون (تدرسون) أي تقرؤن مافيه (ان لكم فيه) أي ويكون في ذلك الكتاب (لما تخيرون) أي تختارون (أم لكم أيمان) أي عهود ومواثيق (علينا بالغة) أي محكمة لا ينقطع عهدها (الى يوم القيامة)

لا يمكنوا المسكين من الدخول في البساتين حتى يدخل (وغدوا على حرد قادرين) أي وصاروا قاصدين الى بساتينهم قادرين على صرامها ومنع منفعتها عن المساكين في ظنهم أو أرادوا أن يحرموا المساكين وهم قادرون على نفعهم (فلما رأوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون) أي لما رأوا جنتهم محترقة ظنوا أنهم قد أخطؤا الطريق فقالوا انا لضالون طريق بستاننا ثم لما تأملوا وعرفوا أنها هي قالوا لسنا ضالين بل نحن محرومون منفعة جنتنا بشؤم عزمنا على البخل ومنع الفقراء ويحتمل أنهم لما رأوا جنتهم محترقة قالوا انا لضالون في الاعتقاد حيث كنا نعتقد كوننا قادرين على الانتفاع بها وحيث كنا عازمين على منع الفقراء بل الامر انقلب علينا فصرنا محرومين (قال أوسطهم) أي أفضلهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) أي هلا تذكرون الله تعالى وتتوبون اليه من خبث نيتكم حيث عزمتم على منع الزكاة (قالوا سبحان ربنا) عن أن يجري في ملكه ما لا يشاؤه (انا كنا ظالمين) بالاقسام على جذ الجنة في الصباح ومنع المساكين وترك الاستثناء (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أي يلوم بعضهم بعضا يقول واحد منهم أنت أشرت علينا بهذا الرأي ويقول الآخر أنت الذي خوفتنا بالفقر ويقول الثالث أنت الذي رغبتني في جمع المال (قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين) أي يا هلاكنا هذا وقت منادمتك لنا انا كنا متجاوزين حد الله بمنعنا المساكين (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها) أي أن يعطينا خيرا من جنتنا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالذنوب وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح الباء وتشديد الدال (انا الى ربنا راغبون) أي طالبون منه الخير راجون عفوه وروى أنهم قالوا ان أبدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع أبونا فتضرعوا الى الله تعالى بالدعاء فابدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خير منها فان الله أمر جبريل عليه السلام أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من أرض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان القوم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم الله جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا واحدا من كبره وقال أبو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرأيت فيها كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم (كذلك العذاب) أي مثل الذي بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة في صرو ان عذاب الدنيا لمن منع حق الله من ماله (ولعذاب الآخرة) لمن لا يتوب (أكبر) من عذاب الله في الدنيا (لو كانوا يعلمون) أنه أكبر لاحترزوا عما يؤديهم اليه (ان للمتقين عند ربهم) أي في الآخرة (جنات النعيم) أي جنات ليس لهم فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا قال مقاتل لما نزلت هذه الآية قال كفار مكة للمسلمين ان الله تعالى فضلنا عليكم في الدنيا فلا بد وان يفضلنا عليكم في الآخرة فان لم يحصل التفضيل فاقصى أمركم أن تساوونا فاجاب الله عن هذا الكلام بقوله (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) أي أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين أي مساوين لهم في العطاء (مالكم كيف تحكمون) أي أي شئ يحصل لكم يا أهل مكة وأي حال يدعوكم الى هذا الحكم هل هو صادر عن اختلال فكر أو اعوجاج رأي (أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون) أي بل ألكم كتاب نازل من السماء فيه تقرؤن ان لكم في ذلك الكتاب ما تشتهون في الآخرة وقرأ طلحة والضحاك أن لكم بفتح الهمزة وهو منصوب بتدرسون الا أن في اسمها زيادة لام التأكيد (أم لكم أيمان علينا) أي أم لكم عهود مؤكدة بالايمان (بالغة الى يوم القيامة) والجار والمجرور اما متعلق ببالغة أي أيمان تبلغ ذلك اليوم واما بالمقدر أي ثابتة لكم الى يوم القيامة

ويكون معنى بالغة مؤكدة وقرأ زيد بن على والحسن بالغة بالنصب على الحال من أيمان أو من الضمير فى الظرف (ان لكم لما تحكمون) وهذا جواب القسم لان المعنى أقسمنا لكم إيمانا موثقة ان لكم ما تحكمون به لانفسكم فى الآخرة وهو ان نسوّى بين المسلمين والكافرين (سلهم) يا أشرف الرسل (أيهم بذلك) الحكم الخارج عن العقول (زعيم) أى قائم (أم لهم شركاء) أى أو هل لهم ناس يساعدونهم على صحة ذلك القول (فليأتوا بشركائهم) أى بمن يشاركونهم فى ذلك القول ويكفلونه لهم بصحته (ان كانوا صادقين) فى دعواهم ويقال المعنى أم لهم أشياء يعتقدون أنها شركاء الله يجعلونهم فى الآخرة مثل المؤمنين فى الثواب والخلاص من العقاب فليأتوا بآلهتهم ان كانوا صادقين أن لهم ما قالوا (يوم يكشف عن ساق) أى يوم يشتد الامر قال أبو سعيد الضرير أى يوم يكشف عن أصل الامر أى تظهر يوم القيامة حقائق الاشياء وأصولها بحيث تصير عيانا وقرئ تكشف بالتاء الفوقية على البناء للفاعل أو المفعول والفعل للحال أو للساعة أى يوم تشتد الحال أو الساعة عن أمر وقرئ تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين أى يوم تدخل الحال فى الكشف عن أمر كانوا فى عمى منه فى الدنيا وقرئ نكشف بالنون (ويدعون الى السجود) توبيخا على تركهم اياه فى الدنيا بعد ما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (فلا يستطيعون) السجود تبقى أصلابهم فقارة واحدة مثل حصون الحديد (خاشعة أبصارهم) حال من واو يدعون (ترهقهم ذلة) أى تلحقهم ذلة شديدة بسبب أنهم ما كانوا مواظبين على خدمة مولاهم (وقد كانوا يدعون الى السجود) أى الى الصلوات بالاذان والاقامة فى الدنيا دعوة تكليف (وهم سالمون) أى أصحاء قادرون على الصلاة فلا يجيبون الداعى وفى هذا وعيد لمن قعد عن الجماعة ولم يجب المؤذن الى اقامة الصلاة فى الجماعة (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) أى خل يا أشرف الخلق بينى وبينهم فانى أكفيك أمرهم (سنستدرجهم) أى سننزلهم الى العذاب درجة فدرجة (من حيث لا يعلمون) أى كلما أذنبوا ذنبا جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار (وأملى لهم) أى أمهلهم ليزدادوا اثما (ان كيدى متين) أى ان سترى لاسباب الهلاك عمن أريد اهلاكه قوى لا يدفعه شئ ولا يطلع عليه أحد (أم تسألهم أجرا) أى أم تلتمس من أهل مكة أجرا دنيويا على الايمان (فهم من مغرم مثقلون) أى فهم لاجل ذلك مكلفون حملا ثقيلا من غرامة مالية يعطونكها فيعرضون عنك (أم عندهم الغيب) أى أم عندهم علم ما غاب عنهم كأنه حضر فى عقولهم (فهم يكتبون) على الله أى يحكمون عليه بما شاؤا (فاصبر لحكم ربك) فى امهالهم وتأخير نصرتك عليهم (ولا تكن كصاحب الحوت) أى ولا يكن حالك يا أشرف الخلق كحال يونس عليه السلام من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه (اذ نادى وهو مكظوم) اذ نادى فى بطن الحوت بقوله لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين وهو مملوء غما كما قاله ابن عباس ومجاهد أو كربا كما قاله عطاء وأبو مالك والفرق بين الغم والكرب أن الغم فى القلب والكرب فى الانفاس (لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ

[illegible] لكم لما تحكمون) أى تقضون وكسرت ان فى الآيتين لمكان اللام فى جوابهما [illegible] بذلك) الذى يقولون من ان لهم فى الآخرة حظا (زعيم) أى كفيل (أم لهم شركاء) أى آلهة تكفل لهم بما يقولون (فليأتوا بشركائهم لتكفل لهم (ان كانوا صادقين) فيما يقولون (يوم يكشف عن ساق) أى عن شدة من الامر وهو يوم القيامة قال ابن عباس هى أشد ساعة فى القيامة (ويدعون الى السجود) يعنى الكافرين والمنافقين (فلا يستطيعون) أى تصير ظهورهم طبقا واحدا كلما أراد أن يسجد واحد منهم خر على قفاه (خاشعة أبصارهم) أى ذليلة لا يرفعونها (ترهقهم) أى تغشاهم (ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود) فى الدنيا (وهم سالمون) فيأبون ولا يسجدون لله (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) أى دعنى والمكذبين بالقرآن أى كلهم الىّ ولا تشغل قلبك بهم فانى أكفيك أمرهم (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) أى نأخذهم قليلا قليلا ولا نباغتهم (وأملى لهم) أمهلهم كى يزدادوا تماديا فى الشر (ان كيدى متين) أى شديد لا يطاق (أم تسألهم) أى بل تسألهم على ما أتيتهم به من الرسالة (أجرا فهم من مغرم) أى مما يعطونك (مثقلون أم عندهم الغيب) أى علم ما فى غد (فهم يكتبون) أى يحكمون (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت) أى كيونس عليه السلام فى الضجر والعجلة (اذ نادى) أى دعا ربه (وهو مكظوم) أى مملوء غما (لولا أن تداركه) أى أدركه (نعمة من ربه) أى رحمة (لنبذ) أى لطرح يعنى حين ألقاه الحوت.

بالعراء وهو مليم) أى لولا هذه النعمة التى هى توفيقه للتوبة وقبولها منه لطرح بالارض الخالية من الاشجار مع وصف المذمومية وقرئ رحمة من ربه وقرأ ابن هرمز والحسن تداركه بتشديد الدال وقرأ ابن عباس وابن مسعود تداركته (فاجتباه ربه) أى رد عليه الوحى بعد ان انقطع عنه وأرسله الى مائة ألف أو يزيدون (فجعله من الصالحين) أى الكاملين فى الصلاح بأن عصمه من أن يفعل فعلا يكون تركه أولى روى أن هذه الآية نزلت فى أحد حين حل برسول الله ما حل فاراد أن يدعو على الذين انهزموا وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) أى انهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك وقرئ فى السبعة ليزلقونك بضم الياء وفتحها وقرئ ليزهقونك روى أنه كان فى بنى أسد عيانون فاراد بعضهم أن يعين رسول الله فنزلت هذه الآية (لما سمعوا الذكر) أى وقت سماعهم القرآن (ويقولون) لغاية حيرتهم فى أمره صلى الله عليه وسلم (انه) أى محمدا (لمجنون) فاجابهم الله تعالى بقوله (وما هو الا ذكر للعالمين) أى وما هذا القرآن الذى يزعمون أنه دلالة جنونه صلى الله عليه وسلم الا عظة للجن والانس

﴿سورة الحاقة مكية احدى وخمسون آية ومائتان وست وخمسون كلمة وألف وأربعمائة وثمانون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحاقة ما الحاقة) أى أى شئ هى (وما أدراك) أى وأى شئ أعلمك (ما الحاقة) أى انك لا علم لك بأشرف الخلق بكنهها ومدى عظمها والحاقة هى الساعة الثابتة الوقوع الواجبة المجئ أو التى تحق فيها الامور أى تعرف على الحقيقة (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أى بالحالة التى تقرع قلوب الناس بالافزاع وهى القيامة وقوارعها انفطار السماء وانشقاقها ودك الارض ونسف الجبال وطمس النجوم وانكدارها (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) أى بالصيحة المجاوزة للحد فى القوة (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر) أى باردة (عاتية) أى مجاوزة للحد فى شدة عصفها (سخرها) أى سلطها (عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما) أى متتابعة من صبيحة أربعاء لثمان بقين من شوال الى غروب الاربعاء الآخر فكان آخرها هو اليوم الاخير منه (فترى القوم) أى قوم هود ان كنت حاضرا وقتئذ (فيها) أى فى مهاب الريح (صرعى) أى موتى مجندلين على الارض (كأنهم أعجاز نخل خاوية) أى كأنهم أصول نخل ساقطة بالية (فهل ترى لهم من باقية) قال قوم أى لم يبق من نسل أولئك القوم أحد وقال ابن جريج كانوا سبع ليال وثمانية أيام أحياء فى عقاب الله من الريح فلما أمسوا اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فألقتهم فى البحر فذلك قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية (وجاء فرعون ومن قبله) قرأ أبو عمرو والكسائى بكسر القاف وفتح الباء أى ومن عنده من أتباعه وجنوده ويؤيده قراءة ابن مسعود وأبى وأبى موسى ومن تلقاءه وقرأ أبى أيضا ومن معه والباقون بفتح القاف وسكون الباء أى من تقدمه من الامم (والمؤتفكات) أى أهل القريات الخمسة المنقلبات قوم لوط وهى صنعة وصعرة وعمرة ودوما وسدوم (بالخاطئة) أى بالخطأ كتكذيب البعث وكاللواط والصفع والضراط وغير ذلك من أنواع المعاصى (فعصوا رسول ربهم) موسى ولوطا وغيرهما (فأخذهم) أى الله تعالى (أخذة رابية) أى زائدة فى الشدة على عقوبات سائر الكفار كما أن أفعالهم كانت زائدة فى القبح على

(بالعراء) أى بالارض [illegible]
(فجعله من الصالحين) بأن رده (٣٩٦) وتاب عليه (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر) أى [illegible] ابتداء سهم وعداوتهم لك اذا قرأت القرآن ينظرون اليك نظرا شديدا يكاد يصرعك ويسقطك عن مكانك (ويقولون انه لمجنون وما هو) يعنى القرآن (الا ذكر) أى عظة (للعالمين)

﴿تفسير سورة الحاقة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحاقة) يعنى القيامة لانها حقت فلا كاذبة لها (ما الحاقة) استفهام معناه التعظيم لشأنها كقولك زيد ما هو (وما أدراك ما الحاقة) يريد أى شئ أعلمك ما ذلك اليوم ثم ذكر من كذب بالقيامة فقال (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أى بالقيامة التى تقرع القلوب بأهوالها (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) أى بالصيحة الطاغية وهى التى جاوزت المقدار (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية) أى عتت على خزانها فلم تطعهم (سخرها عليهم) أى استعملها عليهم كما شاء وقوله (حسوما) أى دائمة متتابعة والمعنى تحسمهم حسوما أى تذهبهم وتفنيهم (فترى القوم) أى أهل القرى (فيها) فى تلك الايام (صرعى) جمع صريع (كأنهم أعجاز) أصول (نخل خاوية) أى ساقطة (فهل ترى لهم من باقية) أى هل ترى منهم باقية (وجاء فرعون ومن قبله) أى اتباعه ومن قرأ ومن قبله فمعناه ومن تقدمه من الامم (والمؤتفكات) يعنى أهل قرى قوم لوط (بالخاطئة) أى بالخطأ العظيم وهو الكفر (فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية) أى زائدة افعال

أفعال سائر الكفار (انا لما طغى الماء) أى ارتفع الماء وزاد على أعلى جبل خمسة عشر ذراعا وذلك فى زمن نوح (حملناكم) فى أصلاب آبائكم (فى الجارية) أى فى سفينة نوح عليه السلام (لنجعلها لكم تذكرة) أى لنجعل هذه القصة التى هى نجاة المؤمنين واغراق الكفرة عظة لكم تتعظون بها (وتعيها أذن واعية) أى ليحفظها قلب حافظ ويقال تسمع هذا الامر أذن سامعة فتنتفع بما سمعت وقرأ نافع بسكون الذال وقرأ العامة وتعيها بكسر العين وروى عن ابن كثير ساكنة العين وذلك مثل ويتقه فى قراءة من سكن القاف (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) وهى نفخة البعث وقرأ أبو السماك بنصب نفخة واحدة على المصدر وباسناد الفعل الى الجار والمجرور (وحملت الارض والجبال) أى وبعد خروج الناس من قبورهم رفعت الارض والجبال من أماكنها اما بالزلزلة أو بريح أو بملك من الملائكة أو بقدرة الله من غير سبب (فدكتا دكة واحدة) أى ضربت احدى الجملتين بالاخرى ضربة واحدة فتفتتت وصارت كثيبا مهيلا (فيومئذ وقعت الواقعة) أى قامت القيامة الكبرى وهذا جواب اذا (وانشقت السماء) لنزول الملائكة (فهى) أى السماء (يومئذ واهية) أى ساقطة القوة بعدما كانت محكمة شديدة (والملك على أرجائها) أى والملائكة واقفون على أطراف السماء التى لم تسقط فهؤلاء من جملة المستثنى ممن يموتون فى الصعقة الاولى وقيل انهم يقفون لحظة على أطراف السماء ثم يموتون (ويحمل عرش ربك فوقهم) أى حال كون العرش فوق الملائكة الواقفين على جوانب السماء (يومئذ) أى يوم وقعت الواقعة (ثمانية) من الاملاك وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ان حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أمدهم الله تعالى بأربعة أخرى فكانوا ثمانية على صورة الاوعال أى تيوس الجبل وفى حديث آخر لكل ملك منهم وجه انسان ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر وكل وجه منها يسأل الله الرزق لذلك الجنس قال بعضهم واسم أحدهم روفيل ولبنان وقال ابن عباس هم ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى (يومئذ) أى يوم قامت القيامة (تعرضون) على الله أى تسألون وتحاسبون وروى أن فى يوم القيامة ثلاث عرضات عرض للحساب والمعاذير وعرض للخصومات والقصاص وعرض لتطاير الكتب وقراءتها (لا تخفى منكم خافية) أى لا يخفى يوم القيامة ما كان مخفيا منكم فى الدنيا فانه تظهر أحوال المؤمنين فيتكامل بذلك سرورهم وتظهر أحوال أهل العذاب فيظهر بذلك حزنهم وفضيحتهم وقرأ حمزة والكسائى لا يخفى بالياء التحتية (فأما من أوتى كتابه بيمينه) كأبى سلمة بن عبد الاسد (فيقول) لاصحابه تبجحا وابتهاجا (هاؤم اقرؤا كتابيه) أى خذوا كتابى وانظروا ما فيه من الثواب والكرامة (انى ظننت أنى ملاق حسابيه) أى انى فى الدنيا تيقنت أنى ألقى حسابى فى الآخرة ولم أنكر البعث وروى أبو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل يؤتى به يوم القيامة ويؤتى كتابه فتكتب حسناته فى ظهر كفه وتكتب سيآته فى بطن كفه فينظر الى سيآته فيحزن فيقال له اقلب كفك فينظر فيه فيرى حسناته فيفرح ثم يقول هاؤم اقرؤا كتابيه انى ظننت عند النظرة الاولى أنى ملاق حسابيه على سبيل الشدة وأما الآن فقد فرج الله عنى ذلك الغم (فهو فى عيشة راضية) أى منسوبة الى الرضا (فى جنة عالية) فى المكان والدرجة (قطوفها دانية) أى ثمارها قريبة يتناولها القاعد يقول الله لهم (كلوا) من الثمار (واشربوا) من الانهار (هنيأ) أى بلا تعب فى تحصيل الاكل والشراب وبلا داء فى تناولهما (بما أسلفتم فى الايام الخالية) أى بمقابلة ما قدمتم من الاعمال الصالحة فى الايام الماضية وهى أيام الدنيا (وأما من أوتى كتابه بشماله) كالاسود بن عبد الاسد (فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه) أى لم أعط كتابى

وهى السفينة (لنجعلها) أى لنجعل تلك الفعلة التى فعلنا من اغراق قوم نوح وانجاء من معه (لكم تذكرة) تتذكرون بها فتتعظون بها (وتعيها أذن واعية) أى لتحفظها كل أذن تحفظ ما سمعت (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) يعنى النفخة الاولى لقيام الساعة (وحملت الارض والجبال فدكتا) أى كسرتا (دكة واحدة) فصارت هباء منبثا (فيومئذ وقعت الواقعة) أى قامت القيامة (وانشقت السماء فهى يومئذ واهية) أى منشقة (والملك) يعنى الملائكة (على أرجائها) أى نواحيها (ويحمل عرش ربك فوقهم) أى فوق الملائكة (ثمانية) أى ثمانية أملاك (يومئذ تعرضون) على ربكم (لا تخفى منكم خافية) كقوله لا يخفى على الله منهم شئ (فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم) أى خذوا (اقرؤا كتابيه) أى كتابى وذلك لما يرى فيه من الحسنات (انى ظننت أنى ملاق حسابيه) أى أيقنت أنى أحاسب (فهو فى عيشة راضية) أى ذات رضى يرضى بها صاحبها (فى جنة عالية قطوفها دانية) أى ثمارها قريبة من مريدها على أى حال كان يقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم) أى قدمتم لآخرتكم من الأعمال الصالحة (فى الأيام الخالية) أى الماضية فى

هذا الذي ذكر فى قبائح أفعالي حتى لا أقع فى هذه الخجالة (ولم أدر ما حسابيه) أي أي شيء حسابي من ذكر العمل وذكر الجزاء (ياليتها كانت القاضية) أي ليت هذه الحالة كانت موتة انتهيت اليها أوليت الموتة التي مت بها فى الدنيا كانت قاطعة لامري فلم أبعث بعدها ولم ألق ما لقي (ما أغنى عني ماليه) وما اما نافية وماليه كلمة واحدة أي ما دفع عني من عذاب الله مالي الذي جمعته فى الدنيا أو استفهامية وماليه كلمتان أي أي شيء نفعني مما كان لي من المال والاتباع (هلك عني سلطانيه) أي ضلت عني حجتي التي كنت أحتج بها فى الدنيا أو ذهب ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا فيقول الله تعالى يومئذ لخزنة النار (خذوه) أيتها الزبانية (فغلوه) أي شدوه بالاغلال فيبتدر اليه مائة ألف ملك وتجمع يده الى عنقه ورجله الى وراء قفاه الى ناصيته (ثم الجحيم) أي النار العظمى (صلوه) أي شووه (ثم فى سلسلة ذرعها) أي قدرها بذراع الملك (سبعون ذراعا فاسلكوه) أي ادخلوه قال ابن عباس تدخل السلسلة من دبره وتخرج من حلقه ثم يجمع بين ناصيته وقدميه ثم يجعل فى عنقه سائرها وقال نوف البكالي كل ذراع سبعون باعا كل باع أبعد مما بين مكة والكوفة (انه كان) فى الدنيا (لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين) أي ولا يحث على بذل طعام المسكين وعن أبي الدرداء انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان أفلا نخلع النصف الباقي (فليس له اليوم ههنا حميم) أي فليس له فى ذلك الوقت فى مجمع القيامة قريب يدفع عنه ويحزن عليه (ولا طعام الا من غسلين) قال الكلبي هو ما يسيل من أهل النار اذا عذبوا من القيح والدم والصديد (لا يأكله الا الخاطئون) أي المتعمدون للذنوب وهم المشركون وقرأ الزهري والعتكي وطلحة والحسن الخاطيون بياء مضمومة بدل الهمزة وقرأ نافع فى رواية وشيبة بطاء مضمومة بدون همز أي الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله (فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون) ولا مزيدة أو أصلية ردا لانكارهم البعث أي أقسم بما تبصرون يا أهل مكة من شيء كالسماء والارض والشمس والقمر ومحمد صلى الله عليه وسلم ومالا تبصرون من شيء كالجنة والنار والعرش والكرسي وجبريل عليه السلام فالاشياء لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر فالاقسام يعم جميع الاشياء على الشمول (انه) أي القرآن (لقول رسول كريم) على الله وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم وانما نسب القرآن هنا لرسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه الذي أظهره للخلق ودعا الناس الى الايمان به وجعله حجة لنبوته ونسب فى سورة اذا الشمس كورت الى سيدنا جبريل عليه السلام لانه الذي أنزله من السموات الى الارض وهو كلام الله تعالى بمعنى انه تعالى هو الذي أظهره فى اللوح المحفوظ وهو الذي رتبه ولذا قال ابن عباس فى تفسير هذه الآية ان القرآن قول الله نزل به جبريل على رسول كريم محمد عليه الصلاة والسلام (وما هو) أي القرآن (بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون) اي ليس هذا القرآن قولا من رجل شاعر لانه مباين لصنوف الشعر الا انكم لا تقصدون الايمان به فلذلك تعرضون عن التدبر ولو قصدتم الايمان لعلمتم كذب قولكم انه شعر وليس بقول رجل كاهن لانه وارد بشتم الشياطين الا انكم لا تتذكرون اشتماله على سب الشياطين فلذلك تقولون انه من باب الكهانة وما اما مزيدة لتأكيد معنى القلة وانتصب قليلا على انه نعت لمصدر محذوف أي تؤمنون ايمانا قليلا وتذكرون تذكرا قليلا فانهم قد يؤمنون فى قلوبهم ويتذكرون بها الا انهم يرجعون عن ذلك سريعا ولا يتمون الاستدلال كما أشار تعالى الى ذلك بقوله تعالى انه فكر وقدر وقال فى آخر الامر ان هذا الا سحر يؤثر واما نافية فينتفي ايمانهم وتذكرهم البتة أي لا يؤمنون أصلا بأن القرآن من الله ولا يتذكرون أصلا كيفية نظم القرآن قال مقاتل وسبب نزول هذه الآية

الدنيا وقوله (ياليتها كانت القاضية) يقول ليت الموتة التي متها لم أحي بعدها (هلك عني سلطانيه) أي ذهب عني حجتي وزال عني ملكي وقوتي فيقول الله تعالى لخزنة جهنم (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه) أي ادخلوه (ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) أي ادخلوه فى تلك السلسلة فتدخل فى دبره وتخرج من فيه وهي سلسلة لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها (ولا يحض على طعام المسكين) أي لا يأمر بالصدقة على الفقراء (فليس له اليوم ههنا حميم) أي قريب ينفعه (ولا طعام الا من غسلين) وهو صديد أهل النار (لا يأكله الا الخاطئون) يعني الكافرين (فلا أقسم) لا زائدة (بما تبصرون) أي بما ترون من المخلوقات (ومالا تبصرون) أي ومالا ترون منها (انه) ان القرآن (لقول) أي لتلاوة (رسول كريم) على الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (وما هو بقول شاعر) أي ليس هو شاعر (قليلا ما تؤمنون) ما للغو مؤكدة (ولا بقول كاهن) وهو الذي يخبر عن الغيبات من جهة النجوم كذبا وباطلا ثم بين أن ما يتلوه تنزيل من الله فقال

ان الوليد بن المغيرة قال ان محمدا ساحر وقال أبو جهل شاعر وقال عقبة كاهن فرد الله تعالى عليهم بذلك وقرأ ابن كثير وكذا ابن عامر على خلاف عن ابن ذكوان بالياء التحتية في يؤمنون ويذكرون وخفف ذال تذكرون حمزة والكسائي وحفص (تنزيل من رب العالمين) أي بل هو تنزيل من موجدهم على محمد على وجه التنجيم وقرأ أبو السماك تنزيلا أي نزل تنزيلا (ولو تقوّل علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) أي ولو نسب محمد الينا قولا لم نقله لاخذنا بيمينه ثم لضربنا رقبته فان الوتين هو عرق متصل بالرأس من القلب وهذا تمثيل بما يفعله الملوك بمن يتكذب عليهم والمراد انه لو كذب علينا لأمتناه ويقال لو نسب محمد الينا قولا لم نأذن له في قوله لسلبنا عنه القوة ثم لقطعنا نياط قلبه بضرب عنقه ويقال لو افترى محمد علينا قولا من الكذب لاخذناه بقوتنا وقال مقاتل لانتقمنا منه بالحق فاليمين بمعنى الحق كقوله تعالى انكم كنتم تأتوننا عن اليمين أي من قبل الحق وقرئ ولو تقول على البناء للمفعول (فما منكم من أحد عنه حاجزين) أي فليس منكم أيها الناس أحد يمنعنا عن محمد أو عن عقابه (وانه) أي القرآن (لتذكرة للمتقين) لانهم المنتفعون به (وانا لنعلم أن منكم) أيها الناس (مكذبين) بالقرآن بسبب حب الدنيا فنجازيهم على تكذيبهم (وانه) أي القرآن (لحسرة) أي ندامة (على الكافرين) عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين يوم القيامة وكذا في دار الدنيا اذا رأوا دولة المؤمنين قال مقاتل أي وان تكذيبهم بالقرآن لحسرة عليهم (وانه لحق اليقين) أي وان القرآن لحق يقين انه كلامي نزل به جبريل على رسول كريم ويقال وان الحسرة على الكافرين يوم القيامة حق يقين (فسبح باسم ربك العظيم) أي اذكر توحيد ربك العظيم تنزيها له عن الرضا بنسبة ما هو برىء منه وشكرا على ما جعلك أهلا لايحائه اليك

﴿سورة المعارج وتسمى سورة سأل سائل مكية أربع وأربعون آية ومائتان وست عشرة كلمة وثمانمائة وأحد وستون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله) أي طلب طالب عذابا هو واقع بالكافرين في الدنيا والآخرة ليس لذلك العذاب من يدفعه عنهم من جهة الله تعالى لانه اذا أوجبت الحكمة وقوعه امتنع ان لا يفعله الله قال ابن عباس هو النضر بن الحرث حيث قال انكارا واستهزاء اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فقتل يوم بدر صبرا هو وعقبة ابن أبي معيط وقال الربيع هو أبو جهل حيث قال اسقط علينا كسفا من السماء وقيل هو الحرث بن النعمان الفهري وذلك انه لما بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه من كنت مولاه فعلي مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فمات من ساعته فنزلت هذه الآية وقال الحسن وقتادة لما بعث الله محمدا وخوف المشركين بالعذاب قال المشركون بعضهم لبعض سلوا محمدا لمن هذا العذاب وبمن يقع فاخبره الله عنهم بقوله سأل سائل بعذاب واقع أي عن عذاب فعلى هذا فقوله تعالى سأل سائل حكاية لسؤالهم المعتاد على طريقة قوله تعالى يسألونك عن الساعة وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد قال أبو السعود ولعل هذا القول أقرب وقرأ نافع وابن عامر سال بألف محضة وقرأ ابن عباس سال سيل بعذاب واقع للكافرين أي اندفع عليهم واد من أودية جهنم بعذاب واقع وهذا قول زيد بن ثابت وعبد الرحمن بن زيد وقرأ أبي على الكافرين (ذي المعارج) أي ذي السموات فهو خالقها كما قاله ابن عباس وسميت معارج لان الملائكة يعرجون فيها وقال قتادة أي ذي الفواضل

(تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل) يعني النبي صلى الله عليه وسلم أي لو قال ما لم يؤمر به وأتى بشيء من قبل نفسه (لأخذنا منه باليمين) من صلة والمعنى لأخذناه بالقوة والقدرة (ثم لقطعنا منه الوتين) وهو نياط القلب أي لأهلكناه (فما منكم من أحد عنه حاجزين) أي لا يحجزنا عنه أحد منكم (وانه) يعني القرآن (لحسرة على الكافرين) يوم القيامة اذا رأوا ثواب متابعيه (وانه لحق اليقين) أي وانه اليقين وحق اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) أي نزهه عن السوء

﴿تفسير سورة المعارج﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سأل سائل) أي دعا داع (بعذاب واقع للكافرين) أي على الكافرين وهو النضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية (ليس له دافع) أي ليس لذلك العذاب الذي يقع بهم دافع (من الله) أي ذلك العذاب يقع بهم من الله (ذي المعارج) أي ذي السموات

والنعم وهي تصل الى الناس على مراتب مختلفة وقيل أى ذى الدرجات التى يعطيها أولياءه فى الجنة (تعرج الملائكة والروح) وهو جبريل (اليه) أى الى انتهاء موضع كرامته تعالى وهو الموضع الذى لايجرى لاحد سواه تعالى فيه حكم وقيل الى عرشه وقرأ الكسائى يعرج بالياء التحتية (فى يوم) من أيامكم (كان مقداره خمسين ألف سنة) من سنى الدنيا أى يقطعون فى يوم مايقطعه الانسان فى خمسين ألف سنة لوفرض ذلك وقال وهب مابين أسفل العالم الى أعلى شرفات العرش مسيرة خمسين ألف سنة ومن أعلى السماء الدنيا الى الارض مسيرة ألف سنة لان عرض كل سماء مسيرة خمسمائة سنة ومابين أسفل السماء الى قرار الارض خمسمائة أخرى وقال محمد بن اسحق لوسار بنو آدم من الدنيا الى موضع العرش ساروا خمسين ألف سنة وقوله تعالى فى يوم متعلق بتعرج كما عليه الاكثرون وقال مقاتل هو متعلق بواقع وقيل متعلق بسال بغير همزة وهو الذى من السيلان وعلى هذا فالمراد بذلك اليوم يوم القيامة والمراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سنى الدنيا ثم يستقر أهل النار فى دركات النيران قال بعضهم وهذه المدة واقعة فى الآخرة لكن على سبيل التقدير والمعنى لو اشتغل بتلك الحكومة والمحاسبة أعقل الخلق وأدكاهم لبقى فيه خمسين ألف سنة ثم انه تعالى يتم ذلك القضاء والحساب فى مقدار نصف يوم من أيام الدنيا (فاصبر صبرا جميلا) أى فاصبر صبرا بلا جزع على استهزاء النضر وأمثاله بك وعلى تكذيب الوحى وعلى تعنت كفار مكة فى السؤال عليك فهذا مضبب بقوله تعالى سأل ومن قرأ سال بألف محضة فمعناه جاء لعذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد جاء وقت الانتقام (انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) أى ان الكفار يستبعدون اليوم الذى كان مقداره خمسين ألف سنة من الامكان على جهة الاحالة ونعلمه قريبا من الامكان هينا فى قدرتنا غير متعذر علينا ويقال ان كفار مكة يعتقدون العذاب غير واقع يوم القيامة ونعلمه واقعا لابد من وقوعه وهذا تعليل للامر بالصبر (يوم تكون السماء كالمهل) أى تصير السماء كدردى الزيت وهذا الظرف متعلق بليس له دافع أو بما فى معناه كيقع أى يقع العذاب يوم تكون الخ أو متعلق بقريبا اذا كان الضمير فى نراه للعذاب (وتكون الجبال كالعهن) أى تصير الجبال كالصوف المصبوغ ألوانا وانما وقع التشبيه به لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت فى الجو أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح (ولا يسأل حميم حميما) أى لايسأل قريب قريبه عن أحواله كيف حالك ولا يكلمه لان لكل أحد مايشغله عن هذا الكلام أو لايسأل قريب قريبا شفاعة واحسانا اليه لعلمه أن ذلك مفقود وقرأ ابن كثير وأبو جعفر ولا يسئل بضم الياء أى لا يسأل حميم عن حميمه ليتعرف شأنه من جهته فلا يقال لحميم أين حميمك (يبصرونهم) أى يعرف الحميم الحميم حتى يعرفه وهو مع ذلك لا يسأله عن شأنه اشتغالا بنفسه وقرئ يبصرونهم أى يرونهم ولا يعرفونهم اشتغالا بأنفسهم (يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التى تؤويه ومن فى الارض جميعا) أى يتمنى المشرك أن يفدى نفسه من عذاب يوم القيامة بأولاده وزوجته وأخيه وأقاربه الاقربين الذين فصل عنهم وينتهى اليهم التى تضمه فى النسب وتحميه فى النوائب ومن فى الارض جميعا من الخلائق وقرأ نافع والكسائى يومئذ بفتح الميم على البناء لاضافة يوم الى مبنى والباقون بكسرها على الاعراب على الاصل فى الاسماء وقرئ من عذاب يومئذ بتنوين عذاب ونصب يومئذ بعذاب لانه فى معنى تعذيب (ثم ينجيه) معطوف على يفتدى أى يتمنى الكافر أن يفتدى نفسه بهذه الاشياء ثم أن ينجيه ذلك الافتداء (كلا) وهذا اما بمعنى حقا فحينئذ كان الوقف على ينجيه وهو وقف تام واما بمعنى لا فحينئذ كان الوقف على كلا وهو وقف تام وهذا أولى ولا تجمع بينهما فى الوقف بل الوقف فى أحدهما

(تعرج الملائكة والروح) يعنى جبريل (اليه) أى الى محل قربته وكرامته وهو السماء (فى يوم) صلة أى عذاب واقع فى يوم (كان مقداره خمسين ألف سنة) وهو يوم القيامة (فاصبر صبرا جميلا) وهذا قبل أن أمر بالقتال (انهم) يعنى المشركين (يرونه) أى يرون ذلك اليوم (بعيدا) محالا لايكون (ونراه قريبا) أى لان ماهو آت قريب ثم ذكر متى يكون ذلك اليوم فقال (يوم تكون السماء كالمهل) أى كدردى الزيت وقيل كالقار المذاب وقدمر هذا (وتكون الجبال كالعهن) أى كالصوف المصبوغ (ولا يسأل حميم حميما) أى لا يسأل قريب عن قريب لاشتغاله بما هو فيه (يبصرونهم) أى يعرف بعضهم بعضا يعنى أن الحميم يرى حميمه ويعرفه فلا يسأله عن شأنه (يود المجرم) أى يتمنى الكافر (لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته) أى وزوجته (وأخيه وفصيلته) أى عشيرته (التى) فصل عنهم (تؤويه) أى تضمه اليها فى النسب (ومن فى الارض جميعا ثم ينجيه) ذلك الافتداء (كلا) ليس الامر كذلك لا ينجيه شئ

وقط

فقط أى لا ينفعه ذلك الافتداء ولا ينجيه من العذاب (انها لظى نزاعة للشوى) وقرأ حفص بالنصب على الاختصاص أو على حال مؤكدة والكناية عائدة على النار لدلالة لفظ العذاب عليها وقرأ الباقون بالرفع فتجعل الكناية حرف عماد ولظى اسم ان ونزاعة خبرها كأنه قيل ان لظى نزاعة أو تجعل ضمير القصة وهو اسم ان ولظى مبتدأ و نزاعة خبرا والجملة خبر عن ان والتقدير ان القصة لظى نزاعة للشوى أى قلاعة للاعضاء التى فى أطراف الجسد ثم تعود كما كانت وهكذا أبدا فلا تترك لحما ولا جلدا الا أحرقته (تدعو من أدبر) عن الطاعة (وتولى) عن الايمان (وجمع فأوعى) أى جمع المال فجعله فى وعاء ولم يؤد حقوقه أى ان النار تدعوهم بلسان الحال أو ان الله تعالى يخلق الكلام فى جرم النار حتى تقول صريحا الى يا كافر الى يا منافق ثم تلتقطهم التقاط الحب فقوله تعالى أدبر وتولى اشارة الى الاعراض عن معرفة الله تعالى وطاعته وقوله وجمع اشارة الى الحرص وقوله فأوعى اشارة الى طول الامل وهذه مجامع آفات الدين (ان الانسان خلق هلوعا) أى جبل جبلة هو فيها قلة الصبر وشدة الحرص (اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) أى اذا أصابه الفقر والمرض ونحوهما صار جازعا شاكيا واذا أصابه السعة والصحة صار مانع المعروف شحيحا بماله غير ملتفت الى الناس وانما ذم الله الانسان على ذلك لانه قاصر النظر على الاحوال الجسمانية العاجلة فالواجب عليه أن يكون مشغولا باحوال الآخرة فاذا وقع فى مرض أو فقر كان راضيا به لعلمه انه فعل الله تعالى واذا وجد المال والصحة صرفهما الى طلب السعادات الاخروية (الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون) بان لا يتركوها فى وقت من الاوقات ولا يشغلهم عنها شاغل (والذين فى أموالهم حق معلوم) أى نصيب معين يستوجبونه على أنفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس (للسائل) أى الذى يسأل (والمحروم) أى الذى يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) حيث يتعبون أنفسهم فى الطاعات البدنية والمالية طمعا فى المثوبة الاخروية فيستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) أى خائفون على أنفسهم مع ما لهم من الاعمال الفاضلة استعظاما لجنابه تعالى واستقصارا الاعمالهم الحسنة (ان عذاب ربهم غير مأمون) فلا ينبغى لاحد أن يأمن عذابه تعالى وان بالغ فى الطاعة (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم) أى الاربع (أو ما ملكت أيمانهم) من الولائد بغير عدد (فانهم غير ملومين) بالاستمتاع بهن (فمن ابتغى وراء ذلك) أى فمن طلب لنفسه وراء ما ذكر من الازواج والمملوكات (فأولئك هم العادون) أى المجاوزون للحدود فدخل فى هذا حرمة وطء الذكور والبهائم والزنا (والذين هم لاماناتهم) أى لما ائتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا (وعهدهم) فيما بينهم وبين ربهم أو فيما بينهم وبين الناس (راعون) أى حافظون بالوفاء وقرأ ابن كثير لامانتهم بالافراد (والذين هم بشهاداتهم قائمون) وقرأ حفص بألف بعد الدال على الجمع والباقون على التوحيد أى يقومون بالشهادات بالحق عند الحكام ولا يكتمونها وهذه الشهادات من جملة الامانات الا انه تعالى خصها من بينها اظهارا لفضلها لان فى اقامتها احياء الحقوق وفى تركها تضييعها وروى عطاء عن ابن عباس قال والمراد الشهادة بان الله واحد لا شريك له (والذين هم على صلاتهم يحافظون) أى يهتمون بحالها حتى يؤتى بها على أكمل الوجوه (أولئك) أى الموصوفون بتلك الصفات الثمانية (فى جنات مكرمون) بالثواب والتحف (فمال الذين كفروا قبلك مهطعين) أى أى شئ ثبت لكفار مكة مسرعين جهتك مادى أعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك (عن اليمين وعن الشمال عزين) أى مجتمعين فهذه الاربعة أحوال من الموصول روى أن المشركين كانوا يحتفون حول النبى صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون منه ويستهزؤن بكلامه

(انها لظى) وهى من اسماء جهنم (نزاعة للشوى) جلدة الرأس تقشرها عنه (تدعو) أى تدعو الكافر باسمه والمنافق فتقول الى الى (من أدبر) عن الايمان (وجمع) المال (فأوعى) أى فأمسكه فى وعائه ولم يؤد حق الله تعالى منه (ان الانسان خلق هلوعا) وتفسير الهلوع . ما ذكره تعالى من قوله (اذا مسه الشر جزوعا) أى يجزع من الشر ولا يستمسك (واذا مسه الخير منوعا) أى اذا أصاب المال منع حق الله تعالى (الا المصلين) يعنى المؤمنين (الذين هم على صلاتهم دائمون) أى لا يلتفتون فى الصلاة عن سمت القبلة (والذين هم بشهاداتهم قائمون) أى يقيمونها ولا تكتمونها (فمال الذين كفروا) أى ما بالهم (قبلك مهطعين) أى يديمون النظر اليك و ينطلقون نحوك (عن اليمين وعن الشمال) أى عن جوانبك (عزين) أى جماعات حلقا وذلك أنهم كانوا يجتمعون عنده يستهزؤن به و بأصحابه و يقولون لئن دخل هؤلاء الجنة فاندخلنها قبلهم قال الله تعالى

ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلها قبلهم فنزلت هذه الآية (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم) كما يدخلها المسلمون (كلا) أى لا يكون ما طمعوا فيه اصلا لان ذلك تمن فارغ (انا خلقناهم مما يعلمون) وهو النطفة المذرة فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم فكيف يليق دخولهم الجنة ولم يتصفوا بالايمان والمعرفة (فلا أقسم) أى اذا كان الامر كما ذكر من انا خلقناهم مما يعلمون فأقسم (برب المشارق) أى مشارق الشتاء والصيف (والمغارب) أى مغارب الشتاء والصيف فلمشرق الشتاء والصيف مائة وثمانون منزلا وكذلك للمغربين (انا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) أى بطريق الاهلاك ولم يحصل ذلك وانما هدد الله تعالى القوم بهذا لكى يؤمنوا (وما نحن بمسبوقين) أى بعاجزين على أن نبدل خيرا منهم وليس تأخير عقابهم لعجز بل لحكمة داعية اليه (فذرهم) أى اتركهم فيما هم فيه من الاباطيل (يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم أو يهزؤا فى كفرهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) وهو يوم البعث عند النفخة الثانية (يوم يخرجون من الاجداث) أى القبور بدل من يومهم بدل كل من كل وقرئ يخرجون على البناء للمفعول (سراعا) الى جهة صوت الداعى (كأنهم الى نصب) وقرأه ابن عامر وحفص بضم النون والصاد وهى التى تنصب فتعبد من دون الله تعالى والباقون بفتح النون واسكان الصاد وهى رواية وقرأ أبو عمران الجونى ومجاهد بفتحتين أى منصوب كالعلم وقرأ الحسن وقتادة بضمة فسكون وهو الصنم المنصوب للعبادة (يوفضون) أى يسرعون (خاشعة أبصارهم) فلا يرفعونها ولا يرون خيرا (ترهقهم ذلة) أى تعلوهم سواد الوجوه (ذلك) أى وقوع الاحوال الهائلة (اليوم الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا ان لهم فيه العذاب وهذا هو العذاب الذى سألوا عنه

﴿سورة نوح عليه السلام مكية ثمان وعشرون آية ومائتان
وأربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا أرسلنا نوحا الى قومه) وكانوا جميع أهل الارض أهل عصره (أن أنذر قومك) وان حرف مصدرى والمعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أى أرسلناه بالامر بالانذار ويجوز أن تكون مفسرة وقرأ ابن مسعود أنذر بغير ان على ارادة القول والتقدير انا أرسلناه وقلنا له أنذر (من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) على ما هم عليه من الاعمال الخبيثة فلما جاءهم (قال يا قوم انى لكم نذير مبين) أى موضح لحقيقة الامر بلغة تعلمونها (أن اعبدوا الله واتقوه) فالامر بالعبادة يتناول جميع الواجبات والمندوبات من أفعال القلوب وأفعال الجوارح والامر بالتقوى يتناول الزجر عن جميع المحظورات والمكروهات (وأطيعون) فالامر بطاعة نوح يتناول أداء جميع المأمورات وترك جميع المنهيات (يغفر لكم من ذنوبكم) أى بعض ذنوبكم وهو ما سلف فى الجاهلية فالاسلام يجبه (ويؤخركم الى أجل مسمى) أى الى أمد قدره الله تعالى لهم بشرط الايمان أى ان الله قضى على قوم نوح مثلا ان آمنوا عمرهم الله ألف سنة وان بقوا على كفرهم أهلكهم الله على رأس تسعمائة سنة (ان أجل الله) أى ان ما قدر الله لكم على تقدير بقائكم على الكفر (اذا جاء) وأنتم على ما أنتم عليه من الكفر (لا يؤخر) فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه (لو كنتم تعلمون) شيأ لسارعتم الى ما أمرتكم به فلما أيس نوح منهم بعد ما دعاهم ألف سنة الا خمسين عاما ولم يؤمنوا ولم يقبلوا نصيحته (قال) أى نوح (رب انى دعوت قومى) الى الايمان والطاعة (ليلا ونهارا) أى دائما من غير فتور (فلم يزدهم دعائى الا فرارا) مما

فلا يستوجب احد الجنة بشرفه وماله لان الخلق كلهم من أصل واحد بل يستوجبونها بالطاعة (فلا أقسم) لا صلة وقوله (وما نحن بمسبوقين) أى بمغلوبين نظير هذا قد تقدم فى سورة الواقعة (فذرهم يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) نسختها آية القتال (يوم يخرجون من الأجداث) أى القبور (سراعا كأنهم الى نصب) أى الى شئ منصوب من علم أو راية (يوفضون) أى يسرعون (خاشعة أبصارهم) أى ذليلة خاضعة لا يرفعونها لذلتهم (ترهقهم ذلة) أى يغشاهم هوان (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) يعنى يوم القيامة

﴿تفسير سورة نوح عليه السلام﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك) أى بأن خوفهم عذاب الله (من قبل أن يأتيهم عذاب أليم قال يا قوم) الى قوله (يغفر لكم من ذنوبكم) من صلة (ويؤخركم) عن العذاب الى أجل مسمى وهو أجل الموت فتموتوا غير ميتة من يهلك بالعذاب

فارعن طاعتك وادبارا عنى (وانى كلما دعوتهم) الى الايمان بك (لتغفر لهم) ما سلف من ذنوبهم (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) لئلا يسمعوا صوتى (واستغشوا ثيابهم) أى غطوا بها وجوههم مبالغة للاعراض عنى لئلا يرونى (وأصروا) أى وأقاموا على كفرهم (واستكبروا) عن اتباعى (استكبارا) لأنهم قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون (ثم انى دعوتهم جهارا) أى أظهرت لهم الدعوة (ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا) أى خلطت دعاءهم بالعلانية بدعاء السر (فقلت استغفروا ربكم) الى قوله ويجعل لكم أنهارا وذلك أنهم لما كذبوا نوحا حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم فهلكت أموالهم ومواشيهم فوعدهم نوح ان آمنوا أن يرد الله عليهم ذلك فقال (يرسل السماء عليكم مدرارا) أى كثيرة الدر يريد كثرة المطر (ويمددكم بأموال وبنين) أى يعطكم زينة الدنيا وهى المال والبنون (مالكم لا ترجون لله وقارا) أى لا تخافون لله عظمة (وقد خلقكم أطوارا) أى حالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة الى تمام الخلق (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) أى بعضها فوق بعض (وجعل القمر فيهن نورا) أى فى احداهن نورا (وجعل الشمس سراجا) يضىء لأهل الارض (والله أنبتكم من الارض) أى جعلكم تنبتون من الارض (نباتا) وذلك أنه خلق آدم من الارض وأولاده منه (ثم يعيدكم فيها) أمواتا (ويخرجكم) منها أحياء (اخراجا) وقوله (سبلا فجاجا) أى طرقا بينة وقوله (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا) أى اتبعوا أشرافهم الذين لا يريدون بأنعام الله عليهم بالمال والولد الا طغيانا وكفرانا (ومكروا مكرا كبارا) أى أفسدوا فى الارض فسادا عظيما بالكفر وتكذيب الرسل

دعوتهم اليه (وانى كلما دعوتهم) الى الايمان والتوبة (لتغفر لهم) بسببهما (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) أى سدوا مسامعهم لكيلا يسمعوا دعوتى (واستغشوا ثيابهم) أى غطوا رؤسهم بثيابهم لكى لا يسمعوا صوتى ولا يرونى (وأصروا) على الكفر والمعاصى (واستكبروا) عن الايمان والتوبة (استكبارا) عظيما بالغا الى النهاية القصوى (ثم انى دعوتهم) الى التوحيد والتوبة (جهارا) أى بأعلى صوتى (ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا) فراتب دعوة نوح عليه السلام ثلاثة فبدأ بالمناصحة فى السر فجزوه بالامور الاربعة ثم ثنى بالمجاهرة وهى أشد من الاسرار ثم جمع بين الاعلان والاسرار والجمع بينهما أغلظ من الافراد (فقلت) لهم (استغفروا ربكم) بالتوبة عن الكفر والمعاصى (انه كان غفارا) فى حق كل من استغفره (يرسل السماء عليكم مدرارا) أى مطرا دائما (ويمددكم بأموال وبنين) أى يعطكم أموالا ابلا وبقرا وغنما وبنين ذكورا واناثا (ويجعل لكم جنات) أى بساتين (ويجعل لكم أنهارا) تجرى لمنافعكم قيل لما كذبوا نوحا عليه السلام حبس الله عنهم المطر أربعين سنة وقطع نسل دوابهم ونسائهم أربعين سنة وأهلك جناتهم وأيبس أنهارهم قبل ذلك بأربعين سنة فوعدهم نوح انهم ان آمنوا أن يرزقهم الله تعالى الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه (مالكم لا ترجون لله وقارا) أى أى سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان به والطاعة له (وقد خلقكم أطوارا) أى والحال ان الله خلقكم على حالات شتى نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما ثم أنشأكم خلقا آخر وهو القاء الروح فيه ويقال والحال انه تعالى خلقكم أصنافا مختلفين يخالف بعضكم بعضا (ألم تروا) أى ألم تخبروا يا كفار مكة (كيف خلق الله سبع سموات طباقا) أى متوازية بعضها فوق بعض مثل القبة ملتزقة أطرافها (وجعل القمر فيهن نورا) أى منور الوجه الارض فى ظلمة الليل ونسبته للكل مع أنه فى السماء الدنيا لان كل واحدة من سبع سموات شفافة لا يحجب ماوراءها فيرى الكل كأنها سماء واحدة (وجعل الشمس سراجا) يزيل الظلمة ويبصر أهل الدنيا فى ضوئها وجه الارض كما يبصر أهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره (والله أنبتكم من الارض نباتا) أى أنبتكم من الارض فنبتم نباتا عجيبا والمعنى والله أنشأكم منها فنشأتم نشأة عجيبة فانه تعالى انما يخلقنا من النطف وهى متولدة من الاغذية المتولدة من النبات المتولد من الارض (ثم يعيدكم فيها) بالدفن عند موتكم (ويخرجكم) منها عند البعث والحشر (اخراجا) محققا لاريب فيه (والله جعل لكم الارض بساطا) تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم فى بيوتكم (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) أى لتأخذوا فيها طرقا واسعة (قال نوح) مناجيا له تعالى (رب انهم عصونى) فيما أمرتهم به من التوحيد والتوبة (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا) وهم رؤساؤهم الذين يدعونهم الى الكفر وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وولده بفتح الواو واللام والباقون بضم الواو واسكان اللام (ومكروا مكرا كبارا) معطوف على صلة من أى واتبعوا من مكروا الخ أى كأن الرؤساء قالوا لاتباعهم ان آلهتكم خير من اله نوح لان آلهتكم يعطونكم المال والولد واله نوح لا يعطيه شيأ لانه فقير فبهذا المكر صرفوهم

(وقالوا) لسفلتهم (لاتذرن آلهتكم ولاتذرن ودا) الى قوله ونسرا وهي اسماء أوثانهم (وقد أضلوا كثيرا) أي ضل بسببها كثير من الناس كقوله ربّ انهن أضللن كثيرا من الناس (ولاتزد الظالمين الاضلالا) دعاء من نوح عليهم بأن يزيدهم الله ضلالا وذلك أن الله أخبره انه لن يؤمن من قومه الامن قد آمن فلما أيس نوح من ايمانهم دعا عليهم بالضلال والهلاك قال الله تعالى (مما خطاياهم) ماصلة أي من خطاياهم التي ارتكبوها (أغرقوا) بالطوفان (فادخلوا نارا) يعني بعد الغرق أدخلوا جهنم (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) أي لم يجدوا من يمنعهم من عذاب الله (وقال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا) أي نازل دار والمعنى أحدا (انك ان تذرهم) فلا تهلكهم (يضلوا عبادك) أي يدعونهم الى الضلال (ولايلدوا الافاجرا كفارا) أي الامن يفجر ويكفر وذلك أن الله أخبره انهم لايلدون مؤمنا (رب اغفرلي ولوالدي) وكانا مؤمنين (ولمن دخل بيتي) أي مسجدي

عن طاعة نوح أو قالوا الاتباعهم هذه الأصنام آلهة لكم وكانت آلهة لآبائكم فلو قبلتم قول نوح لاعترفتم على أنفسكم بأنكم كنتم جاهلين ضالين وعلى آبائكم بأنهم كانوا كذلك وهذه الاشارة صارفة لهم عن الدين وقرأ العامة كبارا بضم الكاف وتشديد الباء وقرأ عيسى وأبو السماك وابن محيصن بالضم والتخفيف وقرأ زيد بن علي وابن محيصن أيضا بكسر الكاف وتخفيف الباء (وقالوا) أي الرؤساء للسفلة معطوف على الصلة أيضا أي واتبعوا من قالوا (لاتذرن آلهتكم) أي لاتتركوا عبادتها الى عبادة رب نوح (ولاتذرن ودّا ولاسواعا ولايغوث ويعوق ونسرا) أي ولا تتركن عبادة هؤلاء وقرأ نافع ودا بضم الواو والباقون بفتحها وقرأ العامة يغوث ويعوق بغير تنوين للعلمية والوزن أو للعلمية والعجمة وقرأهما الأعمش مصروفين للتناسب أو على لغة من يصرف غير المنصرف مطلقا ولعل هذه الاسماء الخمسة أسماء أولاد آدم فلما ماتوا قال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم ففعلوا فلما مات أولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم حتى بعث الله نوحا عليه السلام ولهذا السبب نهى الرسول عن زيارة القبور أولا ثم أذن فيها وقال كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فان زيارتها تذكرة (وقد أضلوا كثيرا) معطوف على صلة من أي واتبعوا من قد أضلوا خلقا كثيرا وهم الرؤساء أو الاصنام أجريت مجرى الآدميين كقوله تعالى ألهم أرجل (ولاتزد الظالمين) أي المشركين (الاضلالا) أي عذابا أو ضلالا في أمر دنياهم وهذا معطوف على قوله تعالى رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه فالواو ليست من كلام نوح لئلا يعطف الانشاء على الاخبار لكن الظاهر أن المراد بالاخبار طلب النصرة عليهم فيجوز أن تكون الواو من كلام نوح أي قال نوح رب انهم عصوني وقد عجزت وأيست عنهم فانصرني عليهم وقال لاتزد الظالمين الاضلالا (مما خطيئاتهم أغرقوا) وما صلة ومن تعليلية أي من أجل خطيئاتهم وبسببها أغرقوا بالطوفان لا بسبب آخر وقرأ أبو عمرو خطاياهم وقرأ ابن مسعود من خطيئاتهم ما أغرقوا فأخر كلمة ما فعلى هذه القراءة فما مع ما بعده في تقدير المصدر وقرئ خطياتهم بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ خطيئتهم بالتوحيد على ارادة الجنس أو ارادة الكفر فقط والخطيئات والخطايا كلاهما جمع خطيئة الاأن الاول جمع سلامة والثاني جمع تكسير (فأدخلوا نارا) في القبر فان عذاب القبر عقب الاغراق وان كانوا في الماء لان الفاء تدل على ان ادخالهم في النار حصل عقب الاغراق فلا يمكن حمل النار على عذاب جهنم في الآخرة قال الضحاك انهم كانوا في حالة واحدة يغرقون من جانب ويحرقون في الماء من جانب بقدرة الله تعالى (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) وهذا تعريض بأنهم انما واظبوا على عبادة الاصنام لتكون دافعة للآفات عنهم جالبة للمنافع اليهم فلما جاءهم عذاب الله لم ينتفعوا بتلك الاصنام وما قدرت هي على دفع عذاب الله تعالى عنهم (وقال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا) أي أحدا (انك ان تذرهم يضلوا عبادك) عن دينك من آمن بك ومن أراد أن يؤمن بك (ولايلدوا الافاجرا كفارا) أي الامن سيفجر ويكفر (رب اغفرلي ولوالديّ) أي أبوي لمك وشمخا بنت أنوش فانهما كانا مؤمنين وأخرج ابن أبي حاتم أن المراد والده وجده فاسم أبيه لمك واسم جده متوشلخ بفتح الميم وتشديد المثناة الفوقية المضمومة بعدها واو ساكنة وفتح الشين المعجمة واللام بعدها خاء معجمة وقرأ الحسن بن عليّ رضي الله عنهما ويحيى ابن يعمر والنخعي ولولدي أي ابني ساما وحاما وقرأ ابن جبير والجحدري ولوالدي بكسر الدال أي أبي فيحتمل أن يريد عليه السلام أباه الاقرب الذي ولده وان يريد جميع من ولده من لدن آدم الى من ولده وكان بينه وبين آدم عشرة آباء ولم يكن منهم كافر كما قاله عطاء (ولمن دخل بيتي) أي منزلي أو

مسجدي

مسجدي أوسفينتي وقيل لمن دخل ديني دخولا مع تصديق القلب (مؤمنا) خرجت بهذا القيد امرأته وابنه كنعان (وللمؤمنين والمؤمنات) الذين يكونون من بعدي يوم القيامة (ولا تزد الظالمين) أي الكافرين (الا تبارا) أي الاهلاكا فاستجاب الله دعاءه عليه السلام فاهلكهم بالكلية

﴿سورة الجن وتسمى سورة قل أوحي مكية وهي ثمان وعشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قل) ياأشرف الخلق (أوحي الى) وقرأ أبو عمرو في رواية يونس وهرون وحي بضم الواو بغير ألف وقرئ أحي بالهمزة من غير واو أي أنزل الى جبريل فاخبرني (أنه استمع نفر من الجن) أي ان الشأن استمع القرآن تسعة نفر من جن نصيبين باليمن (فقالوا) بعدما آمنوا ورجعوا الى قومهم ياقومنا (انا سمعنا قرآنا) أي كتابا مقروأ (عجبا) أي خارجا عن عادة أمثاله من الكتب الالهية مباينا لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى (يهدي الى الرشد) أي الى الصواب وهو لا اله الا الله (فآمنا به) أي بذلك القرآن أو بالرشد الذي في القرآن وهو التوحيد (ولن نشرك بربنا أحدا) أي ولن نعود الى ما كنا عليه من الاشراك به وذكر الحسن ان منهم يهودا ونصارى ومجوسا ومشركين (وأنه تعالى جد ربنا) أي وان الحديث ارتفع عظمة ربنا أي عظم سلطانه أو ارتفع غناه أي وصفه بالاستغناء عن الزوجة والولد أو تعالى حقيقته عن جميع جهات التعلق بالغير وقرئ جد ربنا بكسر الجيم أي تعالى صدق ربوبيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وقرئ جدا ربنا بنصب جدا على التمييز (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) هذه الجملة مفسرة لما قبلها وبعضهم جعل ما مصدرية متعلقة بتعالى فحينئذ تكون لا زائدة أي تعالى صفة ربنا ما اتخذ زوجة وولدا كما نسبه الكفار (وأنه) أي الحديث (كان يقول سفيهنا) أي جاهل منا وهو ابليس (على الله شططا) أي قولا مجاوز الحد بعيدا عن الصدق وهو وصفه تعالى باثبات الشريك والصاحبة والولد (وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا) أي كنا نظن انه لن يكذب على الله تعالى أحد أبدا ولذلك اتبعنا قوله وهذا اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم ابليس (وأنه) أي الحديث (كان رجال من الانس) في الجاهلية (يعوذون) أي يلتجئون (برجال من الجن فزادوهم رهقا) أي ظلما وذلك انهم اذا سافروا سفرا أو اصطادوا صيدا أو نزلوا واديا خافوا من الجن لانها تعبث بهم في بعض الاحيان فقالوا نعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيأمنون بذلك ولا يرون الا خيرا فتزيد الجن الانس اضلالا لهم حتى استعاذوا بهم (وأنهم) أي الانس (ظنوا كما ظننتم) أيها الجن (أن لن يبعث الله أحدا) بعد الموت أو انه لن يبعث الله أحدا للرسالة على ما هو مذهب البراهمة (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا) وانا قبل ان آمنا طلبنا بلوغ السماء لاستماع كلام أهلها فصادفناها قد ملئت من جهة الحراس الاقوياء وهم الملائكة الذين يمنعون من الاستماع ومن شعل منقضة من نار الكواكب (وأنا كنا) قبل مبعث محمد (نقعد منها) أي السماء (مقاعد) خالية من الحرس (للسمع) أي لاجل الاستماع (فمن يستمع الآن) أي بعد مبعث محمد في مقعد من المقاعد

(مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات) الى يوم القيامة (ولا تزد الظالمين الا تبارا) أي هلاكا ودمارا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قل أوحي الى) أي أخبرت بالوحي من الله الى (أنه استمع نفر من الجن) وذلك ان الله بعث نفرا من الجن ليستمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي الصبح ببطن نخلة وهؤلاء هم الذين ذكروا في قوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية فلما رجعوا الى قومهم (قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا) أي في فصاحته وبيانه وصدق اخباره (وانه تعالى جد ربنا) أي جلالته وعظمته عن أن يتخذ ولدا وصاحبة (وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا) أي يقول جاهلنا غلوا في الكذب حين يصفه بالولد والصاحبة (وانا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا) أي كنا نظنهم صادقين في قولهم ان لله صاحبة وولدا حتى سمعنا القرآن وكنا نظن أن احدا لا يكذب على الله وانقطع ههنا قول الجن قال الله تعالى (وانه كان رجال من الانس) الآية وذلك أن الرجل في الجاهلية كان اذا سافر فأمسى في الارض القفر قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه يعني الجن يقول الله تعالى (فزادوهم رهقا) أي زادهم هذا التعوذ طغيانا وذلك انهم قالوا سدنا الجن والانس (وأنهم ظنوا) الآية يقول ظن الجن (كما ظننتم) أيها الانس (ان لن يبعث الله) يوم القيامة (احدا) قالت الجن (انا لمسنا السماء) أي رمنا استراق السمع (فوجدناها ملئت حرسا شديدا) من الملائكة (وشهبا) من النجوم يريدون حرست بالنجوم من استماعنا (وانا كنا) قبل ذلك (نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن

(يجد له) أى لاجله (شهابا رصدا) أى شهابا قد ارصد له ليرجم به (وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا) أى وانا لا نعلم أشر أريد بمن فى الارض حين منعنا عن الاستماع أم أراد بهم ربهم خيرا أى ولما سمعوا قراءة النبى صلى الله عليه وسلم علموا انهم منعوا من صعود السماء حراسة للوحى (وأنا منا الصالحون) أى المتقون (ومنا دون ذلك) أى ومنا قوم غير صالحين (كنا طرائق قددا) أى كنا قبل هذا ذوى مذاهب مختلفة قال السدى الجن أمثالكم فيهم مرجئة وقدرية وروافض وخوارج (وأنا ظننا أن لن نعجز الله فى الارض) أى وانا علمنا الآن ان الشأن لن نعجز الله أينما كنا من أقطار الارض (ولن نعجزه هربا) أى هاربين من الارض الى السماء فليس لنا مهرب الا فى قبضته (وأنا لما سمعنا الهدى) أى القرآن من النبى صلى الله عليه وسلم (آمنا به) أى بالقرآن (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا) أى فمن يؤمن بربه فهو لا يخاف نقصا فى جزاء حسناته ولا ظلما بزيادة جزاء سيئاته وهذا دليل على ان من حق من آمن بالله تعالى ان يجتنب المظالم وقرأ الاعمش فلا يخف (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون) أى وانا بعد سماع القرآن مختلفون فمنا المخلصون فى صفة الاسلام ومنا المائلون عن طريق الحق (فمن أسلم) أى أخلص بالتوحيد (فأولئك تحروا رشدا) أى قصدوا طريق صواب (وأما القاسطون) أى المائلون عن سنن الاسلام (فكانوا لجهنم حطبا) والجن وان خلقوا من النار توقد نار جهنم بهم كما توقد بكفرة الانس فان النار القوية تأكل النار الضعيفة وقيل ههنا آخر كلام الجن (وأن لو استقاموا) وان مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة على انه استمع والمعنى وأوحى الى ان الحديث لو استقام الجن والانس (على الطريقة) أى على ملة الاسلام (لأسقيناهم ماء غدقا) أى لوسعنا عليهم الرزق وقرأ الأعمش بضم واو لو تشبيها بواو الضمير (لنفتنهم فيه) أى فى ذلك الماء الذى هو كناية عن العيش الواسع فان من آمن بالله فانعم الله عليه كان ذلك الانعام اختبارا حتى يظهر انه هل يشتغل بالشكر أم لا وهل ينفق تلك النعم فى طلب مراضى الله أو فى مراضى الشيطان (ومن يعرض عن ذكر ربه) أى عن طاعته وعن كتاب ربه القرآن (يسلكه عذابا صعدا) أى يدخله فى عذاب شديد وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بالياء التحتية لاعادة الضمير على الله والباقون بالنون روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان صعدا جبل فى جهنم وهو صخرة ملساء أو نحاس فيكلف الكافر صعودها ثم يجذب من أمامه بسلاسل و يضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ أعلاها فى أربعين سنة فاذا بلغ أعلاها جذب الى أسفلها ثم يكلف الصعود مرة أخرى فهذا دأبه أبدا (وأن المساجد لله) اى وأوحى الى أن المساجد لله (فلا تدعوا مع الله أحدا) أى فلا تعبدوا مع الله أحدا غيره والمراد بالمساجد البيوت التى تبنيها أهل الملل للعبادة فيدخل فيها الكنائس والبيع ومساجد المسلمين وذلك ان أهل الكتاب يشركون فى صلاتهم فى البيع والكنائس فأمر الله المسلمين بالتوحيد والاخلاص (وانه) أى وأوحى الى ان الحديث (لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) أى لما قام النبى يعبد الله لصلاة الفجر ببطن نخل كاد الجن يزدحمون عليه متراكبين تعجبا مما رأوا من عبادته ومن اقتداء أصحابه به قائما وراكعا وساجدا واعجابا بما تلا من القرآن لانهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا مثله وقرأ نافع وشعبة بكسر الهمزة على الاستئناف بناء على ان هذا من كلام الجن لا من جملة

(كنا طرائق قددا) أى أصنافا مختلفين (وانا ظننا أن لن نعجز الله فى الارض) أى علمنا انا لا نفوته اذا أرادنا أمرا (ولن نعجزه هربا) ان طلبنا وقوله (فلا يخاف بخسا ولا رهقا) أى ظلما والمعنى لا يخاف ان ينقص من حسناته ولا يزاد فى سيآته (وانا منا المسلمون ومنا القاسطون) أى الجائرون عن الحق (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) أى قصدوا طريق الحق قال الله تعالى (وأن لو استقاموا على الطريقة) أى لو آمنوا جميعا يعنى الخلق كلهم الانس والجن (لأسقيناهم ماء غدقا) أى لوسعنا عليهم فى الدنيا وضرب المثل بالماء لان الخير كله والدر والرزق بالمطر وهذا كقوله ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لآية (لنفتنهم فيه) أى لنختبرهم فنرى كيف شكرهم (ومن يعرض عن ذكر ربه نسلكه) أى ندخله (عذابا صعدا) أى شاقا (وأن المساجد لله) يعنى المواضع التى يصلى فيها وقيل الاعضاء التى يسجد عليها وقيل يعنى السجدات لله جمع مسجد بمعنى السجود (فلا تدعوا مع الله أحدا) أمر بالتوحيد لله فى الصلاة (وانه لما قام عبد الله) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم لما قام ببطن نخلة (يدعوه) أى يدعو الله كادوا يكونون عليه لبدا) أى كاد الجن يتراكبون عليه و يزدحمون حرصا على ما يسمعون ورغبة فيه وقيل انه الوحى

الموحى والمعنى وأنه لما قام النبي يعبد الله وحده مخالفا المشركين فى عبادتهم الاوثان كاد المشركون يزدحمون عليه متراكمين ليبطلوا الحق الذى جاء به و يطفؤا نور الله فأبى الله الا أن ينصره على من عاداه وقرأ هشام لبدا بضم اللام والباقون بكسرها واعلم أن أن المشددة فى هذه السورة ستة عشر ثنتان منها يجب فيهما الفتح أنه استمع وأن المساجد لله وواحدة يجب فيها الكسر انا سمعنا وثلاثة عشر يجوز فيها الوجهان فالاثنتا عشرة فتحها الاخوان وابن عامر وحفص وكسرها الباقون وهى وأنه تعالى جد ربنا وأنه كان يقول وأنا ظننا وأنه كان رجال وأنهم ظنوا وأنا لمسنا السماء وأنا كنا وأنا لاندرى وأنا منا الصالحون وأنا ظننا وأنا لما سمعنا وأنا منا المسلمون والواحدة كسرها ابن عامر وأبو بكر وفتحها الباقون وهى وانه لما قام عبد الله (قل انما أدعو ربى) أى أعبده وادعو الخلق اليه (ولا أشرك به أحدا) أى ولا أشرك بربى فى العبادة أحدا قرأ العامة قال على الغيبة وقرأ عاصم وحمزة قل ليكون نظير لما بعده وسبب نزول هذه الآية ان كفار قريش قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم انك جئت بأمر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا ونحن نجيرك فنزلت وهذا حجة لعاصم وحمزة ومن قرأ قال حمل ذلك على ان القوم لما قالوا ذلك أجابهم النبى صلى الله عليه وسلم بقوله انما أدعو ربى فحكى الله ذلك عنه بقوله قال أو يكون ذلك من بقية حكاية الجن أحوال الرسول لقومهم (قل) يا أشرف الخلق لهؤلاء الذين خالفوك (انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) أى انى لا أقدر أن أدفع عنكم ضرا وكفرا ولا أسوق اليكم نفعا ولا هدى وقيل الضر الموت والرشد الحياة ومعنى الكلام ان النافع والضار والمرشد والمغوى هو الله وان أحدا من الخلق لا قدرة له عليه وقرأ أبى غيا ولا رشدا (قل انى لن يجيرنى من الله أحد) ان عصيته (ولن أجد من دونه ملتحدا) أى ملجأ وموضع الاختفاء ان أرادنى بضر (الا بلاغا من الله ورسالاته) وهذا استثناء من قوله لا أملك قوله ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته لا صلته أى لا أملك لكم الا تبليغا كائنا منه تعالى ورسالاته التى أرسلنى بها (ومن يعص الله ورسوله) فى الامر بالتوحيد (فان له نار جهنم) العامة على كسر همزة ان لان ما بعد فاء الجزاء موضع ابتداء ولذلك حمل سيبويه ومن عاد فينتقم الله منه ومن كفر فأمتعه ومن يؤمن بربه فلا يخاف على ان المبتدأ فيها مضمر وقرأ طلحة بفتحها على انها مع ما فى حيزها فى تأويل مصدر واقع خبر المبتدا مضمر تقديره فجزاؤه ان له نار جهنم أو فحكمه ان له نار جهنم كقوله تعالى فأن لله خمسه أى فحكمه ان لله خمسه (خالدين فيها أبدا) بلا نهاية (حتى اذا رأوا ما يوعدون) من فنون العذاب فى الآخرة (فسيعلمون) حينئذ (من أضعف ناصرا وأقل عددا) أى أهم أم أنا فهناك يظهر ان القوة والعدد فى جانب المؤمنين أو فى جانب الكفار (قل ان أدرى أقريب ما توعدون أم يجعل له ربى أمدا) أى أجلا بعيدا لما سمع المشركون ذلك قال النضر بن الحرث انكارا له واستهزاء به متى يكون ذلك الموعود فأنزل الله تعالى هذه الآية قل لمن تعجلوا بالعذاب ما أدرى فان وقوعه متيقن أما وقت وقوعه فغير معلوم (عالم الغيب) خبر مبتدا محذوف أى هو عالم بنزول العذاب وقرئ بالنصب على المدح وقرأ السدى علم الغيب بصيغة الماضى ونصب الغيب (فلا يظهر على غيبه أحدا) أى فلا يطلع الله على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين أحدا من خلقه (الا من ارتضى من رسول) أى الا رسولا ارتضاه لاطلاعه على بعض غيوبه المتعلقة برسالته وقرأ الحسن يظهر بفتح الياء والهاء وأحد فاعل به (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) أى فان الله تعالى يجعل من جميع جوانب ذلك الرسول عند اطلاعه على غيبه حرسا من الملائكة يحفظونه من الجن لئلا يستمعوا قراءة جبريل فيلقوها الى الكهنة قبل الرسول حتى يبلغ جبريل ما أطلعه الله عليه من بعض الغيوب

(ولن أجد من دونه ملتحدا) أى ملجأ (الا بلاغا من الله ورسالاته) لكن أبلغ عن الله ما أرسلت به ولا أملك الكفر والايمان وهو قوله (لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) وقوله (حتى اذا رأوا) يعنى الكفار (ما يوعدون) من العذاب والنار (فسيعلمون) حينئذ (من أضعف ناصرا) أنا أو هم (وأقل عددا قل ان أدرى) أى ما أدرى (أقريب ما توعدون) من العذاب (أم يجعل له ربى أمدا) أى أجلا وغاية (عالم الغيب) أى هو عالم الغيب (فلا يظهر) أى فلا يطلع (على غيبه) أى ما غيبه عن العباد (أحدا الا من ارتضى) أى اصطفى (من رسول) فانه يطلعه على ما يشاء من الغيب معجزة له (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) أى يجعل من جميع جوانبه رصدا من الملائكة يحفظون الوحى من أن يسترقه الشياطين فتلقيه الى الكهنة فيساوون الأنبياء

(ليعلم) الله (أن قد أبلغوا رسالات ربهم) والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم واذا بلغوا علم الله ذلك فصار كقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وأي ولما يجاهدوا (وأحاط بما لديهم) أي علم الله ما عندهم (وأحصى كل شيء عددا) أي علم عدد كل شيء فلم يخف عليه شيء

﴿تفسير سورة المزمل صلى الله عليه وسلم﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (يا أيها المزمل) أي المتلفف بثيابه نزل هذا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو متلفف بقطيفة (قم الليل الا قليلا) أي صل كل الليل الا شيأ يسيرا تنام فيه وهو الثلث ثم قال (نصفه) أي قم نصفه (أو انقص منه) أي من النصف (قليلا) الى الثلث (أو زد عليه) أي على النصف الى الثلثين جعل له سعة في مدة قيامه في الليل فكأنه قال قم ثلثي الليل أو نصفه أو ثلثه فلما نزلت هذه الآية أخذ المسلمون أنفسهم بالقيام على هذه المقادير وشق ذلك عليهم لانهم لم يمكنهم أن يحفظوا هذه المقادير فكانوا يقومون الليل كله حتى انتفخت أقدامهم ثم خفف الله عنهم بآخر هذه السورة وهو قوله ان ربك يعلم الآية ثم نسخ قيام الليل بالصلوات الخمس وكان هذا في صدر الاسلام وقوله (ورتل القرآن ترتيلا) أي بينه تبيينا بعضه على اثر بعض في تؤدة (انا سنلقي عليك قولا ثقيلا) أي رصينا رزينا ليس بالسفساف الخفيف لأنه كلام الله تعالى (ان ناشئة الليل) أي ساعاته (هي أشد وطأ) أثقل على المصلي من ساعات النهار ومن قرأ وطاء معناه أشد مواطأة بين القلب والسمع والبصر واللسان لان الليل تهدأ فيه الأصوات وتنقطع الحركات ولا يحول بين سمعه وفهمه شيء (وأقوم قيلا) أي وأصوب قراءة (ان لك في النهار سبحا طويلا) أي تصرفا في حوائجك واقبالا وادبارا وهذا حث على القيام بالليل لقراءة القرآن (واذكر اسم ربك) أي بالتعظيم والتنزيه

وقال مقاتل وغيره كان الله اذا بعث رسولا أتاه ابليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين عنه فاذا جاءه شيطان في صورة ملك اخبروه بأنه شيطان فيحذره فاذا جاءه ملك قالوا له هذا رسول ربك (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) واللام متعلق بيسلك وضمير أبلغوا اما للرصد فالمعنى انه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم الله ان الشأن قد أبلغ الرصد رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط علما حاصلا بالفعل واما لمن ارتضى فالمعنى ليعلم انه قد أبلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى أممهم كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعد ما أبلغه الرصد اليهم كذلك (وأحاط بما لديهم) حال من فاعل يسلك أي يسلكهم ليترتب على السلك علمه تعالى بما ذكر والحال انه تعالى قد أحاط بما عند الرصد أو عند الرسل من الاحوال جميعا (وأحصى كل شيء) مما كان وما سيكون (عددا) أي فردا فردا وهو تمييز منقول من المفعول به وقرئ ليعلم بالبناء للمفعول

﴿سورة المزمل مكية وهي عشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وثمانية وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها المزمل) خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم تهجينا لما كان عليه من الحالة حيث كان صلى الله عليه وسلم متلففا بقطيفة مستعدا للنوم كما يفعله من لا يهمه أمر فأمر بأن يترك التزمل الى التشمر للعبادة والهجود الى التهجد وقرئ يا أيها المتزمل (قم الليل) أي قم الى صلاة الليل (الا قليلا نصفه) بدل من الليل (أو انقص منه قليلا) أي أو انقص القيام من النصف نقصا قليلا الى نصف النصف (أو زد عليه) أي او زد القيام على النصف الى الثلثين (ورتل القرآن ترتيلا) أي بين القرآن في اثناء القيام تبيينا بأن يبين جميع الحروف ويوفي حقها (انا سنلقي عليك قولا ثقيلا) أي سنوحي قرآنا منطويا على تكاليف شاقة على المكلفين (ان ناشئة الليل هي أشد وطأ) بفتح الواو وسكون الطاء عند الجمهور وقرأ قتادة وشبل بكسر الواو وسكون الطاء والمعنى ان قيام الليل بالصلاة هي أشد نشاطا وثبات قدم وقرأ أبو عمرو وابن عامر وطاء بكسر الواو وفتح الطاء أي موافقة للخشوع والاخلاص (وأقوم قيلا) أي أصوب قراءة وأحسن لفظا من النهار لسكون الاصوات (ان لك) يا سيد الرسل (في النهار سبحا طويلا) أي تقلبا طويلا في مهماتك فلا تتفرغ لخدمة الله الا بالليل وقرئ سبخا بالخاء المنقوطة من فوق أي تفرق قلب بالشواغل ويقال المعنى ان فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ فاصرفه اليه (واذكر اسم ربك) أي دم على ذكر اسم ربك ليلا ونهارا على أي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد ودعاء وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم وقال سهل أي قل بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءاتك توصلك بركة قراءتها الى ربك وتقطعك عما سواه اهـ أي سواء قرأت في الصلاة أو في خارجها وهذا اذا قرأ من أول سورة وأما اذا قرأ من اثناء سورة فانه ان كان في غير الصلاة سن له أن

يبسمل وان كان فيهالم تسن له البسملة لان قراءة السورة بعد الفاتحة تعد قراءة واحدة (وتبتل اليه تبتيلا) أي انقطع الى الله تعالى عن الدنيا باخلاص العبادة (رب المشرق والمغرب) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالجر على البدل من ربك أو على القسم باضمار حرف القسم وعند ابن عباس لكن قراءته رب المشارق والمغارب والباقون بالرفع على المدح وهو خبر مبتدا محذوف والتقدير هو أو على الابتداء وخبره جملة (لااله الاهو فاتخذه وكيلا) فالانسان في مبدأ السير يكون طالبا للحصة فيكون تبتله الى الله تعالى بسبب كونه مبدأ للتكميل ثم في آخر السير يترقى عن طلب الحصة فيكون تبتله في هذه الحالة بسبب كونه كاملا فقوله رب المشرق والمغرب اشارة الى الحالة الاولى التي هي أول درجات المتبتلين وقوله لااله الاهو اشارة الى الحالة الثانية التي هي منتهى درجات المتبتلين وقوله فاتخذه وكيلا اشارة الى مقام التفويض وهو أن يرفع الاختيار و يفوض الامر بالكلية اليه تعالى فان أراد الله أن يجعله متبتلا رضي بالتبتل وان أراد له عدم التبتل رضي به لامن حيث ذلك بل من حيث ذلك مراد الله تعالى وههنا آخر الدرجات (واصبر على مايقولون) مما لاخير فيه فمن أراد المخالطة مع الخلق فلابد له من الصبر الكثير (واهجرهم هجرا جميلا) بأن يجانبهم بقلبه و يخالفهم في الأفعال مع المداراة وترك المكافأة وهذا هو الاخذ باذن الله فيما يكون ادعى الى القبول فلا يأتي النسخ بمثله (ذرني والمكذبين أولي النعمة) أي اتركني وأرباب التنعم وكل أمرهم الي وهم صناديد قريش وهذا بفتح النون فهو بمعنى الترفه أما بكسرها فهي بمعنى الانعام وأما بضمها فهي بمعنى المسرة (ومهلهم قليلا) أي زمانا قليلا أيام الحياة الدنيا فقتلوا ببدر (ان لدينا أنكالا) أي ان لهم عندنا في الآخرة أمورا مضادة لتنعمهم قيودا نقيد بها أرجلهم وأغلالا تغل بها ايمانهم الى أعناقهم وسلاسل توضع في أعناقهم (وجحيما) أي نارا عظيمة يدخلونها (وطعاما ذاغصة) أي تمسك في الحلوق وهو الزقوم والضريع (وعذابا أليما) وهو أنواع العذاب (يوم ترجف الارض والجبال) متعلق بالاستقرار الذي تعلق به لدنيا أي استقر لهم عندنا ماذكر يوم تتزلزل الارض وأوتادها وقرأ زيد بن علي ترجف مبنيا للمفعول (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) أي وصارت الجبال ترابا متناثرا بعضه على بعضه لرخاوته وسمي الكثيب كثيبا لان ترابه دقاق (انا أرسلنا اليكم) يا أهل مكة (رسولا) محمدا صلى الله عليه وسلم (شاهدا عليكم) أي يشهد يوم القيامة بما صدر عنكم من الكفر والتكذيب (كما أرسلنا الى فرعون) ملك مصر (رسولا) وهو موسى عليه السلام (فعصى فرعون الرسول) الذي أرسلناه اليه (فأخذناه أخذا وبيلا) أي فعاقبناه عقوبة شديدة وهي الغرق (فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا) أي فكيف تقون أنفسكم ان بقيتم على الكفر في الدنيا عذاب يوم يصير ذلك اليوم الولدان شمطا اذا سمعوا حيث يقول الله لآدم يا آدم ابعث بعثا من ذريتك الى النار قال آدم يارب من كم قال الله تعالى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنه وقرأ زيد بن علي يوم يجعل باضافة الظرف للجملة والفاعل ضمير راجع الى الله تعالى أي فكيف لكم يا أهل مكة بالتقوى في يوم القيامة ان كفرتم في الدنيا (السماء منفطر به) أي منشق بذلك اليوم لشدة هوله وهذه الجملة صفة ثانية ليوما وقرئ متفطر أي متشقق (كان وعده مفعولا) والمصدر اما مضاف للمفعول أي كان وعد ذلك اليوم مفعولا أي كان الوعد المسند الى ذلك اليوم واجب الوقوع لان حكمة الله تعالى وعلمه يقتضيان ايقاعه واما مضاف الى الفاعل أي كان وعد الله لمجيء ذلك اليوم واقع لامحالة لانه تعالى منزه عن الكذب (ان هذه) أي الآيات (تذكرة) أي موعظة مشتملة على أنواع الارشاد (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا)

على مايقولون واهجرهم هجرا جميلا) وهو أن لا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافأتهم وهذه الآية مما نسخته آية السيف (وذرني والمكذبين) أي لاتهتم لشأنهم فاني أكفيكهم يعني رؤساء المشركين كقوله فذرني ومن يكذب بهذا الحديث وقدمه (أولي النعمة) أي ذوي التنعم والترفه (ومهلهم قليلا) يعني الى مدة آجالهم (ان لدينا) يعني في الآخرة (أنكالا) أي قيودا (وجحيما) أي نارا عظيمة (وطعاما ذاغصة) أي يغص في الحلق ولا يسوغ وهو الغسلين والضريع والزقوم (يوم ترجف الارض والجبال) أي تضطرب وتتحرك (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) أي رملا سائلا (انا أرسلنا اليكم رسولا) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (شاهدا) يشهد (عليكم) يوم القيامة بما فعلتم وقوله (فأخذناه أخذا وبيلا) أي ثقيلا غليظا (فكيف تتقون) الآية أي فكيف تتحصنون من عذاب يوم يشيب الطفل لهوله وشدته ان كفرتم اليوم في الدنيا (السماء منفطر به) أي متشقق في ذلك اليوم (ان هذه) الآيات (تذكرة) أي تذكير للخلق (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا)

أى فمن شاء النجاة فليشتغل بالطاعة واجتنب عن المعصية فان ذلك هو المنهاج الموصل الى مرضاة ربك) يا أشرف الخلق (يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه) قرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائى بنصبهما معطوفين على أدنى أى انك تقوم أقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث والباقون بجرهما معطوفين على ثلثى الليل أى تقوم أقل من ثلثى الليل وأقل من النصف والثلث (وطائفة من الذين معك) معطوف على ضمير تقوم أى ويقوم معك جماعة من أصحابك (والله يقدر الليل والنهار) فلا يعلم مقادير أجزاء الليل والنهار الا الله تعالى (علم أن لن تحصوه) أى علم الله ان الحديث لن تقدروا على تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات أبدا فالضمير عائد الى مصدر الفعل أى علم انه لا يمكنكم احصاء مقدار كل واحد من أجزاء الليل والنهار على الحقيقة ولا يمكنكم تحصيل تلك المقادير على سبيل الظن الا مع المشقة التامة (فتاب عليكم) أى فرجع الله بكم الى ترخيص ترك القيام المقدر (فاقرؤا ماتيسر من القرآن) أى فصلوا ماتيسر لكم من صلاة الليل ولو ركعتين والصحيح ان أول مافرض عليه صلى الله عليه وسلم بعد الدعاء الى التوحيد التهجد على التخيير المذكور أول السورة فعسر عليهم القيام به فنسخ بما تيسر من التهجد ثم نسخ بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسراء الى بيت المقدس (علم أن سيكون منكم مرضى) أى علم الله انه سيوجد منكم مرضى لا يستطيعون الصلاة بالليل (وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله) أى وسيوجد آخرون يسافرون فى الارض يطلبون رزق الله يشق عليهم صلاة الليل (وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) أى وسيوجد آخرون يجاهدون فى طاعة الله فلو لم يناموا فى الليل لتوالت أسباب المشقة عليهم لانهم مشتغلون فى النهار بالاعمال الشاقة (فاقرؤا ماتيسر منه) أى فصلوا ماتيسر لكم من التهجد وهذا تأكيد للاول فالاول مفرع على قوله تعالى علم أن لن تحصوه الخ وهذا مفرع على قوله علم أن سيكون الخ فكل واحد من المؤكد والمؤكد مفرع على حكمة (وأقيموا الصلاة) أى المفروضة (وآتوا الزكاة) أى اعطوا زكاة أموالكم (وأقرضوا الله قرضا حسنا) بأن تنفقوا سائر الانفاقات فى سبيل الخيرات عن طيب قلب (وماتقدموا لأنفسكم من خير) أى خير كان من عبادات البدن والمال (تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت كما قاله ابن عباس وقرأ أبو السمال هو خير وأعظم أجرا بالرفع على الابتداء والخبر (واستغفروا الله) فى كافة أحوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط (ان الله غفور) لجميع الذنوب (رحيم) للمؤمنين

﴿ سورة المدثر مكية ست وخمسون آية ومائتان وخمس وخمسون كلمة وألف وعشرة أحرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ياأيها المدثر) أى يامن لبس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذى يلى الجسد روى جابر بن عبد الله انه صلى الله عليه وسلم قال كنت على جبل حراء فنوديت يامحمد انك رسول الله فنظرت عن يمينى ويسارى فلم أر شيأ فنظرت فوقى فرأيت الملك قاعدا على عرش بين السماء والارض فخفت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى دثرونى وصبوا على ماء باردا فنزل جبريل عليه السلام فقال ياأيها المدثر وعن الزهرى ان أول مانزل سورة اقرأ الى قوله تعالى مالم يعلم ثم انقطع الوحى فحزن رسول الله وجعل يعلو شواهق الجبال فأتاه جبريل عليه السلام وقال انك نبى الله فرجع الى خديجة فقال دثرونى وصبوا على ماء باردا فنزل جبريل فقال ياأيها المدثر (قم فأنذر) أى قم من مضجعك فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا (وربك فكبر) أى عظم ربك مما يقوله عبدة الاوثان (وثيابك فطهر)

أى بالطاعة والامتثال أى وتقوم أنت ... وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار) فيعلم مقادير أوقاتهما (علم أن لن تحصوه) تطيقوا قيام الليل (فتاب عليكم) أى رجع بكم الى التخفيف (فاقرؤا ماتيسر من القرآن) رخص لهم أن يقوموا فيقرؤا ما أمكن وخف بغير مقدار معلوم من القراءة والمدة (علم أن سيكون منكم مرضى) فيثقل عليهم قيام الليل وكذلك المسافرون للتجارة والجهاد وهو قوله (وآخرون يضربون فى الارض) الى قوله (فى سبيل الله) يريد انه خفف قيام الليل لما علم من ثقله على هؤلاء (فاقرؤا ماتيسر منه) قال المفسرون كان هذا فى صدر الاسلام ثم نسخ بالصلوات الخمس وقوله (وماتقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا) مما خلفتم وتركتم (وأعظم أجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم

﴿ تفسير سورة المدثر ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ياأيها المدثر) أى المدثر فى ثوبه (قم فأنذر) الناس (وربك فكبر) أى صفه بالتعظيم (وثيابك فطهر)

أى لا تلبسها على معصية ولا على غدر فان الغادر والفاجر يسمى دنس الثياب

عن النجاسات ويقال وثيابك فقصر [illegible] كانوا يطولون ثيابهم ويجرون أذيالهم فكانت ثيابهم تتنجس ولان تطويل الذيل انما يفعل للخيلاء والتكبر فنهى الرسول عن ذلك وقال أكثر المفسرين أى وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة وقال الحسن وخلقك فحسن (والرجز فاهجر) قرأ عاصم فى رواية حفص بضم الراء فى هذه السورة وقرأ الباقون وعاصم فى رواية أبى بكر بالكسر قال أبو العالية الرجز بضم الراء الصنم وبالكسر النجاسة والمعصية وقال ابن عباس أى المأثم فاترك ولا تقربه أى دم على تركه (ولا تمنن تستكثر) مرفوع منصوب المحل على الحال أى ولا تعط طالبا التكثير (ولربك فاصبر) روى ان الكفار لما اجتمعوا وبحثوا عن حال محمد صلى الله عليه وسلم قام الوليد ودخل داره فقال القوم ان الوليد قد صبا فدخل عليه أبو جهل وقال ان قريشا جمعوا لك مالا حتى لا تترك دين آبائك فهو لاجل ذلك المال بقى على كفره فقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم ان الوليد بقى على دينه الباطل لاجل المال وأما أنت فاصبر على دينك الحق لاجل رضا الحق لا لشئ غيره وهذا الامر كله تعريض بالمشركين كانه قيل لرسول الله وربك فكبر لا الاوثان وثيابك فطهر ولا تكن كالمشركين فهم نجس البدن والثياب والرجز فاهجر ولا تقربه كما تقربه الكفار ولا تمنن تستكثر كما أراد الكفار ان يعطوا الوليد قدرا من المال وكانوا يستكثرون ذلك القليل أى كانوا رائين لما يعطونه كثيرا ولربك فاصبر على هذه الطاعات لا للاغراض العاجلة من المال والجاه (فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير) أى فاذا نفخ فى الصور نفخة البعث فوقت النقر يوم اذ نقر يوم عسير على الكل من المؤمنين والكافرين كما روى ان الانبياء يومئذ يفزعون وان الولدان يشيبون الا انه يكون هول الكفار فيه أشد وذلك قوله تعالى (على الكافرين غير يسير) وعلى المؤمنين يسير (ذرنى ومن خلقت وحيدا) منصوب على الذم والتقدير أعنى وحيدا أو حال من العائد المحذوف أى اتركنى ومن خلقته منفردا أى بلا أب فهو زنيم أو منفردا فى الشرارة وهو الوليد بن المغيرة المخزومى لانه كان يزعم انه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدمه فى الدنيا وكان يلقب بالوحيد وكان يقول أنا الوحيد ابن الوحيد ليس لى فى العرب نظير ولا لابى نظير (وجعلت له مالا ممدودا) أى مبسوطا قال ابن عباس هو ما كان للوليد بمكة والطائف من الابل والبقر والغنم والحجور والجنان والعبيد والجوارى وقال مقاتل كان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفا (وبنين) ثلاثة عشر كما قاله أبو مالك وسعيد بن جبير أسلم منهم ثلاثة خالد وهو سيف الله وسيف رسوله وهشام وعمارة (شهودا) أى حضورا معه بمكة لا يفارقونه البتة لانهم كانوا أغنياء (ومهدت له تمهيدا) أى وبسطت له الجاه والرياسة فى قومه حتى لقب بريحانة قريش ووحيدا (ثم يطمع أن أزيد) على ما أوتيه قيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لى (كلا) أى لا تكون له زيادة على ذلك أصلا فليرتدع من هذا الطمع فلم يزل الوليد بعد قوله تعالى كلا فى نقصان ماله حتى افتقر ومات فقيرا (انه) أى الوليد بن المغيرة (كان لآياتنا) الدالة على التوحيد والقدرة والعدل وصحة النبوة وصحة البعث (عنيدا) أى رادا وهو يعرفها بقلبه وينكرها بلسانه وكفر المعاند أفحش أنواع الكفر (سأرهقه صعودا) أى سأكلفه مشقة من العذاب وعن النبى صلى الله عليه وسلم يكلف ان يصعد عقبة فى النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك أبدا (انه فكر وقدر) أى ان العنيد فكر ماذا يقول فى شأن القرآن وقدر فى نفسه ما يقوله (فقتل كيف قدر) أى فلعن فى دنياه على أى كيفية أوقع تقديره (ثم قتل كيف قدر) أى ثم لعن فيما بعد الموت فى

أى لا تعط شيئا [illegible] أكثر منه وهذا خاصة النبى صلى الله عليه وسلم لانه مأمور من ربه بأجل الاخلاق وأشرف الآداب (ولربك فاصبر) أى اصبر لله على أوامره ونواهيه وما يمتحنك به حتى يكون هو الذى يثيبك عليها (فاذا نقر فى الناقور) أى نفخ فى الصور الآية وقوله (ذرنى ومن خلقت وحيدا) الآية أى لا تهتم لشأنه فانى أكفيك أمره يعنى الوليد ابن المغيرة يقول خلقته وحيدا لا مال له ولا ولد (وجعلت له مالا ممدودا) أى دائما لا ينقطع عنه من الزرع والضرع والتجارة (وبنين شهودا) أى حضورا معه بمكة وكانوا عشرة (ومهدت له تمهيدا) أى بسطت له فى العيش والمال بسطا (ثم يطمع أن أزيد) أى يرجو أن أزيده مالا وولدا (كلا) قطع رجائه (انه كان لآياتنا عنيدا) أى للقرآن معاندا غير مطيع (سأرهقه صعودا) أى سأغشيه مشقة العذاب (انه فكر وقدر) وذلك ان قريشا سألته ما تقول فى محمد صلى الله عليه وسلم فتفكر فى نفسه فقدر القول فى محمد والقرآن ماذا يمكنه أن يقول فيهما (فقتل) أى لعن وعذب (كيف قدر) استفهام على طريق التعجب

البرزخ والقيامة على أي حال كان تقديره وهذا تعجيب من قوة خاطره (ثم نظر) في [illegible] القرآن مرة بعد مرة (ثم عبس) أي قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ماذا يقول (وبسر) أي قبض جبينه (ثم أدبر) عن الحق (واستكبر) أي تعظم عن اتباعه (فقال ان هذا الا سحر يؤثر) أي ما هذا الذي يقوله محمد الا سحر ينقل عن أهل بابل (ان هذا الا قول البشر) أي ما هذا الذي أتي به محمد الا قول البشر جبر ويسار روى ان الوليد مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ حم السجدة فلما وصل الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود أنشده الوليد بالله وبالرحم ان يسكت فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم فقال لهم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى عليه ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبا الوليد ولو صبا لصبأت قريش كلها فقال ابن أخيه أبو جهل أنا أكفيكموه ثم دخل عليه محزونا فقال مالك يا ابن أخي فقال انك قد صبوت لتصيب من طعام محمد وأصحابه وهذه قريش تجمع لك مالا ليكون ذلك عوضا مما تقدر ان تأخذ من أصحاب محمد فقال والله ما يشبعون فكيف أقدر ان آخذ منهم مالا ولكني تفكرت في أمره كثيرا فلا أجد شيأ يليق به الا انه ساحر ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن فقالوا اللهم لا قال تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب قالوا اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يأثره عن أهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه فلما أقر الوليد بذلك في أول الامر علمنا أن الذي قاله في الآخر من أن القرآن سحر وقول البشر انما ذكره على سبيل العناد لا على سبيل الاعتقاد فان السحر يتعلق بالجن (سأصليه سقر) أي سأدخله في الطبقة السادسة من جهنم المسماة بسقر (وما أدراك ما سقر) أي أي شئ أعلمك ما هي في وصفها (لا تبقي ولا تذر) أي لا تبقي من الدم واللحم والعظم شيأ الا أكلته فاذا أعيدوا خلقا جديدا فلا تذر أن تعاود احراقهم بأشد مما كانت وهكذا أبدا وهذه رواية عطاء عن ابن عباس (لواحة للبشر) أي ظاهرة للبشر من مسيرة خمسمائة عام وقرأ الحسن وابن أبي عبلة وزيد بن علي وعطية لواحة بالنصب على الاختصاص أو على الحال المؤكدة أي مغيرة للابشار (عليها) أي النار (تسعة عشر) ملكا وحكى الواحدي عن المفسرين ان خزنة النار تسعة عشر مالك ومعه ثمانية عشر أعينهم كالبرق وأنيابهم كالصياصي وأشعارهم تمس أقدامهم يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة يسع كف أحدهم مثل ربيعة ومضر نزعت منه الرحمة والرأفة يأخذ أحدهم سبعين ألفا في كفه ويرميهم حيث أراد من جهنم وحكمة هذا العدد أن أبواب جهنم سبعة فستة منها للكفار وواحد للفساق ثم ان الكفار يدخلون النار لامور ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الاقرار وترك العمل فيكون لكل باب من تلك الابواب الستة ثلاثة والمجموع ثمانية عشر وأما باب الفساق فليس هناك زبانية بسبب ترك الاعتقاد ولا بسبب ترك القول بل بسبب ترك العمل فقط فلا يكون على بابهم الا زبانية واحدة فالمجموع تسعة عشر ويقال ان الساعات أربعة وعشرون خمسة منها مشغولة بالصلوات الخمسة فيبقى منها تسعة عشر مشغولة بغير العبادة فقصار عدد الزبانية تسعة عشر (وما جعلنا أصحاب النار) أي القائمين بتعذيب أهل النار (الا ملائكة) فلا تقاس الملائكة بالسجانين روى أنه لما نزل قوله تعالى عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم قال ابن أبي كبشة

(ثم نظر ثم عبس وبسر) أي كلح وجهه (ثم أدبر واستكبر) عن الايمان (فقال ان هذا) أي ما هذا الذي يقرؤه محمد (الا سحر يؤثر) أي يروى عن السحرة (ان هذا الا قول البشر) كما قالوا انما يعلمه بشر قال الله تعالى (سأصليه سقر) أي سأدخله جهنم ثم أعلم بعظيم شأن سقر في العذاب فقال (وما أدراك ما سقر) أي ما أعلمك أي شئ سقر (لواحة للبشر) أي محرقة للجلد حتى تسوده (عليها تسعة عشر) من الخزنة الواحد منهم يدفع الدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر فلما نزلت هذه الآية قال بعض المشركين أنا أكفيكم منهم سبعة عشر فاكفوني اثنين فأنزل الله تعالى (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة) فمن ذا الذي يغلب الملائكة

ان خزنة النار تسعة عشر وأنتم الشجعان أفيعجز كل عشر منكم أن يبطشوا بواحد منهم فقال أبو الاشد بن أسيد بن كلدة الجمحى أنا أكفيكم سبعة عشر وا كفونى أنتم اثنين فنزلت وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة أى ما جعلناهم رجالا من جنسكم فتغالبونهم (وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا) فانهم يقولون بهذا العدد القليل كيف يكونون وافين بتعذيب أكثر العالم من الجن والانس من أول ما خلق الله تعالى الى قيام القيامة (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) لان هذا العدد موجود فى التوراة والانجيل فلما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم على وفق ذلك من غير سابقة تعلم علموا أن ذلك حصل بسبب الوحى من السماء فالذين آمنوا بمحمد ازدادوا يقينا أن ذلك العدد هو الصدق (و يزداد الذين آمنوا ايمانا) بما رأوا من تصديق أهل الكتاب ذلك وعلموا أن فى كتابنا مثل ما فى التوراة (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب) مثل عبد الله بن سلام وأصحابه اذ لم يكن العدد خلاف ما فى كتابهم (والمؤمنون) لانضمام ايمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر ما أنزل (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) أى شك فى صدق القرآن (والكافرون) القاطعون بكذبه (ماذا أراد الله بهذا مثلا) أى أى شئ أراد الله بهذا العدد القليل حال كونه عددا عجيبا (كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) أى يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء بهذا المثل اضلالا وهداية كائنين مثل ما ذكر من الاضلال والهداية (وما يعلم جنود ربك الا هو) أى ان الخزنة تسعة عشر ولهم جنود من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى خلقوا لتعذيب أهل النار (وما هى) أى سقر (الا ذكرى للبشر) أى الا عظة للخلق ليتذكروا كمال قدرة الله تعالى وانه لا يحتاج الى أعوان (كلا) أى حقا أو تنبهوا الى ما سيلقى اليكم (والقمر والليل اذ أدبر) قرأ نافع وحفص وحمزة بسكون الذال المعجمة والدال المهملة وبينهما همزة مفتوحة أى وقت ذهب والباقون بفتح الذال المعجمة والدال المهملة بينهما ألف أى اذ جاء (والصبح اذا أسفر) أى أضاء وقرأ عيسى بن الفضل وابن السميقع سفر ثلاثيا أى طرح الظلمة (انها لاحدى الكبر) أى ان سقر لاحدى دركات جهنم (نذيرا للبشر) تمييز من احدى أى انها لاحدى الدواهى انذارا للبشر وفى قراءة أبى نذير بالرفع (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) وقوله تعالى لمن شاء بدل من قوله تعالى للبشر أى نذيرا لمن شاء منكم أن يسبق الى الخير فيهديه الله تعالى أو يتأخر عن خير فيضله الله (كل نفس بما كسبت رهينة) أى كل نفس مرهونة عند الله بكسبها غير مفكوكة (الا أصحاب اليمين) فانهم فاكون رقابهم بأعمالهم الحسنة كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق (فى جنات يتساءلون عن المجرمين) أى يسأل أصحاب اليمين حال كونهم فى جنات الكافرين عن أحوالهم حال كونهم فى النار قائلين (ما سلككم فى سقر) أى أى شئ أدخلكم فى هذه الدركة من النار (قالوا) مجيبين للسائلين (لم نك من المصلين) الصلوات الواجبة (ولم نك نطعم المسكين) أى لم نك نعطى المسكين ما يجب علينا اعطاؤه له كنذر وكفارة وزكاة (وكنا نخوض مع الخائضين) أى نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه (وكنا نكذب بيوم الدين) أى بيوم الجزاء (حتى أتانا اليقين) أى الموت أى أدامنا على انكار القيامة الى وقت الموت قال تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) أى لا تنالهم شفاعة الملائكة والانبياء والصالحين (فما لهم

جعلنا عدتهم) أى عددهم فى القلة (الا فتنة للذين كفروا) لانهم قالوا ما أعوان محمد الا تسعة عشر (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) أى ليعلموا أن ما أتى به النبى صلى الله عليه وسلم موافق لما فى كتابهم (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) لانهم يصدقون ما أتى به الرسول من عدد خزنة النار (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) أى لا يشكون فى أن عددهم على ما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) أى شك (والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا) أى أى شئ أراد الله بهذا العدد وتخصيصه (كذلك) أى كما أضلهم بتكذيبهم (يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو) هذا جواب لقولهم ما أعوانه الا تسعة عشر (وما هى) يعنى النار (الا ذكرى للبشر) أى انها فى الدنيا تذكرهم النار فى الآخرة (كلا) ليس الامر على ما ذكروا من التكذيب به (والقمر) قسم (والليل اذ أدبر) أى جاء بعد النهار (والصبح اذا أسفر) أى أضاء (انها لاحدى الكبر) أى سقر لاحدى الامور العظام (نذيرا) أى انذارا (للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم) فيما أمر به (أو يتأخر) عنه أى فقد أنذرتم (كل نفس بما كسبت رهينة) أى مأخوذة بعملها (الا أصحاب اليمين) يعنى أهل الجنة وهم لا يرتهنون بذنوبهم ولكن الله يغفرها لهم وقيل أصحاب اليمين هاهنا أطفال المؤمنين وقوله (ما سلككم فى سقر) أى ما أدخلكم جهنم (وكنا نخوض مع الخائضين) أى ندخل الباطل مع من دخله (وكنا نكذب بيوم الدين) أى بيوم الجزاء (حتى أتانا اليقين) أى الموت (فما لهم

عن التذ [illegible]
الاسد [illegible] (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) وذلك أنهم قالوا [illegible]
بكتاب من رب العالمين نؤمر فيه باتباعك كما قالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا الآية (كلا) [illegible]

عن التذكرة معرضين) أى فأى شئ حصل لهم معرضين عن القرآن (كأنهم حمر مستنفرة) قرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء أى مذعورة ذعرها القناص والباقون بكسرها أى نافرة من صوت الناس أو من ظلمة الليل (فرت) أى الحمر (من قسورة) أى أسد سمى بذلك لانه يقهر السباع (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) أى طرية لم تطو بأن تأتيهم وقت كتابتها فان أبا جهل وجماعة من قريش قالوا يا محمد لن نؤمن بك حتى تأتى كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين الى فلان بن فلان ونؤمر فيه باتباعك وعن ابن عباس كانوا يقولون ان كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءة من النار (كلا) أى لا يؤتون الصحف فلا تقترحوا ذلك (بل لا يخافون الآخرة) فى زمن من الازمان فلذلك يعرضون عن التذكرة (كلا) أى حقا (انه) أى القرآن (تذكرة) أى عظة عظيمة من الله توجب اتباعه (فمن شاء ذكره) أى فمن شاء أن يتعظ بالقرآن اتعظ به وجعله نصب عينيه (وما يذكرون الا أن يشاء الله) أى ولا يذكرون فى حال من الاحوال الا حال ان يشاء الله ذلك وقرأ نافع بتاء الخطاب وقرئ بالياء والتاء مشددا (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أى هو حقيق بأن يتقيه عباده ويطيعوه وحقيق بأن يغفر لهم ما سلف من كفرهم اذا آمنوا وأطاعوا

﴿سورة القيامة مكية تسع وثلاثون آية ومائة وسبع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة) أى النفوس الشريفة التى لا تزال تلوم نفسها فى الدنيا والآخرة فاذا اجتهدت فى الطاعة تلوم نفسها على عدم الزيادة واذا قصرت تلوم نفسها على التقصير والمعنى لا أقسم عليكم بذلك اليوم ولا بتلك النفس ولكنى أسألك غير مقسم أتحسب انا لا نجمع عظامك اذا تفرقت بالموت فان كنت تحسب ذلك فاعلم انا قادرون على ان نفعل ذلك وذلك قوله تعالى (أيحسب الانسان) أى المكذب بالبعث (أن لن نجمع عظامه) أى ان الحديث لن نقدر على ان نجمع عظامه بعد تفريقها وقرأ قتادة ان لن تجمع عظامه على البناء للمفعول روى ان عدى بن أبى ربيعة ختن الاخنس ابن شريق قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثنى عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمره فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أومن بك أو يجمع الله العظام بعد صيرورتها ترابا فنزلت هذه الآية وقال ابن عباس المراد بالانسان ههنا أبو جهل فانه أنكر البعث بعد الموت قال تعالى فى جوابه (بلى) فهذه الكلمة أثبتت ما بعد النفى وهو الجمع أى بلى نجمعها والوقف هنا تام وقال أبو عمرو كاف (قادرين على أن نسوى بنانه) أى كنا قادرين على أن نخلق أطراف أصابعه فى الابتداء فوجب ان نبقى قادرين على الاعادة فى الانتهاء وقرأ ابن أبى عبلة قادرون بالرفع أى ونحن قادرون (بل يريد الانسان ليفجر أمامه) أى بل يريد الانسان أن يكذب بيوم القيامة وهو أمامه

لا يخافون الآخرة) أى بحيث يقترحون أن يؤتوا صحفا من السماء (كلا انه تذكرة) أى القرآن تذكير للخلق وليس بسحر (فمن شاء ذكره وما يذكرون الا أن يشاء الله هو أهل التقوى) أى هو أهل أن يتقى عقابه (وأهل المغفرة) أى أهل أن يعمل بما يؤدى الى غفرانه

﴿تفسير سورة القيامة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لا أقسم بيوم القيامة) لا صلة معناه أقسم وقيل لا رد لانكار المشركين البعث ثم قال أقسم بيوم القيامة (ولا أقسم بالنفس اللوامة) وهى نفس ابن آدم تلومه يوم القيامة ان كان عمل شرا لم عمله وان كان عمل خيرا لامته على ترك الاستكثار منه وجواب هذا القسم مضمر على تقدير انكم مبعوثون يدل عليه ما بعده من الكلام وهو قوله (أيحسب الانسان) يعنى الكافر (أن لن نجمع عظامه) للبعث والاحياء بعد التفرقة والبلى (بلى قادرين) أى نقدر على جمعها و(على أن نسوى بنانه) أى نجعلها كخف البعير فلا يمكنه أن يعمل بها شيأ وقيل نسوى بنانه على ما كانت وان دقت عظامها وصغرت (بل يريد الانسان ليفجر أمامه) أى يؤخر التوبة ويمضى فى معاصى الله قدما قدما فيقدم الاعمال السيئة وقيل معناه ليكفر بما قدامه يدل على هذا قوله

[illegible]
مشرقه (وجمع الشمس والقمر) [illegible] (يقول الانسان يومئذ أين المفر) أى الفرار (كلا) أى لا [illegible]
(لا وزر) لا ملجأ ولا حرز (الى ربك يومئذ المستقر) أى المنتهى والمصير (ينبأ الانسان) أى يخبر (بما قدم وأخر) أى بأول عمله وآخره (بل الانسان على نفسه بصيرة) أى شاهد عليها بعملها الشهادة عليه جوارحه وأدخلت الهاء فى البصيرة للمبالغة وقيل لانه أراد بالانسان الجوارح (ولو ألقى معاذيره) أى ولو اعتذر وجادل فعليه من نفسه من يكذب عذره وقيل معناه ولو أرخى الستور وأغلق الابواب والمعذار الستر بلغة اليمن (لا تحرك به) أى بالوحى (لسانك لتعجل به) كان جبريل اذا نزل بالقرآن تلاه النبى صلى الله عليه وسلم قبل فراغ جبريل كراهة أن ينفلت منه فأعلم الله أنه لا ينسيه اياه وأنه يجمعه فى قلبه فقال (ان علينا جمعه وقرآنه) أى قراءته عليك حتى تعيه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) أى لا تعجل بالتلاوة الى أن يقرأ عليك (ثم ان علينا بيانه) أى علينا أن ننزله قرآنا فيه بيان للناس (كلا) زجر وتنبيه (بل يحبون العاجلة ويذرون الآخرة) أى يختارون الدنيا على العقبى (وجوه يومئذ) يوم القيامة (ناضرة) أى مضيئة حسنة (الى ربها ناظرة) أى تنظر الى خالقها عيانا (ووجوه يومئذ باسرة) أى كالحة (تظن) أى توقن (أن يفعل بها فاقرة) أى داهية عظيمة من العذاب (كلا اذا بلغت التراقى) يعنى النفس بلغت عظام الحلق (وقيل من راق) قال من حضر ذلك الذى قارب الموت هل من طبيب يداويه وراق يرقيه فيشفى برقيه (وظن) أى أيقن الذى نزل به الموت (أنه الفراق) من الدنيا والاهل والمال (والتفت الساق بالساق) أى التفت ساقاه لشدة النزع وقيل تتابعت عليه الشدائد (الى ربك يومئذ المساق) أى المنتهى والمرجع يعنى سوق الملائكة الى حيث أمر الله .

الا انه من كذب حقا كان فاجرا (يسأل أيان يوم القيامة) أى يسأل الانسان سؤال متعنت ومستبعد متى يوم القيامة (فاذا برق البصر) قرأ نافع بفتح الراء أى شخص البصر عند معاينة أسباب الموت والملائكة والباقون بالكسر أى تحير البصر فزعا فلم يطرف وقرأ أبو السمال بلق بمعنى انفتح (وخسف القمر) أى ذهب ضوءه وقرئ وخسف القمر على البناء للمفعول أى ذهب بنفسه (وجمع الشمس والقمر) بأن يطلعهما الله تعالى من المغرب (يقول الانسان) المنكر للقيامة (يومئذ) أى اذا عاين هذه الاحوال (أين المفر) أى أين الفرار من النار وقرئ بكسر الفاء أى أين موضع الفرار (كلا) أى حقا أو لا تتمن الفرار (لا وزر) أى لا ملجأ أى فلا جبل يواريه من النار (الى ربك يومئذ المستقر) أى موضع قرارهم يومئذ كانت هذه الامور مفوضة الى مشيئته تعالى فانه تعالى يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) أى يخبر كل امرئ عند وزن الاعمال بما عمل وبما ترك من عمل خيرا كان أو شرا (بل الانسان على نفسه بصيرة) أى بل هو يومئذ عالم بتفاصيل أحواله شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك (ولو ألقى معاذيره) أى ولو جاء بكل معذرة يمكن أن يعتذر بها عن نفسه فانه لا ينفعه ذلك لانه شاهد على نفسه (لا تحرك به) أى بالقرآن (لسانك) قبل فراغ جبريل من قراءته عليك (لتعجل به) أى لتأخذه على عجلة مخافة ان تنساه (ان علينا جمعه) فى صدرك (وقرآنه) أى اثبات قراءته فى لسانك (فاذا قرأناه) أى أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل (فاتبع قرآنه) أى فاقرأ أنت بعد فراغه من قراءته أى لا ينبغى أن تكون قراءتك مقارنة لقراءة جبريل فاذا سكت جبريل فاشرع أنت فى القراءة (ثم ان علينا بيانه) أى بيان ما أشكل عليك من معانيه وأحكامه على سبيل التفصيل (كلا) أى لا تعجل يا أشرف الخلق وكن على أناة (بل) أنتم يا بنى آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون فى كل شئ ولذلك (تحبون العاجلة) أى الدنيا (وتذرون الآخرة) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بياء الغيبة أى انهم يحبون العمل للدنيا ويتركون العمل لثواب الآخرة (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) فوجوه مبتدأ وناضرة نعت له ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة خبره والى ربها متعلق بالخبر والمعنى ان الوجوه الحسنة يوم القيامة وهى وجوه المؤمنين ناظرة الى الله تعالى لا يحجبون عنه (ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة) أى ووجوه شديدة العبوس يوم القيامة وهى وجوه الكفرة توقن أن يفعل بها أنواع العذاب فى النار (كلا) أى تنبهوا لما أمامكم من الموت الذى ينقطع عنده المحبة بينكم وبين الدنيا (اذا بلغت التراقى وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق) أى اذا بلغت الروح أعالى الصدر وهى العظام المكتنفة ثغرة النحر عن يمين وشمال وقال من

حول المشرف على الموت هل من راق على سبيل الطلب أو على سبيل الانكار من ينجيه مما هو فيه وهل من طبيب يداويه أو قال ملك الموت للملائكة أيكم يرقى بروحه الى السماء وأيقن ذلك المحتضر ان ما نزل به فراق الدنيا واتصلت شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة فقد انقطعت عنه أحكام الدنيا ويساق فى ذلك اليوم الى حكم الله تعالى اذ اليه مرجع الخلائق (فلا صدق) وهو معطوف على قوله تعالى يسأل أيان يوم القيامة قال مجاهد وغيره نزلت هذه الآيات فى أبى جهل أى فهو ما صدق بالدين (ولا صلى) أى ما صلى أبو جهل صلاة شرعية (ولكن كذب) ما يجب تصديقه من الرسول والقرآن (وتولى) أى أعرض عن الطاعة (ثم ذهب الى أهله يتمطى) أى يتمدد ويختال فى مشيته لان المتبختر يمد خطاه فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه فهزه هزة أو هزتين وقال له (أولى لك فأولى) أى ويل لك يا أبا جهل وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكرهه (ثم أولى لك فأولى) أى وعيد لك يا أبا جهل احذر يا أبا جهل فقد قرب منك ما لا قبل لك به من المكروه وقال القاضى المعنى بعد الك بعد الك أى بعدا فى أمر دنياك وبعدا فى أمر أخراك قال قتادة والكلبى ومقاتل أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد أبى جهل بالبطحاء وقال له أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى فقال أبو جهل بأى شئ تهددنى يا محمد فوالله لا تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بى شيأ وانى والله لأعز أهل هذا الوادى وأعز من مشى بين جبليها ثم انسل ذاهبا فأنزل الله تعالى مثل ذلك (أيحسب الانسان أن يترك سدى) أى مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف فى الدنيا ولا يحاسب بعمله فى الآخرة (ألم يك) أى الانسان (نطفة) أى ماء قليلا فى صلب الرجل وترائب المرأة (من منى يمنى) أى يصب فى الرحم (ثم كان علقة) أى ثم صار المنى دما عبيطا بقدرة الله تعالى (فخلق فسوّى) أى فنفخ الله فى ذلك الانسان الروح فكمل أعضاءه وهذا قول ابن عباس ومقاتل (فجعل منه الزوجين) أى فجعل الله من الانسان الصنفين (الذكر والانثى) يجتمعان تارة فى الرحم وينفرد كل منهما عن الآخر تارة وكان لابى جهل ابن اسمه عكرمة وبنت اسمها جويرية (أليس ذلك) الذى أنشأ هذه الاشياء (بقادر على أن يحيي الموتى) للبعث فالاعادة أهون من البدء فى قياس العقل روى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه السورة قال سبحانك اللهم بلى رواه أبو داود والحاكم وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من قرأ سبح اسم ربك الاعلى اماما كان أو غيره فليقل سبحان ربى الاعلى ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة الى آخرها فليقل سبحانك اللهم بلى اماما كان أو غيره

﴿سورة الانسان وتسمى سورة هل أتى وسورة الامشاج وسورة الدهر مكية وهى احدى وثلاثون آية ومائتان وأربعون كلمة وألف وأربعة وخمسون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا) أى قد أتى على بنى آدم طائفة محدودة من الزمن الطويل غير مقدر فى نفسه غير مذكور بالانسانية أصلا وهى مدة الحمل وقيل قد مرت على آدم أربعون سنة قبل أن تنفخ فيه الروح لم يكن شيأ مذكورا لا فى السماء ولا فى الارض بل كان جسدا مصورا ترابا وطينا لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورا (انا خلقنا الانسان) أى ولد آدم (من نطفة أمشاج) أى من نطفة قد امتزج فيها الماءان ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان الشبه له وما كان من عصب وعظم وقوة فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة وقال مجاهد نطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة

الى أهله يتمطى) أى يتبختر (أولى لك فأولى) هذا تهديد ووعيد والمعنى وليك المكروه أى لزمك المكروه يا أبا جهل (أيحسب الانسان أن يترك سدى) أى مهملا غير مأمور ولا منهى (ألم يك نطفة من منى يمنى) أى يصب فى الرحم (ثم كان علقة فخلق فسوّى) أى فخلقه الله فسوّى خلقه حتى صار انسانا بعد أن كان علقة (فجعل منه الزوجين الذكر والانثى) أى فخلق من الانسان صنفين الرجل والمرأة (أليس ذلك) الذى فعل هذا (بقادر على أن يحيي الموتى) بلى وهو على كل شئ قدير

﴿تفسير سورة الانسان﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(هل أتى) أى قد أتى (على الانسان) يعنى آدم (حين من الدهر) أى أربعون سنة (لم يكن شيأ مذكورا) الآية أى كان جسدا مصورا من طين لا يذكر ولا يعرف ويجوز أن يكون جميع الناس لان كل أحد يكون عدما الى أن يصير شيأ مذكورا (انا خلقنا الانسان) يعنى ابن آدم (من نطفة أمشاج) أى أخلاط يعنى ماء الرجل وماء المرأة واختلاف ألوانهما

[illegible] (فجعلناه) [illegible] (سميعا بصيرا) [illegible] التمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة
الآيات التكوينية (إنا هديناه السبيل) أي بينا له سبيل الهدى والضلال بإنزال الآيات ونصب الدلائل
(إما شاكرا وإما كفورا) أي ليكون الانسان إما مؤمنا وإما كافرا وحال التقدير إنا هديناه السبيل ثم هو إما شاكر
وإما كفور [illegible] بفتح الهمزة في إما على حذف الجواب أي إما شاكرا فبتوفيقنا
وإما كفورا فبسوء اختياره لا بمجرد اجبار من غير اختيار من قبله (إنا أعتدنا للكافرين سلاسل
وأغلالا وسعيرا) أي إنا هيأنا للكافرين سلاسل تشد بها أرجلهم ويقادون بها وأغلالا تشد بها أيديهم
إلى رقابهم ونارا موقدة يحرقون بها وقرأ نافع وهشام وشعبة والكسائي سلاسلا بالتنوين (إن الأبرار)
أي الصادقين في إيمانهم المطيعين لربهم الموفين بنذرهم (يشربون من كأس) أي إناء فيه خمر (كان
مزاجها كافورا) أي كانت تلك الخمر ممزوجة بماء عين كافور فإن الكافور اسم عين في الجنة ماؤها
في بياض الكافور ورائحته وبرده لكن لا يكون فيه طعمه ولا مضرته ويبدل من كافورا قوله (عينا
يشرب بها عباد الله) أي يشرب عباد الله ماء تلك العين الخمر لكونها ممزوجة بها فالباء متعلقة بمحذوف
حال من مفعول محذوف أي يشرب المؤمنون الخمر ممزوجة بتلك العين أو متعلقة بيشرب والضمير
يعود على الكأس أي يشربون العين بذلك الكأس والباء للالصاق أو مزيدة ويدل له قراءة ابن
أبي عبلة يشربها عباد الله (يفجرونها تفجيرا) أي يقودون العين حيث شاؤا من منازلهم وتتبعهم
حيث مالوا مالت معهم أي ان الرجل منهم يمشي في بيوته ويصعد الى قصوره وبيده قضيب يشير به الى الماء
فيجري معه حيثما دار في منازله على مستوى الارض في غير أخدود ويتبعه حيثما صعد الى أعلا قصوره
(يوفون بالنذر) أي بما أوجبوه على أنفسهم لوجه الله تعالى فكيف بما أوجبه الله تعالى عليهم
(ويخافون يوما كان شره) أي شدائده (مستطيرا) أي سريع الوصول الى أهله من العصاة
(ويطعمون الطعام على حبه) أي مع حاجتهم الى الطعام وقال الفضيل بن عياض أي على حب اطعام
الطعام أي بأن يكون ذلك مع طيب النفس (مسكينا ويتيما وأسيرا) أي مسجونا مسلما وهو قول
مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير قائلين بلسان الحال (إنما نطعمكم لوجه الله) أي لطلب ثواب الله
(لا نريد منكم جزاء) أي مكافأة (ولا شكورا) أي محمدة بقول أو بفعل روى أن عائشة كانت تبعث
بالصدقة الى أهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا
عند الله تعالى (إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا) أي تعبس فيه الوجوه (قمطريرا) أي شديدا روى أن
الكافر يعبس حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) أي شدائده
بسبب خوفهم عنه (ولقاهم نضرة وسرورا) أي وأعطاهم بسبب طلب رضا الله حسنا في وجوههم
وفرحا في قلوبهم (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) أي وجزاهم بصبرهم على الايثار وما يؤدي اليه من
الجوع والعري بستانا فيه مأكل هني وحريرا فيه ملبس بهي (متكئين فيها على الأرائك) أي
جالسين في الجنة على السرر في الحجال (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) أي لا يصيبهم في الجنة حر محرق
ولا برد مؤذ لان هواها معتدل في الحر والبرد ويقال ان في الجنة من الضياء ما لا يحتاجون معه الى شمس
ولا قمر فان الزمهرير هو القمر في لغة طيء كما رواه ثعلب ونورها من نور العرش (ودانية عليهم ظلالها)

(الأبرار) أي الصادقين في ايمانهم (يشربون من كأس) أي إناء شراب (كان مزاجها كافورا) في برد وطعم الكافور (عينا) أي من عين (يشرب بها) أي منها العين (عباد الله يفجرونها تفجيرا) أي يقودونها حيث شاؤا من منازلهم (يوفون بالنذر) إذا نذروا في طاعة الله ويعانونه (ويخافون يوما كان شره مستطيرا) أي منتشرا فاشيا (ويطعمون الطعام على حبه) أي قلته وحبهم اياه (مسكينا) أي فقيرا (ويتيما) أي لا أب له (وأسيرا) يعني المملوك والمحبوس في حق المسلمين ويقولون لهم (إنما نطعمكم لوجه الله) أي لطلب ثواب الله (لا نريد منكم) بما نطعمكم (جزاء) أي مكافأة منكم (ولا شكورا) أي شكرا (إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا) أي كريه المنظر لشدته (قمطريرا) أي صعبا شديدا طويل الشر (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) الذي يخافون (ولقاهم نضرة) في ضياء وجوههم (وسرورا) في قلوبهم

(وجزاهم بما صبروا) أي على طاعة الله وعن معصيته (جنة وحريرا متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) أي حرا ولا بردا ولا صيفا ولا شتاء (ودانية عليهم ظلالها) أي قريبة منهم ظلال أشجارها

معطوف على محل لا يرون وهو في محل نصب حال من الضمير المستكن في متكئين أي بعداء عن الحر والبرد وقريبة ظلال شجرها منهم وقرئ ودانية بالرفع على أنه خبر لظلالها والجملة في موضع الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال أن ظلالها دانية عليهم أي ان ظلال أشجار الجنة قريبة من الابرار مظلة عليهم يعني أنه لو هنالك شمس مؤذية لكانت أشجارها مظلة عليهم (وذللت قطوفها تذليلا) أي أدنيت منهم عناقيد ثمارها فهم يتناولون منها كيف شاؤا (و يطاف عليهم بآنية من فضة) أي بصحاف من فضة (وأكواب كانت قوارير قوارير من فضة) أي وبكيزان تكون جامعة بين صفاء الزجاج وشفوفه وبياض الفضة ولينها فنسبة قارورة الجنة الى قارورة الدنيا كنسبة فضة الجنة الى رمل الدنيا لان أصل القوارير في الدنيا الرمل وأصل قوارير الجنة هو فضة شفافة وقرئ قوارير الثاني بالرفع أي هي قوارير (قدروها تقديرا) أي قدروا القوارير في أنفسهم وأرادوا أن تكون على اشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها وقيل الضمير للطائفين بها أي قدر الطائفون الشراب فيها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها بالبناء للمفعول أي جعلوا قادرين لها كما شاؤا (ويسقون فيها) أي الجنة (كأسا) أي خمرا (كان مزاجها زنجبيلا) أي ما شبه الزنجبيل (عينا فيها) أي الجنة (تسمى) أي تلك العين (سلسبيلا) قال مقاتل وابن حبان سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن الى أهل الجنان ويقال معناها سل الله سبيلا اليها وسميت بذلك لانه لا يشرب منها الا من سأل الله اليها سبيلا بالعمل الصالح وقرأ طلحة سلسبيل بغير تنوين للعلمية والتأنيث (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) أي دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء وقيل أي محلون كما رواه نفطويه عن ابن الاعرابي أو مسورون كما رواه الفراء وهم خلقوا في الجنة لخدمة أهل الجنة كالحور ولم يخلقوا عن ولادة على الصحيح (اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) لصفاء ألوانهم واشراق وجوههم وانعكاس أشعة بعضهم الى بعض وانتشارهم في مجالسهم ومنازلهم (واذا رأيت ثم) أي في أي مكان كان في الجنة (رأيت نعيما وملكا كبيرا) وفي الحديث أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه (عاليهم ثياب سندس) وهو ما لطف من الديباج قرأ نافع وحمزة عاليهم باسكان الياء مبتدأ وثياب خبره أي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس والباقون بفتح الياء على أنه ظرف خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر والجملة صفة ثانية لولدان أي يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب سندس الخ وقيل ان عاليهم حال من ضمير عليهم أي يطوف على الابرار ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب الخ أي فوق حجالهم المضروبة عليهم ثياب سندس (خضر واستبرق) وهو ما ثخن من الديباج قرأ نافع وعاصم كلاهما بالرفع وقرأ الكسائي وحمزة كلاهما بالخفض وقرأ ابن كثير خضر بالخفض واستبرق بالرفع وقرأ أبو عمرو وعبد الله بن عامر خضر بالرفع واستبرق بالخفض (وحلوا أساور من فضة) وهذا معطوف على يطوف عليهم فان حلي أهل الجنة يختلف حسب اختلاف أعمالهم وأيضا ان الطباع مختلفة فرب انسان يكون استحسانه لبياض الفضة فوق استحسانه لصفرة الذهب وقيل انما تكون الاسورة من الفضة للولدان الذين هم الخدم (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) أي يطهر شاربه عن دنس الميل الى الملاذ الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي غاية منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الابرار وقال مقاتل هو عين ماء على باب الجنة تنبع من ساق شجرة من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد وما كان في جوفه من قذر وأذى (ان هذا) أي الذي ذكر من الطعام والشراب واللباس (كان لكم جزاء) أي ثوابا من الله مقابلة أعمالكم الحسنة وهذا اخبار من الله

تعالى

(وذللت قطوفها تذليلا) أي أدنيت منهم ثمارها فهم يتناولونها قعودا كانوا أو قياما (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قوارير) أي لها بياض الفضة وصفاء القوارير وهو قوله (قوارير من فضة قدروها تقديرا) أي جعلت الاكواب على قدر ريهم وهو ألذ الشراب (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) والزنجبيل شيء تستلذه العرب فوعدهم الله ذلك في الجنة (عينا) أي من عين (فيها) أي في الجنة (تسمى) تلك العين (سلسبيلا ويطوف عليهم ولدان) أي غلمان (مخلدون) أي لا يشيبون (اذا رأيتهم حسبتهم) في بياضهم وصفاء لونهم (لؤلؤا منثورا واذا رأيت ثم) أي اذا رأيت ببصرك في الجنة (رأيت نعيما وملكا كبيرا) وهو أن أدناهم منزلة ينظر في ملكه في مسيرة ألف عام (عاليهم) فوقهم (ثياب سندس) يعني الحرير وقوله (شرابا طهورا) أي طاهرا من الاقذاء والاقذار ليس بنجس كخمر أهل الدنيا وقوله

تعالى لعباده في الدنيا فكأنّ الله تعالى يقول لأهل الجنة ان هذا كان في حكمي جزاء لكم يا معاشر عبادي لكم خلقتها ولأجلكم أعددتها أو قال ابن عباس المعنى أنه يقال لأهل الجنة بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم لنعيمها ليزداد سرورهم ان هذا كان لكم جزاء (وكان سعيكم مشكورا) أي مرضيا وكان الله راضيا عنهم بالقليل من الطاعات ومعطيهم عليه ثوابا كثيرا ومنتهى درجة العبد أن يكون راضيا من ربه مرضيا لربه فقوله ان هذا كان لكم جزاء اشارة الى الامر الذي وتصير النفس به راضية من ربه وقوله وكان سعيكم مشكورا اشارة الى كون النفس مرضية لربه وهذه الحالة أعلى الدرجات وآخر المقامات ولذلك وقع الختم عليها في ذكر مراتب أحوال الابرار والصديقين (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) أي متفرقا آية وآيتين وسورة وهذه الآية تثبيت الرسول وشرح صدره فيما نسبوه اليه من كهانة وسحر (فاصبر لحكم ربك) في تأخير الاذن في القتال أو في أداء الرسالة وتحمل المشاق الناشئة من ذلك (ولا تطع منهم آثما) أي مقدما على المعاصي أي معصية كانت (أو كفورا) أي جاحدا للنعمة فالآثم هو الوليد بن المغيرة والكفور هو عتبة بن ربيعة كما قاله القفال وغيره واختاره الرازي يروى أن عتبة بن ربيعة قال للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع عن هذا الامر حتى أزوّجك بنتي وأسوقها اليك من غير مهر فاني من أجل قريش ولدا وقال الوليد أنا أعطيك من المال حتى ترضى فاني من أكثرهم مالا وارجع عن هذا الامر أي عن ذكر النبوّة فقرأ عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات من أول حم السجدة الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانصرفا عنه وقال أحدهما ظننت أن الكعبة ستقع عليّ (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) أي صل الفجر والظهر والعصر (ومن الليل فاسجد له) أي وبعض الليل فصل لربك صلاة المغرب والعشاء (وسبحه ليلا طويلا) أي صل له صلاة التهجد في جزء من ليل طويل قال بعضهم كان ذلك من الواجبات على الرسول ثم نسخ فالامر للوجوب لاسيما اذا تكرر على سبيل المبالغة (ان هؤلاء) أي الكفرة من أهل مكة (يحبون العاجلة) وينهمكون في لذاتها الفانية (ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) أي ويتركون وراءهم مصالح يوم ثقيل أي شديد هوله وعذابه (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) أي أحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب (واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أي واذا شئنا أهلكنا هؤلاء الكفرة وأتينا باشباههم في الخلقة فجعلناهم بدلا منهم (ان هذه تذكرة) أي ان هذه السورة عظة للخلق من الله (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) أي فمن شاء الخير لنفسه في الدنيا والآخرة تقرب الى الله بالعمل بما في هذه السورة (وما تشاؤن الا أن يشاء الله) أي وما تقدرون على تحصيل اتخاذ السبيل الى الله في وقت من الاوقات الا وقت مشيئة الله تحصيله لكم وقرأ أبو عمرو وابن عامر وابن كثير وما يشاؤن بالياء التحتية وقرأ ابن مسعود الا ما يشاء الله (ان الله كان عليما حكيما) أي انه تعالى مبالغ في العلم والحكمة فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه علمه وتقتضيه حكمته (يدخل من يشاء في رحمته) بأن يوفقه للايمان المؤدي الى دخول الجنة (والظالمين) وهم الذين صرفوا مشيئتهم الى غير اتخاذ السبيل الى الله (أعدلهم عذابا أليما) أي متناهيا في الايلام وقرأ عبد الله بن الزبير والظالمون بالرفع على الابتداء

﴿ سورة المرسلات مكية خمسون آية ومائة واحدى وثمانون كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفا ﴾

قال ابن مسعود نزلت والمرسلات عرفا على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ونحن معه نسير حتى آوينا الى غار بمنى فنزلت فبينما نحن نتلقاها منه وان فاه رطب بها اذ وثبت حية فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت فقال

(ولا تطع منهم آثما) يعني عتبة بن أبي ربيعة (أو كفورا) يعني الوليد بن المغيرة وذلك أنهما ضمنا للنبي صلى الله عليه وسلم المال والتزويج ان ترك دعوتهم الى الاسلام (ان هؤلاء يحبون العاجلة) يعني الدنيا (ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) أي يتركون العمل ليوم شديد ثقيل أمامهم وهو يوم القيامة (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) أي خلقهم وخلق مفاصلهم (ان هذه) السورة (تذكرة) أي تذكير للخلق (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) أي وسيلة بالطاعة (وما تشاؤن الا أن يشاء الله) أي لستم تشاؤن شيأ الا بمشيئة الله لان الامر اليه (يدخل من يشاء في رحمته) أي في جنته (و) هم المؤمنون (والظالمين) يعني الكافرين الذين عبدوا غيره (أعدلهم عذابا أليما)

﴿ تفسير سورة المرسلات ﴾

النبي صلى الله عليه وسلم وقيتم شرها كما وقيت شركم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا) وهذا أقسام من الله تعالى بطوائف من الملائكة أرسلهم بأوامره متتابعين فهم عصفوا في طيرانهم عصف الرياح ونشروا أجنحتهم عند انحطاطهم الى الارض ففرقوا بين الحق والباطل فألقوا ذكرا الى الانبياء ويقال أقسم الله برياح عذاب أرسلها متتابعة كعرف الفرس فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بعض أجزائه عن بعض فان العاقل اذا شاهد هبوب الرياح التي تقلع القلاع وتهدم الجبال وترفع الامواج تمسك بذكر الله والتجأ الى اعانة الله فصارت تلك الرياح كأنها ألقت الذكر والايمان والعبودية في القلب ويمكن حمل هذه الكلمات الخمس على القرآن أي والآيات المرسلة على لسان جبريل الى محمد النازلة بكل عرف أي خير فعصفت سائر الملل فقهرت سائر الاديان وجعلتها باطلة ونشرت تلك الايات آثار الهداية في قلوب العالمين شرقا وغربا ففرقت بين الحق والباطل (عذرا أو نذرا) وهذا اما بدل من ذكرا أي فأقسم بالملائكة المنزلات وحيا أمرا أونهيا ويقال وعدا أو وعيدا واما مفعول لاجله أي ازالة أعذار المخلوقين وتخويفا لهم (انما توعدون لواقع) أي ان الذي توعدون به من مجيء يوم القيامة لكائن ثم انه تعالى ذكر علامات وقوع هذا اليوم فقال (فاذا النجوم طمست) أي محقت ذواتها (واذا السماء فرجت) أي فتحت فكانت أبوابا (واذا الجبال نسفت) أي قلعت بسرعة من أماكنها (واذا الرسل أقتت) وقرأ أبو عمرو بالواو على الاصل أي حصل لهم الوقت وهو اما وقت يحضرون فيه للشهادة على أممهم واما وقت يجتمعون فيه للفوز بالثواب واما وقت سؤال الرسل عما أجيبوا به وسؤال الأمم عما أجابوهم (لأي يوم أجلت) أي يقال لأي يوم أخرت الامور المتعلقة بهؤلاء الرسل وهذا القول المقدر اما جواب لاذا واما حال من مرفوع أقتت أي مقولا فيهم لأي يوم أخرت اليه أمور الرسل وهو تعذيب الكفرة وتعظيم المؤمنين وظهور ما كانت الرسل تذكره من أحوال الآخرة وأهوالها وعلى هذا فالجواب اذا مقدر وتقديره فاذا طمست النجوم الخ وقع ما توعدون أو بان الامر (ليوم الفصل) بدل من لأي يوم وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق ويجوز أن يؤخذ من هذا جواب اذا أي وقع الفصل بين الخلائق أو فحينئذ تقع المجازاة بالاعمال وتقوم القيامة (وما أدراك ما يوم الفصل) أي وما علمك بأشرف الخلق بيوم الفصل وشدته فالاستفهام الاول للاستبعاد والانكار والاستفهام الثاني للتعظيم والتهويل والمعنى أنت الآن في الدنيا لا تعلم ما يوم الفصل أي لا تعلم عظمه وأهواله على سبيل التفصيل وان كنت تعلمها اجمالا (ويل يومئذ للمكذبين) أي واد في جهنم من قيح ودم يوم اذ يفصل بين الخلائق للمكذبين بذلك اليوم وبكل ما أخبر الانبياء عنه وويل مبتدأ سوغ الابتداء به كونه دعاء ونحوه سلام عليكم وفائدة العدول الى الرفع دلالة على دوام الهلاك للمدعو عليهم (ألم نهلك الاولين) وهم جميع الكفار الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم والوقف هنا كاف ثم استأنف الله بقوله (ثم نتبعهم الآخرين) ممن كذبوا الحق من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالاماتة بالتعذيب وقد وقع ذلك في حق كفار قريش يوم بدر واستعقبه اللعن في الدنيا والعقوبة الاخروية سرمدا ويدل على هذا الاستئناف قراءة عبد الله ثم سنتبعهم بسين التنفيس أما قراءة الاعمش والاعرج عن أبي عمرو ثم نتبعهم بتسكين العين فهو تسكين للتخفيف لا للجزم فهو مستأنف كالمرفوع لفظا (كذلك نفعل بالمجرمين) أي مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بكل من أشرك بالله فيما يستقبل اما بالسيف واما بالهلاك وسنتنا جارية على ذلك (ويل يومئذ للمكذبين) أي هؤلاء وان

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (والمرسلات عرفا) يعني الرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس (فالعاصفات عصفا) يعني الرياح الشديدة الهبوب (والناشرات نشرا) أي الرياح تأتي بالمطر (فالفارقات فرقا) يعني آي القرآن فرقت بين الحلال والحرام (فالملقيات ذكرا) يعني الملائكة التي تنزل بالوحي (عذرا أو نذرا) يعني للاعذار والانذار من الله تعالى (انما توعدون) من البعث والثواب والعقاب (لواقع فاذا النجوم طمست) أي محي نورها (واذا السماء فرجت) أي شقت (واذا الجبال نسفت) أي قلعت من أماكنها فأذهبت بسرعة (واذا الرسل أقتت) أي جمعت لوقت وهو يوم القيامة (لأي يوم أجلت) أي أخرت وأمهلت (ليوم الفصل) أي القضاء بين الناس (وما أدراك ما يوم الفصل) على التعظيم لذلك اليوم (ويل يومئذ للمكذبين ألم نهلك الاولين) من الامم المكذبة (ثم نتبعهم الآخرين) ممن سلكوا سبيلهم في الكفر والتكذيب (كذلك) أي مثل الذي فعلنا بهم (نفعل بالمجرمين) أي بالمكذبين من قومك

[illegible] يوم القيامة وقيل هذا الويل لهذا [illegible]
[illegible] آياته وأنبيائه (ألم نخلقكم من ماء مهين) أى من نطفة [illegible] مستقذرة (فجعلناه فى قرار مكين) أى فى مكان حريز رحم المرأة (الى قدر معلوم) لله تعالى أى الى وقت الولادة (فقدرنا فنعم القادرون) أى قدرنا خلقه فى رحم المرأة تقديرا فنعم المقدرون له نحن فان ايقاع الخلق على هذا التحديد نعمة من المحدد على المخلوق أو فقدرنا على تصويره كيف شئنا فنعم القادرون نحن حيث خلقناه فى أحسن الهيآت قرأ نافع والكسائى فقدرنا بتشديد الدال والباقون بالتخفيف وقال على كرم الله وجهه ولا يبعد ان يكون المعنى فى التخفيف والتشديد واحدا لان العرب تقول قدر وقدر عليه الموت أى فقدرنا بالتخفيف يكون بمعنى قدرنا بالتشديد ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى الهلال اذا غم عليكم فاقدروا له أى قدروا له السير فى المنازل (ويل يومئذ للمكذبين) بقدرتنا على البدء والاعادة بعد الموت (ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا) أى ألم نجعل الارض موضعا يضم احياء كثيرة على ظهره وأمواتا غير محصورة فى بطنه فالاحياء يسكنون فى منازلهم والاموات يدفنون فى قبورهم ونقل القفال عن ربيعة انه قال دلت هذه الآية على وجوب قطع النباش لان الارض كانت حرز الميت (وجعلنا فيها) أى على ظهر الارض (رواسى) أى جبالا ثوابت لا تزول (شامخات) أى عاليات (وأسقيناكم ماء فراتا) أى غاية فى العذوبة (ويل يومئذ للمكذبين) بأمثال هذه النعم العظيمة وتقول لهم الزبانية بعد الفراغ من الحساب (انطلقوا) يامعشر المكذبين (الى ما كنتم) فى الدنيا (به تكذبون) من العذاب روى ان الشمس تقرب يوم القيامة من رؤس الخلائق وليس عليهم يومئذ لباس ولا كنان فتلفحهم الشمس وتأخذ بأنفاسهم ويمتد ذلك اليوم ثم ينجى الله برحمته من يشاء الى ظل من ظله تعالى فهنالك يقولون فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتقول خزنة النار للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من عقاب الله (انطلقوا الى ظل) أى الى دخان جهنم وقرأ يعقوب انطلقوا على لفظ الماضى أى فانقادوا للامر لاجل انهم لا يستطيعون امتناعا منه (ذى ثلاث شعب) أى فرق وهى كون النار من فوقهم ومن تحت أرجلهم ومحيطة بهم (لا ظليل) أى لا يمنع حر الشمس (ولا يغنى من اللهب) أى ولا يدفع من لهب النار شيأ أو ولا يبعد من العطش كما قاله قطرب (انها) أى النار (ترمى بشرر) وهو ما يتطاير من النار (كالقصر) من البناء فى عظمه (كأنه جمالة) أى ابل (صفر) أى فى الحركة واللون فان الشرار لما فيه من النار به يكون أصفر وهذا تنبيه على ان فى كل واحد من تلك الشرارات أنواعا من البلاء والمحنة وكأنه قيل تلك الشرارات كالجمالات الموقرة بأنواع المحنة والبلاء قرأ حمزة والكسائى وحفص جمالة بغير ألف بعد اللام والباقون بالالف (ويل يومئذ للمكذبين) بهذه الامور (هذا يوم لا ينطقون) فيه بحجة تنفعهم والسؤال قد انقضى قبل ذلك وقرأ الاعمش بنصب يوم أى هذا الذى قص عليكم واقع يوم ينطقون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) أى انهم لم يؤذنوا فى العذر وهم لم يعتذروا أيضا لا لاجل عدم الاذن بل لأجل عدم العذر فى نفسه (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا اليوم (هذا) أى اليوم (يوم الفصل) أى فصل حكومات جميع المكلفين (جمعناكم) يامعشر المكذبين من جميع هذه الامة (والاولين) من المكذبين (فان كان لكم كيد فكيدون) أى فان كان لكم حيلة فى دفع الحقوق عن أنفسكم فافعلوها وغالبونى (ويل يومئذ للمكذبين) بالبعث (ان المتقين فى ظلال) أى فى ظلال شجرة (وعيون) أى ماء ظاهر جار وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام وحفص بضم العين والباقون كسرها (وفواكه مما يشتهون) فمتى اشتهوا

وقت الولادة ([illegible] القادرون) أى قدرنا وقت الولادة فنعم المقدرون نحن وقدرنا بالتشديد والتخفيف لغتان بمعنى واحد (ألم نجعل الارض كفاتا) أى وعاء وقيل ذات كفات أى ضم وجمع تكفت الخلق (أحياء) على ظهرها (وأمواتا) فى بطنها (وجعلنا فيها رواسى) أى جبالا ثوابت (شامخات) أى مرتفعات (وأسقيناكم ماء فراتا) أى عذبا (ويل يومئذ للمكذبين) ويقال لهم فى ذلك اليوم (انطلقوا) أى اذهبوا (الى ما كنتم به تكذبون) فى الدنيا (انطلقوا الى ظل) يعنى دخان جهنم (ذى ثلاث شعب) أى اذا ارتفع انشعب ثلاث شعب ويقف على رؤس الكفار (لا ظليل) أى لا بارد (ولا يغنى من اللهب) من لهب النار شيأ (انها ترمى بشرر) وهو ما تطاير من النار (كالقصر) أى من البناء فى العظم (كأنه جمالات) جمع جمال (صفر) أى سود (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) يعنى فى بعض ساعات ذلك اليوم يؤمرون بالسكوت (هذا يوم الفصل) بين أهل الجنة وأهل النار (جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون) أى ان كان عندكم حيلة فاحتالوا لانفسكم

فاكهة وجدوها حاضرة فليست فاكهة الجنة مقيدة بوقت دون وقت كما في أنواع فاكهة الدنيا [illegible]
الله تعالى لهم (كلوا) من الثمار (واشربوا) من الانهار (هنيأ) أى سائغا بلا داء ولا تعب (بما
كنتم تعملون) فى الدنيا من الخيرات ذكر الله تعالى ثلاثة أنواع من النعم فى مقابلة ثلاث شعب من النار
كأنه قيل ظلال المكذبين ما كانت ظليلة وما كانت مغنية عن اللهب والعطش أما المتقون فظلالهم
ظليلة حاجزة بينهم و بين اللهب ومغنية لهم عن العطش ومعهم الفواكه التى يتمنونها فى مقابلة شرار
النار التى يخافها المكذبون ولما قال تعالى للكفار انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب قال للمؤمنين
كلوا واشربوا هنيأ (انا كذلك نجزى المحسنين) أى انا نجزى المحسنين فى العقيدة مثل ذلك الجزاء
(ويل يومئذ للمكذبين) يكون هذا النعيم للمتقين المحسنين (كلوا وتمتعوا قليلا) أى كلوا يامعشر
المكذبين وعيشوا يسيرا فى الدنيا (انكم مجرمون) أى مشركون مصيركم النار فى الآخرة وقال أبو
السعود وهذا مقدر بقول هو حال من المكذبين أى الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم
فى الدنيا وبما جنوا على أنفسهم من ايثار المتاع الفانى عن قريب على النعيم الخالد وعلل ذلك
باجرامهم دلالة على ان كل مجرم مآله هذا (ويل يومئذ للمكذبين) بما يجب تصديقه وهذا هو
النوع التاسع من أنواع تخويف الكفار (واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) أى واذا قيل
للمجرمين فى الدنيا اخضعوا الله بالتوحيد وأطيعوه لا يقبلون ذلك ويقال نزلت هذه الآية فى ثقيف حيث
قالوا لا نحنى ظهورنا بالركوع والسجود ويقال هذا فى الآخرة وذلك لما يقول الكفار والله ربنا ما كنا
مشركين قال الله تعالى لهم اسجدوا ان كنتم صادقين فيما تقولون فلم يقدروا على السجود وبقيت
اصلابهم كالصياصى (ويل يومئذ للمكذبين) بمن يرشدهم الى المصالح الجامعة بين خيرات الدنيا
والآخرة وهذا هو النوع العاشر من أنواع تخويف الكفار (فبأى حديث بعده يؤمنون) أى اذا لم
يؤمنوا بهذه الدلائل اللطيفة مع وضوحها فبأى كلام بعدها يؤمنون لان القرآن مصدق للكتب القديمة
موافق لها فى أصول الدين فيلزم من تكذيبه تكذيب غيره من الكتب لان ما فى غيره موجود فيه فلا
يمكن الايمان بغيره مع تكذيبه

﴿ سورة النبأ وتسمى سورة التساؤل وسورة عم مكية وهى أربعون آية
ومائة وثلاثة وسبعون كلمة وسبعمائة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(عم يتساءلون) أى عن أى شئ يتساءل أهل مكة فيما بينهم انكارا واستهزاء (عن النبأ العظيم)
قوله عم يتساءلون سؤال وقوله عن النبأ العظيم جواب فالسائل والمجيب هو الله تعالى ونظيره قوله تعالى
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (الذى هم فيه مختلفون) والخبر العظيم هو يوم القيامة فهم من جزم
باستحالته فيقول ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين ومنهم من
شك فى وقوعه فيقول ما ندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل الخبر العظيم هو القرآن
فان بعضهم جعله سحرا وبعضهم جعله شعرا وبعضهم قال انه أساطير الاولين روى أن النبى صلى الله
عليه وسلم لما دعاهم الى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم
فيقولون ماذا جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويسألون الرسول والمؤمنين عنه استهزاء وقيل النبأ
العظيم هو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لانهم عجبوا من ارسال الله محمدا اليهم وقرأ عكرمة وعيسى
ابن عمر عما بالالف على الاصل وعن ابن كثير أنه قرأ عمه بهاء السكت (كلا سيعلمون ثم كلا
سيعلمون) أى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب
والنكال

(كلوا وتمتعوا) فى الدنيا
(قليلا انكم مجرمون) أى
مشركون (واذا قيل لهم
اركعوا) أى صلوا (لا
يركعون) أى لا يصلون
(فبأى حديث بعده
يؤمنون) أى بعد القرآن
الذى أتاهم فيه البيان
يؤمنون أى اذا لم يؤمنوا به

﴿ تفسير سورة النبأ ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(عم يتساءلون) المعنى عن
أى شئ يتساءلون يعنى
قريشا وهذا اللفظ استفهام
معناه تفخيم القصة وذلك
أنهم اختلفوا واختصموا
فيما أتاهم به محمد صلى الله
عليه وسلم فمن مصدق
ومكذب ثم بين فقال (عن
النبأ العظيم) يعنى البعث
(الذى هم فيه مختلفون)
أى لا يصدقون به (كلا)
ليس الامر على ما ذكروا من
انكارهم البعث (سيعلمون)
حقيقته ووقوعه (ثم كلا
سيعلمون) تأكيد وتحقيق
ثم دلهم على قدرته على
البعث فقال

(ألم نجعل الارض مهادا) أي فراشا [illegible] (وجعلنا نومكم سباتا) أي قطعا [illegible] لابدانكم (وجعلنا الليل لباسا) أي [illegible] (وجعلنا النهار معاشا) (٤٢٣) أي سببا للمعاش (وبنينا فوقكم

والنكال وسيعلمون ان ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لا دافع لهواقع لا ريب فيه وقال القاضي سيعلمون نفس الحشر والمحاسبة وسيعلمون نفس العذاب اذا شاهدوه وقال الضحاك أي سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم وسيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم وروى عن ابن عامر ستعلمون بالتاء المنقطة من فوق (ألم نجعل الارض مهادا) أي فراشا وقرئ مهدا أي مناما (والجبال أوتادا) للارض حتى لا تميد بأهلها (وخلقناكم أزواجا) ذكورا واناثا وقبيحا وحسنا وطويلا وقصيرا (وجعلنا نومكم سباتا) أي قطعا للتعب أو نوما منقطعا فان النوم بمقدار الحاجة من أنفع الاشياء أما دوامه فمن أضر الاشياء (وجعلنا الليل لباسا) فان ظلمة الليل تستر الانسان عن العيون اذا أراد هربا من عدو أو اخفاء مالا يحب الانسان اطلاع غيره عليه وأيضا بسبب ما يحصل فيه من النوم يندفع عنه أذى التعب الجسماني وأذى الافكار الموحشة النفسانية فان المريض اذا نام بالليل وجد الخفة العظيمة (وجعلنا النهار معاشا) أي وقت معاش تتقلبون فيه في مكاسبكم (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) أي خلقنا فوق رؤسكم سبع سموات غلاظا قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور (وجعلنا سراجا وهاجا) أي شمسا مضيئة لبني آدم (وأنزلنا من المعصرات) أي السحائب بالرياح (ماء ثجاجا) أي صبابا وروى عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعكرمة أنهم قرؤا وأنزلنا بالمعصرات أي بالرياح المثيرة للسحاب (لنخرج به) أي بذلك الماء (حبا) يقتات كالحنطة والشعير والارز (ونباتا) لا يكون له كمام كالحشيش (وجنات ألفافا) أي مجتمعة تداخل بعضها في بعض (ان يوم الفصل كان ميقاتا) أي ان يوم فصل الله بين الخلائق كان في تقدير الله تعالى ميعاد الاجتماع كل الخلائق في قطع الخصومات وميقاتا لما وعد الله من الثواب والعقاب (يوم ينفخ في الصور) نفخة البعث أي تنفخ الارواح في الاجساد (فتأتون أفواجا) أي فتبعثون من قبوركم فتأتون الى الموقف أمما كل أمة مع امامها حتى يتكامل اجتماعهم (وفتحت السماء) لنزول الملائكة قرأ عاصم وحمزة والكسائي خفيفة تاء والباقون بتشديدها (فكانت أبوابا) أي فصارت السماء ذات أبواب (وسيرت الجبال) في الجو على هيآتها بعد قلعها من مقارها (فكانت سرابا) أي فصارت بعد تسييرها مثل السراب اذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت أجزائها (ان جهنم كانت مرصادا) أي طريقا لخزنة الجنة يستقبلون المؤمنين عند جهنم وخزنة جهنم يرصدون الكفار (للطاغين) أي للمتكبرين على الله (مآبا) أي مرجعا (لابثين فيها أحقابا) أي حقبا بعد حقب وقرأ حمزة لبثين بغير ألف (لا يذوقون فيها) أي الاحقاب (بردا) أي هواء باردا ولا ماء باردا وقال الاخفش والكسائي والفراء وقطرب والعتبي أي نوما سمي بذلك لانه يقطع سورة العطش (ولا شرابا الا حميما) أي ماء حارا جدا (وغساقا) أي باردا منتنا لا يطاق وهو المسمى بالزمهرير قرأ حمزة والكسائي وعاصم من رواية حفص عنه بتشديد السين (جزاء وفاقا) أي جوزوا بذلك جزاء موافقا لاعمالهم (انهم كانوا لا يرجون حسابا) أي كانوا لا يخافون أن يحاسبوا بأعمالهم أو انهم كانوا غير مؤمنين وذلك لان المؤمن لا بد وان يرجو رحمة الله لانه قاطع بأن ثواب ايمانه زائد على عقاب جميع المعاصي سوى الكفر (وكذبوا بآياتنا) أي بجميع دلائل الله تعالى في التوحيد والنبوة والمعاد (كذابا) وقرئ بتخفيف الذال وقرئ كذابا بضم الكاف

سبعا) أي سبع سموات (شدادا) أي محكمة (وجعلنا سراجا) يعني الشمس (وهاجا) أي وقادا حارا (وأنزلنا من المعصرات) أي السحابات (ماء ثجاجا) أي صبابا (لنخرج به حبا) مما يأكله الناس (ونباتا) مما ترعاه النعم (وجنات ألفافا) أي ملتفة مجتمعة (ان يوم الفصل كان ميقاتا) أي لما وعده الله من الجزاء والثواب (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) أي زمرا وجماعات (وفتحت السماء فكانت أبوابا) أي تشققت حتى يصير فيها أبواب (وسيرت الجبال) عن وجه الارض (فكانت سرابا) أي في خفة سيرها (ان جهنم كانت مرصادا) أي ترصد أهل الكفر فلا يجاوزونها (للطاغين) أي الكافرين (مآبا) أي مرجعا (لابثين) ماكثين (فيها أحقابا) جمع حقب وهو ثمانون سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم كألف سنة من أيام الدنيا فاذا مضى حقب عاد حقب الى ما لا يتناهى (لا يذوقون فيها بردا) أي نوما وراحة (ولا شرابا الا حميما) أي ماء حارا من حميم جهنم (وغساقا) وهو ما سال من جلود أهل النار (جزاء وفاقا) أي جوزوا على وفق أعمالهم ولا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار (انهم كانوا لا يرجون حسابا) أي لا يخافون أن يحاسبهم الله (وكذبوا بآياتنا كذابا) أي تكذيبا

[illegible] كذابا أي كذبوا بالقرآن والشرائع كاذبين فكل من [illegible]
شيء أحصيناه) أي ضبطناه (كتابا) أي حال كونه مكتوبا في اللوح المحفوظ أو وكل شيء من
بني آدم حفظناه مكتوبا في صحف الحفظة وقرأ أبو السمال وكل بالرفع على الابتداء (فذوقوا فلن نزيدكم
الا عذابا) أي فيقال لهم في الآخرة عند وقوع العذاب عليهم ذوقوا جزاءكم فلن نزيدكم الا عذابا أي
كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب وكلما خبت زدناهم سعيرا (ان للمتقين مفازا)
أي فوزا بالمطلوب (حدائق) أي بساتين فيها أنواع الاشجار المثمرة (وأعنابا) أي كروما (وكواعب)
أي نساء تكعبت ثديهن (أترابا) أي مستويات في السن على ثلاثة وثلاثين سنة (وكأسا دهاقا) أي
ممتلئة (لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا) أي لا يجري بين المتقين كلام باطل وتكذيب من واحد لغيره
بسبب الكأس التي يشربون منها وقرأ الكسائي بالتخفيف (جزاء من ربك عطاء حسابا) أي جازى
الله المتقين بمفاز جزاء كائنا منه تفضلا منه بقدر ما وجب له فيما وعده من الاضعاف لانه تعالى قدر الجزاء
على ثلاثة أوجه وجه منها على عشرة أضعاف ووجه على سبعمائة ضعف ووجه على ما لا نهاية له والمعنى
راعيت في ثواب أعمالكم الحساب لئلا يقع فيه نقصان وقرأ ابن قطيب حسابا بالتشديد بمعنى محسب
(رب السموات والارض وما بينهما الرحمن) وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو برفع رب والرحمن وقرأ
عاصم وعبد الله بن عامر بجرهما وقرأ حمزة والكسائي بجر الاول مع رفع الثاني (لا يملكون منه خطابا)
أي لا يملك أهل السموات والارض أن يخاطبوه تعالى من تلقاء أنفسهم خطابا ما في شيء ما والوقف هنا
كاف (يوم يقوم الروح) قال الضحاك والشعبي هو جبريل وعن ابن مسعود أنه ملك أعظم من
السموات والجبال وعن ابن عباس هو ملك من أعظم الملائكة خلقا (والملائكة صفا لا يتكلمون الا
من أذن له الرحمن) منهم في التكلم (وقال صوابا) أي وقال ذلك المأذون له بعد ورود الاذن قولا صادقا
حقا وقيل المعنى لا يشفعون الا في حق شخص أذن له الرحمن في شفاعته وذلك الشخص كان ممن قال
صوابا وهو شهادة أن لا اله الا الله ويوم ظرف لقوله تعالى لا يتكلمون (ذلك) أي يوم قيامهم على
الوجه المذكور (اليوم الحق) أي الثابت من غير صارف (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) أي فمن شاء أن
يتخذ مرجعا الى ثواب ربه فعل ذلك بالايمان والطاعة (انا أنذرناكم) أي خوفناكم يا أهل مكة
بالقوارع الواردة في القرآن (عذابا قريبا) هو عذاب الآخرة وكل ما هو آت قريب (يوم ينظر المرء
ما قدمت يداه) وما اما استفهامية أي يوم يبصر كل امرئ أي شيء قدمت يداه مثبتا في صحيفته خيرا كان
أو شرا واما موصولة أي يوم ينظر كل امرئ الى الذي قدمته يداه (ويقول الكافر) لما قطع بالعقاب
(ياليتني كنت ترابا) أي ياليتني لم أبعث للحساب في هذا اليوم وبقيت ترابا كما كنت أو ليتني كنت ترابا
في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف وقيل يقول الكافر عندما يقول الله للبهائم بعد محاسبته بينها كوني ترابا
ياليتني أصير ترابا مثل تلك البهائم لأتخلص من عذاب الله تعالى وقيل ويقول ابليس لما عاين ما في آدم من
الثواب والراحة يوم القيامة ليتني كنت مكان آدم وذلك لان ابليس عاب آدم بأنه خلق من تراب
وافتخر بأنه خلق من نار وقال مقاتل نزل قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه في أبي سلمة عبد الله
ابن عبد الاسد المخزومي وقوله ويقول الكافر في أخيه الاسد بن عبد الاسد

﴿ سورة والنازعات مكية خمس وأربعون آية ومائة وثلاث وسبعون كلمة
وتسعمائة وثلاثة وخمسون حرفا ﴾

[illegible] قد تكعبت
ثديهن (أترابا) أي
مستويات في السن
(وكأسا دهاقا) أي ممتلئة
(عطاء حسابا) أي كثيرا
كافيا وقوله (لا يملكون
منه خطابا) أي لا يملكون
أن يخاطبوه الا باذنه
كقوله لا تكلم نفس الا
باذنه وقد فسر هذا فيما قبل
وقوله (يوم يقوم الروح)
قيل جبريل وقيل هو ملك
يقوم صفا (والملائكة
صفا) وقيل الروح جند
من جنود الله ليسوا من
الملائكة ولا من الناس
يقومون صفا والملائكة
صفوفا (لا يتكلمون الا
من أذن له الرحمن وقال
صوابا) أي حقا في الدنيا
يعني لا اله الا الله (ذلك
اليوم الحق فمن شاء اتخذ
الى ربه مآبا) أي مرجعا
الى طاعته (انا أنذرناكم
عذابا قريبا) يعني القيامة
(يوم ينظر المرء ما قدمت
يداه) أي ما عمل من خير
وشر (ويقول الكافر)
في ذلك اليوم (ياليتني
كنت ترابا) وذلك حين
يقول الله تعالى للبهائم
والوحوش كوني ترابا
فيتمنى الكافر أن لو كان
ترابا فلا يعذب

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والنازعات غرقا) أي والملائكة الذين ينزعون روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافر وأصول القدمين كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج نفس الكافر كالغريق في الماء (والناشطات نشطا) أي والملائكة التي تحل نفس المؤمن حلا رفيقا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير فتنشط روح المؤمن بالخروج الى الجنة (والسابحات سبحا) أي والملائكة الذين ينزعون نفس الصالح يسلونها سلا رفيقا ويدعونها يتركونها حتى تستريح ثم يستخرجونها بعد ذلك برفق ولطافة لئلا يصل اليه ألم وشدة (فالسابقات سبقا) أي والملائكة الذين يسبقون بأرواح المؤمنين الى الجنة وبأرواح الكافرين الى النار (فالمدبرات أمرا) أي فالملائكة الذين يدبرون أمور العباد قال عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر في الدنيا أربعة من الملائكة جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل فأما جبريل فهو موكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل فهو موكل بالقطر والنبات وأما عزرائيل فهو موكل بقبض الارواح وأما اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر من الله تعالى وليس في الملائكة أقرب منه (يوم ترجف الراجفة) ويوم منصوب بجواب القسم المضمر أي لتبعثن يا كفار مكة يوم تتحرك النفخة الاولى مع ظهور الصوت وسميت النفخة بالراجفة لان الدنيا تتزلزل عندها وتصوت فان تلك النفخة هي المحركة لكل شئ (تتبعها الرادفة) أي النفخة الثانية والرادفة رجفة أخرى تتبع الاولى فتضطرب الارض لاحياء الموتى كما اضطربت في الاولى لموت الاحياء ويروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ان بين النفختين أربعين عاما وروى أن في هذه الاربعين يمطر الله الارض ويصير ذلك الماء عليها كالنطف وان ذلك كالسبب للاحياء ولله أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (قلوب يومئذ واجفة) أي قلوب كثيرة وهي قلوب الكفار يوم اذ يقع النفختان شديدة الاضطراب وهذه الجملة مبتدأ وخبر (أبصارها خاشعة) أي أبصار أصحاب هذه القلوب ذليلة (يقولون) منكرين للبعث متعجبين منه (أئنا لمردودون) بعد موتنا (في الحافرة) أي في الحالة الاولى وقرأ أبو حيوة في الحفرة أي أنرد الى ابتداء أمرنا فنصير أحياء كما كنا (أئذا كنا عظاما نخرة) أي منفتتة نرد ونبعث مع كون تلك العظام أبعد شئ من الحياة وقرأ حمزة وعاصم ناخرة بألف أي فارغة تمر بها الريح فيسمع لها صوت وقرأ نافع وابن عامر والكسائي اذا على الخبر (قالوا تلك) أي الرجعة الى الحياة (اذا) أي ان رددنا الى الحالة الاولى وصح ذلك (كرة خاسرة) أي رجعة ذات هلاك أي ان الرجعة ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم (فانما هي زجرة واحدة) أي لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله بل هي سهلة هينة في قدرته لانها حاصلة بصيحة واحدة من اسرافيل (فاذا هم بالساهرة) أي فاذا هم أحياء على وجه الارض البيضاء المستوية من أرض الآخرة بعد ما كانوا أمواتا في جوف أرض الدنيا (هل أتاك حديث موسى) أي أليس قد أتاك يا أشرف الخلق حديث موسى هذا ان اعتبر اتيانه قبل هذا الكلام والا فالمعنى هل أتاك يا أكرم الرسل حديثه أنا أخبرك به (اذ ناداه ربه بالواد المقدس) ظرف للحديث (طوى) وهو اسم واد بالشام وهو عند الطور بين ايلة ومصر وانما سميت طوى لكثرة ما مشت عليه الانبياء قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم الطاء غير منون وقرأ الباقون بضم الطاء منونا وروى عن أبي عمرو بكسر الطاء (اذهب الى فرعون) عن الحسن قال كان فرعون علجا من همدان وعنه أيضا كان من أصبهان طوله أربعة أشبار وهو أول من اتخذ القبقاب ليمشي فيه خوفا من ان يمشي

النازع في القرآن [illegible] المبالغة في النزع (والناشطات نشطا) يعني الملائكة تقبض نفس المؤمن كما ينشط العقال من يد البعير أي يفتح (والسابحات سبحا) يعني النجوم تسبح في الفلك (فالسابقات سبقا) أي أرواح المؤمنين تسبق الى الملائكة شوقا الى لقائه وقيل النجوم يسبق بعضها بعضا في السير (فالمدبرات أمرا) يعني جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت يدبر أمر الدنيا هؤلاء الاربعة من الملائكة وجواب هذه الأقسام مضمر على معنى لتبعثن (يوم ترجف الراجفة) أي تضطرب الارض وتتحرك حركة شديدة (تتبعها الرادفة) يعني نفخة البعث تأتي بعد الزلزلة (قلوب يومئذ واجفة) أي قلقة زائلة عن اماكنها (أبصارها خاشعة) أي ذليلة (يقولون) يعني منكري البعث (أئنا لمردودون في الحافرة أئذا كنا عظاما نخرة) أي بالية (قالوا تلك اذا كرة خاسرة) أي رجعة يخسر فيها فأعلم الله سهولة البعث عليه فقال (فانما هي زجرة واحدة) أي صيحة ونفخة (فاذا هم بالساهرة) يعني وجه الارض بعد ما كانوا في بطنها (هل أتاك) يا محمد (حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) اسم ذلك الوادي (اذهب الى فرعون

على لحيته وقال مجاهد كان من أهل اصطخر وقرأ عبد الله ان اذهب لان في النداء معنى القول (انه طغى) أي تجاوز الحد على الخالق وعلى الخلق فكفر بالله وتكبر على بني اسرائيل فاستعبدهم (فقل) بعد ما أتيته (هل لك الى أن تزكى) أي هل لك يا فرعون سبيل الى ان تصلح فتوحد بالله وقرأ نافع وابن كثير بتشديد الزاي (وأهديك الى ربك) أي وهل أدعوك الى معرفة ربك بالبرهان فتعرفه (فتخشى) فان الخشية لا تكون الا بالمعرفة فمن خشي الله أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر (فأراه الآية الكبرى) أي فذهب موسى الى فرعون فأراه قلب العصا حية (فكذب) فرعون موسى بالقلب واللسان وسمى معجزته سحرا (وعصى) الله تعالى باظهار التمرد بعد ما علم صحة الامر حيث اجترأ على انكار وجود رب العالمين (ثم أدبر) أي انصرف عن موسى وأعرض عن الايمان (يسعى) أي يجتهد في مكايدة موسى وفي معارضة الآية (فحشر) أي فجمع السحرة بالشرط للمعارضة (فنادى) في المجمع بنفسه أو بواسطة المنادي (فقال أنا ربكم الاعلى) أي لا رب فوقي (فأخذه الله نكال الآخرة والاولى) أي فعذبه الله في الآخرة بالاحراق بالنار وفي الدنيا بالاغراق بالماء وقيل فعاقبه الله بكلمته الآخرة وهي قوله أنا ربكم الاعلى وبكلمته الاولى وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري وكان بينهما أربعون سنة فالله تعالى يمهل ولا يهمل (ان في ذلك) أي في قصة فرعون (لعبرة) أي لعظة (لمن يخشى) وذلك ان يدع التمرد على الله تعالى والتكذيب لانبيائه خوفا من أن ينزل به ما نزل لفرعون وعلما بأن الله تعالى ينصر رسله فاعتبروا معاشر المكذبين لمحمد بما ذكرناه (أأنتم أشد خلقا أم السماء) أي أأنتم يا أهل مكة في خلقكم بعد موتكم أصعب في تقديركم أم خلق السماء على عظمها والوقف هنا تام (بناها) وهذا تفصيل لكيفية خلقها (رفع سمكها) أي جعل مقدار ارتفاعها من الارض ومقدار ذهابها في سمت العلو مسافة خمسمائة عام واعلم ان امتداد الشيء اذا أخذ من أعلاه الى أسفله سمي عمقا واذا أخذ من أسفله الى أعلاه سمي سمكا (فسواها) أي فجعلها مستوية ملساء ليس فيها ارتفاع ولا انخفاض ولا تفاوت ولا فطور (وأغطش ليلها) أي جعل الليل مظلما (وأخرج ضحاها) أي وأبرز نهارها وانما عبر عن النهار بالضحى لانها أكمل أجزاء النهار في الضوء (والارض بعد ذلك) بألفي سنة (دحاها) أي بسطها على الماء (أخرج منها) أي الارض (ماءها) أي عيونها المنفجرة بالماء وأنهارها الجاري ماؤها (ومرعاها) أي نباتها من العشب والشجر والثمر والحب والعصف والحطب واللباس والدواء حتى النار والملح فان النار من العيدان والملح من الماء واذا تأملت علمت ان جميع ما يتلذذ الناس به في الدنيا أصله الماء والنبات (والجبال أرساها) أي أثبتها على وجه الارض لتسكن (متاعا لكم ولانعامكم) أي انا خلقنا هذه الاشياء منفعة لكم ولانعامكم (فاذا جاءت الطامة الكبرى) أي الداهية العظمى أعني (يوم يتذكر الانسان ما سعى) أي يوم يتذكر كل أحد فيه ما عمله في الدنيا من خير أو شر بأن يشاهده مدونا في صحيفة أعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الامد ويجوز ان يكون يوم بدلا من الطامة الكبرى مبنيا على الفتح لاضافته الى الفعل على رأي الكوفيين (وبرزت الجحيم) عطف على جاءت أي أظهرت الجحيم اظهارا بينا (لمن يرى) فيراها كل ذي بصر من المؤمنين والكفار وقرأ أبو نهيك وبرزت بالتخفيف وقرأ ابن مسعود لمن رأى فعلا ماضيا وقرأ زيد ابن علي وعائشة وعكرمة برزت مبنيا للفاعل مخففا وترى بالتاء وهي اما للتأنيث فالضمير للجحيم واما للخطاب أي لمن ترى أنت يا محمد من الكفار الذين يؤذونك وجواب اذا محذوف تقديره قسم الناس قسمين (فأما من طغى) أي تمرد عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان (وآثر الحياة الدنيا) أي انهمك فيها ولم يستعد للحياة الأخروية بالطاعة (فان الجحيم هي المأوى) له ويقال التقدير فان الجحيم هي

الكفر (فقل هل لك الى أن تزكى) أي أترغب في أن تتطهر من كفرك بالايمان (فأراه الآية الكبرى) أي اليد البيضاء (فكذب فرعون موسى (وعصى) أمره (ثم أدبر) أعرض عنه (يسعى) في الارض بالفساد (فحشر) أي جمع السحرة وقومه (فنادى فقال أنا ربكم الأعلى) أي ليس رب فوقي (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) أي نكل الله به في الآخرة بالعذاب وفي الدنيا بالغرق (أأنتم) أيها المنكرون للبعث (أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها) سقفها (فسواها) أي بلا شقوق ولا فطور (وأغطش) أي أظلم (ليلها وأخرج ضحاها) أي أظهر نورها بالشمس (والارض بعد ذلك دحاها) أي بسطها وكانت مخلوقة غير مدحوة (أخرج منها ماءها ومرعاها) يعني ما ترعاه النعم من الشجر والعشب (والجبال أرساها) أي أثبتها (متاعا لكم) يريد منفعة لكم (ولانعامكم فاذا جاءت الطامة الكبرى) يعني صيحة القيامة وقوله

المأوى اللائق بمن كان موصوفاً بهذه الصفات قيل نزلت هذه الآية في النضر وأبيه الحرث (وأمامن خاف مقام ربه) أي مقام حضرة ربه (ونهى النفس عن الهوى) أي عن الميل الى الحرام الذي يشتهيه (فان الجنة هي المأوى) له قيل نزلت الآيتان في أبي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب أخاه أبا عزيز يوم أحد ووقى رسول الله بنفسه حتى استشهد رضي الله عنه وروى الضحاك عن ابن عباس قال أما من طغى فهو أخو مصعب بن عمير أسر يوم بدر وأخذته الانصار فقالوا من أنت قال أنا أخو مصعب بن عمير فلم يشدوه في الوثاق وأكرموه وبيتوه عندهم فلما أصبحوا حدثوا مصعب بن عمير حديثه فقال ماهو بأخ له شدوا أسيركم فان أمه أكثر أهل البطحاء حليا ومالا فأوثقوه حتى تبعث أمه فداءه وأما من خاف مقام ربه فمصعب بن عمير وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم أحد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص في جوفه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم متشحطا في دمه قال صلى الله عليه وسلم عند الله أحتسبك وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه لقد رأيته وعليه بردان ماتعرف قيمتهما وان شراك نعله من ذهب (يسألونك) يا أشرف الخلق (عن الساعة) على سبيل الاستهزاء حين سمع المشركون وصفها بالاوصاف الهائلة مثل طامة وصاخة وقارعة (أيان مرساها) أي متى اقامتها أي في أي وقت يوجدها الله تعالى (فيم أنت من ذكراها) أي في أي شئ أنت من ان تذكر وقتها لهم (الى ربك منتهاها) أي الى ربك يرجع منتهى علمها لم يؤته أحدا من خلقه (انما أنت منذر من يخشاها) أي انما أنت مخوف من يخاف هولها فالانذار لا يتوقف على علم المنذر بوقت قيامها وقرأ عمر بن عبد العزيز وأبو جعفر وطلحة وابن محيصن منذر بالتنوين وهو الاصل وحذف التنوين للتخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا أريد الماضي فلا يجوز الا الاضافة (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها) وهذا اما تأكيد لما يدل عليه الانذار من سرعة مجيء المنذر به أي كأن كفار قريش يوم يعاينون الساعة لم يلبثوا بعد الانذار بها الا عشية يوم واحد أو ضحاه واما رد لما ادمجوه في سؤالهم فانهم كانوا يسألون عن الساعة بطريق الاستبطاء مستعجلين بها ويقولون متى هذا الوعد فالمعنى كأنهم يوم يرون قيام الساعة لم يلبثوا بعد الوعيد بها الا عشية هي من الزوال الى الغروب أو ضحى يومها واعتبار كون اللبث بعد الانذار أو بعد الوعيد تحقيقا للانذار ورد الاستبطائهم

﴿سورة عبس وتسمى سورة الاعمى وسورة السفرة مكية وهي احدى
وأربعون آية ومائة وثلاث وثلاثون كلمة وخمسمائة
وثلاثة وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(عبس) أي كلح النبي وجهه وقرئ بالتشديد للمبالغة (وتولى) أي أعرض بوجهه لاجل (أن جاءه الاعمى) اسمه عبد الله ابن أم مكتوم وهو عبد الله بن شريح بن مالك الفهري وأم مكتوم كانت أم أبيه واسمها عاتكة بنت عامر المخزومي وهو ابن خالة خديجة بنت خويلد أسلم قديما بمكة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء أن يسلم باسلامهم غيرهم فقال له يارسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت هذه الآية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة (ومايدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى) أي أي شئ يجعلك يا أشرف الخلق دار يا بحال هذا الاعمى حتى تعرض عنه لعله يتطهر بما يقتبس منك من الاثم

(يسألونك عن الساعة أيان مرساها) أي متى وقوعها وثبوتها قال الله تعالى (فيم أنت) يا محمد (من ذكراها) أي ليس عندك علمها (الى ربك منتهاها) أي منتهى علمها (انما أنت منذر من يخشاها) أي انما ينفع انذارك من يخشاها (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا) في قبورهم (الا عشية أو ضحاها) أي نهارها استقصروا مدة لبثهم في القبور لما عاينوا من الهول

﴿تفسير سورة عبس﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(عبس) أي كلح (وتولى) أي أعرض (ان جاءه الأعمى) وهو عبد الله ابن أم مكتوم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو أشراف قريش الى الاسلام فجعل يناديه و يكرر النداء ولا يدري أنه مشتغل حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعبس وأعرض عنه واقبل على القوم الذين يكلمهم فانزل الله هذه الآيات (ومايدريك لعله يزكى) أي لعل الأعمى يتطهر من ذنوبه بالاسلام وذلك انه أتاه يطلب الاسلام و يقول له علمني مما علمك الله (أو يذكر) أي يتعظ (فتنفعه الذكرى) أي الموعظة ثم عاتبه عز وجل فقال

أو يتعظ فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التطهر التام وقرأ عاصم بنصب فتنفعه على جواب لعل (اما من استغنى) عن الايمان والقرآن بماله من المال (فأنت له تصدى) أى تقبل عليه بوجهك وتميل الى كلامه وقرأ نافع وابن كثير بتشديد الصاد وقرأ أبو جعفر بضم التاء أى فأنت يدعوك داع الى التصدى له من الحرص على اسلامه (وما عليك ألا يزكى) وما اما نافية والجملة حال من ضمير تصدى أى والحال انه ليس عليك بأس فى عدم تطهره من الشرك بالاسلام واما استفهامية للانكار أى وأى شئ عليك فى كونه لايتطهر من دنس الكفر (وأما من جاءك يسعى) أى حال كونه يسرع فى طلب الخير (وهو يخشى) من الله أى وهو مسلم (فأنت عنه تلهى) أى تتشاغل بصناديد قريش وقرأ طلحة بن مصرف تتلهى وقرأ أبو جعفر تلهى أى يلهيك شأن الصناديد (كلا) أى لاتفعل مثل ذلك أى وذلك محمول على ترك الاولى (انها تذكرة) أى ان القرآن موعظة (فمن شاء ذكره) أى فمن رغب فى القرآن اتعظ به ومن لم يرده فلا حاجة الى الاهتمام بأمره (فى صحف) أى ذلك القرآن مثبت فى صحف منتسخة من اللوح المحفوظ (مكرمة) عند الله تعالى (مرفوعة) فى السماء السابعة (مطهرة) أى منزهة عن مساس أيدى الشياطين (بأيدى سفرة) أى ملائكة يكتبون الوحى بين الله ورسله أو يكتبون الكتب ناقلين من اللوح المحفوظ (كرام) أى عند الله تعالى (بررة) أى صادقين لله فى أعمالهم وقال القرطبى ان المراد بما فى قوله تعالى لايمسه الا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة وقوله بأيدى متعلق بمطهرة قال القفال لما لم يمس الصحف الا الملائكة المطهرون أضيف التطهر اليها الطهارة من يمسها (قتل الانسان) أى لعن الكافر (ما أكفره) أى أى شئ أكفره وهو تعجب من افراطه فى الكفران والتعجب بالنسبة للمخلوقين والمعنى اعجبوا من كفر الانسان بجميع ماذكرناه بعد هذا (من أى شئ خلقه) وهذا استفهام تقريرى فى التحقير أى فليتفكر الانسان فى نفسه من أى شئ خلقه الله ثم بين الله فقال (من نطفة) أى ماء حقير (خلقه) فمن كان أصله مثل هذا الشئ الحقير فالتكبر لا يكون لائقا به (فقدره) أى فهيأه لما يصلح له ويليق به من الاعضاء أو فقدره أطوارا نطفة ثم علقة الى ان تم خلقه (ثم السبيل يسره) أى ثم سهل الله خروجه من بطن أمه وكان رأس المولود فى بطن أمه من فوق ورجلاه من تحت فاذا جاء وقت الخروج انقلب لخروجه حيا من ذلك المنفذ الضيق من أعجب العجائب أو ثم بين طريق الخير والشر التى تتعلق بالدنيا والتى تتعلق بالدين (ثم أماته) بعد ذلك (فأقبره) أى جعله الله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له (ثم اذا شاء أنشره) أى بعثه من القبر (كلا) أى لاتتكبر ولا تصر على انكار التوحيد وعلى انكار البعث أو حقا يا محمد (لما يقض ما أمره) أى لم يعمل الانسان الكافر بما أمره الله به من التأمل فى دلائل الله والتدبر فى عجائب خلقه وبينات حكمته (فلينظر الانسان الى طعامه) الذى جعله الله سببا لحياته كيف دبر الله أمره (أنا صببنا الماء) أى الغيث على الارض (صبا) قرأ عاصم وحمزة والكسائى أنا بفتح الهمزة على أنه بدل اشتمال من طعامه لان الماء سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه والباقون بالكسر على الاستئناف وقرئ انى بالامالة أى كيف صببنا الماء صبا عجيبا (ثم شققنا الارض) بالنبات (شقا) بديعا لائقا به (فأنبتنا فيها) أى الارض (حبا) وهو كل ماحصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما (وعنبا) وهو غداء من وجه وفاكهة من وجه (وقضبا) قيل هو كل مايقطع من البقول وقال الحسن هو العلف للدواب وقال ابن عباس هو الرطب

لايسلم لانه ليس عليك اضلالته انما عليك الابلاغ (وأما من جاءك يسعى) وهو الأعمى (وهو يخشى) أى يخشى الله (فأنت عنه تلهى) يعنى تتشاغل (كلا) ردع وزجر أى لاتفعل مثل مافعلت (انها) أى ان آيات القرآن (تذكرة) أى تذكير للخلق (فمن شاء ذكره) يعنى القرآن ثم أخبر بجلالته فى اللوح المحفوظ عنده فقال (فى صحف مكرمة مرفوعة) أى رفيعة القدر (مطهرة) أى لايمسها الا المطهرون (بأيدى سفرة) أى كتبة وهم الملائكة (كرام بررة) جمع بار (قتل الانسان) أى لعن الكافر يعنى عتبة بن أبى لهب (ما أكفره) أى ما أشد كفره (من أى شئ خلقه) استفهام معناه التقرير ثم فسر فقال (من نطفة خلقه فقدره) اطوارا من علقة ومضغة الى ان خرج من بطن أمه وهو قوله (ثم السبيل يسره) أى طريق خروجه من بطن أمه (ثم أماته) أى قبض روحه (فأقبره) أى جعل له قبرا يوارى فيه ولم يجعله ممن يلقى للسباع (ثم اذا شاء أنشره كلا) أى حقا (لما يقض) أى لم يقض هذا الكافر (ما أمره) يعنى ما أمره به ربه (فلينظر الانسان الى طعامه) يريد كيف قدره ربه ودبره له فانه (أنا صببنا الماء صبا) يعنى المطر من السحاب (ثم شققنا الارض شقا) يعنى بالنبات (فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا) وهو القت الرطب

فانه يقطع من النخل (وزيتونا) وفيه أصلاح المزاج (ونخلا وحدائق غلبا) أى بساتين ملتفة الاشجار أوطوال الاشجار (وفاكهة) وهى ماتأكله الناس من ثمار الاشجار (وأبا) وهو ماتأكله الدواب من الكلأ (متاعالكم ولانعامكم) أى فعل الله ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم (فاذاجاءت الصاخة) أى صيحة النفخة الثانية التى تصم الآذان لشدتها (يوم يفر المرء من أخيه) ويوم امامنصوب بأعنى تفسيرا للصاخة أو بدل منها مبنى على الفتح بالاضافة الى الفعل على رأى الكوفيين أى يعرض عن أخيه (وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) وفائدة هذا الترتيب كانه قيل يوم يعرض المرء عن أخيه بل من أبويه اللذين هما أقرب من الاخ بل من الزوجة والولد اللذين تعلق القلب بهما أشد من تعلقه بالابوين وجواب اذا محذوف تقديره اشتغل كل امرئ بحال نفسه ويدل عليه قوله تعالى (لكل امرئ منهم يومئذ) أى يوم اذ تكون هذه الداهية (شأن يغنيه) أى شغل يكفيه فى الاهتمام به أو عمل يصرفه عن قرابته كما قاله ابن قتيبة وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة أى يهمه أى يوقعه فى الهم (وجوه يومئذ مسفرة) أى مضيئة من صلاة الليل كما قاله ابن عباس أو من آثار الوضوء كما قاله الضحاك أو بسبب الخلاص من علائق الدنيا والاتصال بالرحمة ومنازل الرضوان كما قاله الرازى (ضاحكة) أى معجبة بكرامة الله أو مسرورة بالفراغ من الحساب (مستبشرة) أى فرحة بما تشاهد من النعيم الدائم والثواب الجسيم (ووجوه يومئذ عليها غبرة) أى كدورة (ترهقها) أى تدركها عن قرب (قترة) أى سواد كالدخان (أولئك) أى أصحاب هذه الوجوه (هم الكفرة الفجرة) أى الجامعون بين الكفر بالله والكذب على الله

﴿سورة التكوير مكية وهى تسع وعشرون آية ومائة وأربع كلمات وخمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا الشمس كورت) أى لفت أى صارت مختفية عن الاعين وقيل أى رميت عن الفلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما تكويرها ادخالها فى العرش (واذا النجوم انكدرت) أى تساقطت على وجه الارض وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور بأيدى ملائكة من نور فاذا مات من فى السموات ومن فى الارض تساقطت من أيديهم (واذا الجبال سيرت) عن وجه الارض بالرجفة (واذا العشار) أى النوق الحوامل التى هى أنفس ما يكون عند أهلها (عطلت) أى تركت من غير راع لاشتغال أربابها بانفسهم وقيل أى واذا السحب تعطلت عن الماء وقرئ عطلت بالتخفيف (واذا الوحوش حشرت) أى جمعت من كل جانب لا للبعث للقصاص وقيل بعثت للقصاص اظهارا للعدل قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص فاذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا مافيه سرور لبنى آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وقرئ حشرت بالتشديد (واذا البحار سجرت) أى ملئت من الماء فيفيض بعضها الى بعض فتصير شيأ واحدا ثم تيبس البحار من الماء ثم تقلب نارا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتخفيف الجيم وهذه العلامات الستة يمكن وقوعها فى أول زمان تخريب الدنيا أما الستة الباقية فانها مختصة بالقيامة وهى ماذكر بقوله تعالى (واذا النفوس زوجت) أى ردت الارواح الى أجسادها وقال ابن عباس زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين وقال الزجاج قرنت النفوس بأعمالها (واذا الموؤدة

(لكم ولانعامكم [illegible] جاءت الصاخة) أى صيحة القيامة (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) يعنى لايلتفت الى واحد منهم لشغله بنفسه وهو قوله (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) أى يشغله عن شأن غيره (وجوه يومئذ مسفرة) أى مضيئة (ضاحكة مستبشرة) أى فرحة (ووجوه يومئذ عليها غبرة) أى غبار (ترهقها) أى تغشاها (قترة) أى ظلمة وسواد (أولئك) أى أهل هذه الحال (هم الكفرة الفجرة)

﴿تفسير سورة التكوير﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا الشمس كورت) أى ذهب ضوؤها (واذا النجوم انكدرت) أى تساقطت وتناثرت (واذا الجبال سيرت) عن وجه الأرض فصارت هباء منبثا (واذا العشار) يعنى النوق الحوامل (عطلت) سيبت وأهملت يتركها أربابها ولم يكن مال أعجب اليهم منها لاتيان مايشغلهم عنها (واذا الوحوش حشرت) أى جمعت للقصاص (واذا البحار سجرت) أى أوقدت فصارت نارا (واذا النفوس زوجت) أى قرن كل واحد بمن يعمل عمله فالحق الفاجر بالفاجر والصالح بالصالح وقيل قرنت الأجساد بالأرواح (واذا الموؤدة) وهى الجارية تدفن حية

سئلت) أي واذا البنت المدفونة حية سئلت تبكيتا لمن دفنها في القبر وهي حية (بأي ذنب قتلت) أي هي وذلك كأن قيل للموؤدة ان القتل لا يجوز الا لذنب عظيم فاذنبك أيتها البنت فكان جوابها أني قتلت بغير ذنب فيفتضح القاتل وقرئ قتلت بكسر التاء للمخاطبة مع قراءة سئلت بقراءة الجمهور وقرئ سألت بالبناء للفاعل أي خاصمت أباها أو سألت الله تعالى وهذه القراءة مع قراءة قتلت بضم التاء للمتكلم و بسكونها على التأنيث فالقراآت الشاذة ثلاثة (واذا الصحف نشرت) أي واذا صحف الاعمال فرقت بين أصحابها عند الحساب وتطايرت في الاكف وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بتخفيف الشين والباقون بتشديدها (واذا السماء كشطت) أي أزيلت عما فوقها وهي الجنة وعرش الله وقرأ ابن مسعود قشطت (واذا الجحيم سعرت) أي أوقدت ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن ذكوان وعاصم بتشديد العين والباقون بتخفيفها (واذا الجنة أزلفت) أي قربت من المتقين وقال عبد الله بن زيد أي زينت (علمت نفس ما أحضرت) أي ما قدمت من خير أو شر فان الاعمال لما عملتها النفس فكأنها أحضرتها في الموقف (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) لا زائدة أي فاقسم بالكواكب الرواجع من آخر الفلك الى أوله التي تجري مع الشمس والقمر التي تختفي تحت ضوء الشمس وهي هذه الانجم الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري ليس في الكواكب شئ يقطع المجرة غيرها كما أخرجه ابن أبي حاتم عن علي بن أبي طالب (والليل اذا عسعس) أي ذهب (والصبح اذا تنفس) أي أضاء (انه لقول رسول كريم) أي ان هذا الذي أخبركم به محمد من أمر الساعة على ما ذكر في هذه السورة ليس بكهانة ولا ظن ولا افتعال انما هو قول جبريل أتاه به وحيا من عند الله تعالى أو ان القرآن لقول جبريل نزل به الى محمد من جهة الله تعالى فهو رسول الله الى الانبياء وهو كريم لانه يعطي أفضل العطايا وهو الهداية (ذي قوة) أي شدة روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل ذكر الله قوتك فماذا بلغت قال رفعت قريات قوم لوط الاربع على قوادم جناحي حتى اذ سمع أهل السماء نباح الكلاب وأصوات الدجاج قلبتها وذكر مقاتل أن الابيض وهو شيطان قصد أن يفتن النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه جبريل دفعة رفيقة وقع بها من مكة الى أقصى الهند (عند ذي العرش مكين) أي ذي جاه عند الله تعالى فانه يعطي ما يسئل وهذه العندية عندية اكرام وتشريف لا عندية مكان وجهة (مطاع ثم) أي في السموات فتطيعه الملائكة فانهم يصدرون عن أمره ويرجعون الى رأيه (أمين) على وحي الله ورسالته قد عصمه الله من الخيانة والزلل (وما صاحبكم) أي نبيكم محمد يا معشر قريش (بمجنون) كما زعمتم والمقصود من عد فضائل جبريل واقتصار النبي صلى الله عليه وسلم على نفي الجنون رد قول الكفرة في حقه صلى الله عليه وسلم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا أم به جنة لا الموازنة بينهما ولا تفضيل جبريل على النبي ثم انك اذا أمعنت النظر وقفت على أن اجراء تلك الصفات على جبريل في هذا المقام ادماج لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه صلى الله عليه وسلم بالغ من علو المنزلة عند الله تعالى بجعل السفير بينه وبينه تعالى مثل هذا الملك المقرب فهذه الصفات التي لجبريل رفع منزلة له صلى الله عليه وسلم (ولقد رآه بالأفق المبين) أي وبالله لقد رأى رسول الله جبريل عليهما الصلاة والسلام بمطلع الشمس الاعلى على صورته التي خلق عليها (وما هو على الغيب بضنين) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالظاء المشالة أي وما محمد بمتهم في القرآن بل هو ثقة فيما يؤدي عن الله تعالى وقرأ الباقون بالضاد

(سئلت بأي ذنب قتلت) وسؤالها لتبكيت قاتلها تقول قتلت بغير ذنب وهذا كقوله لعيسى أأنت قلت للناس الآية (واذا الصحف) وهي كتب الاعمال (نشرت) أي بسطت (واذا السماء كشطت) أي قلعت كما يكشط الغطاء عن الشيء (واذا الجحيم سعرت) أي أوقدت (واذا الجنة أزلفت) أي قربت لأهلها حتى يرونها (علمت نفس) أي اذا كانت هذه الاشياء التي تكون في القيامة علمت أي في ذلك الوقت كل نفس (ما أحضرت) من عمل (فلا أقسم) لا زائدة (بالخنس) وهي النجوم الخمسة تخنس أي ترجع في مجراها وراءها وتكنس أي تدخل كناسها أي تغيب في المواضع التي تغيب فيها فهي الكنس جمع كانس (والليل اذا عسعس) يعني أقبل بظلامه وقيل أدبر (والصبح اذا تنفس) أي امتد حتى يصير نهارا بينا (انه لقول رسول كريم) أي ان القرآن لتنزيل جبريل عليه السلام (ذي قوة) من صفة جبريل (عند ذي العرش) أي عند الله (مكين) أي ذي مكانة ومنزلة (مطاع ثم) أي تطيعه الملائكة في السماء (أمين) على الوحي (وما صاحبكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (بمجنون) كما زعمتم (ولقد رآه) أي رأى جبريل عليه السلام في صورته (بالافق المبين) وهو الافق الأعلى من ناحية المشرق (وما هو) يعني محمدا (على الغيب) أي على الوحي وخبر السماء (بظنين) أي بمتهم أي هو الثقة بما يؤديه عن الله تعالى

اى

أي وما محمد ببخيل بما قرآن بل يخبر بما في القرآن من أخبار الغيب ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا (وماهو بقول شيطان رجيم) أي وما القرآن بقول مسترق للسمع اسمه سرحى فيلقيه على محمد وهذا نفي لقول أهل مكة ان هذا القرآن يجيء به شيطان فيلقيه على لسان محمد وأنه كهانة وسحر (فأين تذهبون) أي فمن أي طريق تسلكون في انكاركم القرآن أمن نسبته للجنون أو الكهانة أو السحر أو الشعر وهذا استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا أين تذهب (ان هو الا ذكر للعالمين) أي ما القرآن الا عظة للانس والجن (لمن شاء منكم أن يستقيم) أي لمن شاء منكم الاستقامة بتحري الحق وملازمة الصواب فان القرآن انما ينتفع به من شاء أن يستقيم (وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين) أي الا أن يشاء الله أن يعطيه تلك المشيئة ففعل الاستقامة موقوف على ارادة الاستقامة وهذه الارادة موقوفة الحصول على أن يريد الله أن يعطيه تلك الارادة فافعال العباد في طرفي ثبوتها وانتفائها موقوفة على مشيئة الله

﴿سورة الانفطار مكية تسع عشرة آية وثمانون كلمة وثلاثمائة وسبعة وعشرون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا السماء انفطرت) أي انشقت لنزول الملائكة (واذا الكواكب انتثرت) أي تساقطت متفرقة على وجه الارض (واذا البحار فجرت) أي فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالاجاج وصارت البحار بحرا واحدا وقرأ مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف أي تجاوز بعضها الى بعض وقرأ مجاهد أيضا والربيع بن خثيم والزعفراني والثوري فجرت مبنيا للمفعول ومخففا أي غير بعضها ببعض لزوال البرزخ (واذا القبور بعثرت) أي قلب أسفلها أعلاها وأخرج ما فيها من الموتى احياء (علمت نفس ما قدمت) أي أدت من طاعة (وأخرت) أي ضيعت وذلك عند نشر الصحف (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم) أي ما الذي خدعك وسول لك الباطل حتى تركت الواجبات وأتيت بالمحرمات وقرأ سعيد بن جبير والاعمش ما أغرك رباعيا فاحتمل أن تكون ما استفهامية وأن تكون تعجبية أي أي شيء جعلك آمنا من عقاب ربك أو شيء عظيم يتعجب منه أدخلك في غرة أي أمن من العذاب (الذي خلقك) نسمة من نطفة (فسوّاك) أي جعلك سالم الاعضاء مهيأة لمنافعها (فعدلك) وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بتخفيف الدال أي عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت كما قاله أبو علي الفارسي أو فصرفك الى أي صورة شاء وقرأ الباقون بالتشديد أي صيرك متناسب الاعضاء فلم يجعل احدى اليدين أطول ولا احدى العينين أوسع وقال عطاء عن ابن عباس أي جعلك معتدل القامة حسن الصورة لا كالبهيمة المنحنية (في أي صورة ما شاء ركبك) وما زائدة وشاء صفة لصورة وركبك بيان لقوله تعالى فعدلك أي وضعك في صورة اقتضتها مشيئته من حسن وقبح وطول وقصر وذكورة وأنوثة (كلا) أي ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله وانكم لا ترتدعون عن ذلك (بل تكذبون) يا معشر قريش (بالدين) أي بالجزاء على الاعمال (وان عليكم لحافظين) حال من فاعل تكذبون أي تكذبون بالجزاء والحال ان عليكم من قبلنا لحافظين لاعمالكم (كراما) عندنا (كاتبين) لهذه الاعمال في الصحف كما تكتب الشهود منكم العهود ليقع الجزاء على غاية التقويم (يعلمون ما تفعلون) من الافعال قليلا وكثيرا و يضبطونه نقيرا وقطميرا للتجاوز والذلك (ان الابرار) أي الصادقين في ايمانهم (لفي نعيم)

(وماهو) يعني القرآن (بقول شيطان رجيم فأين تذهبون) أي فأي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بينت لكم (ان هو الا ذكر) أي ليس القرآن الا عظة (للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم) أي يتبع الحق ويعمل به ثم أعلمهم أنهم لا يقدرون على ذلك الا بمشيئة الله تعالى فقال (وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين)

﴿تفسير سورة الانفطار﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا السماء انفطرت) انشقت (واذا الكواكب انتثرت) أي تساقطت (واذا البحار فجرت) يعني فتح بعضها في بعض فصارت بحرا واحدا (واذا القبور بعثرت) أي قلب ترابها وبعث الموتى الذين فيها (علمت نفس ما قدمت) من عمل أي امرت به (و) ما (أخرت) منه فلم تعمله (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم) أي ما خدعك وسول لك حتى أضعت ما أوجب عليك (الذي خلقك فسواك) أي جعلك مستوى الخلق (فعدلك) أي قومك وجعلك معتدل الخلق والقامة (في أي صورة ما شاء ركبك) اما طويلا واما قصيرا واما حسنا واما قبيحا (كلا بل تكذبون بالدين) أي بالمجازاة بالأعمال (وان عليكم لحافظين) يحفظون أعمالكم (كراما) أي على الله (كاتبين) يكتبون أقوالكم وأعمالكم (يعلمون ما تفعلون) أي لا يخفى عليهم شيء من أعمالكم (ان الابرار) أي الصادقين في ايمانهم (لفي نعيم)

أي لفي جنة دائم نعيمها (وان الفجار) أي الكافرين المكذبين بيوم الدين (لفي جحيم) أي في نار عظيمة (يصلونها) أي يدخلونها (يوم الدين) أي يوم الحساب (وماهم عنها بغائبين) طرفة عين حتى قبل الدخول فيها فانهم يجدون سمومها في قبورهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة أوحفرة من حفر النيران (وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين) أي أي شيء عجيب هو في الهول والفظاعة جعلك داريا ما يوم الدين وما الاستفهامية خبر ليوم الدين فان مدار الافادة هو الخبر (يوم لا تملك نفس لنفس شيأ) قرأ ابن كثير وأبو عمرو برفع يوم وقرأ أبو عمرو في رواية يوم مرفوعا منونا على جعل الجملة بعده نعتا له والعائد محذوف أي لا تملك فيه وقرأ الباقون يوم بالفتح وهي اما فتحة اعراب باضمار اذكر أو فتحة بناء وانما بني لاضافته للفعل وان كان معربا على رأى الكوفيين ويكون خبرا لمبتدأ مضمر وقال أبو علي ان اليوم لما جرى في أكثر الامر ظرفا ترك على حالة الاكثرية ومما يقوى النصب قوله تعالى وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس وقوله تعالى يسألون أيان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون قال الواحدي والمعنى أن الله تعالى لم يملك في ذلك اليوم أحدا شيأ من الامور كما ملكهم في دار الدنيا (والامر يومئذ لله) قال الواسطي قوله يوم لا تملك نفس لنفس شيأ اشارة الى فناء غير الله تعالى وهناك تذهب الرسالات والكلمات وقوله والامر يومئذ لله اشارة الى أن البقاء لله والامر كذلك في الازل وفي اليوم وفي الآخرة ولم يتغير من حال الى حال فالتفاوت عائد الى أحوال الناظر لا الى أحوال المنظور اليه فالكاملون لا تتفاوت أحوالهم بحسب تفاوت الاوقات

﴿سورة التطفيف وتسمى سورة المطففين نزلت بين مكة والمدينة في مهاجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة فاستتمت بالمدينة وهي ست وثلاثون آية ومائة وتسع وتسعون كلمة وسبعمائة وثمانون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ويل للمطففين) أي شدة العذاب للناقصين في المكيال والميزان بالشيء القليل على سبيل الخفية روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان أهلها من أخبث الناس كيلا فنزلت هذه الآية فأحسنوا الكيل بعد ذلك قال الفراء فهم أوفى الناس كيلا الى يومهم هذا وقال قوم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يعرف بأبي جهينة واسمه عمرو وكان له صاعان يأخذ بواحد ويعطي بالآخر فنزلت (الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون) أي اذا اكتالوا من الناس مكيلهم بحكم الشراء ونحوه يأخذونه وافيا وافرا حسب ما أرادوا بأي وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيال والاحتيال في ملئه (واذا كالوهم أووزنوهم يخسرون) أي واذا كالوا مكيلهم أووزنوا موزونهم للبيع ونحوه ينقصون في الكيل والوزن ويروى عن عيسى بن عمر وحمزة أنهما كانا يجعلان الضميرين توكيدا لما في كالوا ووزنوا ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ما أرادوا أي اذا كالوا هم لغيرهم أووزنوا هم لغيرهم ينقصون واثبات الالف قبل هم لو لم يكن معتادا في زمان الصحابة لمنع من اثباتها في سائر الاعصار (ألا يظن أولئك) أي ألا يوقن أولئك المطففون بالكيل والوزن (أنهم مبعوثون ليوم عظيم) أي شديد هوله (يوم يقوم الناس) من قبورهم (لرب العالمين) أي لحكمه روى عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقوم أحدكم في رشحه الى أنصاف أذنيه وقرئ يوم بالنصب والجر فالنصب منصوب بقوله تعالى مبعوثون أو باضمار أعني والجر بدل من يوم عظيم أو هو حالة النصب مبني على الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأي الكوفيين فهو مرفوع المحل خبر المبتدأ مضمر أو مجرور المحل بدلا من يوم عظيم ويؤيده القراءة

وان الفجار) الكفار (لفي جحيم يصلونها) أي يقاسون حرها (يوم الدين وماهم عنها بغائبين) أي بمخرجين ثم عظم شأن يوم القيامة فقال (وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيأ) أي لا تملك أن تنجيها من العذاب (والأمر يومئذ لله) وحده ولم يملك أحدا أمرا في ذلك اليوم كما ملك في دار الدنيا

﴿تفسير سورة المطففين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ويل للمطففين) الذين يبخسون حقوق الناس في الكيل والوزن (الذين اذا اكتالوا) أي أخذوا بالكيل (على الناس) أي من الناس (يستوفون) أي يأخذون حقوقهم وافية (واذا كالوهم) أي كالوا لهم (أووزنوهم) أي وزنوا لهم (يخسرون) أي ينقصون (ألا يظن أولئك) أي ألا يستيقن أولئك الذين يفعلون ذلك (انهم مبعوثون ليوم عظيم) يعني يوم القيامة (يوم يقوم الناس) من قبورهم (لرب العالمين) والمعنى انهم لو أيقنوا بالبعث ما فعلوا ذلك

بالرفع والجر (كلا) أى ارتدعوا عن التطفيف والغفلة عن ذكر البعث وعلى هذا المعنى يوقف على كلا أو كان بمعنى حقا فلا يوقف عليه وكذا جميع ما يأتى من كلا فى هذه السورة (ان كتاب الفجار لفى سجين) أى ان كتابة أعمال الكفار لفى سجين وهو موضع فى الارض السابعة السفلى (وما أدراك ما سجين) وهذا تعظيم لامر سجين (كتاب مرقوم) أى ان كتاب الفجار كتاب معلم فيعلم من رآه أنه لا خير فيه (ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين) أى الجزاء (وما يكذب به) أى بذلك اليوم (الا كل معتد) أى متجاوز عن المنهج الحق (أثيم) أى مبالغ فى ارتكاب الاثم (اذا تتلى عليه آياتنا) أى القرآن (قال أساطير الاولين) أى هذه أخبار الاولين فان محمدا أخذ عنهم لا من الله تعالى فينكر النبوة (كلا) أى حقا (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) أى ليس الامر كما يقوله الكافر من ان ذلك أساطير الاولين بل غطى على قلوبهم أفعالهم الماضية من الكفر والمعاصى قال صلى الله عليه وسلم ان العبد كلما أذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه (كلا) أى حقا يا محمد (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أى ان المكذبين بيوم الدين لممنوعون يوم القيامة عن النظر الى ربهم والمؤمنون لا يحجبون عن النظر الى ربهم (ثم انهم لصالوا الجحيم) أى لداخلو النار العظيمة (ثم) اذا دخلوها (يقال) لهم من جهة الزبانية (هذا الذى كنتم به تكذبون) أى هذا العذاب هو الذى كنتم تكذبون به فى الدنيا والآن قد عاينتموه فذوقوه (كلا) أى لا تكذبوا البعث وكتاب الله أو حقا (ان كتاب الابرار لفى عليين) أى ان كتابة أعمال الصادقين فى ايمانهم لفى عليين (وما أدراك ما عليون) وهذا تنبيه له صلى الله عليه وسلم على انه معلوم له (كتاب مرقوم) أى ان كتاب أعمالهم موضوع فى عليين مكتوب فى لوح من زبرجد أخضر معلق تحت عرش الرحمن (يشهده المقربون) أى تشهد الملائكة المقربون ذلك الكتاب اذا صعد به الى عليين كرامة للمؤمنين أو يشهدون بما فيه يوم القيامة لتعظيمه (ان الابرار لفى نعيم) أى فى جنة دائم نعيمها (على الارائك) أى الاسرة فى الحجال (ينظرون) الى ما شاؤا مد أعينهم اليه من أنواع النعيم والعذاب للكفار (تعرف) يا من يتأتى منك المعرفة (فى وجوههم نضرة النعيم) أى بهجة التنعم ورونقه من السرور والضحك وقرأ أبو جعفر وابن أبى اسحق وشيبة وطلحة ويعقوب والزعفرانى تعرف مبنيا للمفعول ورفع نضرة وعلى بن زيد كذلك الا انه قرأ يعرف بالياء التحتية (يسقون من رحيق) أى شراب خالص (مختوم) أى يختم رأس قارورة ذلك الرحيق أوله ختام أى عاقبة (ختامه مسك) أى الذى يختم به رأس الاناء هو المسك أو عاقبته المسك أى يختم له برائحة المسك وقرأ الكسائى خاتمه بفتح التاء بعد الالف وروى عنه أيضا كسر التاء والمعنى خاتم رائحة ذلك الشراب مسك (وفى ذلك) أى الرحيق (فليتنافس المتنافسون) أى فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى (ومزاجه من تسنيم) أى وما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم سميت هذه العين بالتسنيم لانها أرفع شراب فى الجنة أو لانها تأتيهم من فوق (عينا يشرب بها المقربون) وهم أفضل أهل الجنة كما ان التسنيم هو أفضل

(كلا) ردع وزجر أى ليس الامر على ما هم عليه مقيمون ثم ابتدأ (ان كتاب الفجار) الذى فيه أعمالهم (كتاب مرقوم) [illegible] مثبت عليهم فى سجين أى فى أسفل السبع الارضين وهو محل ابليس وجنده (وما أدراك ما سجين) أى ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت وقومك وقوله (كتاب مرقوم) مؤخر معناه التقديم لان التقدير كما ذكرنا ان كتاب الفجار كتاب مرقوم فى سجين وقوله (كلا بل ران) أى غلب (على قلوبهم) حتى غمرها وغشيها (ما كانوا يكسبون) من المعاصى وهو كالصدا يغشى القلب (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أى يحجبون عن الله فلا يرونه (ثم انهم لصالوا الجحيم) أى لداخلو النار (ثم يقال هذا) العذاب (الذى كنتم به تكذبون) فى الدنيا (كلا ان كتاب الابرار لفى عليين) أى فى السماء السابعة تحت العرش (وما أدراك) أى وما الذى أعلمك يا محمد (ما عليون) أى كيف هى وايش صفتها (كتاب مرقوم) يعنى كتاب الابرار كتاب مرقوم (يشهده المقربون) يعنى تحضره الملائكة لان عليين محل الملائكة وقوله (على الأرائك ينظرون) أى الى ما قد أعطاهم الله من النعيم والكرامة (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) أى غضارته وبريقه (يسقون من رحيق) وهو الخمر الصافية (مختوم ختامه مسك) يعنى اذا فنى ما فى الكأس وانقطع الشرب انختم ذلك الشراب برائحة المسك (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) أى فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله (ومزاجه) أى ويمزج ذلك الشراب (من تسنيم) وهو عين ماء تجرى من جنة عدن وهو أعلى الجنان ثم فسره فقال (عينا يشرب بها) أى يشرب بها (المقربون

أنهار الجنة قال ابن عباس أشرف شراب أهل الجنة هو تسنيم لانه يشرب به المقربون صرفا ويمزج لاصحاب اليمين (ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) أي ان أكابر المشركين كأبي جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي كانوا يضحكون من أجل فقراء المؤمنين كعمار وصهيب وبلال وخباب (واذا مروا) أي فقراء المؤمنين يأتون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (بهم) أي بالمشركين وهم في أنديتهم (يتغامزون) أي يشيرون اليهم بالاعين استهزاء ويعيبونهم ويقولون انظروا الى هؤلاء يتعبون أنفسهم ويحرمونها اللذات ويخاطرون بأنفسهم في طلب ثواب لايتيقنونه قيل جاء علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى أصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت هذه الآية قبل أن يصل علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين) أي واذا رجع الكفار من مجالسهم الى أهلهم رجعوا معجبين بما هم عليه من الشرك والتنعم بالدنيا أو متلذذين بذكر المسلمين بالسوء وقرأ عاصم في رواية حفص عنه فكهين بغير ألف في هذا الموضع وحده والباقون بالالف (واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين) أي واذا رأى المجرمون المؤمنين أينما كانوا قالوا ان هؤلاء المؤمنين على ضلال في تركهم التنعم الحاضر بسبب طلب ثواب لايدرى هل له وجود أم لا والحال ان الله تعالى لم يبعث هؤلاء الكفار رقباء على المؤمنين يحفظون عليهم أحوالهم بل انما أمروا باصلاح أنفسهم (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) أي فيوم القيامة يضحك المؤمنون على الكفار حين يرونهم مغلولين أذلاء (على الارائك ينظرون) وهذا حال من فاعل يضحكون أي يضحك المؤمنون على الكفار ناظرين حال كونهم على سرر الحجال اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) وهذا على سبيل التهكم والمعنى كأنه تعالى يقول للمؤمنين هل جازينا الكفار على عملهم الذي كان من جملته ضحكهم بكم واستهزاؤهم بشريعتكم كما جازينا كم على أعمالكم الصالحة فيكون هذا القول زائدا في سرورهم

﴿سورة الانشقاق مكية خمس وعشرون آية ومائة وسبع كلمات وسبعمائة وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا السماء انشقت) من المجرة بالغمام والمجرة هي البياض المعترض في السماء (وأذنت لربها) أي انقادت لتأثير قدرته (وحقت) أي وهي حقيقة بأن تنقاد (واذا الارض مدت) مد الاديم العكاظي وزيدت في سعتها (وألقت ما فيها) أي رمت بما في جوفها من الموتى والكنوز (وتخلت) أي وخلت غاية الخلو حتى لم يبق في باطنها شئ (وأذنت لربها) أي انقادت له في الالقاء والتخلي (وحقت) أي وهي حقيقة بذلك وقوله تعالى وأذنت لربها دال على نفوذ القدرة في شق السماء وبسط الارض واخلاء ما فيها من غير ممانعة أصلا وجواب اذا محذوف [illegible] عمله [illegible] الوهم الى كل شئ وان جعلت غير شرطية فهو منصوب باذكر مقدرا (يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) أي يا ابن آدم انك تسعى في عملك [illegible] في الآخرة فلاق ذلك العمل خيرا كان أو شرا [illegible] (فأما من أوتي كتابه بيمينه [illegible]

ان الذين أجرموا) أي أشركوا [illegible] ضحكون) [illegible] (واذا مروا بهم يتغامزون) أي يشير بعضهم بعضا ويشيرون اليهم (واذا انقلبوا) رجعوا (الى أهلهم)
أي أصحابهم يؤذونهم (انقلبوا فكهين) أي معجبين بما هم فيه يتفكهون بذكر المؤمنين (واذا رأوهم) أي واذا رأوا المؤمنين (قالوا ان هؤلاء لضالون وما أرسلوا) يعني الكفار (عليهم) أي على المؤمنين (حافظين) لأعمالهم موكلين بأحوالهم (فاليوم) يعني يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) كما ضحكوا منهم في الدنيا (على الأرائك ينظرون) اليهم كيف يعذبون (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) أي هل جوزوا بسخريتهم بالمؤمنين في الدنيا

﴿تفسير سورة الانشقاق﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا السماء انشقت) تنشق السماء يوم القيامة (وأذنت لربها) أي سمعت أمر ربها بالانشقاق (وحقت) أي وحق لها ان تسمع وتطيع (واذا الارض مدت) من أطرافها فزيد فيها كما يمد الأديم (وألقت ما فيها) أي ما في بطنها من الموتى والكنوز (وتخلت) أي وخلت (يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا) أي عامل لربك عملا (فملاقيه) أي فملاق عملك والمعنى انك تلقى يوم القيامة [illegible] (فأما من أوتي كتابه بيمينه) [illegible]

يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا) أى فأما من أعطى كتاب عمله الذى كتبته الملائكة بيمينه من أمامه فسوف يحاسب حسابا هينا وهو العرض ويرجع الى عشيرته المؤمنين مبتهجا بحاله قائلا هاؤم اقرؤا كتابى (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا) أى وأما من أعطى كتاب عمله بشماله من وراء ظهره فسوف يتمنى الهلاك وينادى بقوله يا ثبوراه تعال وهذا أوانك (ويصلى سعيرا) أى ويدخل نارا وقودا وقرأ أبو عمرو وعاصم بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام وقيل قرأ عاصم وحمزة وأبو عمرو بضم الياء وسكون الصاد والباقون بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام (انه كان فى أهله) أى فيما بين عشيرته فى الدنيا (مسرورا) بما هو عليه من الكفر بالله والتكذيب بالبعث يضحك ممن آمن بالله وصدق بالحساب وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (انه ظن أن لن يحور) أى انه ظن أنه لن يرجع فى الآخرة الى خلاف ما هو عليه فى الدنيا من السرور والتنعم (بلى) ان الله تعالى يبدل سروره بغم لا ينقطع وتنعمه ببلاء لا يزول (ان ربه كان به بصيرا) أى ان ربه كان عالما بما يعمله من الكفر والمعاصى فلم يهمله بأن لا يعاقبه على سوء أعماله وقيل نزلت هاتان الآيتان فى أبى سلمة بن عبد الاسد وأخيه الاسود (فلا أقسم بالشفق) وهو حمرة المغرب بعد غروب الشمس وهى الاثر الباقى فى الافق من الشمس والفاء فى جواب شرط مقدر ولا زائدة أونفى وهو رد لكلام قبل القسم أى اذا عرفت هذا فلا تظن عدم الرجوع الى الله فى الآخرة (والليل وما وسق) أى جمع فاذا استر الليل بظلمته الجبال والبحار والاشجار والحيوانات فقد جمعها وحملها (والقمر اذا اتسق) أى تكامل وذلك فى ثلاث ليال ليلة ثلاثة عشر وليلة أربعة عشر وليلة خمسة عشر (لتركبن طبقا عن طبق) أى لتتحولن يا أيها الانسان حالا بعد حال وذلك من حين خلقهم الله الى أن يموتوا ومن حين موتهم الى ان يدخلوا الجنة أو النار وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى بفتح الباء الموحدة على خطاب الانسان فى يا أيها الانسان والمعنى خطاب الجنس فى قراءة العامة أو على خطاب الرسول والمعنى لتصعدن يا أشرف الرسل طبقا مجاوزا لطبق فى ليلة المعراج أى من سماء الى سماء أو لتركبن حال ظفر وغلبة بعد حال خوف وشدة وقرئ بكسر الباء على خطاب النفس أى لتركبن أيها النفس طريقة أمة من الناس بعد أمة وقرئ ليركبن بالياء على المغايبة وفتح الباء أى ليركبن هذا المكذب بيوم الدين حالا بعد حال من حين يموت الى ان يدخل النار (فما لهم لا يؤمنون) أى اذا كان حالهم كما ذكر فأى شئ ثبت لكفار مكة حال كونهم غير مؤمنين ويقال فأى شئ لبنى عبد ياليل الثقفى يمنعهم من الايمان وكانوا ثلاثة مسعود وحبيب وربيعة فأسلم منهم بعد ذلك حبيب وربيعة (واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) أى لا يخضعون بأن يؤمنوا به ولا يسجدون لتلاوته عند آيات مخصوصة روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت هذه الآية واحتج أبو حنيفة بهذه على وجوب السجدة وعن الحسن هى غير واجبة (بل الذين كفروا يكذبون) بالقرآن الناطق بأحوال القيامة ولذلك لا يخضعون عند تلاوته اما للحسد واما لتقليد الاسلاف واما لخوف فوت مناصب الدنيا ومنافعها (والله أعلم بما يوعون) أى بما يضمرون فى قلوبهم من التكذيب فهو مجاز بهم عليه فى الدنيا والآخرة (فبشرهم بعذاب أليم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى أخبر يا أشرف الخلق لمن لا يؤمن بعذاب مؤلم الامن تاب منهم (لهم أجر غير ممنون) أى غير منقوص ولا مكدر ولا مقطوع ويقال غير منقوص حسناتهم بعد الهرم والموت

العرض على الله لان من نوقش الحساب عذب (وينقلب الى أهله) فى الجنة (مسرورا وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) وذلك أن يده غلت الى عنقه فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره (فسوف يدعوا ثبورا) أى ينادى بالهلاك على نفسه (ويصلى سعيرا) أى ويدخل النار (انه كان فى أهله) أى فى الدنيا (مسرورا) أى متابعا لهواه (انه ظن أن لن يحور) أى لن يرجع الى ربه (بلى) أى ليس الامر كما ظن بل يرجع الى ربه (فلا أقسم) معناه فأقسم (بالشفق) وهو الحمرة التى ترى بعد سقوط الشمس وقيل يعنى النهار (والليل وما وسق) أى حمل وجمع وضم وأوى من الحشرات والدواب والهوام والسباع وكل شئ دخل عليه الليل (والقمر اذا اتسق) أى اجتمع واستوى (لتركبن طبقا عن طبق) أى حالا بعد حال من النطفة والعلقة الى الهرم والموت حتى تصيروا الى الله وقوله (والله أعلم بما يوعون) أى يحملون فى قلوبهم ويضمرون (فبشرهم) أى أخبرهم (بعذاب أليم) وقوله (غير ممنون) اى غير منقوص ولا مقطوع

﴿سورة البروج مكية ثنتان وعشرون آية ومائة وتسع كلمات وأربعمائة وثمانية وخمسون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والسماء ذات البروج) أي ذات المنازل الاثنى عشر والطرق التي تسير فيها الكواكب السبعة (واليوم الموعود) وهو يوم القيامة فان الله تعالى وعد أهل السماء وأهل الارض ان يجتمعوا فيه (وشاهد ومشهود) فالشاهد من يحضر في ذلك اليوم من الخلائق والمشهود ما في ذلك اليوم من العجائب (قتل أصحاب الاخدود) وهذا دليل جواب قسم محذوف والتقدير أقسم بهذه الاشياء ان كفار مكة ملعونون كما لعن أصحاب الاخدود وقيل ان الجواب قوله تعالى ان بطش ربك لشديد والاخدود شق مستطيل في الارض كالنهر وذكر ان طوله أربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا وأصحاب الاخدود هم أناس كانوا بمدارع اليمن كما قاله قتادة عن علي أو هم الحبشة كما قاله الحسن عن علي أيضا (النار ذات الوقود) من النفط والزفت والحطب وقرئ بضم الواو بمعنى الاتقاد وقوله النار بدل اشتمال من الاخدود ثم ان أصحاب الاخدود اما الجبابرة الذين قتلوا المؤمنين فحينئذ ان قوله تعالى قتل أصحاب الاخدود اخبار فالمعنى ان أولئك القاتلين قتلوا بالنار على القول بأن الجبابرة لما أرادوا قتل المؤمنين بالنار عادت النار عليهم فقتلتهم فهم في تلك الحالة كانوا ملعونين فالمعنى انهم خسروا الدنيا والآخرة أو دعاء عليهم أي لعن أصحاب الاخدود وأما المؤمنون المقتولون بالاحراق بالنار فيكون قوله تعالى لعن أصحاب الاخدود خبرا لا دعاء (اذ هم عليها قعود) ظرف لقتل أي لعنوا حين كانوا جالسين على شفير النار يعذبون المؤمنين فان النار ارتفعت اليهم فهلكوا أو يقال لعنوا اذ المؤمنون مطروحون على النار (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) أي وهؤلاء الكفار مع ما يفعلون بالمؤمنين من الاحراق بالنار حضور لم تحصل في قلوبهم شفقة ولا رأفة لغاية قسوة قلوبهم والوقف هنا تام ان جعل جواب القسم قتل أصحاب الاخدود بتقدير لقد وجاز لطول الكلام ان جعل جواب القسم ان بطش ربك لشديد روى مسلم عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن قبلكم ساحر فلما كبر قال للملك اني قد كبرت فابعث الي غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان في سلوك طريقه راهب فسمع كلامه فأعجبه فكان اذا أتى الساحر مر بالراهب فقعد اليه فاذا أتى الساحر ضربه واذا رجع من عند الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا أتى أهله ضربوه فشكى ذلك الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي واذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر ثم رأى الغلام في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فأخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب أحب اليك من الساحر فقوني على قتل هذه الحية بواسطة رمي الحجر اليها ثم رمى الحجر فقتلها ومضى الناس فاشتغل بطريقة الراهب ثم صار الى حيث يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس من سائر الادواء فسمع جليس للملك وكان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال هذا لك ان شفيتني فقال اني لا أشفي أحدا انما يشفي الله تعالى فان آمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله تعالى فأتى الملك فجلس كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك فقال ربي قال أولك رب غيري قال ربي وربك الله فغضب فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فأحضر الراهب فقال له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار من مفرق رأسه حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقال له ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقال له ارجع عن دينك فأبى فقال لاصحابه اذهبوا به فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فاطرحوه ان لم يرجع عن دينه

فذهبوا

﴿تفسير سورة البروج﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والسماء ذات البروج) يعني بروج الكواكب وهي اثنا عشر برجا (واليوم الموعود) يعني يوم القيامة (وشاهد) يريد يوم الجمعة (ومشهود) يريد يوم عرفة (قتل) أي لعن (أصحاب الاخدود) وهو الشق يحفر في الارض طولا وهم قوم كفرة كانوا يعبدون الصنم وكان قوم من المؤمنين بين أظهرهم يكتمون ايمانهم فاطلعوا على ذلك منهم فشقوا أخدودا في الارض وملؤها نارا وعرضوهم على النار فمن لم يرجع عن دينه قذفوه فيها (النار ذات الوقود) أي ذات الالتهاب (اذ هم عليها قعود) وذلك أنهم قعدوا عند تلك النار (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين) من التعذيب والصد عن الايمان (شهود) أي حاضرون أخبر الله تعالى عن قصة قوم بلغت بصيرتهم في ايمانهم الى أن صبروا على أن أحرقوا بالنار في الله

فذهبوا به وصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وهلكوا ونجا ومشى الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله فقال لأصحابه اذهبوا به الى البحر فاحملوه فى قرقورة فتوسطوا به البحر فاقذفوه ان لم يرجع عن دينه فذهبوا به فلججوا به ليغرقوه فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا ومشى الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله وقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس فى صعيد وتصلبنى على جذع وتأخذ سهما من كنانتى وتقول بسم الله رب هذا الغلام ثم ترمينى به ففعل الملك ذلك فرماه بالسهم فوقع فى صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب هذا الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذره فأمر بأخاديد فى أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم عن دينه طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست أن تقع فيها فقال الصبى يا أماه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت وعن ابن عباس قال كان بنجران ملك بالبمين ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذونواس بن شرحبيل فى الفترة قبل أن يولد النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان فى بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان أبوه سلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بدا من طاعة أبيه فجعل يتردد الى المعلم وكان فى طريقه راهب حسن الصوت فأعجبه ذلك فقعد اليه وسمع كلامه ذاهبا وراجعا فدعا الناس الى دين عيسى عليه السلام فأجابوه فسار اليه ذونواس اليهودى بجنود من حمير فخيره بين النار واليهودية فأبى الى أن قال الغلام للملك انك لا تقدر على قتلى الا أن تفعل ما أقول قال فكيف أقتلك قال تجمع أهل مملكتك وأنت على سريرك فترمينى بسهم على اسم الهى ففعل الملك فقتله فقال الناس لا اله الا اله عبد الله بن تامر لا دين الا دينه فغضب الملك وأغلق باب المدينة وأخذ أفواه السكك وجعلها أخدودا وملأه نارا فمن رجع عن الاسلام تركه ومن قال دينى دين عبد الله بن تامر ألقاه فى الاخدود وأحرقه وكان فى مملكته امرأة فأسلمت ولها أولاد ثلاثة أحدهم رضيع فقال لها الملك ارجعى عن دينك والا ألقيتك وأولادك فى النار فأبت فأخذ ابنها الاكبر فألقاه فى النار ثم قال لها ارجعى فأبت فأخذوا الصبى منها ليلقوه فى النار فهمت المرأة بالرجوع فقال لها الصبى يا أماه لا ترجعى عن الاسلام فانك على الحق ولا بأس عليك فألقى الصبى فى النار وألقيت أمه عقبه وعن وهب بن منبه أحرق منهم اثنى عشر ألفا فى الاخاديد ثم غلب ارياط على اليمن فخرج ذونواس هاربا واقتحم البحر بفرسه فغرق وقال محمد بن اسحق عن عبد الله بن أبى بكر ان خربة احترقت فى زمن عمر فوجدوا عبد الله بن تامر واضعا يده على ضربة فى رأسه اذا أميطت يده عنها انبعثت دما واذا تركت رجعت الى مكانها وفى يده خاتم من حديد فيه ربى الله فبلغ ذلك عمر فكتب أن أعيدوا عليه الذى وجدتم عليه وروى عن على أنه قال حين اختلفوا فى أحكام المجوس هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد أحلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على أخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج أن تخطب الناس فتقول يا أيها الناس ان الله تعالى قد أحل لكم نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك فتقول ان الله قد حرمه فخطب فلم يقبلوا منه ذلك فقالت ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فأمرته بالاخاديد وايقاد النيران وطرح من أبى فيها فهم الذين أرادهم الله تعالى بقوله تعالى قتل أصحاب الاخدود (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا) أى وما عابوا من المؤمنين الا ايمانهم (بالله العزيز) أى القادر الذى لا يغلب والقاهر الذى لا يدفع (الحميد) أى الذى يستحق الثناء على ألسنة عباده المؤمنين (الذى له ملك السموات والارض) وخزائن المطر والنبات (والله على كل شئ شهيد) وهذا وعد عظيم للمطيعين ووعيد شديد للمجرمين (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) أى ان الذين أحرقوهم بالنار كما قاله ابن

(وما نقموا منهم) الآية أى ما أنكروا عليهم ذنبا الا ايمانهم (ان الذين فتنوا) أى أحرقوا (المؤمنين والمؤمنات

عباس ومقاتل أو ان الذين عذبوهم فى دينهم بالاذية والتعذيب ليرجعوا عنه (ثم لم يتوبوا) عن كفرهم وفتنهم (فلهم عــذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) أى فلهم فى الآخرة عذاب بسبب كفرهم وعذاب زائد على عــذاب الكفر بسبب احراق المؤمنين بالنار أو عذاب برد وعذاب احراق أو فلهم فى الآخرة عذاب جهنم وفى الدنيا عذاب الحريق حيث ارتفعت عليهم نار الاخدود فاحترقوا بها وكان هؤلاء قوما من نجران وقيل من أهل الموصل وكان ملكهم يسمى يوسف و يقال له ذو نواس (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) من المفتونين وغيرهم (لهـم) بسبب الايمان والعمل الصالح لهم (جنات تجرى من تحتها الانهار) يتلذذون ببردها و يزول عنهم برؤية ذلك مع رؤية الاشجار جميع الاحزان والمضار (ذلك) أى حيازتهـم للجنات (الفوز الكبير) وهو رضا الله تعالى (ان بطش ربك) أى ان أخذه بالعذاب لمن لا يؤمن به (لشـديد انه هو يبدئ ويعيـد) أى انه تعالى يخلق خلقه ثم يفنيهم ثم يعيدهم أحياء ليجازيهم فى القيامة فذلك الامهال لهذا السبب لا لاجل الاهمال ومن كان قادرا على الايجاد والاعادة كان بطشه فى غاية الشدة (وهو الغفور) لمن تاب من الكفر (الودود) أى المحب لمن أطاع (ذو العرش) أى خالقه ومالكه وقرئ ذى العرش على أنه صفة لربك (المجيد) قرأ حمزة والكسائى بالجر على انه صفة للعرش أو لربك والباقون بالرفع على انه خبر بعد خبر قال العلماء ان مجد الله عظمته بحسب الوجود الذاتى وكمال القـدرة والعلم والحكمة ومجد العرش علوه فى الجهة وعظمة مقداره وحسن صورته وتركيبه (فعال لما يريد) يدخل أولياءه الجنة لا يمنعه منه مانع ويدخل أعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر ويمهل العصاة على ما يشاء الى أن يجازيهم ويعاجل بعضهم بالعقوبة اذا شاء ويعذب من شاء منهم فى الدنيا وفى الآخرة يفعل من هذه الاشياء ومن غيرها ما يريد على ما يراه لا يعترض عليه معترض ولا يغلبه غالب قال الرازى فعال خبر مبتدا محذوف وقال الطبرى رفع فعال وهو نكرة محضة على وجه الاتباع لاعراب الغفور الودود (هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود) أى قد أتاك يا أشرف الرسل خبر الجموع فرعون وقومه وثمود وعرفت ما فعلوا من الكفر والضلال وما فعل بهم من العذاب والنكال فانذر قومك أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم وفرعون وثمود بدل من الجنود فذكر الله تعالى من المتقـدمين ثمود ومن المتأخرين فرعون لان ثمود كانوا فى بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهورة وأمر فرعون كان مشهورا عند أهل الكتاب وغيرهم فدل بهما على أمثالهما (بل الذين كفروا فى تكذيب والله من ورائهم محيط) أى ليست جناية قومك مجرد عدم الاتعاظ بما سمعوا من حديث أولئك بل هم مع ذلك فى تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك فى انه قرآن من عند الله تعالى مع ظهور حاله بالبينات الباهرة والحال ان الله تعالى قادر على اهلاكهم ومعاجلتهم بالعذاب على تكذيبهم بالقرآن والنبوة وهم فى قبضته تعالى كالمحاط اذا أحيط به من ورائه فسد عليه مسلكه فلا يجد مهربا (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) أى ليس الامر كما قالوا بل هذا القرآن الذى يقرؤه محمد كتاب شريف عالى الطبقة فيما بين الكتب الالهية فى النظم والمعنى مكتوب فى اللوح محفوظ من وصول الشياطين اليه ومن التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع على انه نعت لقرآن والباقون بالجر على انه نعت للوح وقرئ قرآن مجيد بالاضافة أى قرآن رب مجيد وقرأ يحيى بن يعمر وابن السميقع فى لوح بضم اللام وهو الهواء الذى فوق السماء السابعة الذى فيه اللوح بفتح اللام وهو عن يمين العرش مكتوب فى صدره لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله جنته وكونه محفوظا اما محفوظ عن ان يمسه الا المطهرون أو عن اطلاع الخلق عليه سوى الملائكة المقربين أو عن أن يجرى عليه تغيير وتبديل فالمراد حكم فيه بسعادة قوم وشقاوة قوم وتأذى

ثم لم يتوبوا) أى لم يرجعوا عن كفرهم (فلهم عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) بما أحرقوا المؤمنين (ان بطش ربك) أى أخذه بالعذاب (لشديد انه هو يبدئ) الخلق أى يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم عند البعث (وهو الغفور الودود) أى المحب أولياءه (ذو العرش المجيد) أى خالقه ومالكه المستحق لكمال صفات العلو والمدح (هل أتاك حديث الجنود) أى خبر الجموع الكافرة ثم بين من هم فقال (فرعون وثمود بل الذين كفروا) من قومك (فى تكذيب) لك (والله من ورائهم محيط) أى قدرته مشتملة عليهم فلا يجيره منهم أحد (بل هو قرآن مجيد) أى كثير الخير وليس كما زعم المشركون (فى لوح محفوظ) أى من أن يبدل ما فيه أو يغير

قوم من قوم امتنع تغيره وتبدله فوجب الرضا به

﴿سورة الطارق مكية سبع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة وماثتان واحدى وسبعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والسماء والطارق) أى الظاهر فى الليل (وما أدراك ما الطارق) أى وأى شئ أعلمك يا أشرف الرسل ما الطارق قال سفيان ابن عيينة كل شئ فى القرآن ما أدراك فقد أخبر الله الرسول به وكل شئ فيه وما يدريك لم يخبره به (النجم الثاقب) خبر مبتدا محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن استفهام أى هو النجم المضئ فى الغاية كأنه يثقب الافلاك بضوئه وينفذ فيها قيل هو النجم الذى يقال له كوكب الصبح وهو النجم الذى يهتدى به فى ظلمات البر والبحر ويوقف به على أوقات الامطار أو هو جنس الشهب الذى يرجم بها ووصف النجم بكونه طارقا لانه يبدو بالليل أو لانه يطرق الجنى أى يصكه وقال محمد بن الحسين والفراء انه زحل لانه يثقب بنوره سمك سبع سموات وقال ابن زيد هو الثريا وقال ابن عباس هو الجدى وقال على هو نجم فى السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم فاذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وقال آخرون انه الشهب التى يرجم بها الشياطين لقوله تعالى فأتبعه شهاب ثاقب وروى أن أبا طالب أتى النبى صلى الله عليه وسلم بخبز وابن فبينما هو جالس يأكل اذ انحط نجم فامتلأت الارض نورا ففزع أبو طالب وقال أى شئ هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمى به وهو آية من آيات الله فعجب أبو طالب ونزلت هذه السورة (ان كل نفس لما عليها حافظ) وهذا جواب للقسم وان نافية ولما بمعنى الا أى ما كل نفس الا عليها رقيب وهو الله تعالى وهذا بالتشديد على قراءة عاصم وحمزة وابن عامر والنخعى أما على قراءة ابن كثير وأبى عمرو ونافع والكسائى وهى بتخفيف الميم فان مخففة من الثقيلة واللام فى لما مخلصة من ان النافية وما صلة أى ان الشان كل نفس برة أو فاجرة لعليها من يحصى عليها ما تكسب من خير وشر وهم الملائكة (فلينظر الانسان) أبو طالب وغيره (مم خلق) أى من أى شئ خلق نفسه (خلق من ماء دافق) وهو استئناف وقع جوابا عن استفهام أى خلق الانسان من ماء ذى سيلان بسرعة فى رحم المرأة (يخرج من بين الصلب والترائب) أى من صلب ماء الرجل ومن عظام صدر المرأة وقال الحسن يخرج من صلب الرجل وترائبه ومن صلب المرأة وترائبها وحكى القرطبى أن ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يتجمع فى الانثيين (انه على رجعه لقادر) أى ان الذى خلق الانسان ابتداء قادر على رده حيا بعد موته (يوم تبلى السرائر) أى يوم تظهر ما أخفى من الاعمار وما أسر فى القلوب من العقائد والنيات وهو يوم القيامة قال ابن عمر رضى الله عنهما يبدى الله يوم القيامة كل سر فيكون زينا فى الوجوه وشينا فى الوجوه هذا ان أريد برجعه بعث الانسان يوم القيامة فيوم ظرف لرجعه فلا يوقف على قوله تعالى لقادر وان أريد برجعه رد الماء الى الاحليل كما قاله مجاهد أو الى الصلب كما قاله عكرمة والضحاك أو رد الانسان ماء كما كان قبل كما قاله الضحاك أيضا فيوم منصوب بمضمر أى واذكر يوم فالوقف على لقادر كاف كالوقف على السرائر الا اذا جرينا على قول الرازى ان يوم منصوب بقوله فما له من قوة فلا وقف على السرائر (فما له من قوة ولا ناصر) أى فما للانسان شئ من قوة يدفع به عن نفسه ما جاء من عذاب الله ولا أحد من الانصار ينصره فى دفعه (والسماء ذات الرجع) أى ذات المطر تعد المطر حينا بعد حين (والارض ذات الصدع) أى

﴿تفسير سورة الطارق﴾
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
(والسماء والطارق) يعنى النجوم كلها لان طلوعها بالليل وكلما أتى ليلا فهو طارق وقد فسر الله تعالى ذلك بقوله (النجم الثاقب) يعنى المضىء النير (ان كل نفس لما عليها) أى لعليها وما صلة (حافظ) أى من ربها يحفظ عملها (فلينظر الانسان مم خلق) أى من أى شئ خلقه ربه ثم بين فقال (خلق من ماء دافق) أى مدفوق مصبوب فى الرحم يعنى النطفة (يخرج من بين الصلب) يعنى الظهر وهو ماء الرجل (والترائب) عظام الصدر وهو ماء المرأة (انه) ان الله تعالى (على رجعه لقادر) وهو بعث الانسان واعادته بعد الموت (يوم تبلى السرائر) يعنى يوم القيامة وفى ذلك اليوم تختبر السرائر وهى الفرائض التى هى سرائر بين العبد وربه كالصوم والصلاة وغسل الجنابة ولو شاء العبد أن يقول فعلت ذلك ولم يفعله أمكنه فهى سرائر عند العبد وانما تبين وتظهر صحتها وأمانة العبد فيها يوم القيامة (فما له) يعنى الانسان الكافر (من قوة ولا ناصر والسماء ذات الرجع) يعنى المطر (والارض ذات الصدع) أى تتشقق عن

ذات النبات لان الارض تتصدع بالنبات كما قاله الليث (انه لقول فصل) أي ان ما أخبرتكم به من قدرتي على احيائكم في اليوم الذي تبلى سرائركم فيه لقول حق (وما هو بالهزل) أي ليس ذلك الخبر بالباطل وهذا كما قاله القفال لكن أكثر المفسرين قالوا أي ان القرآن الذي أخبر مبدأ حال الانسان ومعاده لقول مبين حق وقاطع شر وليس في شيء منه لعب بل كله جد محض فمن حقه أن يهتدي به الغواة وتخضع له رقاب العتاة (انهم يكيدون كيدا) أي ان أهل مكة يمكرون في ابطال أمر القرآن واطفاء نوره (وأكيد كيدا) أي أقابلهم بكيد قوي لا يمكن رده حيث أمهلهم على كفرهم حتى آخذهم على غرة (فمهل الكافرين) أي لا تستعجل يا أشرف الخلق بالدعاء عليهم باهلاكهم (أمهلهم رويدا) أي أمهلهم على مهلة قريبة الى يوم القيامة أو أمهلهم امهالا قليلا الى يوم بدر فرويدا اما مصدر مؤكد لمعنى العامل أو نعت لمصدره المحذوف

﴿سورة الاعلى مكية تسع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان وأربعة وثمانون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبح اسم ربك الاعلى) أي نزه اسمه تعالى عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة وعن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه فلا يجوز تفسير أسمائه تعالى بما لا يصح ثبوته في حقه تعالى نحو ان يفسر الاعلى بالعلو في المكان والاستواء بالاستقرار بل يفسر العلو بالقهر والاقتدار والاستواء بالاستيلاء ولا يجوز ان يذكر العبد به الا بالاسماء التي ورد الاذن بها من الشرع قال الواحدي معنى سبح اسم ربك أي نزه الاسم من السوء ومعنى سبح باسم ربك نزه الله تعالى بذكر اسمه الدال على تنزيهه تعالى وعلوه عما يقول المبطلون ومعنى الاعلى ان جلال كبريائه أعلى من معارفنا وادراكاتنا وأصناف آلائه ونعمائه أعلا من حمدنا وشكرنا وأنواع حقوقه أعلى من طاعاتنا وأعمالنا وقرأ علي وابن عمر سبحان ربي الاعلى (الذي خلق فسوى) أي الذي خلق كل ذي روح فكمل خلقه باليدين والرجلين والعينين والاذنين وسائر الاعضاء (والذي قدر) قرأه الجمهور مشددا أي أوقع تقديره في كل شيء فقدر خلقه حسنا أودميما طويلا أو قصيرا وقدر أرزاقهم وآجالهم وقرأه الكسائي على التخفيف أي تصرف في خلقه كيف أراد (فهدى) أي لمنافع الخلق ومصالحه فألهم كيف يأتي الذكر الانثى ويروى ان الافعى اذا بلغت ألف سنة عميت وقد ألهمها الله تعالى ان تحك عينها بورق الرازيانج فيرد الله اليها بصرها ويروى ان التمساح لا يكون له دبر وانما يخرج فضلات ما يأكله من فمه حيث قيض الله له طائرا قد جعل غذاءه من ذلك فاذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخله الطائر فيأكل ما فيه وقد خلق الله تعالى له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه (والذي أخرج المرعى) أي أنبت النبات والزروع وقال ابن عباس أي الكلاء الاخضر (فجعله) بعد خضرته (غثاء أحوى) أي دريسا أسود بأن ألصق السيل أجزاء كدورة به فيسود (سنقرئك فلا تنسى) أي نجعلك قارئا للقرآن فتقرؤه ولا تنساه أي انا نشرح صدرك ونقوي خاطرك حتى تحفظ القرآن حفظا لا تنساه قال مجاهد ومقاتل والكلبي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه القرآن أكثر تحريك لسانه مخافة ان ينسى وكان جبريل لا يفرغ من آخر الوحي فقال تعالى سنقرئك فلا تنسى أي سنعلمك هذا القرآن حتى تحفظه (الا ما شاء الله) ان ينسى النبي شيأ من القرآن وهذا الاستثناء بيان انه تعالى لو أراد ان يصير النبي ناسيا لذلك لقدر عليه ولو بالجملة وفائدة هذا الاستثناء ان الله تعالى امره قدرة الله حتى يعلم ان عدم النسيان من فضل الله لا من

(انه) ان القرآن (لقول فصل) يريد انه يفصل بين الحق والباطل (وما هو بالهزل) أي بالعبث والباطل (انهم) يعني مشركي مكة (يكيدون كيدا) أي يظهرون للنبي صلى الله عليه وسلم ما هم على خلافه (وأكيد كيدا) وهو استدراج الله اياهم من حيث لا يعلمون (فمهل الكافرين أمهلهم رويدا) يقول أخرهم قليلا فاني آخذهم بالعذاب فأخذوا يوم بدر وذلك انه كان يدعو الله عليهم فقال الله تعالى أمهلهم رويدا أي قليلا

﴿تفسير سورة الاعلى﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبح اسم ربك الأعلى) أي نزه ذات ربك من السوء وقيل معناه قل سبحان ربي الاعلى (الذي خلق فسوى) أي خلق الانسان مستوي الخلق (والذي قدر) الارزاق (فهدى) أي ثم هدى لطلبها (والذي أخرج من الارض (المرعى) النبات (فجعله غثاء) أي يابسا وهو ما يحمله السيل مما يجف من النبات (أحوى) أي أسود باليا (سنقرئك) أي سنجعلك قارئا لما يأتيك به جبريل من الوحي (فلا تنسى) شيأ وهذا وعد من الله لنبيه أن يحفظ عليه الوحي حتى لا يفلت منه شيء (الا ما شاء الله) يعني ما شاء الله أن ينسخه وقيل الا ما شاء الله وهو لا يشاء أن ينسى

قوله صلى الله عليه وسلم وقال الزجاج أى الاماشاء الله ان ينسى فانه ينسى ثم يتذكر بعد ذلك فلا ينسى نسيانا كليا دائما وقال مقاتل الاماشاء الله ان ينسيه فيكون المعنى الاماشاء الله ان تنساه على الاوقات كلها فيأمرك ان لاتقرأه ولاتصلى به فيصير ذلك سببا لنسيانه وزواله من الصدور (انه يعلم الجهر ومايخفى) أى انه تعالى عالم بجهرك فى القراءة مع قراءة جبريل عليه السلام وعالم بالسر الذى فى قلبك وهو انك تخاف النسيان فلا تخف فأنا أكفيك ماتخافه (وييسرك لليسرى) أى نوفقك للطريقة اليسرى فى كل باب من باب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية (فذكر ان نفعت الذكرى) أى عظ ياأشرف الرسل الناس بالقرآن واهدهم الى مافيه من الاحكام الشرعية كما كنت تفعله ان نفعت الموعظة فالتذكير العام واجب فى أول الامر فأما التكرير فانما يجب عند رجاء حصول المقصود فلهذا المعنى قيد التذكير بهذا الشرط وقيل ان بمعنى اذ كقوله تعالى وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين (سيذكر من يخشى) وهو من قطع بصحة المعاد ومن جوز وجوده بخلاف من أصر على انكاره وقطع بأنه لايكون قيل نزلت هذه الآية فى عثمان بن عفان وقيل نزلت فى ابن أم مكتوم (ويتجنبها الاشقى) أى ويتباعد عن الموعظة بالقرآن الاشقى وهو المعاند الذى لايلتفت الى الدعوة ولا يصغى اليها فالفرق ثلاثة العارف بصحة المعاد والمتوقف فيه والمعاند فالعارف هو السعيد والمتوقف له بعض الشقاء والمعاند هو الاشقى قيل نزلت هذه الآية فى الوليد وعتبة وأبى (الذى يصلى النار الكبرى) أى الذى يدخل الطبقة السفلى من طبقات النار (ثم) بعد دخوله النار (لايموت فيها) حتى يستريح (ولايحيى) حياة تنفعه (قد أفلح من تزكى) أى تطهر من دنس الشرك كما قال ابن عباس أى من قال لااله الاالله وقال الزجاج أى من تكثر من التقوى (وذكر اسم ربه) بقلبه ولسانه (فصلى) فمراتب أعمال المكلف ثلاثة ازالة العقائد الفاسدة عن القلب واستحضار معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وأسمائه والاشتغال بخدمته وقال بعضهم أى قد فاز من تصدق بصدقة الفطر قبل خروجه الى المصلى وكبر الله تعالى ثم صلى صلاة العيد مع الامام فأثنى الله على من فعل ذلك وان لم يكن فى مكة عيد ولازكاة فطر لان ذلك فى علم الله سيكون (بل تؤثرون الحياة الدنيا) أى أنتم يا كفار مكة لاتفعلون ذلك بل أنتم ترضون اللذات الفانية وتطمئنون بها وتعرضون عن الآخرة بالكلية أو أنتم أيها المسلمون لاتكثرون من التقوى بل تستكثرون من الدنيا الدنية على الاستكثار من الثواب وقرأ أبو عمرو يؤثرون بالياء أى الاشقون (والآخرة خير وأبقى) أى والحال ان الآخرة خير فى نفسها وأدوم لانها مشتملة على السعادة الجسمانية والروحانية ولذاتها خالصة عن الغائلة (ان هذا) أى قوله تعالى قد أفلح (لفى الصحف الاولى) أى لثابت معناه فيها (صحف ابراهيم وموسى)

﴿سورة الغاشية مكية ست وعشرون آية واثنتان وتسعون كلمة وثلاثمائة واحدى وثمانون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(هل أتاك حديث الغاشية) أى خبر القيامة التى تغشى الناس جميعا من الاولين والآخرين بشدائدها وهل استفهام أريد به التعجب مما فى ذلك الحديث والتشويق الى استماعه (وجوه يومئذ) أى يوم اذ غشيت (خاشعة) أى ذليلة بالعذاب (عاملة) أعمالا شاقة (ناصبة) أى ذات تعب فيها وهى جر السلاسل والاغلال وخوضهم فى النار خوض الابل فى الوحل وصعودهم فى تلال النار وهبوطهم فى

أى هون عليك الشرائع اليسرى وهى الحنيفية السمحة (فذكر) أى فعظ بالقرآن (ان نفعت الذكرى) التذكير (سيذكر) أى سيتعظ (من يخشى) الله (ويتجنبها) أى ويتجنب الذكرى ويتباعد عنها (الأشقى) فى علم الله (الذى يصلى النار الكبرى) أى يدخل جهنم (ثم لايموت فيها) أى موتا يستريح به من العذاب (ولايحيى) حياة يجد منها روح الحياة (قد أفلح) أى صادف البقاء فى الجنة (من تزكى) أى أكثر من العمل الصالح (وذكر اسم ربه فصلى) يعنى الصلوات الخمس (بل يؤثرون) أى يختارون (الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) من الدنيا (ان هذا) الذى ذكرت من افلاح المتزكى وكون الآخرة خيرا من الدنيا (لفى الصحف الأولى) أى مذكور فى الكتب المتقدمة (صحف ابراهيم وموسى) يعنى ما أنزل عليهما من الكتب

﴿تفسير سورة الغاشية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(هل أتاك حديث الغاشية) يعنى القيامة لانها تغشى الخلق ومعنى هل أتاك يعنى ان هذا لم يكن من علمك ولا من علم قومك (وجوه يومئذ خاشعة) أى ذليلة (عاملة) أى فى النار تعالج جرها وعذابها (ناصبة) أى ذات نصب وتعب

وعادها وهم الرهبان وأصحاب الصوامع كما قاله ابن عباس أو هم الخوارج كما قاله علي (تصلى نارا حامية) أي تدخل نارا متناهية في الحر وقرأ أبو عمرو وعاصم بضم التاء الفوقية وقوله تعالى وجوه مبتدأ وخاشعة وما بعده خبره وقيل خبره تصلى وما قبله صفات لوجوه ولا يوقف قبل الخبر وقرئ عاملة ناصبة على الشتم (تسقى من عين آنية) أي متناهية في الحر (ليس لهم طعام الا من ضريع) وهو ما يبس من الشبرق وهو نبت يكون في طريق مكة اذا كان رطبا تأكل منه الابل واذا يبس صار كأظفار الهرة وهو سم قاتل وهذا طعام لبعض أهل النار والزقوم والغسلين لآخرين (لا يسمن ولا يغني من جوع) أي غير مسمن وغير مشبع لانه ليس من جنس ضريع الدنيا روي ان كفار قريش قالت ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت هذه الآية (وجوه يومئذ ناعمة) أي ذات حسن وجمال (لسعيها راضية) أي لثواب عملها الذي عملته في الدنيا راضية حين رأت ذلك الثواب حتى لا تريد أكثر منه (في جنة عالية) مكانا ومنقبة (لا تسمع فيها لاغية) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وحفص بفتح التاء ونصب لاغية أي لا تسمع أنت يا أكرم الرسل أو يا مخاطب أو لا تسمع الوجوه في الجنة كلمة ذات لغو فانما يتكلمون بالحكمة وحمد الله على النعم وقرأ نافع بضم التاء الفوقية ورفع لاغية وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم الياء التحتية ورفع لاغية وقرأ المفضل والجحدري بفتح الياء التحتية ونصب لاغية أي لا يسمع فيها أحد يمينا لا برة ولا فاجرة (فيها عين جارية) أي في الجنة عين شراب جارية على وجه الارض في غير أخدود وتجري لهم كما أرادوا (فيها سرر مرفوعة) في الهواء لاجل ان يرى المؤمن اذا جلس عليها جميع ما أعطاه ربه في الجنة من النعيم والملك قال ابن عباس هي سرر ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة في السماء (وأكواب) أي كيزان (موضوعة) بين أيديهم لاستحسانهم اياها بسبب كونها من ذهب أو فضة أو من جوهر وتلذذهم بالشراب منها (ونمارق) أي وسائد (مصفوفة) بعضها الى جانب بعض أينما أراد أن يجلس جلس على واحدة واستند الى أخرى (وزرابي) أي بسط فاخرة (مبثوثة) أي منشورة مفرقة في المجالس فلما أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال كفار مكة ائتنا بآية بأن الله أرسلك الينا رسولا فقال الله تعالى (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) أي أينكر كفار مكة البعث ويستبعدون وقوعه من قدرة الله فلا ينظرون الى الابل نظر اعتبار كيف خلقت بشدة قوتها وعجيب هيئتها وصبرها على الجوع والعطش واحتمال المداومة على السير (والى السماء كيف رفعت) فوق الارض بلا عماد ولا امساك (والى الجبال كيف نصبت) نصبا راسيا على الارض لا يتزلزل (والى الارض كيف سطحت) أي بسطت على الماء وقرئ سطحت مشددا وقرأ علي رضي الله عنه وكرم وجهه خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وبناء المتكلم (فذكر) أي فاقتصر على التذكير والحمل على النظر في هذه الادلة (انما أنت مذكر) فلا بأس عليك في أن لا ينظروا بالاعتبار ولا يتذكروا بالافتكار انما عليك البلاغ (لست عليهم بمصيطر) أي لست يا أشرف الخلق بمتسلط عليهم بان تجبرهم على الايمان وقرأ هشام بالسين وحمزة باشمام الصاد كالزاي والباقون بالصاد الخالصة وقرئ بفتح الطاء (الا من تولى وكفر) وفي هذا الاستثناء قولان أحدهما انه استثناء حقيقي وفي هذا احتمالان اما أن يكون مستثنى من المفعول أي فذكر عبادي الا من أعرض عن الايمان وكفر بالقرآن فاستحق العذاب الاكبر واما أن يكون مستثنى من الضمير في عليهم أي لست عليهم بمسيطر الا على من انقطع طمعك من ايمانه وتولى عنك وكفر بالله فان لله القهر وسيأمرك بقتالهم فان جهاد الكفار وقتالهم تسليط فكأنه تعالى أوعدهم بالجهاد في الدنيا وبعذاب النار في الآخرة وثانيهما ان هذا الاستثناء منقطع عما قبله والتقدير لست بمستول عليهم لكن من تولى

(تصلى نارا حامية) أي تقاسي حرها وقوله حامية أي حارة (تسقى من عين آنية) أي متناهية في الحرارة (ليس لهم) أي في جهنم (طعام الا من ضريع) وهو يبيس الشبرق وهو نوع من الشوك لا تقربه دابة ولا ترعاه وصفته ما ذكر الله تعالى (لا يسمن ولا يغني من جوع وجوه يومئذ ناعمة لسعيها) في الدنيا (راضية) أي حين أعطيت الجنة بعملها (في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية) أي لغوا وباطلا وقوله (ونمارق مصفوفة) أي وسائد بعضها بجنب بعض (وزرابي) وهي البسط والطنافس (مبثوثة) أي مفرقة في المجالس ثم نبههم على عظيم من خلقه قد ذلله للصغير ليدلهم بذلك على توحيده فقال (أفلا ينظرون) يعني الكفار (الى الابل كيف خلقت) وقوله (سطحت) أي بسطت (فذكر انما أنت مذكر) أي ذكرهم نعم الله ودلائل توحيده فانك مبعوث بذلك (لست عليهم بمصيطر) بمسلط تكرههم على الايمان وهذا قبل أن أمر بالحرب (الا من تولى وكفر) لكن من أعرض عن الايمان وكفر

منهم فان الله تعالى يعذبه العذاب الاكبر الذى هو عذاب جهنم وعلامة كون الاستثناء منقطعا حسن دخول أن فى المستثنى به واذا كان الاستثناء متصلا لم يحسن ذلك ألا ترى أنك تقول عندى مائتان الادرهما فلا يحسن عليه دخول ان وههنا يحسن دخول ان فانك تقول الأن من تولى وكفر (فيعذبه الله العذاب الاكبر) وسمى العذاب بالاكبر لانه قد بلغ حد عذاب الكفر فان ماعداه من عذاب الفسق دونه وقرئ ألا من تولى بفتح الهمزة على التنبيه وهذا مما يقوى القول بان الاستثناء منقطع وفى قراءة ابن مسعود فانه يعذبه الله (ان الينا ايابهم) أى رجوعهم بالموت والبعث لاالى أحد سوانا قرأ أبو جعفر المدنى بتشديد الياء (ثم ان علينا حسابهم) فى المحشر على النقير والقطمير لاعلى غيرنا والحساب واجب عليه تعالى بحكم الوعد الذى يمتنع الخلف فيه وفى الحكمة فانه تعالى لولم ينتقم للمظلوم من الظالم لكان ذلك شبيها بكونه تعالى راضيا بذلك الظلم تعالى الله تعالى عنه وذكر تعالى هذه الآية ليزيل بها عن قلب النبى صلى الله عليه وسلم حزنه على كفرهم

﴿سورة الفجر مكية تسع وعشرون آية ومائة وتسع وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والفجر) وهو صبح النهار أقسم الله به لحصول انتشار الناس وسائر الحيوانات به فى طلب الرزق فهو مشاكل لنشور الموتى من قبورهم وفيه عبرة لمن تأمل (وليال عشر) من أول ذى الحجة وفى الخبر مامن أيام العمل الصالح فيه أفضل من أيام العشر وذلك لانها أيام الاشتغال بالحج فى الجملة وقرئ وليال عشر بالاضافة على أن المراد العشر الايام (والشفع والوتر) فالشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم فسرهما بيوم النحر و بيوم عرفة وقال أبو بكر الوارق الشفع صفات الخلق كالعلم والجهل والقدرة والعجز والبصر والعمى والحياة والموت والوتر صفات الله تعالى وهى وجود بلاعدم حياة بلاموت علم بلاجهل قدرة بلاعجز عز بلاذل وقال مقاتل الشفع هو الليالى والايام والوتر هو اليوم الذى لاليل بعده وهو يوم القيامة وقرأ حمزة والكسائى والوتر بكسر الواو والباقون بفتحها والكسر قراءة الحسن والاعمش وابن عباس وهى لغة تميم والفتح قراءة أهل المدينة وهى لغة حجازية (والليل اذا يسر) أى يذهب وهى ليلة المزدلفة فانه يذهب ويجىء فيه الناس وقال مقاتل أى اذا يسار فى ذلك الليل وهى ليلة المزدلفة وقرأ نافع وأبو عمرو بحذف ياء يسر وقفا واثباتها وصلا وأثبتها ابن كثير فى الحالين وحذفها الباقون فى الحالين لسقوطها فى خط المصحف الكريم وقرئ يسر بالتنوين كما قرئ به والفجر والوتر وهو التنوين الذى يقع بدلا من حرف الاطلاق (هل فى ذلك قسم لذى حجر) أى هل فى هذه الاشياء المذكورة مقسم به لذى عقل والمراد من هذا الاستفهام التأكيد والتحقيق والمعنى أن من كان ذا لب علم أن ما أقسم الله تعالى بهذه الاشياء فيه عجائب ودلائل على التوحيد والربوبية فهو حقيق بان يقسم به لدلالته على خالقه وجواب القسم محذوف لدلالة المعنى عليه أى لنجازين كل أحد بما عمل بدليل تعديد مافعل بالقرون الخالية فالوقف هنا تام كما قاله أبو حاتم وغيره وقال ابن الانبارى جواب القسم قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد أى وانما أجازوا الوقف هنا لطول الكلام لكن ينبغى حينئذ أن يقال وقف صالح أونحوه لاتام للفصل بين القسم وجوابه (ألم تر كيف فعل ربك بعاد) أى ألم تعلم يا أشرف الخلق علما يقينا كيف أهلك الله قوم هود عند التكذيب (ارم) عطف بيان لعاد للاعلام بانهم عاد الاولى القديمة ان جعلنا ارم اسما للقبيلة بتقدير مضاف أى سبط ارم فارم جد عاد فان عادا هو ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام

(فيعذبه الله العذاب الاكبر) أى عذاب جهنم (ان الينا ايابهم) أى رجوعهم (ثم ان علينا حسابهم)

﴿تفسير سورة الفجر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والفجر) يعنى فجر كل يوم (وليال عشر) أى عشر ذى الحجة (والشفع) يعنى يوم النحر لانه اليوم العاشر (والوتر) يعنى يوم عرفة لانه اليوم التاسع (والليل اذا يسر) يعنى ليلة المزدلفة اذا مضى فذهب وقيل اذا جاء وأقبل (هل فى ذلك) الذى ذكرت (قسم لذى حجر) أى مقنع ومكتفى فى القسم وقوله لذى حجر أى لذى عقل ثم ذكر الامم التى كذبت الرسل كيف أهلكهم فقال (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم) يعنى عادا الأولى وهو عاد بن عوص بن ارم وارم اسم للقبيلة

وان جعلنا ارم اسم البلدة كان التقدير بعاد أهل ارم ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وقرأ الحسن بعاد ارم مفتوحتين (ذات العماد) أى ذات الاساطين من ذهب وفضة أى ذات القدود الطوال (التى لم يخلق مثلها) أى مثل تلك المدينة فى الحسن والجمال أو مثل عاد فى عظم الجثة وشدة القوة (فى البلاد) أى فى جميع بلاد الدنيا وقرأ ابن الزبير ولم يخلق مثلها بالبناء للفاعل أى لم يخلق الله مثل ارم مدينة شداد روى انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا بعده وقهرا البلاد والعباد ثم مات شديد وخلص الملك لشداد فملك الدنيا ودانت له الدنيا وكان يحب قراءة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها ودعته نفسه الى بناء مثلها عتوا على الله تعالى فبنى مدينة ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلاثمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الاشجار والانهار المطردة فروى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له شردت فبينما هو يسير فى صحارى عدن اذ وقع على مدينة فى تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها ظن أن فيها أحدا يسأله عن ابله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب المدينة فاذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعان بالياقوت الاحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها واذا فيها قصور فى كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة وأحجار اللؤلؤ والياقوت واذا أبواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضا وهى مفروشة كلها باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير أحدا هاله ذلك ثم نظر الى الازقة فاذا فى تلك الازقة أشجار مثمرة وتحت تلك الاشجار أنهار يجرى ماؤها فى قنوات من فضة فقال الرجل فى نفسه هذه الجنة وحمل معه من لؤلؤها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع الى اليمن وأظهر ما كان معه وحدث بما رأى فبلغ ذلك معاوية فارسل اليه فقدم عليه فسأله عن ذلك فقص عليه ما رأى فارسل معاوية الى كعب الاحبار فلما أتاه قال له يا أبا اسحق هل فى الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم هى ارم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال فحدثنى حديثها فقال لما أراد شداد بن عاد عملها أمر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الاعوان وكتب الى ملوك الارض أن يمدوهم بما فى بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يسيرون فى الارض ليجدوا أرضا موافقة فوقفوا على صخرة نقية من التلال واذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا هذه الارض التى أمر الملك أن يبنى فيها فوضعوا أساسها من الجزع اليمانى وأقاموا فى بنائها ثلاثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة سنة فلما أتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا عليها حصنا أى سورا واجعلوا حوله ألف قصر وعند كل قصر ألف علم ليكون فى كل قصر وزير من وزرائى ففعلوا وأمر الملك وزراءه وهم ألف وزير أن يتهيؤا للنقلة الى ارم ذات العماد وكان الملك وأهله فى جهازهم عشر سنين ثم ساروا اليها فلما كانوا من المدينة على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعا ولم يبق منهم أحد ثم قال كعب وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فابصر عبد الله بن قلابة فقال هذا والله هو ذلك الرجل (وثمود) أى وكيف أهلك الله قوم صالح وثمود قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود أخى جديس وهما ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك يعبدون الاصنام كعاد (الذين جابوا الصخر بالواد) أى الذين قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتا بوادى القرى وهو موضع بقرب المدينة فيهم أول من نحت الجبال والصخور والرخام [illegible] كلها من الحجارة (وفرعون ذى الاوتاد) سمى بذلك لانه كان اذا غضب على أحد شده بأربعة أوتاد

(ذات العماد) أى ذات الطول وقيل ذات البناء الرفيع وقيل ذات العمد السيارة وذلك أنهم كانوا أهل عمد سيارة ينتجعون الغيث (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) أى فى بطشهم وقوتهم وطول قامتهم (وثمود الذين جابوا) أى قطعوا (الصخر) فاتخذوا منها البيوت (بالواد) يعنى وادى القرى وكانت مساكنهم هناك (وفرعون ذى الاوتاد) أى ذى الجنود والجموع الكثيرة وكانت لهم مضارب كثيرة يوتدونها فى أسفارهم وقوله

مطروسين على الارض الى أن يموتوا وقيل لكثرة جنودهم وخيامهم التي ينصبونها في منازلهم وقال ابن عباس أي ذي الجنود والعساكر التي تشد ملكه (الذين طغوا في البلاد) والموصول منصوب على الذم أو مرفوع كذلك أي الذين تجبر كل واحد من عاد وثمود وفرعون في بلادهم على أنبياء الله والمؤمنين (فأكثروا فيها الفساد) بالقتل وعبادة الاوثان وسائر المعاصي (فصب عليهم ربك سوط عذاب) أي فأنزل الله انزالا شديدا أعقب طغيانهم وفسادهم على كل طائفة من أولئك الطوائف جزء عذاب فأهلك عادا بالريح وثمود بالصيحة وفرعون بالغرق وذكر السوط اشارة الى أن ما أنزله الله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس الى ما أعدلهم في الآخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به (ان ربك) يا أشرف الخلق (لبالمرصاد) أي لفي الطريق عليه تعالى ممر سائر الخلق كما قاله ابن عباس أي ان اليه المصير كما قاله الفراء وهذا عام للمؤمنين والكافرين (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه) أي اذا امتحنه ربه بالنعمة (فأكرمه) بالمال والجاه والولد (ونعمه) أي وسع عليه معيشته (فيقول ربي أكرمن) أي فضلني بما أعطاني (وأما اذا ما ابتلاه) أي وأما هو اذا اختبره ربه بالفقر (فقدر عليه رزقه) أي فضيق عليه معيشته (فيقول ربي أهانن) قوله تعالى فأما الانسان متصل من حيث المعنى بقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد فكأنه قيل ان الله لا يريد من الانسان الا الطاعة التي تنفعه في الآخرة فانه يراقب أحواله ويجازيه بأعماله خيرا وشرا في الآخرة فأما الانسان فلا يريد الا الدنيا ولذاتها فان وجد الراحة في الدنيا يقول ربي أكرمني وان لم يجدها يقول ربي أهانن وأما هنا لمجرد التأكيد لا للتفصيل المجمل مع التأكيد والانسان مبتدأ خبره فيقول والظرف وهو اذا منصوب بالخبر لان الظرف في نية التأخير ودخول الفاء في الخبر لما في أما من معنى الشرط وما زائدة والفاء في قوله تعالى فأكرمه تفسيرية والوقف في أكرمن مفهوم وفي أهانن حسن وقال أبو عمرو والوقف فيهما كاف وقيل تام وقال الكلبي ان المراد من الانسان أبي بن خلف وقال مقاتل وابن جريج نزلت هذه الآية في أمية بن خلف وروي عن ابن عباس أن المراد بالانسان عتبة بن ربيعة وأبو حذيفة بن المغيرة وقيل انه كافر جاحد ليوم الجزاء وقرأ نافع أكرمن وأهانن باثبات الياء فيهما وصلا وحذفها وقفا وقرأهما البزي عن ابن كثير باثباتها في الحالين وعن أبي عمرو ان الحذف في الوصل أعدل والباقون بالحذف في الحالين وقرأ ابن عامر فقدر عليه رزقه بتشديد الدال أي جعله على مقدار البلغة (كلا) ردع على من ظن ذلك المذكور والمعنى ليس اكرامي بالمال والغنى واهانتي بالفقر وقلة المال ولكن اكرامي بالمعرفة والتوفيق واهانتي بالنكرة والخذلان والوقف هنا حسن وهو أحسن من الوقف على أهانن (بل لا تكرمون اليتيم) أي قل يا محمد لهم بل لكم أحوال أشد شرا من ذلك القول وهو ان الله تعالى يكرمكم بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه فانكم لا تحسنون الى اليتيم ولا تعرفون حقه (ولا تحاضون على طعام المسكين) بحذف احدى التاءين وهو قراءة الكوفيين أي لا يحض بعضكم بعضا على اطعام المسكين وقرئ ولا تحضوا أي لا تأمرون باطعامه وفي قراءة ابن مسعود ولا تحاضون بضم التاء أي لا يحض كل واحد منكم صاحبه وهذا اشارة الى ترك بر اليتيم (وتأكلون التراث أكلا لما) أي وتأكلون تراث اليتامى أكلا جامعا فانكم تجمعون نصيبهم الى نصيبكم وهذا اشارة الى دفع اليتيم عن حقه الثابت له في الميراث وأكل ماله (وتحبون المال حبا جما) أي كثيرا وهذا اشارة الى أخذ مال اليتيم منه وقرأ أبو عمرو يكرمون وما بعده بالياء التحتية (كلا) أي لا ينبغي أن يكون الامر هكذا في الحرص على الدنيا حتى (اذا دكت الارض دكا دكا) أي اذا انكسر كل شئ على وجه الارض من جبل أو شجر وبناء حين زلزلت فلم يبق

العذاب ...
القسم الذي في أول السورة (لبالمرصاد) أي بحيث يرى ويسمع ويرصد أعمال بني آدم (فأما الانسان) يعني الكافر (اذا ما ابتلاه ربه) أي امتحنه بالنعمة والسعة (فأكرمه) بالمال (ونعمه) بما وسع عليه (فيقول ربي أكرمن) لا يرى الكرامة من الله الا بكثرة الحظ من الدنيا (وأما اذا ما ابتلاه فقدر) أي ضيق (عليه رزقه فيقول ربي أهانن) أي ترى الهوان قلة حظه من الدنيا وهذه صفة الكافر وأما المؤمن فالكرامة عنده أن يكرمه بطاعته والهوان ان يهينه بمعصيته ثم رد على هذا الكافر فقال (كلا) أي ليس الامر كما يظن هذا الكافر (بل لا يكرمون اليتيم) اخبار عما كانوا يفعلونه من ترك توريث اليتيم وحرمانه ما يستحق من الميراث (ولا يحضون على طعام المسكين) أي لا يأمرون به ولا يبعثون عليه (ويأكلون التراث) يعني ميراث اليتامى (أكلا لما) أي شديدا يعني يجمعون المال كله في الاكل فلا يقطعون اليتيم نصيبه (ويحبون المال حبا جما) أي كثيرا (كلا) أي ما هكذا ينبغي أن يكون الامر (اذا دكت الارض دكا دكا) أي اذا زلزلت الارض فكسر بعضها بعض

على ظهرها شئ حتى صارت ملساء (وجاء ربك) أى جاء ظهوره وقهره أى حصل تجليه تعالى على الخلائق أى زالت الشبهة وارتفعت الشكوك وظهر سلطان قهره (والملك صفا صفا) أى وتنزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب مراتبهم محدقين بالجن والانس فيكونون سبع صفوف (وجيء يومئذ بجهنم) مزمومة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها الى المحشر ويكشف عنها حتى رآها الخلق وعلم الكافر أن مصيره اليها (يومئذ) بدل من اذا دكت (يتذكر الانسان) ما فرط فيه ويتعظ الكافر فيقول ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا وهذا جواب اذا (وأنى له الذكرى) أى ومن أين له العظة وقد فاته أوانها (يقول) أى الانسان الكافر (ياليتنى قدمت لحياتى) فيا للتنبيه أى ليتنى قدمت عملا يوجب نجاتى من النار حتى أكون من الاحياء (فيومئذ) أى يوم اذ يقول الانسان ذلك (لايعذب عذابه أحد) أى لا يعذب أحد من الزبانية مثل تعذيب الكافر (ولا يوثق وثاقه أحد) أى ولا يوثق أحد من الزبانية بالسلاسل والاغلال مثل ايثاق الكافر لتناهيه فى كفره وفساده وقرأ الكسائى لايعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء أى لايعذب أحد مثل عذاب الكافر ولا يوثق أحد بالسلاسل والاغلال مثل وثاق الكافر (ياأيتها النفس المطمئنة) بذكر الله وطاعته وقرأ أبى بن كعب ياأيتها النفس الآمنة المطمئنة وهى التى لا يستفزها خوف ولا حزن وهذه الخاصة قد تحصل عند الموت عند سماع البشارة من الملائكة وتحصل عند البعث وعند دخول الجنة بلا شك أى يقول الله للمؤمن اكراما أو على لسان ملك ياأيتها النفس المطمئنة (ارجعى الى ربك) أى الى ثواب ربك (راضية) بما أوتيت من النعيم المقيم (مرضية) عند الله عز وجل فى الاعمال التى عملتها فى الدنيا (فادخلى فى عبادى) أى فى زمرة عبادى الصالحين المختصين بى (وادخلى جنتى) معهم وقرئ فادخلى فى عبدى وقرئ فى جسد عبدى وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث قيل نزلت هذه الآية فى حمزة بن عبد المطلب وروى الضحاك انها نزلت فى عثمان حين وقف بئر رومة وقيل نزلت فى خبيب بن عدى الذى صلبه أهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لى عندك خير فحول وجهى نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع أحد ان يحوله والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

﴿سورة البلد مكية وهى عشرون آية واثنتان وثمانون كلمة وثلثمائة وعشرون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لا) قال الاخفش هى مزيدة (أقسم بهذا البلد) وهو مكة (وأنت حل بهذا البلد) أى أنت نازل فى هذا البلد أو أنت فى حل مما صنعت فى هذا البلد فان الله فتح مكة عليه صلى الله عليه وسلم وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل صلى الله عليه وسلم فيها ما شاء وحرم ما شاء قتل عبد الله بن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار أبى سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام الى أن تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلى ولن تحل لاحد بعدى ولم تحل لى الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يارسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر (ووالد وما ولد) فالوالد آدم وما ولد ذريته وقيل كل والد وولد (لقد خلقنا الانسان فى كبد) أى فى

تقادبسبعين ألف زمام كل زمام بأيدى سبعين ألف ملك (يومئذ يتذكر الانسان) أى يظهر الكافر التوبة (وأنى له الذكرى) أى ومن أين له التوبة (يقول ياليتنى قدمت لحياتى) أى للدار الآخرة التى لا موت فيها (فيومئذ لايعذب عذابه أحد) أى لا يتولى عذاب الله يومئذ أحد والامر يومئذ أمره ولا أمر لغيره (ولا يوثق وثاقه أحد) يعنى بالوثاق الاسارى فى السلاسل والاغلال والمعنى لا يبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله فى التعذيب والايثاق (ياأيتها النفس المطمئنة) الى ما وعد الله المصدقة بذلك (ارجعى الى ربك) يقال لها ذلك عند الموت (راضية) أى بما أتاها الله (مرضية) رضى عنها ربها هذا عند خروجه من الدنيا فاذا كان يوم القيامة قيل لها (فادخلى فى عبادى) أى فى جملة عبادى الصالحين (وادخلى جنتى)

﴿تفسير سورة البلد﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لا أقسم) المعنى أقسم ولا توكيد (بهذا البلد) يعنى مكة (وأنت) يامحمد (حل) أى حلال (بهذا البلد) تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر أحلت له مكة ساعة من نهار يوم الفتح حتى قاتل وقتل من شاء (ووالد) أقسم بآدم (وما ولد) أى وولده وما بمعنى من (لقد خلقنا الانسان فى كبد) أى مشقة يكابد أمر الدنيا والآخرة ومنه اعتدال

اعتدال القامة أو في تعب فانه لايزال يقاسي فنون الشدائد من وقت نفخ الروح الى حين نزعها وما وراءه وليس في هذه الدنيا لذة البتة فالذي يظن الانسان أنه لذة فهو خلاص عن الالم وما يتخيل من اللذة عند الاكل فهو خلاص عن ألم الجوع وما يتخيل من اللذة عند اللبس فهو خلاص عن ألم الحر والبرد فليس للانسان الا ألم أو خلاص عن ألم فاذا لابد بعد هذه الدار من دار أخرى لتكون تلك الدار دار اللذات والسعادات والكرامات (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) أي أيحسب الانسان بقوته أنه لن يقدر على بعثه ومجازاته أو على تغيير أحواله أحد وهو الله تعالى (يقول) أي الانسان كلدة بن أسيد أو الوليد بن المغيرة (أهلكت مالا لبدا) أي أنفقت مالا كثيرا في عداوة محمد عليه الصلاة والسلام فلم ينفعني ذلك شيأ وقرأ أبو جعفر بتشديد الباء مفتوحة وقرأ مجاهد وحميد بضم الباء واللام مخففا والباقون بضم اللام وكسرها وفتح الباء مخففا (أيحسب أن لم يره أحد) أي أيحسب هذا الانسان انه لم يره أحد وهو الله تعالى حين كان ينفق وانه تعالى لا يسأله عن انفاقه ولا يجازيه عليه (ألم نجعل له عينين) ينظر بهما (ولسانا) ينطق به (وشفتين) يستر بهما فاه (وهديناه النجدين) أي بيناله الطريقين طريق الخير والشر أو دللناه على الثديين لانهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه فان الله تعالى هدى الطفل الصغير الى الثديين حتى ارتضعهما (فلا اقتحم العقبة) أي فهلا تلبس من أنفق ماله بمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر أو فلم يشكر تلك النعم الجليلة بتحصيل الاعمال الصالحة (وما أدراك ما العقبة) أي أي شئ أعلمك ما الدخول في صعاب الطريق (فك رقبة) أي هي اعتاق رقبة أو اعطاء مكاتب ما يصرفه الى جهة فكاك نفسه أو تخليص شخص من قود أو غرم أو فك المرء رقبة نفسه باجتناب المعاصي وفعل الطاعات التي يصير بها الى الجنة ويتخلص بها من النار فهذه هي الحرية الكبرى (أو اطعام في يوم ذي مسغبة) أي مجاعة (يتيما ذا مقربة) أي ذا قرابة (أو مسكينا ذا متربة) أي ذا افتقار كأنه لصق بالتراب من ضره فليس فوقه ما يستره ولا تحته ما يفرشه قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة بصيغة المصدر في فك واطعام وهو خبر مبتدا محذوف والباقون بصيغة الفعل فيهما على الابدال من اقتحم المنفي بلا كأنه قيل فلا فك رقبة ولا أطعم فلا مكررة في المعنى فلا يقال ان لا لاتدخل على الماضي الا مكررة (ثم كان) أي مكتسب الطاعات داخل الامور الصعاب (من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر) أي أوصى بعضهم بعضا بالصبر على اداء الطاعات وعلى المرازي (وتواصوا بالمرحمة) أي بالرحمة على عباده فقوله وتواصوا بالصبر اشارة الى التعظيم لامر الله وقوله وتواصوا بالمرحمة اشارة الى الشفقة على خلق الله ومدار أمر الطاعات ليس الا على هذين الاصلين فان الاصل في التصوف أمران صدق مع الحق وخلق مع الخلق (أولئك) أي الموصوفون بتلك الصفة (أصحاب الميمنة) أي الجانب الذي فيه البركة والنجاة من كل هلكة (والذين كفروا بآياتنا) أي بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة (هم أصحاب المشأمة) أي الخصلة المكتسبة للحرمان (عليهم نار مؤصدة) أي مطبقة فلا يخرجون منها أبدا قرأ أبو عمرو وحفص وحمزة بالهمز والباقون بواو ساكنة

﴿سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية وأربع وخمسون﴾

[illegible] وقيل منتصبا معتدلا (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) نزلت في رجل من بني جمح كان يكنى أبا الاشدين كان يوضع [illegible] أيحسب بقوته أن لن يقدر عليه أحد والله قادر عليه (يقول أهلكت مالا) على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم (لبدا) أي كثيرا بعضه فوق بعض وهو كاذب في ذلك قال تعالى (أيحسب أن لم يره أحد) أي في انفاقه فيعلم مقدار (٤٤٧) نفقته ثم ذكر ما يستدل به على أن الله قادر عليه وأنه يحصي عليه ما جمع فقال (ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين) يقول ألم نعرفه طريق الخير والشر (فلا اقتحم العقبة) أي لم يدخل العقبة وهذا مثل ضربه الله تعالى للمتقين في طاعة الله تعالى للمنفق في طاعة الله يحتاج ان يتحمل الكلفة كمن يتكلف صعود العقبة ثم يقول لم ينفق هذا الانسان في طاعة الله شيأ (وما أدراك ما العقبة) أي ما اقتحام ثم فسره فقال (فك رقبة) وهو اخراجها من الرق بالعون في ثمنها (أو اطعام في يوم ذي مسغبة) أي ذي مجاعة (يتيما ذا مقربة) أي ذا قرابة (أو مسكينا ذا متربة) أي ذا فقر قد لصق من فقره بالتراب (ثم كان من الذين آمنوا) أي كان مقتحم العقبة وفاك الرقبة والمطعم من الذين آمنوا فانه ان لم يكن منهم لم تنفعه قربة (وتواصوا) أي أوصى بعضهم بعضا (بالصبر) على طاعة الله تعالى (وتواصوا بالمرحمة) أي بالرحمة على الخلق (أولئك أصحاب الميمنة) أي من كان بهذه الصفة فهو من جملة أصحاب اليمين (والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة) أي أصحاب الشمال وقيل في الميمنة انهم الميامين على أنفسهم وفي المشأمة انهم المشائيم على أنفسهم (عليهم نار مؤصدة) أي مطبقة

﴿تفسير سورة والشمس﴾

بسم الله الرحمن الرحيم (والشمس وضحاها) أي وضيائها (والقمر اذا تلاها) أي تبعها في الضياء والنور [illegible]
من الشهر ... الشمس في النور (والنهار اذا جلاها) أي جلى الظلمة وكشفها وقيل جلى الشمس وبينها لانها تتبين اذا انبسط النهار (والليل اذا يغشاها) أي جنّ الشمس (والسماء وما بناها) أي وبنائها (والارض وما طحاها) أي وطحوها يعني بسطها (ونفس وما سواها) أي وتسوية خلقها (فألهمها فجورها وتقواها) أي أعلمها الطاعة والمعصية وبين لها طريقهما (قد أفلح) أي سعد (من زكاها) أي أصلح الله نفسه وطهرها من الذنوب (وقد خاب من دساها) أي جعلها الله قليلة خسيسة حتى عملت بالفجور ومعنى دساها أخفى نورها وحملها ووضع منها وأخلها وخذلها (كذبت ثمود بطغواها) أي بطغيانها كذبت الرسول (اذ انبعث أشقاها) أي قام أشقاها عاقر الناقة (فقال لهم رسول الله) صالح (ناقة الله) ذروا ناقة الله (وسقياها) وشربها في يومها (فكذبوه فعقروها) فقتلوا الناقة وقوله (فدمدم عليهم ربهم) أي أهلكهم هلاك استئصال (بذنبهم فسواها) أي سوى الدمدمة عليهم فعمهم بها وقيل سوى ثمود بالهلاك فأنزله بصغيرها وكبيرها (ولا يخاف عقباها) يعني لا يخاف الله تبعة ما أنزل بهم ... ولا يخاف أشقاها أي عاقبة جنايته

كلمة ومائتان وسبعة وأربعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والشمس وضحاها) أي ضوئها اذا ارتفعت وقام سلطانها (والقمر اذا تلاها) أي تبع الشمس بان طلع بعد غروبها وذلك في النصف الاول من الشهر (والنهار اذا جلاها) أي اذا أظهر الشمس فانها تتكشف عند انبساط النهار فكانه أظهرها مع أنها هي التي تبسطه (والليل اذا يغشاها) أي يغطي ضوء الشمس بظلمته (والسماء وما بناها) أي والذي خلقها وهو الله تعالى أقسم بنفسه (والارض وما طحاها) أي بسطها على الماء (ونفس وما سواها) أي وجسد كثير والذي أنشأها متناسبة الاعضاء أو وقوة مدبرة والذي أعطاها قوى كثيرة كالقوة السامعة والباصرة والمفكرة والمذكرة (فألهمها فجورها وتقواها) أي أفهمها ما لهما من الحسن والقبيح وقيل ألهم الله الكافر فجوره وألهم المؤمن المتقي تقواه (قد أفلح من زكاها) أي قد أدرك من طهر نفسه من الذنوب مطلوبه بفعل الطاعة ومجانبة المعصية (وقد خاب من دساها) أي وقد خسر من أخفى نفسه في المعاصي حتى انغمس فيها (كذبت ثمود بطغواها) أي فعلت ثمود تكذيب الرسول بسبب مجاوزتها الحد في العصيان أو كذبت ثمود بعذابها أي لم يصدقوا رسولهم فيما أنذرهم به العذاب فالطغوى على هذا اسم للعذاب الذي أهلكوا به (اذ انبعث أشقاها) أي حين قام أشقى ثمود وهو قدار بن سالف ومصدع بن دهر اعقر الناقة برضاهم (فقال لهم) أي لثمود (رسول الله) صالح لما عرف منهم أنهم قد عزموا على عقر الناقة (ناقة الله وسقياها) أي ذروا عقر الناقة التي هي آية الله الدالة على توحيده وعلى نبوتي واحذروا شربها فلا تمنعوها عنه في نوبتها (فكذبوه) أي رسول الله صالحا في وعيده بالعذاب (فعقروها) قال الفراء عقر الناقة اثنان وقال قتادة ذكر لنا ان قدارا أبى أن يعقرها حتى بايعه صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم (فدمدم عليهم ربهم) أي أهلكهم ربهم (بذنبهم) أي بسبب قتلهم الناقة وتكذيبهم صالحا عليه السلام (فسواها) أي سوى هذه الطائفة في انزال العذاب بهم صغيرهم وكبيرهم ووضيعهم وشريفهم وذكرهم وأنثاهم وقرأ ابن الزبير فدهدم بهاء بين الدالين (ولا يخاف عقباها) أي ولا يخاف الله عاقبة هذه الفعلة كما تخاف الملوك عاقبة ما تفعله وهذه اشارة الى أنهم أذلاء عند الله تعالى وقيل لا يخاف رسول الله صالح عقبى هذه العقوبة ولا يخشى ضررا يعود عليه من عذابهم وقيل قام الاشقى لعقر الناقة والحال أنه غير خائف عاقبة هذه الفعلة الشنعاء أي فهو كالآمن من نزول الهلاك به و بقومه ففعل مع هذا الخوف الشديد فعل من لا يخاف البتة فنسب في ذلك الى الحق وقرأ نافع وابن عامر فلا يخاف بالفاء والباقون بالواو وهي للحال أو للاستئناف الاخباري وقرئ ولم يخف وهو مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم

﴿سورة والليل مكية وهي احدى وعشرون آية واحدى وسبعون كلمة وثلثمائة وعشرون حرفا قال القفال رحمه الله نزلت هذه السورة في أبي بكر وانفاقه على المسلمين وفي أمية ابن خلف وبخله وكفره بالله والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والليل اذا يغشى) أي حين يغشى الشمس (والنهار اذا تجلى) أي ظهر بزوال ظلمة الليل

(وما

﴿تفسير سورة والليل﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والليل اذا يغشى) أي يغشى الافق بظلمته (والنهار اذا تجلى) أي انار وظهر

(وماخلق) أي ومن خلق (الذكر والانثى) وهو الله تعالى (ان سعيكم لشتى) أي عملكم لمختلف يريد به ما بعد يعني عمل المؤمن و[illegible]
الكافر نزلت في أبي بكر رضي الله عنه وأبي سفيان بن حرب (فأما من أعطى) ماله (واتقى) ربه فاجتنب محارمه (وصدق بالحسنى) يعني
أيقن بأن الله يخلف عليه وقيل صدق بأن لا اله الا الله (فسنيسره) أي فسنهيئه (لليسرى) أي للخلة اليسرى

(وماخلق الذكر والانثى) أي والذي خلق صنفي الذكر والانثى من كل ماله توالد قرأ النبي صلى الله عليه وسلم والذكر والانثى وقرأ ابن مسعود والذي خلق الذكر والانثى وعن الكسائي وماخلق الذكر بالجر والمعنى وماخلقه الله تعالى أي ومخلوق الله ثم يجعل الذكر بدلا منه أي ومخلوق الله الذكر والانثى (ان سعيكم لشتى) أي ان عملكم لمختلف في الجزاء لان بعضه ضلال يوجب النيران وبعضه هدى يوجب الجنان (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) أي فأما من أعطى من ماله في سبيل الله واجتنب المحارم وصدق بالشرائع فسنهيئه للخصلة التي تؤدي الى راحة كدخول الجنة (وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) أي وأما من بخل بماله فلم يبذله في سبيل الخير واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة وكذب بعدة الله من الخلف الحسن فسنهيئه للخصلة المؤدية الى الشدة كدخول النار (ومايغني عنه ماله اذا تردى) أي ولا ينفعه ماله الذي جمعه في الدنيا اذا مات أو أي شئ ينفعه ماله الذي بخل به ولم يصحبه منه الى آخرته اذا سقط في حفرة قبر أو في جهنم (ان علينا للهدى) أي ان الذي يجب علينا في الحكمة اذ خلقنا الخلق للعبادة أن نبين لهم وجوه التعبد فقد فعلنا ما كان فعله واجبا علينا في الحكمة (وان لنا للآخرة والاولى) أي ان لنا ملك الدارين نعطي من نشاء مانشاء فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ الطريق فليطلب سعادتهما منا (فأنذرتكم) أي خوفتكم يا أهل مكة (نارا تلظى) أي تتوقد وقرئ شاذا بالتاءين (لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى) أي لا يدخلها دخولا لازما مؤبدا الا الكافر الذي هو شقي لانه كذب بآيات الله وأعرض عن طاعة الله قال ابن عباس نزلت هذه الآية في أمية بن خلف وأمثاله الذين كذبوا محمدا والانبياء قبله (وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى) أي وسيبعد عنها المبالغ في اتقاء المعاصي الذي يعطي ماله ويصرفه في وجوه الحسنات طالبا أن يكون ناميا عند الله تعالى لا يريد بذلك رياء ولا سمعة وروى الضحاك عن ابن عباس عذب المشركون بلال بن رباح واسم أمه حمامة وبلال يقول أحد أحد فمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحد ينجيك ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر يا أبا بكر ان بلالا يعذب في الله فعرف أبو بكر ما يريده رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف الى منزله فأخذ رطلا من ذهب ومضى به الى أمية بن خلف فقال له أتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه فأعتقه فقال المشركون مافعل ذلك أبو بكر ببلال الا ليد كانت لبلال عنده فانزل الله تعالى قوله (ومالاحد عنده أي الاتقى (من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) أي لم يفعل أبو بكر ذلك مجازاة لاحد بيد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء وجه الله تعالى وقرأ يحيى بن وثاب برفع الابتغاء على البدل من محل نعمة فانه رفع اما على الفاعلية أو على الابتداء ومن مزيدة ويجوز أن يكون مفعولا له لان المعنى لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة (ولسوف يرضى) أي ما أنفق أبو بكر الا لطلب رضوان الله وبالله لسوف يرضى الله عنه ولم يكن للنبي ولا لغيره عليه نعمة دنيوية بل كان أبو بكر هو الذي ينفق على رسول الله وانما كان للنبي عليه نعمة الهداية الى الدين الا ان هذه نعمة لا يجزي الانسان بها قال ابن الزبير كان أبو بكر يشتري الضعفة من العبيد فيعتقهم فقال له أبوه يا بني لو كنت تشتري

وهو الامر السهل من العمل بما يرضي الله وكان أبو بكر رضي الله عنه اشترى جماعة يعذبهم المشركون ليرتدوا عن الاسلام فوصفه الله تعالى بأنه اعطى وصدق بالمجازاة من الله (وأما من بخل) بالنفقة في الخير (واستغنى) عن الله فلم يرغب في ثوابه (فسنيسره للعسرى) أي نخذله حتى يعمل بما يؤديه الى العذاب والأمر العسير (وما يغني عنه ماله اذا تردى) أي مات وهلك وقيل سقط في جهنم (ان علينا للهدى) أي ان علينا ان نبين طريق الهدى من طريق الضلال (وان لنا للآخرة والأولى) فمن طلبهما من غير مالكهما فقد أخطأ (فأنذرتكم) خوفتكم (نارا تلظى) أي تتوقد (لا يصلاها الا الاشقى) أي لا يدخلها الا الكافر (الذي كذب وتولى وسيجنبها) أي وسيبعد منها (الأتقى) يعني أبا بكر رضي الله عنه (الذي يؤتي ماله يتزكى) أي يطلب أن يكون عند

الله زاكيا ولا يطلب رياء وسمعة (ومالأحد عنده من نعمة تجزى) وذلك أن الكفار قالوا لما اشترى أبو بكر رضي الله عنه بلالا وأعتقه مافعل أبو بكر ذلك الا ليد كانت عنده لبلال فقال الله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى أي لم يفعل ذلك لمثل يد أسديت اليه (الا ابتغاء وجه ربه الأعلى) أي لكن طلب ثواب الله (ولسوف يرضى) أي سيدخل الجنة

من يمنع ظهرك فقال منع ظهري أريد فأنزل الله تعالى وسيجنبها الاتقى الى آخر السورة وقرئ يرضى مبنيا للمفعول

﴿سورة الضحى مكية وهي احدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة وسبعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والضحى) وهو أول النهار حين ترفع الشمس وتلقي شعاعها وتخصيصه بالاقسام به لانه الساعة التي كلم الله موسى فيها وألقي السحرة فيها سجدا (والليل اذا سجى) أي أظلم واسود ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق ان المراد بالضحى هو الضحى الذي كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة المعراج وقيل انما ذكر ساعة من النهار وذكر الليل بكليته لان النهار وقت السرور والراحة والليل وقت الوحشة والغم فهو اشارة الى ان هموم الدنيا أدوم من سرورها فان الضحى ساعة والليل ساعات (ماودعك ربك) أي ماقطعك ربك قطع المودع والمفارق وقرأ عروة بن الزبير وابنه هشام وابن أبي عبلة بتخفيف الدال أي ماتركك ربك يا أشرف الرسل منذ أوحى اليك تركا تحصل به فرقة كفرقة المودع (وماقلى) أي ما أبغضك ربك منذ أحبك روى البخاري عن جندب بن سفيان قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتين أو ثلاثا فجاءت أم جميل امرأة أبي لهب فقالت يامحمد اني لارجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث فنزلت هذه الآية وروى ان خولة كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث النبي صلى الله عليه وسلم أياما لاينزل عليه الوحي فقال صلى الله عليه وسلم ياخولة ماحدث في بيتي ان جبريل عليه السلام لايأتيني قالت خولة فكنست فأهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت فأخذته فألقيته خلف الجدار فجاء نبي الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال ياخولة دثريني فأنزل الله تعالى هذه السورة ولما نزل جبريل عليه السلام سأله النبي صلى الله عليه وسلم عن التأخر فقال أما علمت انا لاندخل بيتا فيه كلب ولاصورة وروى ان الوحي تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما لزجره سائلا ملحا فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت وروى ان سبب احتباس جبريل عليه السلام لانه كان فيهم من لايقلم الاظفار (وللآخرة خير لك من الاولى) أي وللاحوال الآتية خير لك من الماضية كأنه تعالى وعده بانه سيزيده كل يوم عزا الى عز ومنصبا الى منصب فيقول لاتظن اني قليتك بل اني أزيدك منصبا وجلالا ثم ان هذا التشريف وان كان عظيما الا ان مالك عند الله في الآخرة خير وأعظم أو والآخرة خير لك من الدنيا لان الكفار في الدنيا يطعنون فيك أما في الآخرة فاجعل أمتك شهداء على الامم وأجعلك شهيدا على الانبياء ثم أجعل ذاتي شهيدا لك كما قال تعالى وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله (ولسوف يعطيك ربك) من خيرات الدنيا والآخرة (فترضى) روى عن علي بن أبي طالب وابن عباس ان هذا هو الشفاعة في الامة كما يروى انه صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال اذا لا أرضى وواحد من أمتي في النار وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه قال رضي جدي أن لايدخل النار وحد وهذا الصلاة من الله تعالى لرسوله على أحوال الدنيا فهو اشارة لما أعطاه الله تعالى من الظفر بأعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين أفواجا والغلبة على قريظة والنضير واجلائهم وبث عساكره في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في أقطار الارض من المدائن وما هدم بأيديهم من ممالك الجبابرة وما نهبوه من كنوز الأكاسرة وما قذف في أهل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الاسلام وفشو الدعوة (ألم يجدك يتيما فآوى) بعد الهمزة أي ضمك

﴿تفسير سورة والضحى﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والضحى) يعني النهار كله (والليل اذا سجى) أي سكن بالخلق واستقر بظلامه (ماودعك ربك وماقلى) أي ماتركك منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك وهو جواب القسم وقد كان تأخر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوما فقال ناس ان محمدا ودعه ربه وقلاه فأنزل الله هذه السورة (وللآخرة خير لك من الأولى) لان الله تعالى يعطيك فيها الكرامات والدرجات (ولسوف يعطيك ربك) في الآخرة من الثواب في مقام الشفاعة (فترضى) يروى أنه قال لما نزلت هذه الآية اذا لا أرضى وأحد من أمتي في النار ثم أخبر عن حاله قبل الوحي وذكره نعمه عليه فقال (ألم يجدك يتيما) حين مات أبواك ولم يخلفا لك مالا ولا مأوى (فآوى) أي فأواك الى عمك أبي طالب وضمك اليه حتى كفلك ورباك

اليه من يكفلك وقرأ أبو الاشهب فآوى ثلاثيا أي فرحمك روى ان عبد الله بن عبد المطلب توفي وهو صلى الله عليه وسلم جنين قد أتت عليه ستة أشهر ثم ولد رسول الله فكان مع عبد المطلب ومع أمه آمنة فماتت وهو ابن ست سنين فكان مع جده ثم مات بعد آمنة بسنتين ورسول الله ابن ثمان سنين وكان عبد المطلب يوصي أبا طالب به فكان هو الذي يكفل رسول الله بعد جده الى أن بعثه الله للنبوة فقام بنصرته صلى الله عليه وسلم ثم توفي أبو طالب فذكره الله هذه النعمة روى أن أبا طالب قال يوما لاخيه العباس ألا اخبرك عن محمد بما رأيت منه فقال بلى فقال اني ضممته الى فكنت لا أفارقه ساعة من ليل ولا نهار ولا آمن عليه أحدا حتى اني كنت أنومه في فراشي فأمرته ليلة أن يخلع ثيابه وينام معي فرأيت الكراهة في وجهه لكنه كره أن يخالفني وقال يا عماه اصرف بوجهك عني حتى أخلع ثيابي اذ لا ينبغي لاحد أن ينظر الى جسدي فتعجبت من قوله وصرفت بصري حتى دخل الفراش فلما دخلت معه في الفراش اذ بيني وبينه ثوب في غاية اللين وطيب الرائحة كأنه غمس في المسك فجهدت لانظر الى جسده فما كنت أرى شيأ وكنت افتقده من فراشي مرارا فاذا قمت لاطلبه ناداني ها أنا يا عم فارجع ولقد كنت أسمع منه مرارا كلاما يعجبني وذلك عند مضي بعض الليل وكان يقول في أول الطعام بسم الله الاحد فاذا فرغ من طعامه قال الحمد لله فتعجبت منه ثم لم أر منه كذبة ولا ضحكا ولا جاهلية ولا وقف مع صبيان يلعبون (ووجدك ضالا فهدى) أي وجدك خاليا من الشريعة فهداك بانزالها اليك وقيل وجدك ضالا عن عبد المطلب فردك اليه كما روى انه صلى الله عليه وسلم قال ضللت عن جدي عبد المطلب وأنا صبي ضائع كاد الجوع يقتلني فهداني الله وروى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم ضل في شعاب مكة وهو صبي فتعلق عبد المطلب باستار الكعبة وقال

يارب رد ولدي محمدا * أردده ربي واصطنع عندي يدا

فمازال يردد هذا عند البيت حتى أتاه أبو جهل على ناقة ومحمد بين يديه وهو يقول لاندري ماذا ترى من ابنك فقال عبد المطلب ولم قال اني أنخت الناقة وأركبته من خلفي فأبت الناقة أن تقوم فلما أركبته أمامي قامت الناقة وكانت تقول يا أحمق هو الامام فكيف يقوم خلف المقتدي وقال ابن عباس رده الله الى جده بيد عدوه كما فعل بموسى حين حفظه على يد عدوه (ووجدك عائلا) أي فقيرا كما روى ان في مصحف عبد الله ووجدك عديما وقرأ اليماني عيلا بكسر الياء المشددة كسيد (فأغنى) أي أغناك بالقناعة فصرت بحال يستوي عندك الحجر والذهب لاتجد في قلبك سوى ربك وقيل أغناك بمال أبي بكر وبهيبة عمر روى أن عمر قال حين أسلم والاصحاب كانوا يعبدون الله سرا يارسول الله أبرزا نعبد نحن اللات جهرا ونعبد الله سرا فقال صلى الله عليه وسلم حتى تكثر الاصحاب فقال حسبك الله وأنا فقال تعالى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وقيل أغناه الله تعالى بتربية أبي طالب ولما اختلت أحوال أبي طالب أغناه بمال خديجة ولما اختل ذلك أغناه بمال أبي بكر ولما اختل ذلك أمره بالهجرة وأغناه باعانة الانصار ثم أمره بالجهاد وأغناه بالغنائم ثم قال صلى الله عليه وسلم جعل رزقي تحت ظل رمحي (فأما اليتيم فلا تقهر) أي لاتحتقر اليتيم فقد كنت يتيما كما قاله مجاهد أو فلا تغلبه على ماله وقرئ ولا تكهر أي فلا تعبس وجهك اليه وروى ان هذه الآية نزلت حين صاح النبي صلى الله عليه وسلم على ولد خديجة واذا كان هذا العتاب بمجرد الصياح أو العبوسة في الوجه فكيف اذا أذل اليتيم أو أكل ماله وروى أن موسى عليه السلام قال الهي بما نلت ما نلت قال الله تعالى أتذكر حين هربت منك السخلة فلما قدرت عليها قلت أتعبت نفسك ثم حملتها فلهذا السبب جعلتك وليا على الخلق فلما نال موسى عليه السلام النبوة بالاحسان الى الشاة فكيف بالاحسان الى اليتيم (وأما السائل فلا تنهر)

(ووجدك ضالا) عما أنت عليه اليوم من معالم النبوة وأحكام القرآن والشريعة (فهدا)ك اليها كقوله ما كنت تدري ما الكتاب الآية (ووجدك عائلا) أي فقيرا لا مال لك (فاغنا)ك بمال خديجة ثم بالغنائم (فأما اليتيم فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه واذكر يتمك (وأما السائل فلا تنهر) أي فلا تزجر لكن بذل يسيرا ورد جميل واذكر فقرك

أي لا تغلظ له القول بل رده ردا لينا برفق والمراد من السائل مطلق السائل روى انه صلى الله عليه وسلم كان جالسا فجاء عثمان بتمر فوضعه بين يديه فأراد ان يأكل فوقف سائل بالباب فقال رحم الله عبدا يرحمنا فأمر بدفعه الى السائل فكره عثمان ذلك وأراد أن يأكله النبي صلى الله عليه وسلم فخرج واشتراه من السائل ثم رجع السائل وكان النبي يعطيه ففعل ذلك ثلاث مرات فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أسائل أنت أم بائع فنزل وأما السائل فلا تنهر واختار الحسن ان المراد من السائل من يسأل العلم وروى الزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رددت السائل ثلاثا فلم يرجع فلا عليك أن تزبره (وأما بنعمة ربك فحدث) قال مجاهد تلك النعمة هي القرآن فالتحديث به ان يقرأه ويقرئ غيره وروى عنه أيضا ان تلك النعمة هي النبوة أي بلغ ما أنزل اليك من ربك وروى عن الحسين ابن علي رضي الله عنهما انه قال اذا عملت خيرا فحدث به اخوانك ليقتدوا بك الا ان هذا انما يحسن اذا لم يتضمن رياء وظن ان غيره يقتدى به وروى ان شخصا كان جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فرآه رث الثياب فقال له صلى الله عليه وسلم ألك مال قال نعم فقال له صلى الله عليه وسلم اذا آتاك الله مالا فليرأثره عليك وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله جميل يحب الجمال ويحب ان يرى أثر النعمة على عبده

﴿سورة ألم نشرح مكية وهي ثمان آيات وتسع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة أحرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

يروى عن طاوس وعمر بن عبد العزيز كانا يقولان هذه السورة وسورة والضحى سورة واحدة وكانا يقرآنهما في الركعة الواحدة وما كانا يفصلان بينهما بسم الله الرحمن الرحيم قال الجلال ولما ذكر الله تعالى بعض النعم عليه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ما ودعك ربك الخ اتبعه بما هو كالتتمة له وهو شرح الصدور فقال (ألم نشرح لك صدرك) قال في نور المقباس وهذا معطوف على قوله تعالى ووجدك عائلا فأغنى أي ألم نشرح لك يا أشرف الرسل قلبك للاسلام ويقال ألم نوسع قلبك للنبوة وقال الرازي استفهم الله عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فأفاد اثبات الشرح فكأنه قيل شرحنا لك صدرك أي بالنبوة وغيرها حتى وسع مناجاتنا ودعوة الخلق روى ان جبريل عليه السلام أتاه وهو عند مرضعته حليمة وهو ابن أربع سنين فشق صدره وأخرج قلبه وغسله ونقاه ثم ملأه علما وايمانا ثم رده في صدره وشق أيضا عند بلوغه عشر سنين وعند البعثة وليلة الاسراء فمرات الشق أربع على الصحيح وانما ذكر الصدر لانه محل الوسوسة قال محمد بن علي الترمذي القلب محل العقل والمعرفة وهو الذي يقصده الشيطان فالشيطان يجيء الى الصدر الذي هو حصن القلب فاذا وجد مسلكا نزل فيه هو وجنده وبث فيه الهموم والغموم والحرص فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة واذا طرد العدو في الابتداء حتى لم يجد مسلكا حصل الامن ويزول الضيق وينشرح الصدر ويتيسر له القيام باداء العبودية وانما قال الله تعالى ألم نشرح لك تنبيها على ان منافع الرسالة عائدة اليه صلى الله عليه وسلم كأنه تعالى قال انما شرحنا صدرك لاجلك لا لاجلي (ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك) أي حططنا عنك اعباء النبوة التي تثقل ظهرك من القيام بامرها والمحافظة على حقوقها بأن يسرها الله عليه صلى الله عليه وسلم حتى تيسرت له وقيل عصمناك عن الوزر الذي يثقل ظهرك وقيل ان الوزر نزول السورة بعد موت أبي طالب وخديجة فلقد كان فراقهما عليه صلى الله عليه وسلم وزرا عظيما فوضع عنه الوزر برفعه الى السماء حتى لقيه كل ملك وحياه ورفع له الذكر فلذلك قال تعالى (ورفعنا لك ذكرك) أي رفعنا ذكرك حيث قرن اسمه باسم الله تعالى في كلمة

(وأما بنعمة ربك) يعني بالنبوة والقرآن (فحدث) أخبر بهما

﴿تفسير سورة ألم نشرح﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ألم نشرح لك صدرك) أي ألم نفتح ونوسع ونلين قلبك للايمان والنبوة والعلم والحكمة وهذا الاستفهام معناه التقرير (ووضعنا عنك وزرك) يعني ما سلف منه في الجاهلية وقيل يعني الخطأ والسهو وقيل معناه خففنا عليك أعباء النبوة والوزر معناه في اللغة الحمل الثقيل (الذي أنقض ظهرك) أي أثقله (ورفعنا لك ذكرك) يعني اذا ذكرت ذكرت معي

الشهادة

الشهادة والاذان والاقامة ويجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وسمى رسول الله ونبي الله ولو أن رجلا عبد الله تعالى وصدق بالجنة والنار وكل شئ ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع بشئ وكان كافرا (فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا) قال فى العسر الاول للعهد الحضوري وفى الثانى للعهد الذكرى فالعسر واحد وهو العسر الذى كانوا فيه فهو هو وتنكير يسر للتفخيم كأنه قيل ان مع العسر يسرا عظيما و يسرا كاملا فتناول يسر الدارين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو كان العسر فى جحر ضب لتبعه اليسر حتى يخرجه لن يغلب عسر يسرين فقوله تعالى ان مع العسر يسرا تكرير للتأكيد أو عدة مستأنفة بان العسر مشفوع بيسر آخر وفى مصحف ابن مسعود جملة واحدة مرة واحدة قال الرازى والمراد من اليسرين فى قوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين يسر الدنيا و يسر الآخرة وهما استفتاح البلاد وثواب الجنة وهذه الآية تثبيت لما قبلها ووعد كريم بتيسير كل عسير له صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين كأنه قيل خولناك ما خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا (فاذا فرغت فانصب) أى فاذا فرغت من عبادة فاتبعها بعبادة أخرى بان تواصل بين بعض العبادات و بعض وان لا تخلى وقتا من أوقاتك منها قال قتادة والضحاك ومقاتل اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب فى الدعاء وارغب الى ربك فى المسئلة يعطك وقال الشعبى اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك وقال مجاهد اذا فرغت من أمر دنياك فانصب وصل وقال عبد الله بن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب فى قيام الليل وقال ابن حبان عن الكلبى اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب واستغفر لذنبك وللمؤمنين وقال على بن أبى طلحة اذا كنت صحيحا فاجعل فراغك نصبا فى العبادة قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه انى أكره أن أرى أحدكم فارغا لا فى عمل الدنيا ولا فى عمل الآخرة (والى ربك فارغب) أى الى ربك فارفع حوائجك واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وقرئ فرغب أى رغب الناس الى طلب ما عنده تعالى

﴿سورة والتين مكية وهى ثمان آيات وأربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والتين والزيتون) هما ثمران معلومان أقسم الله بهما لما فيهما من المصالح والمنافع فان التين فاكهة طيبة لا عجم له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويسمن البدن و يفتح سدد الكبد والطحال ويقطع البواسير والزيتون فاكهة وادام ودواء وقال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وقال محمد بن كعب التين مسجد أصحاب أهل الكهف والزيتون مسجد ايليا وعن ابن عباس التين مسجد نوح المبنى على الجودى والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى وعن الربيع هما جبلان بين همذان وحلوان وقال كعب التين دمشق والزيتون بيت المقدس وقال شهر بن حوشب التين الكوفة والزيتون الشام (وطور سينين) وهو جبل ثبير وهو جبل بمدين الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام (وهذا البلد الامين) وهو مكة فهو أمين من أن يهاج فيه على من دخل فيه (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) أى كائنا فى احسن ما يكون من تعديل صورة ومعنى فانه تعالى خلقه مستوى القامة متناسب الاعضاء متصفا بأكمل عقل وفهم وعلم وأدب اذا تكامل شبابه (ثم رددناه أسفل سافلين) أى حال كونه أسفل سافلين أى حيث لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلا لضعف بدنه وسمعه و بصره وعقله فلا يكتب له وقتئذ حسنة أو رددناه مكانا أسفل سافلين وهو النار

(فان مع العسر) مع الشدة التى أنتم فيها من مقاساة بلاء المشركين (يسرا) باظهارى اياك عليهم حتى تغلبهم وينقادوا لك طوعا أو كرها (ان مع العسر يسرا) تكرير للتأكيد وقيل ان هذا عام فى كل عسر أصاب المؤمن وهو من الله على وعد اليسر اما فى الدنيا واما فى الآخرة فالعسر واحد واليسر اثنان (فاذا فرغت) من صلاتك (فانصب) أى انصب فى الدعاء وسله حاجتك وارغب اليه

﴿تفسير سورة والتين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والتين والزيتون) هما جبلان فى الشام يقال لهما طورتينا وطورزيتا بالسريانية سميا بالتين والزيتون لأنهما ينبتهما وطور سينين يعنى جبل موسى وسينين المبارك بالسريانية (وهذا البلد الأمين) الآمن يعنى مكة سماه أمينا لانه آمن لا يهاج أهله (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) أى أعدل قامة وأحسن صورة لانه معتدل القامة يتناول مأكوله بيده وقوله (ثم رددناه أسفل سافلين) أى أرذل العمر والسافلون هم الهرمى والزمنى والضعفى

وقرأ عبد الله أسفل السافلين معرفا والسافلون هم الضعفاء والزمنى والصغار فالشيخ الكبير أسفل من هؤلاء جميعا (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) وهذا الاستثناء على القول الاول منقطع والمعنى ثم رددناه أسفل من سفل بعد ذلك التحسين فى أحسن الصورة حيث نكسناه فى خلقه فقوس ظهره وضعف بصره وسمعه ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم أوفلهم أجر غير ممنون به عليهم أما على القول الثانى فهو متصل من ضمير رددناه فانه فى معنى الجمع والمعنى ثم رددناه أسفل من سفل أى أقبح من كل قبيح صورة وأسفل من كل سافل من أهل الدركات وهم أهل النار الا الذين كانوا صالحين فلا نردهم أسفل سافلين (فما يكذبك بعد بالدين) وما اسم استفهام على وجه الانكار والتعجب والخطاب للانسان على طريقة الالتفات أى فما الذى يحملك أيها الانسان على التكذيب بالبعث بعد ظهور هذه الدلالة الناطقة بالجزاء أى فان خلق الانسان من النطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كمالا ونقصانا من أوضح الدلائل على قدرة الله تعالى على البعث والجزاء فمن شاهد تلك الحالة ثم بقى مصرا على انكار الحشر فلا شئ أعجب منه وقيل الخطاب للرسول وما اما اسم استفهام أو بمعنى من أى فأى شئ يجعلك كاذبا بسبب انكار الكافر الحساب بعد هذه الدلائل أوفمن يكذبك بالحساب يا أيها الرسول بعد ظهور هذه الدلائل (أليس الله بأحكم الحاكمين) يحكم على الكفار بما يستحقونه من العذاب أوأليس الذى فعل ما ذكر بأتقن الحاكمين صنعا فى كل ما خلق حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء فان عدم امكانهما يقدح فى القدرة وعدم وقوعهما يقدح فى الحكمة كما قال تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وفى الحديث من قرأ والتين الى آخرها فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أى سواء كان فى الصلاة أوخارجها

﴿سورة العلق وتسمى سورة القلم وسورة اقرأ مكية وهى تسع عشرة آية
واثنان وسبعون كلمة ومائتان وسبعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اقرأ باسم ربك) أى اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك أى قل باسم الله ثم اقرأ القرآن (الذى خلق) كل شئ (خلق الانسان من علق) أى من دم جامد (اقرأ وربك الاكرم) أى امض لما أمرت به والحال ان ربك الذى أمرك بالقراءة هو الاكرم (الذى علم بالقلم) أى علم الانسان الخط بالقلم وعلم ينصب مفعولين وقال قتادة القلم نعمة من الله تعالى ولولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش روى عبد الله ابن عمرو قال قلت يا رسول الله أأكتب ما أسمع منك من الحديث قال نعم فاكتب فان الله تعالى علم بالقلم وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسكنوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة أى حذرا من تطلعهن الى الرجال وحذرا من المتهتكين فقد يكتبن لمن يهوين (علم الانسان ما لم يعلم) أى علمه بالقلم وبدونه من الأمور الجلية والخفية ما لم يخطر بباله (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) أى حقا ان الكافر يتكبر على ربه لان رأى نفسه مستغنيا عن امتثال رأى الآيات من ههنا الى آخر السورة فى أبى جهل روى أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتزعم

ممنون) أى غير مقطوع ... المؤمنين فقال الا الذين آمنوا وهذا القول أظهر ثم قال توبيخا للكافر (فما يكذبك) أيها الانسان (بعد) أى بعد الحجة (بالدين) أى بالحساب والجزاء ومعنى ما يكذبك أى ما الذى يجعلك مكذبا بالدين وقيل هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى فما الذى يكذبك يا محمد بعد ما تبين من قدرتنا على خلق الانسان وظهر من حجتنا كأنه قال فمن يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب (أليس الله بأحكم الحاكمين) فى جميع ما خلق وصنع فكل ذلك دليل على علمه وحكمته جل جلاله وتقدست أسماؤه ولا اله غيره

﴿تفسير سورة القلم﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اقرأ باسم ربك) يعنى اقرأ القرآن باسم ربك وهو أن تذكر التسمية فى ابتداء كل سورة (الذى خلق) أى خلق الأشياء والمخلوقات (خلق الانسان) يعنى ابن آدم (من علق) جمع علقة (اقرأ وربك الاكرم) يعنى الحليم عن جهل العباد فلا يعجل عليهم بالعقوبة (الذى علم بالقلم) ثم بين ما علم فقال (علم الانسان ما لم يعلم) يعنى الخط والكتابة (...) ى ... (كلا ان الانسان ليطغى) أى ليتجاوز حده ويستكبر على ربه (ان رآه) أى رأى نفسه (استغنى)

لئن من لمستغنى علمنى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم (ان الى ربك الرجعى) أى ان الى مالك أمرك رجوع الكل بالموت والبعث فترى حينئذ عاقبة تمردك (أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) وأرأيت لكل المخاطب وهو النبى على التعجب وهى تتعدى الى مفعولين لانها بمعنى اخبرنى فالمفعول الاول الذى والمفعول الثانى محذوف وهو جملة استفهامية كالجملة الواقعة بعد أرأيت الثالثة أى اخبرنى يا محمد الناهى عمن يصلى ألم يعلم ان الله يطلع على أحواله فيجازيه بها حتى اجترأ على ما فعل روى مسلم عن أبى هريرة قال قال أبو جهل فى ملأ من طغاة قريش هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم فقالوا نعم قال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه فى التراب قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ليطأ على رقبته فنكص على عقبيه وهو يتقى بيديه فقالوا له مالك يا أبا الحكم فقال ان بينى و بينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فأنزل الله هذه الآية (أرأيت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى) ومفعولا أرأيت محذوفان حذف الاول لدلالة المفعول الاول من أرأيت الاولى عليه وحذف الثانى لدلالة مفعول أرأيت الثالثة عليه وأو بمعنى الواو والمعنى اخبرنى يا محمد ذلك الناهى ان صار على الهدى وأمر بالتقوى أما كان ذلك خيرا له من الكفر بالله والنهى عن خدمته كأنه تعالى يقول تلهف يا مخاطب عليه كيف فوت على نفسه المراتب العالية وقنع بالمراتب الدنيئة وهو رجل عاقل ذو ثروة لا يليق به ذلك (أرأيت ان كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى) والجملة الاستفهامية تكون فى موضع المفعول الثانى لأرأيت ومفعولها الاول محذوف وهو ضمير يعود الى الموصول أو اسم اشارة يشار به اليه أى أرأيته يا محمد ان كذب هذا الكافر بتلك الدلائل الواضحة وأعرض عن خدمة خالقه ألم يعلم بعقله ان الله يرى منه هذه الاعمال القبيحة أفلا ينزجر عنها (كلا) أى لن يصل أبو جهل الى ما يقول انه يقتل محمدا أو يطأ عنقه بل تلميذ محمد هو الذى يقتله و يطأ صدره وهو عبد الله بن مسعود (لئن لم ينته) أى والله لئن لم ينته أبو جهل عن أذى النبى صلى الله عليه وسلم (لنسفعا بالناصية) أى لنأخذن الناصية ولنجرن بها الى النار فى الآخرة أو لنقبضن على الناصية فى الدنيا روى أن أبا جهل لما قال ان رأيته يصلى لأطأن عنقه فأنزل الله تعالى هذه السورة وأمره جبريل عليه السلام بأن يقرأها على أبى جهل و يخر لله ساجدا فى آخرها ففعل فعدا اليه أبو جهل ليطأ عنقه فلما دنا منه نكص على عقبيه راجعا فقيل له مالك قال ان بينى و بينه خلا فاغرا فاه لو مشيت اليه لالتقمنى وقال النبى صلى الله عليه وسلم لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا وروى انه لما نزلت سورة الرحمن علم القرآن قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه من يقرؤها منكم على رؤساء قريش فقام ابن مسعود وقال أنا يا رسول الله ثم انه وصل اليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة فافتتح قراءة السورة فقام أبو جهل فلطمه فشق اذنه وأدماه فانصرف وعينه تدمع فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم رق قلبه وأطرق رأسه مغموما فاذا جبريل عليه السلام يجىء ضاحكا مستبشرا فقال صلى الله عليه وسلم يا جبريل تضحك وابن مسعود يبكى فقال ستعلم فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود أن يكون له حظ فى الجهاد فقال صلى الله عليه وسلم له خذ رمحك والتمس فى الجرحى من كان به رمق فاقتله فانك تنال ثواب المجاهدين وأخذ يطالع القتلى فاذا أبو جهل مصروع يخور خاف أن يكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منخره من بعيد فطعنه فلما عرف عجزه ارتقى الى صدره بحيلة فلما رآه أبو جهل قال يا رويعى الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعبا فقال ابن مسعود الاسلام يعلو

(ان الى ربك الرجعى) أى المرجع فى الآخرة فيجازى الطاغى بما يستحقه (أرأيت الذى ينهى) يعنى أبا جهل (عبدا اذا صلى) وذلك انه قال لئن رأيت محمدا يصلى لأطأن على رقبته ومعنى أرأيت ههنا التعجب وكذلك قوله (أرأيت ان كان على الهدى) الى قوله (وتولى) والمعنى أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى (أو أمر بالتقوى) معناه آمر بالتقوى والناهى كاذب متول عن الذكر أى فأعجب من ذا (ألم يعلم) أبو جهل (بأن الله يرى) أى يراه ويعلم ما يفعله (كلا) ردع وزجر (لئن لم ينته) عما هو عليه من الكفر ومعاداة النبى صلى الله عليه وسلم (لنسفعا بالناصية) أى لنجرن بناصيته الى النار ثم وصف ناصيته فقال

ولا يصلي عليه فقال له أبو جهل بلغ صاحبك انه لم يكن أحداً بغض الى منه في حياتي ولا أحداً بغض الى منه في حال مماتي ثم قال لابن مسعود اقطع رأسي بسيفي هذا لانه أحد فلما قطع رأسه لم يقدر على حمله فلما لم يطق شق اذنه وجعل الخيط فيه وجعل يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل بين يديه يضحك ويقول يا محمد أذن باذن لكن الرأس ههنا مع الاذن وقرئ لنسفعن بالنون المشددة فالفاعل لهذا الفعل هو الله والملائكة وقرأ ابن مسعود لاسفعن أي يقول الله يا محمد انا الذي أتولى اهانة أبي جهل (ناصية كاذبة) في قولها (خاطئة) في فعلها لان صاحبها متمرد على الله تعالى ولانه كان كاذبا على الله تعالى في قوله انه تعالى لم يرسل محمدا وكاذبا على رسوله في قوله ان محمدا ساحر أو كذاب أو ليس بنبي وناصية بدل من الناصية وقرئ ناصية بالرفع والتقدير هي ناصية وقرئ ناصية بالنصب وكلاهما على الشتم (فليدع ناديه) أي أهل مجلسه الذين يجتمعون فيه للتشاور أو لانه مجلس العطاء والجود (سندع الزبانية) هم الملائكة الغلاظ الشداد كما قاله الزجاج قال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فجاء أبو جهل فقال ألم أنهك عن هذا فزبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو جهل والله انك لتعلم أني أكثر أهل الوادي ناديا فأنزل الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية قال ابن عباس لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله فكأنه تعالى لما عرفه أنه مخلوق من علق فلا يليق به التكبر فهو عند ذلك ازداد تعززا بماله ورياسته في مكة ويروى أنه قال ليس بمكة أكرم مني وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ الى قوله تعالى لنسفعا بالناصية قال أبو جهل أنا أدعو قومي حتى يمنعوا عني ربك قال الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية فلما ذكر الزبانية رجع فزعا فقيل له خشيت منه قال لا ولكن رأيت عنده فارسا وهددني بالزبانية فلا أدري الزبانية ومال الى الفارس فخشيت منه وقيل كان جبريل وميكائيل عليهما السلام على كتفيه صلى الله عليه وسلم في صورة الاسد قال ابن عباس رضي الله عنهما والله لو دعا ناديه لاخذته ملائكة العذاب من ساعته معاينة وقرئ ستدعى الزبانية على المجهول أي ليجروه الى النار (كلا) أي لن يصل أبو جهل الى ما يتصلف به من أنه يدعو قومه (لا تطعه) أي يا أيها الرسول فيما يأمرك به من ترك الصلاة بل دم على ما أنت عليه من مخالفته (واسجد) أي صل وتوفر على عبادة الله تعالى فعلا وابلاغا وقلل فكرك في هذا العدو فان الله مقويك وناصرك (واقترب) أي ابتغ بسجودك قرب المنزلة من ربك

﴿ سورة القدر مدنية قال الواحدي انها أول سورة نزلت بالمدينة وهي خمس آيات وثلاثون كلمة ومائة وأحد وعشرون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(انا أنزلناه في ليلة القدر) أي انا أنزلنا القرآن جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ على كتبة ملائكة سماء الدنيا الى بيت العزة منها ثم حفظته السفرة على جبريل وكان جبريل ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحاجة اليه ومعنى القدر التقدير وسميت ليلة القدر بذلك لان الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من أمره الى مثلها من السنة القابلة من أمر الموت والاجل والرزق وغير ذلك ويسلمه الى مدبرات الامور وهم أربعة من الملائكة اسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبريل عليهم السلام والجمهور على أنها مختصة برمضان واختلفوا في تعيينها وقال بعضهم انها ليلة السابع والعشرين لان فيها أمارات معينة منها ما روي أن عمر سأل الصحابة عن ليلة القدر ثم قال لابن عباس غص يا غواص فقال زيد بن ثابت أحضرت أولاد المهاجرين وما أحضرت أولادنا فقال عمر لعلك تقول ان هذا غلام ولكن عنده ما ليس عندكم فقال ابن عباس

(ناصية كاذبة خاطئة) وتأويلها صاحبها كاذب خاطئ (فليدع ناديه) فليستعن بأهل مجلسه وذلك انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأملأن عليك هذا الوادي خيلا جردا ورجالا مردا فقال الله تعالى فليدع ناديه (سندع الزبانية) وهم الملائكة الغلاظ الشداد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا (كلا) أي ليس الأمر على ما هو عليه أبو جهل (لا تطعه واسجد) أي وصل (واقترب) أي تقرب الى ربك بطاعته

﴿ تفسير سورة القدر ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(انا أنزلناه) أي أنزلنا القرآن (في ليلة القدر) أي ليلة الحكم والفصل يعني يقضي الله تعالى فيها قضاء السنة والقدر يعني التقدير انزل الله تعالى القرآن كله جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة

أحب الاعداد الى الله تعالى الوتر وأحب الوتر اليه السبعة فقد كر السموات السبع والارضين السبع والاسبوع ودركات النار وعدد الطواف والاعضاء السبعة فدل ذلك العدد على أنها السابعة والعشرون ومنها قول ابن عباس ان هذه السورة ثلاثون كلة وقوله تعالى هي هو سابع وعشرون ومنها مانقل عن ابن عباس أنه قال ليلة القدر تسعة أحرف وهو مذكور ثلاث مرات فتكون الجملة سبعة وعشرين ومنها ماروى أنه كان لعثمان بن أبي العاص عبد فقال يامولاى ان البحر يعذب ماؤه ليلة من الشهر قال اذا كانت تلك الليلة فاعلمنى فاذا هي السابعة والعشرون (وما أدراك ماليلة القدر) أى ماغاية فضلها ومنتهى علو قدرها ثم بين الله فضلها من ثلاثة أوجه أو أربعة بقوله تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر أى ان العبادة فيها خير من العبادة فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر قال مجاهد كان فى بنى اسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد حتى يمسى فعل ذلك ألف شهر فتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من ذلك فأنزل الله هذه الآية أى ليلة القدر لامتك خير من ألف شهر لذلك الاسرائيلى الذى حمل السلاح ألف شهر وقيل كان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذى القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل فى هذه الليلة لمن أدركها خيرا من ملكهما وقال الحسن بن على رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه ان بنى أمية يطئون منبره صلى الله عليه وسلم واحدا بعد واحد وفى رواية ينزون على منبره نزو القردة فشق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه السورة ثم قال القاسم بن فضل فحسبنا ملك بنى أمية فاذا هو ألف شهر فكأن الله تعالى يقول أعطيتك يا أشرف الخلق ليلة هى فى السعادات الدينية أفضل من السعادات الدنيوية فى أيام ملك بنى أمية ومن المعلوم ان الطاعة فى ألف شهر أشق من الطاعة فى ليلة واحدة لكن الفعل الواحد قد يختلف حاله فى الحسن والقبح بسبب اختلاف الوجوه ألا ترى ان صلاة الجماعة تفضل على صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة مع ان صلاة الجماعة قد تنقص صورة فان المسبوق سقطت عنه ركعة واحدة وأيضا فأنت اذا قلت ان يرجم بالزنا هذا زان فلا بأس ولو قلته للنصرانى فهو قذف يوجب التعزير ولو قلته للمحصن فهو قذف يوجب الحد ولو قلته فى حق عائشة كان ذلك القول كفرا ثم القائل بقوله هذا زان قد ظن ان هذه اللفظة سهلة مع انها أثقل من الجبال فثبت بهذا ان الافعال تختلف آثارها فى الثواب والعقاب لاختلاف وجوهها فلا يبعد ان تكون الطاعة القليلة فى الصورة مساوية فى الثواب للطاعات الكثيرة (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر) روى انه اذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة وهم سكان سدرة المنتهى وجبريل ومعه أربعة ألوية فينصب لواء على قبر النبى صلى الله عليه وسلم ولواء على ظهر بيت المقدس ولواء على ظهر المسجد الحرام ولواء على ظهر طور سيناء ولا يدع بيتا فيه مؤمن أو مؤمنة الا دخله وسلم عليه يقول يامؤمن أو يامؤمنة السلام يقرئكم السلام الا على مدمن خمر وقاطع رحم وآكل لحم خنزير وقوله باذن ربهم متعلق بتنزل أو بمحذوف هو حال من فاعله أى متلبسين بأمر ربهم فانهم لايتصرفون تصرفا ما الا بأمره وقوله من كل أمر متعلق بتنزل أى تنزل أولئك فى تلك الليلة من أجل كل أمر قضاه الله تعالى لتلك السنة الى عام قابل فكل واحد منهم نزل لامر آخر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يقدر المقادير فى ليلة البراءة أى وهو نصف شعبان فاذا كان ليلة القدر يسلمها الى أربابها وقرئ من كل امرئ أى من أجل كل انسان فان الملائكة يرون فى الارض أنواع الطاعات التى لم يروها فى عالم السموات (سلام هى حتى مطلع الفجر) فسلام خبر مقدم وهى مبتدأ مؤخر أى تلك الليلة سالمة عن الرياح والاذى والصواعق ومن كل آفة كما قاله أبو مسلم وابن عباس

(وما أدراك) يا محمد (ماليلة القدر) على التعظيم لشأنها والتعجب منها ثم أخبر عنها فقال (ليلة القدر خير من ألف شهر) أى من ألف شهر ليس ليلة القدر فيها (تنزل الملائكة والروح) يعنى جبريل عليه السلام (فيها) أى فى تلك الليلة (باذن ربهم من كل أمر) أى بكل أمر قضاه الله فى تلك الليلة للسنة وتم الكلام هاهنا ثم قال (سلام هى) أى تلك الليلة كلها سلامة وخير لاداء فيها ولا يستطيع الشيطان أن يصنع فيها شيأ وقيل يعنى تسليم الملائكة فى تلك الليلة على أهل المساجد (حتى مطلع الفجر) أى الى وقت طلوع الفجر

وحتى متعلق بتنزل أى ان الملائكة ينزلون فوجا فوجا من ابتداء الليل الى طلوع الفجر فترادف النزول لكثرة سلامهم على أهل الصوم والصلاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وقيل ان حتى متعلق بسلام بناء على ان الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدا مغتفر فى الجار والمجرور أى ان ليلة القدر سلام الى طلوع الفجر أى تسليم الملائكة على المطيعين ويقال أى ان ليلة القدر من أولها الى طلوع الفجر سالمة من التفاوت والنقصان فان العبادة فى كل جزء من أجزاء أوقاتها خير من ألف شهر فليست ليلة القدر كسائر الليالى فى انه يستحب للفرض الثلث الاول وللتطوع النصف وللدعاء السحر بل هى متساوية الاوقات وقيل ان الوقف عند قوله تعالى سلام فقوله تعالى من كل أمر متعلق به وقوله سلام خبر بعد خبر كقوله تنزل وقوله تعالى هى مبتدأ وخبره ما بعده والمعنى كما قاله ابن عباس ليلة القدر سلامة من كل أمر مخوف ومن كل شر وروفضلها مستمر الى طلوع الفجر وقرأ الكسائى مطلع بكسر اللام

﴿سورة لم يكن وتسمى سورة البينة وسورة القيمة وسورة البرية وسورة منفكين مدنية ثمان آيات وأربع وتسعون كلمة وثلاثمائة وتسعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى (والمشركين) أى عبدة الاصنام (منفكين) عن كفرهم (حتى تأتيهم البينة) وهى الرسول وسمى بالبينة لان مجموع الاخلاق الحاصلة فيه كان بالغا الى حد كمال الاعجاز أى ان الكفار من الفريقين كانوا يقولون قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لا ننفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبى الموعود الذى هو مكتوب فى التوراة والانجيل وهو محمد عليه السلام فحكى الله تعالى ما كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما أقرهم على الكفر الا مجئ الرسول وقيل ان تقدير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم وان جاءتهم البينة أى التى كانت ذاته بينة على نبوته وقيل المعنى لم يكن الذين كفروا منفكين عن ذكر محمد بالمناقب والفضائل حتى أتاهم بيان ما سبق ذكره فى التوراة والانجيل على لسان موسى وعيسى من صفات محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ والمشركون عطفا على الموصول (رسول من الله) بالرفع بدل كل من كل من البينة وقرأ عبد الله رسولا بالنصب حالا من البينة (يتلو صحفا) أى كتبا (مطهرة) أى منزهة عن الباطل (فيها كتب قيمة) أى فى تلك الكتب أحكام مستقيمة تبين الحق من الباطل (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة) أى وما اختلفوا فى وقت من الاوقات الا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموعود فى كتابهم دلالة جلية (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) والواو للحال واللام بمعنى الباء أى والحال ان هؤلاء الكفار ما أمروا فى التوراة والانجيل الا بأن يعبدوا الله جاعلين عبادتهم خالصة له تعالى لا يريدون رياء ولا سمعة وقرأ عبد الله الا ان يعبدوا الله بدل اللام بان (حنفاء) أى مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) أى وذلك المذكور من عبادة الله بالاخلاص واقامة الصلاة واعطاء الزكاة دين المستقيم والهاء فيها للمبالغة سوره وقرئ الدين القيمة (ان الذين كفروا من أهل الكتاب

﴿تفسير سورة البينة﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (لم يكن الذين كفروا) بمحمد (من أهل الكتاب) [يعنى اليهود] والنصارى (والمشركين) يعنى كفار العرب (منفكين) أى منتهين زائلين عن كفرهم (حتى تأتيهم) يعنى أتتهم (البينة) أى البيان والبصيرة وهو محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يقول لم يتركوا كفرهم حتى بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم وهذا فيمن آمن من الفريقين ثم فسر البينة فقال (رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة) أى كتبا مطهرة أى من الباطل (فيها كتب) أى أحكام (قيمة) أى مستقيمة عادلة ثم ذكر كفار أهل الكتاب فقال (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) أى ما اختلفوا فى كون محمد رسولا حقا لما يجدون فى كتبهم من نعته (الا من بعد ما جاءتهم البينة) أى الا من بعد ما تبينوا أنه الذى وعدوا به فى التوراة والانجيل يريد انهم كانوا مجتمعين على صحة نبوته فلما بعث جحدوا نبوته وتفرقوا فمنهم من كفر بغيا وحسدا ومنهم من آمن وهذا كقوله وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم الآية (وما أمروا) يعنى كفار أهل الكتاب (الا ليعبدوا) أى الا أن يعبدوا (الله مخلصين له الدين) يعنى الطاعة أى موحدين له لا يعبدون معه غيره (حنفاء) مسلمين أى على دين ابراهيم ودين محمد صلى الله عليه وسلم وقوله (وذلك دين القيمة) أى دين الملة القيمة وهى ...

والمشركين في نار جهنم خالدين فيها) وبدأ الله بأهل الكتاب لانهم كانوا يطعنون في نبوته صلى الله عليه وسلم بجناياتهم أعظم لانهم أنكروا مع العلم به وأيضا انه صلى الله عليه وسلم كان يقدم حق الله على حق نفسه فكأنه تعالى قال لما قدمت حقي على حقك فأنا أقدم حقك على حق نفسي فمن ترك الصلاة طول عمره لا يكفر ومن طعن في شعرة من شعراتك يكفر فأهل الكتاب طعنوا في الرسول والمشركون طعنوا في الله (أولئك هم شر البرية) أي الخليقة فهم شر من السراق لانهم سرقوا من كتاب الله صفة محمد صلى الله عليه وسلم وشر من قطاع الطريق لانهم قطعوا طريق الحق على الخلق وشر من الجهال الاجلاف لان الكفر مع العلم يكون كفر عناد فيكون أقبح (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) قرأ نافع وابن ذكوان البريئة بالهمز في الموضعين والباقون بياء مشددة (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن) معدن النبيين والمقربين (تجري من تحتها الانهار) أي الاربعة وهي الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها أبدا) وخالدين حال من مقدر فعامله محذوف أي ادخلوها ولا يجوز أن يكون حالا من هم في جزاؤهم لئلا يلزم الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي وقوله عند ربهم حال من جزاؤهم أو ظرف له وأبدا منصوب بخالدين ﴿لطيفة﴾ قال بعض الفقهاء لو قال لفلان علي كذا فهو اقرار بالدين ولو قال لا شئ لي على فلان فهذا يختص بالديون وله ان يدعي الوديعة ولو قال لا شئ لي عند فلان انصرف الى الوديعة دون الدين ولو قال لا شئ لي قبل فلان انصرف الى الدين والوديعة معا اذا عرفت هذا فقوله عند ربهم يفيد انه وديعة والوديعة عين وهو أشرف من الدين (رضي الله عنهم) بأن يعطيهم ويمدحهم فان الرضا عن العامل غير الرضا بعمله (ورضوا عنه) أي فرحوا بما جازاهم من الثواب وبما أعطاهم من أنواع الكرامات (ذلك) أي المذكور من الجزاء والرضوان (لمن خشي ربه) وصاحب الخشية هو العالم بشؤن الله تعالى فان الخشية مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادة الدينية والدنيوية

﴿سورة الزلزلة مدنية وهي تسع آيات وخمس وثلاثون
كلمة ومائة وتسع وأربعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا زلزلت الارض زلزالها) أي اذا تحركت الارض حركة شديدة فانكسر ما عليها من الشجر والجبال والبنيان (وأخرجت الارض أثقالها) أي أحمالها من الاموال أو الاموات ثم ان كان المراد من هذه الزلزلة الزلزلة الاولى فالمعنى أخرجت الارض الكنوز في زمن بعد عيسى أو عند النفخة الاولى فيمتلئ ظهر الارض ذهبا ولا يلتفت أحد اليه فكأن الذهب يصيح ويقول اما كنت تخرب دينك ودنياك لاجلي وان كان المراد منها الزلزلة الثانية عند النفخة الثانية فالمعنى أخرجت الارض الموتى أحياء كالخروج من الام وقت الولادة أو لفظتهم ميتين كما دفنوا ثم يحييهم الله تعالى وذلك على الخلاف بين العلماء (وقال الانسان) أي الكافر بطريق التعجب والمؤمن بطريق الاستعظام (ما لها) أي أي شئ ثبت للارض تزلزلت بهذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها (يومئذ) أي يوم اذ كان ما ذكر وهو بدل من اذا (تحدث أخبارها) جواب اذا وقرأ ابن مسعود تنبئ أخبارها وقرأ سعيد بن جبير تنبئ بسكون النون بان يجعل الله الارض عاقلا ناطقا ويعرفها جميع ما عمل أهلها فحينئذ تشهد لمن أطاع وعلى من عصى (بأن ربك أوحى لها) والباء اما سببية متعلق بتحدث أي تحدث الارض أخبارها بسبب أمره تعالى اياها بالتحديث باخبارها واما تعدية لتحدث فتكون هذه الجملة بدلا من أخبارها

﴿تفسير سورة الزلزلة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم

(اذا زلزلت الارض زلزالها) أي اذا حركت حركة شديدة لقيام الساعة (وأخرجت الارض أثقالها) أي كنوزها وموتاها فألقتها على ظهرها (وقال الانسان) يعني الكافر الذي لا يؤمن بالبعث (ما لها) انكارا لتلك الحال (يومئذ تحدث أخبارها) أي تخبر بما عمل عليها من خير وشر (بأن ربك أوحى لها) يعني أمرها بالكلام وأذن لها

فلتى تحدثه الارض بأخبارها بأن ربك أذن لها فى الكلام (يومئذ) منصوب بيصدر أى يوم يقع ما ذكر (يصدر الناس) من قبورهم الى موقف الحساب (أشتاتا) أى فرقا فريق يذهب الى الموقف راكبا مع الثياب الحسنة أبيض الوجه والمنادى بين يديه ينادى هذا ولى الله وفريق يذهب اليه حافيا عاريا مع السلاسل والاغلال أسود الوجه والمنادى ينادى بين يديه هذا عدو الله (ليروا أعمالهم) بضم الياء أى ليريهم الله تعالى أعمالهم مكتوبة فى الصحائف وهى توضع بين أيديهم والمرئى هو الكتاب وقرئ ليروا بفتح الياء وهو مروى عن النبى صلى الله عليه وسلم (فمن يعمل مثقال ذرة) أى وزن نملة صغيرة (خيرا يره) قال أحمد بن كعب القرظى فمن يعمل مثقال ذرة من خير وهو كافر فانه يرى ثواب ذلك فى الدنيا حتى يلقى الآخرة وليس له فيها شئ ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مؤمن يرى عقوبته فى الدنيا فى نفسه وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله تعالى شر وهذا مروى عن ابن عباس أيضا (ومن يعمل مثقال ذرة) أى ميزان أصغر النمل (شرا يره) قال ابن عباس ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرا الا أراه الله اياه فأما المؤمن فيغفر الله سيآته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فترد حسناته ويعذب بسيآته وقوله تعالى خيرا وشرا منصوبان على التمييز من مثقال أو على البدل من مثقال ويره جواب الشرط مجزوم بحذف الالف وقرأ ابن عباس والحسين بن على وزيد بن على وكذا عاصم فى رواية يره مبنيا للمفعول وقرأ عكرمة يراه بالالف

﴿سورة والعاديات مكية احدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والعاديات ضبحا) أى والخيل الجارية بشدة فى الغزو تصوت أنفاسهن من الجرى والضبح صوت يسمع من صدور الخيل عند شدة الجرى وليس بصهيل ولا حمحمة بل هو صوت نفس وقال على رضى الله عنه وكرم وجهه أى وابل الحاج الجارية من عرفة الى مزدلفة ومن مزدلفة الى منى تمد أعضاءها فى سيرها وضبحا حال بمعنى اسم الفاعل (فالموريات قدحا) أى فالخيل التى تطأ الحصى صاكة بحوافرها مايخرج النار كنار حباحب وهو رجل من العرب أبخل الناس الذى فى العشاء كرلا يوقد نارا حتى ينام الناس ثم يوقدها فاذا انتبه أحد أطفاها لئلا ينتفع بها أحد فشبهت هذه النار التى تنقدح من حوافر الخيل بتلك النار التى لم يكن فيها نفع أو يقال فالجماعة الذين يركبون الابل وهم الحجيج الموقدون نيرانهم بالمزدلفة (فالمغيرات صبحا) أى فالجماعة الذين يركبون الخيل الذين يهجمون على الاعداء للنهب أو للقتل فى وقت صبح ليروا ما يأتون وما يذرون أو فالجماعة الذين يندفعون من جمع الى منى ركبانا باسراع السير صبيحة يوم النحر (فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا) أى فهيجن فى وقت الصبح أو بالجرى غبارا أو فهيجن فى المغار صباحا فتوسطن فى ذلك الوقت أو بالغبار جمعا من جموع الاعداء وقرأ أبو حيوة فأثرن بالتشديد أى أظهرن بجريهن غبارا وقرئ فوسطن بالتشديد أى جعلن جمع الاعداء فى ذلك الوقت أو فى ذلك المكان أو بجريهن أو بالغبار فى الوسط أو قطعن جمع الاعداء نصفين روى أنه صلى الله عليه وسلم بعث خيلا فمضى شهر لم يأته منهم خبر فنزلت هذه الآيات وعن محمد بن كعب قال النقع ما بين مزدلفة ومنى والجمع مزدلفة فالمعنى فتحركن وقت الصبح أو بالجرى فى وادى محسر فصرن بجريهن وسط مزدلفة أو يكون المعنى فأظهرن فى ذلك الوقت أو فى جريهن صوتا بالتلبية فجعلن مزدلفة بجريهن فى الوسط وبيانه كذا حمل الآيات على الابل أو مع خيول الحجاج ما روى فى فضل هذه

السورة

(يومئذ يصدر الناس) أى ينصرف الناس (أشتاتا) أى متفرقين من موقف الحساب فآخذ ذات اليمين وآخذ ذات الشمال (ليروا أعمالهم) أى ثوابها (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) أى يؤتى ثوابه يعنى المؤمن فى الآخرة والكافر فى الدنيا يراه فى نفسه وأهله وماله (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) يعنى يرى جزاءه المؤمن فى الدنيا بالأحزان والمصائب والكافر فى الآخرة

﴿تفسير سورة والعاديات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والعاديات) يعنى الخيل فى الغزو (ضبحا) أى تضبح ضبحا وهو صوت أجوافها اذا عدت (فالموريات) وهى الخيل التى تورى النار (قدحا) يعنى بحوافرها اذا عدت فى الارض ذات الحجارة بالليل (فالمغيرات صبحا) يعنى الخيل تغير على العدو وقت الصبح وانما يغير أصحابها ولكن جرى الكلام عليها (فأثرن) أى هيجن (به) أى بمكان عدوها (نقعا) يعنى غبارا (فوسطن) أى توسطن (به) أى بالمكان الذى هى به (جمعا) من الناس أغارت عليهم يريد صارت فى وسط قوم من العدو تغير عليهم

السورة صبحا فوسطن أي أتى شياطين على الجمع مختلطين بأسنانها المرتفعة وشبهها (ان الانسان لربه لكنود) أي ان طبع جنس الانسان لكفور بنعمة ربه كما قاله ابن عباس وغيره وهذا بلسان ربيعة ومضر أو لربه لوام فيعد المصائب والمحن وينسى النعم والراحات كما قاله الحسن ويقال عاص لربه بلسان حضرموت ويقال بخيل بلسان بني مالك بن كنانة وقيل المراد بالانسان الكافر كما قال ابن عباس ان هذه الآية نزلت في قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشي وقيل في أبي حباحب أي وهما كافران (وانه على ذلك لشهيد) أي وان الرب تعالى على ذلك الصنع لشهيد حافظ (وانه) أي الانسان (لحب الخير) أي المال (لشديد) أي قوي ولطلبه مطيق أو ان الانسان وهو قرط أو أبو حباحب لاجل حب المال لبخيل ممسك (أفلا يعلم اذا بعثر ما في القبور) أي أفلا يعلم الانسان قرط أو أبو حباحب في الدنيا انه تعالى يجازيه اذا أخرج ما في القبور من الاموات والعامل في اذا ما دل عليه قوله تعالى ان ربهم بهم يومئذ لخبير ومعنى علم الله بهم يوم القيامة مجازاته لهم وأتى بما لان غير المكلفين الذين في الارض أكثر (وحصل ما في الصدور) أي بين ما في القلوب من الكفر والايمان والبخل والسخاوة وقرئ حصل مبنيا للفاعل ومخففا أي ظهر ما في القلوب من الاسرار الخفية (ان ربهم) أي الانسان (بهم يومئذ لخبير) وقوله تعالى بهم ويومئذ متعلقان بخبير وجمع الضمير العائد الى الانسان اعتبارا بمعناه لانه اسم جنس أي أفلا يعلم الانسان ان ربهم عالم بهم يجازيهم في يوم البعث فلا حاكم يروج حكمه ولا عالم تروج فتواه يومئذ الا هو وقرأ أبو السمال أن ربهم بهم يومئذ خبير بفتح همزة أن واسقاط اللام من لخبير

﴿سورة القارعة مكية عشرة آيات وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(القارعة) أي الصيحة التي تقرع القلوب (ما القارعة) أي أي شيء عجيب هي في الفخامة والفظاعة (وما أدراك ما القارعة) أي وأي شيء أعلمك يا أشرف الرسل ما شأن القارعة (يوم يكون الناس) ويوم مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأي الكوفيين أي هي يوم يكون الناس فيه (كالفراش المبثوث) أي المفرق فالله تعالى شبه الناس في وقت البعث بالفراش المنشور في الكثرة والتطاير الى الداعي لانهم لما بعثوا يموج بعضهم في بعض كالفراش وهو الحيوان الذي يتهافت في النار (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) أي وتصير الجبال كالصوف الذي ينفش باليد في تفرق أجزائها وتطايرها في الجو (فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية) أي فمن ترجحت مقادير حسناته فهو في عيشة ذات رضا يرضاها صاحبها أي فهو في الجنة بغير حساب أما من استوت حسناته وسيئاته فيحاسب حسابا يسيرا (وأما من خفت موازينه فأمه هاوية) أي وأما من طاشت حسناته فترجحت السيئات على الحسنات فأم رأسه نازلة في النار أي فيهوي في النار على هامته ثم ان كان مؤمنا فاما أن يعذب بقدر ذنوبه ثم يخرج منها الى الجنة واما أن يشفع فيه وان كان كافرا فيخلد في النار (وما أدراك ماهيه) أي وأي شيء أعلمك يا أكرم الرسل ما هاويه والهاء للسكت وقرأ حمزة في الوصل بغير هاء ووقف بها والباقون باثباتها وصلا ووقفا لانها ثابتة في المصحف (نار حامية) أي هي نار متناهية حرها فسائر النيران بالنسبة اليها كأنها ليست حارة نعوذ بالله منها ومن جميع أنواع العذاب

(ان الانسان) جواب القسم (لربه لكنود) أي لكفور يعني الكافر [illegible] (وانه) ... الله على كفره [illegible] وانه لحب الخير لشديد) وانه لأجل حب المال لبخيل (أفلا يعلم) هذا الانسان (اذا بعثر) أي قلب وأثير (ما في القبور) يعني اذا بعث الموتى (وحصل) أي بين وأبرز (ما في الصدور) أي من الكفر والايمان (ان ربهم بهم يومئذ لخبير) أي عالم فيجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم وانما قال بهم لان الانسان اسم للجنس والله أعلم بتأويل كلامه

﴿تفسير سورة القارعة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(القارعة) أي القيامة لانها تقرع القلوب بأهوالها (وما أدراك) أعلمك (ما القارعة) تفخيم لشأنها وتهويل كما قلنا في الحاقة (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) أي كغوغاء الجراد لا تتجه لجهة واحدة كذلك الناس اذا بعثوا ماج بعضهم في بعض للحيرة والمبثوث المفرق (وتكون الجبال كالعهن) يعني كالصوف (المنفوش) أي المندوف لخفة سيرها (فأما من ثقلت موازينه) بالحسنات (فهو في عيشة راضية) أي في جنة يرضاها (وأما من خفت موازينه فأمه هاوية) أي فمسكنه النار (وما أدراك ماهيه) أي ما هاويه ثم فسرها فقال (نار حامية) أي شديدة الحرارة

﴿سورة التكاثر مكية ثمان آيات وثمانية وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ألهاكم التكاثر) أى شغلكم التغالب بالمناقب وبكثرة المال وعدد الرجال والتباهى بذلك عن التدبر فى أمر القارعة والاستعداد لها قبل الموت روى أن بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا بالاشراف فى الاسلام فقال كل من الفريقين نحن أكثر منكم سيدا وأعز عزا وأعظم نفرا فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغى أفنانا فى الجاهلية فعدوا أحياءنا وأحياءكم وأمواتنا وأمواتكم ففعلوا فكثرهم بنو سهم فنزلت فيهم هذه السورة وروى مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ ألهاكم وقال ابن آدم يقول مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وقرئ أألهاكم على الاستفهام التقريرى (حتى زرتم المقابر) أى حتى آتاكم الموت فصرتم فى المقابر زوارا تسيرون عنها الى مكان الحساب يقال لمن مات قد زار قبره وانما يقال ذلك لانه لابد له من انتقال عنها الى منزله من جنة أو نار (كلا سوف تعلمون) أى حقا سوف تعلمون عند الموت حين يقال لكم لا بشرى وفى وقت سؤال القبر (ثم كلا سوف تعلمون) عند النشور حين ينادى المنادى فلان شقى شقاوة لا سعادة بعدها أبدا وحين يقال وامتازوا اليوم (كلا لو تعلمون علم اليقين) وجواب لو محذوف أى حقا لو علمتم لأى أمر خلقتم لاشتغلتم به وما تفاخرتم فى الدنيا ويقال ان المعنى لو تعلمون علم الموت وما يلقى الانسان معه وبعده فى القبر وفى الآخرة لم يلهكم التفاخر عن ذكر الله (لترون الجحيم) وهذا جواب قسم محذوف أى والله لترون عذاب الجحيم فانها يراها المؤمنون أيضا فكان الوعيد فى رؤية عذابها الا فى رؤية نفسها وقرأ ابن عامر والكسائى بضم التاء أى انهم يحشرون الى الجحيم فيرونها (ثم لترونها عين اليقين) أى ثم لترون نفس الجحيم بعين اليقين فانهم فى المرة الاولى رأوا لهبا لاغير وفى المرة الثانية رأوا نفس الحفرة وكيفية السقوط فيها وما فيها من الحيوانات المؤذية ولاشك ان هذه الرؤية أجلى والحكمة فى النقل من العلم الاخفى الى الاجلى التقريع على ترك النظر لانهم كانوا يقتصرون على الظن ولا يطلبون الزيادة (ثم لتسئلن يومئذ) أى يوم رؤية الجحيم (عن النعيم) فى الدنيا فسؤال المؤمن سؤال تشريف وتبشير بأن يجمع له بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة لانه شكر النعم وسؤال الكافر توبيخ وتقريع لانه ترك الشكر حيث قابل نعيم الدنيا بالكفر والعصيان وروى الحاكم فى الحديث ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية فى كل يوم قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية قال أوما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر

﴿سورة والعصر مكية ثلاث آيات وأربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والعصر) أى الدهر أقسم الله به لانه مشتمل على الاعاجيب لانه يحصل فيه السراء والضراء والصحة والسقم والغنى والفقر بل فيه ماهو أعجب من كل عجيب أو هو العشى أقسم تعالى بالعصر كما أقسم بالضحى فان كل عشية تشبه تخريب الدنيا بالموت وكل بكرة تشبه القيامة يخرجون من القبور ونصير الاموات أحياء وقال الحسن انه أقسم الله بهذا الوقت تنبيها على أن الاسواق قد دنا وقت انتهائها وقرب وقت انتهاء التجارة فيها أو هو صلاة العصر أقسم الله بها لفضلها روى أن امرأة كانت تصيح فى سكك المدينة وتقول دلونى على النبى صلى الله عليه وسلم فرآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها ماذا حدث فيك قالت يارسول الله ان زوجى غاب عنى فزنيت فجاءنى ولد من الزنا فقتلت الولد فى دن

﴿تفسير سورة التكاثر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ألهاكم) شغلكم (التكاثر) بالاموال والاولاد والعدد عن طاعة الله (حتى زرتم المقابر) أى حتى أدرككم الموت على تلك الحال نزلت فى اليهود وقالوا نحن أكثر من بنى فلان وبنو فلان أكثر من بنى فلان أى ألهاكم ذلك حتى متم ضلالا وقيل عام (كلا) ليس الامر الذى ينبغى أن تكونوا عليه التكاثر (سوف تعلمون) عند النزع سوء عاقبة ما كنتم عليه (ثم كلا سوف تعلمون) فى القبر والتأكيد تكرير للتهديد (كلا لو تعلمون علم اليقين) أى لو علمتم الامر حق علمه لشغلكم ذلك عما أنتم فيه وجواب لو محذوف ثم ابتدأ فقال (لترون الجحيم ثم لترونها) تأكيد أيضا (عين اليقين) أى عيانا لستم عنها بغائبين (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) أى عن الامن والصحة فيما أفنيتموهما

﴿تفسير سورة العصر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والعصر) هو الدهر أقسم الله به

ابن أخل حتى ماتت ثم بعت ذلك اللبن فهل لى من توبة فقال صلى الله عليه وسلم أما الزنا فعليك الرجم وأما قتل الولد فجزاؤه جهنم وأما بيع الخل فقد ارتكبت كبيرا لكن ظننت أنك تركت صلاة العصر ففى هذا الحديث اشارة الى تفخيم أمر هذه الصلاة (ان الانسان لفى خسر) أى لفى غبن فى مساعيهم وصرف أعمارهم فى مباغيهم أو فى نقصان عمله بعد الهرم والموت (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم فى تجارة لن تبور حيث استبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات (وتواصوا بالحق) أى تحاثوا بكل ما حكم الشرع بصحته من علم وعمل (وتواصوا بالصبر) أى تحاثوا بالصبر على أداء فرائض الله واجتناب معاصيه وعلى المرازى

﴿ سورة الهمزة مكية تسع آيات وأربع وثمانون كلمة ومائة واحدى وستون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ويل) أى شدة عذاب أو واد فى جهنم من قيح ودم (لكل همزة) أى مغتاب للناس من خلفهم (لمزة) أى طعان فى وجوههم نزلت هذه الآية فى أخنس بن شريق فانه كان يلمز الناس ويغتابهم وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قاله عطاء والكلبى والسدى أو فى الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبى صلى الله عليه وسلم من ورائه ويطعن عليه فى وجهه كما قاله مقاتل وجريج أو فى أبى بن خلف كما قاله عثمان ابن عمر أو فى أمية بن خلف كما قاله محمد بن اسحق أو فى جميل بن فلان كما قاله مجاهد (الذى جمع مالا وعدده) أى أحصاه وقال الاخفش أى جعله ذخيرة لحوادث الدهر وقال الضحاك أى أعده لمن يرثه من أولاده وقيل أى فاخر بكثرة عدد وقرأ حمزة والكسائى وابن عامر جمع بتشديد الميم على التكثير وقرأ الحسن والكلبى وعدده بتخفيف الدال وهو معطوف على مالا أى وجمع المال وعدد ذلك المال أو وجمع عدد نفسه من أقاربه وعشيرته الذين ينصرونه وقيل هو فعل ماض بفك الادغام (يحسب أن ماله أخلده) أى يظن الكافر أن ماله جعله خالدا فى الدنيا لا يموت لطول أمله ولفرط غفلته ويعتقد أنه ان نقص ماله يموت فلبخله قال الحسن ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه كالموت وقيل يظن أن المال يخلد صاحبه فى الدنيا بالذكر الجميل وفى الآخرة فى النعيم المقيم وهذا تعريض بالعمل الصالح (كلا) أى ليس الامر كما يظن أن المال يخلده بل العلم والصلاح وعلى هذا يجوز الوقف هنا أو بمعنى حقا (لينبذن فى الحطمة) أى والله ليطرحن فى النار التى تحطم كل من وقع فيها أى تكسره وقرئ لينبذان بالمثنى أى هو وماله وقرئ لينبذن بضم الدال أى هو وأنصاره وذلك لان شأنه كسر أعراض الناس فان الجزاء من جنس العمل (وما أدراك ما الحطمة) التى هى جزاء الهمزة اللمزة (نار الله الموقدة) أى التى لا تخمد أبدا بقدرته تعالى (التى تطلع على الافئدة) أى التى تعلو وساط القلوب فانها محل العقائد الزائغة ومنشأ الاعمال السيئة (انها عليهم مؤصدة) أى مطبقة أو مغلقة (فى عمد ممددة) أى حال كونهم موثقين فى عمد ممددة مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص اللهم أجرنا منها يا أكرم الاكرمين والعمود كل مستطيل من خشب أو حديد وقرأ حمزة والكسائى وشعبة عمد بضمتين جمع عمود أو عماد وروى عن أبى عمرو الضم والسكون وقرأ الباقون بفتحتين وهو على القراءتين جمع كثرة لعمود

﴿ سورة الفيل مكية خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وستة وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ألم تر) أى ألم تخبر يا أشرف الخلق أو ألم تعلم علما رصينا باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة

[illegible] فى الجنة (الا الذين آمنوا) فانهم ليسوا فى خسر (وتواصوا بالحق) أى أوصى بعضهم بعضا بالاقامة على التوحيد والايمان (وتواصوا بالصبر) أى على طاعة الله والجهاد فى سبيله ويروى مرفوعا أن قوله ان الانسان لفى خسر يعنى به أبا جهل الا الذين آمنوا يعنى أبا بكر وعملوا الصالحات يعنى عمر وتواصوا بالحق يعنى عثمان وتواصوا بالصبر يعنى عليا رضى الله عنهم

﴿ تفسير سورة الهمزة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ويل لكل همزة لمزة) يعنى الانسان الذى يغتاب الناس ويغضبهم نزلت فى أمية بن خلف وقيل فى الوليد بن المغيرة كان يعتاب النبى صلى الله عليه وسلم (الذى جمع مالا وعدده) أى أعده للدهر وقيل أكثر عدده (يحسب أن ماله أخلده) فى الدنيا حتى لا يموت (كلا) أى ليس الامر على ما يحسب (لينبذن فى الحطمة) أى ليطرحن فى النار وقوله (التى تطلع على الأفئدة) أى يبلغ ألمها واحراقها الى الأفئدة (انها عليهم مؤصدة) أى مطبقة (فى عمد) جمع عمود (ممدة) قيل يعنى أوتاد الاطباق التى تطبق عليهم ومعنى فى عمد أى بعمد وقيل انها عمد يعذبون بها فى النار

﴿ تفسير سورة الفيل ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (ألم تر) أى ألم تعلم وقيل ألم تخبر

(كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) قال قتادة ان قائد الجيش اسمه ابرهة الاشرم من الحبشة قال سعيد بن جبير هو أبو اليكسوم (ألم يجعل كيدهم في تضليل) والهمزة للتقرير أي قد جعل ربك كيدهم في تخريب الكعبة في ابطال بأن دمرهم أشنع تدمير (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) أي طوائف روى ابن سيرين عن ابن عباس قال كانت تلك الطير طيرا لها خراطيم كخراطيم الفيل وأكف كأكف الكلاب وروى عطاء عنه قال طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا وقيل كانت بلقاء كالخطاطيف كما قالته عائشة وقال سعيد بن جبير كانت طيرا من السماء لم ير قبلها ولا بعدها مثلها وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها طير بين السماء والارض تعشش وتفرخ (ترميهم بحجارة من سجيل) أي طين متحجر مصنوع للعذاب وقيل بحجارة من جهنم فان سجين اسم من أسماء جهنم فأبدلت النون باللام (فجعلهم كعصف مأكول) أي كورق زرع أكلته الدود وروى ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف اليها الحاج فخرج من بني كنانة رجل وتغوط فيها ليلا فأغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج مع جيشه ومعه فيل اسمه محمود كان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره فلما بلغ قريبا من مكة وهو المغمس وهو في أرض الحل قريب من عرفة خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبأ جيشه وقدم الفيل محمودا فكانوا كلما وجهوه الى جهة الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى غيرها من الجهات هرول ثم رجع عبد المطلب وأتى البيت وأخذ بحلقته وهو يقول

لاهم ان المرأ يمنع حله فامنع حلالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدالك

ويقول أيضا

يارب لاأرجو لهم سواكا * يارب فامنع عنهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا * امنعهم ان يخربوا قراكا

فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها الطير غريبة ليست بنجدية ولا تهامية وكان مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فهربوا فهلكوا وروى ابرهة فتساقطت أنامله وأعضاؤه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر وخر ميتا بين يديه وهذه القصة وقعت في السنة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿سورة قريش مكية أربع آيات وسبع عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لايلاف قريش) واللام اما متعلقة بالسورة التي قبل هذه السورة واما متعلقة بالآية التي بعد هذه اللام واما متعلقة بمحذوف فعلى الاول فان التقدير فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش اي أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش وما ألفوا من رحلة الشتاء والصيف روى ان عمر رضي الله عنه قرأ في صلاة المغرب في الركعة الاولى والتين وفي الثانية ألم تر ولايلاف قريش معا من غير فصل بينهما ببسم الله الرحمن

(كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل) أي ضلال كيدهم فيما أرادوا من تخريب الكعبة (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) أي جماعات (ترميهم بحجارة من سجيل) أي من آجر (فجعلهم كعصف مأكول) أي كزرع أكلته الدولب فأفنته وداسته والعصف ورق الزرع

﴿تفسير سورة قريش﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لايلاف قريش) قيل هذه اللام تتصل بما قبلها على معنى أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش وتألف رحلتها وقيل معنى اللام التأخير على معنى فليعبدوا رب هذا البيت لايلاف قريش أي ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة واعترافا بها ويقال ألفت الشئ وآلفته بمعنى واحد والمعنى لالف قريش رحلتيها وذلك انه كانت لهم رحلتان رحلة في الشتاء الى اليمن ورحلة في الصيف الى الشام وبهما كانت تقوم معائشهم وتجاراتهم وكان لايتعرض لهم في تجاراتهم أحد بقولهم سكان حرم الله وولاة بيته فمن الله عليهم بذلك وقال

[illegible] على الثاني بالتقدير فليعبدوا رب هذا
[illegible] البيت [illegible] لأجل إيلاف قريش ونعمهم
أي ليجعلوا عبادتهم شكراً لهذه النعمة وعلى الثالث فان هذه اللام لام التعجب فكان المعنى اعجبوا
لايلاف قريش وذلك لانهم كل يوم يزدادون غيا وانغماسا في عبادة الاوثان والله تعالى يؤلف شملهم
ويدفع الآفات عنهم وينظم أسباب معايشهم وذلك لاشك انه في غاية التعجب من عظيم حلم الله وكرمه
(ايلافهم) بدل من ايلاف الاول لان المبدل منه مطلق والبدل مقيد بالمفعول به أو توكيد لفظي فرحلة
مفعول لايلاف الاول وقرأ ابن عامر لالاف قريش بغير ياء بعد الهمزة والباقون بياء بعدها
وأجمع الكل على اثبات الياء في الثاني أي لؤلفهم قال ابن عادل ومن غريب ما اتفق في هذين
الحرفين ان القراء اختلفوا في سقوط الياء وثبوتها في الاول مع اتفاق المصاحف على اثباتها خطا واتفقوا
على اثبات الياء في الثاني مع اتفاق المصاحف على سقوطها منه خطا فهذا أدل دليل على ان القراء
متبعون الاثر والرواية لامجرد الخط وقرأ أبو جعفر لالف قريش الفهم بكسر الهمزة وسكون اللام
بزنة حمل وعن ابن عامر الافهم بزنة كتابهم كما روى عن ابن كثير أيضا وروى عن ابن عامر أيضا
كما روى عن عكرمة ليلاف قريش بياء ساكنة بعد اللام وقرأ عكرمة ليألف قريش فعلا مضارعا
وعنه أيضا ليألف على الامر (رحلة الشتاء والصيف) أي انتقالهما أي كانت لقريش رحلتان رحلة
بالشتاء الى اليمن لانها أدفأ وبالصيف الى الشام فكانت أشراف أهل مكة يرتحلون للتجارة هاتين
الرحلتين ويأتون لاهل بلدهم بما يحتاجون اليه من الاطعمة والثياب وانما كانوا يربحون في أسفارهم
لان ملوك النواحي كانوا يعظمون أهل مكة ويقولون هؤلاء جيران بيت الله وسكان حرمه وولاة
الكعبة حتى انهم كانوا يسمون أهل مكة أهل الله فلو تم للحبشة ماعزموا عليه من هدم الكعبة لزال
عنهم هذا العز ولبطلت تلك المزايا من التعظيم والاحترام ولصار سكان مكة كسكان سائر النواحي
يتخطفون من كل جانب ويتعرض لهم في نفوسهم وأموالهم فلما أهلك الله أصحاب الفيل ازداد وقع
أهل مكة في القلوب وازداد تعظيم ملوك الاطراف لهم فازدادت تلك المنافع والمتاجر حتى كان فقيرهم
كغنيهم لمجاء الاسلام وهم على ذلك فلهذا قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل لايلاف
قريش رحلتي الشتاء والصيف هذا وتعلق أول هذه السورة بما قبلها من قوله تعالى فعل ربك أو من
قوله تعالى فجعلهم كعصف ليس بحجة على انهما سورة واحدة لان القرآن كله كالسورة الواحدة وكالآية
الواحدة يصدق بعضها بعضا ويبين بعضها معنى بعض ألا ترى ان قوله تعالى انا أنزلناه متعلق بما قبله
من ذكر القرآن وأما قراءة سيدنا عمر رضي الله عنه فانها لاتدل على انهما سورة واحدة لان الامام
قد يقرأ سورتين في ركعة واحدة وقيل ان المراد رحلة الناس الى أهل مكة فرحلة الشتاء والصيف عمرة
رجب وحج ذي الحجة لانه كان أحدهما شتاء والآخر صيفا وموسم منافع مكة يكون بهما ولو كان
تم لاصحاب الفيل ما أرادوا لتعطلت هذه المنفعة وقرئ رحلة بضم الراء وهي الجهة التي يرحل اليها
(فليعبدوا رب هذا البيت) قال الخليل وسيبويه ان اللام في لايلاف متعلقة بقوله فليعبدوا
ودخول الفاء فيه لما في الكلام من معنى الشرط وذلك لان نعم الله عليهم لاتحصى فكأنه قيل
ان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة وهي ايلافهم رحلتي الشتاء
والصيف والمعنى جعلهم محبين لهما مستمرين بهما لتيسيرهما عليهم فليعبدوه تعالى (الذي أطعمهم
من جوع) أي من بعد جوع بحمل الميرة اليهم من البلاد في البر والبحر بواسطة كونهم
جيران البيت (وآمنهم من خوف) أي من خوف دخول العدو عليهم ومن خوف زحمة

(فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع) أي بعد جوع وكانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الميتة والجيفة ثم كشف الله ذلك عنهم (وآمنهم من خوف) فلا يخافون في الحرم العارة ولا يخافون في رحلتهم

النهار بالقيل أو الخوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقال الضحاك والربيع أى آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام وقيل آمنهم من خوف الضلال بالاسلام فقد كانوا فى الكفر يتفكرون فيعلمون ان الدين الذى هم عليه ليس بشئ الا انهم ما كانوا يعرفون الدين الذى يجب على العاقل ان يتمسك به فكانت نعمة الامانة دينية فلا تحصل الا لمن كان تقيا أما نعمة الدنيا فهى تصل الى البر والفاجر والصالح والطالح

﴿سورة الماعون وتسمى سورة الدين وسورة أرأيت مكية ومدنية

سبع آيات وخمس وعشرون كلمة ومائة وثلاثة وعشرون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(أرأيت الذى يكذب بالدين) فرأى اما بصرية فالمعنى أأبصرت المكذب بالجزاء أو بالاسلام أو هل عرفته واما بمعنى أخبرنى الذى يكذب بالحساب من هو ويدل على هذا قراءة عبد الله بن مسعود أرأيتك بزيادة حرف الخطاب والكاف لا تلحق البصرية وقرأ نافع بتسهيل الهمزة بعد الراء ولورش ابدالها ألفا وأسقطها الكسائى ولم يصح عن العرب ريت ولكن لما كان حرف الاستفهام فى أول الكلام سهل حذف الهمزة (فذلك الذى يدع اليتيم) والفاء جواب شرط محذوف أى ان أردت ان تعرف المكذب بالحساب فذلك الذى يدفع اليتيم بعنف عن حقه وقرئ يدع اليتيم أى يتركه ولا يدعوه أى يدعو جميع الاجانب ويترك اليتيم أى يترك المواساة معه وان لم تكن المواساة واجبة وقد يذم المرء بترك النوافل وقرئ يدعو اليتيم أى يدعوه رياء ثم لا يطعمه وانما يدعوه استخداما أو قهرا (ولا يحض على طعام المسكين) أى ولا يحث أهله وغيرهم من الموسرين على صدقة المساكين قال ابن جريج نزلت هذه الآية فى أبى سفيان كان ينحر جزورين فى كل أسبوع فأتاه يتيم فسأله لحما فقرعه بعصاه وقال مقاتل نزلت فى العاص بن وائل السهمى وكان من صفته الجمع بين التكذيب بيوم القيامة والاتيان بالافعال القبيحة وحكى الماوردى انها نزلت فى أبى جهل روى أنه كان وصيا ليتيم فجاءه وهو عريان يسأله شيأ من مال نفسه فدفعه ولم يعبأ به فأيس الصبى فقال له أكابر قريش قل لمحمد يشفع لك وكان غرضهم الاستهزاء ولم يعرف اليتيم ذلك فجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم والتمس منه ذلك وهو صلى الله عليه وسلم ما كان يرد محتاجا فذهب معه الى أبى جهل فرحب به وبذل المال لليتيم فعيره قريش فقالوا صبوت فقال لا والله ما صبوت لكن رأيت عن يمينه وعن يساره حربة خفت ان لم أجبه يطعنها فى وقال السدى نزلت فى الوليد بن المغيرة وقال الضحاك نزلت فى عمرو ابن عائذ المخزومى وقال عطاء عن ابن عباس نزلت فى رجل من المنافقين (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) والنسيان عن الصلاة هو أن يبقى الانسان ناسيا لذكر الله فى جميع أجزاء الصلاة وهذا لا يصدر الا عن المنافق الذى يعتقد انه لا فائدة فى الصلاة اما المسلم الذى يعتقد ان فيها فائدة دينية يمتنع ان لا يتذكر أمر الدين والثواب والعقاب فى شئ من أجزاء الصلاة بل قد يحصل له السهو فى الصلاة بمعنى انه يصير ساهيا فى بعض أجزاء الصلاة فثبت ان السهو فى الصلاة من أفعال المؤمن والسهو عن الصلاة من أفعال الكافر (الذين هم يراؤن) بصلاتهم فاذا فاتتهم مع الناس تركوها والمرائى من يظهر الاعمال عند الناس مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه انه من أهل الدين والصلاح اما من يظهر النوافل ليقتدى به ويأمن على نفسه من الرياء فلا بأس بذلك وليس بمراء (ويمنعون الماعون) أى ويمنعون الناس الزكاة ويمنعون الناس منافع البيت كالفاس والدلو والابرة والقدر والقصعة والمغرفة والمقدحة والغربال والدلو والملح والماء والنار

﴿تفسير سورة الدين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(أرأيت الذى يكذب بالدين) نزلت فى العاص ابن وائل وقيل فى الوليد ابن المغيرة وقيل فى أبى سفيان وذلك أنه نحر جزورا فأتاه يتيم يسأله فقرعه بعصاه فذلك قوله (فذلك الذى يدع اليتيم) أى يدفعه بجفوة عن حقه (ولا يحض على طعام المسكين) أى لا يطعم المسكين ولا يأمر باطعامه (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) أى غافلون يؤخرونها عن وقتها (الذين هم يراؤن) يعنى المنافقين يصلون فى العلانية ويتركون الصلاة فى السر (ويمنعون الماعون) أى الزكاة المفروضة وما فيه منفعة من العارية الفاس والقدر والماء والملح

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا أعطيناك) وقرئ أنطيناك يا أشرف الخلق (الكوثر) أى الخير المفرط فى الكثرة من شرف النبوة الجامعة لخيرى الدارين فان كتاب محمد هو الكتاب المهيمن على كتاب آدم وصحف ابراهيم وموسى وتحدى به بالقرآن وذلك أعلاه كما تحدى آدم بالاسماء وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان على شط ماء ومعه عكرمة بن أبي جهل فقال لئن كنت صادقا فادع ذلك الحجر الذى هو فى الجانب الآخر فليسبح ولا يغرق فأشار الرسول اليه فانقلع الحجر الذى أشار اليه من مكانه وعلم حتى صار بين يدى الرسول وسلم عليه وشهد له بالرسالة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يكفيك هذا قال حتى يرجع الى مكانه فأمره النبي صلى الله عليه وسلم فرجع الى مكانه وهذا أعظم من امساك سفينة نوح على الماء وعن محمد بن حاطب قال كنت طفلا فانصب القدر علىّ من النار فاحترق جلدى كله فحملتنى أمى الى الرسول صلى الله عليه وسلم وقالت هذا ابن حاطب احترق كما ترى فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم على جلدى ومسح بيده على المحترق منه وقال أذهب الباس رب الناس فصرت صحيحا لا بأس بى وذلك أعلم من جعل النار بردا وسلاما على ابراهيم وأكرم الله محمدا ففلق له القمر فوق السماء وفجر له أصابعه عيونا وكان الغمام يظله وأعطاه الله القرآن الذى وصل نوره الى الشرق والغرب ولما أراد أبو جهل أن يرميه بالحجر رأى على كتفيه ثعبانين فانصرف مرعوبا كما أكرم الله موسى ففلق له البحر فى الارض وفجر له الماء من الحجر وظلل عليه الغمام وأكرمه باليد البيضاء وقلب عصا موسى ثعبانا وسبحت الاحجار فى يد الرسول وأصحابه وكان هو لما مسح الشاة الجرباء درت وأكرمه الله بالبراق كما سبحت الجبال مع داود واذا مسح الحديد لان وأكرمه الله بالطير المحشورة وأضاف الرسول اليهود بالشاة المسمومة فلما وضع اللقمة فى فيه أخبرته وروى ان امرأة معاذ بن عفراء أتته وكانت برصاء وشكت ذلك الى الرسول فمسح عليها رسول الله بغصن وأذهب الله عنها البرص وحين سقطت حدقة الرجل يوم أحد فرفعها وجاء بها الى الرسول فردها الى مكانها وعرف ما أخفاه عمه مع أم الفضل فأخبره فأسلم العباس لذلك كما أكرم الله عيسى عليه السلام باحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ومعرفة ما يخفيه الناس فى بيوتهم وحين نام رسول الله ورأسه فى حجر على فانتبه وقد غربت الشمس فردها وصلى وردها مرة أخرى لعلى فصلى العصر فى وقته وروى ان طيرا فجع بولده فجعل يرفرف على رأسه صلى الله عليه وسلم ويكلمه فقال أيكم فجع هذه بولدها فقال رجل أنا فقال أردد اليها ولدها وأكرمه الله بالمسير الى بيت المقدس فى ساعة وكان يرسل حماره يعفورا الى من يريده فيجيء به وأرسل معاذا الى بعض النواحى فلما وصل الى المفازة فاذا أسد جاثم فهاله ذلك ولم يستجز ان يرجع فتقدم وقال أنا رسول رسول الله فانصرف وانقاد الجن له صلى الله عليه وسلم وحين جاء الاعرابى بالضب وقال لا أومن بك حتى يؤمن بك هذا الضب فتكلم الضب معترفا برسالته وحين كفل الظبية حين أرسلها الاعرابى رجعت تعدو حتى أخرجته من الكفالة كما رد الله لسليمان الشمس مرة وعلم منطق الطير وأكرمه الله بمسيره غدوة مسيرة شهر وانقاد الجن له فلما كانت رسالته صلى الله عليه وسلم كذلك جاز ان يسميها الله تعالى كوثرا فقال انا أعطيناك الكوثر قال عطاء الكوثر حوض النبي صلى الله عليه وسلم فى الموقف والمستفيض عند السلف والخلف انه نهر فى الجنة وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه

﴿تفسير سورة الكوثر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا أعطيناك الكوثر) قيل هو نهر فى الجنة حافتاه الدر وقيل الخير الكثير

أحلى من العسل وأبيض من الثلج وفي رواية أنس أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور خضر لها أعناق كأعناق البخت من أكل من ذلك الطير وشرب من ذلك الماء فاز بالرضوان وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فاذا أنا بنهر يجرى بياضه بياض اللبن وأحلى من العسل وحافتاه خيام الدر فضربت بيدى الى مجرى الماء فاذا الثرى مسك أذفر فقلت لجبريل ماهذا قال الكوثر الذي أعطاكه الله تعالى (فصل لربك) أى فدم على الصلاة خالصا لوجه ربك الذي أفاض عليك هذه النعمة الجليلة خلاف الساهين عنها المرائين فيها أداء لحقوق شكرها فان الصلاة جامعة لجميع أقسام الشكر (وانحر) أى استقبل القبلة بنحرك كما قاله ابن عباس والفراء والكلبي وأبو الاحوص كأنه تعالى يقول الكعبة بيتي وهي قبلة صلاتك وقلبك قبلة رحمتي ونظر عنايتي فلتكن القبلتان متناحرتين أى متقابلتين (ان شانئك هو الابتر) أى ان مبغضك هو المنقطع عن كل خير وهو أبو جهل كما قاله ابن عباس روى أن أبا جهل اتخذ ضيافة لقوم ثم انه وصف رسول الله بالابتر ثم قال قوموا حتى نذهب الى محمد وأصارعه وأجعله ذليلا حقيرا فلما وصلوا الى دار خديجة وتوافقوا على ذلك أخرجت خديجة بساطا فلما تصارعا جعل أبو جهل يجتهد في ان يصرعه وبقى صلى الله عليه وسلم واقفا كالجبل ثم بعد ذلك رماه النبي صلى الله عليه وسلم على أقبح وجه فلما رجع أخذه باليد اليسرى فصرعه على الارض مرة أخرى ووضع قدمه على صدره أو هو أبو لهب كما قاله عطاء فانه صلى الله عليه وسلم لما شافهه بقوله تبا لك كان أبو لهب يقول في غيبته انه صلى الله عليه وسلم أبتر فنزلت هذه الآية أو هو العاص بن وائل السهمي كما قاله عكرمة روى ان العاص بن وائل كان يقول ان محمدا أبتر لا ابن له يقوم مقامه بعده فاذا مات انقطع ذكره واسترحتم منه وكان قد مات ابنه عبد الله من خديجة وهذا قول ابن عباس ومقاتل والكلبي وعامة أهل التفسير أو هو عقبة بن أبي معيط كما قاله شمر ابن عطية فانه هو الذي كان يقول ذلك ووصف الله تعالى العدو بكونه شانئا اشارة الى وعده تعالى لرسوله بقهر العدو كأنه تعالى يقول هذا الذي يبغضك لا يقدر على شيء آخر سوى انه مبغضك فيحترق قلبه غيظا وحسدا

﴿ سورة الكافرون وتسمى أيضا سورة المنابذة أو المعابدة وسورة الاخلاص أى اخلاص العبادة وسورة المقشقشة أى المبرئة من النفاق وهي ست آيات وستة وعشرون كلمة وأربعة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قل) يا أشرف الرسل (يا أيها الكافرون) روى ان الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب وأمية بن خلف قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد هلم حتى نعبد الهك مدة ونعبد آلهتنا مدة فيحصل الصلح بيننا وبينك وتزول العداوة من بيننا فان كان أمرك رشيدا أخذنا منه حظا وان كان أمرنا رشيدا أخذت منه حظا فنزلت هذه السورة فلما نزلت وقرأها على رؤسهم شتموه وأيسوا منه (لا أعبد ما تعبدون) أى لا أعبد الذى تعبدونه فى المستقبل والمعنى لا أفعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة آلهتكم من دون الله من الاوثان (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أى ولا أنتم عابدون فى المستقبل عبادتى أى مثل عبادتى أى ولا أنتم فاعلون فى المستقبل ما أطلبه منكم من عبادة الهى وهو الله الواحد (ولا أنا عابد ما عبدتم) أى وما كنت قط عابدا فيما مضى الذى عبدتم فيه أى لم يعهد منى عبادة صنم فى الجاهلية فكيف ترجى

(فصل لربك) أى صلاة العيد يوم النحر (وانحر) نسكك وقيل فصل لربك وانحر أى وضع يديك على نحرك فى صلاتك (ان شانئك) أى مبغضك (هو الابتر) أى المنقطع العقب وقيل المنقطع عن كل خير نزلت فى العاص بن وائل سمى النبى صلى الله عليه وسلم أبتر عند موت ابنه القاسم

﴿ سورة الكافرين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قل يا أيها الكافرون) نزلت فى رهط من قريش قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فأنزل الله هذه السورة (لا أعبد ما تعبدون) فى الحال (ولا أنتم عابدون) فى الحال (ما أعبد ولا أنا عابد) فى الاستقبال (ما عبدتم

[illegible] مثل عبادتي وانما [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] فهو الاهم فبدأ به أما حكايته صلى الله عليه وسلم عن نفسه فلئلا يتوهم الجاهل أنه صلى الله عليه وسلم يعبد الاوثان سرا خوفا منها أو طمعا اليها وأما نفيه صلى الله عليه وسلم عبادتهم فلان فعل الكافر ليس بعبادة أصلا وان كان يعبد الله في بعض الاحوال وانما قال ما عبدتم في الرابعة ولم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم في الثالثة لان عبادته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة لم تظهر لاحد بخلافها بعدها أما عبادة الكافر قبل البعثة وبعدها فظاهرة عند الناس (لكم دينكم) وهذا تثبيت لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون ولقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم (ولي دين) وهذا تقرير لقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد والمعنى ان دينكم الذي هو الاشراك مقصور لكم وان ديني الذي هو التوحيد مقصور لي كأنه صلى الله عليه وسلم يقول اني نبي مبعوث اليكم لأدعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فاتركوني ولا تدعوني الى الشرك وقيل معنى الآية لكم حسابكم ولي حسابي ولا يرجع الى كل واحد منا من عمل صاحبه أثر البتة وقيل لكم العقوبة من ربي ولي العقوبة من أصنامكم لكن أصنامكم جمادات فانا لا أخشى عقوبة الاصنام وقيل لكم عادتكم المأخوذة من أسلافكم والشياطين حتى تلقوا الشياطين والنار ولي عادتي المأخوذة من الملائكة والوحي حتى ألقى الملائكة والجنة وقرأ نافع وهشام وحفص بفتح ياء ولي وحذف ياء الاضافة من دين وقفا ووصلا السبعة وجمهور القراء وأثبتها في الحالين سلام ويعقوب

﴿سورة النصر وتسمى سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا وهي آخر سورة نزلت قاله ابن عباس مدنية وهي ثلاث آيات وثلاث وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا جاء نصر الله) ان كان نزول هذه السورة قبل فتح مكة فاذا ظرف مستقبل جوابه فسبح فان كان النزول بعد الفتح فاذا بمعنى اذ التي للماضي فهي على هذا متعلقة بمقدر أي أكمل الله الامر وأتم النعمة اذ حصل اعانة الله تعالى على عدوك (والفتح) أي فتح مكة وهو الفتح الذي يقال له فتح الفتوح وكان لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ومعه عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب الى ان نزل مر الظهران وقدم العباس وأبو سفيان اليه فاستأذنا وأذن لعمه خاصة فقال أبو سفيان اما ان تأذن لي والا أذهب بولدي الى المفازة فنموت جوعا وعطشا فرق قلبه فأذن له وقال له ألم يأن ان تسلم وتوحد فقال أظن انه واحد ولو كان ههنا غير الله لنصرنا فقال ألم يأن أن تعرف أني رسوله فقال ان لي شكا في ذلك فقال العباس اسلم قبل ان يقتلك عمر فقال وماذا أصنع بالعزى فقال عمر لولا انك بين يدي رسول الله لضربت عنقك فقال يا محمد أليس الاولى ان تترك هؤلاء الاوباش وتصالح قومك وعشيرتك وسكان مكة عشيرتك وأقاربك وتعرضهم للشن والغارة فقال صلى الله عليه وسلم هؤلاء نصروني وأعانوني وذبوا عن حريمي وأهل مكة أخرجوني وظلموني فان هم أسروا فبسوء صنيعهم وأمر العباس بان يذهب به ويوقفه على المرصاد ليطالع العسكر ثم تقدم أبو سفيان ودخل مكة وقال ان محمدا جاء بعسكر لا يطيقه أحد ولما سمع أبو سفيان أذان القوم للفجر وكانوا عشرة آلاف فزع من ذلك فزعا شديدا وسأل العباس فأخبره بأمر الصلاة ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة على راحلته ولحيته على قربوس سرجه كالساجد

ولا أنتم عابدون) في الاستقبال (ما أعبد) نفى عنهم عبادة الله في الحال وفيما يستقبل وهذا في قوم أعلمه الله انهم لا يؤمنون ونفى أيضا عن نفسه عبادة الاصنام في الحال وفيما يستقبل ليبأسوا منه في ذلك (لكم دينكم) الشرك (ولي دين) الاسلام وهذا قبل أن يؤمر بالحرب

﴿تفسير سورة النصر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا جاء نصر الله) أتاك على من ناواك من اليهود والعرب (والفتح) يعني فتح مكة

[illegible]

دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فقال أبو سفيان يسع المسجد فقال ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ثم وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب المسجد وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا أهل مكة ماترون انى فاعل بكم فقالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيأ فلذلك سمى أهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام وأقام صلى الله عليه وسلم فى مكة خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن وقرئ فتح الله والنصر (ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) أى وأبصرت الناس يدخلون فى ملة الاسلام جماعات كثيفة كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين وقرئ يدخلون على البناء للمفعول (فسبح بحمد ربك) أى فقل سبحان الله حامدا له (واستغفره) أى واطلب غفرانه هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستعظاما لحقوق الله واستدراكا لما فرط منك من ترك الاولى وكأنه تعالى يقول اذا جاء نصر الله اياك والمؤمنين والفتح ودخول الناس فى دينك فاشتغل أنت بالتسبيح والحمد والاستغفار (انه كان توابا) أى انه تعالى يكثر قبول التوبة لكثير من التائبين والتوبة اسم للرجوع والندم والانسان قد يقول استغفر الله وليس بتائب فيكون كاذبا وكان تقدير الكلام واستغفره بالتوبة وفى هذا تنبيه على ان خواتيم الاعمال يجب أن تكون بالتوبة والاستغفار وكذا خواتيم الاعمار وروى أنه صلى الله عليه وسلم لم يجلس مجلسا الا ختمه بالاستغفار وعن عائشة كان نبى الله فى آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء الا قال سبحان الله وبحمده فقلت يارسول الله انك تكثر من قول سبحان الله وبحمده قال انى أمرت بها وقرأ اذا جاء نصر الله وعن ابن مسعود لما نزلت هذه السورة كان عليه السلام يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى انك أنت التواب الغفور قال مقاتل لما نزلت هذه السورة قرأها النبى صلى الله عليه وسلم على أصحابه وفيهم أبو بكر وعمر وسعد بن أبى وقاص والعباس ففرحوا واستبشروا وبكى العباس فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما يبكيك ياعم قال نعيت اليك نفسك أى أخبرت بموتك قال انه كما قلت فعاش بعدها ستين يوما ما رؤى فيها ضاحكا مستبشرا وعن ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى فى حجة الوداع ثم نزل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى فعاش النبى صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين يوما ثم نزلت آية الكلالة فعاش بعدها خمسين يوما ثم نزل لقد جاءكم رسول من أنفسكم فعاش بعدها خمسة وثلاثين يوما ثم نزل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها احدى وعشرين يوما وقيل احد عشر يوما وقيل سبعة أيام والله أعلم وتوفى صلى الله عليه وسلم فى ربيع الاول لاثنى عشر خلت منه من هجرته الى المدينة والهجرة كانت لاثنى عشر خلت من ربيع الاول كما ان مولده كذلك على المشهور

﴿سورة أبى لهب وتسمى سورة تبت مكية خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تبت) أى هلكت (يدا أبى لهب) هو عبد العزى بن عبد المطلب (وتب) أى هلك هو والاولى مثبت تشبيه الدعاء عليه والثانية أخرجت مخرج الخبر أى وقد حصل الهلاك عليه وهذه الجملة على هذا على تقدير قد ويؤيده قراءة ابن مسعود وقد تب بالتصريح بقد وقيل كل واحد من الجملتين دعاء ولكن أريد بالجملة الاولى هلاك عمله وبالثانية هلاك نفسه [illegible] مهموم لامر [illegible] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد [illegible] ذات يوم [illegible]

(ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) أى جماعات بعد ما كان يدخل واحد واحد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال قد نعيت الى نفسى (فسبح بحمد ربك) أمره الله عز وجل ان يكثر التسبيح والاستغفار ليختم له فى آخر عمره بالزيادة فى العمل الصالح

﴿تفسير سورة تبت﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تبت يدا أبى لهب وتب) لما نزل قوله وأنذر عشيرتك الاقربين صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا ونادى بأعلى صوته يدعو قومه فاجتمعوا اليه فأنذرهم النار وقال انى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك مادعوتنا الا لهذا فأنزل الله تبت يدا أبى لهب أى خابت وخسرت وتب يعنى خسر هو ولما خوفه النبى صلى الله عليه وسلم بالعذاب فقال ان كان مايقوله ابن أخى حقا فأنا أفتدى منه بمالى وولدى فقال الله تعالى

[illegible]

[illegible] هذه السورة [illegible] فقال النبي صلى الله عليه وسلم بماذا تمثل فقال تبت يدا الذي تستوي فيه الأرض [illegible] صلى الله عليه وسلم لما دعاه نهارا فأبى فلما جن الليل ذهب الى داره مستنا بسنة قريش ليدعوه ليلا كما دعاه نهارا فلما دخل عليه قال له جئتني معتذرا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم أمامه كالمحتاج وجعل يدعوه الى الاسلام وقال ان كان يمنعك العار فأجبني في هذا الوقت واسكت فقال لا أومن بك حتى يؤمن بك هذا الجدي فقال صلى الله عليه وسلم للجدي من أنا فقال رسول الله وأطلق لسانه يثني عليه صلى الله عليه وسلم فاستولى الحسد على أبي لهب فأخذ بيدي الجدي ومزقه وقال تبا لك أثر فيك السحر فقال الجدي بل تبا لك فنزلت هذه السورة على وفق ذلك تبت يدا أبي لهب لتمزيقه يدي الجدي وقد حصل له بوجود الاعتقاد الباطل والقول الباطل والعمل الباطل (ما أغنى عنه ماله وما كسب) أي أي تأثير كان لماله وكسبه في دفع البلاء عنه فانه لا أحد أكثر مالا من قارون فهل دفع الموت عنه ولا أعظم ملكا من سليمان فهل دفع الموت عنه أو لا ينفع أبا لهب ماله وكسبه عند ذلك فما في ما أغنى للنفي أو للاستفهام وما في ما كسب اما مصدرية أو موصولة حذف عائدها أو استفهامية أي أي شيء كسب فينفعه روي أن أبا لهب كان يقول ان كان ما يقول ابن أخي حقا فأنا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي فأستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس أسد ولده عتيبة بالتصغير في طريق الشام فأنزل الله تعالى هذه الآية والكسب هو أرباح ماله وقيل نتاج ماشيته وقال ابن عباس وما كسب هو ولده والدليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ان أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وقال صلى الله عليه وسلم أنت ومالك لابيك ومات أبو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال والعدسة بثرة تخرج بالبدن فتقتل (سيصلى نارا ذات لهب) أي سيدخل أبو لهب في الآخرة نارا عظيمة ذات اشتعال وقرئ بضم الياء وفتح اللام مخففا ومشددا (وامرأته) معه أم جميل العوراء بنت حرب أخت أبي سفيان صخر بن حرب واسمها العوراء وقيل اسمها أروى وقرئ ومريئته بالتصغير للتحقير (حمالة الحطب) وماتت مخنوقة بحبلها وكانت أشدة عداوتها للنبي صلى الله عليه وسلم تحمل بنفسها الشوك والحطب فتنثرها بالليل في طريق النبي صلى الله عليه وسلم وكان عليه السلام يطؤه كما يطأ الحرير وقرأ عاصم بالنصب على الشتم أو على الحال اذا أريد حمل الحطب في مطاوي الزمن وقرأ الباقون بالرفع على أنه نعت لامرأته اذا أريد به الماضي وقرئ حمالة للحطب بالتنوين نصبا ورفعا فالرفع على الخبر لامرأته والنصب على الشتم أو على الحال من امرأته ان جعلتها مرفوعة بالعطف على الضمير المستتر أي تحمل يوم القيامة حزمة من حطب النار كما كانت تحمل الحطب في الدنيا لأذية الرسول وحينئذ فجملة في جيدها في موضع الحال من امرأته وان جعلتها مرفوعة بالابتداء فجملة في جيدها الخ هو خبر (في جيدها حبل من مسد) أي من حديد في الآخرة قال ابن عباس هو سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها في عنقها فتل من حديد فتلا محكما ويقال أي في عنقها رسن من ليف النخل وهو شجر الدوم الذي اختنقت به وماتت قال قتادة والضحاك ان العوراء كانت تعير رسول الله بالفقر ثم [illegible] كانت تحتطب في حبل من ليف تجعله في جيدها فخنقها الله تعالى به فأهلكها

﴿سورة الاخلاص وتسمى سورة المعرفة وسورة الجمال وسورة التوحيد وسورة النجاة وسورة [illegible] وسورة [illegible] لانها تمنع فتنة القبر ولفحات النار وسورة البراءة

(ما أغنى عنه ماله وما كسب) يعني ولده (سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب) أي نقالة الحديث الماشية بالنميمة وهي أم جميل أخت أبي سفيان (في جيدها) أي في عنقها (حبل من مسد) أي سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويلوى سائرها في عنقها والمسد كل ما أحكم فتله من الحبل

﴿تفسير سورة الاخلاص﴾

﴿سورة الاخلاص [illegible] من الشرك مكية أربع آيات وخمس عشرة كلمة وسبعة وأربعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قل هو الله أحد) ان هذه السورة نزلت بسبب سؤال المشركين قال الضحاك ان المشركين أرسلوا عامر بن الطفيل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا سببت آلهتنا وخالفت دين آبائك فان كنت فقيرا أغنيناك وان كنت مجنونا داويناك وان هويت امرأة زوجناكها فقال صلى الله عليه وسلم لست بفقير ولا مجنون ولا هويت امرأة أنا رسول الله أدعوكم من عبادة الاصنام الى عبادته فأرسلوه ثانية وقالوا قل له بين لنا جنس معبودك أمن ذهب أو فضة فأنزل الله هذه السورة فقالوا له ثلاثمائة وستون صنما لا تقوم بحوائجنا فكيف يقوم الواحد بحوائج الخلق فنزلت والصافات الى قوله تعالى ان الهكم لواحد فأرسلوه أخرى وقالوا بين لنا أفعاله فنزل ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان عامر بن طفيل وأربد بن ربيعة أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر الى من تدعونا يا محمد فقال الى الله تعالى قال صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضة أم من حديد أم من خشب فنزلت هذه السورة وأهلك الله تعالى أربد بالصاعقة وعامر بن الطفيل بالطاعون وقيل نزلت بسبب سؤال النصارى روى عن ابن عباس قال قدم وفد نجران فقالوا صف لنا ربك أمن زبرجد أو ياقوت أو ذهب أو فضة فقال ان ربي ليس من شيء لانه خالق الاشياء فنزل قل هو الله أحد قالوا هو واحد وأنت واحد فقال ليس كمثله شيء قالوا زدنا من الصفة فقال الله الصمد فقالوا وما الصمد فقال الذي يصمد اليه الخلق في الحوائج فقالوا زدنا فنزل لم يلد كما ولدت مريم ولم يولد كما ولد عيسى ولم يكن له كفوا أحد أي ليس له نظير من خلقه وقال الضحاك وقتادة ومقاتل جاء ناس من أحبار اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله تعالى أنزل صفته في التوراة فأخبرنا من أي شيء هو وهل يأكل ويشرب ومن ورث ومن يرثه فنزلت هذه السورة وصفات الله تعالى اما أن تكون اضافية واما أن تكون سلبية أما الاضافية فكقولنا عالم قادر مريد خلاق وأما السلبية فكقولنا ليس بجسم ولا بجوهر ولا بعرض وقولنا الله يدل على مجامع الصفات الاضافية وقولنا أحد يدل على مجامع الصفات السلبية وذلك لان الله تعالى هو الذي يستحق العبادة واستحقاق العبادة ليس الا لمن يستبد بالايجاد فالاستبداد بالايجاد لا يحصل الا لمن كان موصوفا بالقدرة التامة والارادة النافذة والعلم المتعلق بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات والمراد من الاحدية كون تلك الحقيقة في نفسها مفردة منزهة عن انحاء التراكيب (الله الصمد) أي السيد المصمود اليه في الحوائج وقال ابن مسعود والضحاك الصمد هو السيد الذي قد انتهى سؤدده وقيل الصمد هو الذي ليس فوقه أحد ولا يخاف من فوقه ولا يرجون من تحته ترفع الحوائج اليه وقال قتادة الصمد الباقي بعد فناء خلقه والذي لا يأكل ولا يشرب وهو يطعم ولا يطعم وقال أبي بن كعب هو الذي لا يموت ولا يورث وله ميراث السموات والارض وقال ابن كيسان هو الذي لا يوصف بصفة أحد وقال مقاتل بن حيان هو الذي لا عيب فيه (لم يلد) أي لم يصدر عنه ولد لانه لم يتجانسه شيء (ولم يولد) أي لم يصدر عن شيء لاستحالة نسبة العدم اليه تعالى سابقا ولاحقا ويقال لم يلد أي ليس له ولد فيرث ملكه ولم يولد أي ليس له والد فيرث عنه الملك فلم يرث ولم يورث (ولم يكن له كفوا أحد) أي لم يشاكله أحد من صاحبة وغيرها فيجب أن لا يكون شيء من الموجودات مساويا له تعالى في شيء من صفات الجلال والعظمة فالآية الاولى تبطل مذهب الثنوية القائلين بالنور والظلمة والنصارى في التثليث والصابئين في الافلاك والنجوم والآية الثانية تبطل مذهب من أثبت خالقا سواه لانه لو وجد خالق سواه لكان [illegible]

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ روى أن قوما من المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أنسب لنا ربك فأنزل الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم (قل هو الله أحد الله الصمد) أي الذي سألتم بيان نسبته هو الله أحد الله الصمد السيد الذي قد انتهى اليه السودد وقيل الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب وقيل هو المقصود اليه في الرغائب (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) أي مثلا له

[illegible]

... قل هو الله أحد ... [illegible] ... عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الصبح اثنتي عشرة مرة فكأنما قرأ القرآن أربع مرات وكان أفضل أهل الأرض يومئذ إذا اتقى وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة بأكفها حتى تجيز من الصراط إلى الجنة

﴿سورة الفلق مدنية خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وأربعة وسبعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قيل إن الله تعالى أنزل المعوذتين عليه صلى الله عليه وسلم ليكونا رقية من العين وروي أن جبريل عليه السلام أتاه وقال إن عفريتا من الجن يكيدك فقال إذا أويت إلى فراشك قل أعوذ برب السورتين وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا من الأوجاع كلها والحمى هذا الدعاء بسم الله الكريم أعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار ومن شر حر النار (قل أعوذ برب الفلق) أي الصبح فإنه وقت دعاء المضطرين وإجابة الملهوفين فكأنه يقول قل أعوذ برب الوقت الذي يفرج فيه عن كل مهموم ولأنه أنموذج من يوم القيامة لأن الخلق كالأموات والدور كالقبور ثم منهم من يخرج عن داره مفلسا عريانا ومنهم من كان مديونا فيجر إلى الحبس ومنهم من كان ملكا مطاعا فتقدم إليه المراكب ويقوم الناس بين يديه وكذا في يوم القيامة بعضهم مفلس عن الثواب عار عن لباس التقوى فيجر إلى الملك الجبار وبعضهم كان مطيعا لربه في الدنيا فصار ملكا مطاعا في العقبى يقدم إليه البراق وقيل الفلق واد في جهنم أو جب فيها روي عن بعض الصحابة أنه قدم الشام فرأى دور أهل الذمة وما هم فيه من خصب العيش فقال لا أبالي أليس من ورائهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره وإنما خصه الله بالذكر ههنا لأنه القادر على مثل هذا التعذيب وقد ثبت أن رحمته تعالى أعظم من عذابه فكأنه يقول يا صاحب العذاب الشديد أعوذ برحمتك التي هي أعظم وأقدم من عذابك وقال الرازي وأقرب التأويلات أن الفلق هو كل ما يفلقه الله تعالى كالأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الأمطار والأرحام عن الأولاد والبيض عن الفرخ والقلوب عن المعارف فكأن الله تعالى هو الذي فلق بحار ظلمات العدم بأنوار الإيجاد وكأنه تعالى قال قل أعوذ برب جميع الممكنات ومكون المحدثات فيكون التعظيم فيه أعظم ويكون الصبح وجب النار أحد الأمور الداخلة في هذا المعنى (من شر ما خلق) أي من شر كل ذي شر خلقه الرب من إبليس ومن جهنم ومن أصناف الحيوانات المؤذيات كالسباع والهوام وغيرهما (ومن شر غاسق إذا وقب) أي ومن شر قمر إذا طلع كما أخرجه الترمذي من حديث عائشة قالت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فأشار إلى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا

﴿تفسير سورة الفلق﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قل أعوذ برب الفلق) نزلت هذه السورة والتي بعدها لما سحر لبيد بن الأعصم اليهودي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتكى شكوى شديدة وأعلمه الله تعالى بما سحر به وبأين هو فبعث من أتاه به وكان وترا فيه إحدى عشرة عقدة فحلوا كلما حلوا عقدة وجد الراحة حتى حلوا العقد كلها وأمره الله أن يتعوذ بهاتين السورتين وهما إحدى عشرة آية على عدد العقد وقوله برب الفلق يعني الصبح (ومن شر غاسق) يعني الليل (إذا وقب) أي دخل

وقيل يعني خسوف القمر استثناء ومن شر غاسق اذا وقب يدخوله في الخسوف واسوداده أو من شر الشمس اذا غربت
ابن شهاب وانما سميت غاسقا لانها في الفلك تسبح فسمي جريانها بالغسق ووقوبها دخولها تحت
الارض أو من شر الثريا اذا سقطت لان الاسقام تكثر عند سقوطها وترتفع عند طلوعها كما قاله عبد
الرحمن بن زيد وعلى هذا تسمى الثريا غاسقا لانصبابه عند وقوعه في المغرب ووقوبه دخوله تحت الارض
وغيبوبته عن الاعين أو من شر حية اذا لدغت (ومن شر النفاثات في العقد) أي ومن شر
النساء اللاتي يبطلن عزائم الرجال بالحيل كما اختاره أبو مسلم فهي لآية ان النساء لاجل كثرة حبهن في
قلوب الرجال يتصرفن فيهم ويحولنهم من رأي الى رأي ومن عزيمة الى عزيمة فأمر الله رسوله بالتعوذ
من شرهن (ومن شر حاسد اذا حسد) أي اذا أظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه كتهيئة
مبادي الاضرار بالمحسود قولا أو فعلا

﴿سورة الناس مدنية ست آيات وعشرون كلمة وتسعة وتسعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قل) يا أشرف المرسلين (أعوذ برب الناس) أي ألتجئ بمصالح الناس والقائم بتدبيره وذكر الله
انه رب الناس على التخصيص مع انه رب جميع المحدثات لان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في
صدور الناس فكأنه قيل أعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم وهو معبودهم وقرئ في السورتين
بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام (ملك الناس) عطف بيان جيء به لبيان ان تربيته تعالى اياهم
بطريق الملك الكامل والتصرف الكلي لا بطريق تربية سائر الملاك لمماليكهم ولا يجوز ههنا مالك
الناس باثبات الالف بخلاف مالك يوم الدين في سورة الفاتحة والفرق ان قوله رب الناس أفاد كونه مالكا
لهم فلا بد وأن يكون المذكور عقبه هذا الملك ليفيد انه تعالى مالك وملك معا فان قيل أليس قال تعالى
في سورة الفاتحة رب العالمين ثم قال مالك يوم الدين فيلزم وقوع التكرار هناك قلنا اللفظ دل على انه
رب العالمين وهي الاشياء الموجودة في الحال وعلى انه مالك ليوم الدين فهناك الرب مضاف الى شيء
موجود الآن والمالك مضاف الى شيء يوجد في الآخرة فلم يلزم التكرير فظهر الفرق وأيضا فان جواز
القراآت يتبع النزول لا القياس (اله الناس) عطف بيان جيء به لبيان ان ملكه تعالى بطريق
المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهم احياء واماتة وايجادا
واعداما فوصف الله أولا بأنه رب الناس ثم الرب قد يكون ملكا وقد لا فبين بقوله ملك الناس ثم الملك قد
يكون الها وقد لا فبين بقوله اله الناس لان الاله خاص بالله تعالى لا يشركه فيه غيره وأيضا ان أول ما يعرف
العبد من معبوده كونه معطيا لما عنده من النعم الظاهرة والباطنة وهذا هو الرب ثم ينتقل من معرفة هذه
الصفة الى معرفة استغنائه عن الخلق فيحصل العلم بكونه ملكا لانه هو الذي يفتقر اليه غيره ويستغني عن
غيره ثم عرف العبد انه هو الذي ولهت العقول في عزته وعظمته فيعرف انه اله حقيقة (من شر
الوسواس) بفتح الواو وهو بمعنى الموسوس وهو الشيطان (الخناس) أي الذي يتأخر عند ذكر الانسان
ربه والوقف هنا كاف لمن رفع ما بعده أو نصبه على الشتم ولا وقف هنا لمن جعل ما بعده نعتا للوسواس
(الذي يوسوس في صدور الناس) أي في قلوب الغافل عن ذكر الله وسقوط الياء من الناس كسقوطها
في قوله تعالى يوم يدع الداع (من الجنة والناس) بيان للذي يوسوس على انه ضربان جني وانسي كما
قال تعالى شياطين الانس والجن وقيل هو لا يحتاج الى تكلف بعض ... من جعل قوله من الجنة بيان
للوسواس وجعل قوله والناس عطفا عليه كأنه قيل من شر الوسواس الذي يوسوس وهو الجن ومن

(ومن شر النفاثات) السواحر ينفثن (في العقد) كأنهن ينفخن فيها بشيء تقرأه (ومن شر حاسد اذا حسد) يعني لبيدا الذي سحره

﴿تفسير سورة الناس﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس) يعني ذا الوسواس وهو الشيطان (الخناس) الذي يخنس ويرجع اذا ذكر الله والشيطان جاثم على قلب الانسان فاذا ذكر الله تنحى وخنس واذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه وهو قوله (الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة) أي الشيطان الذي هو من الجن (والناس) عطف على قوله الوسواس المعنى من شر ذي الوسواس ومن شر الناس كأنه أمر أن يستعيذ من شر الجن ومن شر الانس والله سبحانه وتعالى أعلم

(تم تفسير القرآن العظيم المسمى بالوجيز) للامام الواحدي رحمه الله تعالى على يد الفقير علي بن يحيي في ١٩ شهر جماد الاول سنة ١١٧٦ ستة وسبعين ومائة بعد الالف والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

[illegible]

[illegible] وهي الشيطان الواحد

[illegible] بين السور [illegible] وهي ان المستعاذ به في السورة الاولى مذكور بصفة واحدة وهي انه رب الفلق والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات وهي الغاسق والنفاثات والحاسد وأما في هذه السورة المستعاذ به مذكور بصفات ثلاثة وهي الرب والملك والاله والمستعاذ منه آفة واحدة وهي الوسوسة والفرق بين الموضعين ان الثناء يجب ان يتقدر بقدر المطلوب فالمطلوب في السورة الاولى سلامة النفس والبدن والمطلوب في السورة الثانية سلامة الدين وهذا تنبيه على ان مضرة الدين وان قلت أعظم من مضار الدنيا وان عظمت والله أعلم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد انتهى ما من الله به علينا من المعاني الميسرة والالفاظ المسهلة في خامس ربيع الآخر ليلة الاربعاء عام سنة ١٣٠٥ ألف وثلاثمائة وخمسة على يد الفقير الى الله تعالى محمد نووي غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولاخوانه المسلمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين آمين

﴿يقول راجي غفران المساوي رئيس لجنة التصحيح بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر﴾

(محمد الزهري الغمراوي)

الحمد لله الذي أنزل القرآن وجعله هدى للعالمين وأودع فيه من جهة اللفظ والمعنى نورا يستضيء به كل مستهد حتى يصير من المؤمنين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بالآيات النيرات المخصوص باستمرار أكرم معجزاته على مدى الأوقات وعلى آله خير آل وأصحابه أولي الفضل والكمال ﴿أما بعد﴾ فقد تم بحمده تعالى طبع تفسير العلامة الفاضل والاديب الكامل الشيخ محمد نووي الجاوي رحمه الله وأثابه رضاه المسمى مراح لبيد في تفسير معنى قرآن مجيد وهو تفسير حوى زبدة التفاسير بعبارة رقيقة واشارات عذبة دقيقة والتعرض للقرآت مع توجيهات لها جليات واستيفاء أسباب النزول معها تنبيه على السير والقصص والنقول ففيه كل معنى يروق الناظر ويزيل الجهالة ويريح الخاطر وقد تحلت طرره ووشيت غرره بتفسير الوجيز للامام الواحدي رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه وهو تفسير واضح المعاني كثير الفوائد لمعاني أجزاء الكتاب حلية للناظرين وهداية للعالمين وذلك (بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر) في أوائل شهر جمادى الثانية سنة ١٣٣٠ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

آمين

﴿تم فهرست الجزء ال...﴾